المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة بالمدينة المنورة
قسم الاستشراق

مؤتمرات المستشرقين العالمية:

نشأتها - تكوينها - أهدافها

رسالة لنيل درجة الدكتوراه

- الجزء الأول -

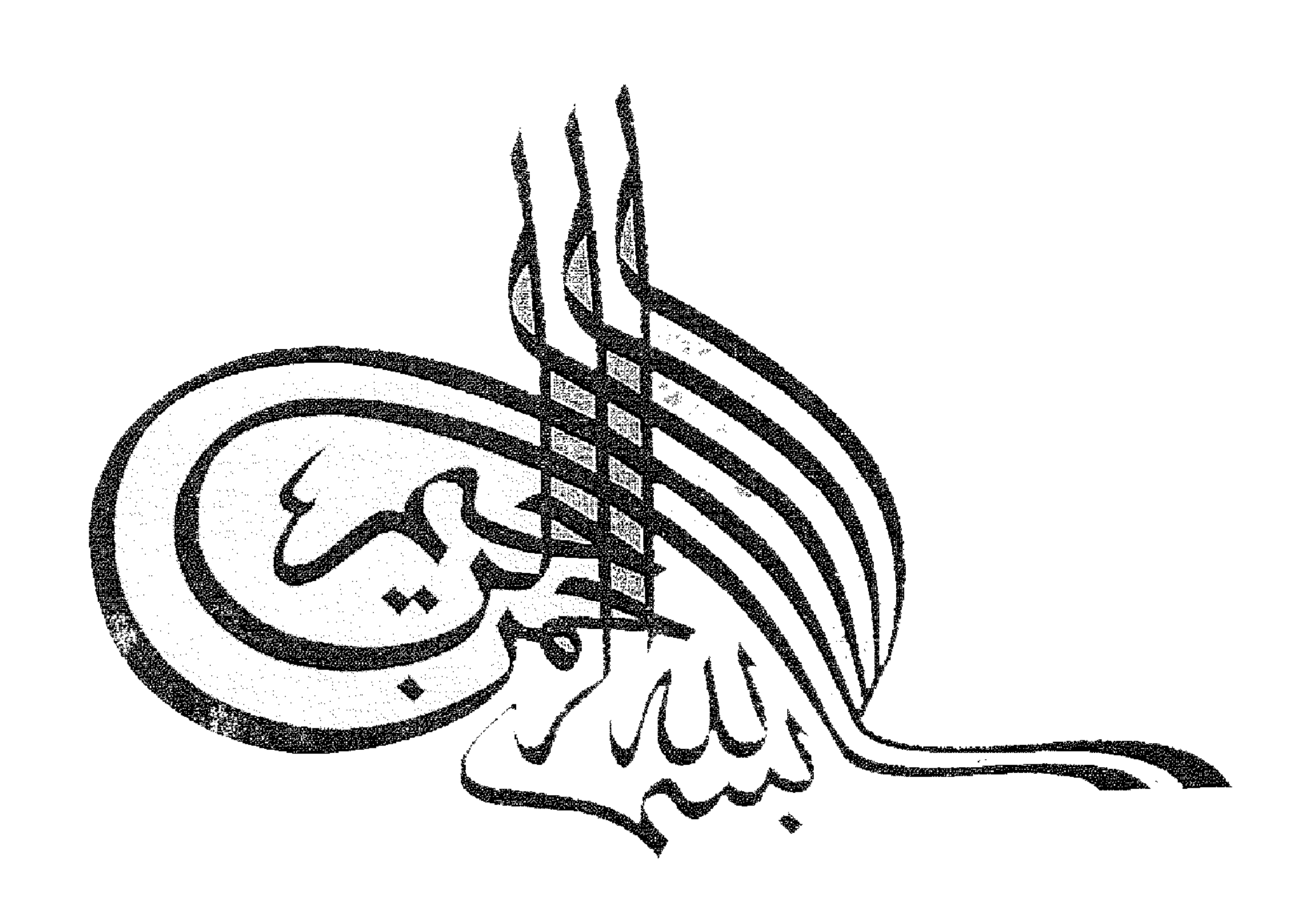
إعداد

الطالب: المحسن بن علي بن صالح سويسي

إشراف

الأستاذ الدكتور: حامد غنيم أبو سعيد

العام الجامعي: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله وحده على أنعامه، والشكر له على فضله وامتنانه، وله الفضل والمنة أولا وأخيرا على ما يسر وأعان، وقدر ظهور هذه الدراسة للعيان، ومن تمام شكر الله عز وجل، الاعتراف لكل من كان له مساهمة في هذا العمل، وتقدير ما لهم من مساعدة وفضل.

جاء هذا الإنجاز بعد أن قضى الباحث ردهة طويلة من الزمن، في هذا البلد الكريم الطيب، الذي منحه بعثة علمية، نعم فيها برغد العيش وحسن المعاملة، في ظل حكومة إسلامية رشيدة، وفرت للمقيمين فيه، ولاسيما طلبة العلم، طيب المقام، بوافر الأمن وراحة البال، ولاسيما في طيبة الطيبة، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. ومن ثم، يتقدم الباحث للمملكة العربية السعودية، ملكا وحكومة وشعبا، بخالص الشكر والتقدير، على ما لقيه طوال فترة دراسته، والتي بلغت ست عشرة سنة، فلهم الشكر الجزيل على ما قدموه ويقدمونه له ولغيره من طلبة العلم من خدمات جليلة، ومساعدات نبيلة، يعجز المرء عن عدها وإحصائها. فبارك الله فيهم وجزاهم عن الإسلام والمسلمين كل خير، وأدام على البلد أمنه ورخاءه واستقراره.

كما يتقدم الباحث بخالص الشكر والتقدير لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وعلى رأسها معالي الأستاذ الدكتور عبد الله الشبل، هذا الصرح المبارك الذي تبنى الطالب منذ سنة ١٤٠٤هـ، وحصل فيه على شهادتي البكالريوس ومن ثم الماجستير، فجزا الله القائمين على هذه الجامعة خير الجزاء.

أما كلية الدعوة بالمدينة المنورة، فقد أمضى الطالب فيها أحلى فترات مقامه في هذا البلد المعطاء، ويعجز اللسان عن التعبير بالامتنان والاعتراف بما حصل عليه الطالب من مساعدات قيمة، مما يسر له مساره الدراسي، سواء من القائمين عليها حاليا، وعلى رأسهم فضيلة عميدها الأستاذ الدكتور علي بن دخيل الله الحازمي، وكذلك وكيلها فضيلة الدكتور علي بن عتيق الحربي، أو ممن سبقوهما

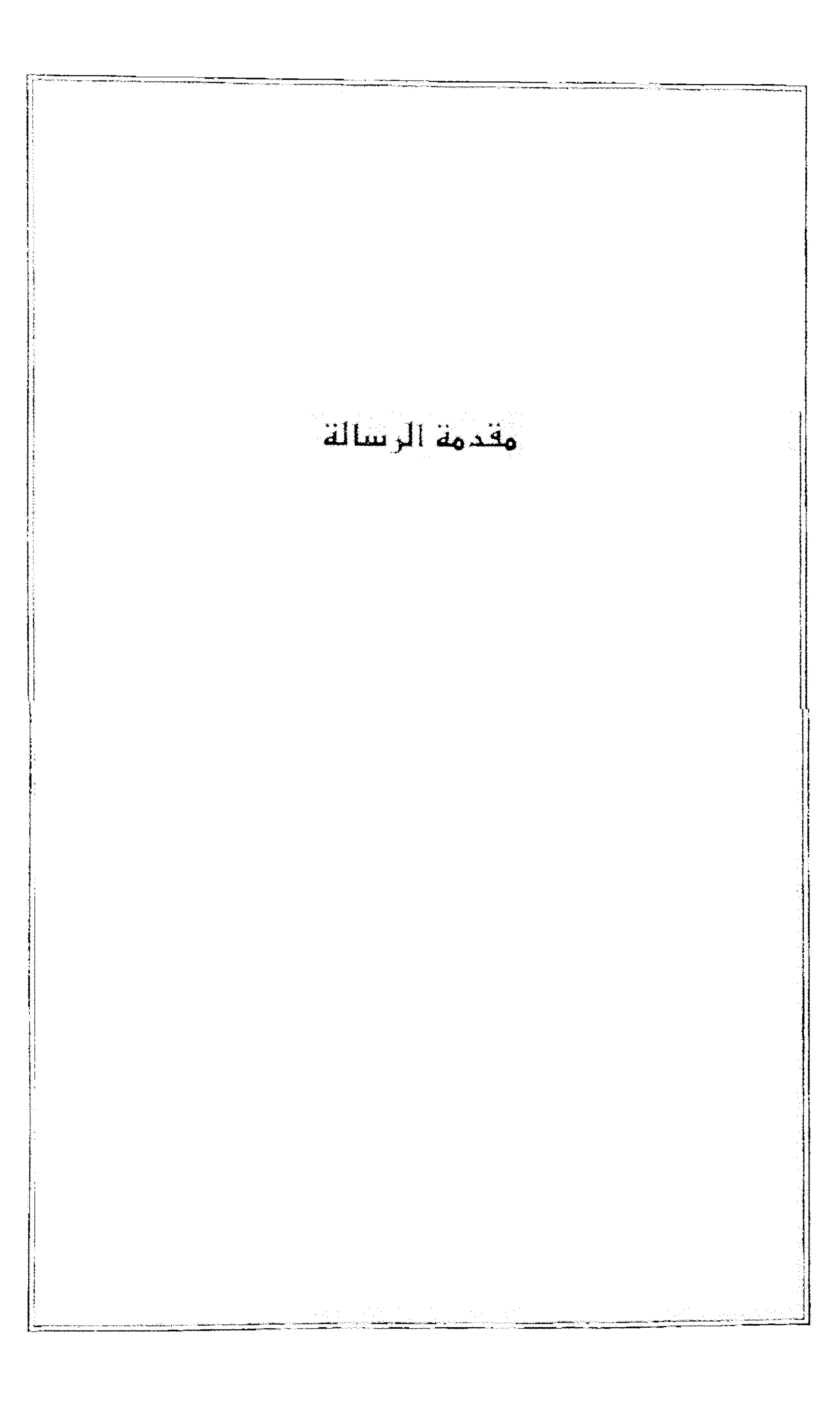
في إدارة هذه الكلية، ولاسيما فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سالم بن شديد العوفي، وفضيلة الأستاذ الدكتور معيض بن مساعد العوفي، ولا يمكن نسيان فضل عميدها بالنيابة سابقا، الأستاذ مصطفى بن عمر حلبي. فجزى الله الجميع خيرا، وبارك سعيهم.

ويطيب للباحث تقديم شكره كذلك لقسم الاستشراق أساتذته ورؤسائه، وعلى رأسه فضيلة الدكتور على بن عتيق الحربي، وكذلك رؤساؤه السابقون، الأستاذ الدكتور محجوب كردي والأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن والأستاذ الدكتور علي ابن دخيل الله الحازمي، لما قدموه للباحث من مساعدات وتيسيرات.

وبصورة إجمالية، يقدم الطالب شكره كذلك، لكل من قدم لي مساعدة أثناء إنجاز هذا العمل، وبارك الله للجميع، وجزاهم عن الطالب خير الجزاء.

قائمة مؤتمرات المستشرقين العالمية

مؤتمر رقم	مكان المؤتمر	تاريخ الانعقاد هجري	تاريخ الانعقاد ميلادي
١	باريس	١٢٩٠	١٨٧٣
٢	لندن	١٢٩١	١٨٧٤
٣	سان بترسبورغ	١٢٩٣	١٨٧٦
٤	فلورانسا	١٢٩٥	١٨٧٨
٥	برلين	١٢٩٨	١٨٨١
٦	ليدن	١٣٠٠	١٨٨٣
٧	فيانا	١٣٠٤	١٨٨٦
٨	ستوكهولم وكريستيانا	١٣٠٧	١٨٨٩
٩	لندن	١٣١٠	١٨٩٢
١٠	جنيف	١٣١٢	١٨٩٤
١١	باريس	١٣١٥	١٨٩٧
١٢	روما	١٣١٧	١٨٩٩
١٣	همبورغ	١٣٢٠	١٩٠٢
١٤	الجزائر	١٣٢٣	١٩٠٥
١٥	كوبنهاجن	١٣٢٦	١٩٠٨
١٦	أثينا	١٣٣٠	١٩١٢
١٧	أوكسفورد	١٣٤٧	١٩٢٨
١٨	ليدن	١٣٥٠	١٩٣١
١٩	روما	١٣٥٤	١٩٣٥
٢٠	بروكسيل	١٣٥٧	١٩٣٨
٢١	باريس	١٣٦٧	١٩٤٨
٢٢	إستانبول	١٣٧٠	١٩٥١
٢٣	كنبريدج	١٣٧٤	١٩٥٤
٢٤	ميونيخ	١٣٧٧	١٩٥٧
٢٥	موسكو	١٣٨٠	١٩٦٠
٢٦	نيو دلهي	١٣٨٣	١٩٦٤
٢٧	آن آربور	١٣٨٧	١٩٦٧
٢٨	كانبيرا	١٣٩٠	١٩٧١
٢٩	باريس	١٣٩٣	١٩٧٣
	ICHSANA		
٣٠	مكسيكو سيتي	١٣٩٦	١٩٧٦
٣١	طوكيو وكيوتو	١٤٠٣	١٩٨٣
	ICANAS		
٣١	هامبورغ	١٤٠٦	١٩٨٦
٣٣	تورنتو	١٤١١	١٩٩٠
٣٤	هونج كونج	١٤١٣	١٩٩٣
٣٥	بودابست	١٤١٨	١٩٩٧



مقدمة الرسالة

مقدمة الرسالة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون﴾[1]، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا، يصلحْ لكم أعمالكم ويغفرْ لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾[2]، ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا﴾[3].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ورد عن النبي ﷺ أنه قال في حديث مطول: "...الدال على الخير كفاعله"[4]. والخير كما يكون بفعل الحسنات، ودفع المنكرات، يكون كذلك بكشف الشبهات وما يحاك لهذه الأمة من مخططات وما تخضع له من دراسات وتحليلات. والعلم كما يقال ثغور، وكل ثغر يحتاج من يقف فيه ويؤدي الواجب لسد تلك المهمة. ومن تلك الثغور المعرفية، معرفة ما لدى الآخرين من معارف تفيد المسلمين، من علوم تقنية وميكانيكية وطبية وما شابهها، وكذلك التعرفض لما قد يسببونه لها من ضرر، فيعرَّف قصد التصدي له ودفعه.

والاستشراق أحد تلك المعارف التي اتخذت سبيلا لبسط الهيمنة والسيطرة على هذه الأمة بخاصة، والشرق ككل بعامة، وكما سيأتي تحليله[5]، انطلق الاستشراق بعد احتكاك الغرب بالأمة الإسلامية، ثم توسعت ميادينه لتشمل العالم

---

[1] آل عمران: ١٠٢ .

[2] الأحزاب : ٧١، ٧٢ .

[3] النساء: ١.

[4] مسلم: ١٨٩٣.

[5] سيأتي الحديث عن هذا بالتفصيل ص ٢ من الرسالة فما بعدها.

كله. ونما هذا التوجه المعرفي واتخذ وسائل وأساليب عدة، وأضحى مرتع الخبراء والساسة والمستشارين، ودعاة التنصير والاستعمار والمنادين بتغيير موروثات الشرق الحضارية والأخلاقية والمعرفية. ومن هذه الأساليب التي اتبعت، المؤتمرات الدورية التي أسسها المستشرقون الفرنسيون بدعم تام من مستشرقي العالم كافة، والتي انطلقت أول دورة منها سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، ولا تزال تعقد دوراتها حتى يومنا هذا.

هذه المؤتمرات، التي تكاد تكون مجهولة في وسطنا المعرفي، والتي لم يتم تناولها بالدرس إلا نادرا، بل حتى في الغرب نفسه، كثيرا ما سمع الباحث وهو ينقب عن تلك المدونات، إنه أول من يطلع عليها، هذه المؤتمرات، هي التي يسعى الباحث لتقديم صورة عامة عنها في هذا الرسالة، صورة إجمالية مسحية تضيء جوانب عدة من خبايا هذه المؤسسة، وإعطاء فكرة عامة شمولية عنها، عسى أن يتم مستقبلا تناول عناصرها المتعددة، بدراسات تحليلية دقيقة، تلقي بمزيد من الأضواء على حقيقة تلك المؤتمرات. وقد سلك الباحث هذا السبيل، عسى أن يكون ممن قال فيهم رسول الله ﷺ ، في الحديث الوارد عن أبي هريرة رضي الله عنه: "من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له طريقا إلى الجنة"[١]، وعسى أن يحذو حذوه آخرون فيواصلوا التحليل، ويعمقوا هذه الدراسة، فيكون دالا على خير؛ وعسى أن يكون كذلك ممن قال فيهم رسول الله ﷺ ، فيما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا: "من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا"[٢]. هذا والله الميسر، والهادي إلى سواء السبيل.

بين يدي الرسالة:

تعد مؤتمرات المستشرقين العالمية، من أهم المؤسسات التي أنشأها المستشرقون، والتي لا تزال تزاول نشاطها منذ ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، تلك السنة التي شهدت انعقاد أول دورة منها، وكان ذلك بباريس، بمبادرة نشطة جدا

---

[١] مسلم: ٢٦٩٩.

[٢] مسلم: ٢٦٧٤.

للمستشرقين الفرنسيين. ولا تزال هذه المؤتمرات تنشط حتى العصر الحاضر، إذ انعقد خمسة وثلاثون مؤتمرا حتى الآن، آخرها كان بـ"بودابست" بالمجر، صيف ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، وتقرر أن يكون موعد المؤتمر السادس والثلاثين سنة ٢٠٠٠م (١٤٢١هـ)، بـ"منتريال Montreal"، بكندا. ونظرا لما لهذه المؤتمرات من أهمية، والحاجة الماسة لتسليط بعض الأضواء عليها، تسعى هذه الأطروحة للقيام ببعض هذه المهمة، وتساهم في التعريف بها، وتقديم فكرة شاملة عنها، ولتكون بإذن الله مدخلا لدراسات عدة أخرى، تحتاجها هذه المؤتمرات، التي لا يمكن أن تفي دراسة واحدة لتوضيحها، وذلك لتشعب دراسات المؤتمرات وتنوعها، وتعدد المدارس الاستشراقية المساهمة فيها، والمؤثرات الخارجية فيها، والمناهج المتعددة التي استخدمت في طرق الدراسات المعروضة، والأهداف الكامنة وراء المؤتمرات ، وغيرها من الموضوعات التي تحتاج بيانا وتوضيحا ودراسة وتحليلا.

أما هذه الدراسة التي بين أيدينا، فهي تسعى لتقديم فكرة شاملة وعامة، حول هذه المؤتمرات، من حيث نشأتها، وبعض الخصائص العامة لها، وتتضمن تركيزا خاصا على المؤتمر الأول، ومن حيث الأهداف التي تسعى لتحقيقها، والأطوار التي مرت بها، مع الاطلاع على مساهمات الشرقيين فيها، ولاسيما المسلمون منهم، وعلى المؤتمرات التي عقدت في العالم الشرقي، وبيان بعض المؤثرات في المؤتمرات، وبعض آثارها أيضا.

ونظرا لطبيعة الموضوع، فسيتم طرقه وفق الخطة التالية، يتناول فيها الباحث عناصر عدة، وهي كما يلي :

١- أهمية الموضوع وسبب اختياره.
٢- تحديد مشكلة الدراسة.
٣- منهج الرسالة.
٤- الدراسات السابقة.
٥- موضوعات الرسالة.
٦ – أهم المصادر

هذه العناصر، ستبين الطريقة التي ستسير عليها هذا الرسالة، قصد طرق الموضوع. وهذا بيان وتوضيح لها.

١- أهمية الموضوع وسبب اختياره :

تتناول هذا الرسالة مؤتمرات المستشرقين العالمية، من حيث نشأتها وتكوتها وخصائصها، دراسة وتحليلا. وهذه المؤتمرات لها أهمية مميزة في دراسة المستشرقين فقد تكونت ليجتمع فيها أقطاب المستشرقين وتلامذتهم، وغيرهم من ذوي الاختصاصات للتباحث وتبادل المعلومات حول مختلف مجالات الحياة الشرقية.

إن مؤتمرات المستشرقين العالمية، محط لجل التخصصات المعرفية، من تاريخ وجغرافية ولغة ودين واجتماع وسياسة واقتصاد وثقافة وفن...وغيرها من الميادين فهي نتاج وخلاصة للدراسات الاستشراقية العامة وتنظير مستقبلي للإنتاج الاستشراقي اللاحق.

وتمتاز الأبحاث التي تلقى فيها بالتركيز والتدقيق والاختصار. ثم هي تناقش بعد أن تلقى وسط جم غفير من الحضور. لذا، فإن المستشرق يولي دراسته مزيدا من العناية التي قد لا يعطيها لغيرها من أبحاثه، وتكون قناعته بها عميقة، وقد يعد ما جاء فيها هو الصواب والحقيقة.

وتتميز مؤتمرات المستشرقين العالمية أيضا بكونها أسلوبا حديثا نسبيا، من أساليب المستشرقين، ووسيلة من وسائلهم، تساهم في دراسة المجتمعات الشرقية، والتنسيق بين الجهود الاستشراقية، وتعين مستقبل توجهها الدراسي والمعرفي، وتعطيها بعدا عالميا.

عقد أول مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين العالمية، بباريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، ولا يزال يعقد دوريا حتى عصرنا الحاضر.

وقد تأثرت المؤتمرات بالواقع السياسي العالمي. فقد توقف انعقاد هذه المؤتمرات مرتين، بسبب الحربين العالميتين.

فبعد المؤتمر السادس عشر الذي عقد في أثينا سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، تعطل انعقاد المؤتمرات حتى المؤتمر السابع عشر بأكسفورد سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ). أما المرة الثانية، فكانت بعد المؤتمر العشرين، ببروكسيل سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، ثم استأنفت سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، بباريس.

كما أن الناحية العلمية أثرت في نمط المؤتمرات حيث قرر مؤتمر باريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ) تغيير مسمى ((مؤتمرات المستشرقين العالمية)) إلى ((المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية في آسيا وشمال إفريقيا)) ثم إلى ((المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا)) في مؤتمر طوكيو، الحادي والثلاثين، سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ). وبالتالي دخلت المؤتمرات هذه حقب متنوعة من تاريخها. وقد كانت هذه التغييرات مبنية على أسباب علمية ومعرفية، يود الباحث أن يبين تفصيلها خلال الرسالة إن شاء الله.

وتبدأ المؤتمرات دائما بخطابات افتتاحية ثم يتم تقسيم المؤتمر إلى لجان دراسية، عدا المؤتمر الأول الذي تمت المشاركات فيه على شكل جلسات جماعية، ولكل لجنة برنامجها الدراسي، تقدم في آخره توصيات، ثم تدرس التوصيات جميعها، وما يقره المؤتمرون، يصدر في الخطابات الختامية للمؤتمرات.

وتعد هذه الافتتاحيات والتوصيات ذات أهمية مميزة، لكونها تبين توجه المؤتمر ثم نتاجه، وهو ما سيطرقه الباحث خلال دراسته بإذن الله تعالى.

أما وقائع هذه المؤتمرات، فإنها تعد وثائق ومراجع معتمدة لدى المستشرقين ومقروءة في الغرب والشرق، ويصعب على القارئ العادي تبين خطورة الأساليب والمناهج التي يتناول بها بعض المستشرقين أبحاثهم. الأمر الذي قد يؤدي إلى أنتشار الشكوك والأخطاء حول موروثات الشرق الحضارية، وتراثه التاريخي والديني.

وقد شهدت مؤتمرات المستشرقين العالمية عدة أشكال من التطوير، منذ نشأتها، سواء في التنظيم أو العمل، منها ما هو إيجابي، ومنها ما هو سلبي. وعلى الرغم من ذلك، فإن الغرب يوليها أهمية بالغة، بل أعطاها بعدا سياسيا متميزا، في حين أن الوسط الشرقي لا يزال يعاني من إهماله لهذه المؤتمرات، إذ لا يهتم بها إلا قلة قليلة من المثقفين والمتخصصين.

ومع ذلك، فليس ثمة دراسة، فيما اطلع عليه الباحث تعطي هذا الموضوع حقه من التحليل. ويبقى الكثير من أعمال هذه المؤتمرات وإنتاجها وأساليبها ووسائلها وأغراضها وأبعادها، ومناهجها خافية، ولاسيما في حقل المعنيين بتأثير هذه المعلومات في العالم الإسلامي.

وتعد نشأة هذه المؤتمرات وتكونها، تجربة ناجحة في الوسط العالمي عموما، من حيث التنظيم والإدارة، وهي لا تزال تعقد إلى يومنا هذا، ويمكن الاستفادة منها، في وسائل تنظيم مؤتمرات إسلامية، علمية وثقافية، تختص بعضها في مناقشة مؤتمرات المستشرقين في الموضوعات الإسلامية، فتكون أكثر تنظيما وإحكاما منذ انطلاقتها، وتتفادى العقبات الأولى التي وقعت فيها مؤتمرات المستشرقين العالمية.

ومن شأن دراسة مؤتمرات المستشرقين العالمية، أن تبين المزيد من فقه الذات الشرقية لنفسها ومعرفة المزيد عن حقيقة نظرة الغرب لها، فما كان صوابا أيدته وحافظت عليه، أو طورته، وما كان نقصا أو عيبا وقفت تجاهه وفندته.

والحقيقة أن هذه الرسالة خطوة في طريق المنحى النقدي لمؤتمرات المستشرقين العالمية، التي رأى الباحث ضرورة الاهتمام بها، تمحيصا ونقدا. ونظرا لاتساع دائرة الأعمال الاستشراقية، في مؤتمرات المستشرقين العالمية، فقد آثر الباحث أن يبدأ بالجانب التكويني لهذه المؤتمرات، من حيث نشأتها وتكونها ونظامها الإداري والعلمي، سعيا منه إلى معرفة حقيقتها، وفهم مجريات أحداثها، والوقوف على نمط نظمها وإيضاح ذلك للمعنيين بالدراسات الإسلامية على نحو خاص، من خلال دراسة تحليلية تقويمية، تبين إيجابيات هذه المؤتمرات وسلبياتها، والله من وراء القصد.

٢ – تحديد مشكلة الدراسة:

تمتاز مؤتمرات المستشرقين العالمية بوفرة مادتها العلمية وتعدد ميادينها الدراسية، وتنوع المدارس الاستشراقية، المساهمة فيها، وتباين اللغات التي تلقى بها المساهمات وتنشر بها وقائعها، كما شهدت إحكاما في التنظيم واستمرار في

الانعقاد.. ونظرا لصعوبة تناول كل هذه الجوانب في بحث واحد، حدد الباحث موضوع رسالته في النشأة والتكوين والأهداف. أما غير ذلك، فلا يدخل في هذه الرسالة إلا عند الضرورة، من استشهاد أو تعليق أو غيره. وبالتالي يمكن تحديد مشكلة الرسالة فيما يلي :

١- ما الخلفية الدينية والثقافية لنشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية ؟

٢-ما المراحل التي مرت بها الدعوة إلى عقد مؤتمرات المستشرقين العالمية؟ وما الأهداف الكامنة وراء ذلك؟

٣ـ ما سمات أول مؤتمر استشراقي وخاصيته ؟

٤- ما المراحل التي مرت بها الأطر التنظيمية والعلمية لمؤتمرات المستشرقين العالمية ؟

٥- ما قيمة المساهمات الشرقية، في مجال التنظيم والإدارة، وفي المجالات العلمية؟

٦ – ما سمات المؤتمرات التي عقدت في البلاد الشرقية ؟

٧ – ما الأطوار التاريخية التي مرت بها مؤتمرات المستشرقين العالمية، وما خصائص ومميزات كل حقبة منها ؟

٨ – ما خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية ؟

٩ – ما المؤثرات التي تركت بصمتها في مؤتمرات المستشرقين العالمية؟

١٠ – ما أثر مؤتمرات المستشرقين العالمية في العالمين الشرقي والغربي؟

٣ – منهج الرسالة:

يستخدم الباحث، بإذن الله تعالى، المنهج التاريخي لدراسة أصول نشأة المؤتمرات العالمية، والمراحل التاريخية التي مرت بها، من حيث تطورها.

كما تشتمل هذه الرسالة على جانب وصفي كبير لظاهرة مؤتمرات المستشرقين العالمية، فيسعى لوصفها وصفا دقيقا شاملا جوانبها كافة ومتطرقا لمختلف أبعادها، إذ سيعمد الباحث إلى جمع المعلومات والحقائق حول المؤتمرات وتصنيفها، وتفسيرها لاستخلاص دلالتها وتحديدها.

كما يصف ويحلل الأطر التنظيمية للمؤتمرات وعرض ما طرأ عليها من تطورات ومقابلة المساهمات الغربية بالمساهمات الشرقية في الأمور التنظيمية والعلمية، لتحديد قيمة مساهمة شعوب الشرق في هذه المؤتمرات على المستوى الشكلي والمضمون، من حيث تشابه الدوافع والتوجهات أو اختلافها.

ويسعى الباحث إلى تحليل كل مرحلة من مراحل تطور المؤتمرات ومقارنتها لاستخلاص مميزات كل طور، وللتعرف على أهم سمات التطور التي مرت بها ظاهرة مؤتمرات المستشرقين العالمية من ناحية الشكل والمحتوى، وذلك من خلال عينات من دراسات المستشرقين.

ثم يستخلص خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية ودراسة الظروف المحيطة بها كظاهرة وكشف الحقائق الراهنة التي تتعلق بها، مع تسجيل دلالتها وخصائصها وكشف علاقتها بغيرها.

٤ – الدراسات السابقة :

ليس ثمة دراسة وافية في جوانب مؤتمرات المستشرقين العالمية تتناولها بالتحليل والنقد، إنما هناك بعض التقارير والإشارات لمؤتمرات استشراقية عالمية.

فقد شرح ج. هـ. بوسكي Bousquet G.H. وجهة نظر الشيخ أمين المدني حول مؤتمر المستشرقين العالمي بليدن سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)[١]، ويسميه حمد الجاسر الشيخ أمين بن حسن الحلواني[٢] وفي هذه المقالة يبدو الشيخ معجبا بالمستشرقين ومؤتمراتهم أيما إعجاب.

---

(1) Bousquet G. H.: "Un congres d'orientalistes vu par un lettre musulman" – Bulletin des Etudes Arabes –No 13 – 3eme annee –Mai-Juin 1943 –pp. 67– 68.

(٢) حمد الجاسر: "على هامش مؤتمر المستشرقين : أيام في باريس–٣–" – الأديب – ج. ٩ و١٠ – ١٣٩٤م – ١٩٧٤م – ص ٦٥٢ .

أما محمد أمين فكري[1]، ومحمد عبد الغني[2]، فقد وجها اهتمامهما لمشاركة عبد الله فكري مبعوث الحكومة المصرية في وقائع مؤتمر المستشرقين العالمي الثامن المنعقد في ستكهولم سنة ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ). وقد اتخذت الرحلة طابعا سياسيا أكثر منه علميا، فكان التركيز على مقابلات عبد الله فكري مع أرباب السلطة بالسويد والنرويج، الملك أوسكار الثاني[3] وحاشيته. وأسهب محمد أمين في وصف شكليات المؤتمر ونظمه ومكان انعقاده، منبهرا بالمجهودات الجبارة المبذولة في سبيل إنجاح المؤتمر. أما الناحية العلمية والعملية فقليلة، واكتفى بتعليق مطول لمساهمته ومساهمة أبيه عبد الله فكري، رغم أنهما لم تنشرا في وقائع المؤتمر. ولم يتعرض لبقية المساهمات حتى المصرية منها.

وتعرض أنور الجندي[4] لتهجم المستشرق " فولرس" على القرآن الكريم واللغة العربية الفصحى في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر، الذي انعقد في الجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ). ثم ذكر تصدي بعض الباحثين العرب، لم يذكر اسمه لتفنيد رأي "فولرس" وأمثاله من المستشرقين[5].

---

[1] محمد أمين فكري: إرشاد الألباء إلى محاسن أوروبا – مصر – مطبعة المقطف – ١٨٩٢م – ص ٥٧٥ – ٧٤٥ .

[2] محمد عبد الغني: عبد الله فكري، عصره، حياته، أدبه – مصر – مطبعة مصطفى البابي وأولاده – الطبعة الأولى – ١٩٤٦م – ص ٣٨ .

[3] هو الملك أوسكار الثاني، (١٨٢٩–١٩٠٧م) [١٢٥٥–١٣٢٥هـ]، تولى العرش سنة ١٨٧٢م [١٢٨٩هـ]، ملكا للنرويج والسويد، حتى العام ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، ثم ملكا للسويد حتى العام ١٩٠٧م [١٣٢٥هـ]. عرف بنزعته المحافظة. وهو ملك مثقف، اشتهر بين العلماء بتآليفه، حتى إن مؤلفاته ترجمت إلى كثير من اللغات، وتسارعت الجمعيات العلمية والنوادي الأدبية إلى إثباته في عداد أعضاء الشرف فيها. محمد أمين فكري باشا: إرشاد الألباء إلى محاسن أوروبا – ص ٥٩٩ . وكذلك: منير البعلبكي، المورد – قاموس إنجليزي عربي– بيروت – دار العلم للملايين– ١٩٨٨م – معجم أعلام – ص ٦٦.

[4] أنور الجندي: الإسلام في وجه التغريب، مخططات التبشير والاستشراق – القاهرة – دار الاعتصام – مطابع الناشر العربي – ص ٣٨٢ – ٣٨٤ .

[5] المرجع نفسه – ص ٣٨٢ – ٣٨٣ .

أما "موويز شواب Moise Schwab"[١] فقد ذكر بعض ما عرض في المؤتمر الخامس عشر بكوبنهاج سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)، من محاضرات حول العالم الإسلامي مع عرض وجيز لكل منها، وسرد نجيب العقيقي[٢] مختلف لجان هذا المؤتمر، وقد مهد له بعرض لمختلف المؤتمرات المنعقدة قبله وأماكن انعقادها[٣]. واستعرضت "ماريا نللينو Nallino, Maria"[٤] وقائع المؤتمر لتاسع عشر، المقام بروما سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ). وعرضت باختصار لأهم ما درس في كل لجنة من لجانه، مع ذكر تعريف موجز لمعظم الدراسات التي ألقيت في لجنة الدراسات العربية والإسلامية.

ونشرت مجلة الرسالة[٥]، خبر افتتاح مؤتمر المستشرقين العشرين في بروكسل وذلك سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، وذكرت بعض المحاضرين العرب وعناوين مساهماتهم، إضافة إلى أهم ما ألقاه بعض المستشرقين حول العربية والإسلام. وحول المؤتمر نفسه، أورد مراد كامل[٦] موجزا عن أعمال لجان المؤتمر التسع مع ذكر بعض المحاضرات التي ألقيت في كل لجنة. ثم أسهب في عرض بعض المحاضرات التي ألقيت حول الإسلام، معلقا بقوله: "وأما القسم الإسلامي فقد كان شاملا جامعا، كثرت فيه محاضراته وتوافر المستمعون لها"[٧].

وعن المؤتمر العالمي الحادي والعشرين، قدم فؤاد أفرام البستاني[٨]، مندوب جامعة القديس يوسف، دراسة مجملة عن وقائعه. وقد مهد لمقالته بمشاعر أدبية

---

(1) Schwab, Moise : "Congres des Orientalistes" – Revue du Monde Musulman – nó 9 – 2eme annee – Septembre – 1908 – pp. 141 – 151 .

(٢) نجيب العقيقي: المستشرقون – ج٣ – مصر – دار المعارف – ص ٣٦٥ – ٣٦٨ .

(٣) المرجع نفسه – ص ٣٦٥ – ٣٦٦ .

(4) Nallino Maria: "Il XIX Congresso Internazionale degli Orientalisti" – Oriente Moderno – NR:2 – Anno XVI – Febraio 1936 – pp. 97 – 110 .

(٥) "مؤتمر المستشرقين في بروكسل" – الرسالة – السنة السادسة – العدد ٢٧١ – القاهرة – ١٩٣٨م – ص ١٥١٤ .

(٦) مراد كامل: "مؤتمر المستشرقين العشرون المنعقد في مدينة بر وكسل" – الرسالة – السنة السادسة – العدد ٢٧٤ – ١٩٣٨م – ص ١٦١٠ – ١٦١٣ .

(٧) المرجع السابق – ص ١٦١١ .

(٨) فؤاد أفرام البستاني: "مؤتمر المستشرقين الدولي الحادي والعشرين" – المشرق – الجزء الأول – السنة ٤٢ – ١٩٤٨م – ص ٤٨١ – ٥٠٠ .

نحو هذا المؤتمر الذي حضره، ثم سرد أماكن المؤتمرات السابقة وزمن انعقادها واختتم المقالة بتوصيات المؤتمر، وهذا الأمر الأخير أغفله العديد من الكتاب الآخرين. كما قدم "أتوري روسي Ettore Rossi"[1] ملخصا عن سير وقائع هذا المؤتمر، وذكر أسماء المحاضرين ومحاضراتهم في كل لجنة من لجان المؤتمر. وحضر فؤاد أفرام البستاني[2] المؤتمر الثاني والعشرين بإستانبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، وقدم ملخصا موجزا لما عرض في لجانه المختلفة.

وكتب "س. أ. حسن S.A. Hassan "[3] عن مؤتمر كامبردج سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، وهو الثالث والعشرون، ساردا نشاطه الخاص في المؤتمر: لقاءاته مع العلماء هناك، من مستشرقين وشرقيين، وذكر عناوين بعض المحاضرات التي حضرها في لجنة الدراسات الإسلامية. وتحدث محمد الغول[4] عن آثار المؤتمر الرابع والعشرين. وقارن في بحثه بين مجهود المستشرقين وإنتاج العرب مشيدا بالأوائل وداعيا العرب لتقصي خطى المستشرقين لكون العرب أحق وأولى بهذه الدراسات من غيرهم. أما وقائع المؤتمر فلم يتعرض لها. وعن هذا المؤتمر نفسه، اهتم يوسف أسعد داغر[5] بالحضور العربي فيه، واهتم بمشاركات العرب، ونوه بالمجهود المبذول في تيسير العمل ونظام المؤتمر، ومما جاء في مقالته، أسفه عن عدم اهتمام العرب الاهتمام الكافي، الذي يتناسب مع قيمة المؤتمرات[6].

---

[1] Rossi Ettore: “Il XIX Congresso Internazionale degli Orientalisi A Parigi (23 – 31 Luglio 1948)” – Oriente Moderno – NR: 7-9 – Anno XXVIII – 1948 – pp. 153 – 157.

[2] فؤاد أفرام البستاني: "مؤتمر المستشرقين الدولي الثاني والعشرين، إستانبول ١٥- ٢٢ أيلول ١٩٥١م" – المشرق – الجزء الأول – السنة ٤٦ – ١٩٥٢م – ص ١٠٢ – ١١٦.

[3] Hassan S.A.: “Cambridge International Congress of Orientalists” – The Islamic Literature – Vol. III – No 5 – 1955 – Lahore – pp. 21 – 33.

[4] محمد الغول: "المستشرق أقل دراية بأسرار اللغة" – دراسات يمنية – العدد ١٤ – ١٩٨٣م – ١٤٠٤هـ – اليمن – صنعاء – ص ١١٨ – ١٢٢ .

[5] يوسف أسعد داغر: "حول مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع والعشرين"– الأديب – م٣٢ – ج١٢ – السنة ١٦ – ١٩٥٧م – ص ٢٢ – ٢٨ .

[6] المرجع نفسه – ص ٢٨ .

كما تكلم على هذا المؤتمر "هوبرت فرانكي Hubert Franke"[١]، فذكر اللجان المختلفة التي انقسم إليها المؤتمر، معلقا على بعض المحاضرات التي عرضت خلاله. واكتفى ميشال جحا[٢] بذكر اللجان التي انقسم إليها المؤتمر، وقد سرد قبلها المؤتمرات السابقة وأماكن انعقادها.

وأوردت مجلة "STUDIA ET ACTA ORIENTALIA" مقالا[٣] مطولا حول مؤتمر المستشرقين العالمي الخامس والعشرين، المنعقد في موسكو ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، حاولت المجلة فيه إظهار قيمة الاستشراق الشيوعي ومكانته، وأهميته في الدراسات الاستشراقية. فقد اتخذ هذا المؤتمر توجها سياسيا معينا منذ بدايته، فكان مواجهة بين الاستشراق الماركسي والاستشراق البرجوازي، كما عبرت المقالة[٤]. بل إن من المستشرقين من شهد بتأثير الجانب الأيديولوجي[٥] والسياسي على مسار المؤتمر[٦]. حتى إن الصحافة الغربية اضطرت لانتقاد المؤتمر والتوجه الذي سيطر على مساره[٧]. ورغم ذلك، عد المؤتمر نقطة تحول ومرحلة جديدة في إطار تطويره الاستشراق العالمي[٨]، وبالتالي المؤتمرات.

أما عن المؤتمر السادس والعشرين، المقام في نيودلهي سنة ١٩٦٤م

---

(1) Hubert Franke: " XXIVe Congres Internationalen des Orientalistes, Munich 1957" – ZDMG – Band 107 – Neue Folge – Band 32 – 1957 – pp. 18 – 23.

(٢) ميشال جحا: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا – بيروت – معهد الإنماء العربي – الطبعة الأولى – ١٩٨٤م – ص ٨٥ .

(3) Studia et Acta Orientalia: "Le XXVeme Congres International des Orientalistes, Moscow, 9 -16 Aout 1960" - III - Bucarest – 1960 - Societe des Sciences Historiques et Philologiques de la R.PR. Section d'Etudes Orientale - Meridiens-Edition . – pp. 299 – 346.

(٤) المرجع نفسه – ص ٣٣٣ .

(٥) الأيديولوجيا: علم دراسة الأفكار والمعاني، وخصائصها وقوانينها وعلاقاتها بالعلامات التي تعبر عنها، والبحث عن أصولها بوجه خاص. وتطلق أيضا على تحليل أفكار مجردة لا تطابق الواقع، وتناقشها. عن المعجم الفلسفي – ص ٢٩.

(٦) المرجع السابق – ص ٣٣٩ .

(٧) المرجع نفسه – ص ٣٤١ .

(٨) المرجع نفسه – ص ٣٤١ .

(١٣٨٣هـ)، فقد قدم ك. أ. نظامي K. A. Nizami[١] ملخصا عنه، ذكر فيه افتتاح المؤتمر واللجان التي قسم إليها، وأهم المحاضرات التي ألقيت في اللجان التي تهم العالم الإسلامي، وهي لجنة الدراسات المصرية، ولجنة الدراسات الآلطية[٢] والتركية، ولجنة الدراسات الآرية، وأسهب بعض الشيء في الدراسات الإسلامية. وعن المؤتمر نفسه، اكتفى نجيب العقيقي[٣] بسرد اللجان المختلفة التي انقسم إليها المؤتمر.

وأورد "آريي راشال Arie Rachel"[٤] مختصرا وجيزا عن المؤتمر التاسع والعشرين المنعقد في باريس ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، أورد فيه بعض البحوث التي ألقيت في لجنة الدراسات الإسلامية والعربية، ثم الإيرانية فالتركية. كما نشر حمد الجاسر[٥] مذكرات له تحت عنوان "على هامش مؤتمر المستشرقين: أيام في باريس"، تتعلق بالمؤتمر ذاته، ولم يتناول مجريات شؤون المؤتمر إنما هي خواطر شبيهة بمذكرات يومية للفترة التي قضاها في باريس: لقاءاته وجولاته وزياراته لبعض المكتبات هناك.

أما أحمد سمايلوفيتش[٦]، فإنه تعرض للكلام عن هذه المؤتمرات باختصار شديد، ذاكرا أن الدوافع وراء الدعوة لعقد مثل هذه المؤتمرات صدور ثلاث

---

[1] Nizami K. A. "XXVI International Congress of Orientalists" – STUDIES IN ISLAM - Vol. I - No 1 – January – 1964 – pp. 117 – 130 .

[٢] متعلقة بجبال آلطاي في آسيا الوسطى، والشعوب التي تقطنها.

[٣] نجيب العقيقي: المستشرقون – الجزء الثالث – ص ٢٦٩.

[4] Rachel Arie: "Le XXIX^{eme} Congres International des Orientalistes" – Boletin de la Association Espanola de Orientalistas – ANO X – 1974 (Madrid) pp. 310 – 312 .

[٥] حمد الجاسر: "على هامش مؤتمر المستشرقين : أيام في باريس –١–" – الأديب – ج. ٥ و٦ – ١٣٩٣م – ١٩٧٤م – ص ٤٦٠ – ٤٧٢ .

– "على هامش مؤتمر المستشرقين : أيام في باريس –٢–" – الأديب – ج. ٧ و٨ – ١٣٩٤م – ١٩٧٤م – ص ٤٨٥ – ٤٩٥ .

– "على هامش مؤتمر المستشرقين : أيام في باريس –٣–" – الأديب – ج. ٩ و١٠ – ١٣٩٤م – ١٩٧٤م – ص ٦٥٢ – ٦٥٨ .

[٦] أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العالمي المعاصر – مصر – دار المعارف – ص ٨٤.

دعوات في العالم الإسلامي، الدعوة إلى الإصلاح، والدعوة إلى النهضة ثم الدعوة لتكوين الجامعة الإسلامية، وإنه على إثر ذلك، علت الدعوات إلى اجتماع المستشرقين لتداول الأفكار في إطار دوري الانعقاد[١]، رغم أن الباحث لم يجد مثل هذه الدوافع فيما تحصل عليه من وثائق.

٥ – موضوعات الرسالة

تتكون موضوعات الرسالة، التي سيتم طرقها، إضافة للمقدمة، على تمهيد وأربعة أبواب. يتناول التمهيد عنصرين هامين في ميدان الاستشراق، وهما نشأة الاستشراق، وتطور أساليبه، وهما عبارة عن مدخل لطرق الموضوع الرئيس، مؤتمرات المستشرقين العالمية، بوصفها إحدى أساليب الاستشراق، وسيتناول بالدرس نشأتها ومسارها، ويبين أهم خصائصها.

يحلل الباب الأول نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية. وفيه ثلاثة فصول، يتناول الفصل الأول منه نشأة التجمعات الاستشراقية، ويتعرض لدراسة مختصرة عن الجمعيات الاستشراقية، ومؤتمرات المستشرقين المحلية والإقليمية، مركزا على أهمها. أما الفصل الثاني، فيتناول بالدرس فكرة الدعوة إلى أنعقاد مؤتمرات المستشرقين العالمية، ويطرق في مبحث أول للفكرة ومراحل الدعوة إليها، مركزا على المدرسة الاستشراقية الفرنسية، والداعي الأول للفكرة. أما المبحث الآخر فيركز على أهداف هذه المؤتمرات من حيث هي علمية أو دينية أو ثقافية أو سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية. ويتعلق الفصل الثالث لمؤتمر المستشرقين العالمي الأول، بوصفه نواة هذه المؤتمرات، ويتم تناول انعقاده ونظامه العام، وأعماله الدراسية ونتائجه الإيجابية والسلبية.

أما الباب الثاني، فيتعلق بالأطر الإدارية والعلمية لمؤتمرات المستشرقين العالمية، وفيه ثلاث فصول، يتحدث الأول عن الأطر الإدارية، صفتها وتطورها، وذلك من حيث مسميات المؤتمرات ونظمها العامة والإدارية. ودرس الفصل الثاني الأطر العلمية، صفتها وتطورها كذلك، ويتناول جلسات المؤتمر بأنواعها،

---

[١] المرجع نفسه – ص ٨٤.

الافتتاحية والدراسات العلمية، والندوات والحلقات الدراسية، وكذلك الجلسات الختامية، كما يطرق الفصل التطورات الحاصلة عليها. أما الفصل الثالث، فخصص للمساهمات الشرقية في مؤتمرات المستشرقين العالمية وفيه ثلاث مباحث، يتعلق الأول بالمساهمات الإسلامية، والثاني بمساهمات الشرقيين غيرهم، فيما تعلق الأخير بالمؤتمرات التي انعقدت في البلدان الشرقية، وهي خمس، في الجزائر وتركيا والهند واليابان وهونج كونج.

ويحمل الباب الثالث عنوان "الأطوار التي مرت بها مؤتمرات المستشرقين العالمية"، وهي أربعة فصول، باعتبار عدد الأطوار التي مرت بها المؤتمرات، وهي: من نشأتها حتى الحرب العالمية الأولى، ثم حقبة ما بين الحربين، ثم من الحرب العالمية الثانية حتى المؤتمر التاسع والعشرين، وحقبة ما بعد ذلك، ويستعرض البحث صفات كل حقبة منها.

أما الباب الأخير، فيتحدث عن خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية. وفيه ثلاثة فصول، يتعلق الأول بخصائص المؤتمرات العامة، من الجانب التنظيمي والعلمي، ويتناول الثاني المؤثرات في المؤتمرات، من الجوانب الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية. أما الأخير فهو عن أثر المؤتمرات، الدينية والسياسية ، الثقافية، وهذه الأخيرة هي أهمها.

وتختتم الرسالة بخاتمة، تتحدث باختصار عن أهم نتائج الرسالة، وبعض التوصيات العامة.

٦ - أهم المصادر

سيتم الاعتماد في طرق هذه الرسالة على مجموعة متنوعة من المصادر. وهي كل ما يتعلق بموضوع مؤتمرات المستشرقين العالمية. وتشتمل الرئيسة منها وقائع أعمال مؤتمرات المستشرقين العالمية، وهذه هي المعتمدة كمصدر أساس في جل جوانب الرسالة وموضوعاتها. وهذه الأعمال تفاوتت طريقة نشرها، وسيتم التعرض لهذه المسألة لاحقا[1]. كما أن هناك البعض منها لم يتم بعد نشرها،

[1] سيرد ذلك لاحقا ص ٢٠٧ - ٢١٠ من الرسالة.

ولاسيما المتأخرة[1]. في المرتبة الثانية، يرد كل ما كتب حول هذه المؤتمرات من نقد وتحليل وتقويم، أو وصف. ويستعان بها لفهم بعض ظواهر المؤتمرات.

وبما أن الموضوع دراسة استشراقية، فلا يمكن الاستغناء عن المصادر والمراجع الأساسية في الاستشراق، لاستخدامها عند اللزوم، ولاسيما في الموضوعات الأولى من الرسالة. ثم هناك مراجع في الثقافة العامة، من شأنها أن تكمل تحليل الموضوعات والدراسة[2].

من جهة أخرى، تنشر الدراسات المعروضة في المؤتمرات عادة، بلغاتها التي عرضت بها. وبالتالي توجد لغات متعددة في هذه الوقائع. ومن ثم، سيضطر الباحث ضرورة على الاعتماد على الدراسات المكتوبة باللغتين الفرنسية والإنجليزية بصفة رئيسة، مع الاستعانة قدر المستطاع بالمدونات باللغات الأخرى كالألمانية مثلا. كما سيعتمد الباحث في الترجمة من اللغتين الفرنسية والإنجليزية على نفسه إلا فيما يستعصي عليه ويرى ضرورة الاستعانة بغيره. أما بقية اللغات، فلا بد من الاستعانة بمن يساعده. هذا وسيكون للترجمة الحيز الأكبر في استهلاك الوقت المخصص لهذه الرسالة، بما أن معظم الدراسات المعتمدة هي باللغات الأوروبية بصفة أساسية.

تلك هي أهم القضايا الرئيسة التي سيتم على غرارها بناء هذه الرسالة، الذي يرجو الباحث من الله التوفيق فيها، وأن يكون عمله خالصا لوجهه الكريم إنه على كل شيء قدير.

---

[1] هما المؤتمران الثالث والثلاثون والرابع والثلاثون.

[2] قائمة المراجع الشاملة ص ٨٥٥ – ٨٧٧ من الرسالة.

تمهيد: دراسة عن نشأة الاستشراق وتطور اساليبه

تمهيد: دراسة عن نشأة الاستشراق وتطور أساليبه

إن المطلع على المكتبة العلمية العالمية يمكنه أن يلمح، بكل يسر، الحيز الذي تشغله الدراسات الاستشراقية فيها. فقد شهدت اتساعا وعمقا في البحوث والمعارف. ورغم تنامي هذا النشاط المعرفي ، والذي لا يزال يتطور ويتبحر، إلا أن نشأته ونقطة انطلاقه لازالت غامضة. وفيما يلي، سيتم إلقاء بعض الأضواء على ذلك، إضافة إلى التعرض لبعض الأساليب التي اتبعها الاستشراق، ولاسيما منذ انطلاقته، حتى الوصول إلى أنعقاد المؤتمرات، بوصفها أسلوبا من أساليب الاستشراق.

١- نشأة الاستشراق :

كثيرا ما يهتم الباحثون بالتعرف على البدايات التاريخية لأي ظاهرة حياتية. والاستشراق هو أحد المعارف التي نمت واشتد عودها، وكثرت بحوثها. وكان أن اهتم العديد من الباحثين بمحاولة التعرف على بداياته وانطلاقته، واختلفت مشاربهم في ذلك. وفي هذا المبحث، سيتم إلقاء بعض الأضواء على تلك النشأة.

أ – البحث في بدايات نشأة الاستشراق:

تصدى للتعرف على منطلق الاستشراق العديد من الدارسين و الباحثين. وهؤلاء اختلفت مشاربهم حول الموضوع: فهناك من يرجعه إلى ما قبل الميلاد، ولاسيما أنطلاقا من حملة الإسكندر المقدوني[١]على الشرق، والتي انطلقت منذ

---

(١) الإسكندر المقدوني (٣٥٦ ق م – ٣٢٣ ق م)، عرف بنبوغه منذ الصغر. تعلم على يد الفيلسوف أرسطو. ملك مقدونيا منذ ٣٣٦ ق م، وقد بلغ العشرين سنة من عمره. ومن أشهر قواد الحرب في

العام ٣٣٤ ق م (٩٨٦ ق هـ)، وما تلاه من غزوات غربية للشرق ورحلات شرقية للغرب[١]. وهناك من يعود به إلى بعثة الرسول محمد ﷺ [٢]، ومنهم من يراه انطلق مع خروج الغزوات وانتشارها[٣]. وأعاده آخرون إلى القرن الثامن من التقويم الميلادي، بعد دخول المسلمين الأندلس[٤]، ومنهم من يرجعه إلى القرن العاشر الميلادي، يوم سطع نجم المعارف العلمية من الأراضي الإسلامية[٥]. وغيرهم يراه من انطلاقة الحروب الصليبية[٦]، فيما يعود به البعض إلى عام ٧١٢هـ (١٣١٢م)، لما عقد مؤتمر مجمع فينا الكنسي، الذي نادى بإنشاء كراس للعبرية والعربية والسريانية في مدن أوروبا[٧]. وقد أرجع انطلاقته آخرون إلى ما بعد الإصلاح الديني الذي نادى به "مارتن لوثر"[٨] منذ القرن الخامس عشر. ثم

العهد القديم. ثارت عليه القبائل والحاميات، فقاومها وأخمد ثوراتها في وقت قصير. انطلق لاحتلال مملكة الفرس سنة ٣٣٤ ق م، وتم له الاستيلاء على المشرق سنة ٣٣١ ق م. وواصل توغله حتى أرض الهند. وسعى حول إفريقيا ليخضع قرطاجة، إلا أنه مات وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين – بيروت – دار المعرفة – الطبعة الثالثة – ١٩٨١م – المجلد الثالث – ص ٣١١ – ٣١٩ .

[١] ساسي سالم الحاج – الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية – مالطا – منشورات مركز دراسة العالم الإسلامي – الطبعة الأولى – ١٩٩١م – ج١ – ص٢٧ وما بعدها.

[٢] الرأي لعبد السلام هارون – تهذيب سيرة ابن هشام،

[٣] قاسم السامرائي – الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية – الرياض – دار الرفاعي للنشر والتوزيع –الطبعة الأولى – جمادى الأولى ١٤٠٣هـ – فبراير ١٩٨٣م – ص ١٩.

[٤] علي بن إبراهيم النملة – "كنه الاستشراق: مناقشات ... " – ص ٣٩.

[٥] هذا الرأي ذكره العديدون، منهم عبد المجيد اللبان "المستشرقون والإسلام" ، وأحمد السكندري (وآخرون) في "المفصل في الأدب العربي"، وجورجي زيدان في "تاريخ الآداب"، وغيرهم. نقل ذلك أحمد سميالوفيتش في كتابه فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر – مصر – دار المعارف – ص ٥٤ – ٥٥ .

[٦] محمد البهي: الفكر العربي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي – القاهرة – مكتبة وهبة – الطبعة العاشرة – ص ٤٢٩.

[٧] هذا الرأي قال به كثيرون، جمع العديد منهم علي بن إبراهيم النملة في مقالته "كنه الاستشراق..."، السابقة الذكر – ص ٣٨.

[٨] المرجع السابق – ص ٤٢٩.

هناك من يرى أن البدايات الحقيقية للاستشراق ظهرت مع الحملات الاستعمارية[1]، ولاسيما أنطلاقا من القرن السادس عشر.

وثمة رأي لآربري، يحسن إيراده في هذا المكان، يقول فيه:"والمدلول الاصطلاحي(مستشرق) كان في سنة ١٦٨٣م (١٠٩٤هـ)، (أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية). وفي سنة ١٦٩١م (١١٠٢هـ) ، وجدنا "أنطوني وود Antony Wood"، يصف "صمويل كلارك Samuel Klark"[2] بأنه (مستشوق نابه)، يعني بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية. و"بيرون" في تعليقاته على Childe Harold's Pilgrimage يتحدث عن (المستر "ثورنتون"[3] وإلماعاته الكثيرة الدالة على استشراق عميق). وفي خلال المجادلة التعليمية بالهند، ... سنة ١٨٣٤م (١٢٤٩هـ)، كان المستشرقون، أولئك الذين نادوا بالتعليم والأدب الهنديين، بينما سمي معارضوهم الذين رغبوا في أن تكون الإنجليزية أساس

ومارتن لوثر (١٤٨٣ – ١٥٤٦م) (٨٨٨– ٩٥٢هـ)، لاهوتي ألماني، درس اللاهوت بداية العام ١٥٠٥م (٩١٠هـ)، وفي العام نفسه عين راهبا. واصل دراسته في الفلسفة الأخلاقية، وحصل على الدكتوراة سنة ١٥١١م (٩١٦هـ) في اللاهوت، وعين أستاذا للكتاب المقدس. قدم روما سنة ١٥١٠م (٩١٥هـ)، وصدم لما وجده من فساد في المراكز الكنسية العليا، فانبرى يدرس الكتاب المقدس وفق المنهج الذي يراه سليما، وأضحى بذلك معارضا للأسلوب القديم، وتوصل إلى أن المسيح وحده هو الواسطة بين الإله والبشرية، الأمر الذي جعله يصطدم باللاهوت التقليدي السائد في أوروبا في العصور الوسطى وعصر النهضة. كما عرف بانتقاده الشديد للبابا والكنيسة، وانتشرت كتاباته في كامل أوروبا، تزعم حركة الإصلاح الديني، البروتستانت، وغير مفاهيم عقيدة الخطيئة والغفران، وأسس الكنيسة الإنجليكانية، وأبطل العديد من ممارسات الكنيسة الكاثوليكية.

Academic American Encyclopedia - Princeton-New - Jersey - Arete Publishing Company - 1981 – Vol 12 - pp. 468 – 469.

[1] علي بن إبراهيم النملة – "العلاقات بين الاستشراق والاستعمار" – التوباد – ج٢١ – ع٤ – شوال ١٤٠٨ – ص ٣٨ – ٤٢.

[2] صمويل كلارك Klark S. (١٦٢٥ – ١٦٦٩م) [١٠٣٤-١٠٧٩هـ]، تخرج من جامعة أكسفورد، وعين أول مشرف على مطبعتها سنة ١٦٤٩م [١٠٥٨هـ]. عاون في نشر التوراة سنة ١٦٥٨م، وصنف مقالة عن العروض العربي سنة ١٦٦١م [١٠٧١هـ]، وخلف في المكتبة البودلية نسخة طبق الأصل لجغرافية أبي الفداء، ومعجم الأماكن ذات الأسماء العربية وأجزاء من القاموس الفارسي التركي.

عن نجيب العقيقي – المستشرقون – الجزء الثاني – ص ٤٤ .

[3] لم أتمكن من التعرف على الشخصيتين: بيرون وثورنتون.

التعليم في الهند (المتجلنزون Anglicists)، ومما يؤسف له ما أنتجه هذا النزاع المشهور من الحزازات، قد ألصقت باسم المستشرق قدرا من القدح والشين*[1]، وبالتالي، فما ظهر مصطلح استشراق حسب رأيه إلا في القرن السابع عشر، وتبلور في القرن التاسع عشر.

وإذا أمعنا النظر في هذه الآراء وتناولناها بالتعليق، فإننا نخلص لما يلي: القول بأن الاستشراق قد يكون انطلق مع حملة الاسكندر المقدوني، إنما هو بحث عن أول تلاق بين الحضارتين الغربية والشرقية، أدى بالغرب إلى أخذ المعلومات عن الشرق. ومن أرجعه إلى بعثة النبي ﷺ فإن هذا لاعتبار أن هناك ردة فعل تجاه الدعوة الإسلامية وانتشارها، ولاسيما مهاجمة القيصر وكسرى.

أما عملية الإصلاح الديني، فلا شك في أن للثقافة الإسلامية دورا كبيرا فيها، وجاء ذلك بعد الاطلاع على المعارف المختلفة عند المسلمين، فهي وردت في فترة كانت قد انطلقت فيها فعلا الإشارات والبحوث الاستشراقية الأولى.

وإذا نظرنا في مقولة إن أصل الاستشراق يعود إلى الحملات الاستعمارية، ومقولة إنه يرجع إلى منتصف القرن التاسع عشر، وجدناهما جاءا متأخرين جدا، وقد تبلورت البحوث الاستشراقية ساعتها.

الآراء القائلة بعودة ذلك إلى دخول المسلمين الأندلس، أو سطوع المعارف العلمية في الأراضي الإسلامية، أو انطلاقة الحروب الصليبية، أو انعقاد مجمع "فينا"، فإن هذه تضافرت جلها لتمهد الطريق لانطلاقة استشراقية عميقة. فقد انبهر الغرب بقوة المسلمين العسكرية و العلمية، لذلك بدأ يتقرب للتعرف على تلك المقومات، وانطلق بطريقة محتشمة، ثم أصبح علنيا تنافسيا.

ب – الأطوار التي مر بها الاستشراق في نشأته:

ساعدت الحروب الصليبية في الحصول على مخطوطات وبحوث وآثار، وفي التعرف على المجتمعات الشرقية، رغم استخدامهم الخيال في وصف الشرق

---

[1] آربري أ. ج. – المستشرقون البريطانيون – تعريب محمد الدسوقي النويهي – لندن – Clark & Sherwell LTD - Northampton – ١٩٤٦ – ص ٨.

ساعتها، والمبالغة في تصوير الأحداث حتى إنها تصل إلى حد غير المعقول. إلا أن النتيجة كانت اشتهار الشرق في الغرب، وتنامي شعبيته تدريجيا هناك. وظلت البحوث فردية وعشوائية، حتى قام مؤتمر "فينا"، الذي حاول تنظيم الدراسات الاستشراقية وتأطيرها.

ولعل أبلغ دراسة تحلل مسار الاستشراق وتبين أطواره، هي دراسة "رتشارد سوذرن R. Sothern"، في كتابه "صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى"[1]، إذ فيه تعمق تأريخي في تحليله لنشأة الاستشراق، لذا يمكن الوقوف معه لكونه توصل إلى بيان كيفية تبلور الاستشراق وتطور مساره.

قسم سوذرن دراسته لثلاث حقب: حقبة الجهل[2] ، وعصر التعقل والأمل، ولحظة الرؤيا. والملاحظ أن هذا التقسيم نفسي أكثر منه تاريخي. فالاستشراق ، والظاهرة الاستشراقية، إنما هما موقف غربي، كما أن مشكلة مواجهة الامتداد الحضاري الشرقي إنما هي غربية داخلية بحتة، وبالتالي طبع سوذرن هذا التأزم على الواقع بهذه التقسيمات الثلاثة. وحدد لها أزمنة دقيقة.

في حقبة الجهل، يرى سوذرن أن هناك نوعين منه، وهما الجهل الناجم عن ضيق الأفق، بالمعنيين الفكري و الجغرافي، والجهل الناجم عن أوهام ومخيلة متسعة. يحتل النوع الأول منهما القرون الأربعة الأولى منذ العام ٧٠٠م (٨١هـ)، وتميزت بالاعتماد على تفسيرات العهدين القديم والجديد، ولم يكن الإسلام عندهم سوى أحد أعداء النصرانية المتعددين، دون تفريق بين وحدانية الإسلام ووثنية القبائل الشمالية.

أما النوع الثاني من حقبة الجهل، فقد شغل العقود من ١١٠٠م (٤٩٣هـ) حتى ١١٤٠م (٥٣٥هـ)، وفيه سادت أوهام وأحلام المخيلة الخلاقة لأوائل القرن الثاني عشر. فقد كانت الصورة نتاجا لانتصارات الفرسان الصليبيين في فلسطين. وهذه الحقبة بقيت مؤثرة في الخلفية الفكرية الغربية حتى العصر الحاضر، يعترف بذلك سوذرن قائلا: "علينا أن نعرف أن هذه الصورة عن الإسلام تركت

---

(١) رتشارد سوذرن – صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى – ترجمة وتقديم رضوان السيد – بيروت – دار الإنماء العربي – الطبعة الأولى – ١٩٨٤م.

(٢) تفصيل الموضوع في المرجع السابق – ص ٣٥–٦٩.

فينا وفي ثقافتنا آثارا واضحة إلى وقت مبكر"[1]. ومن هنا كان حسنا الإشارة إلى هذه الحقبة، لما لها من أثر في توجيه الفكر الاستشراقي.

أما حقبة الأمل و التعقل[2]، فتبدو أنها جاءت ردة فعل على ما ساد الوسط الغربي من خيال وتصور، إذ ظهرت كتابات تدلل على أن الإسلام دين توحيدي، وتتحدث عن النبي محمد ﷺ ،كما نشرت كتب غربية ترد بعضها على بعض، وولجت المخيلة الغربية بالتالي لحقبة تعقل بدرجة ما.

إلا أن الحقبة تلك شهدت ما يسمى هرطقات وثورات ضد الكنيسة، داخليا وخارجيا، وشهدت الحروب الصليبية انتكاسات نكراء، بعد انتصاراتها الأولى، وبالتالي، لم يمكن للحقبة أن تجد للموضوعية مكانا في أبحاثها ودراساتها. فقد استقر في ذهنهم أن الإسلام ما هو إلا هرطقة نصرانية، يجب التعرف عليه للتمكن من مكافحته وحماية النصارى الآخرين من اعتناقه.

أما لحظة الرؤيا[3]، فجاءت بعد أن خابت الآمال السابقة، ولاسيما بعد سقوط عكا الصليبية بأيدي المسلمين سنة ١٢٩١م (٦٨٩هـ)، وعادت النصرانية تشعر بالخطر يهددها من جديد، بعد اعتناق المغول الإسلام. مقابل ذلك، ازدادت صورة الإسلام والمسلمين وضوحا لديهم، وفتنوا بقيمهم الاجتماعية، لكنهم ظلوا يهاجمون عقيدتهم، وغلب التشاؤم على مثقفيهم، وعادت من جديد النعوت الوثنية والسباب والقذف في الكتابات والحكايات.

كما زاد الإيمان بضرورة الدعوة إلى تعلم اللغات الحية، واشتد الضغط إلى أن اقتنعت الكنيسة بذلك، ودعت في مجمع فينا سنة ١٣١٢م (٧١٢هـ)، إلى إدخال اللغات تلك ضمن البرنامج الرسمي للكنيسة الغربية، في العديد من دول أوروبا. ورغم ذلك تحطمت وحدة الفكر الأوروبي للمرة الأولى في تلك الفترة، وقام عداء مكشوف للإسلام ولكل ما يمت إليه بصلة. ونتج عن ذلك انقسامات داخل النصرانية، وهناك من أسعده سقوط الكنيسة الغربية أمام الإسلام والمسلمين.

---

[1] رتشارد سوذرن – صورة الإسلام في أوروبا... ص ٦٨.

[2] تفصيل الموضوع في المرجع نفسه – ص ٧٧ – ١٠٩.

[3] تفصيل الموضوع في المرجع نفسه – ص ١١٠.

تلك هي المواجهات الأولى التي بلورت النشأة الاستشراقية، تلك النشأة التي تكونت شيئا فشيئا لتكون الظاهرة الاستشراقية، التي نشطت بعمق واتساع، من منتصف القرن التاسع عشر.

وإذا واصلنا تحليل سوذرن، وسرنا على منواله باختصار، فيمكن لنا تعيين أحداث في الغرب، كان لها أثر كبير في مسار الدراسات الاستشراقية، أهمها استيلاء الأسبان على الأندلس، وطرد المسلمين منها، ولا يستبعد أن يكون ذلك قد أوجد متنفسا في الشخصية الغربية، التي أعادت الأمل في نفسها للتخلص من المسلمين، وزاد عداؤها لكل ما يمت للإسلام بصلة، وتواصلت الألقاب والصفات التي نعت بها الدين الإسلامي ومعتنقوه، تلك الأمور التي نجدها في أناشيد الملاحم حتى بداية القرن السابع عشر. وكذلك الكشوف الجغرافية الكبرى، التي قوت من النفسية الغربية، إذ بينت لها أنه بإمكانها الوصول حيثما شاءت، وكيفما أرادت، دون الاعتماد على ما تعتبره عدوها اللدود، وزادها إيمانا بقدراتها تلك الهزائم التي تلاحقت على الخلافة العثمانية في الشرق الأوروبي. وصاحب ذلك كله قوة فكرية، انطلقت من عصر النهضة، وتقوت بالمناهج الفكرية والفلسفية، إضافة إلى التطور العلمي، كل ذلك ثبت إيمان الغرب بقدراته ومؤهلاته، وبالتالي رد الاعتبار لنفسه، إضافة إلى التنافس الغربي لتحقيق مصالحه الخاصة، التجارية والاقتصادية والسياسية، وظهرت بالتالي الحملات الاستعمارية التي عدها البعض بمنزلة حلقة أخرى من الحروب الصليبية، انتصر فيها الصليب أخيرا على الهلال[1].

ج – أثر الثقافة الإسلامية في تنمية الاستشراق

بعد أن أشربت أوروبا الثقافة الإسلامية وقامت بنهضتها، بدأت تنظر إلى الاستشراق بروح أوسع أفقا[2]. وبعد أن انطلقت الطباعة ، استغلها القرن السادس

---

[1] رنا قباني – أساطير أوروبا عن الشرق: لفق تسد – ترجمة صباح قباني – دمشق – دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر – الطبعة الأولى – ١٩٨٨م – ص ١٩.

[2] أحمد سميلوفيتش – فلسفة الاستشراق – ص ٧٧.

عشر أيما استغلال فخطا خطوة كبرى في سبيل تطوير الاستشراق[1]، فانتشرت المدارس لتعليم العربية في أوروبا، وأقيمت المطابع لإصدار نفائس التراث الإسلامي العام بصفة عامة، والعربي الإسلامي بصفة خاصة، وتسابق العلماء والرهبان لدراستها ونشرها والتعليق عليها، وتوجه الاهتمام إلى المخطوطات اقتناء وشراء وطباعة، "ومنذ ذلك الحين، أصبح الاستشراق شبكة محكمة العرى، حيث توطدت العلاقة بين أصحابه وأتباعه الذين يعملون في أدب وجلد ويتحركون في كل اتجاه، ويستغلون كل سبيل ويستخدمون كل وسيلة للحصول على نفائس الشرق ونشرها"[2].

وتكاثرت بالتالي كراسي الدراسات الشرقية، وتعددت المدارس المتخصصة في البحوث المتعلقة بالشرق كذلك، "ولقد كان لتلك المدارس والكراسي أثر كبير في نهضة الاستشراق"[3].

وفي ظل الاستعمار، شهدت النفسية الغربية أخيرا متنفسا يرفع عنها ثقل سنوات عديدة من الرضوخ والخوف من القوة الإسلامية. لقي الاستشراق الدعم الكامل، والتشجيع التام، فشهدت الدراسات الاستشراقية ميدانا فسيحا أمامها، فانبرت تقوي من قدراتها وتعمق أبحاثها.

د – محاولات تصحيح صورة الاستشراق ومساره

بعد تحرره ونهضته، أقبل الشرق يعب العلوم عبا، فكان أن وجه انتقادات متواصلة للدراسات التي تتناوله بالتحليل، وقوى ذلك اتساع المكتبة العالمية وتقاربها، وسهولة الحصول على أي مصدر من المصنفات العلمية في أي مكان، وانطلقت بالتالي عملية محاصرة النفسية الغربية المغرضة، بالمنطق والدليل. فما كان من التيار الاستشراقي إلا أن عدل من مساره شيئا فشيئا، وازدادت الحملة الإعلامية الكبرى ضد الاستشراق، ولاسيما بعد أن استغلت أعمال المستشرقين لصالح الاستعمار والسياسة، وبعد أن اتضح أن الكثير من المستشرقين خبراء

---

(1) المرجع نفسه – ص ٧٧.

(2) المرجع السابق – ص ٧٨.

(3) المرجع نفسه – ص ٧٩.

سياسيون واجتماعيون واقتصاديون وعسكريون، متخصصون في المقومات العامة للعالم الإسلامي وقدراته الحضارية وحياته اليومية.

وما لبث الغرب أن شعر بالضيق من هذا المصطلح، وكان لدراسة أنور عبد الملك "الاستشراق في أزمة"، سنة ١٩٦٣م (١٣٦٣هـ)، ومن سايره، أثرها الكبير حتى في المستشرقين أنفسهم، وفي هذا المجال ينقل الموسوي فيقول: "ولهذا كانت المقالة تنبئ ضمنا بما يعلنه لاحقا مؤتمر المستشرقين التاسع والعشرين في باريس، تموز ١٩٧٣م (جمادى الأولى١٣٩٣هـ)، عن موت الاستشراق وحلول العلوم الإنسانية المعنية بالشرق بديلة"[١]. وهكذا حاول المستشرقون تعديل المسار البحثي والسعي لإضفاء الموضوعية على الدراسات، والتخلي عن موروث القرون الوسطى وعصر النهضة. ورغم تلك المحاولات، بقيت الجذور تلك تعمل في دراسات كثيرين، حتى من المعاصرين من المستشرقين، بشهادة أقطاب عديدين منهم، جمع بعضها عرفان عبد الحميد[٢].

بعد هذه الأضواء على نشأة الاستشراق وتبلوره، بوصفه توجها غربيا في أساسه، فإن فكرة الاستشراق تكونت مع طول الزمن، في فترات متلاحقة، وبالتالي، يصعب تحديد حقبة معينة، أو فترة زمنية محددة، انطلق فيها الاستشراق. أما ما يمكن قوله، هو أن الاستشراق عبارة عن تراكمات فكرية ونفسية واجتماعية، سيرتها عواطف دينية، تكثفت أحداثها وتطورت لينتج عنها ما سمي لاحقا بحقل الاستشراق، وهذا ما ذهب إليه أيضا "رودي بارت" لما قال: "لم يتّبع تطور الاستشراق في مراحله الأولى في العصر الوسيط إلى مرحلة التحول النهائي إلى علم قائم على النقد التاريخي، طريقا مباشرة مستقيمة، ولم يتم، للاشتغال بالشرق وبمحمد (ﷺ) وبالدين الذي نشره، التحرر من طريقة البحث اللاهوتية المبنية على الدفع والمشاحنة إلا في العصر الحديث وتدريجيا. لكن الجهود التي بذلت لإنصاف عالم الشرق ورسم صورة مستمدة من المصادر،

---

(١) المرجع نفسه – ص ٤٦، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقا ص ١٩٦ من الرسالة وما بعدها.

(٢) عرفان عبد الحميد – المستشرقون والإسلام – بيروت – المكتب الإسلامي – الطبعة الثالثة – ١٤١٣هـ – ١٩٨٣م – ص ٤ – ٥.

تعرضت من حين لآخر لاتجاهات اعترضت سبيلها أو غطت عليها وأدت إلى تشويه صورته"[1].

لكن لا يمكن إضفاء صفة علم على هذا الفن المعرفي، لعدم مطابقته لمفهوم العلم، وهذا ما يراه العديد من المستشرقين أيضا، وصرح لي اثنان من كبار المستشرقين الألمان بذلك، وهما "شتيفن فيلد Stefen Wild" و"رنهارت شولتز Reinhart Shultz"، في مقابلات لي معهم في ألمانيا سنة ١٩٩٥م. بل إنهما يرفضان إطلاق صفة مستشرق عليهما[2].

تلك هي مسيرة الأحداث التي أدت إلى أنتاج الأبحاث الاستشراقية، حتى وصلت لما هي عليه اليوم.

٢- تطور أساليب الاستشراق:

مثلما شهدت نشأة الاستشراق أحداثا متلاحقة، ساهمت في إنتاج نواة الاستشراق وتطوره، كذلك شهدت الأساليب التي انتهجها تطورا متناسبا وتنامي الأحداث المحيطة بكنه الاستشراق. فقد كان لكل حقبة زمنية من حقب الفكر الاستشراقي أساليبها الخاصة بها. ومثلما تتبعنا المسار التاريخي للاستشراق، يمكن مواصلة البحث في مسار هذه الأساليب بالتدرج ، ولاسيما في الحقب الأولى من عمر الاستشراق، التي سيتم التركيز عليها، إلى أن أصبحت المؤتمرات إحدى هذه الأساليب، بعد انطلاقها من الخيال الفكري والأدبي.

أ- الخيال الفكري والأدبي:

تمت الإشارة باختصار لهذا النوع من الفكر الغربي، ويمكن تحليل أسلوبه

---

[1] رودي بارت – الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه) – ترجمة مصطفى ماهر – القاهرة – دار الكتاب للطباعة والنشر – ص ١٥.

[2] كان ذلك خلال لقائي بهما سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، وكان تحاوري مع الأول يوم ١٤١٥/١٢/٩هـ (٩ مايو ١٩٩٥م) ببون Bonn، ومع الآخر يومي ١٠-١٢/١١/ ١٤١٥هـ (١٠-١١ مايو ١٩٩٥م) ببمبارغ Bamberg . وقد سجلت الحوارات على أشرطة سمعية.

في هذا الموضع. فقد ظل هذا الأسلوب متداولا لدى الغربيين منذ الاحتكاك بالإسلام، حتى القرن الثامن عشر نفسه[1]. فقد أمعن المجتمع الأوروبي في إطلاق العنان لمخيلته، لتحليل الظاهرة الإسلامية. وكانت العقلية تجعل من غير المعقول معقولا، ومن غير الممكن ممكنا[2]. فقد وصم الإسلام مثلا بالوثنية والهرطقة النصرانية والدنيوية والشهوانية. ووصف المسلمون بأنهم إباحيون وقتالون ووثنيون ...وهكذا. فقد كانت تلك الصفات تنتقى بعناية ويروج لها فتنتشر، وعمت جميع فئات المجتمع[3].

هذا الأمر لم يتوقف عند حد الخيال الشعبي، بل ولج الكتابات الأدبية نفسها، حيث ظهرت القصة الشعبية وانتشرت ساعتها، "وهكذا بقي الإسلام وبقي نبيه عند الغربي العادي مسجونين في الصورة الخيالية الأولى لعدة قرون"[4].

ذاك هو أثر استخدام الخيال في التعامل مع الإسلام ونبيه ومعتنقيه. ومهما كان مصدر الصورة تلك، سواء الصليبيون أو الرهبان أو الأدباء أنفسهم أو الرحالة، فإن هذا الأسلوب طغى وعمر لفترات طويلة من الزمن، ولاسيما في شعر الملاحم الذي تواصل وجوده حتى القرن السابع عشر، وتواصل تأثيره في المخيلة الغربية والخلفية التاريخية للمستشرقين، وغيرهم من الغربيين، علماء وعامة.

ب – تفسيرات الكتاب المقدس وتصوراته:

كانت التصورات والشروح متوازية في وجودها مع الصور الخيالية المنسوبة للإسلام والمسلمين، وهذه الشروح لا تقل غرابة في استخدامها عن التصورات الشعبية. ولم يكن هؤلاء على استعداد للتمييز بين وثنية الأوروبيين الشماليين وتوحيد الإسلام. ولم يكن الإسلام يفترق بالنسبة لهم عن المانوية التي

---

[1] محمد عصفور – "صورة الإسلام والمسلمين في الأدب الغربي حتى القرن الثامن عشر" – الكويت – ١٩٨٤ – ص ٥٦.

[2] رتشارد سوذرن – صورة الإسلام في أوروبا... ص ٦٥.

[3] المرجع نفسه – ص ٦٤ – ٦٥.

[4] المرجع السابق – ص ٦٥.

واجهتها النصرانية قديما. ومن هذا التوجه انطلق المحللون يبحثون في تقديم تصورهم عن الإسلام والمسلمين من خلال الكتاب المقدس.

من ذلك مثلاء أنه تمت إعادة أصل المسلمين لجدهم إسماعيل عليه السلام، "وذكر العهد القديم عن إسماعيل (عليه السلام) أنه كان بدويا شرسا رافعا يده على الجميع. فهل هناك ما يمكن وصف السرزانيين به أدق مما وصف به جدهم إسماعيل (عليه السلام)"[1]، وتوصلوا بها حسب زعمهم إلى أن المسلمين ما هم إلا مقدمة لظهور الدجال، ومنهم من نعتهم بأنهم أتباع الدجال. وقد كان همهم إقامة تآلف بين ما يتصوروه، وما في الكتاب المقدس الذي كان مرجعهم الوحيد المعترف به لديهم[2] تلك كانت صورة من تحليلات الرهبان النصارى للمسألة الإسلامية، غذاها الجهل المطبق الذي كانوا يعيشونه رغم تعاملهم ومعايشتهم للمسلمين أحيانا.

ج – الترجمات

شهدت حركة الترجمة نشاطا مطردا منذ القرون الأولى من التقاء المسلمين والغربيين المباشر، ولاسيما في الأندلس، التي قصدها الدارسون الأوروبيون من كل مكان. فقد كان للترجمة هذه أثرها الكبير ليس في تنمية الثقافة الاستشراقية فحسب، بل في النهضة الأوروبية ككل[3].

مرت عملية الترجمة هذه بحقب عدة: فما ترجم في الحقبة الأولى، إلا ما كان له صبغة علمية أو عقلية، من مثل الطب والصيدلة والطبيعة والكيمياء والزراعة والحيوان والبيطرة والفلسفة والمنطق والرياضيات وغيرها[4]، سواء أكانت من الآثار المنقولة من اليونانية إلى العربية، أم الآثار العربية لمؤلفين عرب. وشملت الاختصاصات المختلفة والمعارف المتنوعة[5] "وفي إحصائية عن

---

[1] المرجع نفسه ص ٥٢ – ٥٣.

[2] المرجع نفسه ص ٦١ – ٦٢.

[3] محمود المقداد – تاريخ الدراسات العربية في فرنسا – سلسلة عالم المعرفة –١٦٧ –الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب –جمادى الأولى ١٤١٣هـ – نوفمبر ١٩٩٢م – ص ٢٤.

[4] المرجع نفسه – ص ٢٤.

[5] المرجع نفسه – ص ٢٤.

القرنين الثاني عشر والثالث عشر فقط، وجد تسعون ترجمة تتعلق بالعلوم الرياضية والفلكية، وستون ترجمة تتعلق بالعلوم الطبية، أربعون ترجمة تتعلق بعلم النجوم والكيمياء السحرية، عشر ترجمات متنوعة[١].

هذه الترجمات وما سواها ، كان لها فضل كبير في تنمية الثقافة الغربية، وهو ما أكده برنارد لويس أيضا [٢].

ومع ذلك، فهي ظلت محصورة في كتب العلوم والفنون، ولم يتناول المؤلفات الدينية ولا اللغوية في القرون الأولى، إذ إن هذه المعارف أهملها الغربيون. "أما الأدب العربي والثقافة العربية، الذان نعدهما الآن بلا شك أروع مفخرة للحضارة العربية، فكان الغرب أهملها تمام الإهمال"[٣].

ولعل أول ترجمة لمصدر إسلامي، هي ترجمة القرآن، التي رعاها بطرس المبجل Petrus Venerabilis، وانطلقت في يوليو ١١٤٣م (محرم ٥٣٨هـ)، وقد قدمت الترجمة القرآنية للغرب الركيزة الأساسية والمأمونة للبدء بدراسات حقيقية حول الإسلام"[٤]. ويتضح الهدف من هذه الترجمة في رد بطرس على المعارضين لعمله ذاك من قوله: "فإذا لم يكن بهذه الطريقة إعادة المسلمين إلى النصرانية الصحيحة، فلا أقل من أن يستفيد العلماء النصارى السذج الذين يمكن أن تضير هذه الصغائر عقيدتهم"[٥]. وهذا واضح الدلالة في أن الترجمة كانت تتخذ أسلوبا بحثيا استشراقيا و تنصيريا، لتطوير الدراسات الاستشراقية وتنميتها.

ولما تكاثرت الحملات التي تشن على الكنيسة التي أذكت وهجها، الترجمات الفلسفية عن العربية، اضطر علماء اللاهوت إلى أن "ينكبوا على دراسة هذه الترجمات ويتوسعوا في معرفة الفلسفة والآراء التي يأتون بها،... وقد شجع الباباوات على إدخال العربية إلى أوروبا، إما ليكونوا قادرين على دفع هجوم الفلاسفة، أو لنشر النصرانية في الشرق، وكان ملوك فرنسا يساعدون الإكليريك

---

[١] المرجع نفسه – ص ٢٥.

[٢] المرجع نفسه – ص ٢٥.

[٣] أ. ج. آربري: المستشرقون البريطانيون – ص ١٤.

[٤] سوذرن: صورة الإسلام... ص ٨٠.

[٥] المرجع السابق – ص ٨١.

– رجال الدين - في هذا النوع من الأفكار"[1]، ومن هنا دخلت اللغة على نحو مباشر أو غير مباشر إلا أن المؤكد إنها فرضت نفسها على الواقع الغربي.

د– التأليف والنشر:

بدأ التأليف والنشر منذ بدايات الالتقاء الحضاري بين الإسلام والغرب. وابتدأت الكتابة بصفة خاصة حول القضية الإسلامية، ومرت بعدة أطوار، وانطلقت من وجهة نظر نصوص الكتاب المقدس. ومما يدل على أن الكتابات اتخذها الغرب أسلوبا من الأساليب التي اتبعها في مساره الاستشراقي، والذي اتخذ طابعا نصرانيا في بداياته، قول "سوذرن": "فالصورة صادرة عن رجال كانوا يؤمنون إيمانا عميقا بما يكتبون..."[2] وقوله: "وقد بحثت في المصادر الغربية عن اسم النبي قبل العام ١١٠٠م (٤٩٣-٤٩٤هـ) ، فلم أعثر عليه غير مرة واحدة، خارج أسبانيا وإيطاليا الجنوبية"[3]، وبذا، دخل التأليف والنشر ميدان خدمة المصالح الاستشراقية والنصرانية واستند المفهوم على المصادر الأدبية، لا على الملاحظة المباشرة الفعلية للمسلمين[4].

إذن استخدمت الكتابة والتدوين أسلوبا من أساليب التعرف على الشرق، وبالتالي خدمة الاستشراق والمستشرقين. وتلك الكتابات لم تكن مقتصرة على اللغة اللاتينية، بل انتقلت لتكتب باللهجات المحلية كذلك[5] . واشتهرت بصفة خاصة أناشيد – أو أغاني – الملاحم، والمسرحيات.

فأما الملاحم فاهتمت بالإشادة بانتصارات الفرسان النصارى أمام المسلمين السرزانيين، وفيها بالتالي أوصاف لأخلاقياتهم وعقيدتهم وتحليلات تتعلق بنبيهم وعباداتهم وعاداتهم.

---

[1] محمود المقداد: تاريخ الدراسات العربية في فرنسا – ص ١٨٧ – ١٨٨.

[2] المرجع نفسه – ص ٦١.

[3] المرجع نفسه – ص ٦٤.

[4] كلامه عند محمد عصفور: صورة الإسلام والمسلمين... ص ٥٢.

[5] المرجع نفسه – ص ٥٤.

وفي دراسة لـ"شارل بلا Charle Pellat" وابنته عن أغاني الملاحم، استنتجا أمورا عدة منها:

- عدم وجود ذكر لاسم "الله" البتة، رغم أن المسلمين يتلفظون بها دائما[1].
- الاعتقاد السائد في وثنية السرزانيين، وأنهم يعبدون آلهة وثنية عدة[2].
- ترديد أسطورة موت "ماهون"، حسب معتقد النصارى ساعتها [3].
- لم تذكر قضية الوثن والأوثان في الأغاني الملحمية الأولى[4]، ولم تنتشر إلا بعد "أنشودة رولان"[5].
- السخرية من الديانة الأخرى [6]
- تخيلوا وجود معابد تضم أوثانا لمحمد ﷺ[7].
- في الحوارات بين القادة، قد يسلم بعض النصارى، ويعتنقون ديانة السرزانيين، وهذا نادر، وأشهرهم ـ حسب اعتقادهم ـ واحدة نبيلة، تزوجها السلطان وأنجبت منه ولدا، هو صلاح الدين[8].لكن الغالب أنهم يجعلون السرزانيين هم الذين يقومون بتغيير ديانتهم ويعتنقون النصرانية "لدرجة أنه لا توجد أي أغنية من أناشيد الملاحم، لم تأخذ بعين الاعتبار الانقلاب الرائع"[9]، ولاسيما بين النساء[10].

هذا ما يتعلق بأناشيد الملاحم. أما إذا انتقلنا للمسرحيات، فإننا نجدها لا تكاد تخرج عن تلك النقاط المذكورة، فالمسرحيون مثلهم مثل الشعراء "لم يكونوا يهتمون إلا بالعناصر المثيرة، لذا، فإننا نجد الحرب والغزو وقتل الأخ لأخيه

---

(1) Pellat, Y. et Ch.: "L'idee du Dieu chez les sarrasins des chansons des gestes" - STVDIA Islamica xxxii G.P. Maisonneuve - MCMLXV - p16.

(2) Ibid. p. 20 - 21.

(3) Ibid. p. 23 ...الحاشية

(4) Ibid. p. 24.

(5) Ibid. p. 19, and p. 32.

(6) Ibid. p. 24.

(7) Ibid. p. 19.

(8) Ibid. p. 34.

(9) Ibid. p. 34.

(10) Ibid. p. 35 ... etc.

والخيانة[1]، ولاسيما بين الأتراك[2] الذين يعدون الممثلين لهذا الدين. مقابل ذلك يتم إبراز ما لدى النصارى، في زعمهم، من كونهم لا يقبلون الخيانة، حتى خيانة أعدائهم[3]. كما نجد على الدوام خيانة زوجية، من كلا الطرفين المسلمين [4]، كما تسقط الشرقيات سريعا، حتى الأميرات منهن والمتزوجات، في هوى مجرد فارس نصراني، تحاول جاهدة إغواءه[5] بكل الوسائل، لكنه يمتنع عنها لتمسكه بمثل ديانته، وغالبا ما تنتهي القصة بترك الأميرة لدينها وفرارها مع معشوقها[6].

وبذا يتبين أن الكتابة إنما حقل حاول منه الغربيون الدخول إلى نفسيات المسلمين. هذه البدايات كانت تمهد الطريق لتزدهر الكتابة شيئا فشيئا، و"عندما أشربت أوروبا ثقافة العرب، وقامت بنهضتها، بدأت تنظر إلى الاستشراق بروح أوسع أفقا وأرحب تفكيرا، وإن كانت لا تزال تعاني من إيديولوجيتها التعسفية. وكذا، تواصل الطبع والنشر حتى العصر الحاضر، شمل الفنون المختلفة، والمعارف المتنوعة، المتعلقة بالشرق، وكثرت القواميس والمصنفات والمعاجم والتراجم، ودوائر المعارف، وسايرت كل فترة الحقبة الزمنية التي تعيشها[7].

هـ — إنشاء المعاهد والأقسام والكراسي المتخصصة:

تمكنت الأفكار الإسلامية من إدخال بلبلة على التركيبة الدينية في الغرب، واستطاع الكثيرون الخروج من تحت سيطرة الكنيسة ومراقبتها، والتصرف تجاه الخطر المحدق بهم وفق ما يرونه صالحا. فظهرت المناداة بتعلم لغات المسلمين وعلومهم، وكذلك العلوم المتعلقة بدينهم، منذ عهد مبكر. لكن الكنيسة كانت تصد تلك الأبواب. وكان الرهبان والقسس يقفون ضدّ أي مد للعلوم الإسلامية والعربية.

---

(1) المرجع نفسه – ص ٥٨ وما يليها.

(2) المرجع نفسه – ص ٥٨ وما يليها.

(3) المرجع نفسه – ص ٦٣.

(4) المرجع نفسه – ص ٦٠-٦١.

(5) المرجع نفسه – ص ٦٠-٦١.

(6) المرجع نفسه – ص ٦١-٦٢.

(7) سيتم تحليل ذلك ص ٥٦٣ وما بعدها من الرسالة.

إلا أنهم لقوا بعض التمرد من العديد من المثقفين البارزين. وبالتالي نشأت مدارس ومعاهد وبعض الكراسي المتعلقة بدراسة الشرق منذ القدم[1].

تأسست العديد منابر الدراسات الشرقية، ولاسيما العربية منهـا، واللغـات السامية، قبل مؤتمر فينا، الذي انعقد في العام ١٣١١م (٧١١هـ)، ذاك المؤتمـر الذي قام على إثر التحديات الكبرى التي لقيتها الكنيسة، حتى من العديد من أربابها ذاتها، والذين دعوا إلى عقد مراكز للدراسات الشرقية، بعد أن لجؤوا إلى السـيف أولا فلم ينالوا ما يبتغون، أن يعمدوا إلى وسيلة أخرى أمر من السيف وأدهى، فقد عقدوا مؤتمرا كبيرا في فينا عام ١٣١١م (٧١١هـ)، وقرروا أن تؤسـس فـي باريس وبولون وأكسفورد وسلمنكة مدارس خاصة تدرس فيها العربية والعبرانيـة والكلدانية، لتخريج منصرين أشداء[2]. ومن هنا، انطلقت المراكز الاستشـراقية، ودخل الاستشراق حقبة جديدة من مساره وتطوره، رغم الهيمنة النصرانية عليه.

و- جمع المخطوطات وتحقيقها:

من ضمن الأساليب التي اتبعها الغرب للتعرف على الإسـلام والمسـلمين، والشرقيين عموما، تجميع المخطوطات. وقد عمت الظاهرة هذه أوروبا بأسـرها، وسارع الرحالة والقناصل والباحثون والانتهازيون لمحاولة امتلاك أكـبر عـدد ممكن من المخطوطات ونقلها لأوروبا. وكان لرعاية أكابر الـدول والقسيسـين والمؤسسات والأثرياء لهذه الظاهرة ولإشرافهم عليها، وتنافسهم في امتلاك أكـبر عدد ممكن منها، دورها في تقويتها واتساع نطاقها. واتبعوا في ذلك أساليب شتى، حتى السطو عليها وافتكاكها من أصحابها[3].

وهكذا انبرى المستشرقون يجمعون ما يقدرون عليه من مخطوطات، إلا أنهم في مقابل ذلك تمكنوا من المحافظة عليها وصونها، وعملوا على فهرستها، وتفننوا في إخراج الفهارس المتنوعة، حسب المـواد والتخصصـات التـي يـهتم بـها

---

[1] المرجع السبق – الجزء الثاني – ص١٧٣.

[2] نظر أحمد سميالوفيتش – فلسفة الاستشراق – ص ٧٤ – ٧٥.

[3] نجيب العقيقي: المستشرقون – الجزء الأول – ص ٤٠٩–٤١٠.

المستشرق[1]. كما حاولوا فيما بعد ذلك تحقيقها والقيام بكل ما يتطلبه هذا العمل من تجميع أجزاء المخطوطات ومقارنة بعضها ببعض.

ويصعب تقديم إحصائية كاملة بالمخطوطات الموجودة في أوروبا، والمطلع على البيانات التي قدمها نجيب العقيقي في كتابه "المستشرقون" تهوله تلك الأعداد الضخمة والكميات الوفيرة.

أما من ناحية تحقيق المخطوطات، فللمستشرقين جهودهم الكبيرة في ذلك. وأن اهتمامات المستشرقين توجهت أساسا للتصوف والفلسفة وعلم الكلام، ثم التراجم والتاريخ، وهذه تعدت ثلثي اهتمام المستشرقين[2]. أما أقلها جلبا للاهتمام عندهم، فهي العلوم الشرعية الإسلامية، مثل التفسير والحديث والسيرة والفقه[3]. كما يأخذ على المستشرقين الخروج عن المنهج العلمي في التحقيق أحيانا[4].

ز- الرحالة والقناصل:

من أساليب التعرف على الشرق والنفسية الشرقية، معايشتهم للاطلاع على كيفية تسييرهم لأمورهم، وتنظيمهم مجزيات حياتهم اليومية. ومن أجل ذلك، انتشرت ظاهرة الرحلات في العصور الأوروبية الوسطى، بشكل لافت للانتباه. بل إن أمنية العديد من المغامرين أضحت توفير بعض المال من أجل القيام برحلة عبر الربوع الشرقية. وقد تميزت في بداية الأمر بالحكايات التي يجلبها حجاج بيت المقدس، فقد "كانت الرحلة إلى المشرق تعد بالنسبة للأوروبيين نوعا من التكملة للحج إلى الأراضي المقدسة"[5]، بل إن "الأكثرية الساحقة من الرحالة

---

[1] يوجد ذلك في الأجزاء الثلاثة من كتاب "المستشرقون" للعقيقي، كلما تحدث عن المكتبات الشرقية لأي دولة يذكر مستشرقيها.

[2] عبد العظيم الديب: المستشرقون والتراث – البحرين – المحرق – مكتبة ابن تيمية – الطبعة الأولى – ١٤٠٦هـ – ص ١٥ – ١٦.

[3] المرجع نفسه – ص ١٥–١٦.

[4] المرجع نفسه – ص ٣٦ – ٤٠.

[5] جبور الدويهي: "الرحلة وكتب الرحالة الأوروبية إلى المشرق حتى نهاية القرن الثامن عشر" – الفكر العربي – العدد ٣٢ – السنة الخامسة – يونيو ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ) – ص ٥٩.

الأوائل كانت من الحجاج ورجال الدين"[1]. وزاد من شهرة هذه الرحلات، ازدهار أدب الرحلات أدبا شعبيا رائجا بين الشعوب الغربية، فقد لاقى شهرة كبيرة وتقبلا رحبا لدى الأوروبيين.

من ناحية أخرى، اتخذت الرحلة أساسا للمعرفة ولاسيما من الأطراف التي تملك القوة والسياسة[2] وعادة ما يكون هذا النوع من الأنشطة الاستشراقية موجها من جانبين: قوة داعمة وحماسة وطنية، وبالتالي، فلا ريب في أن هذين الجانبين سيكون لهما تأثير على أفكاره وتوجهاته ومشاهداته[3].

من طرف آخر، لم تكن الرحلات مقصورة على جانب معين، سواء أكان علميا أم فنيا أم معرفيا. بل تعداه إلى أمور أخرى، سياسية واقتصادية واستعمارية وغيرها[4].

أما القناصل فقد كان معظمهم من الخبراء في شؤون العالم الشرقي، من المستشرقين كذلك في أغلب الأحيان. وبما أنهم متمكنون ثقافيا بخصائص الشرق، فعادة ما يكوّنون هالة من القبول حولهم. وهذا ما تم للمستشرق الفرنسي "روسو"[5]، قنصل فرنسا في طرابلس الغرب، بداية القرن التاسع عشر، وهو "عالم مستشرق، سرعان ما أصبح مفضلا ومحترما لدى أهل البلاد، وتوطدت علاقاته مع وزير خارجية الباشا..."[6]. ومن هنا فقد كان القنصل، عموما، يستغل منصبه من أجل مساعدة الرحالة والمستشرقين والمستكشفين، وكل من يهتم بشؤون الشرق في أعمالهم، لذا، فإن قنصل بريطانيا "كان له الفضل في تهيئة الظروف المناسبة لعدد من الرحالة..."[7].

---

(1) المرجع نفسه – ص ٦٠.

(2) رنا قباني: أساطير الغرب عن الشرق... ص ١٣.

(3) المرجع نفسه – ص ١٣.

(4) المرجع السابق – ج١ – ص ٧٧-٧٨.

(5) كان أحد رجالات شركة الهند، ولد بمدينة أصبهان عام ١٧٣٧م [١١٣٩هـ]، وأتقن اللغة العربية، وأصبح من كبار المستشرقين، وكانت له علاقة وطيدة بكبير المستشرقين "دي ساسي". المرجع السابق – ج١ – ص ٧٥.

(6) المرجع السابق – ج١ – ص ٧٤.

(7) المرجع السابق – ج١ – ص ٧١.

إضافة إلى تهيئة الوسائل المادية، يسعى هؤلاء لترتيب التسهيلات الاجتماعية والشعبية والنفسية[١]. ومن مهام القناصل أيضا، جمع المخطوطات. فالقنصل الفرنسي السابق الذكر، "كان يبحث دوما عن المخطوطات والكتب الشرقية البالغة الأهمية"[٢]. وعندما غادر طرابلس،حمل معه أكثر من ستين وأربعمائة مجلد من المخطوطات الثمينة، أصابها التلف جميعا ما عدا ستة وثلاثين، إذ سافر عن طريق البحر[٣]. وكانوا في سبيل الحصول على المخطوطات، ولاسيما الثمينة والنادرة، يتبعون شتى الوسائل، حتى وإن كانت غير أخلاقية. فقد ذكر المستشرق "جربر همساو"، قنصل السويد بطرابلس، أن القنصل الفرنسي "روسو"، استعار مخطوطة تاريخ ابن خلدون التي كانت موجودة بكاملها في طرابلس، لدى حاكمها، ثم رفض إعادتها له[٤].

من هنا يتبين لنا كيف أن الرحالة والقناصل قاموا بدور كبيرا في تنمية الثقافة الغربية، وبالتالي المساهمة في نمو الاستشراق وتطوره، سواء في الكشف عن جغرافية البلدان ومتعلقاتها، أو اصطحاب كميات من مخطوطاتها وآثارها وموروثاتها للغرب، حتى تتم دراستها.

ح – أساليب أخرى:

كثرت البحوث الاستشراقية واتسعت، ونشطت بحوث الشؤون الشرقية، ومن ثم، رأى المستشرقون ضرورة تضافر الجهود واتحادها، حتى يمكن الرقي بهذا الميدان المعرفي، فانطلقت عمليات تجمعات استشراقية، تمثلت في شركات، كشركة الهند الشرقية، وجمعيات وهي كثيرة، مثل الجمعية الآسيوية Societe Asiatique، بفرنسا، و"جمعية المستشرقين الألمان Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft"، وكلها تهدف للمزيد من التعرف على

---

[١] المرجع السابق – ج١ – ص ٧٣.

[٢] المرجع السابق – ج١ – ص ٧٥.

[٣] المرجع السابق – ج١ – ص ٧٥.

[٤] المرجع السابق – ج١ – ص ٧٥.

الشرق ودراسته والبحث في شؤونه. كما برزت ظاهرة المؤتمرات، فكان منها ما هو محلي، وآخر إقليمي، وغيره عالمي.

هذه التجمعات سيتم التعرض لها فيما يلي، بحيث تكون هناك إطلالة مختصرة على الشركات والجمعيات والمؤتمرات الإقليمية والمحلية، أما مؤتمرات المستشرقين العالمية، فهي محور هذه الدراسة، وسيتم التعرض لها بدرجة مناسبة من التفصيل.

تلك كانت أهم الأساليب التي اتبعها الغرب للتعرف على العالم الشرقي، ولاسيما الإسلامي منه، الذي كان منطلق الاحتكاك به، ودافعه على الانطلاق داخل المجتمعات الشرقية. وقد آتت أكلها، وانتقلت بالاستشراق من الميدان الخيالي إلى الدراسات الأكاديمية المتخصصة، وانتشرت أبحاثهم ودراساتهم حتى عمت الكون عامة، سواء الشرقي منه أو الغربي. بل إن دراساتهم وأفكارهم أصبحت معتمدة لدى العديد من المنابر العلمية الشرقية، وقد تقدم أحيانا على الإبداع الشرقي. وتحاول هذه الرسالة دراسة إحدى هذه الوسائل، ألا وهي مؤتمرات المستشرقين العالمية، بعد التمهيد لها بتسليط بعض الأضواء على تجمعات استشراقية أخرى، كما ذكر أعلاه.

الباب الأول: نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية

الفصل الأول: نشأة التجمعات الاستشراقية

الفصل الثاني: فكرة الدعوة إلى انعقاد مؤتمرات عالمية للمستشرقين

الفصل الثالث: مؤتمر المستشرقين العالمي الأول: باريس ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)

الباب الأول: نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية

مدخل:

تحدثنا في التمهيد عن نشأة الاستشراق وتطور أساليبه، وأشرنا إلى أن المؤتمرات ما هي إلا أسلوب من أساليب الاستشراق، شأنها في ذلك شأن أي تجمع استشراقي[1].

في المؤتمرات يلتقي متخصصون وخبراء وفنانون وباحثون، يتدارسون موضوعا من الموضوعات الاستشراقية أو أكثر. كما أن هذه المؤتمرات حاكمة على الماضي، ومنظرة للمستقبل، وبالتالي، فإن لقاء مئات من الباحثين لا بد أن يثمر، إذ المأمول منه أن يقوم معلومات وبحوثا سابقة، ويفتح جوانب تحتاج البحث والتقصي، أو يدل عليها ويشير إليها. و بذلك تتبين بعض مهام المؤتمرات.

والمؤتمرات الاستشراقية أنواع كثيرة: فهناك مؤتمرات محلية، تقام على نطاق مجموعة من خبراء بلد أو منطقة معينة، وهناك مؤتمرات إقليمية، تضم في عضويتها مستشرقي إقليم موسع، كالعالم الأوروبي أو الغربي، أو الأمريكي. وقد يُدعى لحضور مداولاتها بعض الباحثين من أقاليم أخرى، لكن يكون دورهم عادة، ثانويا، قد لا يبرز أمام كثرة علماء الإقليم وسيطرة باحثيه. وهناك المؤتمرات العالمية، وهي محور هذه الدراسة.

يسهر على قيام هذه المؤتمرات، في الغالب، جمعيات أو مؤسسات استشراقية. ونشأة هذه الجمعيات سابقة عن فكرة المؤتمرات. ولقد كثرت وأُقيمت بصفة خاصة مع الانطلاقة الاستعمارية للشرق، انطلاقا من القرن السادس عشر، وتكثفت في القرنين التاسع عشر والعشرين، وكان لها دور بارز في تهيئة الأرضية أمام المستعمرين لدخول المناطق الشرقية. وواصلت دورها وعملها إبان

---

[1] سبق ذكر ذلك ص ٢٠ من البحث.

الاستعمار الغربي. وكانت بعض تلك المؤسسات من ممولات مؤتمرات المستشرقين العالمية، في أحيان عدة، كما كانت ترسل مندوبين عنها.

وقبل الدخول في تحليل مؤتمرات المستشرقين العالمية، ونظرا لارتباط المؤتمرات العالمية بتلك التجمعات الاستشراقية، وارتباط الأخرى بها عادة، ولتمييز مؤتمرات المستشرقين العالمية عنها، يحسن تسليط الأضواء بإيجاز على نوعيات تلك التجمعات، ثم الانطلاق لتحليل نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية، وفق النقاط التالية:

الأولى: نشأة التجمعات الاستشراقية.

الثانية: فكرة الدعوة إلى أنعقاد مؤتمرات المستشرقين العالمية.

الثالثة: مؤتمر المستشرقين العالمي الأول: باريس ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ).



الفصل الأول: نشأة التجمعات الاستشراقية

المبحث الأول: الجمعيات الاستشراقية

المبحث الثاني: مؤتمرات المستشرقين المحلية والإقليمية

الفصل الأول: نشأة التجمعات الاستشراقية

توطئة:

منذ أن تبلورت موضوعات البحوث الاستشراقية، وأطلقت كلمة "استشراق" على هذا الحقل المعرفي، أردفت به كلمة "علم"، إذ كان يعد أحد المعارف العلمية. فقد وجد لكل ميدان علمي رعاة له، ومؤسسات تخدمه، ومؤتمرات تقام له، مهما اختلفت مشاربها، مثل الطب أو الفيزياء أو الفلك أو الكيمياء أو الرياضيات أو العلوم الحربية أو الاجتماعية أو النفسية أو التاريخية، وغيرها من المعارف.

وبوصفه علما، وتماشيا مع التيار العام لمسار العلوم، سعى أتباع الاستشراق لأن تكون لهم مؤتمرات يلتقون فيها، يتعارفون ويتبادلون الأفكار والمقترحات. فكان أن تحقق لهم ما كانوا يأملون، وظهرت مؤسسات وجمعيات، وانعقدت بالتالي مؤتمرات استشراقية.

وفي هذا الفصل، وكمنطلق للدخول في الموضوع الرئيس، سيتم التطرق للجمعيات التي كانت تخدم الاستشراق، وكذلك المؤتمرات المحلية والإقليمية. فقد اتخذ الاستشراق هذين الأسلوبين من أجل تنمية قدراته وتقوية دراساته، ومن ثم فرض وجود الثقافة الاستشراقية في العلم الغربي بخاصة، والعالم ككل عامة.

كانت الجمعيات هي السابقة في نشأتها وظهورها على الساحة المعرفية. فقد اضطر المستشرقون لتكوينها من أجل القدرة على المزاحمة العلمية والمعرفية، ولملمة الجهود المتفرقة. أما المؤتمرات، فنشأت فكرتها لاحقا، تهدف بالأساس لتجميع أكبر عدد ممكن من المتخصصين في هذا المجال، يتبادلون الآراء والأفكار والنتائج البحثية والمعرفية، ومن ثم تبادل الخبرات والتجارب. ونستنتج من هذا أن لكل واحد من التجمعين هدفه وغايته ومهمته.

سيتم تحليل هذا الموضوع وفق ما يلي:

١ – الجمعيات الاستشراقية.

٢ – مؤتمرات المستشرقين المحلية والإقليمية.

المبحث الأول: الجمعيات الاستشراقية

سبقت الجمعيات في نشأتها غيرها من الفعاليات التجمعية الاستشراقية. فما إن توسعت الاكتشافات الجغرافية، واطلع العالم الغربي على جغرافية المجتمع الشرقي، وتعرف على كنوزه وذخائره، المادية والفكرية والمعنوية، حتى سعى لبسط نفوذه في تلك المناطق، ولاسيما بعد أن امتلك أسس القوة العسكرية والاقتصادية والصناعية. ولم يتخلف المستشرقون عن الاستفادة من هذا التوسع، يساندهم في ذلك، بالدرجة الأولى، المنصرون وأرباب الكنيسة، ثم رجال المال والأعمال، والساسة وأصحاب المناصب. لقد سعوا لأن تكون لهم قدم راسخة في الشرق، وبادروا بالتالي إلى تكوين جمعيات لهم، ومؤسسات استشراقية، تربطهم مباشرة بالشرق.

١ – أهميتها العامة وأهدافها.

تحدث عن أهمية هذه الجمعيات أحمد سميالوفيتش فقال: "شرع علماء الغرب في تأسيس الجمعيات العلمية التي كانت بمنزلة نقطة الانطلاق الكبرى للاستشراق، حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية، فأسهمت جميعها إسهاما فعالا في البحث والاكتشاف والتعرف على عالم الشرق وحضارته، فضلا عما كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية، غير أنها كانت من أقوى البواعث التي ساعدت علماء أوروبا على بلوغ هذه الغاية، بتشكيل جمعيات آسيوية، يعقد أصحابها جلسات قانونية، وينشرون البحوث المختلفة في كل فروع العلوم الشرقية"[١]، قد أدى تأسيس الجمعيات إلى تجمع القوى المتفرقة للدراسات الشرقية، وازدياد نشاطها، واشتداد التنافس بينها، لأن الأعمال الكبرى لا تظهر فائدتها إلا باجتماع القوى المتفرقة[٢] إذا، فالجمعيات تسعى لتوحيد القوى

---

(١) أحمد سميالوفتش: فلسفة الاستشراق – ص ٨١-٨٢.

(٢) عن أحمد سميالوفيتش، المرجع السابق – ص ٨٢ .

الاستشراقية، وتجميع الطاقات العلمية المختلفة، من أجل التعمق في أغوار العالم الشرقي، وبالتالي تنامي النشاط الاستشراقي.

ومن الجمعيات كذلك، من تحاول تحبيب الدراسات الاستشراقية في النفس الغربية، وكذلك تحسين العلاقات بين الشرقيين والغربيين. ذاك ما ذكرته جمعية "الآثيني الشرقية Athenee Orientale"، التي تأسست في فرنسا في العام ١٨٦٤م (١٢٨٠هـ). فقد ورد في بيان تأسيسها "إن مؤسسة الآثيني الشرقية تأسست من أجل نشر محبة الدراسات المتعلقة بالشرق، ولاسيما في الأقاليم والمستعمرات الفرنسية..."[1].

كما كان من شأن هذه الجمعيات إحياء العلوم الشرقية، أو تنميتها في منطقة غربية معينة، وهذا ما ذكره برنارد لويس عن الجمعية الآسيوية الملكية، حيث قال: "كما أن تأسيس الجمعية الآسيوية الملكية ، وهي جمعية المستشرقين الإنجليز، أوجد دافعا جديدا نحو العلوم الشرقية"[2]. وتخصصت بعض الجمعيات في دراسة منطقة معينة وسعت للعناية بها. وفي هذا المجال ذكر آربري أنه في سنة ١٧٨٤م (١١٩٨هـ)، أسس عدد من البريطانيين الآخرين الجمعية الآسيوية بالبنجال، وكان غرضها القيام بالأبحاث في تاريخ آسيا وآثارها القديمة، وفنونها وعلومها[3].

ليست هذه الأهداف العلمية هي وحدها المعلنة، بل إن أحد بنود المؤتمرات الإقليمية الفرنسية، التي تبنتها مؤسسة "الآثيني الشرقية"، يصرح بوضوح: "وله أهمية خاصة، تتعلق بدراسة جغرافية تلك البلدان (أي الآسيوية والمحيطية وإفريقيا)، وعلاقتها بالاقتصاد والصناعة، وقواها المنتجة، وموازينها ومقاييسها، إضافة إلى عملاتها، ويهتم كذلك بالتشريع الاقتصادي والصناعي والبحري لتلك

---

(1) Congres Provincial des Orientalistes Francais - Compte-rendu de la session inaugurale - Levallois 1874 - Paris - Maisonneuve et Ce - Librairies-Editeurs - 1875 - p.21 .

(٢) برنارد لويس: تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ــ ص ٢١.

(٣) آربري أ. ج.: المستشرقون البريطانيون – ص ٢٩.

البلدان"[١]. وبما أن المؤسسة هي التي تتبنى هذه المؤتمرات، وبما أن المقولة السابقة ذكرت في مؤتمرين مختلفين، فهذا ينبئ بأن الجمعية الأم، الآثيني الشرقية، تتبنى المعنى ذاته.

يتبين لنا إذن، أن الجمعيات والتجمعات الاستشراقية، ذات أهمية للغرب، بحيث تحقق أهدافا متعددة ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية، ولاسيما أنها نشأت في حقبة غلبت عليها الحمى الاستعمارية، التي غذتها المنتجات الصناعية، والحاجة لأماكن تسويق واستهلاك وتصدير، حتى تتحقق مصالحها القومية العامة. وبالتالي، فإن تكوين تجمعات استشراقية، هو من أفضل الأساليب لتحقيق ذلك، بدراستها للمجتمعات الشرقية من جميع جوانبها واتجاهاتها وتوجهاتها ورغباتها المختلفة.

٢- انتشارها وتوسعها:

لم تكن نشأة التجمعات أمرا عابرا، بل أضحت ظاهرة غربية شاملة، أدت إلى التنافس في تكوين جمعيات ومؤسسات وشركات استشراقية. ويبدو أن هذه الجمعيات حققت نجاحا محسوسا، مما جعل الدول الاستعمارية، بصفة خاصة، والغربية بصفة عامة، تسعى جاهدة لأن تكون جمعيات مماثلة، بل إن بعض البلدان تكوّن أكثر من جمعية.

وقد جمع نجيب العقيقي في كتابه مجموعات عديدة منها، تبين بوضوح مدى انتشارها وتكاثرها[٢] في كافة أنحاء العالم الغربي والأمريكي، وقد تأسست من أجل التعمق في الدراسات الشرقية، وهي تبين بوضوح التنافس بين المستشرقين ومن ورائهم دولهم، في السعي لتكوين جمعيات وطنية استشراقية،

---

(1) Congres des Orientalistes de Marseille - 2eme session des congres provinciaux des orientalistes - Compte rendu des travaux du congres - 1976 - Marseille - Marius Olive - 1876 - T1 - p. 24 .
and congres provincial des orientalistes - Compte rendu de la troisieme session - Lyon - 1878 - Imp.rimerie Pitrat Aine - 1880 - Tome premier - p.24.

(٢) وردت هذه الجمعيات عند نجيب العقيقي في ثنايا أجزاء كتابه "المستشرقون" الثلاثة، كلما تحدث عن بلد من البلدان الغربية.

وذلك لما يرتبط بها من نتائج سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية للبلد الغربي الذي تأسست فيه، ولاسيما في القرن التاسع عشر.

٣ – أهم الجمعيات الاستشراقية:

وحتى تتضح حقيقة هذه الجمعيات وأهدافها وتنظيمها وأطرها، يجدر التعرض للبعض منها، ودراستها دراسة موجزة، لكنها وافية عن حقيقة هذه الجمعيات، وذلك من خلال جوانب متنوعة، قد تختلف من جمعية لأخرى، بحيث تتضح الصورة العامة عنها بعد التحليل الإجمالي للجمعيات الأربع التالية:

- المؤسسة الآسيوية، الفرنسية.
- الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وأيرلندا.
- الجمعية الأمريكية الاستشراقية.
- جمعية المستشرقين الألمان.

هذه الجمعيات التي تم اختيارها، تمتاز بقدراتها البشرية والعلمية، والمادية أحيانا، ولا تزال تعمل حتى العصر الحاضر، وتشرف على تخريج مستشرقين وخبراء في العالم الشرقي، إضافة إلى إشرافها على أعمال استشراقية، وقيامها برعاية أعمال شرقية، سواء منها طباعة نصوص من التراث، أو المحافظة على آثار أو غيرها. هذا وسيتم دراستها وفق التسلسل الزمني لنشأتها، إذ المؤسسة الآسيوية هي السابقة، وآخرها نشأةً هي الألمانية، والتي لا تزال تزاول أنشطها.

أ – المؤسسة الآسيوية:

– ظروف نشأتها وتأسيسها: تم تأسيس "المؤسسة الآسيوية La Societe Asiatique" في العام ١٨٢٢م (١٢٣٧هـ)، في حقبة كانت الدراسات الشرقية فيها تجلب اهتمام المثقفين بعمق، وبدأ ظهور العديد من الدراسات التي عدت ساعتها متطورة، بل ثورة في حقل الدراسات الاستشراقية. وظهر أول مخطط لهذه المؤسسة سنة ١٨٢١م (١٢٣٦هـ). وذلك بهدف ضم أكبر عدد ممكن من المهتمين.

أما عن برنامج المؤسسة العملي، فقد ورد فيه ما يلي: "إعداد أو نشر قواعد لغوية، وقواميس، أو كتب أخرى أصيلة، معروفة بفوائدها وأهميتها في دراسة اللغات المدرسة في المنابر الشعبية، والمساهمة في عقد اتفاقيات أو أية طريقة أخرى لطباعة المؤلفات، ذات النوعية نفسها، سواء في فرنسا أو في الخارج، واقتناء مخطوطات آسيوية، أو نسخها كلها أو أجزاء منها، ولاسيما تلك الموجودة في أوروبا، في المنشآت الشعبية، والقيام بعمل ترجمات لها، أو لأجزاء منها، ومضاعفة عددها عن طريق النسخ أو التصوير، أو الطباعة الحجرية، وتوفير الكتابات الهامة حول الجغرافيا والتاريخ والعلوم والفنون، التابعة للبلدان الشرقية، للمؤلفين، وهي إمكانات من شأنها أن تمتع الجمهور بنتاج سهرهم، وجلب انتباهه للمنتجات العلمية والأدبية والشعرية الشرقية، وكذلك تلك الشبيهة لها، التي تظهر في أوروبا، وحول المكتشفات والأعمال المتنوعة التي يمكن أن تكون الشعوب الشرقية موضوعا لها، عن طريق نشر مصنف دوري مخصص للآداب الآسيوية"(١). ذاك هو الوجه العلمي العملي الذي سطرته المؤسسة الآسيوية لنفسها.

وقد تم الاجتماع التأسيسي الأول، في الفاتح من إبريل، سنة ١٨٢٢م (الثاني عشر من شوال ١٢٣٧هـ)، برئاسة "سلفستر دو ساسي"، ونوقشت فيه مبادئ المؤسسة، واختير فيه ساعتها أعضاء المجلس والمكتب.

– نظام المؤسسة الإداري: تدار المؤسسة من مجلس تكون من(٢):

ـ رئيس فخري واحد.	ـ سكرتير مساعد ومكتبي، واحد.
ـ رئيس واحد.	ـ محاسب واحد.
ـ نائبي رئيس.	ـ ثلاثة مندوبين للاعتمادات المالية.
ـ سكرتير واحد.	ـ أربعة وعشرين عضوا.

ينتخب الرئيس الفخري والسكرتير مدة خمس سنوات. أما بقية أعضاء المجلس والمكتب، فيتم انتخابهم كل سنة.

(1) Ibid. p. 5.

(2) Ibid. pp. 7-11.

يخول النظام العام للمؤسسة، اجتماع أعضاء المجلس مرة كل شهر، وكل الأعضاء المقبولين يمكنهم حضور الجلسات وتقديم المساهمات العلمية.

للمؤسسة أعضاء مندوبون، وأعضاء أجانب أيضا، وآخرون فخريون.

ابتدأت المؤسسة اجتماعاتها الشهرية، كل أول يوم اثنين من كل شهر، ثم أصبح ثاني يوم جمعة من كل شهر. أما المكتبة فكانت تفتح أبوابها للعموم كل يوم ثلاثاء وسبت، من الواحدة إلى الرابعة بعد الظهر. وبعد سبع سنوات من تأسيسها، تم قبول المؤسسة رسميا بقرار ملكي بتاريخ الخامس عشر من إبريل سنة ١٨٢٩م (الرابع عشر من شوال ١٢٤٥هـ)، وبذلك أصبح بإمكانها الحصول على مساعدات حكومة. وفي العام ١٩٠٩م (١٣٢٧هـ)، تم تحوير نظام قانونها العام، وقبلت تلك التحويرات في جلسة العام الذي يليه.

- قائمة رؤساء المؤسسة: إذا أردنا إلقاء نظرة على الرؤساء الذين تعاقبوا على المؤسسة الآسيوية، وجدناهم كالتالي:

١	سلفستر دو ساسي	Silvester de Sacy	١٨٢٢-١٨٢٩	١٢٣٧-١٢٤٤
٢	ج.ب. أبال- ريموزا	Abel Remusat	١٨٢٩-١٨٣٢	١٢٤٤-١٢٤٩
٣	سلفستر دو ساسي		١٢-١٨٣٤	١٢٤٩-١٣٥٢
٤	آميدي جوبار	Amedee Jaubert	١٨٣٤-١٨٤٧	١٣٥٢-١٢٦٣
٥	رينو	Rinaud	١٨٤٧-١٨٦٧	١٢٦٣-١٢٨٣
٦	جول مول	Jule Mohl	١٨٦٧-١٨٧٦	١٢٨٣-١٢٩٣
٧	جارسان دو ساسي	Garcin de Tassy	١٨٧٦-١٨٧٨	١٢٩٣-١٢٩٥
٨	آدولف رينيي	Adolphe Regnier	١٨٧٨-١٨٨٤	١٢٩٥-١٣٠٢
٩	إرنست رينان	Ernest Renan	١٨٨٤-١٨٩٢	١٣٠٢-١٣٠٩
١٠	باربيي دو ماينار	Barbier de Maynar	١٨٩٢-١٩٠٨	١٣٠٩-١٣٢٦

١١	إيميل سينار	Emile Senart	١٩٢٨-١٩٠٨	١٣٤٧-١٣٢٦
١٢	سلفان ليفي	Sylvin Levi	١٩٣٥-١٩٢٨	١٣٥٤-١٣٤٧
١٣	بول بيليو	Paul Pelliot	١٩٤٥-١٩٣٥	١٣٦٤-١٣٥٤
١٤	جاك باكو	Jacques Bacot	١٩٥١-١٩٤٦	١٣٧٠-١٣٦٥
١٥	شارل فيرولود	Charle Virolleaud	١٩٦٤-١٩٥١	١٣٨٣-١٣٧٠
١٦	جورج كودي	George Coedes	١٩٦٩-١٩٦٤	١٣٨٩-١٣٨٣
١٧	ريني لابا[1]	Rene Labat	١٩٧٥-١٩٦٩	١٣٩٥-١٣٨٩
١٨	كلود كاهين	Claude Cahen	١٩٨٧-١٩٧٥	١٤٠٧-١٣٩٥
١٩	أندري كاكو	Andre Caquot	١٩٩٦-١٩٨٧	١٤١٦-١٤٠٧
٢٠	دانيال جيماري	Daniel Gemaret	... -١٩٩٦	...-١٤١٦

تلك معلومات مختصرة عن الجمعية الآسيوية، الفرنسية، التي تجاوزت خمسا وسبعين ومائة سنة من عمرها. ولا تزال تعمل حتى يومنا هذا، رغم أنها لا تزال تعاني من مشكلات عدة، لكن يتعشم القائمون عليها، قدرتها على تخطي الصعوبات التي تعيق مسارها، وذلك لما يتمتع به رئيسها الحالي من صيت وسمعة داخل فرنسا وخارجها. هذا ما صرحت لي به أمينة مكتبة المؤسسة.

ب - الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وأيرلندا:

- نشأتها وتأسيسها: تم تأسيس الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وأيرلندا، مساء السبت الخامس عشر من مارس، سنة ١٨٢٣م (الثالث من رجب ١٢٣٨هـ). وكان التصور الأول للجمعية، هو أن تكون "جمعية للبحث في

---

[1] فيما سبق من الرؤساء حتى روني لابا، وردت أسماؤهم لدى Jean Filiozat: La Societe Asiatique ... p. 5 . أما الأسماء الثلاث الأخيرة، فتعرفت عليها من "ماري كلود Marie Claude" أمينة مكتبة المؤسسة، في شهر ربيع الأول ١٤١٧هـ [يوليو لعام ١٩٩٦م] .

التاريخ المدني والطبيعي والآثار والفنون والعلوم والآداب في آسيا"[١]. وأما ميدانها فعرف بأنه "الإنسان والطبيعة: كل ما يقدمه الأول، وكل ما تنتجه الأخرى، في الصناعة والزراعة والتجارة"[٢].

سميت الجمعية في بداية أمرها "الجمعية الآسيوية لبريطانيا العظمى"[٣]. ثم أضيفت "وأيرلندا"، في مارس من العام ١٨٢٣م (رجب ١٢٣٨هـ)[٤]. وفي يونيو (شوال) من العام نفسه، منحت لقب "ملكي"[٥]، وكذلك استقر مسماها حتى الآن. وبلغ أعضاء اللجنة في بداية تأسيسها ثلاثين عضوا، أما في الاجتماع الافتتاحي، فقد ازداد العدد إلى ثمانين، ثم ارتفع إلى أربعة وعشرين وثلاثمائة، ثم شهد تذبذبا في عدد الأشخاص المنتمين لها، فيرتفع أحيانا وينخفض أحيانا أخرى.

تمكنت الجمعية كذلك من استقطاب كبار الساسة. فقد كان هناك سبعة من رؤساء الوزراء أعضاء فيها خلال القرن التاسع عشر، بالإضافة إلى كثير من كبار الموظفين البريطانيين في الهند، وكثير من ملوك ورؤساء العالم ولاسيما من دويلات الهند ساعتها. كما كان هناك كثير من الأعضاء الشرفيين من الأمراء والملوك الآخرين[٦].

-<u>النظام المالي</u>: مثل كثير من الجمعيات، لم تكن الجمعية الآسيوية الملكية ثرية، فقد كان دخلها في حدود الألف جنيه إسترليني سنويا، حتى الحرب العالمية الأولى. ثم تذبذب دخلها بين الارتفاع والهبوط، فقد وصل في أحيان عدة إلى أكثر من ثلاثة آلاف، وكثيرا ما كانت الميزانية تعاني من نقص، بسبب زيادة المصاريف، ليصل في بعض الأحيان إلى أربعمائة جنيه إسترليني. أما مصادر الدخل فكانت متنوعة، منها الاشتراكات وبيع المنشورات، والاستثمارات ومنح من

---

(1) C.F. Beckingham: "A history of the Royal Asiatic Society, 1823-1973" – The Royal Asiatic Society, its history and treasures – Edited by Stuart Simmonds and Simon Digby - p. 1.

(2) Ibid. - p. 1 .

(3) Ibid. - p. 2 .

(4) Ibid.- p. 3.

(5) Ibid. - p. 3.

(6) Ibid. - p. 5 .

بعض الحكومات والهيئات الرسمية وتبرعات خاصة وبعض الإيجارات. كما كانت تأتيها منح لأغراض محددة[1].

– أعمال الجمعية وتأثيرها: طورت الجمعية البحث الشرقي بطرق عدة منها[2] :

*ـ محاولة نشر الكتب المهمة.

*ـ مساعدة المستشرقين بصورة شخصية.

*ـ تشجيع الحكومات على المحافظة على تراثها، ولاسيما المتاحف.

*ـ الضغط من أجل إنشاء وظائف تدريس باللغات الشرقية في الجامعات البريطانية.

*ـ الدعوة إلى تأسيس كلية الدراسات الشرقية في لندن. وهو ما تم لها.

وتوجهت الجمعية تلقاء الجامعات، تحثها على الاهتمام بالدراسات الشرقية: ففي العام ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، وجه مجلس الجمعية اهتمامه إلى جامعة أكسفورد، وحثها على تدريس أفضل للغات السامية هناك، وحثت على أنشاء كرسي خاص ومنفصل للدراسات اللغوية السامية[3]. كما كان للجمعية دور في إنشاء الأكاديمية البريطانية في ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)[4].

ذاك كان عرضا سريعا عن الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وأيرلندا. ويظهر مما تقدم أنها نشطت نشاطا كبيرا رغم الصعوبات. وتبقى الإشارة إلى أن انتشار كليات الدراسات الشرقية وأقسامها، أضعفَ من أهمية الجمعية حاليا، وأدى ذلك إلى قلة الإقبال عليها والانخراط فيها[5].

---

(1) Ibid. - pp. 25 - 26 .

(2) Ibid. - pp. 49 …etc.

(3) Ibid. - p. 54.

(4) Ibid. - p. 53 .

(5) Ibid. - p. 69…etc.

ج – الجمعية الشرقية الأمريكية:

– نشأتها وتأسيسها: أعلن عن قيام "الجمعية الشرقية الأمريكية American Oriental Society"، في شهر أغسطس من سنة ١٨٤٢م (رجب ١٢٥٨هـ)، بمدينة "بوسطن"، وتمت مناقشة مسودة القانون الأساس للجمعية في السابع من شهر سبتمبر (الثالث من شعبان) من العام نفسه. وتم الإعلان النهائي عن تأسيس الجمعية في الثالث عشر من شهر أكتوبر سنة ١٨٤٢م (التاسع من رمضان ١٢٥٨هـ)، وانتخب "جون بكيرينج John Pickering" أول رئيس لها(١).

لم يكن كل الأعضاء المؤسسين من الشخصيات العلمية المرتبطة بمجال الدراسات الشرقية التي تعنى بها الجمعية. كما أن الجمعية كانت ذات ارتباط وثيق منذ تأسيسها بالجمعيات التنصيرية الخارجية(٢).

– أهدافها واهتماماتها: تهدف الجمعية إلى تنمية المعارف في المجالات اللغوية، الآسيوية والإفريقية والبولينيزية(٣). أما اهتماماتها ومجالات بحوثها فمتعددة، منها: اللغة العبرية (٤) والتنصير(٥) والدراسات المصرية(٦) وقرطاجة والفينيقيين(٧) وآسيا الوسطى وبلاد فارس النسطورية(٨) وبلاد الرافدين والبحوث المسمارية(٩). هذا إضافة إلى الاهتمام ببقية الفروع الاستشراقية.

---

(١) كلمة رئيس الجمعية ، للعام ١٨٩٣م [١٣١٠هـ]، W. Hayes Ward ، بمناسبة مرور خمسين سنة على أنشاء الجمعية في :

P.roceeding of the American Oriental Society at its meeting ...in New York, N. Y., March 29th,30th,and 31st, 1894 – p. lix . (No p.ublishes).

تمت ترجمة المعلومات بمساعدة الدكتور مازن مطبقاني.

(2) Ibid. p. lx .

(3) Ibid. p. lix

(4) Ibid. p. lxi .

(5) Ibid. p. lxii .

(6) Ibid. p. lxii .

(7) Ibid. p. lxiii .

(8) Ibid. p. lxiii .

(9) Ibid. p. lxiii .

– علاقاتها الاستشراقية الأخرى: أقامت الجمعية علاقات تربطها بجمعيات ومؤسسات استشراقية، في أنحاء العالم كافة. ومن بين تلك الجمعيات، الجمعية الآسيوية بفرنسا[١]، التي تأسست قبلها بعشرين سنة، والجمعية الملكية الآسيوية بإنجلترا[٢]، التي تأسست قبلها بتسع عشرة سنة، جمعية المستشرقين الألمان[٣]، التي تأسست بعدها بسنتين.

أصدرت الجمعية الشرقية الأمريكية، مجلة تحمل اسمها Journal of the American Oriental Society[٤]. كما أن للجمعية مكتبة استشراقية، تتقبل التبرعات والهبات، وفي كل اجتماع من اجتماعاتها، يقدم تقرير يتضمن الجديد من الكتب المقتناة، وكذلك المخطوطات والوثائق، والكتب التي أهديت للجمعية، ومنها كمية ضخمة، تم إهداؤها لها سنة ١٨٨٧م (١٢٩٥هـ)[٥].

ولها أيضا أعضاء مراسلون في الدول الأخرى، ولاسيما الشرقية منها، وكانت تصلها تقارير منهم، تقرأ في أثناء اجتماعاتها. وتحرص على تقديم تقارير مالية في كل اجتماع، ومن آثارها التي تراها فعالة، مساهمتها في تأسيس مدرسة للدراسات الإنجيلية والأثرية في بيروت[٦].

تلك كانت نبذة سريعة عن الجمعية الشرقية الأمريكية، التي لا تزال تعد من أكبر الجمعيات الاستشراقية التي نشأت في العالم الغربي.

د – جمعية المستشرقين الألمان:

– نشأتها و تأسيسها: بعد اجتماعات ولقاءات متعددة، تمكن المستشرقون الألمان من تأسيس جمعيتهم الاستشراقية Deutschen Morgenlandischen

[1] Ibid. p. lxiv .

[2] Ibid. p. lxiv .

[3] Ibid. p. lxiii .

[4] Ibid. p. lxiiv .

[5] American Oriental Society - P.roceeding at Boston - May 11th - 1887 - p. i.

[6] American Oriental Society - P.roceeding at New Haven - October 27th –1887 - p.ii.

Gesellschaft، بعد مفاوضات ومدارسات وحوارات، بلغت حد الاختلاف فيما بينهم في أحيان عدة[1]. وكانوا يسعون لتكوين "جمعية آسيوية ألمانية"، أسوة بالجمعيات الفرنسية والبريطانية. وفي العام ١٨٤٤م (١٢٦٠هـ)، تمكنوا من تكوين مكتب مؤقت، تحت رئاسة المستشرق "فلايشر Fleischer"، و"روديجر Roediger" نائبا له، إضافة إلى بقية أعضاء المكتب المؤقت[2].

ونوقش اسم الجمعية، فاقترح تسميتها "الجمعية الآسيوية الألمانية"، أسوة ببقية الدول الغربية، ثم تم اختيار مسمى "الجمعية الشرقية في ألمانيا"، قبل أن تصبح لاحقا "جمعية المستشرقين الألمان"[3].

– أهداف الجمعية: تهدف الجمعية إلى تشجيع معرفة آسيا والدول الموجودة بها، في سياق واحد، اعتمادا على كل العلاقات الممكنة، ويعمل المشاركون في ذلك على مستوى الدوائر العريضة. ولذا، فإن الجمعية لا تهتم بالأدب الشرقي فقط، بل بتاريخ كل دولة أيضا، وبحث وضعها في العصور القديمة والحديثة. وتسعى لتحقيق أهدافها بالطرق التالية[4]:

- جمع المخطوطات والمطبوعات والمشاهد الطبيعية والفنية الشرقية.
- إصدار الأعمال الأدبية الشرقية، وترجمتها واستغلالها.
- إصدار مجلة خاصة بها.
- الإشادة بالمشروعات ودعمها لتشجيع معرفة الشرق.
- التباحث مع الجمعيات المشابهة والعلماء المميزين، في الداخل والخارج، والارتباط بهم.

---

[1] Von Holger P.reissler: "Die Anfange der Deutschen Morgenlandischer Gesellschaft" - ZDMG - Band 145 - Heft 2 - 1995 - Kommissionsverlag Franz Steiner - Stuttgart 1995 - pp. 241-276.

تمت ترجمة هذه المعلومات بمساعدة الدكتور أحمد هويدي.

[2] Ibid. p. 277.

[3] Ibid. p. 281.

[4] Ibid. p. 286.

– أحوال الجمعية المالية: كغيرها من الجمعيات، كانت تعتمد على اشتراكات الأعضاء فيها، والمساعدات الخارجية والتبرعات، كما أن الحكومة البروسية قررت سنة ١٨٤٨م(١٣٦٧هـ)؛ تقديم مساعدة مالية سنوية لصالح الجمعية. كما كانت تقدم معونات عند الضرورة، كطباعة كتب أو غيرها من الأعمال الاستشراقية، وكانت تأتيها مساعدات خارجية أيضا، ولاسيما من ولي عهد السويد والنرويج، وكذلك من النمسا والحكومات المحلية الألمانية[١].

وخلافا لبعض الجمعيات الأوروبية، فإن جمعية المستشرقين الألمان، لم تشهد عجزا ماليا، ولم تمر بأزمات خانقة، وتفخر بأن هناك على الدوام فائضا من رصيد الجمعية يضاف دائما لميزانية العام الجديد، وما نقص رصيدها مطلقا[٢].

– مهام الجمعية: لها مهام عدة، أهمها تمويل إصدار نصوص أو مخطوطات شرقية هامة، أو دعمها، سواء عن طريق المشاركة أو المساهمة[٣].

تلك معلومات سريعة عن جمعية المستشرقين الألمان، في نشأتها وبعض المتعلقات بها، ورغم بعض المشكلات التي واجهتها في النشأة بسبب الاختلاف بين الأعضاء، إلا أنها تبدو أحسن حالا من الجمعيات السابقة لها. ولعل هذا ما يفسر قوتها الفاعلة إلى يومنا المعاش، الأمر الذي دفع "رودي باريت" لأن يصرح عنها قائلا: "تلك الجمعية التي أصدرت مجلة باسمها،...، كما أصدرت "دراسات في علم الاستشراق"، وأثرت في عصرنا الحاضر تأثيرا خصبا هائلا، حتى إنه لا يتصور تاريخ الاستشراق في ألمانيا بدونها"[٤].

إذن تلك فكرة عامة حول الجمعيات الاستشراقية، وضحت كيفية تأسيسها وبينت مهامها وأهدافها وأثرها. وحتى تكتمل صورة التجمعات الاستشراقية، يجدر بحث حقائق المؤتمرات المحلية والإقليمية.

---

(1) Ibid. p. 319.

(2) Ibid. p. 318.

(3) Ibid. p. 326.

(٤) رودي بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكيه)– ص١٩.

المبحث الثاني: مؤتمرات المستشرقين المحلية والإقليمية

من الأساليب التي اتبعها المستشرقون لتحقيق مزيد من التعرف على الشرق، عقد مؤتمرات استشراقية. وهذه المؤتمرات اتخذت صفات عدة، وتتراوح فترة انعقادها ما بين يوم وعدة أيام، ومنها ما ينعقد بمناسبة ما، ثم يتوقف بمرور تلك المناسبة. كما أن منها ما اتخذ صبغة محلية، وأخرى إقليمية، وغيرها عالمية.

وبما أن مؤتمرات المستشرقين العالمية، هي موضوع هذه الرسالة، وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل، فإن النوعين الآخرين، سيتم الحديث عنهما في هذا المبحث باختصار، وهما المؤتمرات المحلية والإقليمية.

١ – مؤتمرات المستشرقين المحلية:

تتميز مؤتمرات المستشرقين المحلية، بأنها يشرف عليها مستشرقون من بلد ما، وعندما يعقدون مؤتمرا، فهم لا يدعون لحضور فعالياته إلا مستشرقي البلد ذاته. وبالتالي فهي مؤتمرات داخلية بحتة، إشرافا وتنظيما ومشاركة. وتكون غاية مثل هذه المؤتمرات، تنمية العلوم الاستشراقية في ذاك البلد، وتضافر الجهود الاستشراقية المتنوعة فيها، وتبادل المعلومات التي توصل إليها علماء الاستشراق، ذوو التخصصات العديدة، وبالتالي، قياس الدرجة التي وصلت إليها تلك المعارف، وعلى أساس ذلك، يتم التخطيط ووضع البرامج المستقبلية، حتى تنمو المعارف الاستشراقية أكثر فأكثر في بلدهم. ويمكن ضرب مثالين موضحين لهذا النوع من المؤتمرات: مؤتمرات كل من المستشرقين السوفيات والأمريكان.

أ – مؤتمرات المستشرقين السوفييت:

يقول المستشرق "غريغوري شرباتوف" عن أحد مؤتمرات المستشرقين السوفيت: "وكان لمؤتمر المستشرقين السوفيت العام، الأول، الذي عقد في طشقند،

صيف عام ١٩٥٧م (١٣٧٧هـ)، شأن غير قليل في توحيد جهود المستشرقين عندنا، وفي تنسيق عملهم العلمي. فقد ألقى "ب. غ. غافوروف"، مدير معهد الاستشراق، لدى أكاديمية العلوم السوفيتية، تقريرا عن حالة الاستشراق السوفيتي ومهماته. وألقيت في المؤتمر تقارير عن حالة الاستشراق ومهماته في أكبر المراكز العلمية غير الروسية في بلادنا، كأوزباكستان (تقرير س. آ. عظيم جانوفا)، وتركمانيا (تقرير غ. آ. تشاريف)، وجورجيا (تقرير غ. ف. تسيريتلي و س. س. جيكا)، وأذربيجان (تقرير آ. س. سمبات زاده) وغيرها "[١].

أما انطلاقة المؤتمر هذا، فيرجعها نجيب العقيقي إلى العام ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)، إذ يقول: "وعقدت في روسيا، في لننجغراد مؤتمرا للمستشرقين السوفيت (١٩٣٥)"[٢].

إذا أردنا مناقشة السنة التي ولدت فيها هذه المؤتمرات، فيظهر أنه كان سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)، حسب قول نجيب العقيقي، ولعل "شورباتوف" يقصد بالمؤتمر الأول في طشقند، أول دورة يعقدها المؤتمر في هذه المدينة.

ب- مؤتمرات المستشرقين الأمريكان:

المثال العملي الثاني عن المؤتمرات المحلية، هي مؤتمرات المستشرقين الأمريكان، والتي تعقدها الجمعية الشرقية الأمريكية. تعقد هذه الدورات عادة مرة كل ستة أشهر. وقد تزيد المدة عن ذلك وقد تقصر. لكنها حافظت على أنعقادها مرتين في السنة الواحدة منذ نشأتها، أما اليوم فقد بلغني أنها تنعقد مرة كل سنة.

أما اهتمامات المؤتمرات الدراسية، فقد تمحورت، عادة، حول ما يلي:

أ- ترجمات النصوص المقدسة إلى اللغات الشرقية[٣].

---

[١] غريجوري شرباتوف: الاستعراب في الاتحاد السوفيتي (١٩١٧ – ١٩٦١م) [١٣٣٥-١٣٨١هـ]، اللغة والأدب – نقله إلى العربية محمد المعصراني – تحت إشراف يفغيني بيليايف – موسكو – دار نشر المطبوعات الشرقية – ١٩٦١ – ص ٦١.

[٢] نجيب العقيقي: المستشرقون – الجزء الثالث – ص ٥٩.

[3] Proceeding of the Oriental society at its meeting in Boston - May 7th – 1890 - p. iv.

ب – الاهتمام بالآثار[١].

ج – الاهتمام بالأوضاع السياسية للشرق، ومن أمثلة ذلك العلاقات الصينية اليابانية عام ١٨٧٥م (١٢٩٢هـ)[٢].

د – الاهتمام باللهجات المحلية إلى جانب اللهجات العامية، مثل اللهجات الكردية، وكان ذلك في دورة نوفمبر للعام ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ)[٣].

هـ – الدراسات اليهودية، من ذلك مسألة إعادة المعبد في القدس[٤].

أما الحاضرون في تلك الاجتماعات، فقد كانوا مختلفين في المشارب والتوجهات والأفكار. فمنهم:

أ – المنصرون، وهم كثيرون، ويتضح أثرهم في افتخارهم بأن عددا كبيرا منهم، ولاسيما من أعضاء الجمعية، علماء بارزون في الكتاب المقدس .

ب – السياسيون، فقد كان عمل المؤتمرات هذه، مرتبطا ارتباطا كبيرا بالحكومات الأمريكية. وكان العديد من الساسة أعضاء ويداومون على الحضور.

ج – اليهود، وكان نفوذهم واضحا من خلال الدراسات المعروضة[٥] .

وكان للمؤتمرات هذه، علاقات مع العديد من الجمعيات والمؤتمرات الخارجية، ومع مؤتمرات المستشرقين العالمية، التي عقدت دورتها السابعة والعشرين في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان ذلك سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، بـ"آن آربور"[٦].

تلك كانت صورة مصغرة عن مؤتمرات المستشرقين المحلية.

---

(1) P.roceeding of the Oriental society at its meeting in New York -March-1894- p. lx.

(2) Ibid. - p. lx .

(3) P.roceeding of the Oriental society at its meeting in New Haven - Nov. 1st and 2d – 1876 – no page nomber .

(4) Proceeding of the Oriental society at its meeting at Boston – May – 1876 – p. xix

(5) Ibid. p. xix.

(6) P.roceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967.

٢ – مؤتمرات المستشرقين الإقليمية :

تتميز مؤتمرات المستشرقين الإقليمية، بأنها يقوم عليها مستشرقو الدولة التي تتبنى ذلك المؤتمر، لكن يدعى لحضور فعالياتها، والمشاركة العلمية في أعمالها باحثون من كافة أنحاء العالم، لكن بعدد محدود، أقل بكثير من الأعداد التي تشارك فعاليات مؤتمرات المستشرقين العالمية، وأكثر من الأعداد التي تحضر فعاليات مؤتمرات المستشرقين المحلية.

وتهدف هذه المؤتمرات إلى ما ترمي إليه المؤتمرات المحلية، إضافة إلى أنها تعرف بالإنجازات الاستشراقية التي بلغتها البلاد المتبنية للمؤتمر، للمستشرقين والعلماء القادمين من خارج الحدود. كما أن باحثي ذاك البلد، يتعرفون على بعض ما توصل إليه غيرهم من أصحاب المدارس الاستشراقية الأخرى، التي حضر علماؤها فعاليات هذه المؤتمرات، كما أنها مناسبة للتعريف بعلمائها المستشرقين للآخرين، وفرصة لمستشرقيها كي يحتكوا بغيرهم.

وكمثال على نوعية المؤتمرات الإقليمية، يمكن دراسة "مؤتمرات المستشرقين الفرنسيين الإقليمية"، رغم أنها لم تعمر طويلا، وقد أخبرت صيف ١٩٩٦م (١٤١٧هـ)، أن هناك محاولات لبعث الحياة فيها من جديد.

مؤتمرات المستشرقين الفرنسيين الإقليمية:

أ– نشأتها وتأسيسها: اسم المؤتمر، كما أطلقه أصحابه عليه، هو مؤتمر المستشرقين الإقليمي Congres Provincial des Orientalistes.

سنرى لاحقا أن المستشرقين الفرنسيين هم الذين كانوا وراء تأسيس مؤتمرات المستشرقين العالمية[1]، الذي انعقدت دورته الأولى في باريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، والثانية بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ). هذان المؤتمران كان لهما صدى على الصعيد الغربي عامة، والفرنسي بخاصة. ولما راق الفرنسيين هذا الأمر، سعوا على أن يكوّنوا مؤتمرات إقليمية استشراقية، يقومون

---

[1] سيرد ذلك لاحقا ص ٦٤ – ٦٧ من الرسالة وما بعدها.

عليها بأنفسهم، وتعقد في فرنسا، في مدنها المختلفة وفي مستعمراتها. جاء ذلك في خطاب الدعوة لانعقاد المؤتمر الأول: "بعد أن ثمن الإعلام النتائج الرائعة التي جنتها دورتا مؤتمرات المستشرقين العالمية، في باريس ولندن، والآمال المعقودة التي صاحبت إعلان دورة سان بترسبورغ، فإن مؤسسة "الآثيني الشرقية"، رغبت في محاولة تنظيم دورات شرقية في المقاطعة وفي المستعمرات. إنها أفضل وسيلة عملية لتشجيع الميل للدراسات المتعلقة بالشرق وتطويرها، وتهيئة منبر ودعاية جديدين، ضروريين لانتشار أعمالهم"[١].

ب - نظام المؤتمرات العام: اكتسب المستشرقون الفرنسيون خبرة أولية في بنود نظام المؤتمرات. فهم الذين بادروا إلى تكوين أول نظام عام لمؤتمرات المستشرقين العالمية[٢]. ومن هنا، انطلق المستشرقون الفرنسيون في البحث عن بنود عامة لمؤتمراتهم، واعتمدوا على نظام المؤتمرات العالمية، إضافة إلى بنود نظام مؤسسة "الآثيني الشرقية"، وخرجوا ببنود هذه المؤتمرات الإقليمية، صرح بذلك رئيس المؤسسة، "البارون تكستور دو رافيزي"، والذي كان ذاته رئيس الدورة التحضيرية من المؤتمر الإقليمي[٣].

اقترح "تكستور دو رافيزي"، في الجلسة الختامية لدورة المؤتمر الثانية، تكوين نظام قانوني موحد لجميع المؤتمرات، لكن رأيه هذا رد بقوة، فقد رئي أن مثل هذه الأنظمة الموحدة ستكون حجر عثرة في مسار المؤتمرات، ومن هنا ترك الأمر لكل مؤتمر ليحدد بنود نظامه العام، وفق ما يراه يتماشى ومساره، ورؤية القائمين على أية دورة[٤].

أما عن محور بنود الأنظمة، ففي عمومها تتعلق بأهداف المؤتمر المنعقد، وزمن انعقاده، ومساره، وجلساته العامة، والنظام المخصص للضيوف، والمساهمين من المستشرقين وحقوقهم، ومسار المؤتمر العلمي، واللجان التي

---

(1) Athenee Orientale - Congres Provincial des Orientalistes a Saint-Etienne - 1875 - Reglement - Saint-Etienne - 1875 - T1 - p. 7.

(٢) سيرد ذلك لاحقا ص ٧٦ من الرسالة وما يليها.

(3) Athenee Orientale - Congres Provincial des Orientalistes a Saint-Etienne - 1875 - Reglement - p. 11.

(4) Congres des Orientalistes de Marseille - 2eme session du Congres Provinciaux des Orientalistes - 1876 - p. 151.

سينقسم إليها، وتنظيم العلاقات بين المكتب الإداري والمستشرقين المشاركين في الدورة، والنظام المالي للمؤتمر، وكذلك مطبوعات أعمال المؤتمرات وغيرها[1].

أما إذا ألقينا نظرة على النظام العلمي العملي والثقافي للمؤتمرات، فإن الأعمال سارت عموما وفق اللجان العلمية. أما البرنامج العام فيكون عادة متنوعا[2].

وتختلف اللجان من مؤتمر لآخر، فقد تجتمع لجنة مركزية ولجنة تنظيمية معا، أو واحدة منهما فقط، وهكذا غيرهما من اللجان الإدارية.

ومع ذلك، ورغم نوع الإحكام التنظيمي، للمؤتمرات الفرنسية، إلا أن المؤتمرات توقفت بعد مؤتمر ليون ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ)، ولم أتمكن من معرفة الأسباب، لكن بعض من لاقيتهم في مكتبة المؤسسة الآسيوية في باريس، أخبروني أن اجتماعات تمت، تحاول إعادة المؤتمرات تلك، وبعثها من جديد.

---

(١) من ذلك على سبيل المثال: Congres Provincial des Orientalistes - Compte rendue de la troisieme session - Lyon - 1878 - pp. 21 - 24 .

(٢) من ذلك مثلا Congres des Orientalistes de Marseille - 2eme session du Congres Provinciaux des Orientalistes - 1876 - pp. 41- 42 .

الفصل الثاني : فكرة الدعوة إلى أنعقاد مؤتمرات عالمية للمستشرقين

المبحث الأول : الفكرة ومراحل الدعوة إليها

المبحث الثاني : أهداف مؤتمراتالمستشرقين

الفصل الثاني : فكرة الدعوة إلى انعقاد مؤتمرات المستشرقين العالمية

توطئة:

في ظروف عامة صعبة، تحولات اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية، عاشتها أوروبا، ظهرت فكرة الدعوة لانعقاد مؤتمرات عالمية للمستشرقين. ففي هذه الحقبة من التاريخ، شهدت الساحة العالمية ظاهرة المؤتمرات المتخصصة، بحيث إنه كان للأطباء مؤتمراتهم، وللفيزيائيين مؤتمراتهم، والأمر نفسه بالنسبة للرياضيين والكيميائيين، وكذلك الاجتماعيون والنفسيون، كما شهدت الحقبة مؤتمرات سياسية أيضا، وتعددت جميع تلك المؤتمرات، وتنوعت.

لكن الاستشراق، كان يعتبر علما قائما بذاته لدى المستشرقين، في حين أنه كان مجرد ميدان دراسي لدى غيرهم، وبالذات السياسيين، الذين كانوا يهتمون بالموضوعات الاستشراقية، بحسب الحاجة، ويبدو أن المساعدات التي كان يتلقاها الاستشراق جاءت أقل بكثير مما خصص لغيره من الميادين، إذ أن الحكومة الفرنسية مثلا لم يكن لها دور كبير في انعقاد مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، الذي تم بمبادرة مستشرقين فرنسيين، كما سيأتي[1] رغم حاجة السياسيين الملحة للمستشرقين في تلك الحقبة الاستعمارية.

أما أهداف مؤتمرات المستشرقين العالمية، وهو من العناصر الهامة التي تحتاج للكشف عنها، فتعد أشق عنصر في هذا المجال، وذلك لأن الأهداف غير معلنة، وإنما استنتاجية، إذ هي مخفية في أغلب الأحيان، وما يعلن منها إنما هو مثالي تماما، كالأهداف العلمية البحتة، لكن المتتبع يجد أهدافا عدة تسعى المؤتمرات لتحقيقها، سواء أكانت دينية أم سياسية أم ثقافية أم اجتماعية أم اقتصادية، وذلك بصفة مباشرة، أو عن طريق الدعاية الخفية لها. لذا، ستكون هناك محاولة للكشف عن تلك الأهداف، أو بالأحرى معضمها.

---

[1] سيرد ذلك لاحقا ص ١٣٨ وما بعدها من الرسالة.

لم تكن نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية ميسورة، إذ كانت البلدان الأوروبية تعيش تناقضات وحوادث متلاحقة، ما لبثت أن تطورت إلى الحرب العالمية الأولى. وقد انطلقت تلك المؤتمرات بمبادرة فرنسية بحتة، بل ابتدارا من مفكر وباحث استشراقي واحد، هو "ليون دو روسني"، بعد مجهودات مضنية كللت بالنجاح، تمكنت المؤتمرات على أثرها من الانعقاد.

هذه الأسباب، سيتم تناولها في هذا الفصل، وفق النقاط التالية:

- سمات المجتمع الغربي زمن انبعاث فكرة انعقاد المؤتمرات.
- أثر المدرسة الاستشراقية الفرنسية في نشأة المؤتمرات.
- استقرار الدعوة والعمل على تنفيذها.

١ – سمات المجتمع الغربي زمن انبعاث فكرة انعقاد المؤتمرات:

كانت أوروبا قد خرجت لتوها من حروب داخلية متعددة ، انتهت بهزيمة فرنسا هزيمة قاسية على يد الألمان سنة ١٨٧٠م (١٢٨٦-١٢٨٧هـ)، وخسرت الألزاس واللوران، قبل أن تنطلق جذوة الحروب ودوامتها مرة أخرى، والتي بلغت حدتها بالحرب العالمية الأولى. وبالتالي كانت الساحة السياسية تشهد تقلبات وصراعات حادة داخلية وخارجية، ولاسيما حول مناطق النفوذ، ومن ثم عرف العهد بالعصر الاستعماري. وصاحب تلك التحولات تطورات في الجوانب، ولاسيما العلمية والمعرفية، والتي توجت باختراع الآلة البخارية، التي أثرت تأثيرا كبيرا في الحياة العامة، بما فيها النواحي الاقتصادية والاجتماعية والدينية.

هذه التفاعلات العامة، التي شهدتها الساحة الغربية، زمن ظهور المؤتمرات، هي ما سيتم تحليله في هذا المبحث، من خلال دراسة السمات المميزة لتلك الفترة.

أ- سمة العصر السياسية:

تميزت حالة العصر السياسية بسمات عدة، هذه الجوانب، تبين البيئة التي نشأت فيها مؤتمرات المستشرقين العالمية، وكان لها تأثيرهام في المؤتمرات.

- أثر الثورة الفرنسية في الساحة السياسية الغربية: دخل القرن التاسع عشر التاريخ وقد ورثت أوروبا تركة الحروب العديدة التي شهدتها منذ القرن الثامن عشر. فقد عمت الفوضى جل البلدان الأوروبية، ولاسيما فرنسا، التي ظهرت فيها ثورة أثرت في المسار السياسي في أوروبا بأكملها. فقد خشيت الدول الأوروبية أن يصيبها ما أصاب فرنسا. لذا، فقد ناصبت تلك الثورة العداء، وسارع العديد منهم لمحاولة التدخل من أجل إخمادها في مهدها، ولاسيما بعد ظهور دستورها، ومبادئها لحقوق الإنسان، ثم إعلان الجمهورية. لذا، قامت معارك بين فرنسا من جهة، وكل من روسيا وبروسيا وإيطاليا وبريطانيا وأسبانيا وبولندا وبلجيكا والنمسا وألمانيا وغيرها[1]، من جهة أخرى، وقد تتحالف بعضها ضدها، وقد تقوم الحروب بينها وبين واحدة منها منفردة.

إلا أن الثورة الفرنسية لاقت قبولا لدى العديد من الأوروبيين، وبرز دعاة لها، وللسير على منوالها. وصاحب هذه الثورة ظهور فلسفات سياسية عدة، عمقتها الديالكتيكية الجدلية، التي ترى أن "الأفكار المتحركة توجد في الواقع وتخلقه، وتدفع بالكائن دوما ليتجاوز باستمرار وضع وجوده"[2]. إلا أن بعض دعاتها راح ينادي بأن البروتستانتية هي الدولة المثلى لذلك[3].

---

(1) يمكن الاطلاع أكثر في الموضوع لدى: فيشر هـ. أ. ل. - تاريخ أوروبا في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٠٥م) [١٢٠٣- ١٣٢٣هـ] تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع - مصر - دار المعارف - الطبعة السابعة - ١٩٧٦م - ص ١٤ وما يليها.

(2) روبير شنيرب: تاريخ الحضارات العام: القرن التاسع عشر - إشراف موريس كروزيي - نقله للعربية يوسف أسعد داغر وفريد داغر-بيروت-منشورات عويدات-الطبعة الثانية ١٩٨٧م- المجلد السادس - ص ٧٨.

(3) المرجع نفسه ص ٧٨.

- حمى الروح الاستعمارية: نظرا للحروب الداخلية، والحاجات الأوروبية المتنوعة، واستقلال الدول الأمريكية، والتطور الصناعي العام الذي شهدته أوروبا، جعلتها تفكر في مستعمرات أخرى، وولت وجهها شطر الشرق عموما، والشرق الأوسط بصفة خاصة. وبالتالي، انطلق الاستعمار من تحقيق مصالح عامة، ولاسيما الاقتصادية منها والسياسية، ليصبح عقيدة سياسية غربية، إذ "سيطرت هذه السياسة واعتمدت أساسا واتخذت قاعدة"[1]، لدرجة أنهم رأوا أن "الاستعمار إحدى ضرورات الحياة العصرية"[2]. وكانت المصلحة هي الدافع وراء قيام تلك الحملات المسعورة، "إن المقياس الوحيد الواجب اعتماده في كل مشروع استعماري هو درجة إفادته ومجموع العائدات التي يدرها للوطن الأم"[3]. وقيل: "حيث تكون المصلحة يجب أن تكون السيطرة"[4]. وما إن حل القرن العشرون، حتى كانت السيطرة الأوروبية تبسط ظلها على جل أنحاء العالم، "وساد الرأي القائل بأن التخلي عن المستعمرات عاقبته الانحطاط"[5]. وقيل: "لا تتخلوا أبدا عن رأس دبوس يحق لكم الاحتفاظ به، وتعتقدون أن باستطاعتكم الاحتفاظ به"[6]. بل إن الروح تلك استشرت حتى عند العلماء، فقد قرر بعض علماء الاجتماع أن على الدول الصغيرة أن تعمل لصالح الدول الكبرى التي جاءت على أساس إمبراطورية كونية[7]، ورآها آخر بأنها مرحلة ضرورية في حركة تطوير أي جهاز عضوي سليم[8]. تلك هي بعض المفاهيم العامة التي يقوم عليها الاستعمار.

---

(1) روبير شنيرب: تاريخ الحضارات العام ... – م٦ – ص ١١٩.

(2) المرجع نفسه – م٦ – ص ٢١٢.

(3) المرجع نفسه – م٦ – ص ٢١٥.

(4) المرجع نفسه – م٦ – ص ٢١٩.

(5) المرجع نفسه – م٦ – ص ٢١٤.

(6) المرجع نفسه – م٦ – ص ٢١٤.

(7) المرجع نفسه – م٦ – ص ٥٦٢.

(8) المرجع نفسه – م٦ – ص ٥٦٢

انتشار الروح القومية في أوروبا: من مميزات هذا العصر أيضا، ومن إفرازات القرن التاسع عشر، بروز الروح القومية والوطنية الأوروبية، التي قسمت أوروبا إلى شعوب ودويلات متنافرة ومتناحرة، نهضت على أساس وطني قومي. واتسم العصر كذلك بتمجيد القومية، وكانت الظروف المطبوعة على الساحة الغربية، يدعو لتقوية الشعور القومي بين أفراد الشعب الواحد. وبالتالي ظهرت معركة صراع الأعراق، وانطلقت الأبحاث حول نوعية هذا الجنس.

ومن الذين استفادوا من التوجه العرقي والقومي، الصهاينة، الذين استغلوا العنصر اليهودي، معتمدين على الروح التحررية البرجوازية. فقد تمكنت عائلات يهودية عدة، من الاستفادة من التطورات الحديثة، فأثرت ثراء فاحشا، وبالتالي سيطرت على جل الشعوب، مستفيدة أيضا من تماسكها العرقي اليهودي وعاداتها وتقاليدها. هذا الأمر ألب عليها القلوب، باعتبار عدم أهليتهم وكفاءاتهم العملية، فظهر رد الفعل المتمثل في التمييز ضدهم في جل دول أوروبا. ومن ثم، انطلقت ظاهرة معاداة السامية من ناحية، والدعوة لتكوين وطن قومي لليهود من ناحية أخرى[١]، انطلاقا من عام ١٨٦٢م (١٢٧٨هـ).

– سمات إجمالية أخرى: من سمات هذه الفترة الزمنية أيضا، ظهور عصر الدساتير، والقوانين، وبروز الجمهوريات والبرلمانات. وشهدت ظاهرة انتشار المؤتمرات السياسية وتعددها، ومن أهمها مؤتمرات فيينا وفيرونا وميونخ، التي كانت تهدف إلى توطيد أسس الوئام بين الملوك الأوروبيين[٢].

كما أن ظاهرة الاعتماد على البوليس وقمع الثورات الداخلية عن طريقه، ميزت هذا العصر أيضا، وأشهرها ثورة باريس سنة ١٨٧٠م (١٢٨٧هـ)، بعد خروجها مهزومة من الحرب مع ألمانيا، وفيها قتل البوليس آلاف الثائرين بباريس[٣].

---

(١) المرجع السابق – م٦ – ص ٥٦٧ – ٥٦٨.

(٢) المرجع نفسه – م٦ – ص ٨١.

(٣) المرجع نفسه – م٦ – ص ٧٨.

وأمام تزايد الفروق بين أصحاب رؤوس الأموال والمستخدمين العمال، وتعمقها، برزت إلى الساحة ظاهرة النقابات والوجه الثوري العمالي، التي انطلقت من ألمانيا، ثم تغلغلت في سائر بلدان أوروبا، وبالتالي انتشرت ظاهرة الإضرابات واستشرت في الكيان الأوروبي، وبلغت أوجها في سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، الذي سمي عام الإضرابات والاعتصامات، ولم تهدأ تلك التحركات إلا في سنة ١٨٧٥م (١٢٩٢هـ)[١].

تميزت الساحة أيضا بظهور الحركات الاشتراكية، التي أزكاها "كارل ماركس" بكتابه "رأس المال"، والتي ثبتت أقدامها، رغم محاولات جميع الساسة وذوي النفوذ إخمادها في مهدها، وذلك لتماسكها واستغلالها لظروف العمال والمزارعين المزرية[٢].

تلك هي أهم سمات المجتمع الغربي السياسية، في الفترة التي نشأت فيها المؤتمرات.

ب – سمة العصر المعرفية:

تميزت حالة العصر المعرفية بخصائص علمية، تتمثل في النكسة التي لاقتها الفلسفة، مقابل التطور العام في العلوم المادية والطبيعية والإنسانية والاجتماعية، وظهور مذاهب عدة في الأدب والفن.

– نكسة الفلسفة: عرف القرن الثامن عشر بأنه عصر الفلسفة. لكن بداية القرن التاسع عشر، شهدت صراعا عقليا وفكريا عميقا، كان المستفيد الرئيس منه العلم، الذي أعطى الكلمة الفاصلة في جميع الميادين، وبالتالي شهد العصر الانفصال التام بين العلم والفلسفة، ابتداء من الرياضيات، وانتهاء بخروج العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومن هنا فقدت الفلسفة هيمنتها المطلقة على المعرفة، وظهر التشكيك في إمكان بقائها ودوامها. لكنها احتفظت بموضوعات لم يكن من

---

[١] المرجع السابق – م٦ – ص ٢٨٩.

[٢] المرجع نفسه – م٦ – ص ٢٩١.

الممكن إخراجها منها، مثل الأخلاق والبحوث المثالية، كما احتوت موضوعات جديدة، قوت من موقفها وإمكانات دوام بقائها، مثل الإبستيمولوجيا[1]، ونقد العلوم في حقيقتها وأهدافها وأخلاقها.

إلى جانب ذلك، شهد العصر قدرا من الفلسفة المادية، إلى جانب الفلسفة المثالية، وقام تنافس كبير بينهما. وكانت الغلبة تميل لصالح الفلسفة المثالية، لاعتبارات شعبية وفكرية، ولأن "الغصر لم يكن عصر فلسفة، فإن قادة المفكرين آثروا أن يقصروا أنفسهم على ميدان العلم، ولم يبذلوا إلا القليل من الجهد في النظر إلى الصلة بين الكشوف العلمية الجديدة والفلسفة، وهم إن خاضوا في الفلسفة لم يظفروا منها بنجاح قليل"[2]. بل إن الأمر ذهب بالعلماء لعدم التعمق في الفلسفة "إلى حد أن عددا قليلا من رجال العلم في نهاية القرن التاسع عشر، كانوا يفهمون مؤلفات الفلاسفة المعاصرين لهم، وكثير منهم نظر إلى الفلاسفة بشيء من الازدراء[3]. فصعوبة الفلسفة وتشعب مفاهيمها، ساهم في انحسارها.

- تطور العلوم: شهد العصر انطلاقة تطور العلوم التجريبية، معتمدة على التطور الذي حققته الرياضيات، والتي ظلت في تطور متصاعد.

نشطت الفيزياء، فأمكن قياس سرعة الضوء، واخترع علم الكهرباء المغناطيسي. كما درست الحرارة، وجاءت نظرية الديناميكا الحرارية، وعلى غرارها نشأت الميكانيكا التطبيقية. وطرحت مسألة الطاقة والقوة الحرارية، وتوج الجهد بصناعة التبريد.

وشهدت الكيمياء تطورا مطردا، إذ كشف النقاب عن الكيمياء المعدنية، والكيمياء العضوية، والتفاعلات الكيميائية والكهربائية. كما أمكن تحليل المادة

---

(1) الإبستيمولوجيا Epistemology ، دراسة نقدية لمبادئ العلوم المختلفة وفروضها ونتائجها، وتهدف إلى تحديد أصلها المنطقي وقيمتها المعرفية. وهي أحد فروع الفلسفة الذي يبحث في أصل المعرفة وتكوينها ومناهجها وصحتها. المعجم الفلسفي – القاهرة – مجمع اللغة العربية – ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م – ص ١ .

(2) هامرتن، السر جون أ.: تاريخ العالم – أشرف على ترجمته إدارة الثقافة بوزارة التعليم العالي – مصر – مكتبة النهضة المصرية – ص ٨٢٢ .

(3) المرجع نفسه – ص ٧١٦.

العضوية إلى عناصرها، وتحقق تركيب الأسيتيلان[1] سنة ١٨٦٣م (١٢٧٩هـ)، من خلال عناصره، مما أحدث ثورة في علم الكيمياء، ثم تم تركيب البنزين والنفتالين والشحوم، فقام علم حراري كيميائي، إلى جانب علم القوة الحرارية، كما ظهر علم المتفجرات، و"الأوزون" الصناعي، ووسائل تعقيم المياه... وهكذا واصل العلم مساره[2].

أما العلوم الطبيعية الحياتية، فقد شهدت أبحاثا ومجادلات عميقة. وتميز القرن بطرح قضية النشوء والارتقاء والتطور كمسلمة علمية، بعد أن ظلت مجرد فكرة في القرن الثامن عشر، وأحدثت هذه النظرية جدلا عميقا، ولاسيما في موضوع الإنسان. لكن ما لبث جل المثقفون أن اعتنقوها أو سلموا بها[3].

وساعدت العلوم الحياتية على إحداث تطورات في العلوم الطبية أيضا، ولاسيما الجراحة. فقد تمكن الطب من معرفة جسم الإنسان والعوامل المرضية التي تهاجمه، فساعدت بقوة على تخفيف الألم، وبعث الآمال المتزايدة . فقد عانت أوروبا من شتى الأوبئة والطاعون. كما أن المعارك الحربية المنتشرة في أوروبا، التي شهدها القرن التاسع عشر، كان له دور كبير في تطوير علم الطب، ولاسيما الجراحة، ولذا قيل: "إن الجراحة مدينة بنجاحاتها لساحات المعركة في الدرجة الأولى"[4].

وقطع علم الأمراض العضوية شوطا كبيرا في معرفة الأعراض المرضية العضوية. كما شجعت معرفة هضم الشحوم ووظائف الكبد السكرية، المزيد من النجاحات التي أدت إلى كشف الإفرازات الداخلية، كما تطور علم دراسة الغدد، وتم الكشف عن كيفية حدوث التعفن والتخمر، وبالتالي اكتشاف فاعلية الجراثيم،

---

(١) الأسيتيلان، غاز لا لون له، وذو رائحة خاصة به تميزه. ينتج عن التفاعل بين الماء وكربيد (كربون) الكالسيوم، أو بأكسدة جزئية للغاز الطبيعي. يستخدم في قطع المعادن ولحمها، مثل الألمنيوم، كما يستخدم في التركيبات العضوية.

Collins Modern Encyclopedia – WILLIAM collins Son & Co. LTD – Glasgow and London – 1969 – p. 13.

(٢) هامرتن، السر جون أ. : تاريخ العالم – أشرف على ترجمته إدارة الثقافة بوزارة التعليم العالي – مصر – مكتبة النهضة المصرية – ص ٣٣ وص ١٣٤.

(٣) المرجع السابق – ص ٨٢٨.

(٤) المرجع السابق – ص ٣٢٥.

واكتشف دواء الجدري، ودواء الكلب وبكتيريا دودة القز، وجرثومة السل، وغيرهم. كما انتشرت الأمراض الجنسية انتشارا بالغا، واستعصت على الطب طويلا، فلم تكتشف جرثومة السيلان الأبيض إلا في سنة ١٨٧٩م (١٢٩٦هـ)، والزهري سنة ١٩٠٦م (١٣٢٤هـ). كما تطور علم طب النساء، والأمراض العصبية والعقلية، واكتشف "الكلوروفورم" المنوم المخدر، الذي كان له أثره الكبير المساعد في إجراء العمليات الجراحية بأمان[١]. وهكذا يعد تطور الطب أهم منجزات القرن التاسع عشر.

– المعرفة التاريخية والاجتماعية والجغرافية: ظهرت الحاجة إلى تفسير الأحداث تفسيرا دقيقا، بنجاعة أكبر. فحدث في الوقت نفسه تعمق في البحث وتوسع في الحقل التاريخي، ورئي أن التاريخ ليس مجرد فن، بل علم بحث، في حين رأى آخرون أنه فن وعلم سواء بسواء[٢]. تجرأ التاريخ على معالجة مسألة الأصول الدينية، إذ إنه طبق في معالجة التوراة الطرائق نفسها التي استخدمها في كشف حقيقة نشأة روما، أو المسألة الهوميروسية[٣]. أما أثر العامل الاقتصادي في التاريخ، فلم يظهر إلا ببطء، لكنه شاع وانتشر في أبحاث نهاية القرن، ولاسيما بعد ظهور الماركسية[٤].

وفيما كان التاريخ يبحث في ماضي الإنسان، جاء علم الاجتماع يبحث في نهجه وأسلوبه، ويكشف العلاقات الموجودة بين الأحداث الاجتماعية التي كانت تبدو مستقلة بعضها عن بعض، وبالتالي أصبح اطراد القانون في الظواهر الاجتماعية حقيقة مسلما بها لدى الاجتماعيين. وتناول هذا العلم منهج صراع الطبقات، وهناك المذهب التطوري، الذي يكون نتيجة تكيف المجتمعات تدريجيا

---

[١] ربير شنيرب – تاريخ الحضارات العام ... – م٦ – ص ١٣٥-١٣٩.

[٢] المرجع السابق – م٦ – ص ١٣٩.

[٣] المرجع السابق – م٦ – ص ١٣٩.

[٤] المرجع السابق – م٦ – ص ١٤٠.

على البيئة، كما ظهر تفسير الأسطورة، ووضعت الشروط التي قد تتيح لعالم الاجتماع القيام بعمل علمي دقيق وحقيقي[١].

أما الجغرافيا، فنشطت أيضا في القرن التاسع عشر، سواء في رسم الخرائط الدقيقة، نظرا لما وفرته التقنية العصرية من أساليب دقيقة القياس، سواء في البحر أو في البر، إذ كانت هناك مجاهيل بحرية وبرية لم يتم اكتشافها ومعرفتها[٢]. وتم الكشف عن جل أنحاء الكرة الأرضية ومعرفتها، لدرجة أنه تم قياس الأرض وكذلك وزنها، وظهرت النظريات حول قشرة الأرض والكشف عن خبايا التيارات الهوائية الكبرى، وأنواع الطقس المختلفة[٣].

– الأدب والفن: شهد الأدب تحولات في مساره على غرار ما شهدته العلوم المختلفة. فلقد تواصل انتشار الأدب الرومنطيقي، واتسم به القرن التاسع عشر أيضا، وتجدد بظهور أدب وطني قومي، معتمد على الأحلام والخيالات والحماس الوطني. وظهرت فيه محاولة الهروب من الواقع المعاش، والإشاحة عنه والتحليق بعيدا عنه، بل مقته أحيانا، وفي المقابل أظهر التعلق بالأرض، مع ربط الماضي بالحاضر[٤].

كما حاولت مذاهب أدبية أخرى شق طريقها بقوة، وسط هذه الروح المرتبطة بالموضوعات الرومنطيقية، التي تعرضت، مع رواجها، لروح عدائية[٥]. فظهرت المدرسة الواقعية، وانتشرت في البلدان التي سيطرت فيها الثورة الصناعية، وحاولت إلغاء الخيال والتخيل واعتماد العيش مع الواقع، مهما كان، بغثه وسمينه، سواء الهيئات السامية فيه أو المشاهد القذرة والخليعة، وكل شيء يمكن أن يكون موضوعا أدبيا. ولا حرج عندها من استخدام اللفظ المبتذل للتعبير عن السامي الجزل[٦].

---

(١) عند ربير شنيرب – تاريخ الحضارات العام ... – م٦ – ص ١٤٠.

(٢) المرجع نفسه – ص ١٤٥.

(٣) المرجع السابق – م٦ – ص ٢٥٧.

(٤) المرجع السابق – م٦ – ص ٢٥٧.

(٥) المرجع السابق – م٦ – ص ٢٥٨.

(٦) المرجع السابق – م٦ – ص ٢٥٧ – ٢٥٩.

ومن المدارس الأخرى التي لاقت رواجا كذلك في القرن التاسع عشر، المدرسة الانطباعية، وهي مدرسة فنية، أكثر منها أدبية، وترى أن من بين الأمور المستمدة من حياة العصر، أشياء طيبة يمكن إبرازها. وبالتالي، فالشيء الماثل على الصورة، هو ذاته في كل الأحوال، إذ إنه لا يتغير ولا يتبدل في ذاته. وهذا كان في أساسه طابعا يابانيا، لقي رواجا في فرنسا[1].

كما ظهرت مدارس أخرى، لم تبلغ مبلغ المذكورة أعلاه، مثل المدرسة الطبيعية، والمدرسة الرمزية، التي راجت بصفة خاصة، في القرن العشرين.

تلك كانت سمة المعارف الفلسفية والعلمية والأدبية والفنية في القرن التاسع عشر، الذي شهد انعقاد أول مؤتمر عالمي للمستشرقين.

ج- سمة العصر الاقتصادية:

كثيرا ما يقيس الغرب العلاقة بين تزايد السكان والاقتصاد العام، وقد لاحظ أن عدد السكان ارتفع بنسبة عالية. ففيما كان عدد السكان حوالي ستمائة مليون حوالي ١٧٠٠م (١١١١هـ)، تجاوز سنة ١٨٥٠م (١٢٦٦هـ) مائتين وألف مليون نسمة. وهو ما يعادل الضعف، وكان معدل الوفيات مرتفعا جدا كذلك، بحيث إن من يتجاوزون الستين سنة، لا يتعدون نسبة سبعة بالمائة، ولا يتراوح متوسط عمر الإنسان إلا ما بين عشرين واثنتين وعشرين سنة فقط، إضافة إلى أن الكوارث والأوبئة والأجدبة الأرضية كانت تودي بحياة العديدين[2]. وظلت الشؤون الاقتصادية هاجس المجتمع الغربي، حتى ساهم التطور العلمي في قيام ثورة صناعية عميقة، كان لها آثارها على السمات الاقتصادية الدولية والشعبية.

لم تكن الفلاحة تفي بالحاجة الشعبية رغم تقدم الكشوف العلمية، بسبب تأخر المخترعات التي تنميها، كما أن المحاصيل الإنتاجية كانت تتطلب تدخل الحكومات المباشر، سواء أكان الإنتاج وفيرا أم شحيحا. بل إن الثورة الفرنسية سنة ١٨٤٨م (١٣٦٧هـ)، كان وراءها الجفاف الذي ضرب أوروبا وفتك

---

(١) المرجع السابق – م٦ – ص ٢٦١ – ٢٦٢.

(٢) المرجع السابق – م٦ – ص ١١ – ١٢.

بالمحاصيل، كمؤثر هام جدا[1]. ومن هنا، انطلقت أوروبا تبحث عن طرق وأساليب لتنمية فلاحتها، فابتدرت مزروعات جديدة، جلبتها من الشرق، وقامت بعمليات تهجين للأنعام، والبحث عن أساليب أخرى لرفع مستوى إنتاج الحبوب والكشف عن أسمدة جديدة، ودخلت الآلات البخارية في الاستخدام الفلاحي والغذائي...وهكذا[2].

أما الصناعة، فقد تطورت تطورا فعالا، باكتشاف الآلة البخارية. وأسهمت القاطرة المخترعة حديثا في تيسير نقل البضائع والمواد الخام بيسر. وأدخلت تحسينات على صناعة الكتب والجرائد والصور، وانتشر فن صب حروف الطباعة، مما أدى إلى تطور المطبعة، واستخدمت فيها الآلات البخارية، وظهرت الآلات الكتابية، وآلات تسجيل الأصوات ...

وأهم صناعة تميز بها آخر القرن التاسع عشر، فهي الآلات الحربية، إذ إن المعارك والمنافسات والصراعات العرقية والوطنية، قد دفعت إلى تسابق نحو التسلح. ومن هنا ارتفع الإقبال على صناعة التسلح وترويج إنتاجها وبيعه، ولاسيما أن الطلب عليه كبير والربح منه وفير.

أما النقل والمواصلات، فبعد تحسين السيارة، توج العمل بظهور القاطرة، ومن هنا ازدادت العناية بالطرقات وازدهرت حركة النقل عن طريق السيارة البخارية، وتوسع مد سكك الحديد في جل البلدان، وأحدثت ثورة كبيرة في النقل والمواصلات. كما دخلت السفن ميدان العمل البخاري، وتطورت آلات تسييرها، كما تحسنت شؤون حمايتها ودفاعاتها، واستخدمت في عمليات الشحن والتجارة ونقل البريد، الذي شهد بدوره تطورا عميقا في وسائله وأساليبه، ولاسيما بعد اكتشاف التلغراف والهاتف.

نتج عن هذا التوسع الاقتصادي والتطور الصناعي توسع التجارة، التي اتخذت اتجاهين متباينين، أحدهما بين الدول المصنعة، نتيجة عدم القدرة على الاكتفاء الذاتي، ثم التجارة خارج أوروبا، بحيث طلبت أوروبا الخامات الزراعية والصناعية، بغية تحويلها بنفسها، من جهة، وتزويد الدول النامية الجديدة

---

[1] المرجع نفسه – م٦ – ص ١٧.

[2] المرجع السابق – م٦ – ص ١٧٧.

بالمصنوعات[1]. هذا التوسع التجاري، أدى هو أيضا إلى الارتفاع في إنتاج المعادن الثمينة، وظهرت الأسواق المصرفية والمالية، فكان العصر، إضافة إلى كونه عصر الفحم الحجري والحديد، عصر الذهب والفضة أيضا، ثم استحدثت الأوراق المالية.

أما النتيجة الهامة لهذا النظام التصنيعي، فهي ظهور الرأسمالية الغربية، وسيطرة النظام الرأسمالي على جميع شؤون البلد، ليس في الجانب الاقتصادي فقط، بل ولج حتى القرارات السياسية أيضا. وكان له نتائجه السلبية كذلك، إذ انقسم المجتمع إلى طبقتين اثنتين، هما طبقة الملاك وأصحاب رأس المال، التي بيدها مقاليد كل شيء، وطبقة العمال والمزارعين والصناعيين، التي اصطلح على تسميتها بروليتاريا، تعيش عيشة تقشف[2].

وهكذا فرضت الآلة سيطرتها على المجتمع فرضا واقعيا، بما لها من قدرة وطاقة إنتاجية، وأثرت في العلاقات الاجتماعية بين أطراف المجتمع المختلفة، وأضحى التصنيع هو الأداة المؤثرة بقوة في معالم الحضارة الغربية، وفاقت قصد بانيها، وهيمنت المادية الاقتصادية على مرافق العصر.

د – سمة العصر الدينية:

شهدت الحياة الدينية في العالم الغربي أحداث وتطورات، أثرت في أصولها ومسارها. وهذا ما سيتم بيانه باختصار فيما يلي.

– النصرانية: أثرت الأحداث الدائرة على الساحة الغربية على الكنيسة والنصرانية. ودخلت الكنيسة دوامة الصراعات السياسية والاجتماعية، بل الحربية أحيانا. وتعمق الشعور المعادي للكنيسة، إضافة إلى هيمنة النظرة الرومانسية على الساحة والوجدان العام، الذي اهتم بالقيم الجمالية والخيالية، مما

---

[1] المرجع السابق – م٦ – ص ٢٠٤.

[2] المرجع نفسه – م٦ – ص ٢٨٦ – ٢٨٩.

عمق النظرة المادية للحياة والتمتع بملذاتها. واستنفرت الكنيسة قواها محاولة منها للمحافظة على الشعور الديني قدر المستطاع داخل المجتمع الغربـــي، وبنشـــر النصرانية خارجه.

أما الساسة، فقد تعاملوا مع الكنيسة بحسب الطرق التي تخول لهم الحصـــول على مكاسب سياسية، لكن الأصوات التي تفاقمت تدعو لنبذ سلطة البابا، كـــانت تجبر الساسة على أتباعها أحيانا، مما جعل الكرسي البابوي يصر على تحريـــم المذاهب الفلسفية والجمعيات السرية، وينتقد الحكام ويصمهم بالفتور الديني[١].

إلا أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، فقد أدى انتشار إعلان كـــون العلمانيـــة أساس القوانين، وأن لكل دولة أحقيتها في أن تتصرف في شؤونها الدينية، إلـــى قيام ما يشبه العداء للكنيسة، أو الحد من سلطتها، حتى إن فرنســـا مثـــلا ألغـــت العشور الكنسية، وصادرت أملاكها وأملاك جل الطوائف الكنسية، وتدخلت فـــي شؤون النظام الكنسي، وهي إجراءات استنكرها البابا لأنه لم يؤخذ رأيه فيها[٢].

أما المجتمعات، فقد كثرت فيها الجمعيات والطوائـــف الدينيـــة، وارتفعـــت الأصوات التي تدعو إلى التحرر الكنسي، ودعت فـــرق للعـــودة للكاثوليكيـــة، وأخرى تدعو إلى مناهضة الكنيسة، بينما أسفرت طائفة عن عدائها للكنيسة. لـــذا عجزت الكنيسة عن الصمود في وجه المطالبين بالحرية، ولم تقدر بالتالي علـــى المحافظة على نهجها[٣].

أما من جانب الاقتصاد الكنسي، فقد تمكنت الكنيسة من توفير طاقات ماليـــة جبارة، قصدت إنفاقها على أعمالها، ولاسيما التنصير الخارجي، وكانت عمليـــات جمع التبرعات، من أهم الموارد التي تعتمدها[٤]. أما الكنيسة، فقد كان لها قســـط مالي دائم، تفرضه على العمال فيدفعونه لها، ويبلغ عادة عشر ما يكسبونه.

أما شأن التنصير ونشر الديانة النصرانية خارج أوروبا، فقد شهد تسابقا بيـــن الكاثوليك من جهة، والبروتستانت من جهة أخرى. وكلهم كان يعتقد أن الحملـــة

---

(١) المرجع السابق – م٦ – ص ٧٩.

(٢) المرجع السابق – ص ١٨–٢٠.

(٣) المرجع السابق – م٦ – ص ٨٩.

(٤) روبير شنيرب: تاريخ الحضارات ... – م٦ – ص١٤٨.

الصليبية لم تنته بعد ولم تتوقف[1]. وساهمت الجمعيات الكنسية في محاولة إنجاح هذا المسار، وتضاعف عدد الأفراد والجمعيات التنصيرية[2]. واتخذت من الخدمات الإنسانية غطاء للقيام بمهامهم التنصيرية، وأهم تلك الخدمات التعليم، ومكافحة الأمراض، ففتحت مدارس ومستوصفات ومستشفيات وملاجئ للأطفال ودورا للأيتام [3]، مقابل ذلك هاجموا موروثات الأمم المحتلة وقيمها ودياناتها[4].

إلا أن النتائج لم تكن بالقدر الذي سخرت له الطاقات، ولاسيما في الشرق المسلم، وأقروا "بأن الإسلام قد صمد في كل مكان، لا بل حقق نجاحات ذات قيمة في إفريقيا، وربما في آسيا، دونها نجاحات النصرانية"[5].

- اليهودية: لحق الضعف والخلاف والاختلافات والمجادلات الديانة اليهودية أيضا. فقد تعرضت هي أيضا لهزات عديدة، سببتها الحركة الإصلاحية، التي وجهت انتقادات كبرى وأساسية للتلمود. كما أصيب الولاء للغة العبرية بالترهل، لما أصاب هذه المجتمعات من انحطاط في الغرب[6]. وابتدأت حركة تحرير اليهود، مع فكرة المساواة التي برزت على الساحة الأوروبية، واستغلت الغزو الرأسمالي أيما استغلال لصالحها. أما في البلدان الشرقية من القارة الأوروبية، فقد تعمقت معاداة اليهودية، ساهم في إذكائها سطوة أقلياتهم التي كانت قوية النفوذ هناك[7].

من مظاهر الفترة كذلك تعاظم قوة الماسونية، التي لم يكن بعد توضح الدور الذي تقوم به، رغم تعاظم أعداد محافلها وتكاثرها، وضمت في صفوفها الملوك والأمراء البروتستانت وموظفي الحكومات الكاثوليكية[8].

---

(١) المرجع السابق – م٦ – ص ١٤٨.

(٢) المرجع السابق – م٦ – ص ١٤٩ – ١٥٠.

(٣) المرجع السابق – م٦ – ص ١٥٠.

(٤) المرجع نفسه – م٦ – ص ١٥٠.

(٥) المرجع السابق – م٦ – ص ١٥٠.

(٦) المرجع السابق – م٦ – ص ٢٧٧.

(٧) المرجع السابق – م٦ – ص ٢٧٧.

(٨) المرجع السابق – م٦ – ص ٢٨٢.

تلك كانت صورة إجمالية للأوضاع الدينية زمن انعقاد مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، وبها اتضحت معالم الصورة العامة للمجتمعات الغربية، سياسيا ومعرفيا واقتصاديا ودينيا، تلك المعالم التي نشأت فيها المؤتمرات وشبت وترعرعت.

٢ - أثر المدرسة الاستشراقية الفرنسية في نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية:

انطلقت فكرة تكوين مؤتمرات عالمية للمستشرقين من فرنسا. وكان المستشرقون الفرنسيون هم أول من تبنى هذه الفكرة، وسعوا لتحقيقها، ورائدهم في ذلك المستشرق "ليون دو روسني" صاحب انطلاق الفكرة لأول مرة. فكان أن استشار هؤلاء المستشرقون زملاءهم في جل الدول الأوروبية، وبالتالي عملوا على تحقيقها على أرض الواقع.

ومن هنا، بقيت فرنسا تفخر بمبادرتها تلك، حتى أن أحد هؤلاء المبارين "جوليان دوشاتو Julien Duchateau" كتب كتيبا بعنوان "Une creation scientifique francaise: Le Premier Congres International des Orientalistes، مؤتمر المستشرقين العالمي الأول: إنتاج علمي فرنسي"[١]. وظل الفرنسيون يعتزون بهذه المبادرة، ويرون أنفسهم الساهرين عليها ومراقبتها، حتى إنه حصلت بينهم وبين الإنجليز مواجهات كلامية في المؤتمر التاسع الذي انعقد في لندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)[٢].

ولبيان حقيقة المبادرة هذه، وأهمية المدرسة الفرنسية في نشأة المؤتمرات، يمكن تناولها في الموضع هذا من جانبين: دور المدرسة الفرنسية في هذه النشأة،

---

(1) Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise: Le Premier Congres International des Orientalistes - Paris - Dentu Librairie - Mai 1874.

(٢) سيأتي ذلك لاحقا ص٣٣٣ - ٣٣٤ من الرسالة.

وأضواء على صاحب الفكرة وباعثها والمشرف على أنجاحها، المستشرق "ليون دو روسني".

أ – دور المدرسة الفرنسية في نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية:

لا خلاف بين المستشرقين والوسط العلمي، بأن نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية، ارتبطت بمبادرة فرنسية صرفة، طرح فكرتها أساسا مستشرق واحد هو "ليون دو روسني"، وعرضها على أقطاب الدراسات الاستشراقية في بلده، فقوبلت بالترحاب، وأيدهم مستشرقون من كافة أنحاء العالم.

هذه البادرة، اعتز بها المستشرقون الفرنسيون، ونوهوا بها. وقد تم ذكر كتاب "دو شاتو"، الذي أراد أن ينص على فرنسية المبادرة والانطلاقة. ومما قال فيه: "إن مؤتمر المستشرقين الذي أقيم للمرة الأولى بباريس، من الأول حتى الحادي عشر من سبتمبر الماضي، يدين بالفضل في نشأته أيضا لمبادرة فرنسية صرفة، ولتفاني بعض الرجالات المثقفين... ودون التأكد من الرعاية العليا للحكومة"[1].

هذا التوجه نحاه أيضا "أ. لوفابر A. Lefebre" متحدثا عن خصائص مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، فذكر أن أولاها تتمثل في "إنه إنتاج فرنسي ونشأ بمبادرة خاصة، تكاملت بكل حرية فكر، بمؤازرة عدد كبير من العلماء الجديرين بهذا المسمى، ومن أصحاب القلم، جاؤوا من كافة أنحاء العالم"[2]. بل إنه غالى في موضع آخر، بحيث أكد أن انعقاد المؤتمر في فرنسا إنما هو أمر حتمي، إذ قال: "إنه لمن الطبيعي أن تنشأ فكرة مؤتمر عالمي للمستشرقين بفرنسا، وهذا ما قد حصل فعلا. لقد انعقد المؤتمر بباريس، وقد نجح نجاحا باهرا!"[3].

أما "لوسيان آدام Lucien Adams"، فعند حديثه عن المؤتمر، يربط بينه وبين مؤسسه الأول، فيقول: "بتقديمي عرضا مفصلا عن أعمال مؤتمر

---

(1) Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise ... p. 4.

(2) Lefebre, A.: Le premier Congres International des Orientalistes - Extrait de la Philosophie Positive – Novembre - Decembre - 1873 – p18.

(3) Ibid. pp. 2 - 3.

المستشرقين العالمي الأول هذا، الذي يعود الفضل فيه لإخلاص وتفاني عضو من أعضائنا المندوبين، وأعينه باسمه، إنه "ليون دو روسني"..."[١].

كما كان للصحافة لها دور في إبراز الأثر الفرنسي في نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية. فالمجلة الرسمية للحكومة الفرنسية Journal de la Republique Francaise ، أعلنت بتاريخ الثاني عشر من أكتوبر ١٨٧٣م (الحادي والعشرين من شعبان ١٢٩٠هـ)، الآتي "لقد تأسست إذن مؤتمرات المستشرقين، وكان ذلك في فرنسا، فرنسا هذه، رغم بؤسها، لم تفتأ إلا أن تكون واحدة من المراكز الثقافية النشطة جدا، والأكثر إنتاجا، التي ينعكس شعاعها بأسرع ما يمكن في أنحاء العالم"[٢]. أما جريدة الوطن Patrie، فربطت في الرابع عشر من سبتمبر ١٨٧٣م (الثاني والعشرين من رجب ١٢٩٠هـ)، نجاح المؤتمر في فرنسا، بفرنسا كبلد لا كحكومة، لأن الحكومة لم تكن مساهمتها فعالة لإنجاح المؤتمر فقالت: "من الآن فصاعدا، لا يمكن أن نقول إنه لن ينجح شيء في فرنسا ما لم تأخذ الحكومة أو موظفو الدولة المرموقون بيده"[٣].

من هذا المنطلق، نظر المؤتمر لتلك الميزة بعين الاعتبار، لذلك عدت اللغة الفرنسية أساسية في أعمال المؤتمرات اللاحقة، إضافة إلى اللغة الوطنية للبلد الذي يعقد فيه المؤتمر. وهذا الأمر جعله "البارون تكستور دو رافيزي Baron Textor de Ravisie"، جائزة للمبادرة الفرنسية بقوله: "فلنقل في هذا الموضوع إن ممثلي البلدان الأجنبية قبلوا مبدأ أن تكون اللغة الفرنسية هي لغة مؤتمرات المستشرقين العالمية القادمة، تشاطرها بالتداول اللغة الوطنية لكل بلد تعقد فيه الدورة، إنه احترام أجنبي للمبادرة الفرنسية"[٤].

---

(1) Lucien Adams: Congres International des Orientalistes - Premiere session - (Tenue a Paris en septembre 1873) - Discours de la recitation de l'Academie de Stanislas - Nancy - Imprimerie Berger Levrault & cie - 1874 – p. 5.

(2) De Ravisie, Le Baron Textor : Le premier Congres International des orientalistes - [Extait de la 34e livraison de Revue Universelle] - Nantes - Jules Grinsard - Imprimerie Editeur - 1873 – p. 13.

(3) Ibid. – p. 13 .

(4) Ibid. – p. 15 .

كما أن المؤتمر أورد في النظام العام الذي أقره كأساس عام ونهائي للمؤتمرات اللاحقة، في البند السادس عشر منه "لا تتم التدخلات الشفوية داخل المؤتمرات مستقبلا إلا بلغتين فقط، الفرنسية ولغة البلد الذي يقام فيه المؤتمر"(١)، الأمر الذي يؤيد الرأي السابق في التركيز على أحقية اللغة الفرنسية بالسيطرة على مجريات الدراسات، بوصفها اللغة الرسمية لأول مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين العالمية.

من ناحية أخرى، أقر الميثاق ذاك، أحقية كل رئيس مؤتمر على أن يكون عضوا شرفيا في المؤتمرات اللاحقة، لكن عضوي لجنة تنظيم المؤتمر الأول "ماديي دو مونجو Madier de Montjo"، و"القبطان لوفالوا Capitaine le Vallois"، استثنيا من التوجه العام، وتقرر أن يكونا عضوي شرف في كل مؤتمر لاحق، نظرا لنشاطهما الخاص، واعترافا بقيمة البادرة الأولى، وقد تقرر ذلك في البند الخامس عشر(٢)، وفي هذا دليل آخر على تكريم المدرسة الاستشراقية الفرنسية.

تلك مجموعة من التصريحات والقرارات المعبرة عن أهمية المدرسة الاستشراقية الفرنسية في نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية وانطلاقتها، ويتبين منها دور فرنسا الرئيس والأساس في ذلك، وسيتضح ذلك أكثر عند الحديث عن المؤتمر الأول(٣).

ب – "ليون دو روسني": الداعي لعقد مؤتمرات المستشرقين العالمية:

يعد المستشرق "ليون دو روسني"، المنادي الأول والرئيس لانعقاد مؤتمرات المستشرقين العالمية. ولقد لقيت وجهة نظره استجابة من نخبة من المستشرقين، قبلوا مبادرته تلك، وساعدوه على تحقيقها. أكد ذلك "جوليان دو شاتو" فقال: "إن فكرة المؤتمر الأول تعود للأستاذ "ليون دو روسني"، مؤسس

---

(1) Le Premier Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme – p. 14 .
(2) Ibid. – p. 13.

(٣) سيرد ذلك لاحقا ص ١٣٦ – ١٥٨ فما بعد من الرسالة.

الدراسات اليابانية في فرنسا، وأحد المتخصصين في الدراسات الصينية المؤثرين. أما تطورها وتحقيقها، فيدين به "دو روسني" للجنة وطنية تعاونت معه، واجتمعت تحت إشرافه"[1]. ينحو "لوفابر" الطريق نفسها قائلا: "يرجع الفضل في نشأة هذه المؤسسة لشاب نشط في ميدان اليابانيات، وهو "ليون دو روسني""[2].

هذا المبادر لمولد مؤتمرات المستشرقين العالمية، يجدر التعرف على شخصيته وميادين عمله الدراسية. فقد تحدث البارون "تكستور دو رافيزي" عن هذا المستشرق[3]، وبين أن "ليون دو روسني"، عالم وأستاذ بمعهد اللغات الشرقية المتخصص، مؤسس مؤتمر المستشرقين العالمي الأول هذا ومنظمه ورئيسه، وذكر أن ذلك يعود لصرخة مسؤولة لهذا العالم [الشاب في عمره، الكبير في سمعته] – هكذا – الذي نتج عنه دعوة مميزة لكل مستشرقي العالم، كي يجتمعوا في مؤتمر كبير وافتتاح حقبة حديثة جدا. لقد ولد "دو روسني" في "لووس Loos"، بالشمال في الخامس من إبريل ١٨٣٧م (التاسع والعشرين من محرم ١٢٥٣هـ). لقد حدد منذ صغره ما سيكونه في كبره، بمهارته الفائقة في دراسة القواعد اللغوية والتاريخية. ولما كان طالبا بمعهد اللغات الشرقية المتخصص، برز بمهارته الفائقة في دراسة لغات الشرق الأقصى، وكان الطالب المميز فيها.

في سن العشرين، امتهن حرفة الصحافة السياسية كمحرر على التوالي في "لابراس La Presse (الصحافة)"، و"كوريي دو ديمونش Courrier de Dimanche (مراسلة الأحد)"، "لو تون Le Temp (الزمن أو الوقت)". كما كان مراسلا عن الحياة السياسية اليومية للعديد من الصحف الأجنبية. وفي سنة ١٨٥٧م (١٢٧٣هـ) نفسها، ونظرا لاهتماماته السياسية، حصل على وسام الأسد والشمس الفارسيين، وبعد ذلك بقليل، حاز على الميدالية الذهبية من أكاديمية العلوم بـ"سان بترسبورغ". لقد منح السعد "دو روسني" عدة أوسمة من عدة

---

[1] Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise ... pp. 4 - 5.

[2] Lefebre, A.: Le premier Congres International des Orientalistes ... p. 3.

[3] De Ravisie, Le Baron Textor : Le premier Congres ... pp. 7 - 9.

أنظمة أجنبية، ولا ينقصه سوى الصليب والوسام الشرفي، اعترافا شعبيا له بالمهمات اللامعة، التي قدمها للاستشراق ولبلاده.

وفي العام ١٨٥٨م (١٢٧٤هـ)، أرسلته وزارة الثقافة الشعبية لإنجلترا قصد تكوين قاموس ياباني-فرنسي-إنجليزي ضخم. وفي العام نفسه أسس "المجلة الشرقية الأمريكية Revue Orientale Americaine"، وفي عام ١٨٥٩م (١٢٧٥هـ)، أسس "الجمعية الإثنوغرافية Societe d'Ethnographie"، وهي مؤسسة رائعة ظل سكرتيرها حتى عام ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ). وفيها انتخبه الأعضاء رئيسا لها.

وفي العام ١٨٦١م (١٢٧٧هـ)، حاز جزء من كتابه "تاريخ اللغة الصينية"، على الجائزة الأولى، وقدرها ١٢٠٠ فرنكا، في مسابقة "فولني Volney". وبعد أن عين المترجم الأول للمفوضية الفرنسية بـ"ييدو"، كلفته وزارة الخارجية بمصاحبة أول سفارة يابانية بأوروبا، فجال معها كلا من هولندا وبروسيا وروسيا.

كان معهد اللغات الشرقية ينقصه كرسي للدراسات اليابانية، لهذا استدعي "دو روسني" في عام ١٨٦٣م (١٢٧٩هـ)، ليعين أستاذا حرا فيه، وفي العام نفسه أسس جمعية الآثار الأمريكية "Comite d'Archeologie Americaine"، وكون سنة ١٨٦٤م (١٢٨٠هـ) جمعية "الآثيني الشرقية"...

وفي العام ١٨٦٥م (١٢٨١هـ) كلفت الحكومة الأسبانية "دو روسني"، بترجمة المعاهدة التي عقدتها هذه الدولة مع الصين إلى اللغة الصينية. أما في سنة ١٨٦٦م (١٢٨٢هـ)، فقد أرسلته وزارة الفلاحة والتجارة إلى مرسيليا، لإدارة بعثة مكلفة بفحص دودة الحرير، التي قدمها التايكون[١] لإمبراطور فرنسا. وهي كلفة ذات أهمية كبرى، نظرا لوجود الوباء الذي يدمر مواطن تربية دود الخز بفرنسا منذ عشرين سنة. كما قام في هذه الفترة برحلة علمية لكل من سويسرا وإيطاليا، شدت إليه الانتباه. وفي عام ١٨٦٧م (١٢٨٣هـ)، عين عضوا في الجمعية العلمية للدراسات الإثنوغرافية العالمية.

---

[١] لم أجد مفهوم الكلمة. لكن يبدو من سياق الكلام، أنه الحاكم الثاني بعد الميكادو في اليابان.

وفي عام ١٨٦٨م (١٢٨٤هـ)، صدر قرار الإمبراطور بتحويل كرسي "سلفستر دو ساسي" للدراسات العربية، في معهد اللغات الشرقية المتخصص، إلى كرسي للدراسات اليابانية، وعين على رأسه "دو روسني"، كأول حامل للقب ذاك، وهي مجرد مكافأة له، بينت أخيرا مكانة هذا الأستاذ الشاب، التي حازها في العالم الاستشراقي. وقد جمع درسه حول "إثنولوجية[1] الجنس الأصفر"، الذي افتتحه في "كولاج دو فرانس" في عام ١٨٦٩م (١٣٨٥هـ) جمهورا غفيرا. ثم جاءت أخيرا المهمة الكبرى المتمثلة في تنظيم مؤتمر المستشرقين العالمي الأول وإدارته، ليؤكد سمعته، فكان عالما ومديرا تقدميا. كما أنه كاتب لعدد كبير من الأعمال المتخصصة في الشرق الأدنى والكتابة اليابانية والصينية والكورية والإينووية، وكلها متميزة لقيمتها العالمية.

مما ذكر، يتبين أن "ليون دو روسني"، صاحب الدعوة لانعقاد مؤتمرات المستشرقين العالمية ، لم يكن بالمرء العادي، بل كان أحد جهابذة المستشرقين العارفين بخبايا العالم الشرقي، ولاسيما العالم الياباني والصيني والكوري وما جاوره. كما كان له آثار سياسية واجتماعية ومهمات عدة، مما يسر له دعوته تلك، وليس ذلك فيه وحده، بل كانت له علاقات بالدول الشرقية نفسها، فقد ذكر "لوفابر"، أن علاقة "ليون دو روسني" بالوزارة اليابانية من الأسباب الدافعة لمناداته بانعقاد مؤتمرات عالمية للمستشرقين، وأن تخصص الدورة الأولى منه للدراسات اليابانية[2]. ولقيت جهوده التقدير والاحترام في عدة ميادين، بل من بين زملائه أنفسهم، فالمتفحص لوقائع أعمال مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، يجد العديد من التوجيهات المثنية على أعماله ومهامه. من ذلك ما ورد على لسان المستشرق "هودا Hodas" الذي قال في مفتتح جلسة الدراسات السامية، التي رأسها: "فلتسمحوا لي سادتي، قبل أن أعطيكم الإذن بسماع الدراسات الهامة،

---

[1] الإثنولوجيا: علم يتعلق بوصف الشعوب. وهو أحد علوم الإنسان، وينصب على دراسة المظاهر المادية للنشاط الإنساني، من عادات وتقاليد، كالمأكل والمشرب والملبس. كما أنه يدرس خصائص الأجناس دراسة تسمح بتصنيفها والتفرقة بينها.

عن المعجم الفلسفي – ص ٣.

[2] Lefebre, A.: Le premier Congres International des Orientalistes ... p. 3.

التي ستقدم لكم، أن نقضي بعض الدين الذي نحمله في أعناقنا لرئيسنا العلامـــة، للخدمات التي قدمها للاستشراق، بتنظيمه هذا المؤتمر، فيكون بالتـــالي، صـــدى متواضعا للمشاعر المتقدة في قلوبنا"[١].

كما يبدو أنه كان يتمتع بشخصية فذة علميا وسياسيا واجتماعيـــا، وجذابـــة أيضا، لدرجة أنها أثرت في قبول مقترحه بما يشبه الإجماع [٢].

تلك كانت أضواء على شخصية "ليون دو روسني"، الذي جالد من أجل قيـام مؤتمرات المستشرقين العالمية، التي كتب لها القيام على ســـوقها، ومواصلتـــها مهامها حتى يومنا هذا، وقد تقرر انعقاد المؤتمر السادس والثلاثين منـــها، فـــي "مونتريال Montreal" بكندا، في العام ٢٠٠٠م (١٤٢١هـــ)[٢].

٣ – استقرار الدعـوة والعمـل علـى تنفيذهـا

بعد أن اقترح "دو روسني" وأصحابه عقد لقاءات استشراقية عالمية، تحـــت اسم "مؤتمرات المستشرقين العالمية " لقيت هذه الفكرة ترحيبا من قبل العديد مـــن المستشرقين، لذلك سعى "ليون دو روسني" ورفاقه في التباحث حول كيفية ترجمة تلك الفكرة على أرض الواقع. وهذا هو ما سيتم التركيز عليه وتحليله في هـــذا الموضع.

أ – ثبات فكرة الدعوة إلى عقد مؤتمرات عالمية للمستشرقين :

بعد أن لقيت فكرة "ليون دو روسني" تأييدا مـــن العديـــد مـــن أعـــلام المستشرقين، ولاسيما الفرنسيين منهم، بدأ المستشرقون الفرنسيون برئاســـة "دو روسني" نفسه العمل على تحقيق الفكرة عمليا، وانطلقوا في الإعداد والتحضـــير لتحقيق ذلك الهدف.

---

[1] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Tome deuxieme – p. 232 .

[2] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Tome deuxieme – p. 232.

تم تكوين لجنة تنظيمية مؤقتة، تتكون من أبرز مستشرقي تلك الفترة بفرنسا، وبدأت تلك اللجنة في التخطيط العملي لانعقاد أول دورة للمؤتمرات، وفعلا وفقت في ذلك، بعد اجتماعات عدة.

أصدرت اللجنة منشورها الأول في السابع من يناير سنة ١٨٧٣م (التاسع من نوفمبر ١٢٩٠هـ). ومما جاء فيه: "يسعدنا دعوة الشخصيات الشغوفة بالدراسات اليابانية، إلى التدبر في فكرة المؤتمر الذي عرضناها. إننا بصدد تكوين لجنة تنظيم، وقد حصلنا فعلا على موافقة مراكز علمية أوروبية"[١].

وبعد ذكر بعض الموضوعات المقترح تناولها بالدرس [٢]، والتي تتعلق باليابان وحده، يواصل المنشور كلامه فيرد فيه "يمكن للشخصيات المهتمة بفكرتنا، أن يرسلوا لنا مجرد موافقة، أو أن يرسموا أنفسهم أعضاء في المؤتمر، إن هم أهمهم نجاح مؤسستنا"[٣].

ثم تكونت لجنة من عشرين عضوا، سميت اللجنة التنظيمية المركزية، كي تتخذ كل التدابير اللازمة لتنفيذ هذا المشروع، وتم إقرار النظام الأساس للمؤتمر، واختيار الأعضاء الداعمين، أو المؤسسين لمكتب اللجنة التنظيمية المركزية[٤].

أما المنشور الثاني، الذي ورد عن اللجنة التنظيمية المركزية، فهو يتعلق بالنظام الأساس للمؤتمر، الذي أقرته اللجنة، وصدر هذا في الرابع من مارس سنة ١٨٧٣م (الخامس من محرم ١٢٩٠هـ). وهو عبارة عن خمسة عشر بندا، ويتعلق بالنظام العام للمؤتمر[٥].

أما المنشور الثالث، فقد ورد في الحادي عشر من مارس ١٨٧٣م (الثاني عشر من محرم ١٢٩٠هـ)، وارتكز على الناحية العلمية الصرفة، في أعمال مؤتمر المستشرقين ومساره العلمي والتنظيمي. وقسم المؤتمر أعماله حسب هذا

---

(1) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - pp. III - IV .

(٢) سيرد ذلك لاحقا ص ٧٥ – ٧٦ من الرسالة فما بعدها.

(3) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - pp. V - VI.

(4) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - pp. VI.

(٥) بنود هذا النظام موجودة بالملحق رقم ١ ص ٥٩٦ من الرسالة.

المنشور إلى جزئين، بحيث تفتتح الفترة الأولى المخصصة للدراسات اليابانية يوم الاثنين، غرة سبتمبر (التاسع من رجب)، وتنتهي في الخامس من الشهر نفسه (الثالث عشر من رجب). أما أعمال الفترة الثانية، وهي التي خصصت لفروع الدراسات الشرقية الأخرى، أيام السادس والثامن والتاسع من سبتمبر ١٨٧٣م (الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من رجب ١٢٩٠هـ)، ولم يتم بعد تنظيم أمرها ساعتها.

وعن نوعية المشاركين، بين المنشور الرابع، بتاريخ الثالث والعشرين من مايو سنة ١٨٧٣م (السادس والعشرون من ربيع الأول ١٢٩٠هـ)، الذي ورد فيه: "...يمكننا أن نعلن أن قائمة المشتركين والمنسوبين تكبر يوما بعد يوم، لا بأسماء معظمها من المهتمين بالدراسات اليابانية، ومن العاملين في حقل الاستشراق فحسب، بل بأسماء العديد من العلماء من مختلف فروع العلوم الفلسفية والتجريبية والتاريخية والأدبية والسياسية والتقنية والتجارية:

١- أطباء، طبيعيون، جغرافيون، إثنوغرافيون، جيولوجيون، علماء معادن، فلكيون، رياضيون...إلخ.

٢- فلاسفة، فنيون، أدباء، سائحون، جامعو مواد فنية، مؤرخون...إلخ.

٣- اقتصاديون، أصحاب رؤوس أموال، تقنيون، تجار، فلاحون، ضباط بحريون وبريون...إلخ"[1].

وإن لم يتعرض هذا المنشور البتة، لبيان الرغبة الملحة لدى منظري المؤتمر الأوائل، في اقتصار المؤتمر على الدراسات اليابانية، فإن ذلك يؤكده تقرير اللجنة التنظيمية المركزية حول خطة برنامج أعمال مؤتمر ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)[2]. وهذا المنشور الأول أدى إلى رد فعل العديد من المستشرقين الفرنسيين والأجانب. "فقد أكد العديد من الممثلين ضرورة توسيع إطار المؤتمر، وقبول الأبحاث المتعلقة بكل فروع الاستشراق دون استثناء، في برنامج أعماله... لهذه الاعتبارات بصفة خاصة، قررتم أن تكون الدورة الأولى من مؤتمرات المستشرقين، محتوى على ست عشرة جلسة، تخصص السبع الأولى

---

(1) Ibid. - Tome troixieme - pp. XVII .

(2) Ibid. - Tome troixieme - pp. XX .

منها للدراسات اليابانية، التي ستكون الموضوع الرئيس لأبحاثنا، أما الحصص التسع الأخرى، فستخصص للفروع الاستشراقية الأخرى"[١].

يتضح مما ورد، مدى الارتباك الذي حصل على مسار المؤتمر التنظيري، فالقبول بجوانب استشراقية أخرى، غير يابانية، أدى إلى تحويرات كبيرة، في برنامج المؤتمر العام، بحيث تم تقليص الحصص المخصصة لليابان، وإعارتها للفروع الأخرى. ويبدو أن اللجنة المنظمة، لم تكن مرتاحة لمثل هذا التوجه، لذا فقد واصل التقرير ملاحظاته ذاكرا: "إن تسع حصص ستكون غير كافية البتة، لكي تفي بالفوائد العلمية لكل ممثلي الدراسات الشرقية، إن كان الأمر يتعلق بالاطلاع بصورة عامة على كل فرع شاسع من الميادين التي درسها الباحثون المتعمقون فقط. ونرجو أنها ستفي إيفاء كافيا، كي تبين في أي طريق يمكن أن توجه جهود حاملي المشعل بعدهم"[٢].

تلك كانت بعض الخطوات التي اتخذها دعاة عقد مؤتمر عالمي للمستشرقين حتى تتجسد الفكرة وتترجم على أرض الواقع. وكان هذا متعلقا بمسارات المؤتمر العلمية، وبالعلاقات الخارجية، ولاسيما تلك القائمة مع المستشرقين الآخرين عموما.

أما في جانب الأمور الداخلية البحتة، المتعلقة بالأمور التنظيمية والإدارية، فقد وردت نبذة من سجل أعمال لجنة التنظيم المركزية، تبين أصول التطورات المدرجة في سبيل الوصول إلى وضوح عام في مسار المؤتمرات. ومما جاء في هذه النبذة ما يلي[٣]:

من جلسة ١٧ مايو ١٨٧٣م (٢٠ ربيع الأول ١٢٩٠هـ):

اقترح الرئيس تعيين مائة ممثل في الخارج، يجمعون الاشتراكات.

– من جلسة ٧ يونيو ١٨٧٣م (١٢ ربيع الآخر ١٢٩٠هـ):

قرأ الرئيس برنامج العمل اليومي لجلسات المؤتمر، وتمت الموافقة عليه.

– من جلسة ١٣ يونيو ١٨٧٣م (١٨ ربيع الآخر ١٢٩٠هـ).

---

(1) Ibid. - Tome troixieme - p. XIX …

(2) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - pp. XXI-XXII .

(3) Ibid. - Tome troixieme - pp. XIII - XV.

أعلم الرئيس اللجنة أنه طرحت ملاحظات عديدة، ولاسيما حول موعد افتتاح المؤتمر، المحدد له يوم الثاني والعشرين من يوليو (الثامن والعشرين من جمادى الأولى)، ويبدو أنه كان موعدا ثانيا مقترحا) . فتلك الفترة هي حقبة اختبارات في العادة، وبالتالي، سيتعذر على أساتذة عديدين حضور الجلسات. واقترح في المقابل تحويل موعد المؤتمر لتاريخ متأخر أكثر من ذلك، وهو يوم الاثنين غرة سبتمبر (التاسع من رجب)... وبعد ملاحظات عدة..طرح موعد الأول من سبتمبر للتصويت، وأقر بأغلبية عشرة أصوات ضد ثلاثة.

- من جلسة ٢٦ يوليو (الثاني من جمادى الآخرة):

أعلن الرئيس أن وزارة الأشغال العمومية وضعت عدة قاعات من القصر الصناعي Palais de l'Industrie كي تكون موضع معرض المؤتمر الفني.

- جلسة التاسع من أغسطس (السادس عشر من جمادى الآخرة):

عينت لجنة التنظيم مجلسا مخصصا لمكافأة العاملين الذين قدموا خدمات جليلة للدراسات الشرقية.

ب - التباحث حول أسس المؤتمر وأطره:

بعد موافقة معظم المستشرقين على مبدإ انطلاقة انعقاد مؤتمرات عالمية للمستشرقين بدأ التباحث حول أسس هذا الناشئ الجديد وأطره.

تكونت لجنة تنظيمية مؤقتة برئاسة "ليون دو روسني"، وعضوية ثمانية مستشرقين فرنسيين آخرين[١]. هذه اللجنة المؤقتة، بدأت البحث في أصول نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية. أصدرت هذه اللجنة المنشور الأول من خطة المؤتمر، بتاريخ السابع من يناير ١٨٧٣م (التاسع من ذي القعدة ١٢٨٩هـ). كان التوجه ساعتها قصر المؤتمر الأول على الدراسات اليابانية.

في منشورها الأول، قدمت اللجنة المؤقتة موضوعات مقترحة، تكون محور الدراسات التي ستلقى في المؤتمر. وهذه الموضوعات الأولية هي كالتالي[٢]:

---

(1) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome Troixieme – p. VI .

(2) Ibid. - Tome Troixieme - pp. IV-V.

– ما روائع الأدب الياباني التي يرى أهمية ترجمتها في هذا الوقت، وما المساعدات الفيلولوجية[1] اللازمة لإعادة نشرها؟

– مقترح يؤدي إلى ضبط كتابة موحدة، يتم على غرارها نقل النصوص اليابانية إلى اللغات الأوروبية.

– البحث عن المصادر التي من شأنها أن تيسر قوة النصوص، سواء العلمية منها أو الأدبية أو التقنية اليابانية.

– فحص التحركات المعاصرة للحضارة اليابانية، وعلاقاتها بالحضارة الأوروبية.

– خصائص الفن الياباني في حقبه المختلفة، والطرق التي يجب اتباعها لدراسته.

– إلى أي درجة يمكن للأدب الياباني الحديث، المشحون بالأفكار الأوروبية، أن يفيد أوروبا، وهل يمكننا الاعتقاد في أن التطورات التي بلغها علماء اليابان، من شأنها أن تساعد التحركات العلمية بين الشعوب الغربية.

كما تناولت اللجنة أسس المشاركة العضوية، إداريا وماليا، إقامة وأجور نقل، وعينت "جوليان دو شاتو" محاسبا ماليا للمؤتمر[٢].

تكونت بعد ذلك لجنة التنظيم المركزية، من الأعضاء الداعمين لمشروع المؤتمرات والمؤسسين له، وبلغ عدد أعضائها عشرين شخصا، وهذه اللجنة أقرت نهائيا أمر انعقاد المؤتمر نظريا. وفي الرابع من مارس (الخامس من محرم ١٢٩٠هـ)، استقرت نهائيا فكرة انعقاد المؤتمر عمليا، وعهد للجنة باتخاذ كل التدابير اللازمة لإخراج هذا المشروع لحيز الوجود[٣]. ووافقت على النظام الأساس للمؤتمر وأقرته. وصدر هذا المنشور بالتاريخ نفسه[٤]. وبينت فروع الدراسات الاستشراقية لأعمال الفترة الثانية[٥]، وسعي اللجنة لتجهيز جدول

---

[1] الفيلولوجيا علم يبحث في أصول الكلمات واشتقاقاتها.

عن محمد فريد وجدي – دائرة معارف القرن العشرين – م ٧ – ص ٥٨٠ .

[2] Ibid. - Tome Troixieme - pp. V-VI.

[3] Ibid. - Tome Troixieme – p. VI.

[٤] يمكن الاطلاع على بنود هذا النظام الأولي بالملحق رقم ١ ص ٥٩٦ من الرسالة.

[5] Ibid. - Tome Troixieme – p. XII .

أعمالها.

إلا أن الملاحظ أنه لم يرد منشور مخصص للدراسات الاستشراقية العامة الأخرى، عدا اليابانية التي صدر المنشور الرابع مخصصا لها، وذلك بتاريخ الثالث والعشرين من مايو ١٨٧٣م (السادس والعشرون من جمادى الأولى ١٢٩٠هـ)[١]، وبين أن المشاركين في الدراسات اليابانية متنوعو التخصصات، وأن المشاركة غير متوقفة على المستشرقين والفيلولوجيين المتخصصين في اليابانيات وقد تم بيان نوعياتهم آنفا[٢].

ونظرا للمداخلات المتلاحقة والمشاركات المتزايدة والمقترحات المتعددة، وبما أن المؤتمر سيكون في انطلاقته الأولى، فقد سعى المنظمون إلى توسيع برنامجهم حتى يستجيب للرغبة المتشوفة "للتعرف على إمبراطورية الشمس المشرقة، واقعها الحالي، ومنتجاتها وحاجياتها من ناحية، وللفضول المتزايد لتلك الإمبراطورية التي ترتمي في سبيل حضارتنا، وتطلب منا لغاتنا وعلومنا وتقنياتنا وفلسفاتنا الدينية والاجتماعية، وطرق إدارتنا ومنتجاتنا في أصنافها المختلفة من جهة أخرى"[٣].

ولهذا اقترحت اللجنة مسائل جديدة وهي كالتالي[٤]:

أ – كيف كانت التركيبة السياسية والدينية والاجتماعية في اليابان قبل الثورة الأخيرة[٥]؟

ب – ما الخصائص السياسية والفلسفية والدينية والاجتماعية لهذه الثورة؟

ج – ما نتائج هذه الثورة من وجهة نظر العلاقات الدبلوماسية والحياة الاجتماعية والثقافية في اليابان، ومن الجانب المالي أيضا؟

---

[1] Ibid. - Tome Troixieme – pp. XVII - XVIII .

[٢] تم ذلك ص ٧٣ من الرسالة.

[3] Ibid. - Tome Troixieme - pp. XVII - XVIII .

[4] Ibid. - Tome Troixieme – p. XVIII .

[٥] كان ذلك سنة ١٨٦٨م [١٢٨٤هـ]، وهي ثورة فريدة من نوعها، لم تكن نتيجة ثورات ولا انقلابات، بل كانت نهضة تلقائية، اشترك فيها الشعب والحكومة، ونجحت نجاحا أدهش الغربيين، الذين لم يعتادوا على مثلها، وساهم الامبراطور الياباني في إنجاحها، بتأييده الكامل لها. يمكن الاطلاع على ذلك مثلا عند: روبير شنيرب – تاريخ الحضارات العام – القرن التاسع عشر – م٦ – ص ٤٩٩.

د – الطرق التثقيفية للحكومة اليابانية.

هـ – النتائج التي تحصلت عليها بهذه الطريقة، والتطوير المرتقب لاحقا.

و – الدبلوماسيون والرحالة والطلبة اليابانيون في أوروبا وأمريكا.

ز – التعليم الأوروبي لليابان، بالنسبة للجيش والملاحة والقضاء والإدارة والتجارة والصناعة والفنون والعلوم.

ح – ظروف النساء اليابانيات الآنية، وثقافتهن.

ط – رد فعل الحكومات الأوروبية والشمال أمريكية عن التحولات التي يحدثها شعب اليابان .

ي – الصناعة والتجارة الأوروبية وممثلوها في اليابان.

ك – تربية دودة القز في اليابان، والبحث في وسائل الحصول على أفضل بذرة لدودة الحرير في أماكن الإنتاج وفي الأسواق المفتوحة للأوروبيين".

ثم إن هذه المسائل ليست قطعية ونهائية، بل إنه ترك المجال لما قد يصل للجنة قبل الخامس عشر من أغسطس من ميادين أخرى[١].

من جهة أخرى، توصلت اللجنة إلى إصدار نظام للجلسات، يتكون من سبعة بنود، إلا أنها لا تحمل تاريخ إصدارها[٢] .

توجت اللجنة التنظيمية جهودها بإصدار برنامج العمل والمسائل المطروحة فيه، لتضعه بين يدي الباحثين لدراسته وتحليله. إلا أن اللجنة اقترحت ورجت أن يتم إقراره رغم ما فيه من ثغرات بسبب ضيق الوقت، وحتى لا تفرط في إكثار الجلسات[٣]. وجاء البرنامج اليومي هذا مفصلا تفصيلا مطولا، وقسم الأعمال في أساسها إلى فترتين، تشمل الفترة الأولى الدراسات اليابانية، والصينية والتتارية والهند–الصينية. ذلك هو العنوان[٤]، إلا أنه في الداخل التفصيلي أضيف إليها الدراسات المحيطية[٥].

---

(1) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome Troixieme – p. XVIII.

(٢) توجد بنود هذا النظام الأولي للجلسات بالملحق رقم ٢ ص ٥٩٨ من الرسالة.

(3) Ibid - Tome Troixieme – p. XXII .

(4) Ibid. - Tome Troixieme – p. XXVII.

(5) Ibid. - Tome Troixieme – pp. XXXV - XXXVII .

أما الفترة الثانية[1]، فهي لا تحمل عنوانا عاما، إلا أنها شملت ما يلي:

– الدراسات المصرية: الآثار.

– الدراسات الآشورية: الفينيقية والعبرية.

*–الإثيوبية والنبطية والسبئية.	*–الآرامية والسريانية.
*–الآثار.	*–العربية.

– الدراسات الهندية والإيرانية: السنسكريتية.

*–البوذية.	*–الفارسية.

– الدراسات الهلينية الجديدة وأرمينيا: اليونانية الجديدة.

*–الأرمينية.

– دراسات استشراقية عامة.

وفصل البرنامج مواعيد الدراسات وأوقاتها، ووضع عدة مسائل مطروحة وعين لكل موضوع جلسة، ما عدا الجلسة الأولى، ووردت مبينة نظام الجلسات، وهي بيان للالتزامات الداخلية، ويبدو أنها تطوير للنظام السابق، أو هي زيادة توضيح له، ووردت تحت مسمى لائحة.

إضافة إلى البرنامج العام هذا، أصدرت اللجنة موضوعات منفصلة تتعلق ببعض الدراسات التي ستلقى في المؤتمر. ومن ذلك، مجموعة مسائل تتعلق بتكوين نظام موحد لنقل النصوص اليابانية[2]، وقد أعدها ثلاثة من أعضاء اللجنة، وهم "لو فالوا"، و"سارازان"، و"أوري"، ومجموعة أخرى تتعلق بالفن الشرقي عموما، والياباني بصفة خاصة[3]، وقد أعدها "جسلين" بتاريخ الثامن والعشرين من يونيو ١٨٧٣م (الرابع من جمادى الأولى، ١٢٩٠هـ)، ثم مجموعة ثالثة تتعلق بتربية دود القز وصناعة الحرير[4]. وهذه أعدها أعضاء من

---

(1) Ibid. - Tome Troixieme - p. XXXVII – L .

(2) Ibid. - Tome Troixieme - pp. LI - LXI .

(3) Ibid. - Tome Troixieme - pp. LXII - LXVI .

(4) Ibid. - Tome Troixieme - pp. LXVII - LXVIII .

اللجنة، وهم "مـــاديي" و"دو منجـــو"، و"أوري"، و"جـــيران–مينـــافييو Guerin-Meneville".

تلك هي أهم المباحثات والترتيبات حول ما يتعلق بأسس مؤتمر المســتشرقين العالمي الأول وأطره، ويتضح من سياقها مدى الجهد المبذول من أجـــل تذليـــل العقبات الواقعة في طريق ميلاد أول مؤتمر عالمي للمستشرقين، رغم أنه لم يتـــم التخلص من كل العوائق، إذ كانت القرارات نظرية بحتة.

المبحث الثاني: أهداف مؤتمرات المستشرقين العالمية

تعد مؤتمرات المستشرقين العالمية إحدى المؤسسات العلمية الغربية. ولا خلاف في أن لكل مؤسسة نشطة أهداف معينة تسعى لتحقيقها. وبالتالي فإن للمؤتمرات أهدافا تسعى لتحقيقها. وتنقسم هذه الأهداف إلى دينية وسياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية. يجسم هذه الأهداف "لوفابر" بقوله: "لكن مع الأخذ في الاعتبار بكافة الأهداف الحافزة في الشرق، التجارة والاستعمار ونشر الديانة..."[1]. كما يمكن استخلاصها من الطرح الأولي لبرنامج المؤتمر الأول العام، فقد وردت التساؤلات التالية عند الحديث عن الدراسات اليابانية "كيف كانت التركيبة السياسية والدينية والاجتماعية في اليابان قبل الثورة الأخيرة؟ ما الخصائص السياسية والفلسفية والدينية والاجتماعية لهذه الثورة؟ ما نتائج هذه الثورة من وجهة نظر العلاقات الدبلوماسية والحياة الاجتماعية والثقافية في اليابان؟ ومن الجانب المالي كذلك؟"[2]. وقبل الدخول في تفصيل الموضوعات تلك، تجدر الإشارة لنقطتين هامتين تتعلقان بهذه الأهداف:

الأولى: أن هذه الأهداف لا تنفك عن الأهداف الكبرى للاستشراق العام، إذ المؤتمرات أسلوب من أساليب الاستشراق،ويساهم في تحقيق تلك الأهداف، وذلك ما سيتبين فيما بعد.

الثانية: أن هذه الأهداف غير معلنة في عمومها، فلا نجد الحديث البتة عن تلك الغايات بصيغة الأهداف أو المرامي، بل قد تم استنتاجها واستخراجها من خلال أقوال المستشرقين، سواء من كلماتهم التي ألقوها أمام الجموع في المؤتمرات، أو من خلال الدراسات المقدمة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى من خلال أنظمة المؤتمرات والقرارات أو التوصيات المتخذة في نهاية كل مؤتمر.

(1) Lefevre A. – Le Premier Congres International des Orientalistes – Extrait de la PHILOSOPHIE POSITIVE – Novembre –Decembre - 1873 – p. 2.

(2) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. XVIII.

أما أسباب عدم الإعلان المباشر لأهداف مؤتمرات المستشـــرقين العالميـــة، فهي غير معلومة، وصعب الحصول على أجوبة لهذا الأمر من خـــلال أعمـــال المؤتمرات.

١- الأهـداف العلميـة :

بخلاف الأهداف الأخرى التي تكون استنتاجية عادة، فإن الأهداف العلمية يتم التصريح بها في أغلب الأحيان. فكثيرا ما يصرح المستشرقون بالأهداف العلميـة للمؤتمرات. ومن ذلك قول المستشرق "دو روسني في المؤتمر الثاني بلندن ســـنة ١٨٧٤م (١٢٩٣هـ): "إن المؤتمرات العلمية مدعوة على ما أظن، إلـــى إعـــلان حقبة جديدة في إطار تطوير العلوم المعرفية" [١].

هذا الادعاء الذي يلقيه المستشرقون عادة، لا يكون صحيحا على الدوام، وما سيمر بنا من مؤثرات متباينة في المؤتمرات دليل واضح على ذلـــك[٢]. كمـــا أن الأهداف المتنوعة، الخارجة عن النطاق العلمي التي سترد لاحقا أيضا[٣]، تعـــبر تعبيرا واضحا على أن الالتزام بالهدف العلمي في مؤتمرات المستشرقين العالميـة ظل أملا ما أمكن الوصول إليه دائما ولا تحقيقه ولا الالتزام به، بمفهومه المطلق.

ويبدو أن البارون "تكستور دو رافيزي"، وفي نفس الفترة تلك، يرى زاويـــة أخرى في الهدف والعمل العلمي الاستشراقي. فهو يصرح بطريقة أدبيـــة نثريـــة قائلا: "إن الاستشراق يحب العلم للعلم... إن المستشـــرق هـــو بـــاحث الحقيقـــة التاريخية الذي لا يعرف التعب. إن الاستشراق الحديث، إنما هـــو حـــوار نـــافع وحركة مثمرة"[٤].

---

[1] De Rosney, Leon (Address) Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 – p. 421.

[٢] سيرد ذلك مفصلا ص ٤٦٦ – ٥٣٥ من الرسالة وما بعدها.

[٣] سيرد ذلك ص ٨٠ – ١٣٥ من الرسالة وما بعدها.

[4] De Ravisie, Le Baron Textor : Le Premier Congres International des Orientalistes– (Extrait de la 34eme livraison de la revue Universelle)– pp15-16.

من جانب آخر، يصرح "صمويل بيرتش" في المؤتمر الثاني بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ)، بأن "معرفة اللغات والأفكار والتاريخ وآثار تلك الأمم ضرورة ماسة وليست مجرد ترف"[١]. فحسب هذا المستشرق، فإن طلب العلم هذا واجب وجوبا فرضيا. كما أن نتائج المؤتمر تصب في مصلحة الاستشراق وتطوره. هذا ما تمناه "كوينن" في المؤتمر السادس بقوله: "إن اللجنة التنظيمية التي أتشرف بالتحدث باسمها يسعدها رؤيتكم مجتمعين، وتتمنى أن تكون هذه الدورة من مؤتمرات المستشرقين قادرة على جني ثمرات عديدة قصد تطور العلوم الشرقية، وتقدم بذلك ما كان منتظرا منها"[٢]. كما نجد أن المستشرق "غلان روبلس" لخص الأهداف العلمية في مقولة له في المؤتمر الخامس ببرلين سنة ١٨٨١م (١٢٩٨هـ)، وجاء فيها: "إن كان من أهداف المؤتمرات العلمية الأولى التقريب بين علماء شتى البلدان الذين تجمعهم درجة علمية موحدة، بصفة دورية... في هذا التقارب أولوية التعارف وتبادل النتائج التي تتسم أعمالها بالطول والصعوبة، وانتهاز فرصة المعلومات المتوفرة، بتلخيص جهود البعض وتوسيع أفق آخرين وإضافة المجهودات الجماعية المتطورة دائما، إلى الجهود الفردية، والتعريف بكتّاب كل أمة أيضا وبعلمائها وآمالهم، والموضوعات التي يهتمون بها"[٣]. ويزيد كريمر الأمر وضوحا أكبر بقوله: "وهنا تتدارس الأسئلة الصعبة، والمشكلات المستعصية، وتناقش وجهات النظر المختلفة. إنه هنا أيضا، حيث يتم إعداد التربة الخصبة للأعمال المستقبلية"[٤].

من ناحية أخرى، تسعى المؤتمرات لنشر المعارف الاستشراقية في الوسط الغربي. ومن هؤلاء الدعاة "ماكس ميللر"، الذي تعرض لهذا الأمر في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ) فقال: "في إنجلترا، بصفة خاصة، ما يزال

---

(1) Birch, Samuel – Inaugural Address – Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 – p. 3.

(2) Kuenen – Addresse – Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – p. 39.

(3) Guillen Robles F.: "De l'etat actuel des etudes arabes en Espagne" – Verhandlungen des Fuften Internationalen Orientalisten-Congress- Berlin - 1881 – T2 – p. 29.

(4) Von Kremer (Discours) Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 – Vol1 – T1 – p. 47.

ينظر للدراسات الشرقية، على أنها من اهتمامات المتخصصين فقط، والبعض يجعلها مقصورة في عمومها على المهتمين ممن هم في مثل سننا"(١)، ويقول أيضا: "عندما قبلت شرف رئاسة هذا المؤتمر، كان أساس ذلك رغبتي في أن يساهم هذا المؤتمر في خلق المزيد من الرغبة لدى دارسي الشرق في إنجلترا"(٢). وفي المجال نفسه، تحدث "ريمون شواب"، عن ضعف انتشار الثقافة الاستشراقية وتساءل إن كان الوقت لم يحن بعد لإتمام عملية انتشار الاستشراق في الثقافة العامة(٣).

كما تساهم المؤتمرات في تنمية المعارف الاستشراقية. صرح بذلك "اللورد شالمر"، لما رحب بالحضور الذين جاؤوا من أنحاء الدنيا "ليساهموا في نماء المعرفة بالأشياء الشرقية وللتمتع شخصيا بالتعامل مع أعمال زملائهم في فروع الاستشراق المختلفة"(٤)، وتمنى أن يكون عملهم مفيدا "من أجل تقدم الدراسات التي نسر جدا بتتابعها"(٥).

من جهة أخرى، تسعى المؤتمرات لحماية الدراسات الاستشراقية من المتطفلين، يقول "ماكس ميللر" في هذا المجال عن الضعف الاستشراقي فيقول: "والحقيقة إنها تعاني كثيرا وباستمرار من الهواة والثرثارين وأنصاف المتعلمين"(٦). كما أن الالتزام الدقيق والكامل بالهدف العلمي لم تقدر المؤتمرات بصفة عامة على تحقيقه. وهذا الأمر لا يمس المؤتمرات فقط، بل الدراسات الاستشراقية عامة، على ما يبدو. ومن هنا، يأمل المستشرق "دوشاتو" أن تصحح المؤتمرات تشتت الدراسات الاستشراقية فيقول: "من وجهة نظر المعرفة، سيكون

---

(1) Muller, Max – Inaugural Address – Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 34.
(2) Ibid. p. 37.
(3) Schwab, Raymond : "Pour l'enseignement d'un humanisme oriental"– Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes -Paris -1948 – pp. 337 -338.
(4) Chalmer, Lord – Inaugural Address – Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 – p. 42.
(5) Ibid. p. 42.
(6) Muller, Max – Inaugural Address – Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 34.

لأعمال المؤتمرات من ضمن رغبات أخرى، الاحتجاج ضد انتشار العشوائية في الدراسات الشرقية"[1].

ومن أجل تجاوز مثل هذه العقبات، يقدم "فون كريمر" طريقة سماها "خطة العمل الراقية لأعمالكم الدقيقة في المستقبل: وتتمثل في أن نخرج من مكتباتنا وأكاديمياتنا خباياها، ومن جامعاتنا روح بحثها ونزاهة دراساتها وسلامة نقدها ومحبتها للحقيقة والتطور"[2]. وينادي "أنجيلو دو جوبارناتيس" بضرورة إعادة النظر في البحوث وتنظيمها تنظيما أكثر دقة[3].

إذا، ومما سبق يتبين لنا أن المؤتمرات تسعى لتثبيت الهدف العلمي في دراساتها، كما تحاول في بعض الأحيان بيان العوائق التي تحد من مسارها العلمي، وتسعى لتوضيح سبيل تصحيحها.

٢- الأهداف الدينية:

تطرقت دراسات كثيرة للجوانب الدينية في أنحاء العالم كله. وكان نصيب الأسد فيها للنصرانية. وبتتبع الأهداف الدينية، تبين أن معظمها تتعلق بديانتهم النصرانية، وقلة تلك التي تتعلق بالديانات الأخرى. ولتحليل هذا الجانب، يمكن التعرف عليها من جوانب ثلاثة:

أ - الأهداف التنصيرية.

ب -التعريف بالشعوب الشرقية النصرانية والهيئات التنصيرية وأعلامها.

ج - أهداف دينية عامة.

---

(1) Julien Duchateau: Une Creation Scientifique Francaise: Le Premier Congres International des Orientalistes – p. 5.

(2) Von Kremer (Discours) Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 – Vol1 – T1 – p. 47.

(3) Gubernatis, conte Angelo de : "Le Folk-Lore Asiatique" – Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 814.

أ – الأهداف التنصيرية:

تتمثل المصلحة الدينية النصرانية الرئيسة في مؤتمـــرات المستشـــرقين العالمية في تحقيق ثلاثة أمور:

ــ نشر الديانة النصرانية.

ــ نشر الثقافة النصرانية وسط الشعوب الشرقية.

ــ تقوية مكانة النصرانية بين الديانات الأخرى.

– نشر الديانة النصرانية: يؤكد هذا الهدف المستشرق "سنوك هورخرونـــي" في إشارة خاطفة قائلا: "وبالتدريج توصلنا إلى اليقيـــن بـــأن دراســـة اللغـــات، والحضارات والتاريخ السياسي والأدبي، ضرورية، وكذلك دراســـة المؤسســـات الاجتماعية والدينية لكل الشعوب الشرقية الأخرى، التي لم نهتم بها حتـــى الآن إلا للمصالح التجارية العلمية، أو بدرجة أعمق، من أجل المصلحة التنصيرية"[1].

ويتحدث "دو بوسكي De Bousquet" عن مدى إمكان نشر النصرانية، عند حديثه عن اليابان، خلال المؤتمر الأول بباريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، يـرى أن الشعب الياباني مؤهل اجتماعيا لكي يتقبل الديانة النصرانية بشـــقيها، حســـب تعبير المستشرق، إذ إنه يرى أن تركيبة المجتمع تسمح بذلك، وبالتـــالي، وجـــب على الغرب الاهتمام بهذا الأمر، وإرسال بعثات متخصصة لتحقيق هـــذه الغايـــة فقال: "لقد أجمعوا تقريبا، على الاعتراف بأنه يجب أولا الاهتمام بمعرفـــة هـــذه الأديان التي اعتنقوها، ويصل الأمر ببعض الأعضاء إلى الاقتراح بتسمية كهنـــة كاثوليك، وقساوسة بروتستانت في المجموعة"[2].

كما يصرح "لانجنهوف" حول الموضوع ذاته قائلا: "بزيارة بورنيو، أكـــبر جزيرة في العالم، حققت رغبة جامحة نميتها في نفسي طوال خمس عشرة ســـنة، وهي الوقوف بنفسي على إمكانات النجاح التي يمكن أن يحققها منصر كـــاثوليكي

(1) Hurgronje, Snouck C. – Allocation – Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes - leiden - 1931 – p. 21.

(2) De Bousquet (Discours) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 149 – 150.

وسط جزيرة شاسعة مكتظة بقبائل "الداياك" "[١]. فهذا المستشرق المنصر ولج ساحة الجزيرة وليس له من هم سوى تحقيق أهداف تنصيرية فيها، وهو ما كان يأمله من زمان بعيد. ومن هنا، يتولى تحليل مجتمع الداياك فيقول: "إنني أشبه شعب الداياك الحر بالأرض كاملة الخصوبة، بالنسبة لإرسالية كاثوليكية. فالداياك كغيرهم من الشعوب البدائية، متلهفون لكل جديد. إن فضولهم الفطري لكل ما هو أجنبي، يجعلهم يستمعون لكلام المنصر بكل لطف. وبما أنهم ذوو ذكاء موهوب، نقي من كل معرفة وآراء سابقة، ومستقيمون وأنقياء أمام الحقائق السامية، والبسيطة للنصرانية، فإنه من الأكيد، من وجهة نظري، أن جهود المنصر المتحمس ستتوج بنجاحات سعيدة"[٢]. فالداياك إذن، تمكن "لانجنهوف" من دراستهم وتحليلهم، وفهم نفسياتهم ومجتمعهم، وتبين له أنه من المتيسر نشر النصرانية بين تلك القبائل.

من هنا، يتضح أن المستشرقين، وبالتالي مؤتمراتهم، يسعون إلى التعرف على مدى إمكان التنصير ونشر النصرانية، من خلال دراسة الشعوب المشرقية.

يضيف طائفة من المستشرقين مهام أخرى للاستشراق. فالمستشرق "كوينن" الذي وضح بأن الاستعمار يعني العمل الحضاري والتثقيف الشعبي والمهمات العلمية، يرى في موضع آخر أن هذه المعاني ليست سوى وسيلة لا غاية. بل إن المهمة الدينية هي إحدى الأهداف السامية، ويقول: "يمكننا أن نعرض بكل جدارة أمام أعينكم، ما عملته مؤسساتنا التنصيرية عامة، ومؤسستنا الإنجيلية الهولندية بخاصة، فإنها تملك كل الحق في إرسال ممثليها إلى هذا المؤتمر، و إننا لنشاهد بكل فخر ما تجشموه من أجل ذلك."[٣]. إذن، المصلحة الدينية وتنصير الإندونيسيين وغيرهم، هو هدف هذه الجماعة العاملة تحت لواء الاستعمار، فقد عبر عنها بمؤسساتنا، مما يدل على وحدة الهدف، أو موافقة هذه الجمعيات على أهدافها، ولاسيما أنها ساهمت في المعرض الاستعماري.

---

[1] Langenhoff, Labbe (Discours) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premiere - p. 513.
[2] Ibid. p. 30.

[3] Kuenen (Adresse), de -Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – Premiere partie – pp. 45 – 46 .

– نشر الثقافة النصرانية: يمكن ضرب مثل في هذا المجال، وهو ما ذكره "جريمال دو جويرودون" عن "مونجو بارك Mungo-Park"، تعجبه من معرفة قبائل إفريقية ما سماه بعض كتب موسى (عليه السلام)، فيقول: "لقد اكتشفت أن الزنوج يملكون فيما بينهم ترجمة عربية لخمسة من كتب موسى (عليه السلام)، يسمونها توراة موسى (عليه السلام)، ...كما وجدت ترجمة لمزامير داود (عليه السلام)، ولكتاب عزرا...وبواسطة هذه الكتب، فإن الزنوج الذين يدرسون المحمدية، تمكنوا من معرفة الأحداث البارزة في العهد القديم..."[1].

قد يسلم المرء بوجود أسفار من التوراة مترجمة للعربية، إلا أن تصريح المستشرق بأن الزنوج يعرفون الأحداث البارزة في العهد القديم، نتاجا للثقافة النصرانية المنتشرة، أمر فيه شك. فقد صرح بأنهم محمديون، وهو اللفظ الذي يطلقه المستشرقون على المسلمين. والأمثلة المفصلة التي ذكرها[2]، وردت قصصها في القرآن الكريم. الأمر الذي يحتم بأن هؤلاء عرفوا القصص هذه من القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن الدين الإسلامي الذي يعتنقونه. والذي يدل على ذلك أيضا، تعجبهم الكبير من هذا الذي يعرف نفس الروايات مثلهم، وهو مخالف لديانتهم.

من هذا يتبين أن البحث عن مدى انتشار الثقافة النصرانية وسط البلدان المشرقية، الأولى به أن يأتي من طرق أخرى مرتبطة تمام الارتباط بالكنيسة وتعاليمها. كما أن الاستعلاء العنصري ليس من مبادئ المناهج العلمية، فأن نجعل النصرانية هي المقياس لكل ما يمت للثقافة الدينية بصلة، أمر غير مستقيم. بل الأولى بحث كل موضوع في إطاره، كأن يبحث المستشرق عن هذه الطرق البعيدة التي ذكرها، واستقى منها المحمديون الزنوج فكرتهم حول الأنبياء.

---

(1) Guiraudon, The Grimal de : "Note des linguistiques – les Pals – Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 – Vol2 – T2 – p. 89.

(2) Ibid. p. 89.

– مكانة النصرانية وسط الديانات الأخرى: يجعل المستشرقون المنصرون النصرانية ضحية ومستهدفة على الدوام، ولاسيما أمام الديانة الإسلامية. فهذا "لانجنهوف" يصرخ مناديا: "يجب التعجل والإسراع، فإن كل عام يمر ، تحقق بعثات السلطان المحمدي نجاحات مهمة لديانة القرآن، وعلى مدى طويل، سيخضع "الداياك" للجهود المتواصلة لأتباع النبي (ﷺ). وأن أي بعثة كاثوليكية بين "الداياك"، يجب أن تكون مقبولة من قبل الحكومة الهولندية. أما الداياك الذين تحولوا إلى المحمدية، فقد أصبحوا وسائل عمياء ومتعصبة في أيدي المحمديين. وفقراء الداياك هم أغلب المتحولين... أما الداياك الذين سيتحولون إلى النصرانية، فسيكونون وزنا مضادا لحماس السلاطين، ويزيلون مفعول أثرهم وصخبهم المضر"[1]. إذن، فهذا المستشرق يكشف إمكان تحول الداياك، وربما أجمعهم إلى الإسلام، وقابليتهم ذلك. وحسب رأيه أن إسلامهم ليس عن قناعة، بل للحاجة وللطمع والإغراء. وبما أن الكنيسة خبيرة جدا في استخدام هذا الأسلوب، فما عليها إلا أن تجرد سلاحها، لمقاومة المتعصبين المسلمين.

وليس هذا الأمر حكرا على قبائل الداياك فحسب، بل الأمر يتعلق بأماكن أخرى من العالم المشرقي. فهذا "جريمال" يحث المؤتمرين على "تبني نظام يستخدمه المنصرون، سيكون أفضل أسلوب للتوصل إلى تحطيم، أو على الأقل، إضعاف التأثير السياسي والديني للزوايا، التي لا يحتاج مريدوها للركض وراء حاجيات أتباعهم إلا نادرا"[2]. كلام "جريمال" هذا، كان سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، حيث كانت الزوايا تعيش على الأوقاف والأحباس، والتبرعات الخيرية. فما كان المدرس يحتاج ولا الطالب. هذه الراحة النفسية والمعيشية، كانت أساسا من أسس انتشار الثقافة والعلوم الدينية، لأن لا أحد يملك لقمة عيش غيره، فيربطه بمصالحه الخاصة. ثم ما لبثت الأوقاف، أو معظمها، أن حُلت، وسمح بامتلاكها، فعجز الطلاب عن الوفاء بمتطلبات الدراسة، فضعفت الزوايا، وقل مريدوها، واندثر

---

[1] Langenhoff, Labbe (Discours) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premiere - p. 530 – 531.

[2] Guiraudon, The Grimal de : "Note des linguistiques – les Pals – Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 – Vol2 – T2 – p. 89.

معظمها. ولعل السبب في ذلك عمل المستشرقين الطويل قصد إزالة الأوقاف، الأمر الذي أدى إلى فراغات دينية واسعة الانتشار. وهذا أمر يهدف له المستشرقون والمنصرون والسياسيون الغربيون منذ زمن طويل. وما دام هناك فراغ فقد جاء دور الثقافة التنصيرية كي تملأه. ولعل هذا ما دعا له "جريمال" من ساعتها، وكذلك من شايعه في هذا الأمر قصد الوقوف تجاه الزوايا الكثيرة والوفيرة، والتي كانت تمثل معين نشر الثقافة الإسلامية في مواطن عدة، ولاسيما في إفريقيا. وهذا أمر فيه مزاحمة لانتشار الثقافة النصرانية وإعاقة توسعها.

ب – التعريف بالشعوب الشرقية النصرانية:

كثيرا ما تسعى دراسات العديد من المستشرقين وأقوالهم، إلى التنصيص على شعوب نصرانية موجودة في الشرق وإبرازها للعيان والتعريف بها. تدور هذه الدراسة على محورين اثنين هما:

- إبراز عراقة هذه الشعوب وأصالتها.
- التركيز على قوة هذه الشعوب الدينية وبطولاتها الملحمية.

ومن خلال العنصرين هذين، يتضح التعاطف القوي مع الشعوب النصرانية الشرقية، ولاسيما أمام النكبات التي أصابتها وإظهارها على أنها ضحية، وتقديم أمثلة تبين ذلك.

– تتبين عراقة هذه الشعوب وأصالتها، عند الحديث عن أصالة الشعوب الأرمينية وعراقتها مثلا. يذكر "دسوف D'essoff"، أن "هذا الشعب الذي كانت له على مدى تاريخه اتصالات مع كل الشعوب المهمة في آسيا الوسطى، على مدى أكثر من أربعين قرنا، والذي بقي إلى يومنا هذا طليعة المدافعين عن الكنيسة في آسيا، وواسطة الثقافة الأوروبية، بعد أن لعب دورا، إن لم يكن مهما، فهو لا يخلو على الأقل من أهمية على مدار تاريخ أحداث الشرق"[1]، فالمستشرق هنا،

---

[1] D'Essoff, G.: "Apperçu de l'etude de la langue armenienne en Europe" – Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes – Stokholm et Cristiania - 1889 – Troisieme partie – p. 75.

يرجع الشعب الأرميني إلى أصول موغلة في القدم، إذ يجعل العلاقة بين أرمينيا وشعوب آسيا الوسطى غيرها، كانت قائمة على مدى أربعين قرنا، إضافة إلى أنه عاصر أقواما راقية جدا، بحيث إن هذا الشعب كان أصيلا، وذا حضارة، إذ إن علاقاته كانت مع شعوب متحضرة، وأن هذا الشعب لا يزال يتمتع بمسحة حضارية إذ لم ينقطع دوره الحضاري حتى الزمن المعاصر للمؤتمرات.

ونظرا لعدم وجود أدلة على كلامه، أوجد المستشرق لنفسه مخرجا فاعتذر عن دوره التاريخي، إن لم يكن مهما فهو لا يخلو على الأقل من أهمية على مدار تاريخ أحداث الشرق. وهذا النوع من الألفاظ الموهمة، وكذلك ذات الصبغة التشكيكية، كثيرا ما يستخدمها المستشرقون عندما تكون القضية التي يطرحونها ظنية، أو تفتقد الأدلة التي تدعمها، وفي هذا الموضع بعدما تحدث عن عراقة الشعب الأرميني، وأوغل به في القدم، دون حجج ثابتة، فقد حاول التركيز على أهمية هذا الشعب بكلام قاطع، حتى إن لم يكن دوره غير بارز عالميا.

كمثال على بيان عراقة الشعب الأرميني، يتحدث "دسوف" عن الأدب الأرميني فيقول فيه: "مع أن أنقاض الآثار القديمة لهذا الأدب، والتي حافظت على نفسها من عامل الزمن والأيادي البربرية لغزاة أرمينيا، لا تزال غير مقروءة. منذ عشرات القرون ...ورغم ذلك، فإن البعض من هذه الأعمال التي تم نشرها، والتي صارت بذلك سهلة المنال للعلماء الأوروبيين، قد جعلت للأدب الأرميني القديم مكانة مرموقة بين الأدبيات الأخرى، ولاسيما الموضوعات التاريخية واللاهوتية"[1]، فإن الكاتب جعل للأرمن أدبا موغلا في القدم، يعود لعشرات القرون، لكنه يستدرك بأن معظم هذا الأدب يعود للحقبة النصرانية، وكلمة "معظم"، لفظ موهم في الكمية، ويفيد الأغلبية والكثرة، ولا يدل على مقدار معين ودقيق. لكن الحقبة النصرانية حديثة نسبيا، إذ لا تتجاوز قرونا معدودة، ومع ذلك، يتحدث بإصرار على عراقة هذا الأدب، فيجعل له مكانة مرموقة.

إذن، عند حديثه عن هذا الشعب النصراني، يصر الكاتب على أن لهذا الشعب أصولا وعراقة وحضارة، لكنه لما يصطدم بالواقع التاريخي، يسعى للتخلص منه بطرق فنية أخرى، يتخلص بها من تلك العوائق.

---

[1] Ibid. pp. 75 – 76.

- عند الحديث عن قوة هذه الشعوب الدينيـــة، يركــز المستشــرقون فـــي المؤتمرات على مدى شدة تمسكها بعقيدتها، واستماتتها في ســـبيل الدفـــاع عـــن عقيدتها، والإشادة بفضلها في ذلك. فهذا "ألكساندر شاكانوف"، يتحدث عن الشـعب الجورجي، فيصرح قائلا: "دافعت إيبيريا القديمة، على مدى أربعة عشر قرنا عن النصرانية وثقافتها، ضد الغزوات الدموية التـــي يشـــنها الكفـــرة والمحمديـــون، وأضحى الصليب الأرثوذكسي شيئا فشيئا، الرمز القومـــي لوطـــن الجورجييـــن، وأصبحت نصرة النصرانية هدفهم على مدى الحياة..."[1]، ولا يكتفي بـــهذا بـــل يواصل حديثه قائلا: "أما بعد سقوط القسطنطينية، في ١٤٥٣م (٨٥٧هـــــ)، فقـــد بقيت جورجيا طوال خمسين وثلاثمائة سنة الدولة النصرانية الوحيدة وسط آســـيا المسلمة...أمضى هذا الشعب حياته بين الصلاة والمعـــارك التـــي يشـــنها ضـــد الإسلام، إنه لم يضع أسلحته طوال أكثر من ألف سنة. ولو لم يكن الصليب يوشح رداءه، لكان نقشه في قلبه نقشا عميقا"[2]. فهذه قمة في الإعجاب والإشـــادة بـــهذا الشعب النصراني، المتمسك بديانته بعمق، والمقاتل في سبيلها دهرا طويلا. وهـــو أمر يحتاج عمليا الإشادة به عند أوروبا، راعية هذه الديانة، والقائمة عليها، حتـــى تضع في اعتبارها هذا الأمر، وتعطيه حقه ومستحقه. فالكنيسة هي الملاذ الوحيـــد في الماضي أمام جورجيا، وعليها أن تكون كذلك حاضرا، ولاسيما أن جورجيـــا تجاور شعوبا إسلامية، وقد حافظت قديما على النصرانية من أن تؤول للسقوط في أيدي المسلمين.

كانت العلاقة متبادلة بين الجانبين، جورجيا من جهة، والكنيسة وأوروبا مـــن جهة أخرى. ففيما حمت جورجيا أوروبا من غزو إسلامي، "ظلت الكنيسة ملجـــأ أمينا أمام أعين الجورجيين خلال كل تقلبات الدهر، التي ألمت بجورجيـــا. فقـــد حافظت على جذوة مشاعر حقدهم القومي ملتهبة في قلوبهم تجاه النفوذ الإســـلامي

(1) Chacanow, Alexandre : "Les influences etrangere sur la civilisationde la Georgie" – Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - Quatrieme partie - Section VII - p. 66.
(2) Ibid. p. 66.

القوي. لهذا السبب، فهي تلعب دورا معتبرا في حياة الشعب الجورجي"[١]. ويدعو بالتالي إلى مواصلة هذا المجهود، حتى تتواصل العلاقة القائمة بين الطرفين لحماية الكيانين من الغزوات والمؤثرات الخارجية، "فإن النصرانية، تحت النفوذ الموائم جدا للأقطار الغربية، ستحفظ جورجيا من التأثيرات المقتصرة على الشرق والظلام، وإن الصليب النصراني، الذي انتصب في إيبيريا القديمة، أصبح في الوقت نفسه الرمز الديني، والراية القومية للجورجيين في معاركهم ضد المسلمين"[٢]. وهذا تقرير ظاهره تاريخي ومعناه معاصر. وهي دعوة لأن تواصل الكنيسة، ومن ورائها الغرب، تقديم الدعم المعنوي والمادي لجورجيا، حتى تبقى سدا منيعا أمام انتقال الإسلام والمسلمين من آسيا إلى أوروبا، وتحافظ على ولائها لنصرانيتها وتفانيها في الالتزام والتمسك بها. وهي دعوة كذلك للمؤتمرات كي تسلط الأضواء بقوة أكثر على هذا الشعب النصراني، وعلى سواه من الشعوب النصرانية المجاورة للمشرق.

وقد يكتفي المستشرقون بالإشارة إلى بعض الشعوب أو تعيينها. ففي المؤتمر الحادي عشر بباريس سنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)، ذكر المستشرق "لامي" أن المستشرق "ماكليان" قدم قواعد لغوية بالإنجليزية، للسريانية العامية مثلما لا يزال يتكلم بها النصارى على ضفاف بحيرة "أورميا Ourmia" في كردستان وفي سهول الموصل[٣]، ففي هذا التنصيص التعريف بوجود نصارى في المنطقة.

كما كان المستشرقون يسعون لتقوية الأقليات النصرانية في البلدان الشرقية، ولاسيما المسلمة منها وإحلالهم مواطن هامة. ففي إشارة لأقباط مصر تحدث "كارل بيال"، في محاضرة له عن الباحث "أكاربلاد Akerblad"، فكان مما قال عنه، وهو يتحدث عن الآثار الفرعونية، إنه "كان يعشق علم الآثار، لدرجة أنه خصص لتلك اللغة، مصريين نصارى. كما يبدو أنه كان يعد كتابا حول الجغرافية

---

(1) Ibid. p. 71.

(2) Ibid. p. 69.

(3) Lamy Th. J.: "Rapport sur le progres des etudes syriaques depuis le dernier congres" – Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 – T3 – p. 4.

القبطية، تحتوي على مواد لم تكن في بداية عصرنا هــــذا، معلومـــات بطريقـــة مثالية"[1]. فتفضيله لنصرانيين على بقية المصريين، يدل على أنه يســــعى لنقــل خبراته إليهم، وبالتالي فهو مثال عن نقل الثقافة الغربية إلى أتباع الكنيســـة فــي المشرق، وبالذات الأقباط منهم، لتوطنهم في مصر ذات الأهمية البارزة، تاريخيــا وجغرافيا، ثم بحثه عن جغرافية الأقباط، لـــه دلالاتـــه السياســـية والاقتصاديـــة والاجتماعية لاهتمام الغرب بهذا المجتمع النصراني الذي يعيش وســـط مجتمـــع إسلامي كبير.

ج – التعريف بالهيئات التنصيرية:

تشمل كلمة هيئات كل ما كونه المنصرون من تجمعات ، سواء أكـــانت مدارس أم جمعيات أم منظمات، والهيئات التنصيرية كافة، يحق لها المشاركة فـي المؤتمرات، ولها حق اختيار من يمثلها. وفي هذا المجال يفخر المستشرق "كوينن Kuenen"، رئيس المؤتمر السادس في ليدن سنة ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ) بمؤسسات هولندا التنصيرية فيقول: "فإنها تملك كل الحق في إرســـال ممثليـــها إلـــى هـــذا المؤتمر، وإننا لنشاهد بكل فخر ما تجشموه من أجل ذلك"[2]. فالمنصرون خبيرون في استغلال الفرص، لذا، فلا يسمحون لأنفسهم بتفويت مثل هذه المناسبة، التي قل أن يجود التاريخ بمثلها عليهم، فكان لجمعياتهم ومنظماتهم مساهمات فعالة خـــلال المؤتمرات.

كما أن التنافس بين الهيئات التنصيرية التي ترعاها الكاثوليكية وتلك التـــي ترعاها البروتستانتية، وكل منها تعرض ما قدمته من أعمال لصـــالح التنصـــير، وبالتالي لمصلحة الاستشراق، وما يصحب ذلك من نتائج اجتماعية وسياسية، وهو ما أطلق عليه "كوينن": "المصلحة العلمية"[3].

---

[1] Piehl, Karl : "Quelques mots sur la vie et les ouvres de J. D. Akerblad" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 – Quatrieme partie - III section - p. 64 .

[2] Addresse de M. Kuenen - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - Seance d'ouverture - p. 45 - 46.

[3] Ibid. p. 46.

ولهذه الجمعيات نشاطات متعددة التوجهات، إلا أن تركيزها منصب على الجانب اللغوي، أكثر منه على الجوانب الأخرى، وقد يتباهون بفضل المنصرين السباقين للميدان. فهذا المستشرق "هنري برتود" يصرح بمثل هذا في المؤتمر العاشر بجنيف سنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ) فيقول: "من بين تلك اللغات التي لا نكاد نعرف أسماء لها، ويجب أن نصنفها، لغة "التزونجا Tzonga"، فإنها لم تكن لتأخذ مكانها عمليا، تحت نورَ شمس الدراسات اللغوية الإفريقية، إلا بفضل المنصرين البروتستانت من سويسرا"[1]. وفي حديث له عن اللغات البنغالية العامية، ذكر "والتر إليوت Walter Elliot"، في المؤتمر الثاني المنعقد بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩٣هـ) أن العديد من المنصرين نشروا نتائج دراساتهم للعامية[2]. وهذا يدل على أن الهيئات العلمية التنصيرية لها موقعها في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

كذلك الأمر بالنسبة للجمعيات، التي كانت تسعى لتبرز نفسها في المؤتمرات، وتوضح أعمالها وأنشطتها من فوق منبر المؤتمرين. ففي المؤتمر الثامن بستوكهولم سنة ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ) ، ينوه "دسوف D'Esoff"، بـ"جمعية الدعاية الإيمانية Congregatio propaganda fide"، التي أعدت منصرين عارفين بلغة أرمينيا و"زودتهم بكتب هجائية، ومصنفات في القواعد اللغوية وقواميس أرمينيا وكتبا في اللاهوت"[3]، وذلك رغم صعوبات الطباعة التي كانت تخطو مسيرتها الأولية في تلك الفترة، السابقة عن ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ).

وتبين بعض المؤسسات مساهماتها في أعمال أخرى، اجتماعية وثقافية وغيرها. وفي هذا المجال بين "جريمال دو جويرودان" أنه بعد تصنيفه المصادر في اللغويات، تبين له أن أهم المصادر في اللغويات الإفريقية، قام بها منصرون

---

(1) Berthoud, Henry: " Quelques remarques sur la famille des langues bamtou et sur la langue Tzonga en particulier " - Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes- Geneve -1894 - Quatrieme partie- Quatrieme partie - III Section - p. 171.

(2) Elliot, Walter - Address - The Turanian section -Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 - p. 59 .

(3) G. Esoff, G. d': "Apercu de l'etude de la langue armeniene en Europe" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - troisieme partie - p. 77 .

كاثوليك، منتمين إلى جمعية "الروح القدس Saint-Esprit"، وجمعية "قلب مريم المقدس Saint Coeur de Marie"[1]، ذكر ذلك في المؤتمر السابع بفيانا سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ). كما قدم المستشرق "فارلان Farlane"، عضو المؤسسة التنصيرية اللندنية، ورقة عمل حول غينيا الجديدة[2]، وذلك في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ).

ولا يقتصر الأمر على الجمعيات الصغيرة العاملة، بل هناك منظمات كنسية كبيرة أيضا. ففي حديثه عن مستشرق كبير، "أنريكو فابياني Enrico Fabiani"، يقول "كارل بياهل" في المؤتمر الثامن بستوكهولم سنة ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ): "إنه عضو في الإكليروس الكنسي الروماني، وكانت له كالعديد من أعضاء هذه الجماعة المتميزة ذوق غريزي للعلوم... وقد وهب نفسه أيضا للدراسات المصرية"[3].

وعادة ما تكون أبحاث هذه الجمعيات أدق من أبحاث غيرها، يصرح بذلك "جريمال"، لما تحدث عن جمعيتي "روح القدس" و"قلب مريم المقدس"، فقال: "إن الأعمال التي قام بها الجنرال "فيدارب Faidherbe" مختصرة جدا وجافة، وغير صحيحة أحيانا، ... أما أعمال المنصرين فهي على العكس من ذلك بالغة الصحة دوما..."[4].

كما ساهمت الجمعيات التنصيرية، في ثراء المكتبات العلمية. ففي مؤتمر المستشرقين العالمي السادس، المنعقد في ليدن سنة ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ)،

---

[1] Guiraudon, Th. Grimal de:" Notes de linguistique africaine - Les Puls -" Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 2 - T2 - p. 56.

[2] Meeting of Sections - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. xlvi .

[3] Piehl, Karl : "Quelques mots sur la vie et des oeuvres de J. D. Akerblad" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - Quatrieme partie - III Section - p. 60.

[4] Guiraudon, Th. Grimal de:" Notes de linguistique africaine - Les Puls -" Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 2 - T2 - p. 56 .

عرضت جمعية "إخوة سان جوريوس" ستة وثلاثين عنوانا، و قدمت "جمعية M. R. N. Crist"، قرابة سبعا وعشرين عنوانا[١].

وتحدث المستشرق "مهرن Mehren A. F."، على مدينة فيرونا، على أساس أنها مركز تنصيري منيع في تاريخ النصرانية، ويقول عنها: "إن هذا البلد الجميل... كان منذ قرون مركز الدراسات النصرانية، ومن هذا المنطلق كان له إشعاعاته على البلدان المجاورة"[٢].

د- أعلام التنصير في مؤتمرات المستشرقين العالمية:

للشخصيات التنصيرية مكانة هامة ومساهمات بارزة في مؤتمرات المستشرقين العالمية. فمنهم من قدم عملا مباشرا أمام لجان المؤتمرات، ومنهم من كان موضوع دراسات عرضت.

اتسمت أعمال المنصرين في مؤتمرات المستشرقين العالمية، بطابع الدراسة المعرفية، أو بالتجارب الشخصية والمغامرات الفردية، وسط مجتمعات شرقية. وتوجه هذه الدراسات في عمومها لتحقيق مصالح دينية وأهداف تثقيفية ضيقة. فإن القديس "لانجنهوف" اضطر للدخول وسط مجتمع قبائل "الداياك" المالاويين، المتوحشين كما يصفهم. وكان همه معرفة مجتمعها أكثر وكشف خباياها، قصد الوقوف على مدى القدرة على بث النصرانية فيها، إذ يصرح في المؤتمر الأول سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، قائلا: "بزيارة جزيرة بورنيو Borneo، أكبر جزيرة في العالم، حققت رغبة جامحة نمّيتها في نفسي منذ خمس عشرة سنة، وهي الوقوف بنفسي على إمكانات النجاح التي يمكن أن يحققها منصر كاثوليكي وسط

(1) Listes des ouvrages offerts au 6eme congres - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - pp. 190 - 191.

(2) Mehren, A. F.: "Correspondance philosophique d'Ibn Sab'in avec l'emperreur Frederic II" - Atti del IV Congresso Internationale degli Orientalistic - Florence - 1878 - Volume primo - pp. 371 - 372 .

جزيرة شاسعة مكتظة بقبائل الداياك التي تقيم فيها بطريقة عشـوائية"[١]. وكـانت للانجنهوف مغامرة خطرة وسط هذه القبائل، إلا أن حماسه لنشر عقيدتـه جعلـه يتجشم كل المخاطر. فقد تسلح بمجموعة من الجواهـر الزجاجيـة، والخواتيـم النحاسية، والدرر البلورية، وأم قلب الغابة. ويبدو أنه كان عارفا بأخلاقيات هـذا المجتمع أو بعضه. فقد بادر بطلب هدايا ما إن دخل منطقة الداياك، تتمثـل فـي الأرز والدجاج، وهذا يعني لديهم أنه لن يمسهم بسوء. إلا أنهم لم يكونوا ملزميـن تجاهه بأي حماية أو التزامات، فكان يتوقع أن يحصل له أي أمر. لذا، فقد استغل فرصة سنحت له فعرض فيها ما سماه "جواز سفر من النوع الرفيـع"، فكـان أن أعجب الداياك بهداياه البسيطة، فلم يعودوا يحترمونه فقط، بل صاروا يسـهرون على حمايته، فكان يقول: "من حسن حظ رأسي أنهم لم يرفضـوا أبـدا هدايـاي البسيطة التي طلبتها، فمجرد رفض من جهتهم كان سيكلفني حياتي"[٢]. في هـذا إذن، دليل على مدى اهتمام المستشرقين المنصرين بالدراسات الاجتماعية، قصـد التوصل إلى المزيد من التعرف على المجتمع الذي يريدون التنصير فيه. وفي هذا المجال أيضا، اهتم القديس "فارلان"، أحد أعضاء "اللجنة التنصيريـة اللندنيـة" بمجتمع غينيا الجديدة[٣].

فقد اضطر المنصرون إلى ولوج معمعة الدراسات الشرقية للضرورة الماسة لذلك. صرح بذلك المستشرق المنصر، "بارتود" من فوق منبر لجنـة الدراسـات المصرية واللغات الإفريقيـة، فـي المؤتمـر العاشـر بجنيـف سـنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، قائلا: "إن مهمتي التنصيرية أجبرتني على التمـيز بحفـظ إحـدى اللغات الإفريقية غير المعروفة في الدائرة العلمية عن ظهر قلب، والدخول بجدية، ليس في روح تلك اللغة وحدها فقط، بل في لب لغة البـانتو Banto عمومـا"[٤]،

---

[1] Langenhoff, L'Abbe - Etude Oceanienne - L'interieur de Borneo - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - premiere partie – p. 513 .

[2] Ibid. - premiere partie – pp. 515 - 516 .

[٣] سبق الحديث عنه ص ٩٥.

[4] Berthoud, Henry: " Quelques remarques sur la famille des langues bamtou et sur la langue Tzonga en particulier " - Actes du Dixieme Congres International

وعني القديس "نيوال Newell"، عضو "اللجنة التنصيريـــة اللندنيـــة London Missionary Society " بلغة "الساموا Samoa"[1].

كما اهتم المستشرقون المنصرون بالآثار والمخطوطات، هادفين البحث عـن جذور النصرانية وأصولها والمواطن التي وطئتها. فـــهذا البـــارون تكســتور دو رافيزي"يتحدث عن نقوش أرسلها له منصر رسولي في "مادوري Madure"، كي يقدمها ويدافع عنها في المؤتمرات، وفي غيرها من الهيئات العلمية، إذ يتحـــدث عن معبد من أوائل المنشآت في أراضي الهند التي أقامها أتباع "ســـان تومـــاس Saint Thomas"[2]. وحلل المستشرق نفسه في المؤتمـــر الثـــاني بلنـــدن ســـنة ١٨٧٤م (١٢٩٣هـــ)، بعض العصـــور الهنديـــة عدهـــا نصرانيـــة، واستشـــهد بمخطوطات عدة أرسلها له منصرون كاثوليك[3].

ويتم في المؤتمرات أيضا، تقويم جهود المستشرقين المنصرين، فقـــد أخـــذ "لانجنهوف" على سابقيه عدم التدقيق المعرفي والعلمي في معلوماتـــهم، فيقـــول: "عندما باشرت رحلاتي كنت أحمل دائما كتبا معي حول البلدان المتوحشة أو غير المعلومة بدقة... والتي كتبها أشخاص ،عموما، لم يزوروا هذه البلدان إلا علـــى عجل. بل لا يعلمون حتى لغة تلك البلدان. كما برهنت لي على أن الكتاب الذيـــن سعوا لخداع الشعب إنما خدعوا أنفسهم بالذات..."[4]. وحين سئل عـــن الأنـــاجيل

---

des Orientalistes- Geneve -1894 - Quatrieme partie- Quatrieme partie - III Section - p. 170 .

(1) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - Meetings of section - p. xlvi .

(2) Ravisi, Le Baron Textor de - Etudes Dravidienne - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris – 1873 - Vol 2 - p333.

(3) Ravisie, Textor de: "L'inscription de la pagode d'Oodeypore (dans le Malva) et la Chronologie hindoue au point de vue de Christianisme" - Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 - p. 431 .

(4) Langenhoff, L'Abbe - Etude Oceanienne - L'interieur de Borneo - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - premiere partie - pp. 513 - 514 .

المترجمة للغات الداياك أجاب بأن تلك الترجمة لا تتشابه مطلقا مع داياك الداخل، وإنما للداياك الخاضعين للاستعمار، وهؤلاء اكتسبوا بعض الحضارة[١].

ومن جانب دراسة أعلام التنصير كموضوعات في المؤتمرات، استشهد العديد من المستشرقين بأعمال قام بها منصرون، وقد تفاوتت الاستشهادات وتنوعت المواد المدروسة. فهناك الدراسات اللغوية والأدبية، وأيضا الدراسات الاجتماعية والجغرافية والآثار، وتوجد رحلات الأوروبيين للمشرق، كما وردت استشهادات تبين بعض الأنشطة التنصيرية. كما تم ذكر بعض المستشرقين المنصرين للاستشهاد بهم.

فحول الدراسات اللغوية، نجد العديد من المنصرين اهتموا بفقه اللغات الإفريقية. فحول لغات البانتو، يورد "بارتود" أنه تم إيجاد قواعد مقارنة لتلك اللغات، تم جمعها في مصنف، ويقول عنه: "وقد نشره الأب "توراند ج. J. Torrend"، من الإرسالية الكاثوليكية بزامباز"[٢]. فسبق هؤلاء المنصرين إلى ابتداع هذا العلم، وسبقهم في نشر هذا الكتاب المهم، يرجع بالفائدة على الاستشراق والتنصير معا، لذا، يتم التنويه بهذا العمل في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

كما يتضح أثر المنصرين في مؤتمرات المستشرقين العالمية في دعوة "جريمال دو جويرودان"، إلى استئناف أبحاث تحويل كتابة البلد لتكتب بالأحرف اللاتينية، "الدراسات الثمينة التي تمت تجربتها في السينيغال حوالي ١٨٢٠ أو ١٨٢٥م (١٢٣٥هـ أو ١٢٤٠هـ)، تحت التحريض الكبير للبارون "روجر Roger" فإن تبني نظام وطني وملائم لنقل الكتابة سيفرض نفسه أولا"[٣].

---

(1) Ibid. - premiere partie - p. 52.

(2) Berthoud, Henry: " Quelques remarques sur la famille des langues bamtou et sur la langue Tzonga en particulier" - Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - Quatrieme partie - Quatrieme partie - III Section - p. 170

(3) Guiraudon, Th. Grimal de:" Notes de linguistique africaine - Les Puls -" Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 2 - T2 - p. 95 .

فاستكمال ما لم يتم بعد من أعمال بدأت تحت إشراف منصر كبير، لا يدع أي شك في أن للتنصير تأثيرا في الاستشراق عامة، والمؤتمرات بخاصة.

وللمستشرقين المنصرين تفان في خدمة اللغات، تعرض كمثال يحتذى حين الممارسة العلمية. فهذا مثلا "كارل بيال" يستشهد ببعضو الإكليروس البابوي "أنريكو فابيانو Anrico-Fabiano"، الذي وهب نفسه للدراسات المصرية[1]. أما "آكاربلاد Akarblad"، فإنه كان يعشق علم الآثار "لدرجة أنه خصص لتلك اللغة مصريين نصارى"[2]. فهاتان دعوتان إلى الحافز المعرفي، وإلى ضرورة احتكار هذه المعارف لصالح النصارى، ودعوة للاهتمام بشؤون النصارى في كل مكان، وجعلهم يحتكرون أدوات الحضارة وأصولها حتى لا تصل إلى أيدي غيرهم.

كما أن نشر العقيدة النصرانية، أهم دافع لتعلم اللغات، ويبين ذلك من فوق أعلى منبر مؤتمرات المستشرقين العالمية. فهذا الكاردينال الفرنسي "ريشاليو Richellieu"، بعد أن تغلغلت فيه الرغبة الجامحة لنشر العقيدة النصرانية في كل بلدان العالم، ولى وجهه شطر المشرق، حيث ألزم نفسه ...إعادة المنشقين إلى العقيدة السليمة...ولهذا السبب، فإن دراسة اللغة الأرمينية بدأت في القرن السادس عشر بروما وباريس وهدفها الوحيد هو نشر الديانة"[3].

إذن، فالدراسات اللغوية في عمومها، تمت تحت إشراف كنسي، ولاسيما في خطواته الأولى، أما ما جاء بعدها، فهو مبني على أصولها الأولى. فالاستشراق ومؤتمرات المستشرقين، إذن عيال على المنصرين في العديد من الأعمال اللغوية، والعلوم المعرفية. ومن هنا يظهر الأثر النصراني في المؤتمرات.

---

(1) Piehl, Karl : "Quelques mots sur la vie et des oeuvres de J. D. Akerblad" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - Quatrieme partie - III Section - p. 60 .

(2) Piehl, Karl : "Quelques mots sur la vie et des oeuvres de J. D. Akerblad" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - Quatrieme partie - III Section - p. 64 .

(3) G. Esoff, G. d': "Apercu de l'etude de la langue armeniene en Europe" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - troisieme partie - - p. 78 .

هـ – أهداف دينية عامة:

مما ورد في هذا المجال، مطالبة المستشرق "جرانت دوف" "بضرورة فحص فلسطين الشرقية، "حيث لم نجد بعد أي شيء من شأنه أن يزيدنا توضيحا وفهما دقيقا لأجزاء العهدين القديم والجديد، منذ أن تمت ترجمته إلى اللغة العامية"[1]، وذلك في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ). وفي بطاقة دعوة المستشرقين الأجانب، للمؤتمر الثاني عشر بروما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، جاء ما يلي: "إن مؤتمرا عالميا للمستشرقين بروما يجب أن يوجه الانتباه، بصفة خاصة، إلى أصول الحضارات والديانات واللغات وتطوراتها، تلك التي سقت حوض البحر المتوسط"[2]. فهو يدعو إذن إلى البحث في الأصول الأولى للمقومات الحضارية، ومن ضمنها الدينية. وفي المؤتمر ذاته، قدم المستشرق "بول هوت" المجلدين الأخيرين لمنشوراته النقدية لنص العهد القديم العبري، أشعياء لـ"شاين Cheyne" الأستاذ بأكسفورد، وحزقيال لـ"توي Toy" الأستاذ بكامبردج[3].

في المؤتمر نفسه أيضا، قدم "جون ريفيو Jean Reville"، الأستاذ بالمعهد العالي للدراسات العليا بباريس مساهمة حول "المؤتمر العالمي الأول لتاريخ الديانات "Congres International d'Histoire des Religions"، "الذي سينعقد في باريس، من الثالث إلى التاسع من سبتمبر سنة ١٩٠٠م (من التاسع إلى الخامس عشر من جمادى الأولى ١٣١٨هـ)، ... حيث لن يحضر ممثلون عن الكنائس المختلفة والديانات المتنوعة، إذ ستكون لهذا المؤتمر صبغة تاريخية وعلمية بحتة، وسنحظر كل محاولة طائفية، وعدا ذلك ستسود مثل هذه الحرية الكاملة، والتي من دونها لا يوجد فعلا أبحاث علمية. إن مؤازرة المستشرقين في

---

(1) Grant Duff, Sir E. – Inaugural Address – Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 378.

(2) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 – T3 – Partie I – p. XV.

(3) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - T3 – Partie I – p. CLXVI.

هذه المهمة ضرورية، وهم مدعوون بصفة خاصة للانضمام للمؤتمـــر"[1]. فـــهذا المستشرق سعى للتعريف بهذا المؤتمر الديني، ومحاولة لم مؤازرين حوله، قصــد إنجاح أعماله، وحتى يؤمن أسس نجاحه، التي تحمل الصبغة التاريخية البحتة.

٣- الأهــداف الثقافيــة:

بعث مؤتمرات المستشرقين العالمية رجال علم وثقافة بصفة خاصة، وذلـــك لتناول موضوعات دراسية تتعلق بالشرق، بما فيها الجوانب العلميـــة والثقافيــة. وبالتالي كانت للمؤتمر أهداف ثقافية، سعى جاهدا لتحقيقها. وهذه الأهداف عديــدة ومتعددة، بحسب الميول الدراسية للبـــاحث، وبحســـب المصـــالح القوميـــة لبلـد المستشرق، وبحسب المؤثرات على توجه المشارك أو المؤتمرات نفســـها، إذ إن المؤتمرات تخضع في عمومها لمؤثرات خارجية، كما سيأتي[2]. وســـيتم تنـــاول بعض الأهداف الهامة، التي اتضح بروزها من خلال المؤتمرات، وهي:

- عولمة الثقافة.
- السعي لإحلال الحرف اللاتيني كبديل للحروف العالمية الشرقية الأخرى.
- التعريف بالمدارس والجمعيات الاستشراقية.
- التعريف بأقطاب المستشرقين.
- التعريف بأتباع المستشرقين من الشرقيين.

والملاحظ أن هذه الأهداف، الخاصة بمؤتمرات المستشرقين العالمية، جـــزء لا ينفك عن الأهداف الكبرى للاستشراق عموما، ومن هنا، فإن المؤتمرات، هـــي إحدى وسائل المستشرقين التي تساهم في تحقيق هذه الأهداف. وهذا ما ســـيتبين فيما يلي.

---

(1) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - T3 – Partie I – pp. CCXLIV - CCXLV.

(٢) يمكن الرجوع للتعرف على هذه المؤثرات ص ٤٦٦ – ٥٣٥ من الرسالة.

أ – عولمة الثقافة:

حرصا على المصالح الغربية، يسعى المستشرقون إلى فهم الشعوب الشرقية، حتى يمكن لدولهم حسن التخطيط القومي لتحقيق المصالح العامة، سواء منها الدينية[١] أو السياسية[٢] أو الثقافية[٣] أو الاجتماعية[٤] أو الاقتصادية[٥] أو غيرها. وهذا الدور لا يقدر التعمق فيه إلا العلماء الباحثون، ولاسيما المستشرقون. وتختلف هذه المصالح بنوعية البلاد المدروسة.

أما ما يتعلق بالأهداف الثقافية، والتي من شأنها أن تعود على الغرب بالمنفعة، فنجد ذلك بارزا حتى قبل انطلاق المؤتمر الأول، الذي جاء في خطته الأولية، التي ظهرت في السابع من يناير سنة ١٨٧٣م (التاسع من ذي القعدة ١٢٨٩هـ)، ما يلي: "إلى أي حد يمكن للأدب الياباني الحديث، المشبع بالأفكار الأوروبية، أن يعود بالفائدة على أوروبا؟ وهل يمكننا أن نفكر في أن التطورات الحاصلة من قبل علماء اليابان ستساعد تلقائيا حركة الشعوب الغربية العلمية؟"[٦]. والمعلوم أن اليابان كان الموضوع الرئيس لأول مؤتمر استشراقي عالمي، وهو مثال عن الشعوب الشرقية المدروسة. ويظهر بوضوح أن الفائدة والمنفعة هما الحافزان لدراسة هذا المجتمع الشرقي، وبالتالي غيره من المجتمعات.

ويبدو أن من أهداف مؤتمرات المستشرقين العالمية، توحيد الثقافة عالميا، أو على الأقل تقريبها. ويقول "كوينن" في هذا المجال، وذلك في المؤتمر السادس سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، فيقول: "في قرننا الذي نعيش فيه هذا، يدعى أن المسافة بين أولئك الذين يملكون والذين ليس لديهم أي شيء، اتسعت اتساعا كبيرا، لكن العكس هو الصحيح في الميدان الذي تتجه إليه دراساتنا... ثم هاهو مؤتمرنا يؤيد

---

[١] سيأتي تحليلها ص ٤٦٨ – ٤٨٧ من الرسالة.

[٢] سيأتي تحليلها ص ٤٨٨ – ٥٠٢ من الرسالة.

[٣] سيأتي تحليلها ص ٥٠٣ – ٥١٦ من الرسالة.

[٤] سيأتي تحليلها ص ٥١٧ – ٥٣٠ من الرسالة.

[٥] سيأتي تحليلها ص ٥٣٠ – ٥٣٣ من الرسالة.

[6] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme – Projet du congres – 1ere circulaire – p. V.

ذلك، فلا توجد أي مسافات"[١] . فهذا دليل على أن العمل الدؤوب نحو تقريب الثقافات بين الغرب والشرق من أهداف المؤتمرات.

وفي تحليله للعامل الحضاري يبدي "بول" نوعا من الخلفية التاريخية الازدواجية،الممزوجة بالاستعلاء العنصري، لما قال في المؤتمر ذاته: "هناك قول شائع يرى أن العقلاء يأتون من الشرق... وإنكم لن تنكروا علي بالتأكيد إذا ذكرت أن الحضارة وجدت سبيل ازدهارها القديم على ضفاف الأنهار الكبيرة في آسيا الشرقية، وفي السهول الواقعة حول دجلة والفرات، وإنه يجب على أوروبا أن تأخذ القسط الكبير من تطورها العلمي من الدروس التي قدمتها لها آسيا..."[٢]، لكنه يتحول فجأة مصرحا أن مسيرة الحضارة أحدثت انعراجا مفاجئا: "لكن مسيرة الحضارة كانت غريبة جدا، ومع حسن حظنا نحن، أنها لم تشأ أن تتطور في المناطق التي ولدت في أحضانها، فقد توجب عليها عند كل خطوة عملاقة من التطور، عوامل أخرى لظروف أخرى، وهذه الحاجة جعلتها تبحث عن كل موطن تطور في جميع أنحاء العالم"[٣]. وكنتيجة لذلك، فإن على أوروبا، وارثة الحضارة، أن تصحح مسار الحضارة بكل الطرق. من ذلك عملية التأثير التثقيفي على القابعين تحت الاحتلال الذين "يتثقفون بطريقة تضمن خروجهم في النهاية من دائرة الأفكار الضيقة، ومن الاستلاب الذي قبعوا فيه منذ قرون نظرا للتأثيرات المنفعية التي مارسناها عليهم، والتي تمارسها بين الفينة والأخرى دراساتكم..."[٤]. وهكذا مادامت الفرصة وصلت لحوزة أوروبا، وجب استغلالها الاستغلال الكامل، لإبراز دورها على الساحة العالمية، لذلك يسعى المستعمرون إلى محاولة مسخ كل الموروثات الحضارية الأصلية، بل حتى اللغة، وسيأتي تحليل ذلك لاحقا. إذن، إحلال الثقافة والحضارة الغربية محل الثقافات والحضارات الأخرى، هدف آخر من أهداف الاستعمار، حسب مؤتمرات المستشرقين العالمية.

---

(1) Kuenen (Address) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – premiere partie – p. 53.

(2) Bool (Discourt) - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - Premiere partie – pp. 224 –225.

(3) Ibid. – Premiere partie – pp

(4) Ibid. – Premiere partie – p. 225.

إلا أن هذا التقارب وجب أن يبقى تحت الهيمنة الثقافة الغربية وتحت إشرافها. فهذا "الكونت أنجلو دو جوبارناتيس"، يتحدث عن الفلكلور، وذلك في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، فيذهب إلى أن دراسة الفلكلور ستؤدي إلى تقارب الثقافات، ثم اندماجها لتشع من مشكاة واحدة. ويؤكد كلامه هذا قائلا: "الفلكلور لا يرجعنا فقط إلى الصفحات الأولى من التاريخ المدني للإنسانية، ولكن إلى عصر ما قبل التاريخ، لكي نعرفه من بدايته، ونجده ثانية في تظاهراته الأدبية الأولى "[(١)]. فالرجوع للبوتقة الفلكلورية الأولى، سيؤدي إلى التلاحم والتوحد. لكن لمن ستكون الكلمة العليا لما يتم هذا التجمع الفلكلوري وبالتالي يسيطر عليه ويوزع قبساته؟ هم الغربيون أنفسهم، إذ يقول المستشرق في ختام حديثه: "يجب أن نحفظ للمستشرقين الكلمة الأولى، وإلا فلتكن الأخيرة"[(٢)]. فهو صراع ثقافي إذن، فإما أن يقود المستشرقون عالمهم الغربي، ويكونوا الرواد في هذا المسار، نحو السيطرة الكاملة على قبس الثقافة، أو فليكونوا أتباعا منقادين، لأرباب الثقافات الأخرى. ومن هنا، يجعل المستشرقين هم عصب مثل هذا التكامل والتلاحم، وأن المستقبل للاستشراق والمستشرقين، وهي دعوة لتبوء المستشرقين الأدوار الهامة في مجتمعاهم وأن يكون زمام القيادة بأيديهم، ولعل هذا ما يفسر وجود العديد من المستشرقين في مراكز قيادية واستشارية عليا.

والمؤتمرات ما هي إلا أحد المنابر العاملة في ميدان الاستشراق، الذي يسعى للتمكن من بسط بعض النفوذ الثقافي، بقدرته على ولوج جميع الميادين الحضارية، وتناولها بالدرس والتحليل، وما بقي له سوى تجميعها وترتيبها، ثم إعادة تشكيلها، ثم عرضها من جديد على الجمهور، بما في ذلك أصحابها الأصليون، تماما كما تصنع المواد الخام. ومن الأدلة على ذلك أيضا، ما ذكره "ماكس ميللر" عند افتتاح مؤتمر المستشرقين العالمي التاسع، فقد أثنى على المستشرقين وحط من شأن العلماء الشرقيين لما قال: "فإنه يجب أن نتأكد دون خوف التناقض، أن معرفتنا حول الوجود اليقيني لأول حقبة، يرجع الفضل فيها إلى اكتشافات الدارسين المستشرقين... أما عن التاريخ القديم للعلماء، فيمكننا أن

---

(1) Ibid. p. 814.

(2) Ibid. p. 814.

نقول إنه تم تزييفه من قبل أيادي الباحثين الشرقيين..."[١]. فـ"ماكس ميللر"، أحد أكابر المستشرقين ورئيس المؤتمر، يتهم المؤرخين الشرقيين بتعمد تزييف التاريخ المتعلق بمناطقهم، وأن الفضل سيعود للمستشرقين الذين سيتولون إعادة تشكيل التاريخ الشرقي وكتابته من جديد وفق المنهج الذي يرونه. وهو مثال من عديد الأمثلة التي يسعى المستشرقون إلى بلورة وجهتها الثقافية، بحيث يتم ترتيبها وفق ما يرونه يخدم مصالحهم، ثم يبثونها بين الأيادي الشرقية.

ومن الأدلة على العمل على عولمة الثقافة، تصريح "سنوك هورخروني" في المؤتمر الثامن عشر بليدن سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ) فقال: "إن غايتنا الموحدة، رغم كل شيء، بقيت ثابتة، ألا وهي الاندماج الثقافي بين الشرق والغرب، والذي من شأنه أن يساعد في الأساس على تكوين الوحدة الفكرية السامية للجنس البشري"[٢]. يدعو المستشرق في هذه الكلمات إلى ضرورة المحافظة على الهدف النهائي، وتجنب المعوقات التي تنتصب في طريق تحقيق تلك الغاية. وليس الاندماج الثقافي هو الهدف النهائي فحسب، بل التمازج الفكري وأوحاديته أيضا. وهذا التوجه ردده وزير المستعمرات الهولندي "جراف Graaff" في المؤتمر نفسه فقد بين أهمية مؤتمرات المستشرقين ، ليس التطور العلمي فقط، لكن للمساعدة في التقارب العملي بين الشرق والغرب[٣]. ويبدو أن هذه الفكرة منتشرة بين قادة هولندا ومثقفيها، و يرونها مثالية نوعا ما، ويرى أن أكبر خطر يتمثل في التخصصات التي تشهدها ساحة الدراسات الاستشراقية، وينهي كلامه بطرح تساؤل جاء فيه: "فهل بمقدور جلسات لجاننا والحفلات الرسمية، واللقاءات الخاصة كل الملتقيات التي يوفرها لنا هذا الأسبوع، أن تؤدي بنا إلى تقوية شعور الوحدة في نفوسنا، في دراساتنا الاستشراقية المختلفة"[٤].

---

(1) Muller, Max – Inaugural Address – Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 – Vol. I - p. 32.

(2) Snouck, Hurgronje C. – Allocation – Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes - leiden - 1931 – pp. 22 - 23.

(3) Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes - Leiden - 1931– p. 24.

(4) Ibid. p. 23.

وهناك آراء تنادي بدراسة المجتمعات بعيدا عن الغزو الثقافي الغربي، من ذلك ما نادت به لجنة الدراسات الأسترالية والمحيطية، ألا وهو "مباشرة حشد طاقاتها فورا، لتعزيز بحوث العادات والديانة الفطرية للقبائل في غينيا الجديدة، المعرضة حاليا إلى تغييرات حثيثة، بسبب الحضارة الغربية الغازية"[١] ، ورد هذا في المؤتمر التاسع. فهي دعوة لإشباع رغبة المعرفة لمجتمع من مجتمعات الشعوب القديمة التي تعيش على فطرتها وبالتالي إشباع روح المعرفة والفضول العلمي، ولاسيما أن مثل هذا الأمر اشتهر في أوروبا خلال القرون المتأخرة. فالغرب ينبهر بالأساليب القديمة لحياة المجتمعات الشرقية، ويعجب بها كثيرا.

ب – السعي لإحلال الحرف اللاتيني بديلا للحروف الشرقية:

يشتكي الغربيون من صعوبة اللغات غير الأوروبية. ولذا، فإن المؤتمرات تؤيد الدعوة إلى تبسيط كتابتها. والملاحظ أن الغربيين ينظرون إلى صعوبة اللغات الأخرى بالنسبة لهم. ولا يتكلمون عن صعوبة اللغات الغربية على الشرقيين. فيتذمرون من أشكال الكتابات الشرقية ونوعياتها وطرق تدوينها. ومن ذلك ما ذكره "ماديي دو مونجو" عن العلاقات التجارية من اليابان، في المؤتمر الأول، حين صرح قائلا: "كل العقود الجارية، مدنية كانت أو تجارية، وهي عديدة وهامة، بين اليابانيين والأوروبيين، هي وسائل لا شكل لها. وليست هذه العقود محررة بعيدا عن مبادئ الحق العام. وهي محررة في لغة نحوية سقيمة متميزة بعلاماتها الموجزة وتعليقاتها المعنوية التي لا يمكن تبريرها..."[٢] . كما يشتكي "فون كريمر" في المؤتمر السابع بفيانا سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، من صعوبة اللغة الصينية قائلا: "إن اللغة الصينية صعبة جدا، لدرجة أنه خلال القرون الماضية، لم يقدر أي عالم أوروبي على فهمها، ما عدا بعض المنصرين، وقد

---

(1) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. xlvi .

(2) Montjau, Ed. Madier de: "De l'ecriture des actes sous seign prive au Japon" – Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 164.

أصبحت موضوع دراسات جدية..."[1]. ولذا، فإن من مرتكزات المؤتمرات الأولى نقل الحروب اليابانية والصينية إلى الحروف اللاتينية.

ومن هنا فقد طال الأمر هذا مؤتمرات المستشرقين العالمية، وخصصت له مواطن ضمن دراساتها، وفي هذا المجال، يدعو "صمويل برتش" في المؤتمر الثاني بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ)، إلى إعادة النظر في الموضوع إذ يصرح قائلا: " أعود للحديث عن نقطة أخرى ستجلب الاهتمام إليها، ألا وهي عملية نقل النصوص الشرقية إلى لغاتنا. أكدت تجمعات دراسية في بعض المقترحات، في صفحات صحف عملية، على اعتماد نظم مميزة لأشكال المساهمات المقبولة"[2]. فهذا المستشرق يدعو لأن تكون المشاركات مكتوبة بحروف لاتينية، فتكون موحدة في شكلها حتى تكون مقبولة من قبل المؤتمرات. كما دعا إلى الحسم في مثل هذا الموضوع بقوله: "فإن قرارا مميزا لعملية نقل عالمية يجب أن تراعى فيها الأهمية الكبرى، مثل أن يبطل في حالات عدة، أهمية الاستعارة في صفحات مختلفة وطرق شرقية متنوعة، وبنسق عال وصعب... فإن هذا الموضوع سوف يصبح بلا شك مقبولا حسب اعتبارات موحدة من لجان المؤتمر..."[3].

عن هذا الموضوع ذاته، أخذ "جريمال دو جويرودون" على الحكومات الاستعمارية في إفريقيا عدم تفهمها وتقديرها لما يتكبد في هذا الشأن من متاعب ومشاق، وذلك في المؤتمر السابع، ويرى أنها لا تولي الاهتمام الكافي بما يتكبده المنصرون من مشاق "قصد تعليم أطفال إفريقيا قراءة لغتهم المنقولة بالكتابة اللاتينية وكتابتها، دون أن تدع تدريس اللغة الفرنسية أو الإنجليزية..."[4]. ويضيف: "إلا أن الحكومات الاستعمارية لا يبدو أنها فقهت عظمة ونبالة هذه

---

[1] Von Kremer – Die Eroffnungostizung des congress – Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 – Vol1 – T1 – p. 38.

[2] Birch, Samuel – Inaugural Address – Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 – p. 5.

[3] Ibid. p. 5.

[4] Guiraudon, The Grimal de : "Notes de linguistique africaine – Les Puls -" – Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 – Vol. 2 – T2 – p. 93.

المهمة التي تؤدي إلى نتيجة عملية أكيدة..."[١]، هذه المهمة العظمى التي يقوم بها المنصرون، يعدها المستشرق من "أعظم الأعمال على الإطلاق، من أجل التحضير والتحرير الفكري لهذه الأجناس"[٢]. فحسب هذا المستشرق، قضية تغيير الحروف الوطنية إلى اللاتينية، أسلوب من أساليب التطور، وهي وسيلة من وسائل الأخذ بأصول الحضارة والتفكير.

و ذهب "صمويل برتش" الوجهة نفسها قائلا: "وعندما تنفذ هذه الخطة بأكملها، لا يبقى شيء يربط الشرق بالغرب، بدرجة أقوى وأعظم من إزالة هذه الحواجز التي تمنع الملكية السهلة لمثل مفاتيح الفكر هذه، وهي ضرورية للفهم المتبادل والسعادة العالمية"[٣]. فوحدة الحروف اللاتينية، حسب هذا المستشرق، وسيلة من وسائل ملكية خيوط الفكر وتوجيهه، وتؤدي للفهم المتبادل والسعادة العالمية. كما أنه يرى أن توحيد حرف الكتابة، طريق للتوحيد الجغرافي، إذ نجده قال قبل هذا أن توحيد كتابة اللغات الأوروبية: "تعد أول خطوة نحو وحدة الأقطار الأوروبية، وذلك باعتماد أبجدية موحدة"[٤]، وحسب تحليله، كان يجب أن تنطلق السعادة العالمية والتفاهم الفكري من أوروبا وفيها، لكن الحاصل أنه قبيل انطلاق المؤتمرات شهدت أوروبا معارك طاحنة على جل الجبهات[٥]، كما أنه بعد أقل من نصف قرن، حدث دمار كبير في أوروبا بسبب الحرب العالمية الأولى، وبعد سنوات معدودات عاشت أوروبا حربا عالمية ثانية، أشد دمارا من الأولى، ولا تزال الحكومات الأوروبية عديمة الثقة ببعضها، ولا تزال الحروب تعصف ببعض أطرافها، رغم المساعي الحثيثة للتوحد الثقافي والعسكري والاقتصادي، وربما السياسي والجغرافي.

إلا أن هذه المساعي، لا تكاد تخلو من مشكلات متنوعة، من ذلك صعوبة الاتفاق على أبجدية لغوية موحدة، تتماشى مع ألفاظ اللغة الواحدة. فهذا "لوي دو

---

(1) Ibid. p. 93.

(2) Ibid. p. 93.

(3) Birch, Samuel – Inaugural Address – Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 – p. 6.

(4) Ibid. p. 6.

(٥) تم التطرق لهذا الأمر ص ٤٩ من الرسالة فما بعدها.

زيلانسكي" يطرح مشكلة تتعلق بحرف من حروف اللغة اليابانية، وذلك في المؤتمر الأول فيقول: "إنه ليؤسفني أن نظامنا في النسخ يلقى دائما بعض الريب في ما يخص الكلمات التي يوجد فيها "O" الطويل. وبما أن اليابانيين لا يحكمون في هذا الأثناء عن ضرورة نقلها كلها بنفس الطريقة، وجب علينا أتباعهم في هذا الشأن"(١). ومن هنا يتبين أن عملية نقل الحروف معرضة أيضا لمشكلات عدة، من شأنها أن تخرج عن المألوف لدى اللاتينيين من وحدة الحروف كإضافة أشكال وعلامات على حروف رئيسة. وقد تحتدم المناقشات بين المتحاورين حول نقطة من هذا القبيل، مثلما حصل عند الحديث عن أبجدية للغة اليابانية أو الصينية مثلا(٢).

من العوائق أيضا، تعدد اللغات وكثرتها، الأمر الذي سيكلف الغرب جهدا جهيدا. وفي هذا الجانب، يقول "صمويل بيرتش": "لعله ليس من الضروري للمؤتمر أن يعد درجة الرغبة الجانحة نحو مناقشة مسألة أبجدية لغوية عالمية من شأنها أن تزيل ما لدى الشرقيين أنفسهم من ضرورة كتابة لغاتهم المتعددة، والمتوزعة بطرق مختلفة. أما إذا أمكننا تقسيمها، فإن ذلك يمثل فائدة كبيرة تكتسبه تلك اللغات من الغربيين، فقد تنقضي شهور، وربما سنوات في البحث عن أبجدية رئيسة مقطعية لأنواع اللغات المختلفة"(٣). فهذا أيضا من العوائق أمام عملية نقل الحروف الشرقية.

ثم هل سيساعد هذا التعدد اللغوي، حتى إن تم نقله للحرف اللاتيني، على التقارب الثقافي كما يصرح بذلك المستشرقون. يبدو أن الأمر صعب المنال. إلا أن الهدف هو رؤية الحرف اللاتيني يحل محل الحروف الأخرى، وأن يصبح الحرف العالمي الوحيد، وهو ما يسعى المستشرقون ومؤتمراتهم ومن يقفون من ورائهم إلى تحقيقه، إذ بذلك يضيع تراث الأمة، وتنسلخ عن ماضيها، وتبتعد عن

---

(1) Louis de Zelinski: "Transcription Europeenne des Textes Japonais" – Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 392.

(2) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome - 9eme séance – pp. 384 – 417.

(3) Birch, Samuel – Inaugural Address – Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 – p. 6.

أصولها، ساعتها تقع الأمة في فراغ وضياع، يمكن للمستشرقين والغرب من ورائهم، استغلاله بطرقهم الخاصة التي يرونها، وتتفق ومصالحهم الشخصية والدولية والاستراتيجية[١]، وأهدافهم الاستعمارية والسلطوية والدينية والثقافية....

ولعل هذا بعض ما تفطن إليه المستشرق "ريكمانس Ryckmans"، إذ يرى أنه حتى إن تغير الشكل، فلن تتغير الخصائص، ويقول في المؤتمر التاسع عشر بروما سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ): "النقل إلى الصفات اللاتينية، التي يحاول إدراجها حاليا، لا تخلو من سلبيات: إنها لن تغير الخصائص واتجاه الكتابة، وهي مؤهلة دائما لخلق مبهمات. إن النقل العبري يحتاج علامات شكلية،... إن النقل العربي معقد جدا، وتعترضه عقبات الربط، التي لا تتناسب مع الصفات المفردة والكلمات التي تتسم بالنقص أو البتر"[٢]. ورغم ذلك، نجد في المؤتمر نفسه إصرار على ضرورة النقل تلك، يجسم هذا النداء المستشرق "تيشنر Teeschner"، الذي يقدمه كمقترح وفيه: "إن مؤتمر المستشرقين العالمي الثامن عشر بليدن، يرغب في توجيه توصية لكافة المؤسسات العلمية التي تنشر الدراسات الإسلامية، إضافة إلى الدوريات العلمية، التي تستلم مقالات في المجال نفسه، اعتماد طريقة مثالية للنقل العالمي للغات الإسلامية الثلاث، الهامة جدا، العربية والفارسية والعربية"[٣].

ومع ذلك، نجحت تلك المحاولات مع لغات دون أخرى، كالتركية مثلا، وبعض ما اعتمدوه ظل مستخدما في الغرب دون أن يكون له تأثير مباشر على اللغات الأصيلة، مثل العربية.

ج – التعريف بالمدارس والجمعيات الاستشراقية:

---

[١] الاستراتيجية: أصلها فن القيادة العامة في الحرب. وقيل علم. وتطلق عموما على الخطة العامة التي توضع لإحراز هدف معين. عن الموسوعة العربية الميسرة – ص ١٤٠.

[2] Ryckmans G.: "Comment realiser un dictionnaire des anciens dialectes Sud – Semitiques" – Atti del XIX Congresso Internazionale degli Orientalistic - Rome - 1935 – p. 445.

[3] Teeschner F. – Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes - leiden - 1931 – pp. 96 – 97.

تعمل المؤتمرات على إبراز بعض المدارس أو الجمعيات الاستشراقية، ولاسيما غير البارزة منها، أو العاملة في الخفاء، قصد فهمها وبيان مسار أعمالها أو الدعاية لها، وبيان نقاط الضعف فيها، وإمكان التعاون معها ومساعدتها.

ج - أ- المدارس الاستشراقية:

فمن ناحية المدارس، كثيرا ما تم الحديث عن العديد منها، سواء بصفة مختصرة أو باستفاضة. من ذلك مثلا، أن المستشرق "فون كريمر" تحدث بإيجاز عن المدرسة النمساوية، وذلك في المؤتمر السابع بفيانا سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، وبين أن خرجت من هذه المدرسة مؤسسات أدبية عدة تهتم بالمعارف الشرقية، وبالتالي شهدت "فينا" ثقافة استشراقية متخصصة ومتعمقة ومتعقلة كما وصفها[١]. وتطرق المستشرق "دسوف" للمدرسة الروسية خلال المؤتمر الثامن بستوكهولم سنة ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ)، وجاء في كلامه: "إن روسيا، المقتنعة برسالتها الثقافية تجاه الشرق، عرفت تدريجيا ضرورة التطوير المتواصل لدراستها الثقافية، وخلق عدة مجمعات حيث تتمركز دراساتها، كلما توسعت حدودها الإمبراطورية..."[٢]، وعن المدرسة نفسها تحدث "إيريني دو نوفل Irenee de Nauphal"، مبعوث الحكومة القيصرية فقال: "أظن أن مهمتي الأولى تتمثل في تأكيد المهمة الكبرى التي توليها روسيا دائما لكل الجهود التي تتمثل مهمتها في البحوث العلمية المتعلقة بالعالم الشرقي القديم. لا يمكننا أن نتناسى أن العناصر الأولى لعملية تثقيفية ضرورية لكنها طبيعية، تم استعارتها من الشرق، وأن روسيا تدين بجزء هام، بل أقول جوهريا أيضا، من تاريخها، سواء السياسي منه أو الديني، بسبب التواصل المباشر مع هذه الجزئية الهامة من العالم العتيق..."[٣]. وفي المؤتمر ذاته، تحدث

---

[1] Von Kremer – Die Eroffnungsstizung des Congress – Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 – Vol1 – T1 – p. 42.

[2] Esoff, G. d' G.: "Apercu de la langue armenienne en Europe" – Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes – Stokholm et Cristiania - 1889 – Troisieme partie – II section - p. 80.

[3] Nauphal, Irene de (Discours) Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 – p. 423.

"هنري كورديي" عن الدعم الفرنسي المتواصـــل لتنميـة مؤسسـات المدرسـة الاستشراقية الفرنسية[١].

وفي المؤتمر الرابع عشر، بالجزائر سـنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، تحـدث "الماركيز دو جريجوريو Marquis de Gregorio" مندوب الحكومة الإيطاليـة، عن الأهمية التي توليها حكومته للدراسات الشرقية، وقال إنها كونت فـي جـل الجامعات كراسي للسنسكريتية، وفي بعضـها كراسـي للدراسـات المصريـة والصينية، وإنها زادت مؤخرا في عدد الكراسـي العربيـة واللغـات السـامية المقارنة[٢].

وفي المؤتمر السابع عشر بأكسفورد سـنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، قـدم المستشرق "بريستد Breasted" أضواء عن المدرسة الاستشراقية الأمريكيـة[٣]. أما في المؤتمر الثامن عشر بليدن سـنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)، فقـد تحـدث المستشرق اليوغسلافي "بـاجراكترارفتش Bajraktrarevic"، عـن المدرسـة الاستشراقية اليوغسلافية، واهتماماتها بالبحوث الإسـلامية فيمـا بيـن ١٩١٧م (١٣٣٥هـ)، حتى ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)، مبينا العلاقات المميز بين يوغسـلافيا والعالم الإسلامي، وأن المواد الإسلامية المختلفة التي تملكها يوغسلافيا، كان لـها الحافز الكبير في تنمية تلك الدراسات، وقسم الباحثين اليوغسلاف في هذا المجـال إلى مجموعات ثلاث، أولاها وجهت اهتمامها إلى اكتشـاف الآثـار والمصـادر التركية على الأراضي اليوغسلافية، والثانية إعتنت بالتاريخ الإسلامي والقـرآن الكريم والحقوق القانونية والروابط الاجتماعية. والثالثة وجهت اهتمامها للأعمـال الأدبية الإسلامية، والتركية منها بصفة خاصة[١]، كما ألقاها مـرة أخـرى فـي

---

(1) Cordier, Henry (Discours) Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 - p. 422 .

(2) Gregorio, Marquis De (Discours) Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 – p. 83 .

(3) Breasted J. H. (Address) Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 – pp. 100 – 102.

والتركية منها بصفة خاصة[١]، كما ألقاها مرة أخرى في المؤتمر التاسع عشر بروما سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)[٢].

وفي المؤتمر العشرين ببروكسيل سنة ١٩٤٨م (١٣٥٧هـ)، تحدث كل من وزير التثقيف الشعبي البلجيكي "ديـاركس Dierckx"[٣] والمستشرق "جون كابار"[٤] عن سمات المدرسة الاستشراقية البلجيكية. وسلط المستشرق الفرنسي "جاك باكو" بعض الأضواء عن المدرسة الاستشراقية الفرنسية[٥] وذلك في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ).

في المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، تحدث رئيسه "ياماموتو تاتسورو" عن تطور نشاط المدرسة الاستشراقية اليابانية، ومما قاله: "إذا تحدثنا تاريخيا، فإن التقليد الدراسي الياباني انطلق من الصينية القديمة والبوذية... لكن في السنوات الحديثة، توسعت جهود باحثينا إلى حد بعيد، لتشمل مناطق آسيا وشمال إفريقيا. وبما أن معظم منشوراتنا كتبت باللغة اليابانية، فإن دراساتنا لم تعرف على نحو كاف لدى المجتمع العالمي، وأتمنى أن يقلص المؤتمر ضعف الدعاية لها. وفي الحقيقة إننا تواقون جدا للاستماع لتقويم الباحثين وانتقاداتهم الذين جاؤوا من خارج اليابان"[٦] فهذا المستشرق إذن جعل التعريف بالمدرسة الاستشراقية اليابانية والدعاية لها من أهداف المؤتمر هذا.

---

(1) Bajraktarevic F. "Les etudes Islamiques en Yougoslavie" – Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 – pp. 240 - 241.

(2) Bajraktarevic F.: "L'Etat actuel des etudes Islamiques en Yougoslavie" - Atti del XIX Congresso Internazionale degli Orientalistic–Rome –1935–pp. 515–520

(3) Dierckx O. - Discours – Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 – p18.

(4) Capart, Jean– Discourt – Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 – pp. 21 – 24.

(5) Capart, Jean(Discours) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 – pp. 26 – 27.

(6) Yamamoto Tatsuro (Address) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 – T1 – pp. 29 – 30.

أما عن المؤسسات الاستشراقية، فقد تعرضت المؤتمرات لبعضها كذلك. ففي أثناء حديثه عن أنشطة المدرسة الهولندية، تعرض "كوينن"، لذكر بعض الهولندية منها، وأهمها[١]:

Societe des Arts et des Sciences de Batavia.	مؤسسة الفنون والعلوم بباتافيا.
Institut de philologie, de Geographie et d'ethnologie pour les Indes neerlandaises..	معهد فيلولوجية المناطق الهندية الهولندية وجغرافيتها وإثنولوجيتها.
Societe Indienne.	المؤسسة الهندية.
Societe de Geographie.	المؤسسة الجغرافية.
Ecole de Delft pour l'enseignement des langues, de la Geographie et de l'ethnographie des Indes neerlandaises.	معهد دفت للدراسات اللغوية والجغرافية وإثنولوجية الهند الهولندية.
Ecole des fonctionnaire des Indes Orientales.	معهد موظفي الهند الشرقية.

وفي المؤتمر الرابع عشر، نوه "بيانفوني-مارتن Bienvenu-Martin"، وزير التثقيف الشعبي والديانات، بمعهد الآداب بالجزائر، بوصفه مركزا للدراسات العربية، تاريخا وحضارة وأدبا، ولاسيما ما يتعلق منها بشمال إفريقيا، ودعاه إلى مزيد التركيز على الحاضر والمستقبل، أكثر من الاهتمام بالماضي[٢]. وتحدث "جاك بيران Jacques Pirenne" عن تأسيس مركز لدراسة تاريخ القضاء في العصور القديمة "Centre d'Etudes d'Histoire des Droits Antiques"[٣]. وفي المؤتمر الحادي والعشرين تم الاحتفال بخمسينية "المعهد

---

(1) Kuenen – (presedent du congres) – Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – p. 46 – 47.

(2) Bienvenu-Martin (Discours) Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 – premiere partie – p. 76.

(3) Pirenne, Jacques : "Annonce de la creation d'un centre d'histoire des droits antiques" – Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 – pp. 83 – 89.

الفرنسي للشرق الأقصى "Ecole Francaise d'Extrreme-Orient"[١]. وفي المؤتمر نفسه، تحدث المستشرق "روبار Robert" عن نشاط "معهد الهند-الصينية لدراسة الإنسان Institut Indochinois pour l'Etude de l'Homme"[٢]، وفي المؤتمر الرابع والعشرين بميونخ سنة ١٩٥٤م (١٣٧٧هـ)، تحدث المستشرق "إدوارد دورم Edouard Dhorme" عن "مؤسسة ليدزبارسكي Fondation Lidzbarsky"[٣]، التي خصصت ميدالية دورية لأفضل بحث استشراقي، والتي سيأتي الحديث عنها[٤]. أما في المؤتمر الخامس والعشرين بموسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، تحدث المستشرق "إليسياف Elisseeff"، عن أنشطة المعهد الفرنسي الدراسات العربية بدمشق Institut Francaise d'Etude Arabe de Damas"[٥].

وفي المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، تحدثت المستشرقة المكسيكية "جراسيالا دو لا لاما"، عن "جمعية أمريكا اللاتينية للدراسات الآسيوية والإفريقية The Latin American Association of Asian and African Studies (ALADAA)"، فقالت: "إن "جمعية أمريكا اللاتينية للدراسات الآسيوية والإفريقية، التي تأسست في العام ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، عقدت ثلاث اجتماعات إقليمية في مكسيكو فكولومبيا، وحديثا في البرازيل. وعلى سبيل المثال، دعوني أعلن أن أكثر من ثمانمائة شخص يدرسون اليابانية في أمريكا اللاتينية، كما أن العديد من الباحثين يترجمون مصادر التقاليد الآسيوية إلى الأسبانية والبرتغالية. كما أن التاريخ والظروف الاقتصادية-الاجتماعية، والفن في آسيا وإفريقيا وجدت مكانتها في العديد من المؤسسات"[٦].

---

(1) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes -Paris–1948 – p27.

(2) Ibid. pp. 385 – 386.

(3) Dhorme, Edouard (Discours) Akten des Vierundzwanzigsten Internationalen Orientalisten-Kongress – Munchen – 1957 – pp. 36 – 37.

(٤) سيأتي ذلك ص ٢٥١من الرسالة.

(5) Elisseeff M.: "L'activite de l'Institut Francaise d'Etudes Arabes de Damas (1930 – 1960)" – 25eme Congres International des Orientalistes – Moscow – 1960 – T2 – pp. 96 – 103.

(6) Lama, Graciela de la – Mexican Ambassador to India, president of the XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico

وفي المؤتمر ذاته، تحدث "أرفيند شارما Arvind Sharma" من أستراليا عن مؤتمر دولي دوري، يتعلق بالمجتمعات الآسيوية والفلسفة المقارنة فقال: "أود أن أحدثكم ، أو بالأحرى ألقي بعض الكلمات عن "المؤتمر العالمي حول المجتمعات الآسيوية والفلسفة المقارنة thetaIntern ional Conference of "Comparative Philosophy dSociety for Asian an"، لقد عقدت هذه المؤسسة اجتماعها الأول في "هونولولو Honolulu"، في العام ١٩٨٤م (١٤٠٤هـ)، أما اجتماعه القادم فسينعقد "سيدني Sydney"، من الثامن إلى الثالث عشر من أغسطس سنة ١٩٨٨م (١٤٠٨هـ)"[١].

تلك إذن مجموعة من المدارس والهيئات الاستشراقية، التي تم ذكرها في مؤتمرات المستشرقين العالمية، وهي على سبيل التمثيل لا الحصر. وإلا فالتعرض لمثل هذه المؤسسات الاستشراقية لا يكاد يخلو منه أي مؤتمر.

د — التعريف بأقطاب المستشرقين:

يسعى المستشرقون من خلال مؤتمرات المستشرقين العالمية إلى إبراز دور أكابر المستشرقين، ولاسيما سلفهم. ففي مثل هذه المنابر، تكون الفرصة سانحة كي يتم التعرف على العاملين في الميدان نفسه، فـ"إن انعقاد المؤتمرات عموما، ومؤتمرات المستشرقين خصوصا، يهدف أساسا إلى تكوين علاقات بين العلماء الذين يتناولون بالبحث مجالات متقاربة...إلا أن المسافة الفاصلة بينهم لا تمكنهم من التعرف على بعضهم البعض إلا عن طريق مؤلفاتهم وشهرتهم، أما ضرورة التعارف هذه، فقد أصبحت عالمية..."[٢]. هذا ما يصرح به "شارل مونوار"، الذي تحدث عن شخصية استشراقية، كمدخل لتلك الدراسة، وذلك في المؤتمر السادس بليدن سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ).

1976) – Proceeding of the XXXI International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa – Tokyo 1983 – p. 26.

[1] Arvind Sharma (Address) Proceeding of the XXXII International Congress for Asian and North African Studies - Hambourg - 1986 – p. xxix .

[2] Maunoir, Charle : "Dutreuil de Rhins" – Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - premiere partie - p. 41.

تتسم نظرة المستشرقين لأمثالهم وأسلافهم العاملين في نفس الميدان بالاحترام والتقدير. وقد لا يسمح لأي كان بأن يمس من قدرهم وهمتهم وعلمهم. وفي هذا الصدد، يصرح "ماكس ميللر Max Muller" قائلا: "سأظل أحتج ضد كل محاولة للتقليل من شأن المؤسسين الحقيقيين لعلم اللغات ما دمت حيا، فإن أخطاءهم العديدة، التي تظهر بين الفينة والأخرى، هي أعظم نبوغا من التصحيحات التي قام بها تابعوهم... وفي مثل مؤتمر المستشرقين هذا، فإن لنا الحق بأن نتساءل عما حصل لهم، فإني أشك على أي حال أن يكون أي واحد موجودا هنا ينكر أن ذلك يعود بالدرجة الأولى لدارسي الشرقيات، أمثال "سير وليم جونس Sir W. Jones"، كولبروك Colebrooke، شليجلSchlegel، بوب Bopp، بيرنوفBurnouf، لاسن Lassen وكوهن..."[١].

هؤلاء يعدون أعظم درجة من أولئك الذين جاؤوا من بعدهم، حتى إن وجد في عملهم هنات وثغرات، وفي هذا المجال يقارن بين الطائفتين، فيجعل الفرق بينهم كذاك الواقع بين نبي وتابع له فيقول: "وإن تابعهم غيرهم، وسار على نهجهم، وبين أن الجسارة في الاكتشافات تحوي أخطاء في مسارها بعض الأحيان، دعوهم يجمعوا هذا الرصيد الهام لما قد يضيفونه أو يصححونه أو يرفضونه. لكن موسى (عليه السلام) الذي شق طريقه في البرية، ثم توفي قبل دخول الأرض الموعودة، المملوكة بأسرها، أعظم من يشوع الذي عبر الأردن وقسم الأرض الموعودة. ويعرف العديد من الرحالة اليوم طريقهم بسهولة إلى إفريقيا ومنها، لكن الأول الذي كدح من أجل الكشف عن منابع النيل، رجال أمثال "برتون سبيك Burton Speke"، و"ليفنجستون Livingstone"، يتطلب إيمانا وقوة وشجاعة عظيمة، أكثر مما لدى أولئك الذين يكتشفونها حاليا"[٢]. فالاحترام والتقدير بارزان بوضوح يكاد تصل حد التقديس، لأولئك الذين سبقوهم في الميدان. ويؤكد هذا التقدير العام المستشرق الياباني "ياماماتو تاتسورو" في المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو قائلا: "إن الدراسات الشرقية الحديثة، بوصفها

---

(1) Muller, Max – Inaugural Address – Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 17-18.

(2) Ibid. p. 7.

علم إنساني تطور باكرا في الغرب، وانتشر لاحقا في الشرق، فإنه من الطبيعي جدا أن نتوجه بالشكر إلى الباحثين الرائدين والعلماء والدارسين المرشدين في البلدان الغربية"[1].

منذ المؤتمر الأول يتم التنويه بهؤلاء المستشرقين الأوائل ولاسيما الرواد منهم، فهذا "لوفابر" يصرح قائلا: "يجب أن نعرف أنه قبل "أنكاتيل دوبارون Anquetel Duperron"، و"وليام جونس"، و"شامبليون" و"بوب Bopp" و"أوجان بيرنوف Eugene Burnouf" و"سبيجل Spiegel"، و"راولنسون Raulinson" و"أوبار"، كانت فارس القديمة وهند الفيديين والمانو ومصر الفرعونية وأشور عالما مغلقا عن أوروبا، ولم نستطع الدخول إلا من جانب التحليل المنطقي للغة الذي ابتدأه "بوب" قبل ١٨٠٠م (١٢١٤هـ)"[2]. أما المؤتمر الثاني، فشهد حديثا مطولا عن المستشرق "وليم جونس"، عرضه المستشرق "ماكس ميللر"، ومما قال عنه: "السير وليام جونس، ليس رجل قراءة وذوق مميز فحسب، بل إنه يقينا رجل عظيم، يمثل واحد من المليون. لقد كان دارسا كلاسيكيا، مميزا في المدرسة العتيقة، وقارئا للتاريخ فطنا، ومحام متمرسا، وسياسيا ذكيا، ورجلا نبيلا بحق... لقد كان يتحرك في الطريق الصحيح، بل أراه المثقف الاجتماعي الوحيد، والكاتب والمفكر الكبير في تلك الأيام، حيث كان ينصت إليه بكل ارتياح"[3].

وفي المؤتمر السادس بليدن سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، تحدث المستشرق "كوينن" عن المستشرق "دوزي". ومما قاله عنه "يمكننا أن نعلن إنه في إطار حدود العالم الإسلامي، قد اختار لنفسه حقل عمل خاص به وحده دون غيره. لقد كان تخصصه"[4]. وبعد أن ذكر تخصصاته المختلفة والمتنوعة، ختم حديثه قائلا: "ولا يمكن لأحد أن ينافس هذا العالم في لجنة دراسات اللغة العربية والإسلام. لقد

---

[1] Yamamoto Tatsuro (Address) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa – Tokyo – Kioto – 1983 – T1 – p. 30.

[2] Lefevre A. – Le Premier Congres International des Orientalistes – Extrait de la PHILOSOPHIE POSITIVE – Novembre –Decembre - 1873 – p. 2.

[3] Ibid. p. 181.

[4] Kuenen – Adresse – Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – pp. 40 – 41.

كانت له درجة الأمير في ميدانه الخاص به. وهذا ما يجعلنا نشعر بالفخر به أكثر من أننا نملكه، وذلك لأنه حول وجهتنا تلقاء الشرق...إننا نعيد الاعتبار لذكرى "دوزي" "[١].

في المؤتمر العاشر بجنيف سنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، تناول "ماسبيرو Maspero" بالدرس والتقويم المستشرق "هنري بروجش"[٢]. وبعد الحديث عن مسار حياته، ختم كلامه بأن جعله ثالث ثلاثة أسهموا في تنمية الدراسات الفرعونية فقال: "إنهم ثلاثة رجال أسهموا أكثر من غيرهم في الدراسات المصرية: أسسها "شامبليون Champollion"، وخلق لها المنهجية "دو روجي De Roger A."، أما "بروجش"، فقد هيأ لها وسائل العمل التي تحتاج إليها، والتي سيتم استخدامها دائما"[٣].

في المؤتمر الحادي عشر بباريس سنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)، تعرض ريني باسي للحديث عن "جوديفروا -دومومبين"[٤]. وفي المؤتمر الثاني عشر بروما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، تحدث المستشرق "فلامينيو سارفي Flaminio Servi" عن "دانتي Dante" باعتاره مستشرقا فذكر أن دانتي كان عارفا معرفة عميقة بالكتاب المقدس، وأن رؤيته للحيوانات المتوحشة الثلاث، مثلا، مرتكزة على نص من الإصحاح السابع من سفر دانييل. كما ذكر نصوصا أخرى من الكوميديا الإلهية مرتكزة على الكتاب المقدس[٥]. وفي المؤتمر نفسه، تم تأبين المستشرق "سوسان"، الذي كان يرأس لجنة تأليف "دائرة المعارف الإسلامية"[٦]. وفي المؤتمر الخامس عشر بكوبنهاجن سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)، تم تكريم المستشرق

---

(1) Ibid. p. 41.

(2) Maspero G.: “Henry Brugsch” – Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - Quatrieme partie - Section IV - p. 95.

(3) Ibid. p. 102.

(4) Basset, Rene : “Rapport sur les etudes Berbere et Haousa (1881 – 1899)”– Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris -1897– troisieme partie – p. 49.

(5) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 – T3 – p. CLXX .

(6) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 – T3 – p. CLXXIX .

الخامس عشر بكوبنهاجن سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)، تم تكريم المستشرق "كارل فارنر Karl Verner"[١].

في المؤتمر العشرين ببروكسيل سنة ١٩٣٨م (١٣٥٤هـ)، أبن المستشرق الفرنسي "بول بيليو Paul Pelliot"، المستشرقين الفرنسي "سلفان ليفي Sylvain Levy"، والبلجيكي "لوي دو لا فالي بوسان Louis de la Valle Poussin" منوها بأعمالهما الاستشراقية[٢]، كما أبن المستشرق النرويجي "ليبليان Lieblein" ونوه به وأعماله[٣]. المستشرق "دو لا فالي بوسان"، أبنه المستشرق البلجيكي "جون كابار" أيضا، في المؤتمر نفسه، ولاسيما أنه كان من المفترض أن يكون رئيسا للمؤتمر، بوصفه كبير المستشرقين البلجيك وأستاذهم، إذ كان مستشرقا موسوعيا، رغم تخصصه في الدراسات الصينية والهندية[٤]. "جون كابار" نفسه، تم تأبينه والتنويه بشخصه وأعماله في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، إذ قضى نحبه في السادس عشر من يونيو سنة ١٩٤٦م (السابع عشر من رجب سنة ١٣٦٥هـ)[٥].

وفي المؤتمر الثاني والعشرين بإستانبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، أشاد رئيس المؤتمر "زكي وليدي طوقان" بالمستشرق الفرنسي "لوي ماسنيون" وأعماله في الدراسات الإسلامية[٦]. وتولت "مؤسسة ليدزبارسكي" التنويه بجهود عضو المؤسسة الأمريكي "شارلز كوتر توراي Charles Cutter Torrey" وأعماله،

---

[1] Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 – p. 48.

[2] Pelliot, Paul (Parole) Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 – pp. 33 – 34.

[3] Ibid. p. 34.

[4] Capart, Jean(Discours) Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 – pp. 20 – 21.

[5] Bacot, Jacques (President) - (Discours) – Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 – pp. 23 – 24.

[6] Togan, Zeki Walidi (Address) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 – Vol1 – p. 66.

الذي كان وافاه الأجل في الثاني عشر من نوفمبر ١٩٥٦م (التاسع من ربيع الأول سنة ١٣٧٦هـ)، ومن ثم تأبينه[1].

وفي المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، أطرى كل من المستشرقين المكسيكية "جراسيالا دو لا لاما" والياباني "ياماموتو تاتسورو"، بالمستشرق الفرنسي "جون فليوزا" وأبناه، منوهان بصفة خاصة على بصماته التي خلفها على المؤتمرات. فقد قالت المستشرقة: "أشير بحزن عميق إلى ما تركه العالم الفرنسي الكبير، "جون فليوزا"، الذي كان رئيسا للمؤتمر بمناسبة ذكراه المائوية في العام ١٩٧٣م. لقد قدم إسهامات قيمة من أجل سد الفجوة القائمة بين الشرق والغرب. إننا لم نعرفه على أنه عالم بارز فقط، بل كصديق أيضا، وقائد أنار العديد من الطرق لخطى المؤتمر الذي تعهده كثيرا"[2]. أما المستشرق الياباني فقد قال: "أود أن أعود إلى حديث الفقيد الأستاذ "جون فليوزا"، الذي ألقاه في بداية المؤتمر التاسع والعشرين بباريس، عندما احتفلنا بالذكرى المائوية للمؤتمرات، فتحت عنوان "مشروع إصلاح مؤتمرات المستشرقين العالمية"، عرض آراء جذرية جديدة، وهي التي تبنتها اللجنة الاستشارية، لذا، ... إننا لم ننفذ مطلب هذا النص حرفيا، لكني أتفهم أن مؤتمرنا يسعى ليكون مكانا لتلاقح المعلومات التي تصل من الجهات المختلفة ومن جميع فروع المعرفة، وتبادلها"[3].

من هؤلاء المستشرقين الكبار، الذين تم الحديث عنهم كذلك، نجد الألماني "كارل هنريش بيكر Carl Heinrich Becker"، الذي نوه به "سيناتور جرول Senator Grolle"، في المؤتمر الثاني والثلاثين بهمبورغ سنة ١٩٨٦م

---

[1] Akten des Vierundzwanzigsten Internationalen Orientalisten-Kongress – Munchen – 1957 – p. 37.

[2] Lama, Graciela de la (Address) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa – Tokyo - Kioto - 1983 – p. 25

[3] Yamamoto Tatsuro (Address) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 - p. 32.

(١٤٠٦هـ)[١]، كما تولى تأبينه "دياركس" وزير التثقيف الشعبي، في المؤتمر ذاته[٢].

تلك كانت عينة من المستشرقين تم التعريف بهم والإطناب عليهم ومدحهم، من فوق منبر مؤتمرات المستشرقين العالمية.

ولا تتوقف المؤتمرات عند التنويه بأقطاب المستشرقين العاملين مباشرة في الاستشراق. بل قد يصل أثرها إلى المتعاونين في هذا المجال أيضا. ففي أول مؤتمر عقد بباريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، تم تكريم عاملين متعاونين في حقل الاستشراق[٣]: "فقد أعلن "لوي روشي Louis Rochet"، رئيس لجنة الجوائز، أن مؤتمر ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، يرغب في تقديم شهائد شعبية، اعترافا من المستشرقين للعاملين المتواضعين، الذين أسهموا بمهامهم في فن الطباعة الشرقية، ورصد لهم جوائز..."[٤].

وشملت تلك الجوائز عاملين في المطبعة الوطنية بباريس، ومطابع أخرى سواء في فرنسا أو مستعمراتها، ، ومكتبات ومؤسسات، فرنسية وأجنبية. وتراوحت الجوائز بين شهادات شرف وميداليات برونزية، وقد يحصل العامل على إحداهما، أو هما معا. ورصدت ميدالية ذهبية واحدة. وشمل التكريم هذا من كان حيا منهم أو ميتا، بل حتى من لم تعرف حاله، كصاحب الميدالية الذهبية مثلا، التي رصدت لـ"ماريوس نيكولا"، مؤسس المطبعة الشرقية في ميلان. هذا المتفاني في في حبه للعلم، الذي "أدى به إلى قبول أعمال لا توفر عائدا كافيا، فباع آلاته وانطلق نحو المستعمرات، وتجهل اللجنة حاله الآن، هل ما يزال على قيد الحياة، إلا أنها تتمسك برصدها كتذكار لذكراه، وتعين له ميدالية ذهبية،

---

(1) Grolle, Senator (Discours) Proceeding of the XXXII International Congress for Asian and North African Studies - Hambourg - 1986 – pp. XVIII – XIX .

(2) Dierckx O. (Discours) Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 – p. 17.

(3) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 52 – 59 .

(4) Ibid. p. 52.

وشهادة شرف بامتياز خاص للخدمات التي قدمها للاستشراق"[١]. لكن تبين بعد ذلك وجوده على قيد الحياة بالجزائر[٢].

إذن، اتخذت مؤتمرات المستشرقين العالمية منبرا للتعريف بأقطاب المستشرقين والعاملين في مجال الاستشراق والمعارف الاستشراقية.

هـ – التعريف بأتباع المستشرقين من الشرقيين:

يسعى المستشرقون في مؤتمراتهم العالمية إلى إبراز أتباعهم من الشرقيين، بتوضيح ملامح شخصياتهم وأنواع كتاباتهم، مع الثناء عليهم وامتداحهم، والدعوة لاتباع بني أوطانهم لهم. وقد تم التنويه بالعديد من هؤلاء وأعمالهم. من ضمنهم قاسم أمين الذي تناولته المستشرقة "أولجا دو ليبيدو" بكل إعجاب وإطراء، ولاسيما بأفكاره التي نادى فيها بتحرير المرأة، وذلك في المؤتمر الثالث عشر بهمبورغ سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)[٣]، وسيتم التعرض للبعض من أقوالها لاحقا[٤]. كما أثنى المستشرق "مينورسكي" على الباحث الإيراني "ميرزا محمد خان"، وذلك لأتباعه المناهج الغربية في دراساته، وكان ذلك خلال المؤتمر الثامن عشر بليدن سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)[٥].

ومن بين الشخصيات التي تم التنويه بها، من فوق منبر مؤتمرات المستشرقين العالمية، "سبيتا بيك Spetta Bek" و"إيليا قدسي Ilia Quodsi"، وذلك في المؤتمر السادس المذكور سابقا.

---

[1] Ibid. pp. 58 – 59.

[2] Ibid. p. 59.

[3] Lebedew, Olga de: "Le nouveaux droits de la femme musulmane" – Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 - p. 314 ....

[٤] سيأتي الحديث عن ذلك ص ٥٢٥ من الرسالة وما بعدها.

[5] Minorsky V.: "Les etudes historiques etgeographiques sur la Perse depuis 1900" – Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes - Leiden - 1931 - p. 92.

أما "سبيتا بيك"، فقد أعلن رئيس الجلسة الثانية من لجنة الدراسات السامية، المستشرق "شيفر" عن وفاته، مؤديا له كافة الاحترام لذكراه[1]، ثم أعطى الكلمة للمستشرق "كارلو لاندبارج Carlos Landberg" الذي تولى تأبينه، والثناء عليه. ومما قاله عنه: "لقد عرف العديد ممن هم بيننا هذا العالم. وكان الكثير منهم أصدقاء له، مقربين منه. بعد أن تخرج من معهد "ليبزيج"، رأيت فيه أمامي مجموعة من الرجال المنشقين، قصد مصر رغما عنه. لكن الأمر ذاك كان مفيدا للعلم عموما هناك، وللدراسات في مصر، ولاسيما أنه اتجه إلى المكتبة الخديوية في القاهرة... أما مؤلفه "أرض الفراعنة"، فمعروف لدينا معرفة دقيقة. فهو مهدد بأن لا تخلد ذكراه ... إن "سبيتا" هو المؤسس لفرع علمي جديد يهمنا جميعا. إن الدراسة العلمية والنقدية للهجات العربية المنطوقة، تدين لـ"سبيتا" بأنه يمثل أول دافع محرك لها. إن القواعد اللغوية للهجة المصرية، تعد صرحا شامخا لكل الأزمان. ومع ذلك فإنه مع تطور الأبحاث في هذا الميدان، قد تتغير بعض محتوياته. إلا أنه يبقى على الدوام الكتاب الأساس والمصدر المعلم الممتاز، الذي نرجع إليه عند الحاجة..."[2].

هذا بعض التقويم الذي قدمه المستشرق عن "سبيتا بيك"، فإنه بتقبله الاتجاه الغربي في البحث والمعرفة، تهيأت له قلوب المستشرقين كي يثنوا عليه، وأبحاثه التي ذكرها المستشرق خير دليل على التبعية الفكرية.

أما عن المثال الثاني، "إيليا قدسي"، فقد تحدث عنه المستشرق "كارلو" نفسه[3]، وكان ساعتها على قيد الحياة. ذكر المستشرق عنه أنه "حصل من الخارج على ثقافة صحية قوية، وأنه امرؤ واعد بحق، لو أراد مواصلة تركيز اهتمامه على العلم. إني أسعى دائما لنشر الفكر العلمي الأوروبي في المشرق، وإني أتعب كثيرا كي أجد من هنا أو هناك طالبا يرغب حقيقة في اتباع نصائحي، وهي توجيهات أعطيت لي من مدرسي الأوروبيين. وأقر بأني فشلت في ذلك مع

(1) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – premiere partie – p. 77.

(2) Landberg, Carlos (Discours) - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – premiere partie- pp. 77 – 78.

(3) Landberg, Carlos : "Elia Qoudsi" – Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – premiere partie – pp. 3 – 4.

الأسف. إلا أن "إيليا قدسي"، هو الذي باشر هذه المهمة بحماس فياض، فقد أرسل إلينا مقالا مهما جدا، نقرؤه بكل سرور ... إنه ليسعدنا أن نحيي هذا العمل الأول لإيليا قدسي، ونرجو من كل قلوبنا أن يجد أتباعا له يسيرون على نهجه..فإني أرى عند كتابة هذه الكلمات أن أحث أصدقائي في الجانب الآخر من البحر المتوسط، أن يسيروا على خطى "إيليا قدسي"، لقد افتتح الطريق، وعلى الآخرين اتباعه"[1].

من هذا القول، يمكن أن نتبين سبب عناية المستشرقين بأتباعهم من المستغربين، ألا وهو خلق جيل يتبنى المقومات الغربية في المنهجية والفكر والأسلوب، بل العلم كذلك، وبالتالي التبعية الثقافية والمعرفية. وهذا من باب النظرة الاستعلائية الثقافية، وهي نظرة يتبناها، ويشعر المرء بوجودها عند جل المستشرقين، ويرون أنفسهم النبراس وعلى الآخرين الاقتباس.

ثم هل يرضى المستشرقون هؤلاء عن أعمال أتباعهم الرضاء الكامل؟ لنرى رأي "كارلو" عن مقال "إيليا قدسي"، وعنوانه "نبذة تاريخية في الحرف[2] الدمشقية"، فهو يقول: "إننا نرى لأول مرة عربيا يقدم عملا في مؤتمرات المستشرقين العالمية. لا يعني هذا أن هذا العمل نزيه، فقد كان يمكن للكاتب أن يعطي تفصيلات أدق، وكان يمكنه طرق موضوعه طرقا أحسن من هذا، ولاسيما أنه موضوع ذو فوائد أعمق وأهمية أكبر، لكنه لا يزال شابا"[3]. إذن، حتى هذا العمل لم يرض هذا المستشرق الرضاء الكامل. لكن لو تساءلنا عن سبب تقديمه هذا العمل ليقرأ على العموم، نجد الإجابة التالية: "إن هذا الموضوع لم يدر بخلدي إلا مع نهاية المؤتمر... ومع حسن الحظ، فإن المادة كانت مألوفة لدي، الأمر الذي جعلني من جهة أخرى، أكشف للشرقيين بهذا المؤلف الرغبة في أن نراهم يهتمون نوعا ما بالعلم من أجل العلم فقط"[4].

---

[1] Ibid. pp. 3 – 5 .

[2] جمع حرفة.

[3] Ibid. p. 3.

[4] Ibid. p. 3.

إذن، فتقديم المقال جاء في أواخر المؤتمر، وجيء به تشجيعا فقط، حتى يوجد من يساير المستشرقين. ثم إن المقال قريب من منهج المستشرقين، لذا استحق الثناء عليه، ولو على استحياء. ثم هو ليس أول عمل يقدمه عربيا، فقد سبقته أعمال أخرى، لكنها لم ترق المستشرقين على ما يبدو، لعدم اتفاقها وما يبغونه. لهذا صدح المستشرق هذا قائلا في حديثه: "ونرجو من كل قلوبنا أن نجد أتباعا له يسيرون على نهجه. وإننا على استعداد دائم لتيسير الطبع المجاني لأعمالهم، بعد أن نقومها ونراها جديرة بذلك. فليباشر العلماء الصغار في المشرق هذه المهمة. إلا أننا لن نهتم إلا بالموضوعات التي يعرفونها بعمق، والتي لا يمكن لنا في أوروبا أن نعمقها أكثر مما هي عليه، إلا مع بعض المشقة"(١).

تلك إذن الشروط التي يجب توفرها كي تقبل لدى المستشرقين. وإذا استوفى الباحث الشروط تلك، فسيطبع عمله مجانا، وما عليه إلا اتباع المنهج العلمي الذي يتبناه المستشرقون. ولا يخفى ما في ذلك من دعوة للتخلي عن القيم والمبادئ المسلم بها في المجتمع الشرقي. وتأكيدا منه لقوله، نشر بحث "إيليا قدسي" ضمن كتاب وقائع أعمال المستشرقين.

تبقى نظرة المستشرقين للشرقيين استعلائية. حتى من يسايرونهم في طرقهم، لا يثقون فيهم تمام الوثوق، بل يضعونهم دائما تحت عدسة الشك والريبة. وسيتم التعرض للموضوع هذا بصفة أعمق لاحقا(٢)، بل حتى "سبيتا بيك"، الذي وصفه المستشرق بالصديق من جهة، نجده يلمزه من جهة أخرى لمزة خفية، بحيث قال فيه: "وإني أتمسك بالقول، أمام كل الجموع، أن مكتبة القاهرة توجد حاليا في حالة يرثى لها"(٣)، وقد كان يديرها "سبيتا بيك" كما ذكر من قبل.

ثم إذا أردنا إجراء مقارنة بين تنويه المستشرقين لأقطابهم ولأنفسهم، وطريقة تناولهم بالتحليل أتباعهم من المستغربين، نجد الفرق شاسعا، مما يؤكد فكرة الاستعلاء العنصري، الذي هو سمة من سمات المستشرقين.

---

(1) Ibid. p. 4.

(٢) سيأتي ذلك عند تحليل كلام المستشرق "جون فليوزا"، ص ١٨٢ من الرسالة فما بعدها.

(3) Landberg, Carlos (Discours) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – premiere partie – pp. 77 – 78.

٤ – الأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية:

تعد الأهداف الثلاثة السابقة هي الأهم من غيرها. وتأتي أهداف أخرى، تم استنتاجها من خلال أعمال المؤتمرات. ومن هذه الأهداف ما كان ذا صبغة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ولو بدرجة أخف من الآخريات.

أ – الأهداف السياسية:

تتمثل الأهداف السياسية بصفة عامة بالجانب الاستعماري، وتكريس السيطرة الدولية والهيمنة السياسية التي هي مفهوم أساس من مفاهيم الاستعمار، وهدف من أهدافه. يوضح هذا "ماديي دو مانجو" منذ المؤتمر الأول عند حديثه عن الثورة اليابانية وعمل الديبلوماسيين في شؤونها فيقول: "لم نصل بعد إلى العصر السعيد، حيث ينظر بعض دبلوماسي الدول الغربية إلى بعضهم، ربما على أنهم أوصياء شرفاء على الأمم الصغيرة، لأنه واجبهم"[١]. فالهيمنة السياسية إذن هي إحدى أهداف المؤتمرات .

يؤيد هذا الكلام أيضا، "غلان روبلسF. Guillen Robles"، في المؤتمر العالمي الخامس ببرلين، سنة ١٨٨١م (١٢٩٨هـ)، لما قال: " لنا دافعان يجبراننا على أن نولي اهتماما جديا فيما يتعلق بالدراسات العربية... فالأول ذو مصلحة أدبية وتاريخية، ولآخر سياسية واقتصادية، أي مصلحة توسعية، هدفها تكوين مجد"[٢]. وبعد تحليله للعامل الأول، يضيف قائلا: "ويرتبط بهذه المصلحة التاريخية الهامة، هدف اقتصادي وسياسي...فبوصفنا مفصولين عن إفريقيا مقدار ذراع بحري، كانت لنا على مر العصور علاقات متميزة مع سكان موريتانيا: علاقة هيمنة وتأثير، علاقات حضارية وتجارية، حروب دائمة منذ الأزمان

(1) Madier de Montjau (Discours) La politique chez les Japonais – Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. 139.

(2) Robles, F. Guillen : "De l'etat actuel des etudes arabes en Espagne" - Verhandlungen des Fuften Internationalen Orientalisten-Congress- Berlin - 1881 – T2 – p. 30.

السحيقة حتى أيامنا هذه..."[١]. وينقل عن أحد ساسة الأسبان الكبار، وهو الكاردينال "فرانسوا دو سزنيروس Fracois de Cisneros" قوله إن مستقبل بلدنا كائن منذ القدم على هذه الأرض الإفريقية[٢]. لكنه يتحسر أن لم يتم العمل بتلك النصيحة قائلا: "إلا أننا نسينا بعده وطنيته المثالية، كما أننا تركنا جانبا فكرة ملكية أراضيها الخصبة، حيث كان يمكن لموطننا أن يشهد قفزة عملاقة نحو حياة فياضة. لقد أهملنا هذه الرغبة السامية لهذا الفرنسيسكاني النشيط، هذه الآمال التي كان يمكن أن تكلفنا ثناء أجيال متعددة، إذ كنا سنجلب الحضارة وسط إفريقيا البربرية"[٣].

من كل ما سبق من كلام "روبلس"، يتضح لنا مدى البعد الاستعماري الذي تفكر فيه أسبانيا، والذي يعني كما صرح بذلك الهيمنة والسيطرة الاستعمارية.كما يقول أيضا: "لقد تحدثت في البداية عن المصلحة الكبيرة التي تعود بها الدراسات حول المغرب على أسبانيا. إن الرأي العام ينظر من قريب لمسألة نفوذنا المشروع في هذه الإمبراطورية، إننا نتفاعل مع كل تحركاته السياسية المتعددة، ونرغب في تطوير علاقتنا التجارية مع سكانه"[٤]. كل هذا يدل على أن الهدف من الاهتمام بالمغرب وإفريقيا هو السيطرة والتسلط، أو تكوين مجد لأسبانيا كما صرح المستشرق. ولذلك، بدأت أسبانيا بالقيام بالأسباب اللازمة لذلك. فقد واصل المستشرق كلامه قائلا عن المغرب: "لنا جغرافيون درسوا المدن والقرى، وفيلولوجي عرفنا لغة البلد، وكتابا نشروا للتو كتابا حول علاقتنا مع هذا البلد، وعن تاريخه وأخلاقه ووضعيته ومستقبله"[٥]. من هنا يتبين لنا أن الهيمنة والتوسع والسيطرة، هدف من أهداف الاستعمار، يؤيدها المستشرقون المجتمعون في مؤتمرات المستشرقين العالمية. أما الهدف الاقتصادي الواضح هنا فسيرد ذكره لاحقا.

---

[1] Ibid. – T2 – p. 31.

[2] Ibid. – T2 – p. 31.

[3] Ibid. – T2 – p. 31.

[4] Ibid. – T2 – p. 45.

[5] Ibid. – T2 – p. 46.

من الجوانب السياسية أيضا، التي تهدف إليها المؤتمرات، السلام العالمي والمودة بين الشعوب. يقول المستشرق "لمان Lamman" في المؤتمر السابع عشر بأكسفورد سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ) بعد أن قدم تهنئته للجنة التنظيم الذين بذلوا مجهودات قيمة "جعلت من هذا المؤتمر من جدير ذكره في التعاون العالمي من أجل السلم والمودة بين بلدان العالم"(١)، ولاسيما أن المؤتمر انعقد مباشرة بعد الحرب العالمية الأولى، وبالتالي فإن الحاجة لعودة الثقة بين الدول، قصد تفادي نكسة عالمية أخرى، شأن جل المثقفين الغربيين بخاصة، والعلميين ككل. ومن هنا جاء هذا المؤتمر ساعيا ليكون أحد المساهمين في الوصول لذلك. وهذا ما ذهب إليه في المؤتمر نفسه المستشرق "موري Moret"، إذ يقول: "لقد جنى المؤتمر إذن، نتيجة هامة من أجل المستقبل العلمي، ...ومن أجل السلم العالمي"(٢). وفي المؤتمر العشرين ببروكسيل سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، نحا المستشرق "جون كابار" التوجه نفسه فذكر أن اللقاءات بين العلماء هذه بمقدورها أن تمارس ضغوطا "ليس من أجل التطور العلمي فقط، بل تمتين العلاقات الدولية وتطور الإنسانية"(٣).

وفي المؤتمر الثاني والثلاثين ، تحدثت المستشرقة المكسيكية "جراسيالا دو لا لاما"، عن المؤتمرات وآثرها في التحولات الحاصلة في ميدان الاستشراق في أمريكا اللاتينية فقالت "ربما كان أهم دافع ملح لهذا التحول، هو نمو إدراك الحكومات والتجمعات الأكاديمية حول المقصد المشترك الذي يوحد الشعوب الآسيوية والإفريقية وأمريكا اللاتينية، هو الرغبة في استقلال سياستنا واقتصادنا وأهمية ثقافتنا الخاصة. وأيضا، دعوني أتمنى أن يساهم هذا التجمع عمليا، في نزع فتيل التهديدات الحربية التي تطارد الإنسانية، وخلق ظروف

---

(1) Lamman C. R. (Discours) Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 – p. 109 .

(2) Moret – Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 – p. 97.

(3) Capart, Jean – Resume du parole – Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 – p. 37.

سلمية يحتاجها كل إنسان"[١]

ب – الأهداف الاجتماعية:

في مجال الدراسات الاجتماعية للشعوب الشرقية، يسعى المستشرقون، من خلال المؤتمرات للاطلاع على أصول المجتمعات العرقية، وحقيقة تركيباتها الاجتماعية، كما تسعى لتناول بعض الظواهر الاجتماعية. وقد انطلقت الأهداف الاجتماعية كذلك منذ المؤتمر الأول، حيث كان التساؤلات عن المجتمع الياباني متعددة، من ذلك التساؤل التالي كذلك: "ظروف النساء اليابانيات الآنية وثقافتها؟"[٢]. كما بين "لوفابر عدة تساؤلات أخرى، تناولها المؤتمر بالبحث، وهي "أما بالنسبة لليابانيين، من أين جاؤوا؟ أمن منغوليا أم من الصين أم من كوريا؟ ألا تقربهم بعض المجانسات من الجنس الماليزي...؟... ما أصولهم العرقية؟ وتاريخهم؟ وديانتهم؟ ولغاتهم؟..."[٣]. وقد سبق القول إنه لم يرد البتة مخطط لكيفية تناول أي مجتمع شرقي بالتحليل والدرس إلا ما أصدروه مع الشعب الياباني. وبالتالي فإن هذه العناصر تعد منهجا عاما للمجتمعات كافة. والمطلع على البحوث الاستشراقية يتبين له ذلك بكل يسر. ومن هنا، نستنتج أن هذه العناصر تمثل مجموعة أهداف تسعى المؤتمرات لتحقيقها. وقد استفاض المؤتمر الأول في الخوض في الشؤون الاجتماعية وفق تلك النقاط.

ومن الأمثلة التي تدل على أهداف المؤتمرات الاجتماعية، نجد "ماديي دو مونجو" منذ المؤتمر الأول يصرح قائلا عند الحديث عن اليابان: "يجب علينا محاكمتهم، ولاسيما فيما يعملونه لصالح المرأة"[٤] ويوضح هذا الكلام في موضع آخر فيقول: "نتمسك بالتفكير في مقدار ما تبلغه ظروف المرأة في هذا البلد، وما

---

(1) Lama, Graciela de la – Mexican Ambassador to India, president of the XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) – T1 – p. 26.

(2) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. XVIII .

(3) Lefebre A.: Le premier Congres International des Orientalistes – p. 6.

(4) Madier de Montjau (Discours) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 134.

تصله الظروف السياسية والأخلاقية لهذا البلد، إننا ننتظر رؤية ما ستقدمه الثورة للمرأة اليابانية: دراستها وحريتها وأخلاقها وكرامتها"(١).

كما سنتعرض لأقوال المستشرقة "أولجا دو ليبيدو"، عن قاسم أمين ومسعاه في سبيل تحرير المرأة الشرقية(٢)، ومما جاء في كلامها: "أريد أن أتحدث عن محاولات قاسم أمين باي، الذي أصبح اسما كبيرا بوصفه مشرع إسلامي، والذي يعمل للهدف نفسه الذي نسعى إليه نحن أيضا"(٣).

وتواصلت عناية المؤتمرات بالأمور الاجتماعية، وتنوعت البحوث الاجتماعية، ولا يكاد الأثر الاجتماعي يغيب عن المؤتمرات، وتعددت الموضوعات الاجتماعية وتنوعت. ومن أمثلة ذلك، كلام "هلتون – سنمبسون Hilton-Simpson" حول تأثير ماضي المتوسطيين في الحياة المعاصرة للبربر الجزائريين(٤)، وذلك في المؤتمر السابع عشر بأكسفورد سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، ومما جاء في المؤتمر التاسع عشر، المنعقد بروما سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)، دراسة المستشرق "إبشتاين Epstein E."، عن مشكلة البدو في الشرق الأوسط(٥)، وأخرى لـ"هنري ماسي"، وتتعلق بالشياطين والجن في المعتقدات الشعبية الإيرانية(٦). وجاء في المؤتمر الثاني والعشرين بإستانبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، دراسة عن الفتوة، لـ"لوي ماسنيون"(٧). وفي المؤتمر الخامس والعشرين بموسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، عدة دراسات اجتماعية،

---

(1) Ibid. pp. 138 – 139.

(٢) سيرد ذلك لاحقا ص ٥٢٥ من الرسالة.

(3) Lebedew, Olga de: "Le nouveaux droits de la femme musulmane" – Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 - pp. 314 – 315.

(4) Hilton – Simpson, Capt M.W.: "The Mediterranean past as seen in the present life of Algerian Berbers" – Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 – p. 48.

(5) Epstein E.: "The Bedouin problem in Middle–East – Atti del XIX Congresso Internazionale degli Orientalistic - Rome - 1935 – pp. 575 – 578.

(6) Henry Masse: "Demons et Genies dans les croyances populaires de l'Iran" – Atti del XIX Congresso Internazionale degli Orientalistic - Rome – 1935 - pp. 594 – 596.

(7) Massignon L.: "Sur la Futuwwa" – Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 – Vol 2 – pp. 277 – 279.

منها دراسة للمستشرقة الروسية "لوتسكايا Loutskaia"، حول الهيكلية الداخلية للجمهورية الريفية[1]، وأخرى لـ"لوي ماسنيون" عن تركيبة المدن العربية[2]، وتعرض "موريس دوران Maurice Durand" عن المخيلة الشعبية الفيتنامية[3]، ودرست المستشرقة الفرنسية "فيفيانا باك Viviana Paques"، الرمزية في الحقول والمدن التقليدية في جنوب الصحراء وفي السودان[4]. وهناك في أعمال المؤتمرات العديد من الدراسات، عرضت سواء في لجان المؤتمرات أو الندوات، وبالاطلاع على جدول الندوات، نجد العديد من الجلسات الجماعية المتعلقة بالجانب الاجتماعي، ولاسيما المؤتمر الثلاثين[*]. والمؤتمرات الأخيرة من بعده، والتي غلبت عليها الدراسات الاجتماعية، تماشيا مع تيار الدراسات الاستشراقية، وبخاصة، بعد بروز الاستشراق الأمريكي الغالب على التيارات الاستشراقية الأخرى. وهذه كلها ذات أهداف اجتماعية.

ج – الأهداف الاقتصادية:

بان الهدف الاقتصادي منذ المؤتمر الأول كذلك. فقد ورد في المنشور الرابع أن من بين المشاركين اقتصاديين وأصحاب رؤساء أموال وتقنيين وتجارا وفلاحين[6]. ومن بين الموضوعات المطروحة مشكلات الصناعة الأوروبية وتجارتها، وممثليها في اليابان، وموضوع تربية دودة القز في اليابان، والبحث

---

[1] Loutskaia N. S.: "Apropos de la structure interieure de la Republique du Rif" – Le XXVeme Congres International des Orientalistes - Moscow - 1960 – T2 – pp. 26 – 28.

[2] Massignon L.: "Structure des Cites Arabes" – Le XXVeme Congres International des Orientalistes - Moscow - 1960 - T2 – pp. 32 – 35.

[3] Durand, Maurice: "L'Imagerie Populaire vietnamienne" – Le XXVeme Congres International des Orientalistes - Moscow - 1960 – T4 - pp. 399 – 401 .

[4] Paques, Viviana: "Symbolisme du Champ. et de la cite traditionnels dans le Sud Saharien et au Soudan" – Le XXVeme Congres International des Orientalistes - Moscow - 1960 – T5 - pp. 496 – 498.

[*] يمكن الاطلاع على ذلك بالملحق رقم ١٨ ص ٦٩٣ من الرسالة.

[6] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. XVII.

عن وسائل الحصول على أفضل بذرة لدودة القز في أماكن الإنتاج وفي الأسواق المفتوحة للأوروبيين[١]. ومما سيدرس في المؤثرات[٢]، سيتضح مدى أهمية هذه الجوانب بالنسبة للغربيين، ومدى اهتمام المستشرقين به، ولاسيما دودة القز، مما يوضح أن الجانب الاقتصادي هو أحد أهداف مؤتمرات المستشرقين العالمية. من ذلك مثلا ما قام به المستشرق "بول أوري" الذي تحدث عن المعادن، ولاسيما مناجم النحاس، التي عدد أماكنها، وفرق بين الثرية منها والفقيرة[٣]، وما ذلك إلا لأهداف اقتصادية بحتة. أما المؤتمرات الأخيرة فغلب عليها البحث في المشكلات الاقتصادية المعاصرة مثل البترول والحاسوبات وغيرها[٤].

من جهة أخرى، يعد الهدف الاقتصادي، أحد دوافع الاستعمار. ففي كلام "رويلس" السابق[٥]، تصريح بالهدف الاقتصادي والتجاري مع إفريقيا عامة، والمغرب خاصة. وفي هذا المقام أيضا، يتحدث "إيرون دو فيلافوس" في المؤتمر الرابع عشر في الجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ) عن رينان بأنه يرى أن غزو فرنسا للجزائر، سيكون مجدا لفرنسا، لما للجزائر من ثروات معدنية وأثرية[٦]. ويؤيد ذلك كلام الوزير "بيانفوني – مارتن" في المؤتمر عينه، لما قال:"لقد جعلتكم تطلعون على الجهود الفرنسية المتواصلة والمبذولة منذ نصف قرن، كي تبرز الثروات الطبيعية القيمة التي تحويها الجزائر"[٧].

---

(1) Ibid. p. XVIII.

(٢) سيرد ذلك لاحقا ص ٤٣١ وما بعدها من الرسالة.

(3) Paul Orey (Discours) Le minerai de Cuivre au Japan – Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 339 – 340.

(٤) يمكن الاطلاع على مثل هذه النوعيات من خلال جدول على الندوات بالملحق رقم ١٨ ص ٦٩٣ من الرسالة.

(٥) سبق ذلك ص ١٢٨ وما بعدها من الرسالة.

(6) Villefosse, Heron de (Discour) – Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 – premiere partie - p. 73 .

(7) Bienvenu-Martin (Discour) , Minstre de l'Instruction Publique et des Cultes – Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 – Premiere Partie – p. 77.

في المجال هذا، تحدث "صمويل بيرتش" في المؤتمر الثاني بلندن، فبين أن تعلم المعارف سببه اقتصادي، وبالتالي فيجب التعرف على خصائص الثقافة الشرقية فيقول: "في هذا البلد، تخنق عصابة إمبراطوريتنا الآسيوية، هذه الروابط التي تعقد تجارتنا مع بقية الأمم في الشرق، لذا، فإن معرفة لغات تلك الأمم وأفكارها وتاريخها، ضرورة ماسة، وليست مجرد ترف"(١).

تلك إذن هي أهم الأهداف التي تسعى مؤتمرات المستشرقين العالمية لتحقيقها. وهذه الأهداف كما تبين تصب كلها للمصلحة الغربية عامة، إذ ليست كلها ذات صبغة علمية، أو حتى استشراقية صرفة، ورغم التحويرات التي حاول المستشرقون القيام بها في مسار المؤتمرات العلمي والإداري، إلا أن تلك الأهداف لم تمح بعد من مسار المؤتمرات، إذ لا تزال هناك دراسات تهدف لتحقيق تلك المصالح.

(1) Birch, Samuel – Inaugural Address – Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 – p. 3.

الفصل الثالث: مؤتمر المستشرقين العالمي الأول: باريس ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)

المبحث الأول: انعقاد المؤتمر ونظامه العام

المبحث الثاني: أعمال المؤتمر الدراسية

المبحث الثالث: نتائج مؤتمر المستشرقين العالمي الأول

الفصل الثالث: مؤتمر المستشرقين العالمي الأول: باريس ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)

توطئة:

استقر أخيرا أمر انعقاد مؤتمر المستشرقين العالمي الأول. وفي غرة سبتمبر سنة ١٨٧٣م (التاسع من رجب ١٢٩٠هـ)، انطلقت أعمال هذا المؤتمر، في جامعة "السربون" بباريس. وبما أن هذا المؤتمر يؤلف أولى خطوات مسار المؤتمرات هذه، والتي لا تزال تنعقد حتى العصر الحاضر، يجدر تسليط بعض الأضواء عليه للتعرف على أبرز سماته وخصائصه وكذلك سلبياته.

من المعلوم أن أصعب الأمور بداياتها. وفي هذا المجال كان هذا المؤتمر هو المحك الذي سينبني عليه مستقبل هذه المؤتمرات. فإما أن ينجح، وتكون له الدعاية الكافية التي ستؤدي إلى استمرار نشاطه، وإما أن يفشل فشلا ذريعا، ويصبح من آثار الماضي، وبالتالي تنطفئ جذوة النشاط هذا من أوله.

ولا شك أن وجهات النظر المختلفة، سيكون مسرحها عند الانطلاقة، لذلك تعرض المؤتمر لمثل هذه المشكلات. والتنظيم الذي وضع ليسير على منهاجه كان نظريا بحتا. والواقع قد لا يصدق النظري، ومن ثم، سيكون هذا المؤتمر تجريبيا، ليرى هل هو قادر على تنفيذ ما سطره على الورق، أو يفشل في ذلك. وسينظر أيضا إلى إيجابياته وسلبياته. وهذا المؤتمر الذي استطاع لم شمل أعداد كبيرة من الشخصيات المتخصصة في المجال الاستشراقي وغيرها، سيوضع المؤتمر في عدسة المجهر، وتتجه له الأنظار، ومن ثم يتم تقويمه.

ومن خلال السطور القادمة، سيحاول البحث توضيح هذه الأمور، وبيان العوامل التي أدت لنجاح المؤتمر في مهمته، ومن ثم قدرته على دخول عتبة التاريخ المعرفي من بابه الواسع، ودوام نشاطه حتى وقتنا الحاضر، والذي سيتواصل عمله حقبة أخرى من الزمن، وقد تطول أيضا.

المبحث الأول: انعقاد المؤتمر ونظامه العام

اكتملت التحضيرات الأولية، لانطلاقة أعمال المؤتمر بباريس. وفي الأول من سبتمبر، عند الساعة التاسعة والنصف صباحا، ابتدأت الجلسة الافتتاحية للمؤتمر.

١- جلسة المؤتمر الافتتاحية:

إذا قارنا جلسة افتتاح مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، بالجلسات الافتتاحية لسائر المؤتمرات اللاحقة، فإن وقائع جلسة المؤتمر الأول كانت مختصرة جدا: فلم تكن هناك كلمة مطولة لرئيس المؤتمر أو من ينوب عنه، ولا للمندوبين الرسميين، ولا لأعضاء سياسيين أو باحثين مرموقين ومشهورين عالميا. بل إنه المؤتمر الوحيد الذي تغيب عنه السلطة السياسية عند افتتاحه. فقد اكتفى وزير الثقافة، الذي يبدو أنه كان مقررا أن يرأس تلك الجلسة، بإرسال اعتذار عن ذلك، نظرا لالتزامات سياسية يقوم بها في مقاطعة فرنسية، وقال للمؤتمرين في رسالة بخط يده: "ستجدون من ضمن أعضاء لجنتكم التنظيمية رجالا يقومون بمهام الرئاسة، وليس عليكم سوى أمر الاختيار"[١].

ويبدو من هذا التصرف أن الإدارة السياسية لم تكن واثقة من إمكان نجاح تلك المبادرة، ولاسيما إذا قارناها بتصرف بعض الساسة لاحقا[٢]، الذين كانوا يخصصون لجلسة افتتاح المؤتمر وقتا خاصا. هذا الشعور لم يكن يخالج الساسة فقط، بل حتى المستشرقون أنفسهم، فقد صرح بذلك "دو شاتو" بقوله: "قدم هذا المؤتمر تطورا آخر للعلم، الأمر الذي نقر بخطئنا من أننا لم نكن واثقين منه"[٣].

---

(1) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 52 - 53.

(٢) مثال ما قام به رئيس وزراء الهند "نهرو"، الذي أجل جولة سياسية كانت مدرجة في برنامجه، من أجل افتتاح مؤتمر المستشرقين العالمي السادس والعشرين، الذي انعقد في "نيو دلهي"، سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ).

(3) Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise ... p. 3.

في مقابل هذا التصرف، نجد المؤتمر ينوه بمبادرة الأمير "دون أغيست"، دوق "كوانبر" Don August Duc de Coimbre، وولي عهد البرتغال، لرغبته في أن يكون على رأس اللجنة الوطنية البرتغالية، حتى يشجع الدراسات الشرقية في الدول الغربية، وقرر المؤتمر توجيه شعور امتنانه للأمير البرتغالي، وأرسل برقية عاجلة في ذلك للمستشرق البرتغالي "دا سلفا Da Silva"، مندوب لجنة التنظيم المركزية ببرشلونة[١].

وكان الرأي العام السياسي الخارجي مؤيدا للمؤتمر، إذ سعت مؤسسات سياسية وعلمية لتمثيل نفسها فيه، فقد كانت قائمة المنخرطين تحتوي خمسين وأربعمائة اسم أعضاء في مؤتمر المستشرقين العالمي، ومن ضمنهم عدد كبير من المثقفين العلميين ورجال الأدب الأوروبيين، أساتذة وكتاب روايات. كما أن العديد من الأكاديميات والمؤسسات العلمية، سعت لتمثيل نفسها في المناسبة، وكذلك العديد من الملوك والأمراء أيضا [٢].

من هنا، يبقى السر في تغيب السلطة السياسية الفرنسة عن افتتاح المؤتمر غامضا، وما يتبادر إلى الذهن، هو الشك في النجاح العلمي للمؤتمر. وقد سبق بيان أن انعقاد المؤتمر كان بمبادرة شبه بعيدة عن الحكومة[٣].

تم افتتاح المؤتمر على جلستين. اهتمت الأولى بأمر انتخاب رئيس المؤتمر والسكرتير العام، وأعضاء مجلس المؤتمر. وقد تم الانتخاب بعد التنويه بالأكاديميات والمؤسسات العلمية التي أرسلت مندوبين عنها[٤].

أما شأن الانتخاب، فلم يمر دون صعوبات، واشتدام النقاش[٥]، الأمر الذي دعا الرئيس "دو روسني" إلي قطع الجلسة. وبعد محاورات ومناقشات، اقتصر

---

[1] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 53 - 54 .

[2] Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congres ... pp. 3 – 4, and Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 49 – 50.

[٣] مر ذلك ص ٦٦ من الرسالة.

[4] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 49 - 50.

[٥] دار جدال حول كيفية انتخاب أعضاء المؤتمر، الأمر الذي أجبر الرئيس على توقيف الجلسة لبعض الوقت، حتى يتمكن الأعضاء من التحاور فيما بينهم حول الموضوع.

الاقتراع على اختيار الرئيس والسكرتير العام ومجلس المؤتمر[١]، وتكونت لجنة لفرز الأصوات[٢]. وعند عودة الجلسة بعد الإدلاء بالأصوات بطريقة الاقتراع السري، أعلن الرئيس نتيجة الاقتراع، فكانت على النحو التالي[٣]:

– الرئيس: ليون دو روسني.

– السكرتير العام: القبطان لو فالوا.

أما المجلس، فيتكون من أعضاء فرنسيين وآخرين من مستعمرات فرنسية، ومن أنحاء أوروبا وأمريكا، وبلغ عددهم ثلاثة وعشرين فردا[٤].

في هذه الجلسة، لم يجد رئيس المؤتمر المنتخب الوقت الكافي لإلقاء كلمة ضافية بالمناسبة، فاكتفى بالتعبير عن مشاعره باقتضاب، شاكرا أعضاء الاجتماع، ونوه بالمساعدين والمشايعين له في بعث هذه المؤسسة العلمية، وأعلن عن افتتاح المؤتمر[٥].

أما الجلسة الثانية، التي عقدت مباشرة بعد السابقة، فقد رأسها الأميرال "روز". وبعد قراءة رسالة الوزير السابقة[٦]، ألقى الأميرال "روز" كلمة قصيرة، ركز فيها على أهمية الدراسات والأبحاث التي ستلقى في المؤتمر، ومما جاء فيها: "إن الفكر الذي يوجهكم، يمليه حب العلم والإنسانية قبل كل شيء. والهدف الذي تتبعونه مفيد في أساسه كما أن أبحاثكم ستؤدي إلى تأثير ناجع، بعقد المزيد من الروابط التي تصلنا بالشعوب التي ستعرفنا بتاريخها ونبوغها بدقة أكبر. فلنشكر إذن رجال المعرفة، وهم من ضمنكم، الذين يعود لهم فضل المبادرة لهذه المهمة الطيبة ... كما علينا أن نوجه احترامنا للعلماء الأجانب الذين تفضلوا

Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 50 - 51.

(1) Ibid. - Tome premier - p. 51.

(٢) ضمت هذه اللجنة كلا من "تكستور دو رافيزي" و"جويدي كورا Guidi Cora"، و"لسبيني". المرجع السابق Tome premier - p. 51.

(3) Ibid. Tome premier - pp. 51 – 52.

(4) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome Troixieme – p. VI.

(5) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - pp. 52 - 53.

(٦) مر ذلك ص ١٣٧ من الرسالة.

بالاستجابة لدعوتكم"[١].

تم بعد ذلك توزيع جوائز تقديرية، لمجموعة من العاملين السابقين والمتعاونين في حقل الاستشراق[٢]. ثم قرأ الرئيس جدول أعمال المؤتمر، ورفعت الجلسة بعد منتصف النهار بنصف ساعة. تلك هي خلاصة ما جاء في النصف الثاني من الجلسة الافتتاحية.

٢ – نظام المؤتمر الإداري:

إضافة إلى لجنة التنظيم المركزية، التي تعمل بصورة شبه دائمة، حتى تنتهي مهمات المؤتمر، وتنطلق من بداية التحضيرات الأولية، ولا تنتهي عادة إلا بطباعة أعمال المؤتمر، فقد انتخب مباشرة إطار إداري للمؤتمر. وقد تكون من رئيس وسكرتير عام ومجلس للمؤتمر، وضم المجلس أربعة عشر عضوا[٣] من جل بلدان أوروبا، إضافة إلى الولايات المتحدة من القارة الأمريكية، ولا يوجد من البلدان الشرقية سوى الياباني "إماموزا وارو"، ولعل ذلك بسبب تركيز الأبحاث على الدراسات اليابانية.

أما الإدارة المالية، فلم يذكر فيها سوى محاسبها "جوليان دو شاتو"[٤]، وهو مكلف بتسيير الشؤون المالية، من مصروفات وعوائد، سواء منها التبرعات أو المساهمات أو رسوم الاشتراكات، كما أنه مكلف بالبحث في إمكان تخفيض أجور النقل[٥]، وربما الإقامة، ومصاريف المعرض الذي سيقام بتلك المناسبة. وقررت لجنة التنظيم المركزية، أن يعين المؤتمر في نهاية جلسته العامة الثانية، لجنة

---

[1] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier – p. 55.

[2] Ibid. - Tome premier - pp. 57 - 59.

[3] Ibid. - Tome premier - pp. 50 -51, and Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congres … pp. 4 - 5.

[4] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. V, and p. XII .

[5] Ibid. - Tome troixieme - p. XII.

مكلفة بفحص حسابات المحاسب[١]، كما قررت أنه إذا ما سدد المحاسب كل مصاريف الدورة، فإنه يعهد بما تبقى لصالح الدورة القابلة، ويضعه بين يدي محاسبه، يوم افتتاح أعمال المؤتمر ذاك[٢].

تلك هي أهم جوانب النظام الإداري، الذي سار عليها مؤتمر المستشرقين العالمي الأول ، وقد تمكن هذا النظام من إنجاح هذا المؤتمر، مما كان له الأثر الفعال، في نجاح ما لحقه من مؤتمرات أخرى.

٣ – نظام المؤتمر العلمي:

اتخذ المؤتمر نظام الجلسات، أسلوبا لمناقشة موضوعاته. كان معدل الجلسات، جلستين كل يوم، وأحيانا ثلاثا. وتعددت أساليب دراسة الموضوعات. فالظاهرة العامة في الجلسات، أن تبحث الموضوعات بطريقة الحوار المباشر، بحيث يتباحث المؤتمرون حول موضوع ما، وهي الظاهرة العامة: بعض الدراسات تتم بإلقاء محاضرة حولها، ولا توجد مناقشات حول ذلك الموضوع، ربما لوضوحه أو لتفرد المحاضر ببحث الموضوع، أو لبدهيته[٣]. وهناك دراسات يلقي الباحث فيها تحليله حولها، ثم يبدأ النقاش[٤]. كما أن بعض الدراسات تتم عن طريق التحاور، وقد تتحول الأنظار وأهمية الموضوع من المحاضر الرئيس لتسلط على شخصية أخرى، تحتوي الموضوع تماما، لتعمقها فيه أكثر من الأول، مثل ما حصل في الجلسة الحادية عشرة، إذ كان المستشرق "دو لوربي"، هو الذي بدأ تحرير الموضوع، ثم أصبح القديس "لونجنهوف"، هو محور الاهتمام، لإلمام الرجل بالعديد من جوانب الموضوع، على نحو أعمق مما لدى المستشرق الأول، بل إنه سيطر على مجريات الجلسة جلها[٥].

---

(1) Ibid. - p. IX .

(2) Ibid. - p. X .

(٣) مثال ذلك: Ibid. - Tome premier - pp. 61-69 , and pp. 536 -552 , and Tome deuxieme - pp.7-36, pp. 252 -260, and others.

(٤) مثال ذلك: Ibid. - Tome premier - pp.69 - 80, pp.169 - 171, and others.

(٥) مثال ذلك: Ibid. - Tome premier - pp.496 - 536

أما الجلسات، فقد كانت إحدى وعشرين جلسة، ليلا ونهارا، على مدى أحد عشر يوما [١]. والملاحظ أن هذه الجلسات، تجاوزت العدد الذي كان محددا سلفا. فقد كان من المقرر في البرنامج أن تعقد سبع عشرة جلسة[٢]. لذا، فقد تجاوز المقرر بأربع جلسات، فقد أضيفت جلسة افتتاحية، وجلسة الدراسات الدرافيدية، والدراسات السنسكريتية والدراسات البوذية. كما أنه كان من المقرر أن تشمل جلسة الدراسات الإيرانية، الدراسات الهندية أيضا، لكنها انفردت بجلسة خاصة بها، وخصصت جلسة مستقلة أيضا للدراسات البوذية. وأما الدراسات الدرافيدية، والدراسات السنسكريتية، فلم تكن مدرجة في البرنامج أصلا[٣]، وكلتاهما أضيفت.

وفي حين حافظت الدراسات اليابانية على عدد جلساتها، إلا أن موضوعاتها المعينة سلفا لم تحافظ على ترتيبها حسب البرنامج المعد[٤]. كما أن تفصيلات المسائل التي عبر عنها البرنامج الأولي، لم تطرق برمتها. فهناك موضوعات عدة، لم يتم التطرق لها، والأمر مطرد في كثير من الدراسات، سواء المتعلقة باليابان أو تلك المتخصصة ببقية جوانب الدراسات الاستشراقية، وقد أقر المستشرقون بهذا القصور، رغم النجاح الذي شهده المؤتمر. يقول أحدهم حول الموضوع: "لم يتم التطرق لكل المسائل المدونة في البرنامج. لم يتح الزمن المحدد لكل جلسة القيام بذلك، لكنها ستأخذ دورها. فهذا المؤتمر ليس سوى أولى حلقات السلسلة"[٥] . إذن، هذا بيان واضح عن عدم التمكن من طرق كل ما جاء في الجدول المعد سلفا. كما يؤكد هذا الكلام حديث من آخر جاء فيه "لقد تم الوصول للجلسة الختامية، ونحن نعلم أن مسائل عدة، موضوعة في البرنامج ما أمكن طرقها"[٦]. كما أن المباحثات لم تصل إلى نتائج قاطعة في أغلب الأحيان،

---

[1] Ibid. – Tome premier - pp. XXVII – L.

[2] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - pp. XXVII - L.

[3] Ibid. - Tome troixieme - p. XXII

[4] Ibid. - Tome premier - pp. 390 - 417.

[5] A. Lefebre: Le premier Congres International des Orientalistes - pp. 3-4.

[6] L...: Le premier Congres International des Orientalistes. Discours sur les Tourans en general et sur les Turcs Ottomans en particulier - Paris - E. Dentu, Libraire-Editeur - Palais Royal - 1873 - p. 6 .

رغم توضيحها الغموض المحيط بتلك المسائل، وفي هذا المجال يقول "لوفابر"، متحدثا عن الجلسات اليابانية: "الجلسات السبع، المخصصة لليابان، هذا الكم من دراسات العلماء، والمباحثات العلمية، أدت إلي توضيح المشكلات العسيرة، أكثر مما أوجدت حلولا لها.."[١] .

أما من ناحية مسار الجلسات، فكل جلسة كان يرأسها أحد أعضاء المؤتمر، وتحصل التدخلات بعد موافقته وبإذنه. وتتم المناقشات باحترام في عمومها. إلا أنها قد تحدث بعض الاعتراضات، كما تحدث مشادات أيضا، تضطر الرئيس للتدخل أحيانا وإيقاف النقاش. فبعد نقاش مثلا بين المستشرقين "شافي" و"إيشهوف Eichhoff"، تدخل "ليون دو روسني"، رغم أنه لم يكن الرئيس لتلك الجلسة الخاصة بالدراسات الهندية، ومما قاله في نهاية تدخله: "... أظن أنه من الخطأ أن يدخل المؤتمر في مناقشات من هذا النوع، إذ إنها سترمي به خارج الحدود التي رسمت له، ولا يمكنني إلا أن أدعو الجميع لكي يستمسكوا قدر المستطاع بتحليل النصوص الشرقية، التي أسس عليها العلم الذي يسمى الاستشراق"[٢].

هذه هي أهم سمات نظام المؤتمر الإداري، التي سار عليها مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، وهي في عمومها إيجابية، حققت النجاح العام للمؤتمر، الأمر الذي أدى إلى تواصل انعقاد المؤتمرات اللاحقة، حتى اليوم.

---

(1) A. Lefebre: Le premier Congres International des Orientalistes - p. 7.

(2) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris-1873-Tome deuxieme - Etudes Indiennes -Discours de Leon de Rosney- p. 407.

المبحث الثاني: أعمال المؤتمر الدراسية

في هذا المبحث، ستتطرق الدراسة لتقديم ملخص مختصر لمجريات دراسات المؤتمر ومسارها. فقد عقدت ثماني عشرة جلسة دراسية علمية، خصصت سبع منها للدراسات اليابانية، منها واحدة تعلقت بالدراسات الصينية. أما الجلسات الأخرى، فقد كانت موزعة على فروع الدراسات الاستشراقية الأخرى.

١- مسار الجلسات العلمية الخاصة بالدراسات اليابانية:

انطلقت الجلسة الأولى من الدراسات اليابانية وكانت الثالثة من جلسات المؤتمر، لتتباحث حول آثار اليابان وفنونه الجميلة[١]. ترأس الجلسة القنصل الياباني "ساميزيما ناوموبو". درست في هذه الجلسة الحقب التاريخية القديمة التي مرت بها اليابان.

وتعد الجلسة الثانية، من الدراسات اليابانية، أهم جلسات المؤتمر على الإطلاق، حسب العديد من المستشرقين، إذ تعلقت بالنقل الأوروبي للنصوص اليابانية، والبحث لها عن طريقة أبجدية بالحروف اللاتينية[٢]. وفي الجلسة تلك، صمم المؤتمر على الوصول إلى نتيجة، الأمر الذي مدد الجلسة، لتعقد جلسة ملحقة أخرى، وهي الجلسة الأخيرة من الدراسات اليابانية، التاسعة من جلسات المؤتمر، انطلقت الساعة الثامنة ليلا، وطالت حتى منتصف الليل[٣]. وكان للتوضيحات والتحليلات التي قدمها العديد من المتخصصين، حول القواعد اللغوية والفيلولوجية والصوتية، ثم تم التوصل أخيرا إلى اعتماد نظام يتناسب مع رغبات الغرب المختلفة، وفنون طباعته. إلا أن الملاحظ عمليا، أن ذلك بقي حبرا على ورق، أو انحصر في العالم الغربي، إذ لم تأخذ اليابان حتى العصر الحاضر، بتلك

---

(1) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 60 - 113.

(2) Ibid. - Tome premier - pp. 114 - 130.

(3) Ibid. - Tome premier - pp. 391 - 417.

الطريقة ولا غيرها، بل احتفظت بلغتها وأصالتها، وهي الآن من الدول العظمى في العالم.

في الجلسة الثالثة[١]، التي جلبت جمهورا من الحضور كبيرا، درست التطورات السياسية والدينية وظروف المرأة اليابانية، والحقبة اليابانية المعاصرة . وقد عبر المستشرقون عن إعجابهم واستغرابهم وخوفهم من التطورات السريعة التي تحصل في اليابان، ولاسيما في الناحيتين السياسية والدينية. كما بين أن التغيير طال الجانب الديني أيضا، إذ لم يكتف الشعب بإعادة تشكيل إطاره الديني، بل إنه عرض معابد له وآلهة للبيع بالمزاد، دون غيرة، ولا اهتمام. وعن ظروف المرأة، دعا المؤتمر للمزيد من مبادرات تحريرها.

في الجلسة الرابعة[٢]، درست إثنوغرافية اليابان ولغوياته وآدابه القديمة، بحيث تباحث المؤتمر أصول الجنس الأصفر الياباني العرقية، وصفاته الأنثروبولوجية، ومواطنه الأصلية، وهجراته التاريخية. و خصصت الجلسة الخامسة[٣] للعلوم والتقنية والمعادن وتربية دود القز وصناعة الحرير باليابان. ولما جاء دور الفلاحة، اهتم المستشرقون فيها بثراء الأرض رغم سوء استخدام السماد، حسب رأي المستشرقين، وأنه بالإمكان إثراء الأرض أكثر.

أما الموضوع الحيوي الذي شغل المستشرقين، فكان دود القز، الذي أصابته عدوى مرضية في أوروبا، لم تسلم منها ولم تثبت سوى البذور اليابانية. لذا تباحث المؤتمر مطولا حول أساليب تربية دود الحرير الياباني، وكيفية المحافظة عليه بعد استيراده لأوروبا، ولاسيما أنه تمكن من التأقلم، ونجح نجاحا باهرا في الإنتاج، وكانت طاقته الإنتاجية مرتفعة. جاء هذا البحث وسط شكوى من ارتفاع واردات الحرير من الصين واليابان ارتفاعا كبيرا، ورأى المستشرقون ضرورة الاعتماد على النفس في شراء البذور وتنميتها، حتى لا تبقى تجارة الغرب يهيمن عليها غيرهم.

---

(1) Ibid. - Tome premier - pp. 131 - 168.

(2) Ibid. - Tome premier - pp. 169 - 288.

(3) Ibid. - Tome premier - pp. 289 - 345.

كما وضحت الجلسة ثراء البلد المعدني، وأن الأرض اليابانية تحتوي على معادن عديدة، سواء الذهب أو الفضة أو الزنك أو غيرها من المعادن، ولا سيما النحاس، الذي تشهد جل أراضي اليابان وجوده فيها، بنسب متفاوتة، إضافة إلى سهولة الحصول عليه، وقلة المصاريف الضرورية لاستخراجه.

أما الدراسات الصينية[1]، فبينت أن الصين معروفة لدى الأوروبيين أكثر من اليابان. فقد أمكنهم التعرف على حقبها التاريخية المختلفة، وكذلك ثقافتها وفلسفاتها وأدبياتها. والصين قوم مهاجرون جاؤوا من وسط آسيا. وحتى الشعب الأصلي الذي غلبوا عليه، لقي حضه من البحث، في تقاليده وعاداته وأخلاقياته ودياناته وبطولاته.

٢ – الجلسات الخاصة بالدراسات الاستشراقية الأخرى:

على غرار ما تم بالجلسات الخاصة بالدراسات اليابانية، يهدف هذا العنصر إلى تسليط الأضواء على مجريات أعمال اللجان المختلفة الأخرى، وأهم الموضوعات التي تناولتها بالتحليل.

أ– جلسة الدراسات التتارية والهند–الصينية[2]: اهتمت هذه الجلسة بالجانب اللغوي للشعوب المنغولية والتركية والطورانية بصفة خاصة. وتعرضت للهجرات التتارية والمنغولية، ولتوزعها في أنحاء العالم، في عصور ما قبل التاريخ. فإن كان انتشار التتار شمل شمال آسيا وروسيا حاليا، بل وشمال أوروبا ومنطقة تركيا، فإن المنغوليين توجهوا تلقاء الهند والصين وجنوب آسيا.

واهتمت الجلسة بظواهر دينية وأجتماعية للشعب التبتي البوذي، وكذلك الشعب السيامي، وقدمت نصوصا مترجمة تتعلق ببوذا والبوذية، ذات أصول تبتية، وتهتم بالجوانب الفلسفية والفكرية للبوذيين والبوذية.

---

(1) Ibid. - Tome premier - pp. 352 - 389.

(2) Ibid. - Tome premier - pp. 419 - 496.

ب – الدراسات المحيطية[1]: تتعلق دراسات هذه الجلسة بالمنطقة المالاوية وما جاورها. وقد فاجأ القديس "لانجنهوف" الهولندي المؤتمرين بما لديه من معلومات عن قبائل "الداياك Dayak" الموجودة في أدغال "بورنيو Borneo"، وهي منطقة لم يجرؤ أحد على ولوجها من قبل، مبينا أن الحكومة الهولندية منعته لكنه أصر وصمم على دخول المنطقة. وفي الجلسة، امتدح الداياك الوثنيين وأشاد بلطفهم وطبيعيتهم وسجيتهم ورقتهم، في حين وصم الداياك الذين أسلموا بأنهم برابرة ووحوش، ويعود سبب توحشهم ، كما يقول، لتأثير المحمديين فيهم؛ ورأيه هذا من رأي العديد من المستشرقين الذين يتضايقون من كل ما يمت للإسلام والمسلمين بصلة، ويضيقون ذرعا بأي منافسة منه ولو يسيرة. وهذا الشعب استهلك معظم وقت هذه الجلسة.

موضوع آخر اهتمت به الجلسة، يتعلق بملوك "مالاكا Malaka"، التي تأسست في العام ١٢٥٢م (٦٥٠هـ)، وأنها دخلت في الإسلام في عهد ملكها الرابع "رجا كتشيل بسار Raja Ketchil Bessar"، الذي تسمى بـ"السلطان محمد شاه"، وهو أول ملك مسلم بمالاكا. وسطع نجم المملكة، وهيمنت على الدول المجاورة لها، وانتصرت على البرتغالين في مواقع، قبل أن تقع بين أيديهم، بعد أن طلب الغزاة مددا خاصا من لشبونة.

كما درست التطورات التاريخية للأدب في جاوة وكاوي؛ واهتمت الجلسة أيضا بوسائل الدفاع والهجوم عند القبائل المتوحشة في المنطقة.

ج – الدراسات المصرية[2]: تعد الدراسات المصرية إحدى الموضوعات التي لا تكاد تفارق أي مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين. فقد صادف انعقاد المؤتمر الأول، نشوة الاهتمام القوي بتحليلات الكتابة الفرعونية وقراءتها، والكشف عن المزيد من تلك الآثار، فكانت هي ثمرة العصر الاستشراقية الأولى، لذا، كانت هذه الجلسة مسرحا لتحليلات طويلة ومتعددة الموضوعات.

---

(1) Ibid. - Tome premier - pp. 497 - 571.

(2) Ibid. - Tome deuxieme - pp. 7 - 116

د – الدراسات الآشورية والآثار السامية[١]: افتتح الجلسة "جيل أوبار"، ببحث يتعلق بالتطورات الحاصلة على نقل نقوش الكتابة المسمارية، مرجعـــا أصـــول الاهتمامات بها إلى مجموعة من رحالة القرن الســـابع عشـــر والثـــامن عشـــر الميلاديين. وأن الانطلاقة في معرفة تلك النصوص ترجع لوجود أنواع ثلاثة مـــن الكتابات، الفارسية والآشورية والأرمينية، التي كانت تكتب جميعـــها بالصفـــات المسمارية، في بعض الآثار الفارسية. ومن ثم سهل حل رموزها، بعد عشـــرات السنين من البحث.

كما عرضت دراسات أخرى تتعلق بنظام تكون الكتابات المسمارية، وأنظمة نقلها وقراءتها بمختلف الألسن الآشورية، وكذلك دراسة بعض الكلمات والخلافات حولها. ومن بينها مقالة تتعلق بـــ"تموز".

هـــ – الدراسات السامية[٢]: بدأت المباحثات في هذه الجلسة بتحليل لترجمـــة حديثة عن الكتاب المقدس، كما تم عرض نصوص من نقوش ســـامية ســـريانية وقرطاجية وآرامية. أما البلدان البارزة في ميدان البحوث السامية هـــي إنجلـــترا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا والبلدان المنخفضة، وتأتي على قمتها إنجلترا، بما أنـــها أول من بدأ الكشف عن النقوش والكتابات الرامية، منذ نهاية القرن الثامن عشـــر، وساعدها وجود مخطوطات وآثار بها كتابات آرامية في المتاحف البريطانية.

كما عرضت دراسة حول اللهجات السريانية المعاصرة للمؤتمـــر، التـــي لا تزال توجود في مناطق سوريا، وأخرى حول القصيدة المقدسة عند المـــارونيين، إضافة إلى مساهمات متنوعة حول قضايا دراسية سريانية.

و – الدراسات الإيرانية[٣]: ترأس هذه الجلسة سفير فارس ـــ هكـــذا ورد ـــ الجنرال "نازار آغا Nazar Aga". وفي هذه الجلسة عرضت دراسات عدة حـــول اللغات الإيرانية القديمة، وعن جغرافية بعض المناطق فيها، وعقيدة الوحدانية عند الفرس القدامى، وعن العقيدة الزرادشتية، وأثرها.

---

[1] Ibid. - Tome deuxieme - pp. 117 - 229.

[2] Ibid. - Tome deuxieme - pp. 231 - 313.

[3] Ibid. - Tome deuxieme - pp. 314 – 326.

ز – الدراسات الدرافيدية[1]: هذه المنطقة من العالم، تعد موطن قبائل بدوية تسمى القبائل الطورانية. وتتكون من الشيث والهنس والهنغاريين والمغول والتتار والترك. وكانت لهم علاقات مع التبت والصينيين والكوريين واليابانيين، وشعوب الهند–الصينية، الذين يشتركون معهم في الجنس الأصفر، تصل حد الانصهار أحيانا. هذه الشعوب تمت دراستها. كما درست اللغات الطورانية في عمومها.

ح – الدراسات الهندية[2]: بدأت الجلسة بتقرير عن تقدم الدراسات الهندية منذ العام ١٨٦٧م (١٢٨٣هـ)، مبينا أنها لم تتوقف، ولاسيما في ألمانيا، وبخاصة ما يتعلق باللغات، وبالتحديد، السنسكريتية، وكذلك الآداب، عارضا دراسات نشرت في تلك الفترة، وبعض المخطوطات والمعاجم، وأخرى في القواعد اللغوية والشعر، والديانات والعادات، والعلوم والفلسفة، والقانون والفيلولوجيا المقارنة والتاريخ. كما قدم مثال لترجمة نصوص من الأدب الهندي القديم، وأخرى حول نظرية هندية في نشأة الكون.

ط – الدراسات البونية[3]: ابتدأت الجلسة بتقرير عن تطور الدراسات البونية، بداية من العام ١٨٥٢م (١٢٦٨هـ)، مبينا أن هذه الدراسات لقيت حظوة وتطورا في كل من إنجلترا وألمانيا وروسيا والدانمرك وفرنسا، وأن هذه الدراسات توسعت عموما منذ القرن السابع عشر، واتسعت دائرتها بعمق في القرن التاسع عشر.

ي – الدراسات الأرمينية والهلينية الجديدة[4]: عرضت في هذه الجلسة دراسات حول الكتابة المسمارية الأرمينية ونقوشها وآثارها، كما قدمت دراسة حول العلامات الهيروغليفية في المخطوطات الأرمينية، ودراسات أخرى حول تطور الدراسات المتعلقة بالهلينية الجديدة.

ك – دراسات عامة حول الاستشراق وموضوعات أخرى[5]: في هذه الجلسة، قدمت مساهمتان، إحداهما تتعلق بالدراسات الشرقية في البرتغال، تبين

---

(1) Ibid. - Tome deuxieme - pp. 327 - 354.

(2) Ibid. - Tome deuxieme - pp. 355 - 408.

(3) Ibid. - Tome deuxieme – pp. 409 – 423.

(4) Ibid. - Tome deuxieme - pp. 425 - 462.

(5) Ibid. - Tome deuxieme - pp. 463 – 524.

مسار تطورها حتى الفترة التي عقد فيها المؤتمر. أما الأخرى فتتعلـــق بثمـــاني مخطوطات من أوراق البردي القبطيـــة، الموجـــودة فـــي المتحـــف المصـــري بـــ"اللوفر".

وبهذا تم هذا العرض المختصر لأعمال الجلسات المختلفة، التي ألفت أعمـدة مؤتمر المستشرقين العالمي الأول .

المبحث الثالث: نتائج مؤتمر المستشرقين العالمي الأول

بعد انتهاء أعمال مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، دخل المؤتمر جلسته الختامية. وفي الجلسة الختامية عادة، تتبين بعض نتائج المؤتمرات من توصيات وغيرها. وحتى تتضح نتائج المؤتمر، يجدر بحث أعمال الجلسة الختامية، ثم بحث النتائج العامة التي توصل إليها، وبيان بعض السلبيات التي وقع فيها.

١ - جلسة المؤتمر الختامية وتوصيات المؤتمر:

على غرار الجلسة الافتتاحية، كانت الجلسة الختامية مختصرة، لم يذكر أنه ألقيت فيها كلمات أو خطابات تنويهية أو شكرية، أو بيانات تقويمية أو استنتاجات علمية، فلم يرد سوى القليل من التوصيات، في حين أن هناك أمورا عدة ذكرت في المؤتمر، سيتم التطرق إليها فيما يلي.

ترأس هذه الجلسة رئيس المؤتمر "ليون دو روسني"، وبين أن على الجموع، قبل تفرقها، وطبقا للنظام العام الذي أقره الجميع[1]، أن تتخذ العديد من الإجراءات، حتى تواصل مؤتمرات المستشرقين العالمية أداء دورها[2]. ووفقا للبند الثاني من النظام، على الحضور تعيين البلد الذي ستنعقد فيه الجلسة الثانية، واختيار رئيس تلك الدورة بعد ذلك.

تقدم لاستضافة المؤتمر اللاحق كل من إنجلترا وإيطاليا وسويسرا، وجاءت نتائج الاقتراع كالتالي:حصلت إنجلترا على أربعة وثمانين صوتا، وإيطاليا على ثلاثة وثمانين، وسويسرا على سبعة[3]. واختيرت بالتالي إنجلترا مكانا لعقد الدورة الثانية من مؤتمرات المستشرقين العالمية . وبذلك ضمن المؤتمر أولى خطوات استمراريته. أما رئيسه، فتم اختيار "صمويل بيرتش Samuel Birch" من

---

(1) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - pp. 11 - 15.

(2) Ibid. - Tome troixieme - p. 5.

(3) Ibid. - Tome troixieme - p. 6.

المتحف البريطاني، بالإجماع[١]. أما الموضوع الرئيس، فسيكون اللغات الهندوستانية[٢].

وفق البند الثالث عشر، المتعلق بطباعة أعمال المؤتمر، التي يجب أن توكل للجنة من البلد الذي عقد فيه المؤتمر، فقد وكل أمرها لرئيسه "ليون دو روسني"، إضافة إلى اللجنة الإدارية[٣].

ووفق البند الثامن عشر، أعلن الرئيس أسماء مندوبي لجنة المؤتمر الدائمة، والممثلين لها بالخارج، وجلهم من بلدان أوروبية، ولا يوجد من الشرق سوى مندوبي كل من الجزائر ومصر. والملاحظ أن مندوبي الدولتين العربيتين الوحيدتين، أجانب أوروبيون. كما دعا الرئيس الدول التي لم تعين لنفسها مندوبها الدائم بعد، إلى فعل ذلك بسرعة، ثم طلب من الحاضرين الموافقة على المعينين، وقد استجيب لندائه هذا[٤].

كل ما سبق يهدف للمحافظة على استمرار دورات انعقاد المؤتمرات. أما عن المقترحات، فقد رأى المستشرق "دوشانسكي Duchinski"، تقديم شهادة عرفان لأهم منظمي المؤتمر. وتم إقرار المقترح، وكلف المستشرق نفسه بتكوين لجنة للعمل على تحقيقه[٥].

كما رأى الأعضاء الذين استشيروا حول مهمة اللجنة الدائمة، أنه مع تحديد عمل هذه اللجنة حتى افتتاح الدورة القابلة، فإنه بإمكان الرئيس تمديد عملها من أجل مصالح الطباعة، أو أي سبب يجعل دوامها مهما جدا[٦].

واقترح "شارل روشي" تخصيص جلسة للدراسات الإثنوغرافية، وطالب "جسلين" بجلسة للدراسات الأثرية والفنية، وقد دعم الحضور المقترحين، وتقرر توكيل أمرهما لرئيس المؤتمر القادم[٧].

---

[1] Ibid. - Tome troixieme - pp. 5 - 6.

[2] Ibid. - Tome troixieme - p. 5.

[3] Ibid. - Tome troixieme - p. 6.

[4] Ibid. - Tome troixieme - pp. 6 -7.

[5] Ibid. - Tome troixieme - p. 7.

[6] Ibid. - Tome troixieme - p. 7.

[7] Ibid. - Tome troixieme - pp. 7.

ثم ألقى الأميرال "روز"، كلمة موجزة ختامية، شكر الجموع لتشريفهم المؤتمر، بوصفه رئيس الجلسة الافتتاحية، ومما قاله: "سأترك للنقد العلمي، مهمة الاعتراف بالأعمال، التي ستعرض للجمهور مكللة بمساهماتكم. أود فقط، قبل افتراقنا، التعبير عن أملي الكبير في أن يصبح مؤتمرنا مؤسسة علمية عالمية، متواصلة ودائمة، وعلى هذه الرغبة، لا أقول لكم الوداع، بل إلى اللقاء"(١).

ونظرا لأنه لم يطلب أحد الكلمة لبسط ملاحظات تقدم لصالح الدراسات الشرقية عموما، ولمصلحة المؤتمر بصفة خاصة، أعلن الرئيس اختتام أعمال دورة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)(٢).

تلك هي أهم الأحداث التي تمت في جلسة المؤتمر الختامية، إذ كانت مختصرة في أعمالها، وموجزة في مقترحاتها.

٢ – نتائج أعمال المؤتمر:

لم يرد في مطبوعات أعمال المؤتمر، النتائج التي توصل إليها، ولا حتى في أواخر أعمال كل جلسة. لكن سيتم هنا محاولة استخلاص بعض النتائج التي حصلت في المؤتمر عموما، في انعقاده ودراساته، بالاستعانة بأقوال بعض المستشرقين، وتفحص أعمال المؤتمر.

أولا – تتمثل النتيجة الأولى في التوصل لتجميع عدد هائل من المستشرقين ضمن إطار موحد ومكان واحد، يتبادلون فيه التعارف والمعرفة والآراء. وهذا كان أحد أهداف المؤتمر، وقد صرح به قبل الانعقاد(٣).

ثانيا – نجاح المؤتمر الذاتي. فقد كانت الشكوك تحوم حول إمكان نجاحه، لدرجة أن السلطة السياسية لم تعتن به العناية الكافية، كتلك التي حظيت بها المؤتمرات لاحقا. وهذا الأمر هو ما دعا صحيفة لأن تقول من أنه لا يقال مستقبلا إنه لن ينجح شيء في فرنسا من غير مساعدة من الحكومة أو موظفو

---

(1) Ibid. - Tome troixieme - p. 8.

(2) Ibid. - Tome troixieme - p. 8.

(3) Ibid. - Tome troixieme - pp. XVII .

الدولة المرموقون[١]، وقالت أخرى: "لقد تأسست إذن مؤتمرات المستشرقين، وكان ذلك في فرنسا"[٢]، كما أن مستشرقا ذكر عن نجاح المؤتمر وجنيه فوائد معرفية "لم نكن واثقين منه"[٣]، وأكد آخر "لقد انعقد المؤتمر بباريس، ونجح نجاحا باهرا"[٤].

ثالثا – تحقيق الاستمرار. بضمان نجاح المؤتمر الأول هذا، أصبح استمرار انعقاد غيره من الدورات شبه مؤكد، ونجاح اختيار موطن الدورة التالية، وهي إنجلترا، ووجود دول أخرى ترغب في استضافة المؤتمر، ضمن أمر تواصل حلقاته، وسيكون لها دورها لاحقا. فقد صرح دو رافيزي قائلا: "لقد قبل الرأي العام مهمة المؤتمر، التي ستتواصل بانتظام. ففي السنة المقبلة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ)، ستنعقد دورته الثانية في إنجلترا. فهذا البلد قد اختير بالفعل، وفضل على كل من إيطاليا وسويسرا والبرتغال واللكسنبورغ، الذين سيلحقهم دورهم لاحقا"[٥]. كما أن "لوفابر" عبر بتفاؤل متحدثا عن المسائل التي لم يتم طرقها، بأنها سيأتيها دورها في المؤتمرات القادمة، وقال: "فهذا المؤتمر ليس سوى أولى حلقات السلسلة"[٦]، كما ذكر في موضع آخر فقال: " لقد ضمن مستقبل هذه المؤسسة"[٧].

رابعا – الإفادة العلمية. لم تنعقد المؤتمرات للبروز أو لإثبات وجودها الشكلي، بل يكاد يتفق الحضور والمتابعون له، من وجهة النظر الاستشراقية على الأقل، أنه كان ذا قيمة علمية، وإفادة معرفية، لكافة المهتمين بتلك الدراسات والميادين. وفي هذا الاتجاه يقول "دو شاتو": "قدم هذا المؤتمر تطورا آخر للعلم،

---

(١) هي جريدة الوطن Patrie، وقد سبق ذكر المقولة بأكملها مترجمة ص ١٠٧ من الرسالة.

(٢) هي المجلة الرسمية للجمهورية الفرنسية. وقد سبق ذكر ما ذكرت ضمن مقولة مطولة ص ١٠٦ – ١٠٧ من الرسالة.

(3) Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise … p. 3.

(4) A. Lefebre: Le premier Congres International des Orientalistes … p.3.

(5) Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congres … p. 6.

(6) A. Lefebre: Le premier Congres International des Orientalistes …pp. 3-4.

(7) Ibid. p. 4.

الذي نقر بخطئنا من أننا لم نكن واثقين منه"(١). كما ذكرت صحيفة "العالم L'Univers"، بتاريخ الثامن من سبتمبر، أثناء انعقاد الدورة، الأولى، وقبيل انقضائه " لقد اهتممنا بمتابعة أعمال ذات أهمية علمية وصناعية، كانت منذ بدايتها مشهودة قيمتها الحقيقية من قبل العالم. سيجد منصرونا وتجارنا ودبلوماسيونا مراجع وبيانات مفيدة، أما قراؤنا، فيلقون معلومات طرية حول إثنوغرافية الشرق الأقصى وتاريخه ولغوياته"(٢).

خامسا: نتائج دراسية عامة:

أ – في مجال الدراسات اليابانية: قدم المؤتمر معلومات هامة لكافة أصناف المهتمين باليابان. فللتجار عرض تحليلات وافية حول موارد اليابان ومنتجاتها، ولاسيما تربية دود القز وصناعة الحرير. وللصناعيين ما يكفي من معارف حول المعادن الموجودة في الأراضي اليابانية. وللمنصرين بين الحقائق الدينية والثورة العقائدية هناك، وللدبلوماسيين قام بتحليل التطورات السياسية والاجتماعية للبلد، وللمؤرخين وضح أنثروبولوجية البلد وتطورها التاريخي، وللفيلولوجيين درس اللغات المختلفة للشعوب اليابانية، وتحليلاتها الفيلولوجية. إلا أن المستشرقين اتفق معظمهم على أن أهم نتيجة توصل إليها المؤتمر هي الطريقة الأبجدية اللاتينية الجديدة، التي تكونت لحل معضلة النقل الأوروبي للكتابات اليابانية، وعدت الطريقة قفزة علمية وحضارية جديدة. فقد قرر "لوفابر" أن هذه الطريقة هي النتيجة العلمية الوحيدة التي توصل إليها المؤتمر إذ قال: "فقد أدت بالمؤتمر للوصول إلى نتيجة علمية على الأقل، ألا وهي ذلك المقترح الأبجدي ... فهو نظام تم اعتماده، يتوافق بدرجة ما مع الطباعة وحقوق اللغويات، والمحاكاة الصوتية. إن انطلاقة مؤتمر باريس، والمهمة التي قام بإنجازها، هي الحدث المهم في الدراسات اليابانية، بل في كل ما يتعلق باليابان نفسه ... إن الأبجدية الجديدة يمكنها أن تصبح أدق وسيلة أكيدة للتثقيف، ونشر التنوير بين الأيادي الثورية الحاذقة، التي تغير حاليا الوضع الاجتماعي القديم لوطنها. وبفضله، يمكن

---

(1) Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise ... p.3.

(2) Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congres ... p.13.

للصحافة السياسية أن تنمو في حياة جديدة، سيتحدد بذلك تغيير فكري جديد..."[1].
هكذا يرى المستشرق الوصول إلى هذه النتيجة البحثية.

ولا ينفرد بنفسه في هذا التوجه، بل يؤيده الكثيرون. فهذا "لوسيان آدام" ينوه بالأمر نفسه أيضا، فيقول: "إن المسارعة إلى تخصيص اليابان بكتابة أبجدية كان إحدى واجبات علماء الغرب العالمية، لقد وفوا مهمتهم تحت إشرافهم، بالتوفيق بين القوانين العلمية والضرورات العملية "[2].

أما "دو شاتو"، فهو يراها أساس علاقة متينة بين اليابانيين ودارسي اليابانيات "كان المقصود عقد وفاق بين اليابانيين من جهة، ودارسي اليابان المنتمين لبلدان أوروبية مختلفة من جهة أخرى. والغاية منها اعتماد طريقة موحدة لنقل النصوص اليابانية بحروف أوروبية... إن المسألة التي طرقها المؤتمر، لم تكن مسألة الأبجدية فقط، بل المقصود هو الوصول إلى نتيجة هامة، وهي التخلص من كل أنواع مسائل القواعد اللغوية والنحوية... مستشرقون جاؤوا من كل قارات العالم، يتناقشون حتى حوالي منتصف الليل بحيوية متماسكة، بحجج قوية، المشكلات اللغوية الدقيقة"[3].

تلك إذن هي أهم نتيجة خرج بها المؤتمر ، حسب ما رآها المستشرقون ، إذ هناك محاولات من قبلهم لتحويل كتابات اللغات العالمية، كي تكتب بالحروف اللاتينية. وكل لغة يتمكنون من تكوين أبجدية لاتينية لها يعدون ذلك نجاحا باهرا. فالخط اللاتيني عندهم عامل تطور، ودخل ذلك في قناعاتهم الشخصية، فيما بقية الخطوط الأخرى عوامل تخلف، حتى أن أحدهم يتحدث عن أسباب تقهقر العثمانيين، أرجع ذلك "في جزء منه، إلى استخدام الأبجدية العربية المقيتة"[4]. وفي ذلك دليل واضح على نظرة المستشرقين الدونية للغات الأخرى، وبغضه للغة العربية بصفة خاصة.

---

(1) A. Lefebre: Le premier Congres International des Orientalistes … p.7.

(2) Lucien Adams: Congres International des Orientalistes … p. 7.

(3) Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise … pp. 8 - 9.

(4) Lucien Adams: Congres International des Orientalistes … p. 20.

ب – في مجال الدراسات الاستشراقية الأخرى: لم تذكر نتائج واضحة أعمق من غيرها، بل هي مجموعة فوائد لخصها "لوفابر"، رغم أنه خلطها أحيانا مع الدراسات اليابانية، فقد قال عن المؤتمر: "لقد تناول في دراساته آسيا كلها، والمحيط والسواحل المتوسطية–الإفريقية، واليونان، من وجهة نظر إثنوغرافية ولغوية ودينية.

ففي الجانب الإثنوغرافي، بين خصائص تتعلق بالشعوب الأصلية والمهاجرة، سواء في اليابان أو الصين أو الهند أو ماليزيا أو مصر أو جنوب شرق آسيا. لقد عود أعيننا على الفنون والتقنية في اليابان، وقد استنتج التعقيد المعروض للجماعات الإثنية المتعددة.

في جانب اللغويات حطم هالة المجموعة المتماسكة. فبتركه جانبا الوحدة المسلم بها للعائلة الآرية، وتلك التي للعائلة السامية، دون اعتبار الضرر من جراء الخلافات المتفاوتة في عمقها، الناتجة عن تكاثر القوميات، فقد أثبت استقلالها عن المجموعات التالية، وهي على التوالي: اليابانية والصينية والطورانية–الفينيقية–المنغولية، والدرافيدية والمالاوية. لقد تحصل على نتيجة رئيسة، عرضت وطبقت، وهي أبجدية عالمية لنقل النصوص اليابانية بالصفات الأوروبية، مما يساعد بالتالي على أنتشار الأفكار العصرية في بلد متشوف للحضارة والتطور، بفتح السبيل الممهد، حيث يجب أن يسير اللغويون والفيلولوجيون.

أما في مجال الفلسفة التأويلية أخيرا، فإنه تم توضيح أصول النظام القديم للديانة المصرية والهندية والفارسية والتنقيب عنها، وهي الخاضعة دون إرادة لقانوني الزمن والوسط..."[1]

هكذا يرى هذا المستشرق نتائج المؤتمر، التي قسمها للجانب العرقي فاللغوي فالفلسفي اللاهوتي. وهي في عمومها أهم الجوانب التي اهتم بها المؤتمر، إضافة إلى الجوانب السياسية والاقتصادية.

ذاك أهم ما أمكن استخلاصه من نتائج أعمال المؤتمر الأول من فوائد ومعارف ونتائج. ومع ذلك، ضحت فيها سلبيات عدة أيضا، جديرة بالتنصيص عليها، رغم أنها لا تقلل من نجاح المؤتمر فيما سطره لنفسه وخططه .

---

[1] A. Lefebre: Le premier Congres International des Orientalistes…pp.18-19.

٣ – سلبيات في المؤتمر:

وجدت سلبيات في المؤتمر، رغم النجاح الذي أحاط به. وهذه السلبيات ذات شقين: سلبيات في الإدارة، وسلبيات في الدراسات العلمية. كما تنقسم السلبيات في الإدارة إلى جانبين اثنين؛ وهي السلبيات في التخطيط وسلبيات في التنظيم. والأمر كذلك بالنسبة للسلبيات في الدراسات، فهناك سلبيات في الأهداف، وأخرى في الأساس الفكري. وهذا ما سيتم بحثه في هذا الموضع.

أ – السلبيات في الإدارة:

تنقسم السلبيات الإدارية إلى سلبيات في التخطيط، وسلبيات في التنظيم، إذ برزت فيهما هناة وقصور، رغم أنها لم يكن لها تأثير كبير في مسيرة إنجاح المؤتمر. أما السلبيات في التخطيط فتتمثل فيما يلي:

السلبية الأولى: تتمثل أولاها في التردد في تحديد البرنامج الدراسي العام للمؤتمر. فقد كان من المقرر أن تقتصر الدراسات على اليابان فقط، لكن تم بعد ذلك إدخال جوانب أخرى من الدراسات الاستشراقية ، ثم توسع الجدول أكثر من ذلك عند انعقاد المؤتمر[١].

السلبية الثانية: فهي توسيع برنامج الدراسات ليشمل ساحة كبرى من الدراسات الاستشراقية. أمر التوسع هذا، عانت منه المؤتمرات لاحقا، وظلت الشكوى تتردد دوما من ازدحام الموضوعات وتوسع الحقل الاستشراقي، في مدة وجيزة، هي عمر كل مؤتمر، الأمر الذي أدى إلى قرار في العام ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، يقضي باقتصار الموضوعات في المؤتمرات على الدراسات الإنسانية في آسيا وشمال إفريقيا، ثم هو يتعلق حاليا بدراسات آسيا وشمال إفريقيا[٢]، ولا يستبعد أن يختصر مرة أخرى، لأن المؤتمرات رغم ذلك ما تزال تعاني من الازدحام والطفرة في المساهمات، وقد عاينت ذلك بنفسي في المؤتمر

---

[١] سبق الحديث عن هذا الموضوع ص ٧٣ من الرسالة.

[٢] سيأتي تفصيل هذه الأمور في مواضع عدة من الرسالة.

الخامس والثلاثين، الذي عقد في بودابست بالمجر، صيف ١٩٩٧م (١٤١٨هـ).
فقد كان هناك لجان عدة، تعقد جلسات كثيرة في وقت واحد، لدرجة أن المرء يحار أي الدراسات والمساهمات أو الندوات يختار كي يحضرها. وهذا كان يفوت فوائد عدة كان يمكن جنيها في حالة حضور ما تمت التضحية من أجله.

السلبية الثالثة: أن البرنامج وضع على أساس نظري بحت، قبل استلام المساهمات المتعلقة بالموضوعات الرئيسة. هذا الأمر أجبر الإدارة على التخلي عن بعضها عند منطلق المؤتمر، أو دمج أخرى، قد تبلغ أحيانا ثلاثة موضوعات[١]، أو توسيع دوائر غيرها، وتخصيص جلسات إضافية سواها[٢].

السلبية الرابعة: كثرة الموضوعات والمسائل وتنوعها، الأمر الذي أدى إلى تجاهل بعضها، مما هو متفق عليه بين المستشرقين عموما. وهذا ما يفسره قول أحدهم " لم يتم التطرق لكل المسائل المدونة في البرنامج، لم يتح الزمن المحدد لكل جلسة القيام بذلك"[٣].

من جهة أخرى، كان لسلبيات التخطيط انعكاسه على المعرض الياباني المقام بالمناسبة كذلك. فقد حدد له سلفا سبع قاعات من القصر الصناعي، لكن تبين لاحقا أن ذلك لم يكن كافيا، فاضطر المؤتمر لفتح ثلاث قاعات أخرى، إذ ظلت الآثار والطرف تتقاطر على الموضع حتى انعقاد المؤتمر[٤].

وهناك من أخذ على المؤتمر إهماله لجوانب استشراقية أخرى، كأمريكا وإفريقيا، وأنه "بطمرها – أي الدورة – الفجوات (أمريكا وإفريقيا) مستقبلا، عندما تتدارك الأخطاء، التي ما كان هناك فرار منها، فسيتم توظيف ما يكتنفها من غموض"[٥]، فبعكس الآخرين الذين رأوا ازدحاما في الدراسات، يرى هذا المستشرق أن هناك نقصا في الموضوعات.

---

(1) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 131 - 168.

(2) Ibid. - Tome premier - pp.390 - 417, and pp. 114 -130.

(3) A. Lefebre: Le premier Congres International des Orientalistes … p. 3.

(4) Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congres … p. 13.

(5) A. Lefebre: Le premier Congres International des Orientalistes … p. 19.

تلك هي أهم السلبيات التي تتعلق بالجانب التخطيطي لمؤتمر المستشرقين العالمي الأول. أما السلبيات في التنظيم فتتمثل فيما يلي:

السلبية الأولى: وظهرت منذ الانطلاقة الأولى للمؤتمر. فقد دبت خلافات حادة في الجلسة الافتتاحية الأولى، حول تعيين الإدارة المسيرة للمؤتمر، الأمر الذي حدا بالرئيس إلى إيقاف الجلسة لبعض الوقت[1]. وبذلك يكون الخلاف قد دب بين المستشرقين منذ بداية المؤتمر الأول. لأن الأصل في الاقتراع أن يدلي المنتخب بصوته لمن يعرف. وهذا الاجتماع الأول، ابتدر الحضور بطلب قيامهم بالاقتراع، لكن بعض الأعضاء طلبوا عرض المنتخبين للتعرف عليهم، إلا أن هذا الطلب قوبل بالرفض التام، بحجة أن المؤتمر في بدايته، ولم يأخذ بعد الصبغة الرسمية[2]. وهذا الموقف يعد إحدى السلبيات الإدارية الأولى، مما يجعل الاقتراع أمرا شكليا، بحتا، وخرج عن مفهومه ومحتواه الحقيقي.

السلبية الثانية: ولا تتضح إلا إذا قارنا هذا المؤتمر بالمؤتمرات الأخرى اللاحقة، ألا وهي عدم وجود ممثل حكومي يشارك أو يرأس جلسة الافتتاح، ولا حتى جلسة الاختتام. وهذا الغياب الحكومي، قد يكون بسبب سوء تقدير المستقبل الذي ينتظر تلك المؤتمرات، الأمر الذي جعل البعض يرى في نجاح المؤتمر، تحديا للحكومة[3].

السلبية الثالثة: تتمثل في خروج المناقشات أحيانا عن الحد المناط بها، مما يلزم التدخل لإيقافها، وقد لا يقدر رئيس الجلسة على إيقاف المشادات في بعض الأحيان، بل قد يتدخل بعض أقطاب المؤتمر لإيقافه، أو توجيهه وجهة أخرى، كالحوار الذي دار بين المستشرقين "شافي" و"إيشهوف"، وقد مرت الإشارة إليه، مما أجبر دو روسني للتدخل لبيان خطورة مثل هذا التوجه[4].

---

[1] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 51.

[2] Ibid. - Tome premier - p. 51.

[3] Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congres …p. 13.

[4] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome deuxieme - p. 407.

السلبية الرابعة: تتعلق بالمشاركين في المؤتمر. فرغم العدد الهائل الذي تحول إلى باريس، سواء من فرنسا أو غيرها، إلا أن "أكثر من نصف الأعضاء الفرنسيين والأجانب حضروا جلسات المؤتمر"[1]، الأمر الذي يبين أن قرابة نصف الحضور لم يشاركوا المشاركة المطلوبة في جلسات المؤتمر. وهو ما يدعو للتساؤل، لكن لم يتم توضيح ذلك.

ويبدو كذلك أن التنظيم في عمومه، رغم نجاحه العام، كان يشكو من بعض السلبيات. فقد ذكر أحد المستشرقين في إشارة قصيرة للأمر هذا بقوله: "إن الوقت القصير الذي عاشه المؤتمر، لم يسمح برفع الاحتجاجات النظامية"[2]، لكنه لم يفصل تلك الاحتجاجات.

هذا ما يتعلق بالسلبيات الخاصة بالجانب التنظيمي للمؤتمر.

ب – السلبيات في الدراسات العلمية:

تبحث هذه السلبيات في شقيها السلبيات في الأهداف والسلبيات في الأساس الفكري. وهذان الجانبان من شأنهما توضيح تلك السلبيات وبيانها.

– السلبيات في الأهداف: تشمل في عمومها سلبيات في الأهداف الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية. فالعديد من الدراسات لا تهدف للوصول إلى نتيجة علمية صرفة، بل قد يصرح بعض المستشرقين أن الدراسات الاستشراقية هي ذات أهداف مصلحية كلها. فهذا "لو فابر" مثلا، يقول حول الموضوع: "لكن مع الأخذ في الاعتبار بكافة الأهداف الحافزة في الشرق، التجارة والاستعمار ونشر الديانة، يجب أن نعرف ... إن فارس القديمة وهند الفيديين والمانو ومصر الفرعونية وآشور كانت عالما مغلقا عن أوروبا"[3]. فالأهداف العلمية جاءت لاحقة للأهداف المصلحية الأخرى، هذا التزاوج المصلحي دفع صحيفة لأن تصرح قائلة عن أعمال المؤتمر: "سيجد منصرونا وتجارنا ودبلوماسيونا مراجع وبيانات

---

(1) Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congres … p. 4.

(2) L…: Le premier Congres International des Orientalistes …p. 6 .

(3) A. Lefebre: Le premier Congres International des Orientalistes … p. 2.

مفيدة"[١]، مما يدل على حقيقة الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها مؤتمرات المستشرقين العالمية في عمومها. فالمصلحة، ولاسيما الاقتصادية، تتردد كثيرا في دراسات المؤتمر.

يقول الكونت "دو مونبلان"، في موضوع المصلحة الاقتصادية: "يبدو لي مما طرح، ومن كل ما رأيت في اليابان أو في أوروبا، عن مراقبة المشتريات، أنه من المصلحة أن تعين لجنة لدراسة البذور وتنوير المشترين الموردين"[٢]، بل إن الدراسات الاقتصادية شملت جل الثروات في اليابان مثلا، حتى إنه ليتم تحديد المناطق الصالحة من تلك التي تسبب عناء أو خسارة في العوائد. ففي حديثه عن النحاس مثلا، يقول المستشرق "بول أوري": "والمادة التي توجد في كل الإقليم بكامله، هي النحاس. فأما الأماكن الغنية جدا أكثر من غيرها، فهي "بيتو" و"أكيتا"، وأما الأماكن الفقيرة جدا، فهي "جيزان" و"تابا" و"تاكو"..."[٣]. فالأمر واضح في هذا المثال أن المستشرق وجه دراسته للمصلحة الاقتصادية كلية. والمتتبع لمثل هذه التصريحات، يجد الكثير منها، بل هناك ما هو أكثر تأكيدا منها، ولاسيما في مجال الدراسات اليابانية، في الجلسة السابعة من جلسات المؤتمر[٤]، فمن هذه الأقوال ما ذكره "دو منجو" حول ثراء البلاد بأكملها بقوله: "هذا البلد الذي حبته الطبيعة، يوفر في أيامنا هذه إنتاجه الثري، الأرضي منه والصناعي، للتجارة مع القارتين، وعقد علاقات متتالية مع كل البلدان البحرية، فبأي مقياس وبأي درجة تعد أهمية التجارة والصناعة الأوروبيتين بالنسبة لليابان؟..."[٥]، وفي مقولة أخرى له أيضا "ستقدم التجارة لليابان، أو بالأحرى، ستأخذ منه ثرواته..."[٦]. تلك كانت بيانات عن الهدف الاقتصادي المتضح من خلال الدراسات المتعمقة في الدراسات اليابانية. وفي هذا خير دليل على أن الاهتمام بالدول الشرقية إنما هو للمصالح

---

(1) Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congres … p. 13.

(2) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 325.

(3) Ibid. - Tome premier - p. 339.

(4) Ibid. - Tome premier - pp. 289 - 345.

(5) Ibid. - Tome premier - p. 135.

(6) Ibid. - Tome premier - p. 140.

الغربية الخاصة لا غير. يدل على هذا قول "ماديي": "فما الذي أصبح عليه الترك؟ ومورو الجزائر الأغنى منهم؟ متسولين..."[١].

أما المصلحة السياسية، فقد وردت هي أيضا بكثرة، ولاسيما في الجلسة الخامسة من جلسات المؤتمر[٢]، التي تخصصت في دراسة التحولات السياسية والدينية والاجتماعية في اليابان. تلك التغيرات، جعلت المؤتمر يدعو إلى استغلال الفرصة لبسط الهيمنة السياسية في المنطقة تلك. وهذا جعل الغربيين يتكالبون على الحصول على موقع نفوذ، نقل ذلك "دو مانجو" فقال: "أما فيما يتعلق بالحكومات الأوروبية والشمال أمريكية، ماذا نقول؟ دبلوماسيا، وبكافة الأشكال، الهادفة دوما إلى التأثير الفخم، ولاسيما من جانب فرنسا، وهي كلها ذات مصالح جشعة، بالمقابل مع بعض الحكومات الغربية الأخرى"[٣]. إذن، هي دعوة من بين الدعوات التي يطلقها المؤتمر من أجل السعي للحصول على مكاسب سياسية، ويبين النهم السياسي الواقع، والذي يدعو المؤتمر لانتهاجه.

مقابل ذلك، يحذر المستشرقون من بروز حركات سياسية متطرفة في اليابان، كما ظهرت الشيوعية في أوروبا، حيث كانت المواجهة على أشدها ساعتها ضد الشيوعيين، يقول "دو روسني" في إشارة قصيرة لها: " لكن هذه الثورة، التي انبثقت عنها عقائد، لا نجد منها عندنا إلا الشيوعيين المتزمتين جدا..."[٤]. كما وجهت دعوات للهيمنة على مختلف مجريات الأحداث في الشرق، من أمثلة ذلك قول "دو منجو" حاثا على التدخل في دقائق الأمور في اليابان: "يجب أن نحاكمهم، ولاسيما فيما يعملونه لصالح المرأة"[٥].

كما وردت احتجاجات من المستشرقين على الفوضوية الدبلوماسية في اليابان، فقال أحدهم: "إن الدبلوماسية في اليابان ليست فلسفية ولا علمية ولا شعورية"[٦] ، وذكر أيضا عن عدم فاعلية القنصليات والقناصل فيها، لما كان

---

(1) Ibid. - Tome premier - p. 335.

(2) Ibid. - Tome premier - pp. 131-168.

(3) Ibid. - Tome premier - p.139.

(4) Ibid. - Tome premier - p142.

(5) Ibid. - Tome premier - 140.

(6) Ibid. - Tome premier - 140.

يتحدث عن شحنات من دود الحرير إلى أوروبا: "إن الختم القنصلـــي لا دور لــه سوى إثراء القناصل. إن القناصل لا يفحصون شيئا، ولا يمكنهم مراجعة شيء"(١).

إذن، في الأقوال السابقة حث من المستشـــرقين علـــى العنايـــة بالمصلحـــة السياسية في البلدان الشرقية، ممثلة باليابان، من خلال بيان السلبيات التي تحيـــط بالواقع السياسي، موضحين ضرورة المراقبة والسيطرة والهيمنة في جوانب عـدة من الشؤون الشرقية.

أما الجانب الديني، فقد أثبت هو أيضا وجوده في المؤتمر. فقد وردت أقـوال عدة، تبين علاقة اليابان بالديانة النصرانية الغربية، وعن إمكـــان دخولـــها فـــي المجتمع الياباني. ومن هذه التصريحات مقولة "دو بوسكي" التي جاء فيها: "لقد بدأ الحديث عن الديانة إذن!...إن ديانتنا سيكون لها منفذ عـــاجلا أم آجـــلا"(٢). أمـــا "لوسيان آدام"، فتحدث عن دخول النصرانية فعلا لليابان، والمواجهة العنيفة التـــي لاقتها فقال: "ففي فترة من الفترات، ظهرت النصرانية ساعية إلى تنوير هذا التيار الفكري، لكن، ولأسباب غير معروفة بدقة، توقـــف الإرشـــاد الدينـــي بطريقـــة اضطهادية ناجعة"(٣). أما "ماديي دو مونجو"، فيصف انفتاح اليابان لكافة الفـــروع الثقافية والعلمية والدينية فيقول: "لقد فتح الحقل لعلومنـــا وصناعاتنـــا ونظرياتنـــا وفلسفاتنا الغربية، القديمة منها والجديدة، وللنصرانية نفسها"(٤). من هنا يتبيـــن أن المصلحة الدينية النصرانية كان لها أثرها في أعمال مؤتمر المستشرقين العـــالمي الأول، وهو هدف بعيد عن أن يكون علميا بحتا.

وفي الجانب الثقافي، وعلى غرار الصراع السياسي، هناك ســـعي لتحقيـــق مصالح، وقد وجد تنافس للهيمنة الثقافية في اليابان مثلا، وساهمت فيـــه بعـــض دراسات المستشرقين أيضا. فهذا "دو شاتو" مثلا، يقول حول اللغـــات الأوروبيـــة المعروفة في اليابان: "... فعلى مدى طويل، ظلـــت الهولنديـــة اللغـــة الوحيـــدة المعروفة لدى معظم المثقفين اليابانيين. ومنذ انفتاح اليابان، أصبحت الإنجليزيـــة

---

(1) Ibid. - Tome premier - p. 323.

(2) Ibid. - Tome premier - pp. 149 - 150.

(3) Lucien Adams: Congres International des Orientalistes ... p. 10.

(4) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 135.

اللغة الأكثر تعلما في هذا البلد. أما الفرنسية التي بدأت تدخل في الحسبان، فقد فقدت الكثير من أهميتها في أعين المواطنين بعد نكباتنا الأخيرة. أما الألمانية التي لم تدرس البتة في "جيدو"، أضحت يهتم بها العديد من التلاميذ... لدى الشرقيين أمزجة متحولة جدا، وهو ما يكفي لإعادة جزء من امتيازات لغتنا على الأقل"[١]، يقصد الفرنسية.

من جهة أخرى، كان للتحوير الغربي للكتابة اليابانية ارتباطه الوثيق بالمصالح الغربية. فقد كانت الغاية الأساس من هذا التحوير هو إبرام المعاهدات والعقود وربط علاقات اقتصادية وسياسية مع اليابان[٢]. فلم يكن التحوير الوطني لمصلحة اليابان في أساسه، كما يرى المستشرقون، بل إن للمصالح الغربية الاعتبار الأول.

تلك بعض النماذج والأقوال حول الأهداف الثقافية الكامنة وراء النيات العلمية لدراسات المؤتمر، والمطلع على الأبحاث المعروضة يجد العديد من هذه النماذج، ومن غيرها من المؤثرات في الأهداف التي حادت بالمؤتمر عن الهدف المعلن، ألا وهو الهدف العلمي البحت[٣].

السلبيات في الأساس الفكري: تتعلق السلبيات هذه بالاستعلاء العنصري بصفة خاصة، وأثره في توجيه الفكر الاستشراقي. يشعر الغرب عموما بالعظمة والتعالي، على العناصر البشرية الأخرى، وبالتالي يحاكمون القوميات والأجناس سواهم من منطلق الفوقية الاستعلائية. ومثل هذا وجد لدى المستشرقين في مؤتمر المستشرقين العالمي الأول. يوضح مثل هذا الشعور "ماديي دو مونجو"، طارحا القضية بصفة معاكسة، متسائلا عن نظرة الشرقيين للغرب فيقول: "هلا ينظر إلينا اليابانيون بمقياس ما؟ وكذلك الصينيون، على أننا برابرة راقيون، وصالحون لأن يطبع منا أشياء عدة، لكن لا للاقتداء بنا كلية؟ لا! لست بعيدا عن التفكير في ذلك، ولا يمكنني إنكاره، لأني لست مصابا بتزمت الجنس الأبيض الذي يعرف درجة

---

(1) Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise … p. 12.

(2) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 164 - 166.

(٣) سبق تفصيل الأهداف هذه وغيرها ص ٨٠ – ١٣٥ فما بعدها من الرسالة.

عالية عند الشعوب الأنجلو-ساكسونية والجرمانية"[1]. كما أنه عند حديثه عن سعي الدول للحصول على عقود شراء أراض في اليابان، هاجم إنجلترا لتعاملها بوجهين مختلفين، فما تتعامل به في الخارج غير ما تطبقه في بلادها فقال: "إنجلترا، ليس لها حق التحدث في اليابان باسم مبادئها الجذابة جدا، بما أن القانون الإنجليزي لا يزال فيه ما يلي: الأرض الإنجليزية للإنجليز فقط، والمملكة للملك ولأتباعه المخلصين"[2]، فبما أن الأراضي الإنجليزية لا يجوز بيعها لغير الإنجليز، فلا يجوز لحكومتها إذن أن تطالب بشراء أراضي الغير. إذن، الاستعلاء العنصري متجسد في الغربيين، وأحد ركائز شخصياتهم، ولا سيما في شمال أوروبا باعتراف منهم.

هذه النزعة تظهر في العديد من الدراسات التي طرحت في المؤتمر، ويجدر إيراد أمثلة ليستبين ذلك، وليتضح أنه عائق علمي، ظاهره خدمة العلم والسعي لتطوير الدراسات الاستشراقية، وفي عمقه إنما هو خدمة المصالح العليا للجنس الراقي، كما يعتقدون، وإظهار احتقار وانحطاط درجة غيرهم.

في جانب اللغة اليابانية، التي وضع لها نظام خطي جديد، يقول عنه "لوسيان آدام": "إن المسارعة إلى تخصيص اليابان بكتابة أبجدية، كان أحد واجبات علماء الغرب العالمية. لقد وفوا مهمتهم..."[3]. فقوله أحد واجبات علماء الغرب، وأيضا مهمتهم، فيه مسحة من النزعة السلطوية وتنصيب النفس مسؤولة عن الآخرين، إذ يمكن طرح تساؤل بطريقة معاكسة، هل إن الأمر سيكون من واجبات الغرب أيضا ومهامه، لو أن اليابانيين قرروا القيام بالأمر نفسه معتمدين على أنفسهم فقط، وحالفهم النجاح في ذلك؟ والمستشرق نفسه في موضع آخر، يصف الكتابة اليابانية بأنها شبيهة ببطء الناقش على الخشب[4]. لكن تلك وجهة نظره، بسبب عدم قدرته على استيعاب اللغة اليابانية كاليابانيين الذين ألفوها، وما يزالون

---

[1] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 136.

[2] Ibid. - Tome premier - p. 335.

[3] Lucien Adams: Congres International des Orientalistes -... p.7.

[4] Ibid. - Tome premier p. 7.

يستخدمونها حتى الوقت الحاضر، ومن المؤكد أن لهم رأيا مخالفا في طريقة كتابتهم، غير رأي المستشرق الآنف الذكر.

ورغم احتجاجه على أصحاب الاستعلاء العنصري ونفيها عن نفسه، إلا أن "ماديي دو مونجو" يسقط في هذا المطب ذاته، فنراه يصم المعاهدات المكتوبة بالكتابة اليابانية بين اليابان وأوروبا بقوله: "كل المعاهدات العلمية، المدنية أو التجارية، وهي كثيرة ومعتبرة بين اليابانيين والأوروبيين، إنما وسائل مشوهة. ليست لكونها مدونة خارج العبارات الأكثر استخداما فقط، بل في إطار لسان قومي تعبيري غير جيد، متضمن علامات خطية ذات أشكال مقطعية ومعنوية، يتعذر تبريرها"[1]. فهذه أيضا محاكمة ممن لم يتعود على هذه الكتابة، ويقيسها على ما لديه وما تعود عليه من خصوصيات وقناعات، ويتضح ذلك بينا أكثر في مقولة له أخرى جاء فيها: "هل للحكومة اليابانية منهج تثقيفي؟ لا يمكنني استنتاج ذلك. وفقا للنظرة الأوروبية لا يوجد"[2]. فهو يقوم الحكومة اليابانية وفقا للاعتبارات الأوروبية، وبالتالي، فإن المنهج الأوروبي هو المعيار الذي تقاس على غراره بقية مسيرات الأمم.

أما المستشرق "بلاز"، فلديه أيضا نوع من هذه النزعة الفوقية، فهو يقول: "...ينبغي علينا أيضا معرفة الطريقة التي نحقق بها السعادة السياسية والاجتماعية لإخواننا في الشرق الأقصى، ولاسيما الشعب الياباني الفائق الذكاء..."[3]. فالسعادة إذن وتحقيقها، منطلقه الغرب، ورغم أن الشعب الياباني فائق الذكاء، إلا أنه رغم ذلك، يحتاج للأوروبي ليعلمه كيف يسعد نفسه ويرقيها. في حين أننا نرى اليوم الشعب الياباني فاق الغربيين في مثل عدة، يتخذها الغرب مسارا يتبعونه، قصد تنمية أنفسهم وترقية حضارتهم، ولاسيما قيم العمل والتفاني فيه.

وفي مجال المرأة اليابانية خصوصا، والشرقية عموما، يقول المستشرق "بومفال" حول عفتها وحياتها وأخلاقها: "إنني لم أجد المرأة في أي مكان، اليابان أو غيره، بلغت درجة من العظمة والنبل مثلما عليه في المجتمعات المتحررة

---

[1] Ibid. - Tome premier - p. 164.

[2] Ibid. - Tome premier - p.137.

[3] Ibid. - Tome premier - p. 132.

بالنصرانية"[١]. بل إنه يواصل حديثه محتجا بما وصله من الرحالة الغربيين، يبين له انتشار الفساد الأخلاقي عند الشعب الياباني، والمرأة بالذات، التي ليس لها أدنى درجة من الحياء والحشمة[٢]، فهذا المستشرق نفى العظمة والنبل عن المرأة غير الأوروبية، واستثنى منها تلك المتحررة بالنصرانية. فالأخلاق النصرانية الغربية وظروف المرأة الأوروبية هي إذن المعيار الذي يقاس عليه ما لدى الآخرين. ثم إن المبلغين له رحالة غربيون، بينما يوجد في أوروبا وأمريكا رحالة يابانيون وطلبة دارسون، ولم يصرح بأنه سألهم أو استفسر منهم. فالتفوق العنصري هو الذي يقوده إذن وما يدل على هذا الأمر ويبينه، هو أن القضية نوقشت، ورد عليه زملاؤه بعامل اختلاف معيار الأخلاق بين الشرق والغرب. كما رد البعض بأن العكس هو الصحيح، وأن المرأة تلك عفيفة وشريفة، ولا يضرها وجود بعض المظاهر العامة المتعارف عليها لدى شعبها[٣] بل قد سماها الأميرال روز، رغم ما يقال عنها، بأنها "حواء قبل الخطيئة"[٤].

من جهة أخرى، رغم أن كثيرا من العلماء، أو جلهم، يرى أن عدة معارف جاءت من الصين، إلا أن هناك من يعترض على هذا الكلام. فالمستشرق "لو فالوا"، في أثناء حديثه عن الرياضيات مثلا، يحاول عكس القضية، فيرى أن الصينيين هم الذين أفادوا من الغرب لا العكس. وفي مناقشته لأحد الكتب التي درسها يقول: "وجهة النظر هذه، أعلم أنها متعارضة مع تلك التي نجدها في كل الكتابات تقريبا، والتي تتناول تاريخ الرياضيات، لكني أعتقد أن المسألة لم يتم دراستها بجدية وتعمق على النصوص نفسها ودون جزئيات معينة"[٥]. وبقطع النظر عن الحقيقة التاريخية، فإن النرجسية الأوروبية واضحة جدا من كلام هذا

---

(1) Ibid. - Tome premier - p. 159.

(2) Ibid. - Tome premier - p. 159.

(3) Ibid. - Tome premier - discours de Bousquet - pp. 159 - 160, and Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise ... Tome premier – p. 13.

(4) Ameral Roze - Discours - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session- Paris - 1873 -Tome premier - pp. 160 - 161.

ينسب "دو شاتو" في مرجعه السابق في الصفحة ١٣، هذه المقولة لـ"دو بوسكي"، ولعله خلط.

(5) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 290 - 291.

المستشرق، ولاسيما في مقولته باقتباس المعلومات الصحيحة الوحيدة. وبالتـــالي، فالغرب وحده هو الذي امتلك تلك الدقة. بل إن "سيديو" ينحو هــذا النــهج ذاتــه ويعمق جذوره، فيرى أن الصينيين أخذوا علومهم وحصلوا عليـــها مــن حملــة الإسكندر المقدوني، والنفوذ الروماني ومن المغول والعرب الذين كانت تربطـــهم علاقات مع الغرب. ويبقى الغــرب على الدوام هو المعيار، حتى للعرب.

وحول الفلاحة أخيرا، فرغم أن معظم المستشرقين اتفقوا على أن بـذور دود القز الياباني صمدت أمام الأمراض الأوروبية وأعطت نتاجا جيدا في أوروبا، نجد أن البعض يسير عكس التيار هذا، مثل "جيران مينوفيـــو Guerin-Meneville" الذي يقول: "أعتقد أن كل أمراض دودنا الأوروبي موجود في اليابان، لكن بدرجة أقل من حالة المستوطنة... لا أعتقد أننا سنجد في اليابان طرقـــا عديـدة يمكــن تطبيقها في أوروبا"[١]. لا يستبعد أن يكون كلامه هذا صوابا، لكن طريقة العرض والاعتراض هي التي تشير لأمر الترفع الخاص. كما أن غيره لا يريد أن تصــل تجربة دود القز الياباني إلى أوروبا، إلا بعد نجاح تدجينها، حتى إذا مـــا فشـلت التجربة لم تصب أوروبا بخيبة أمل مرة أخرى، بل إنه يرى إجراء التجربة فـــي محطات وسيطة، قبل نقلها نهائيا إلى أوروبا، ويقول: "سأحاول ملاحظة أن البذور اليابانية هي التي نجحت أفضل من غيرها في تجربـــة التدجيـن فــي أوروبــا. محاولات الأقلمة تلك غير كافية حتى الآن، بل هي بعيدة عـــن ذلــك. لكــن ألا يستخلص بالتالي أن البذور اليابانية، بصفة خاصة، هي التي يجـــب إخضاعـــها للتأقلم المتدرج، وفق برنامج إقامة محطات وسيطة فـــي تونـس وغيرهـــا.."[٢]، وبالتالي فما على أوروبا سوى قطف الثمار بعد نجاح المحطة الوسيطة.

إذن، وكما كان للمؤتمر إيجابياته، كانت فيه سلبيات أيضا. ومع ذلك، لم تكن لهذه السلبيات تأثير على نجاح المؤتمر، ولاسيما أنه أول مؤتمــر انعقــد، ومنــه انطلقت مسيرة المؤتمرات، التي لا تزال تنشط حتى اليوم.

تلك إذن صورة عامة عن مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، مساره ونشاطه ونتائجه، وإيجابياته وسلبياته.

---

(1) Ibid. - Tome premier - p. 326.

(2) Ibid. - Tome premier - p. 319.

الباب الثاني: الأطر الإدارية والعلمية لمؤتمرات المستشرقين العالمية

الباب الثاني: الأطر الإدارية والعلمية لمؤتمرات المستشرقين العالمية

مدخل:

بعد التعرف على نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية، يجدر التعرض للتطورات التي طرأت على إطاريها الإداري والعلمي. ولاشك في أن كل مكتشف بشري، يفتقد دوما الكمال، ويحتاج المرء لإعادة النظر فيه مرات ومرات، حتى يعدل من مساره ويحسن من نتاجه وينمي من فوائده. وهكذا كانت المؤتمرات. وقد مر بنا أنه من قبل الاتفاق على أنعقاد المؤتمرات، خضعت الأطر العلمية لإحداث تعديلات عليها مرات عدة، فبعد أن كان المؤتمر مقصورا على الدراسات اليابانية، عدل بعد ذلك ليشمل الدراسات الاستشراقية الأخرى، وحتى تلك الدراسات لم يستوعبها كلها، وانتهت دورته الأولى والحسرة قائمة على ذلك النقص. ومن هنا ظهر للمستشرقين ضرورة إحداث تطويرات على المؤتمر ومساره.

وبالفعل، فقد شهد المؤتمر الثاني صفة أخرى من التنظيم والترتيب، وتغير الأمر كذلك ابتداء من المؤتمر الثالث ليتخذ نموذجا آخر من المسارات، ولاسيما في مجال الجلسات الدراسية. وما هو إلا المؤتمر التاسع، حتى بدأ التنافس حول إحداث التطوير والتغيير والتبديل في مسارات مؤتمرات المستشرقين العالمية ، سواء في الناحية التنظيمية الإدارية، أو في الجانب المعرفي الدراسي، بل قد تقع مناوشات ومناقشات تصل إلى درجات عالية من الحدة. ويبدو أنه كان للواقع الأوروبي وللأحداث السياسية الدائرة في القارة، والخلافات التي كانت تنخر في الجسد الأوروبي أثرها في إذكاء حدة التنافس بين المستشرقين في المؤتمرات، ولاسيما بين الفرنسيين الذين يرون لهم الفضل في نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية، والبريطانيين الذين سعوا لإخراج المؤتمرات من أحضان الفرنسيين، وقدروا في النهاية بمساعدة المستشرقين الأمريكيين على الاستحواذ الكلي على المؤتمرات، وصبغها حتى اليوم بالمؤثرات الإنجليزية.

هذا التنافس على المؤتمرات، إضافة إلى الضرورات الملحة لإحداث تغييرات على نهج المؤتمرات، سواء منها الدعوات القائلة بتقليص البرنامج أو الداعية لتوسيعه، أثرت في أحداث المؤتمرات وأدخلت تحويرات عدة، سواء في مسماه أو نظامه العام أو جلسات لجانه أو لجانه الإدارية أو غيرها من الإطار الإداري، كما مست الدراسات العلمية، فشهدت تنويعات في الكيفية والشكل. هذه التحويرات هي محور دراسات هذا الباب.

تم اختيار دراسات التطورات الحاصلة على مساهمات الشرقيين في المؤتمرات، بالتركيز على منطقة الشرق الأوسط بالذات، كنموذج أول عن هذه التطورات، للتعرف على مسارها وتطوراتها وتعامل الغربيين معها، ولاسيما أن الشرقيين هم موضوع دراسات المؤتمرات وأبحاثه من جهة، وتقويم المساهمات تلك، ووضعها في إطارها وسط المشاركات الكلية في المؤتمرات.

وكنموذج ثان كذلك، كان من الأجدر إلقاء نظرات على المؤتمرات المختلفة التي انعقدت في البلدان الشرقية، ابتداء من مؤتمر الجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، وهو المؤتمر الرابع عشر، وانتهاء بمؤتمر هونج كونج، الرابع والثلاثين، وكان ذلك سنة ١٩٩٣م (١٤١٣هـ)، لتقويم مدى فاعليتها ونجاحها، وقدرة الشرقيين على إدارتها، ومدى مساهمتها في تغيير صورة الشرقي السلبية لدى المستشرقين والغربيين.

هذه العناصر وغيرها، هي ما سيتناوله هذا الباب بالتحليل والدرس، سعيا لبيانها وتوضيحها واستخلاص ما أمكن من نتائج وفوائد منها.

الفصل الأول: الأطر الإدارية، صفتها وتطورها

المبحث الأول: مسميات مؤتمرات المستشرقين العالمية

المبحث الثاني: النظم العامة لمؤتمرات المستشرقين العالمية وتطورها

المبحث الثالث: نظم مؤتمرات المستشرقين العالمية الإدارية وتطورها

الفصل الأول: الأطر الإدارية: صفتها وتطورها

توطئة:

تميزت مؤتمرات المستشرقين العالمية باهتمامها الدائم بأطرها الإدارية المختلفة، ومحاولة تطويرها كلما تغيرت الظروف أو لوحظ عجز في بعض جوانبها. لذا، فقد عرفت تغييرات وتحويرات متلاحقة على تلك الأطر، التي يمكن إجمالها في ثلاثة أمور: مسميات المؤتمرات ونظمها العامة وتنظيمها الإداري.

أما المسميات، فشهدت تحويرين على المسمى الأول "مؤتمرات المستشرقين العالمية". هذا الاسم لازم المؤتمرات مدة قرن كامل، فهي انطلقت سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ) بباريس، تحت الاسم المذكور أعلاه، وفي باريس نفسها، وخلال المؤتمر التاسع والعشرين، لسنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، تقرر تغيير الاسم ليصبح" International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا". وهذا الاسم نفسه لم يدم سوى مؤتمرين فقط، الثلاثين في مكسيكو سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، والحادي والثلاثين في طوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ).وفي هذا الأخير، تقرر تحوير الاسم مرة أخرى ليصبح International Congress for Asian and North African Studies المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا"، وعقد تحت هذا المسمى أربعة مؤتمرات، أولها بهمبورغ سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ) وهو المؤتمر الثاني والثلاثون، وآخرها، وهو الخامس والثلاثون، بـ"بودابست" بالمجر سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ).

أما نظم مؤتمرات المستشرقين العامة، فقد شهدت هي نفسها تطويرات متلاحقة. فأول نظام عام تم إقراره كان في المؤتمر الأول بباريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، ومن بنوده ما سمح لمستشرقي كل دولة ينعقد فيها أي مؤتمر لاحق، تكوين نظام خاص بهم، وبمتطلبات البلد ذاك، الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه لتعدد الأنظمة الخاصة. وألقى الوضع السياسي العام والاجتماعي بظلاله على تلك المؤتمرات، فظهر التنافس في اختيار النظم أيضا، مما أدى إلى تهميش النظام العام. وظهرت آثار ذلك التنافس في المؤتمر التاسع بلندن سنة

١٨٩٢م (١٢١٠هـ)، حيث قرر المستشرقون، والإنجليز منهم بصفة خاصة، تحوير النظام العام من أساسه، فاعترض الفرنسيون، ورغم ذلك تم إقرار نظام آخر بديلا عن الأول. لكن ما إن عادت المؤتمرات إلى باريس مرة أخرى، سنة ١٨٩٧م (١٢١٥هـ)، حتى تقرر تغييره للمرة الثانية، وكان بمنزلة رد فعل الفرنسيين على الإنجليز. هذا النظام الثالث عمر حتى مؤتمر "آن آربور" بالولايات المتحدة الأمريكية، سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، حيث تم تحويره تحويرا يكاد يكون جذريا. وبالتالي جاءت المؤتمرات بنظام رابع. وقد قامت محاولات عدة لتحوير النظام الثالث قبل "آن آربور"، لكنها فشلت جميعها بسبب الظروف العامة، ولاسيما الحربين العالميتين.

أما النظام الخامس، فورد في المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو، سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، ويبدو أن التغييرات على الساحة العالمية وكذلك على الساحة العلمية، والظروف التي أحاطت بالمؤتمرات، أجبرت المستشرقين على إحداث تلك التغييرات، وربما ليبرهن الشرقيون أنهم ليسوا أقل قدرة من غيرهم في التنظير التنظيمي. وما يزال النظام تسير عليه المؤتمرات حتى الزمن الحاضر.

كما أحدثت تغييرات على النظم الإدارية أيضا، سعيا لتطوير مسارها. فقد كانت المؤتمرات تدخل في الهيكلية الإدارية من اللجان والشخصيات ما يتناسب والوضعية التي تسير عليها المؤتمرات، أو التي تؤثر فيها. وكل ما يستجد ويرى أنه في مصلحة المؤتمر، يتمسك به ويطور: فهناك لجان دائمة الوجود، مثل لجنة التنظيم، وهناك من اللجان ما هو مؤقت، مثل لجنة الثلاثة، وهي لجنة تمثلت مهمتها في زيارة مقر المؤتمر قبل انعقاده، للتأكد من حسن الاستعداد، كما أن هناك لجانا وقتية للتباحث حول قضية واتخاذ القرار المناسب فيها، أو إسداء نصح أو توجيه.

هذه الأمور، هي ما سيتعرض له هذا الفصل من البحث، لتحليله وبيان المزيد من تطور المؤتمرات، حتى تتضح تلك البيانات ويتعمق المزيد من فهم فاعليتها وفوائدها الإدارية، وحتى تفهم الأنظمة الإدارية المختلفة التي سارت عليها المؤتمرات .

المبحث الأول: مسميات مؤتمرات المستشرقين العالمية

انطلقت مؤتمرات المستشرقين العالمية" سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ) بباريس. وعقد تحت مسماها هذا تسعة وعشرون مؤتمرا، على مدى قرن كامل. ونظرا للظروف السياسية والثقافية والاجتماعية أيضا، رأى المستشرقون ضرورة تحوير الاسم ذاك، ولاسيما أن مصطلح الاستشراق وسم بسمات عدائية للشرق، نظرا للمسار الذي انتهجه المستشرقون في أبحاثهم، وذلك بتوجيه دراساتهم للمصالح السياسية والاستعمارية والإمبريالية الغربية والشيوعية الشرقية. وساهم في ذلك غموض مصطلح الاستشراق العلمي، إذ اتسعت أبحاثه كثيرا، لتشمل أوروبا الشرقية والقارتين الأمريكية والأسترالية كما سيأتي[1]. ومن ساعتها، أصبح المؤتمر يحمل مسماه الثاني "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا".

إلا أن الاسم الجديد لم يدم سوى مؤتمرين فقط، ثم تغير مسماه مرة أخرى. وإذ لم يتم بيان أسباب هذا التحوير في المصادر المتوفرة، إلا أن هناك احتمالات تتعلق بقصر الدراسات على الإنسانية من جهة، فيما المسمى الأخير عمم الأبحاث، أو أن الدراسات المقدمة في المؤتمرين غير مطابقة للمسمى. أما كون التحوير الأخير تم في اليابان، قد يكون من باب وضع البصمات الشرقية على أعتاب المؤتمرات، ومن باب بيان قدرة الشرقيين على منافسة الغربيين، حتى في إحداث تحويرات وإدخال تعديلات، ثم هو يطلق على مجال واحد من المجالات العلمية العديدة في المنطقة الشرقية. لذلك، تقرر تحويره ليصبح "المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا". وعقد تحت مسماه هذا أربعة مؤتمرات حتى الآن، آخرها في بودابست بالمجر سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ).

في هذا المبحث، سيتم التطرق إلى حيثيات تلك المسميات، وأسباب إحداثها، ومدى مواءمتها دراسات المؤتمرات ومطابقة الدراسات تلك للاسم المختار.

---

[1] سيأتي تحليل هذا الموضوع ص ١٧٩ فما بعدها، و١٨٣ فما بعدها، من الرسالة.

١- مؤتمرات المستشرقين العالمية :

ظل المؤتمر يحمل هذا الاسم على مدى قرن كامل من الزمن، وعقد تحت هذا المسمى تسعة وعشرون مؤتمرا. وشهدت هذه الحقبة توقف أنشطته لفترتين، خلال الحربين العالميتين، دامت الأولى منهما ست عشرة سنة، بداية من المؤتمر السادس عشر المنعقد بأثينا، سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، حتى المؤتمر السابع عشر بأكسفورد سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ). أما الثانية فناهزت عشر سنوات، بداية من المؤتمر العشرين، ببروكسيل سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، حتى المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ). ثم تواصل انعقاده حتى المؤتمر التاسع والعشرين بباريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، بمناسبة الذكرى المئوية لنشأة المؤتمرات، وفيه تقرر تغيير مسمى المؤتمر.

وأهم ما ساهم في تغيير مسمى المؤتمر:

أ – المؤثرات البيئية على الاستشراق.

ب – انتكاسة مفهوم الاستشراق.

ج – مؤتمر موسكو وأزمة الاستشراق الغربي.

وهذه من شأنها أن توضح أسباب تغيير مسمى مؤتمرات المستشرقين العالمية، والبحث عن مسميات أخرى.

<u>أ – المؤثرات البيئية على الاستشراق</u>: كانت نشأة المؤتمرات في فترة أينعت فيها الدراسات الاستشراقية، وهيمنت على الدراسات الإنسانية المتعلقة بالعالم الشرقي. وارتبط تطورها بقيام حركات اقتصادية تجارية، وحملات استعمارية إمبريالية، وهجمات تنصيرية انتهازية، وغزوات ثقافية استيلابية، أخذت اتجاهها من الغرب إلى الشرق. وكان المستشرق يفتخر ساعتها بانتسابه لهذا الميدان الدراسي، بل يعتز بمساهمته في شتى صور الهيمنة الغربية تلك، ولاسيما الاستعمارية منها[1]، وارتبطت صورة المستشرق بالتالي بهيكلية المتسلط، وأثر ذلك في مساره العلمي أيضا، هذا المسار الذي لم يكن دائما منصفا، بل يشوبه

---

[1] التفصيل في أمر الاستعمار عند الحديث عن الأثر الاستعماري في المؤتمرات ص ٤٩٥ فما بعدها من الرسالة.

الكثير من الفجوات غير العلمية، ولاسيما في تعاملهم مع الحضارة الإسلامية، دينها[1] وتاريخها[2] وشعوبها[3] وغيرها من المقومات.

هذه الصورة التي ألصقت بالمستشرق جعلته يهتز منها ويسعى للتخلص من شوائبها، ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية، وهذا ما يقرره المستشرق الياباني "ياماموتو تاتسورو Yamamoto Tatsuro" رئيس المؤتمر الحادي والثلاثين، فبعد أن قدم ثناءه على الباحثين في ميدان الاستشراق، قال: "ومع ذلك، وفي الوقت نفسه، علينا التأكيد على أهمية الانتقادات الموجهة للدراسات الشرقية، المشوبة بالمركزية الأوروبية والاستعمار"[4]، ويضيف بعد ذلك: "لأن كلمة "مستشرق" تتضمن الدلالة على فكرة المركزية الأوروبية"[5].

ب – انتكاسة مفهوم الاستشراق: كلمة مستشرق، أصابها الترهل المعنوي، بسبب توجهات المستشرقين القومية والوطنية والعرقية وإسقاط ذلك على الدراسات الاستشراقية. وقد ظهرت محاولات لتحسين صورة التوجه الدراسي الغربي، والغريب أنها جاءت هذه المرة أيضا من وجوه شرقية أيضا، وذلك في المؤتمر السادس والعشرون بنيو دلهي سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، الذي برز فيه لأول مرة مصطلح "Orientologie علم الشرق"، وجاء على لسان "حميون كبير

---

(1) على سبيل المثال: G. Weil: "Mohamet savait-il lire et ecrire ?" - Atti del IV Congresso Internationale degli Orientalistic - Florence - 1878 - Volume primo – Germany - Kraus Reprent - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - pp. 357 -366.

(2) يذكر على سبيل المثال: Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - Edited by Denis Senor - Wiesbaden - Otto Harrassowitz - 1971. في لجنة "Near East and Islamic Word"، حيث عقدت عدة جلسات تتحدث عن التاريخ الإسلامي، مثلا:

pp. 173-174, 213-215, 223 ,228, 229-235, 236-237...

(3) يمكن على سبيل المثال ذكر: H.G. Raverty: "On the Turk, Tattars and Mughals"- Travaux de la Troisiemme Session du Congres International des Orientalistes – Sts Petersbourg- 1876 - Germany - Kraus Reprent - Nendeln/Liechtenstein – 1968 – Tome deuxieme - pp. 73 - 149.

(4) Discours de Yamamoto Tatsuro - Presedent du 31 International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 - Edited by Yamamoto Tatsuro - The TOHO GAKKAI - Tokyo – 1984 - Tome I - p. 30.

(5) Ibid. - p. 30 .

"Humayun Kabir"، رئيس المؤتمر ذاك[١]، وتبناه بالتالي الباحثون الـــهنود[٢]. كما ظهر مصطلح "Oxidentologie"، علم الغرب أو الاستغراب"، أطلقه بدايـــة أيضا، حسب المؤتمرات "حميون كبير" نفسه[٣]، كما جاءت دعوة لإمكــــان عقـــد مؤتمرات عالمية للمستغربين[٤]. إلا أن مثل هذه التوجهات لم تفلـــح فـــي تغيـــير صورة المستشرق، ولا صورة مؤتمرات المستشـــرقين العالميـــة، كمـــا ســـيأتي لاحقا[٥].

ج – مؤتمر موسكو وأزمة الاستشراق الغربي: ظلت مؤتمرات المستشـــرقين العالمية، شبه محتكرة على المستشرقين دون غيرهم من الطوائف الشرقية علـــى مدى ثلاثة أرباع القرن الأول من عمر المؤتمرات. لكن بدأ المنعرج يتســـع مـــن مؤتمر موسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـــ)، وهو المؤتمـــر الخـــامس والعشـــرون لصالح المزيد من مساهمات الشرقيين. فقد حضر هذا المؤتمر أكثر من ألفي عالم ومستشرق وعدد كبير من المدعوين ينتمون إلى أكثر من ستين بلدا [٦]. وهيمـــن المستشرقون السوفييت على هذا المؤتمر هيمنة شبه كاملة، وأدخلـــوا لأول مـــرة لجانا دراسية تتعلق بالتاريخ والواقع المعاش، السياسي والاجتماعي والاقتصـــادي والإيديولوجي، إضافة إلى اللجان التي اعتادت عليها المؤتمرات. ويعتـــبر هـــذا المؤتمر أول من سعى لإبراز الشخصية الشرقية الباحثة، حتى قيل: "لقـــد كـــان

---

[١] ورد ذلك في مواضع كثيرة من خطابه الافتتاحي للمؤتمر:

- Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - Rabina Bhavan - New Delhi and Gaha Ray - Calcutta - 1966 - V1 - Inaugural Address - pp. 43 - 47.

[٢] على سبيل المثـــال: Address of R. N. Dandeker - Proceeding of the XXXII International Congress for Asian and North African Studies - Hamburg - 1986 – Frang Steiner Verlog - Stuttgart - 1992 - pp. XIX - XX .

[٣] على سبيل المثال : Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - V1 - p. 59 .

[4] Ibid. - V1 - p. 59.

[٥] يأتي هذا لاحقا ص ١٨٣ من الرسالة .

[6] "Le XXV^{eme} Congres International des Orientalistes, Moscow, 9 -16 Aout 1960" - Studia et Acta Orientalia - III - Bucarest - 1960 - Societe des Sciences Historiques et Philologiques de la R.P.R. Section d'Etudes Orientale - Meridiens-Edition . p. 304.

لعلماء المشرق المكانة نفسها التي أعطيت لرجالات العلم في البلدان الاشتراكية تقريبا"[١].

بالمقابل، ضيق في المؤتمر على المستشرقين البرجوازيين كما سموهم، مما "أدى بالعديد منهم إلى التخلي عن بحوثهم الجائرة،...كما يجب أن يلاحظ أنه بسبب معارضة المستشرقين البرجوازيين، وبعضهم مشهور جدا، لأن يتدارس المستشرقون الموضوعات المعاصرة، فقد كانوا يوجهون دوما، خلال المناقشات، إلى ضرورة الاهتمام بالمشكلات الآنية"[٢]. بل لقد تجاهلوا مقالاتهم عند النشر، أو مقالات بعضهم[٣].

ولم تجابه المدرسة الروسية في المؤتمر ذلك وحدها، بل إن الشرقيين أيضا استفادوا من الفرصة على ما يبدو "فبفضل بعض المداخلات الحازمة لممثلي البلدان الاشتراكية، ونظرا لكون البلدان الشرقية كانت ممثلة تمثيلا جيدا في المؤتمر، فقد رفضت أطروحات بعض باحثي البلدان الغربية، ويحدث أحيانا أن بعضهم كانوا مضطرين لأن يعدلوا عن بعض قناعاتهم على الأقل، أو عن بعض جزئياتها. كما يجدر بالخصوص، ذكر بعض المبادئ الخاطئة لبعض الباحثين الإنجليز، الذين هزموا أمام الباحثين الهنود المشاركين في المؤتمر"[٤].

"لقد سجل مؤتمر المستشرقين بموسكو طورا جديدا في سلم تطوير الاستشراق العالمي"، هذا ما صرح به "جافاروف Gafarov"، رئيس المؤتمر[٥]. وهذا الطور الجديد رن رنة غير سارة لدى القائمين الأوائل على مسار المؤتمرات، ولاسيما أن الاختيار بعد موسكو كان "نيو دلهي" بالهند، وهو بلد ينعقد فيه المؤتمر التالي، وهو الذي شهد علماؤه مشادات مع المستشرقين الإنجليز، وهم أبرز أقطاب الاستشراق.

---

(1) Ibid. - p. 331 .

(2) Ibid. - p. 331 .

(3) Ibid. - p. 331 .

(4) Ibid. - p. 333.

(5) Ibid. - p. 341.

وما إن عادت المؤتمرات إلى أوروبا مرة أخرى، في مؤتمر باريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، حتى تم الإعلان عن تغيير مسمى المؤتمر، سعيا إلى محاولة تحسين صورة الاستشراق والمستشرق.

٢ ـ المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا:

تباحث المستشرقون في مؤتمر باريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، في الذكرى المئوية لنشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية، أمر التخلي عن هذا الاسم، والاستعاضة عنه بمسمى جديد. وتكونت لجنة ضمت تسعة وثلاثين مشاركا في المؤتمر، لبحث الموضوع[١]. وتم حزم الأمر بقرار التغيير، على أثر محاضرة ألقاها المستشرق الفرنسي "جون فليوزا Jean Filiozat"[٢]، أحد أعضاء اللجنة. وهي محاضرة يجدر الوقوف عندها، لبيان الدواعي التي أجبرت المستشرقين على تغيير مسمى مؤتمراتهم، لعلها تساهم في تماسك المؤتمرات من جديد.

لقد شملت محاضرة "فليوزا" جل النقاط السلبية التي كانت تشغل بال المستشرقين ساعتها، بعد الصدعة التي أحدثها مؤتمر موسكو ومما كان بعده من مؤتمرات، وطرقها موضوعات لم تكن من مشمولاتها سابقا، وبروز باحثين

---

(1) Le XXIXeme Congres International des Orientalistes - Paris - Juillet 1973 - L'Asiatheque - Paris - Juillet 1975 - pp. 66 - 67.

(2) Jean Filiozat: "Projet de reforme du Congres Internationalux des Orientalistes" - Ibid. - pp. 45 - 46.

والنص الإنجليزي: Project of Reform of the Proceedings of the Congress International of Orientalists - pp. 57 - 63.

والترجمة العربية: "مشروع إصلاح مؤتمرات المستشرقين العالمية"، بحث ألقاه "جون فليوزا"، مدير المدرسة الفرنسية للشرق الأقصى، في المؤتمر التاسع والعشرين للمستشرقين، المنعقد في باريس في ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)" – ترجمة المحسن بن علي سويسي – دراسات استشراقية وحضارية، كتاب دوري محكم، مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية – كلية الدعوة بالمدينة المنورة – العدد الأول ١٤١٣هـ/١٩٩٣م (١٤١٣هـ) – ص ٣٧٥-٣٩٢. أشرف على طباعته إدارة الثقافة والنشر بالجامعة . وهذه هي المعتمدة مرجعا فيما سيأتي، مع ملاحظة أنه سيتم تصحيح بعض الأخطاء المطبعية الواردة في المرجع، فيما يقتبس من شواهد.

ودارسين جدد، كانوا من قبل مستهجنين، ولاسيما الشرقيين منهم. أما أهم النقاط التي أوضحها فليوزا، فقد تم استنتاجها من كلامه، إذ كان يتحدث باسترسال وهي:

أ- الازدواجية في المعايير التي يتعامل بها المؤتمر: وحول بيان حقيقتها، قال "فليوزا" متحدثا عن عوامل دوام المؤتمرات: "من الناحية العملية، تواجهنا صعوبات جمع كل العاملين في الميدان على عمل علمي دقيق... ومن الناحية النظرية، يمكن أن يبدو الأمر عديم الجدوى والمنفعة... ورغم ذلك يوجد العديد من الراغبين في الاجتماع. لذا، يجب علينا أن لا نبني أحكاما نستنتجها مما لدى الموجودين هنا فقط، بل المفروض علينا أن نأخذ بعين الاعتبار تلك المجموعة الضخمة من الذين أبدوا الرغبة في الانضمام إلينا... يجب علينا في المستقبل إذن أن نوفق بين شقي الحاجيات المتعارضة..."[١].

إذن، فهناك متناقضات جمة، يتعامل معها المؤتمر، قد تضر بمساره المستقبلي، لذا، نص عليها المستشرق، ودعا لإيجاد حلول لها، أو لبعضها.

ب - غموض مفهوم الاستشراق: في هذا المجال يقول "فليوزا": "إن مفهوم الاستشراق نفسه أوروبي. فآسيا بالنسبة لأوروبا شرقية، لكن بالنسبة للصين، إمبراطورية الوسط، كانت الهند، طبيعيا، قطرا غربيا... وبالتالي، فإن معظم بلدان آسيا، إلى اليوم، تقبل صفة "الشرقية"، على الدراسات التي تخصها، لأنها تعودت على هذه التسمية، التي أصبحت مألوفة لدى الأوروبيين، رغم عدم ملاءمتها... "[٢]. ويواصل قائلا: "لقد وقع الخلط إذن في أوروبا ولدى الأوروبيين حول الاسم "المستشرقون"، وحول كل ما يهم البلدان الآسيوية، مهما كانت وكيف ما كانت تلك الاهتمامات. فتطلق كلمة "المستشرق" على من ترجم "ألف ليلة وليلة"، أو من أرخ للبوذية، أو من قام بتصوير المدن التركية..."[٣]. أما المستشرق الحقيقي، فهو حسب رأيه ذاك الذي "يجهد نفسه كي يعرف اللغات والآداب الآسيوية"[٤].

---

[١] مشروع إصلاح مؤتمرات المستشرقين العالمية" - ترجمة المحسن بن علي سويسي- ص٣٧٦.

[٢] المرجع نفسه - ص ٣٧٧.

[٣] المرجع السابق - ص ٣٧٧.

[٤] المرجع نفسه - ص ٣٧٨.

ج – المركزية الأوروبية الضيقة: تتمثل المركزية الأوروبية عنده في العمل على "هامش الحضارة الأوروبية الكلاسيكية، التي تؤخذ على أنها المثالية عموما"[1]، إلا أنها فرضت نفسها على المستشرقين رغم أنها "توفر لحمة مزيفة رغم تعارضها مع تقاليدها نفسها"[2]. وهذه المركزية عريقة في دماء الأوروبيين، وأضحت إحدى مكونات الشخصية الغربية، بحيث يتحركون في دائرتها، ولذا نراه يصرح قائلا: "إن المركزية الأوروبية التي أكسبتنا هذا الاجتماع وهذه الوضعية، هي ذات أصول طبيعية، بما أن أوروبا نفسها هي التي جاءت بمصطلح "الشرق"، ولنفسها فقط، حين قامت باكتشاف الشعوب الآسيوية، ومع ذلك، فإن المركزية الأوروبية تبدو الآن تحت شكل آخر مخمر في بعض الأذهان التي تأمل في أن تكون الدراسات الشرقية المنتجة من قبل الأوروبيين هادفة إلى إكمال الثقافة الأوروبية العامة، منشئة بذلك ميدانا أوروبيا، يوجب على علماء آسيا أن يقوموا بإحضار وثائقهم الضرورية، لا طرقهم ووجهات نظرهم، ما لم تكن لديهم تلك الثقافة الأوروبية العامة. من جانبهم أيضا، يقبل علماء آسيا هذه الأفكار على أنها طرق حديثة، مقارنة مع تقاليدهم الوطنية، ويقبلون أن تكون الثقافة آسيوية، أما التحليلات فأوروبية أمريكية..."[3].

د – الهيمنة العلمية والتقنية والسياسية: يقول فيها "فليوزا": "أما فكرة التفوق العلمي والتقني، الذي اكتسبته أوروبا مستقبلا، فقد تبلورت وانتشرت، الأمر الذي أدى آليا إلى التفوق الثقافي لأوروبا في ميدان الأدبيات والفنون والأفكار"[4]. أما عن السياسة، الاستعمارية منها بصفة خاصة، فقد صرح قائلا: "وفي مرحلة تالية فقط، من تطور الدراسات، ظهرت الفكرة القائلة بكون المستشرقين لا يمكنهم أن يقوموا بتحليل الدراسات الشرقية لوحدهم. فقد لعبت الحجج الاستعمارية، والتمييز العنصري أدوارا بارزة في تأكيد وجوب الهيمنة الأوروبية"[5].

---

(1) المرجع نفسه – ص ٣٧٨.

(2) المرجع نفسه – ص ٣٧٨.

(3) المرجع السابق – ص ٣٧٩.

(4) المرجع نفسه – ص ٣٨٠.

(5) المرجع نفسه – ص ٣٨١.

هـ – انعدام الموضوعية في دراسات بعض الغربيين: وفيها نص المستشرق على أن "بعض العلماء يسعون متباهين للوصول إلى النجاح في مهامهم، دون أية مساعدة من قبل غيرهم من رجالات تلك البلاد، أو حتى يكون لهم مجرد معرفة بتلك البلدان، وإنه لمن المؤسف أن لا يوجد لدى هؤلاء مدخل للتعامل مع العلماء الآسيويين، إذ إنهم ينهمكون في أعمالهم لا لبلوغ النتائج الموضوعية في البحث، بل إن الغالب على دراساتهم المآرب الشخصية"[1] وقال أيضا: "فنحن لسنا متخصصين متعمقين، وإنما مؤهلون للإسهام في تكوين العلوم الإنسانية العامة، سواء منا الكتاب أو الباحثون في كل ما هو كلاسيكي، أوروبيا كان أو آسيويا..."[2].

و– ازدياد عدد الشرقيين المشاركين في المؤتمرات: ويقول فيهم "فليوزا": "ثم إن كل مستويات التمييز هذه سقطت – مع حسن الحظ – رغم وجود بعض الشواذ أحيانا. وفي كل الأحوال، لم تمنع تلك التميزات منذ مائة سنة العلماء الآسيويين من أخذ مكانة تزداد كثافة ضمن مؤتمرات المستشرقين ، وفي أعمال المجتمعات الآسيوية والمشرقية أيضا، وليست سوى الأوضاع الاقتصادية التي لا تزال تمنعنا من مشاركات العلماء الآسيويين"[3].

بعد هذا التحليل، انطلق "جون فليوزا" لبيان الخطوات العملية التي يجب اتخاذها من أجل التجديد في روح المؤتمرات. ومن هذه التحسينات، أمكن استخلاص ما يلي من كلامه:

أ – شفافية المؤتمرات: بحيث تصبح المؤتمرات عادلة في توزيع المساهمات والمشاركات العلمية، وفيها يقول: "يجب علينا مستقبلا أن ننظم مؤتمرات علمية، لا مؤتمرات علماء"[4]، ويقول أيضا: "ويتضح الآن يوما بعد يوم أن المؤتمرات لا

---

(1) المرجع نفسه – ص ٣٨١.

(2) المرجع نفسه – ص ٣٨٤.

(3) المرجع السابق – ص ٣٨١ – ٣٨٢.

(4) المرجع نفسه – ص ٣٨٢.

يمكنها أن تكون مؤتمرات أفراد يعرضون اتصالاتهم الشخصية بموضوعات مختلفة لا تحصى"[1].

ب – تغيير مسمي المؤتمرات: وقال في هذا: "وهذا المؤتمر لا يمكن أن يكون استشراقيا، بل الأولى أن يسمى "مؤتمر العلوم الإنسانية الآسيوية" لأن محتواها يرتكز على العلوم الإنسانية، بل إنه مستقبل العلوم الإنسانية العامة، الذي نجده هذه الأيام"[2].

ج – الاعتماد المحدود لمساهمات الشرقيين: رغم ما يبديه المستشرق من نظرات تصحيحية وانتقادات توجيهية، إلا أنه نفسه تشوبه عقدة التفوق الثقافي والتعالي المعرفي. فهو يقول عن الشرقي إنه "يعمل في الإطار الداخلي لثقافته الأصلية والخاصة، بحيث إن ثقافته العامة محصورة في مجاله... إن ارتباطهم الوثيق والنفسي بعالمهم، يحول بينهم وبين الموضوعية العلمية، ولذا، لا يمكنهم الإسهام إيجابيا في أعمالنا"[3].

ويدعو لذلك دعوة محدودة جدا للتعامل مع الشرقيين، وكأنه لا يزال يشير وينص على أنهم حقل التجارب المعرفي للاستشراق مهما بلغت درجتهم الثقافية، ومما جاء في كلامه "لا يجب إهمال علماء آسيا، تحت شعار تحديث المعرفة والعلوم، يجب أن لا نتركهم يذوبون لأنهم أحياء، لن يعمروا كالنصب الأثرية التي نحافظ عليها، زيادة على ذلك، فإن لهم قيمة ثمينة جدا، باعتبار أنهم أحياء ناطقون. أما نحن، فلا يمكننا أن ندرجهم معنا ضمن دراساتنا العالمية، حين لا يكونون ممتلكين للغة عالمية..."[4].

د – التخصص العلمي والتكامل بين العلوم: ذكر عن ذلك "فليوزا" فقال: "إن التخصص أمر ضروري ومحتم، لا مفر منه، لكن التشرذم الذي يؤدي إليه، يجب أن يكون متوازنا في مختلف جزئياته، وهذا الأمر لا يتم إلا بالتعاون بين مختلف الأطراف تلك من جهة، والمتخصصين العديدين الذين يريدون العمل من أجل

---

(1) المرجع نفسه – ص ٣٨٢.

(2) المرجع نفسه – ص ٣٨٣.

(3) المرجع السابق – ص ٣٨٤.

(4) المرجع نفسه – ص ٣٨٥ – ٣٨٦.

معرفة الاحتكاكات والتبادلات بين مختلف الثقافات الأخرى، وأخيرا من قبل الذين يرغبون في الحصول على نظرة عامة للمشكلات الإنسانية"[١]. ويذهب إلى ضرورة التعاون بين دراسات المؤتمر والدراسات الطبيعية، بما فيها علوم الفيزياء وغيرها من العلوم، كعلم الآثار وعلوم الجغرافيا-الفيزيائية، وعلم النبات وعلم المناخ وأصول الجنس البشري وعلوم البيئة وغيرها من المعارف[٢].

ذاك هو ملخص المحاضرة المطولة التي ألقاها "جون فليوزا"، تلك المحاضرة التي لقيت صدى واسعا لدى الحضور، وخضعت فكرتها لنقاشات مطولة، أدت في النهاية إلى اتخاذ القرار التالي "إن مؤتمراتنا العالمية، تحت مسماها الجديد، "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، سينعقد لاحقا مرة كل خمس سنوات على الأقل، وستضم ندوات متخصصة، لممثلين عن الميادين المختلفة، لمناقشة مشكلات نظامية عالمية وإقليمية. كما أنها ستكون مفتوحة للشخصيات المتخصصة في هذه الميادين المتنوعة"[٣] .

وهكذا دخلت المؤتمرات فترة أخرى من عمرها، باسم وتوجهات جديدة، لكنها لم تدم طويلا كذلك، فما لبثت سوى دورتين فقط، حتى طرأ على مسماها الجديد هذا تحوير آخر.

٣ – المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا

لم يتضح من خلال أعمال المؤتمرات المنشورة الأسباب الحقيقية الكامنة وراء تغيير مسمى مؤتمرات المستشرقين العالمية مرة أخرى، إلا أن التغيير الأول يبدو أنه لم يأت بالنتيجة المأمولة. ومن ذلك قول "ياماموتو": "إن العديد منا يملك فرصة حضور المناقشات المتعلقة بنظريات مختلفة تماما، مثل الاستعمار، الرأسمالية، الشيوعية، الحرية والجبرية أو المزيد من النظري،

---

[١] المرجع السابق – ص ٣٨٩.

[٢] المرجع نفسه – ص ٣٨٩ – ٣٩٠.

[3] Le XXIXeme Congres International des Orientalistes – Paris - Juillet -1973 - p.26 .

والسلوكية والعقلانية وهكذا. لكن تجربتنا تبين أن هذا النوع من مزيد تبسيط المقابلة والمقارنة للأفكار المتباينة، لا يؤدي إلى جني نتائج مثمرة، لذا فإني أتمنى أن نكون أكثر فطنة في معالجة مثل وجهات النظر الشمولية هذه... إنها أفضل طريقة لجعل مؤتمراتنا تساهم في تسكين الضغوط الاجتماعية-السياسية والخلافات العالمية"[1]. من هذا الكلام، يتبين أن المستشرقين لم يفلحوا في إزالة العوائق والتخلص من الحواجز التي كانت تعيق مسيرة مؤتمرات المستشرقين العالمية، على مدى عشر سنوات من تغيير المسمى.

لقد ظلت المركزية الأوروبية تبسط ظلالها على البحوث، ومازالت المؤثرات الخارجية تسيطر على مجريات الدراسات. لكن الخط المرسوم للمؤتمرات بمسماها الثاني: "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، لم يتم التمسك به والسير على خطواته المحددة[2]. ومن هنا يبدو أن عدم التمكن من تنفيذ المأمول من التحوير تنفيذا كاملا، سبب من أسباب تغيير المسمى.

ويبدو كذلك أن الاسم الثاني، قد حصر أبحاث المؤتمرات في الدراسات الإنسانية، ومن شأن مثل هذا الحصر أن يضيق من نطاق البحوث في المؤتمرات، أو أنه لا يتطابق مع ما يقدم من معلومات أو أبحاث، التي قد تتجاوز ذلك الاسم، فلزم أن يكون للمؤتمرات اسم أكثر شمولا لمحتوياتها وأوسع جمعا لموادها.

ومهما تكن الأسباب، فإن مؤتمر "طوكيو"، جاء بالقرار التالي "لقد تقرر تغيير اسم المؤتمر، من "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا" ليصبح "المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا". وقد أيدت جلسة المؤتمر العامة هذا القرار بالإجماع"[3]. هكذا ورد القرار دون شروح وتبريرات وحيثيات.

---

[1]Discours de Yamamoto Tatsuro - Presedent of 31 International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 – 1984 - Tome I - pp. 30 – 31.

[2]Yamamoto Tatsuro (Address) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo – 1983 - p. 32.

[3] Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo – 1983 – p. 42.

المبحث الثاني: النظم العامة لمؤتمرات المستشرقين العالمية وتطورها

أصبح للمؤتمرات كيان خاص بها، لذا كان لزاما عليها اتخاذ أسس تقوم عليها وتسير على نهجها، حتى لا تتشعب وتتوسع أو تترهل وتنهار. لذا، فقد سعى المنظمون منذ انطلاق التفكير في عقد المؤتمرات للتباحث حول أسسها. لذلك، ظهرت أسس تنظيمية متعددة، تتغير بتغير نمط التفكير حول ترتيبات المؤتمر، إلى أن توصلت العصبة الفرنسية الأولى إلى الاتفاق على نظام عام للمؤتمرات.

إلا أن هذا النظام لم يثبت على صفته الأولى، بل شهد تحويرات وتغييرات كثيرة، فأضحى الحديث عن نظم المؤتمرات وليس عن نظام واحد، إذ ظهرت خمسة نظم رئيسة معترف بها، آخرها ورد في مؤتمر طوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ).

إضافة إلى هذه النظم الرئيسة، ظهرت أنظمة خاصة[1]، ولاسيما في المراحل الأولى، إذ سمحت الأنظمة الأولى بتكوين أنظمة خاصة بكل دورة، الأمر الذي أدى أحيانا إلى تهميش النظام العام المتفق عليه، مما دعا مؤتمر باريس الحادي عشر سنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)، إلى محاولة إيقاف مثل تلك الأنظمة الخاصة، قبل أن ينقح هذا النظام أيضا.

في هذا الموضع، سيتم تناول هذه الأنظمة العامة الخمسة ومسارها والتطويرات التي طرأت عليها، وتحليلها في ذاتها مع مقارنتها فيما بينها.

---

[1] تفصيلاتها عند الحديث عن الأطوار التي مرت بها المؤتمرات، في مواضع متفرقة، ص ٣٢٢ فما بعدها من الرسالة.

النظام الأول: باريس ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)[١]:

بعد الإجراءات النظامية التي اتخذتها اللجنة الباعثة لمؤتمرات المستشرقين العالمية، بصفة تكاد تكون انفرادية، وتتعلق بالمؤتمر الأول، تم التباحث حول نظام شامل عام لكل المؤتمرات، ولذلك سموه "النظام العام والنهائي الذي تبناه التجمع العالمي Status definitif adoptes par l'assemble international"[٢]، اعتقادا من المنظمين أنه سيكون نهائيا فعلا. إلا أن الثغرات في المبادئ أدت إلى شبه تجاهل لهذه القوانين.

أما ما يلاحظ على هذا البرنامج فهو أنه يهدف إلى:

أ – الاهتمام بالناحية الإدارية العامة.

ب – المحافظة على أنعقاد المؤتمر ودوامه من خلال البنود الأول والثاني والثالث والرابع والخامس والثامن عشر.

ج – التنظيم الإداري العام، من خلال البنود السادس والسابع والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، إلا أن الاهتمام بالتنظيم الإداري الداخلي للمؤتمرات لم يتعرض له النظام هذا بعمق.

د – النظام المالي: من خلال البنود الرابع والحادي عشر والثاني عشر.

هـ – شأن إمكان تغيير هذا النظام: البندان التاسع عشر والعشرون.

أما النقاط المثيرة التي ساهمت في عدم فاعلية هذا النظام، فهي كالتالي:

أ – البند الثاني: الذي يدعو إلى أنعقاد المؤتمر كل سنة، فلم يدم سريان هذا البند سوى سنتين فقط. فبعد المؤتمر الثاني بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ) (١٢٩١هـ)، لم ينعقد المؤتمر الثالث إلا في العام ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ)، فيما انعقد الرابع سنة ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ)، والخامس سنة ١٨٨١م (١٢٩٨هـ).

---

[١] وردت هذه البنود في الملحق رقم ٤ ص ٦٠٠ من الرسالة.

[2] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Volume 2 - Tome troixieme - p. 11.

ب – البند السادس: الذي يرى أن لا تتم التدخلات إلا بلغتين فقط، الفرنسية ولغة البلد المضيف، هذا البند لم يسر كما حدد له النظام مساره. فالمعلوم أن المؤتمرات نشأت وسط صراعات سياسية وقومية وعرقية أوروبية، بل إن فرنسا نفسها كانت ساعتها خرجت مهزومة من حرب مدمرة مع ألمانيا[1]. لذا، كان من الصعب ساعتها فرض سمات وطنية معينة على حساب الأخريات، بما فيها اللغة، واللغة مقوم من مقومات الوطنية والقومية، وقد كان الصراع ساعتها قائما بين ثلاث لغات رئيسة، الفرنسية والإنجليزية والألمانية، كما يمكن إضافة الروسية، ومع ذلك لا يمكن إغفال اللغات الأخرى التي كانت معتزة بنفسها، لذا فقد أضيفت لغات عدة للمؤتمرات كالإنجليزية والإيطالية والألمانية والروسية وغيرها، وسيتضح ذلك لاحقا[2].

ج – البند السابع عشر: الذي سمح لكل لجنة مركزية لكل دورة، إعداد قانون تنظيمي خاص بها. فقد فتح هذا البند الباب للتفنن في إصدار أنظمة قانونية خاصة للمؤتمرات، وفق نظرة مستشرقي ذلك البلد. ولعل أكبر دافع على الاستمرار في ذلك الأمر، عدم تطرق النظام العام للنظم العلمية والإدارية بالتدقيق، إذ لم يتعرض من الجانب العلمي إلا إلى أمر تخصيص كل دورة بفرع من فروع الاستشراق، ليكون موضوعها الرئيس، وسواه يكون ثانويا. أما غير ذلك فقد أهمله النظام الأساس، ولم يتعرض له، ولذلك، ظهرت أنظمة خاصة بكل مؤتمر، همشت النظام العام، وهو ما سيتم طرقه لاحقا[3].

أمام تلك المشكلات التي شهدتها مؤتمرات المستشرقين العالمية، نتيجة للقصور في بعض بنود نظامه العام، كان لا بد من التفكير في تحويرها، حتى تتماشى والمؤتمرات كافة، وظهرت أول محاولة جريئة لإحداث تحويرات على نظام المؤتمر العام، تلك التي تمت في المؤتمر التاسع الذي عقد في لندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ).

---

(١) مر الحديث عن هذا ص ٤٩ من الرسالة.

(٢) سيأتي ذلك لاحقا عند الحديث عن أطوار المؤتمرات، ومثاله ص ٣٣٢ من الرسالة.

(٣) سيأتي ذلك لاحقا ص ٣٢١ فما بعدها من الرسالة.

٢ – النظام الثاني: لندن ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)[1]:

أمام تلك المعوقات التي واجهت نظام المؤتمرات العام، جعل المستشرقون يتباحثون في إقرار نظام جديد آخر، عسى أن يحل تلك العوائق التي حاقت بالنظام السابق.

المتمعن في بنود النظام الجديد هذا، لا يلحظ اختلافات جذرية مع قوانين باريس. فقد حاولت هذه البنود سد الثغرات التي تركها النظام السابق. والجديد الذي جاءت به هو تكوين لجنة رابطة بين المؤتمرين المنعقد والذي على أبواب الانعقاد، حفاظا على دوام المؤتمرات، وأسماها لجنة ما بين الدورتين في البنود الخامس والسادس والسابع، إضافة إلى ضرورة البت في انعقاد المؤتمر اللاحق، وأن تعين له لجنة خاصة بذلك أثناء المؤتمر (البند الرابع). أما عدا التنصيص على ضرورة استمرار المؤتمرات، فلا يلحظ إضافة عميقة لها، بل إن بعضها ركزت على الجانب الشكلي البحت، بل بالتدقيق في جزئيات شكلية تماما، كالبند الثالث.

أما الجانب العلمي، فلم يوجه إليه إلا البند الثامن، الذي ترك أمر القرارات لكل مؤتمر على حدة، انطلاقا من جلسته الأولى. وبالتالي، ظل هذا النظام قاصرا، ولم يف بالمأمول منه، وهو الأمر الذي ترك الباب مفتوحا لعدم الاقتناع بتلك البنود.

٣ – النظام الثالث: باريس ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)[2]:

خلال مؤتمر المستشرقين العالمي الحادي عشر هذا، تمت إعادة النظر في نظام المؤتمر العام. إلا أن الوثائق لم تذكر الأسباب الدافعة لهذا التحوير ولا دوافعه ولا حتى مسار البحث فيه، واكتفى بذكر ما يلي كعنوان للنظام الجديد "النظام العام لمؤتمرات المستشرقين، الذي اعتمد خلال الجلسة العامة المنعقدة يوم

---

[1] هذا النظام وارد في الملحق رقم ٥ ص ٦٠٦ من الرسالة.

[2] بنود هذا النظام بالملحق رقم ٦ ص ٦٠٩ من الرسالة.

الخميس التاسع من سبتمبر سنة ١٨٩٧م (الثالث عشر من ربيع الآخر ١٣١٥هـ)، خلال مؤتمر المستشرقين العالمي الحادي عشر، الذي انعقد في باريس"[١]. إلا أنه من حيثيات ما سبق هذا المؤتمر من تغييرات في النظام العام لكل دورة، إضافة إلى مزاحمة مستشرقي إنجلترا، في شأن تعديل نظام باريس السابق، الأمر الذي أعاق فاعلية القانونين المعتمدين، سواء الأول أو الثاني.

وكان المستشرقون الفرنسيون اعترضوا في مؤتمر لندن السابق الذكر على إعادة النظر في النظام العام السابق، فما كان من المستشرقين البريطانيين إلا أن هاجموهم، إذ يبدو أن التنافس بين بريطانيا وفرنسا القائم ساعتها، لم ينحصر في الأطر السياسية، بل ولج النفوس الفردية والعلمية كذلك، ورد فعل "ماكس ميللو"، حول الموضوع، في المؤتمر التاسع، دليل على ذلك، إذ قال: "أحد العلماء الفرنسيين، السيد "دو روسني"، والعديد من زملائه الذين يصرحون بأنهم الممثلون المؤسسون لمؤتمراتنا، وبالتحدث باسم المدرسة الاستشراقية الفرنسية، يجتمعون فجأة ضد توصية المؤتمر كأنما هي فيروس فوقي. إنهم يناشدون بالإبقاء على هيكل النظام العام الذي وضع منذ ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ). لقد نعت السيد "دو روسني" وزملاؤه أنفسهم بأنهم مؤسسو مؤتمرات المستشرقين هذه، تلك التنظيمات المسلم بها حاليا، لم يتم أبدا مناقشتها علنيا، كما لم يتم تصحيحها فيما مضى مطلقا، في أي مؤتمر لاحق..."[٢].

إذن، يبدو أن هذا المؤتمر ترك بعض الأشياء في نفوس المستشرقين الفرنسيين، ولاسيما بعد الهجمة التي تعرضوا لها من زملائهم البريطانيين، ساهم في مسارعة المستشرقين الفرنسيين إلى التباحث حول نظام عام آخر، ملزم لجميع المؤتمرات، بحيث لا يتم تحويره لاحقا إلا بأسس معقدة، إضافة إلى محاولة إلغاء الأنظمة الخاصة بكل مؤتمر مخصوص.

---

(1) Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - Germany - Kraus Reprent - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - Tome premier - p. XV.
(2) Max Muller - Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - vol.1 - p. 5.

أول ما يشد هذا النظام الانتباه إليه، هو تركيزه للمعاني في عبارات مختصرة. ومع ذلك فهو شامل لجل ما مر بنا من أنظمة عامة وخاصة، ولاسيما النظامين العامين ضمن بنوده المختصرة، بحيث سعى إلى المحافظة على استمرار المؤتمرات ودوام انعقادها، وذلك من خلال البندين السادس والسابع، ووضح مهمة لجنة التنظيم في الترتيب المعنوي والمادي والعملي، (البند الثاني)، كما جعل شأن ترتيب الجلسات وتنظيمها للجنة التنظيم، ولاسيما في اختيار لغة المؤتمر، أو لغاته، (البند الرابع)، ووكل للجان العلمية أمر اختيار المزيد من اللغات والإشراف على شؤون عملها الخاص (البندان الرابع والخامس). كما بين عمل لجنة جديدة، هي اللجنة الاستشارية، تتدارس ما يطرأ من مشكلات أثناء انعقاد المؤتمر، (البند الثالث).

هذا النظام حدد إذن، خطوطا عريضة، وهيأ للجلسات شأن التحرك من خلالها، دون التدقيق الشديد في التصرفات ودون ترك الحبل على الغارب. ومع ذلك، يبقى التركيز العام في النظام ينحو تجاه استمرار المؤتمرات، التي تبدو أنها منحت الأولوية في سعي المستشرقين للتشبث بها، سواء الفرنسيون منهم أو البريطانيون، أو غيرهم، إذ احتاط لحدوث أية مشكلات مهما كان نوعها، نص على بعضها النظامان الأول والثاني، فدعا إلى ضرورة تكوين لجنة عالمية، وحدد أعضاءها ومهمتها، بحيث تنقذ المؤتمر من أي مطب، وتسهر على حل مشكلاته، وتلك الحلول ملزمة للجميع (البند السابع). كما أنه راعى التوجه العام نحو ترك الحرية العملية للجان، إذ معظم الأنظمة الخاصة نصت على ذلك، عدا مؤتمر "سان بترسبورغ"[1]، لكن النظام الجديد شدد على أن الكلمة المطلقة والفاصلة في اللجان هي للرئيس، ولعل ذلك من أجل تفادي بعض المزالق التي قد تؤدي إلى خلافات في وجهات النظر حول بعض النقاط الدراسية أو النظامية، كل ذلك مع التنصيص على أن اللجنة التنظيمية هي السلطة العليا في المؤتمر، فهي التي يعود إليها الجميع كلما استفحلت مشكلة أو استعصت على الحل (البند الخامس).

إذن، يعد هذا النظام أفضل من سابقيه، إذ هو نتاج لتجربة دامت عقدين ونيفا من الزمن، أمكن في أثنائهما تحقيق خبرة حول سياسة المؤتمر.

---

[1] يمكن الاطلاع على ذلك بالملحق رقم ١٠ ص ٦٢٤ من الرسالة.

٤ – النظام الرابع: آن آربور ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)[١]:

بعد محاولات عدة لتحوير نظام المؤتمرات العام الثالث، وبعد أن صمد ثلاثة أرباع القرن، جاء مؤتمر "آن آربور"، السابع والعشرون، سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، ليحدث على أطول الأنظمة عمرا، تحويرات وتعديلات جذرية. وكانت انطلاقة هذا التحوير من مؤتمر "نيو دلهي"، السادس والعشرون، سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، إذ تكونت فيه لجنة لتتباحث الموضوع، ورأس هذه اللجنة المستشرق الأمريكي "براون"[٢].

وخلال مؤتمر "آن آربور" هذا، أعد "براون" مذكرة نهائية حول الموضوع، لتكون أساسا للقراءات الختامية. وبعد اجتماع أعضاء اللجنة خلال المؤتمر، أجيز القرار وقدم للجنة الاستشارية، التي أجازته بدورها. ذكر ذلك "دانديكار" الباحث الهندي وعضو اللجنة، ومما جاء في القرار ويتعلق بالنظام العام ذكر أن البند الثامن من القانون الحالي، يجب أن تعاد صياغته[٣]، مركزا على كيفية تكوين لجنة استشارية وأخرى تنفيذية، ومبينا أطرهما الإدارية ومهامها العملية وصلاحياتها التنظيمية[٤].

وقد وافق الحاضرون على التغيير الجديد بالإجماع، وفورا طبقوا القرارات، إذ هو الاجتماع الأخير، ولا يمكن للجنة الاستشارية أن تجتمع مرة أخرى، وتم انتخاب الأعضاء الثلاثة من اللجنة الاستشارية، وبالتالي تكونت أول لجنة تنفيذية في تاريخ المؤتمرات[٥].

ومع ذلك، فإن هذا التغيير الجديد، لم يكن نظاما جديدا بما في الكلمة من معنى، وإنما هو تنقيح للنظام السابق.

---

(١) توجد بنود هذا النظام كاملة بالملحق رقم ٧ ص ٦١٣ من الرسالة.

(٢) سيتم تفصيل الموضوع ص ٣٨٨ من الرسالة.

(3) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - pp. 36 - 37.

(٤) تم إيراد النظام العام هذا بأكمله بالملحق رقم ٧ ص ٦١٣ من الرسالة.

(5) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - pp. 37 - 38 .

٥ – النظام الخامس: طوكيو ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)[١]:

لم يتبين من الوثائق المتوفرة أسباب هذا التحوير الجديد. إلا أن هناك حدثين هامين، لعلهما السبب وراء تنقيح النظام العام مرة أخرى:

الأول : تغيير مسمى مؤتمرات المستشرقين العالمية، فقد تحولت في باريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ) إلى مسمى "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، وفي مؤتمر طوكيو هذا نفسه، تقرر تغيير الاسم مرة أخرى ليصبح "المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا"، وربما كان من الضروري تعديل النظام العام ليتماشى مع تغيير المسمى.

الثاني: أنه كان من المقرر أن ينعقد المؤتمر الحادي والثلاثون في طهران بإيران في العام ١٩٨١م (١٤٠١هـ)، إلا أن قيام الثورة السياسية فيها أدى إلى عدم إمكان ذلك، فتوجهت الطلبات إلى طوكيو، التي قبلت الأمر شريطة أن يتم تأخير الموعد سنتين أخريين، ولذا تأخر انعقاد المؤتمر ليصل إلى سبع سنوات من بعد مؤتمر مكسيكو سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ). وهذا ما أدى كذلك لإعادة النظر في النظام القانوني العام.

أما التنقيحات، فبما أنها جزئية، فقد جاءت مركزة على تحديد الفترة الفاصلة بين مؤتمرين متتاليين، ووضع المؤتمرات تحت إشراف الاتحاد العالمي للدراسات الشرقية والآسيوية، ليكون مسؤولا على تواصل انعقادها الدوري[٢].

وأعلن الرئيس أنه نظرا لحدوث التغييرات على البند الثالث، في نقطتيه الرابعة والخامسة، فإن البند السابع الحالي، يجب أن يتمحور ذاتيا، ليقرأ كما يلي: "بعد اختتام أي مؤتمر، يجب على اللجنة التنظيمية لذلك المؤتمر استبقاء صلاحيات خاصة، بالقدر الذي يخول لها إتمام التزامات المؤتمر ذاك"[٣].

---

[١] البنود والنظام الكامل في الملحق رقم ٩ ص ٦٢٠ من الرسالة.

[2] Proceeding of the Thirty - First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - p.

[3] Ibid. - Tome Ibid. p. - p. 41 .

وبالتالي، فقد تم تحوير النظام السابق في بنوده الأول والثالث في نقطتيه الرابعة والخامسة ج، والبند السابع. ومن خلال تلك التحويرات، نجدها جميعها تسعى لضمان انعقاد الدورة اللاحقة من المؤتمرات[1].

إذن، تلك هي مسيرة النظام العام لمؤتمرات المستشرقين العالمية، منذ انطلاق أول مؤتمر عالمي للمستشرقين، حتى الوقت الحاضر. فلقد مر بتغييرات وتحويرات عدة لاحقته، وربما طرأ عليها مستقبلا تطويرات أخرى.

---

(1) تم إيراد النظام بأكمله بالملحق رقم ٩ ص ٦٢٠ من الرسالة.

المبحث الثالث: نظم مؤتمرات المستشرقين العالمية الإدارية وتطورها

تنقسم نظم مؤتمرات المستشرقين العالمية إلى نظامين اثنين، النظام الإداري والنظام المالي. وفيما شهد النظام المالي استقرارا نوعيا في ثباته ومساره، فإن النظام الإداري طرأت عليه تطورات وتغييرات. وفي هذا المبحث سيتم طرق شقي النظام الإداري ومساره، على مدى عمر مؤتمرات المستشرقين العالمية. فقد شهدت المؤتمرات تجديدات عدة في أطرها الإدارية ، سواء في اللجان ذاتها، فيتم تطوير بعضها أو بعث أخرى، أو في ما يتعلق بالسلم الإداري للمؤتمرات.

١ – أطر المؤتمرات الإدارية:

ينطلق الإطار الإداري للمؤتمر، من الموافقة على البلد المستضيف. فما إن تم الإعلان عن ذلك، حتى تكونت لجنة سميت اللجنة التنظيمية. ومهمتها الإعداد الكامل للمؤتمر، سواء منها الترتيبات المعنوية أو المادية. ولدى انعقاد المؤتمر، يتم تأطير هيكل إدارة المؤتمر ولجانه الإدارية والعلمية. ويتواصل عمل لجان منها حتى بعد نهاية المؤتمر، إلى أن ينعقد مؤتمر لاحق أو تتكون لجنة تنظيمية أخرى، عدا اللجنة المكلفة بطباعة أعمال المؤتمرات، فلا تنتهي مهمتها إلا بظهور المصنف للوجود.

في هذه الفقرة، سيتم التطرق إلى دراسة تلك الأطر والهياكل واللجان وبيان مهماتها، والتطورات الحاصلة فيها، وأسباب ذلك، بحسب ظهورها للعمل الفعلي، انطلاقا من اللجنة التنظيمية، وانتهاء بلجنة طباعة الأعمال.

أ– اللجنة التنظيمية:

انطلقت اللجان التنظيمية، مع بروز أول مؤتمر عالمي للمستشرقين، بباريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ). فقد ورد في المنشور الأول الذي أصدره "دو

روسني" وزملاؤه قولهم "إننا بصدد تكوين لجنة تنظيم، وقد حصلنا على موافقة مراكز علمية أوروبية..."(١)، وكان دورها ساعتها يتمثل في إعداد أنظمة المؤتمر، ومركزة المقترحات الواردة، والإعداد للجلسة الافتتاحية الترحيبية، وكيفية الاستماع للقراءات والمساهمات، وتلاوة التقارير التي يعينها المؤتمر، وإعداد التقرير النهائي حول التحضير لانعقاد مؤتمر عالمي آخر للمستشرقين، ومن مهامها أيضاً إرسال التقارير والبرامج المفصلة للشخصيات والهيئات المعنية(٢).

ومن أعمالها أيضا استقبال طلبات العضوية وإعداد بطاقات في ذلك لأصحابها، والعمل على الحصول على تخفيضات في أسعار النقل والتحول، وتأمين أماكن إقامة أعضاء المؤتمر، كما تستقبل مساهمات المشاركين(٣)، وعليها توفير إمكانات نشر أعمال المؤتمر نفسه(٤)، وتأخذ على عاتقها كل الصلاحيات اللازمة لتأكيد انعقاد المؤتمر، وتجيب على المكاتبات التي تردها(٥)، وإرسال خطابات المشاركات ومركزتها، وطبع برنامج الجلسات وتوزيعها مسبقا، "وباختصار، من شأن اللجنة اتخاذ كل الترتيبات المادية الخاصة بتنظيم المؤتمر وإدارة جلساته"(٦). كما أن لها البت في اختيار المدينة التي سيعقد فيها المؤتمر اللاحق، واختيار رئيسها من بين علماء ذلك البلد، وعدد من علماء ذلك الوطن ليكونوا مساعدين له(٧). وللجنة أيضا تحديد الموضوعات التي ستطرق في المؤتمر(٨)، ولها إصدار نظام الجلسات(٩)، إضافة إلى إصدار البرنامج اليومي للمؤتمر(١٠).

---

(1) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. III.

(2) Ibid. - Tome troixieme - pp. III-IV.

(3) Ibid. - Tome troixieme - pp. XI-XII.

(4) Ibid. - Tome troixieme - p. XX.

(5) Ibid. - Tome troixieme - p. VIII.

(6) Ibid. - Tome troixieme - p. VIII.

(7) Ibid. - Tome troixieme - p. VIII.

(8) Ibid. - Tome troixieme - p. XVIII.

(9) Ibid. - Tome troixieme - pp. XV-XVI.

(10) Ibid. - Tome troixieme - p. XXII.

تلك هي السمات العامة للخطوة الأولى في الإطار الإداري، لأي مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين العالمية، وهي اللجنة التنظيمية.

ب – التشكيل الإداري لمؤتمرات المستشرقين العالمية:

يتكون التشكيل الإداري من درجات إدارية عدة، أبرزها ما يلي:

– **اللجنة الراعية:** وتتكون من كبار الساسة والمسؤولين عموما، وقد تتكون من شخص واحد أو من عدة شخصيات. فلم تعقد جلسة مؤتمر واحد إلا تحت رعاية كبار الساسة.

– **اللجنة الشرفية:** وتضم الأعضاء الشرفيين عادة، وهم أيضا من كبار الشخصيات، السياسية والاجتماعية والثقافية، وقد تشمل أحيانا بعض الأعضاء المندوبين وبعض الضيوف الذين يوجه لهم المؤتمر دعوات خاصة.

– **لجنة الأعضاء المندوبين:** وهم ممثلو الحكومات والهيئات العلمية. ولهؤلاء دور بارز ولاسيما في المؤتمرات الأولى.

– **الأعضاء الممثلون:** وهؤلاء هم ممثلو المؤتمر في الأماكن البعيدة عن موقع الانعقاد، سواء داخل البلد أو خارجه. ويبدأ عمل هؤلاء مع انطلاق أشغال اللجنة التنظيمية، بحيث إنهم يتولون إيصال الدعوات والنشرات واللوائح الخاصة بالمؤتمر أو اللجنة التنظيمية. وهؤلاء قد يشاركون في المؤتمر وقد لا يشاركون. لكن وجودهم من مستلزمات إدارة المؤتمر، من أجل بث الدعاية والتعريف به.

– **الرئيس الفخري للمؤتمر:** وهو إن وجد، يكون إحدى الشخصيات المرموقة. فقد يكون فردا واحدا[١] أو أكثر[٢].

والمعلوم أن المناصب المذكورة أعلاه، ليست موجودة على الدوام.

– **رئيس المؤتمر:** ويكون عادة رئيس اللجنة التنظيمية نفسه، وكان يتم انتخابه ليكون رئيسا للمؤتمر بصفة رسمية في الجلسة الافتتاحية، قبل أن يصبح

---

(1) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. IX .

(2) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 – Without page.

معينا ومعروفا مسبقا، إذ يتم تعيينه في الجلسة الختامية لكل مؤتمر منعقد، بسبب التحويرات في نظم المؤتمرات. وهو المسير العام والمشرف على مسار المؤتمر، وبيده الصلاحيات الإدارية الكاملة.

– **نائب، أو نواب رئيس المؤتمر:** هؤلاء هم عادة نوابه في اللجنة التنظيمية. إلا أن هذا ليس قاعدة، فقد يكونون من خارجها، بل قد يكون بعضهم من خارج البلد موضع انعقاد المؤتمر، وهو نادر الوقوع، وقد يرشحهم الرئيس نفسه للمنصب ذاك. ولا يتجاوزون عادة الثلاثة.

– **السكرتير العام:** وهو فرد واحد، ويكون عادة هو نفسه السكرتير العام للجنة التنظيمية. وهو المسير الفعلي والعملي للمؤتمر، ويتعامل مع كل ما يطرأ على المؤتمر من أحداث شتى، سواء من داخل المؤتمر أو من خارجه، وسواء مما يتعلق بالجانب العملي أو التنظيمي. ومنها جمع ملخصات المساهمات، وتقارير مسار الجلسات العلمية، وكل مشكلة تستعصي على الحل، وكل مقترح أو رجاء أو ملاحظة أو حتى احتجاج. كل ذلك يودع لدى السكرتارية العامة.

– **سكرتارية المؤتمر:** وهذه تعمل تحت إدارة السكرتير العام، وتتعلق مهمتها باستقبال المشاركين والسعي لحل كل قضاياهم البدهية أو الطارئة، إضافة إلى السهر على حسن سير أعمال المؤتمر، وإعداد التقارير والبرامج اليومية وطباعتها أو تجهيزها، ومساعدة السكرتير العام في واجباته، وتجميع تقارير اللجان ومساهمات الباحثين أو ملخصاتها ، وعرضها على سكرتير المؤتمر.

ذاك هو ملخص الإطار الإداري العام للمؤتمر، وهو إطار حافظ على هذه الهيكلية، منذ انطلاق المؤتمرات في العام ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، حتى مؤتمرات يومنا هذا. لكن هذا الإطار لا يعمل لوحده في تسيير المؤتمر، بل هناك لجان أخرى تعمل معه على أنجاح المؤتمر.

ج – اللجنة الاستشارية:

ظهرت هذه اللجنة للوجود نظرا للحاجة الماسة التي لمستها المؤتمرات، بسبب المشكلات المتراكمة على مكتبه، مما دعا إلى تكوين هذه اللجنة، التي من شأنها القيام بمهام الاهتمام بتلك المشكلات وغيرها.

لم يظهر هذا المسمى إلا في المؤتمر التاسع[١]، وهو أول من أطلق عليها هذا المصطلح[٢]. فمصطلح اللجنة الاستشارية ورد عابرا، علــى سـبيل الإمكــان. وحددت مهمتها في المساهمة في تعيين المؤتمر اللاحق فقط، زمانه ومكانه.

وفي نظام باريس الثاني، أوجبت في بنده الثالث ضرورة تكوين هذه اللجنـة، وحدد مهمتها في البت في التساؤلات التي قد تطرأ خلال الجلسات"[٣]. فهذا النظام إذن، حدد مهمة اللجنة في استقبال التساؤلات والمشكلات الطارئة التــي تحـدث داخل الجلسات. وكذلك تواصلت مهمة هذه اللجنة عاملة فــي تلكمــا المــهمتين الرئيستين: البت في المشكلات الطارئة أثناء انعقاد المؤتمــرات، وتعييــن مقــر المؤتمر القادم وزمانه[٤].ومع مرور الزمن، أضيفت لها مهام أخــرى، أبرزهــا تكليفها بالقيام بإعداد مشروع مراجعة مسميات المؤتمرات ونظمها[٥].

ومن المهام الأخرى التي وكلت بها اللجنة الاستشارية، تمحيص القــرارات والآمال التي توجهها اللجان. ولا يتم عرضها على التجمع العام الختامي للمؤتمر، إلا بعد موافقة اللجنة الاستشارية على ذلك[٦]. ومــن مســؤولياتها أيضــا، عقـد الاتفاقيات التي تخدم مصلحة المؤتمرات والاستشراق، مثل تعاونها مع اليونســكو لتكوين مشروع "اتحــاد المستشــرقين العــالمي International Union of Orientalists"[٧].

---

(1) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. lv.

(2) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol.1 - p. lv.

(3) Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T1 - p. XV.

(٤) ورد ذلك في العديد من المؤتمرات. مثلا زيادة عما ذكر: Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - p. 42.

(٥) سبق الحديث عن المسميات، ص ١٧٧ من الرسالة، وعن النظم ص ٣٣٧ من الرسالة فما بعدها.

(٦) هكذا القرار على ما يبدو، أو أنه ما دأبت عليه المؤتمرات، ففي مؤتمرات عدة، تصريح علــى أن تلك القرارات عرضت على اللجنة الاستشارية، قبل عرضها على الاجتماع العام. على سبيل المثال:
Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - p.105

(7) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Germany - Kraus Reprent - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - Vol.1 - pp. 130-134.

أما عن عدد أفرادها، فقد جاء فيه "تتكون اللجنة من خمسة وعشرين إلى ثلاثين عضوا يمثلون المناطق المشاركة المختلفة، وأن يكون رئيس المؤتمر المنعقد وسكرتيره العام هما رئيس اللجنة وسكرتيرها العام"(١).

ورغم تسميتها سابقا بالعالمية، إلا أن اللجنة لم تأخذ الصبغة العالمية إلا في المؤتمر العشرين، إذ إن عضويتها لم تعد حكرا على أبناء البلد المنظم، بل أصبح أعضاؤها ينتمون لجل أقطار الأرض، وأضحت تسمى "اللجنة الاستشارية العالمية"، ثم تقرر أن تصبح لجنة عالمية دائمة، إذ لا تنقطع مسؤولياتها، حتى تستلم لجنة المؤتمر اللاحق المهام عنها. كما تقرر أن لا ينقص عدد أفرادها، فإن غاب أو تعذر حضور البعض، عوضوه بغيره مباشرة(٢).

د – اللجنة التنفيذية:

طرحت قضية تكوين لجنة تنفيذية لأول مرة، في مؤتمر "نيو دلهي"، السادس والعشرين، سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، عرضه أعضاء مستشرقون من الولايات المتحدة(٣). ففي دعوتهم لإعادة النظر في نظام المؤتمرات وتنظيم اللجنة الاستشارية، طرح المؤتمر قضية "التباحث فيما إذا كان من المرغوب تنصيب لجنة تنفيذية دائمة لمؤتمرات المستشرقين العالمية"(٤). وتمت دراسة الموضوع. وفي المؤتمر اللاحق بآن آربور سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، أقر تنصيبها وهيكلة نظامها الإداري (٥).

أما المهام الدقيقة المخولة لهذه اللجنة، فحددها المؤتمر ذاته في(٦):

---

(1) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - p. 36.
(2) Ibid. - p. 38 .
(3) Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - p. 55.
(4) Ibid. - p. 60 .
(5) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - pp. 36 - 37.
(6) Ibid. - p. 37 .

" – تعيين المؤتمر القادم إذا لم يتخذ أي قرار في المؤتمر الذي انعقد، وفقا للبند السادس من نظم مؤتمرات المستشرقين العالمية.

– أخذ المشكلات التي تتعلق بأهداف المؤتمر القادم وصفاته العامة في الاعتبار، تلك التي تتم في شكل توصيات للجنة التنظيم لمؤتمر اللاحق.

– اتخاذ كل المقاييس اللازمة لانعقاد مؤتمر جديد، إذا طرأت بعض العراقيل الخطرة، التي من شأنها أن تعرض للخطر أسس مؤتمرات المستشرقين العالمية ودوامها [١].

تلك هي خصائص اللجنة التنفيذية ومهامها العامة. إلا أنها ما لبثت أن عهد بمهامها "للاتحاد العالمي للدراسات الشرقية والآسيوية International Union for Oriental and Asian Studies "، بداية من مؤتمر طوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ).

هـ – الاتحاد العالمي للدراسات الشرقية والآسيوية:

لم يتم تعريف هذا الاتحاد، ولكن يبدو أنه اسم جديد لاتحاد المستشرقين العالمي[٢]، ممثل النشاط الاستشراقي في اليونسكو. ويبدو أنه استلم الإشراف العام عن مؤتمرات المستشرقين العالمية، لكن الوثائق المتوفرة لا تسعفنا في التأكد من ذلك، لكن المؤكد أنه استلم أعمال اللجنة التنفيذية كافة. جاء هذا في المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، فقد حذف البند الخاص باللجنة التنفيذية وأعضائها، وجاء بدلا عنه "إن مكتب الاتحاد العالمي للدراسات الشرقية والآسيوية، هو المسؤول على تأكيد التواصل بين مؤتمرين اثنين"[٣] .

أما عن مهامه، فهي مهام اللجنة التنفيذية نفسها، عدا الأخيرة (ج)، المتعلقة بمعوقات انعقاد دورة لاحقة من المؤتمرات، وجاء فيها "التحضير لمؤتمر جديد كي ينعقد، إذا طرأت أي حادثة تعيق تواصل عقد المؤتمرات لأي سبب من

---

[١] هذه النقاط موجودة بالملحق رقم ٧ ص ٦١٣ من الرسالة.

[٢] سيتم التعرض له ص ٣٠٧ من البحث.

[3] Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - p. 42.

الأسباب"[1]. ولا يزال هذا الاتحاد هو المسؤول عن تلك المهام، التي كانت خاصة باللجنة التنفيذية.

تلك هي أهم اللجان الإدارية التي كونتها المؤتمرات من أجل أن تسير المؤتمرات المسار الجيد، وتحافظ على دوامها وتأمين انعقاد دوراته.

ز – إدارة اللجان العلمية:

لجان المؤتمر العلمية هي الأقسام التي توزعت على أساسها أعمال مؤتمرات المستشرقين العالمية. وكل لجنة متخصصة في جانب من جوانب العلوم الشرقية، وتكون لها إدارة خاصة بها.

لم تبين أنظمة المؤتمرات العامة كيفية تشكيل تلك الإدارة، ماعدا المؤتمر التاسع، الذي حدد كيفية اختيار الرئيس فقال متحدثا عن دور لجنة التنظيم في ذلك: "... كما يجب عليهم أن يرتبوا اللجان أيضا، وأن يعينوا بالتالي رؤساءها، مع ترك اختيار نائب رئيس اللجنة لما بعد الاجتماع الأول للمؤتمر..."[2].

أما النظم الخاصة، فقد بين بعضها ذلك السلم الإداري للجان. ففي البند العاشر من لائحة المؤتمر الثالث بـ "سان بترسبورغ" سنة ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ)، ورد أن "كل لجنة خاصة يقوم بإدارتها رئيس ومساعد رئيس، ينتخبهم المؤتمر، ولا بد أن يكون أحد هؤلاء الثلاثة من بين الأعضاء الروس في المؤتمر"[3]. أما المؤتمر السادس بليدن سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، فجاء فيه: "تختار كل لجنة من ضمن أعضائها، رئيسا ونائبي رئيس وسكرتاريين. وإذا كانت الجلسة لا تعد أكثر من خمسة عشر عضوا، فلا يتكون مكتبها إلا من رئيس ونائب رئيس

---

[1] Ibid. - p. 42 .

[2] Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol.$_1$ - p. Liv.

[3] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - V$_2$ - T$_3$ - p. 49.

وسكرتير"[1]. وسار المؤتمر العاشر بـ"جنيف"، سنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، على منوال نظام المؤتمرات العام الثاني، فبعد عرض اللجان الثماني التي انقسم إليها المؤتمر، أعلن أن المسار يتمثل في أن "تعين اللجنة التنظيمية رئيس كل لجنة. أما اللجان فستعين نائب الرئيس وسكرتاريه"[2]. كما أعلن المؤتمر الثاني عشر، أن رئاسة اللجنة تنتقل بالتناوب، حصة بعد أخرى، لأحد الرؤساء المختارين[3]. تلك إذن بعض الصور عن أطر اللجان العلمية الإدارية.

لم يتم اختيار اللجان وفق قاعدة ثابتة تسير عليها المؤتمرات عامة، وبقيت تخضع في أغلب الأحيان لمراد الدولة المستضيفة ومصالحها: ففيما كانت اليابان موضوع المؤتمر الأول، كان شبه القارة الهندية موضوع المؤتمر الثاني، الذي انعقد في لندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ)، وذلك لأن بريطانيا كانت لها مستعمرات هناك، ولها أطماع في توسيع نطاق نفوذها ومستعمراتها. أما المؤتمر الثالث الذي انعقد في "سان بترسبورغ سنة ١٨٧٦م (١٣٩٨هـ)، فكانت المناطق القوقازية هي محور دراساته الأساس. وقد كانت الحكومة القيصرية استعمرت مناطق منها، وتسعى لضم البقية الباقية. وبالتالي كانت هي محور اهتماماتها، وهكذا كان مسار المؤتمرات، حتى جاءت إلى أثينا سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)، وفيها عينت الحكومة لجانا ثلاث تتعلق باليونان وعلاقاته بالشرق، وكانت كالتالي: اليونان والمشرق في العصر الحاضر واليونان والمشرق في العصور القديمة واليونان والمشرق في العصور الوسطى[4]. فاليونان استغلت المؤتمرات للتركيز على دورها الحضاري، في الماضي والحاضر. كما أن الهند توجهت المنحى ذاته، لتركز على البحوث المتعلقة بها، وذلك في المؤتمر الذي انعقد هناك سنة ١٩٦٤هـ (١٣٨٣هـ)[5] ،

---

[1] Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie – p. 23.

[2] Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - premiere partie - p. 49.

[3] Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Germany - Kraus Reprent - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - T_3 - Partie I - p. XXXI .

[4] وتوجد بالملحق رقم ١٦ ص ٦٧٣ من البحث.

[5] سيتم التعرض للموضوع ص ٣٠٩ من البحث

وهكذا. فمن مميزات اللجان العلمية، أن اختيارها لا يخضع لقاعدة موحدة، بل ترك ذلك وفق اختيارات البلدان المستضيفة، وبالتالي هيمن على ذلك المصالح الخاصة بكل دولة يتم اختيارها لاحتضان المؤتمرات.

أما عن تسيير شؤون اللجان العلمية، فتتم عادة حسب الطريقة التالية، والتي تتمثل في أن "يلقي رؤساء اللجان المختلفة خطاباتهم الافتتاحية، ثم تقرأ الأوراق التي تم قبولها"[١]. ومن الصلاحيات الموكولة لرئيس اللجنة، "أحقية تمديد الجلسة في يوم آخر، إن رأى ضرورة ذلك، بحيث تتم قراءة الأوراق الأخرى..."[٢] وذلك إن رأى أن "عدد المساهمات يتجاوز بكثير تلك التي يمكن قراءتها أو مناقشتها في الجلسات"[٣]. كما أن له اقتراح عدم مناقشة المساهمات إن رأى ضرورة ذلك لربح الوقت[٤]. وصلاحية التمديد هذه ، تكون أحيانا مقيدة[٥] وأحيانا أخرى مطلقة[٦].

أما مهمة سكرتاريي اللجان، فتتمثل فيما يلي:

– مد سكرتير المؤتمر العام كل يوم بملخص الأعمال اليومية ، وبرنامج عمل الجلسة القادمة[٧].

– استقبال ملخصات المساهمات من أصحابها[١] .

(1) Samuel Birch - Inaugural Address - Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 - Germany - Kraus Reprent - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - p. 7.

(2) Ibid. - p. 7 .

(3) Ibid. - p. 7.

(4) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - pp. 144 - 145.

(5) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - V_2 - T_3 - p. 49.

(6) Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris – 1897 - T1 - p. XVI.

(٧) ورد ذلك في معظم قوانين المؤتمرات الصادرة، بل هي من المهام الرئيسة للسكرتارية تلك، وعلى سبيل المثال: Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes Leide - 1883 - premiere partie - p 23 . وغيرها

تلك هي أهم خصائص إدارة لجان المؤتمرات، وقد حـــافظت علـــى جـــل اختصاصات وواجباتها منذ نشأة المؤتمرات حتى الآن.

ح - لجنة طباعة أعمال المؤتمرات ومشكلات الإخراج الطباعي:

وكل شأن طباعة أعمال المؤتمرات منذ انطلاقتها للجنـــة التنظيميـــة[٢]. وتواصل تكليفها بالأمر وتكفلها به حتى المؤتمرات الحالية، إلا أنه قد يوكل بـــها في بعض الأحيان للجنة خاصة، وقد تكون من أعضاء اللجنة التنظيمية. فقـد ورد في بنود النظام الأول "تعهد منشورات أعمال المؤتمرات إلى لجنة مختـــارة مـــن الأفراد المنتمين للبلد الذي عقد فيه المؤتمر"[٣]. كما أن من شأن تلـــك اللجنـــة أن تمحص من المساهمات ما يصلح للنشر عن غيرها "ستكلف اللجنة التنظيمية بنشر أعمال المؤتمر، وهي التي تقرر نوعية الأعمال المكتوبة، وماهية المساهمات التي ستقبل لتنشر ضمن تلك الأعمال"[٤].

ولقي أمر طباعة وقائع أعمال المؤتمرات مشكلات عدة، جعلت القائمين على المؤتمرات، يسعون للبحث عن مخارج من تلك الصعوبات. وأول من بين تلـــك الصعوبات، وأشار لبعض الحلول لـــها المستشـــرق "إدوارد نـــافيو Edouard Naville"، رئيس مؤتمر المستشرقين العالمي العاشر. فقد بعـــث برســـالة إلـــى القائمين على مؤتمر المستشرقين العالمي الثالث عشر بـــهمبورغ ســـنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـــ)، يتحدث فيها عن تجربته مع المؤتمرات وطباعـــة أعمالـــها، عـــن

---

[١] هي مهمة رئيسة من مهام الإدارة تلك، فعلى سبيل المثال: Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - T3 - Partie I - p. XXXII وكذلك: Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 premiere partie - p 24 . وغيرها

[2] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. III.
and: Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - p 24 وغيرها

[3] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. 13 .

[4] Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - premiere partie - pp. 49 - 50.

سلبيات الطباعة، وجاء في رسالته: " لكن التجربة أظهرت أن أولى السلبيات تتمثل في أن مجلدات الأعمال لا تظهر إلا بعد عدة سنوات لاحقا، رغم بعض السرعة التي تتحملها اللجنة في تكوين هذا المصنف وطباعته"[١].

ثم بين أسباب تلك السلبيات، فذكر أنها تتمثل في:

– رغبة الكتاب في إعادة النظر في مشاركاتهم، وبالتالي يؤخرون تقديمها، لذا، تجد اللجنة عناء كبيرا في تجميع الكتابات.

– رغبة بعض الكتاب رؤية أعمالهم منشورة بسرعة، لذا يقدمونها لدوريات أخرى، وإن كانت أقل أهمية من أعمال المؤتمرات.

– ضياع المذكرات الأصول التي نشرت في أعمال المؤتمرات، لذا، يجد العلماء المشاركون صعوبة في استعادتها. وبالتالي فهي في حكم المفقودة. وهذا يعيق دفع تطور العمل ذاك[٢].

ويخلص "نافيو" بالتالي إلى اقتراح التخلي عن النشر التفصيلي، ويكتفى بعروض مختصرة للأعمال، وترك شأن نشر المذكرات لأصحابها[٣].

نتيجة للتباحث حول محتوى هذه الرسالة، والجانب العملي الفعلي لنشر أعمال المؤتمرات، قرر التجمع العام لمؤتمر المستشرقين العالمي الثالث عشر، التخلي عن نشر الأعمال المعروضة بكليتها، والاكتفاء بنشر محتويات المذكرات والمشاركات الشفوية، في أجل أقصاه ستة أشهر.

إلا أن المؤتمر اللاحق، الذي انعقد في الجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، عاد إلى الطريقة القديمة، واتخذ قرارا بذلك[٤].

لم تنته القضية عند هذا الحد، ففي المؤتمر اللاحق، الذي انعقد بـ"كوبنهاجن" سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)، طرح الموضوع للبحث مرة أخرى. لذا، وباقتراح من الرئيس، عينت لجنة لمناقشة مسألة نشر أعمال المؤتمر، وتقديم تقرير في ذلك في

---

(1) Verhandlungen des Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 - p. 391.

(2) Ibid. - pp. 391 - 392.

(3) Ibid. - p. 392.

(4) Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - Germany- Kraus Reprint- Nendeln/Liechtenstein- 1968 - premiere partie - p. 71.

الجلسة الختامية[1]. وهذه قررت نشر ملخص مختصر اختصارا عميقا، يسرد الوقائع بشكل متسلسل. وجاء القرار النهائي كما يلي: "يحذف نشر أعمال المؤتمر بكاملها أو بخلاصات مفصلة، وأن يظهر بدلا منها، مجرد سرد للمسائل المطروقة"[2]. وبالتالي ظهر مدون أعمال هذا المؤتمر على شكل مذكرة صغيرة الحجم، وتابعها في ذلك بعض المؤتمرات. إلا أنه لم يتم الاتفاق على هيئة نهائية إلا بعد لأي. وفي المؤتمر الثامن عشر بـ"ليدن"، سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)، عاد الأمر إلى طباعة ملخص للدراسات، ثم بقرار جاء فيه: "لقد رأى المكتب التنفيذي، أنه من المناسب نشر ملخص للمساهمات العلمية التي قدمت في لجان المؤتمر"[3].

وكذلك ظل أمر الطباعة بعد ذلك، يتأرجح بين هذه الأنواع الثلاثة، سرد الوقائع فقط، أو سردها مع ذكر ملخصات المساهمات، أو النشر الكامل لأعمال المؤتمرات، أو لبعض الأعمال. لكن ما لبث مجرد السرد أن توقف عن الظهور نهائيا حتى الآن، وبقيت النوعيتان الأخريان اللتان تعملان حتى الآن.

تلك إذن هي أهم سمات الجانب الإداري لمؤتمرات المستشرقين العالمية، وللجانه المختلفة، مع التطورات التي حصلت عليه، فقد كانت له ثوابت إدارية، برزت طوال مسار المؤتمرات، وكانت هناك متغيرات وتطورات، حدثت مع تطور المؤتمرات في مسيرتها الزمنية الطويلة.

٢ – النظام المالي للمؤتمرات :

لم تهتم الوثائق المتوفرة كثيرا بالجانب المالي للمؤتمرات، ولا بإدارتها أو نظامها. ويبدو أن الشكل الإداري الذي اتخذته المؤتمرات منذ نشأتها، تواصل

---

[1] Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - p. 44.
[2] Ibid. - pp. 80.
[3] Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes - Leiden - 1931 - Germany - Kraus Reprint - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - p. VI.

بصفته وترتيبه الابتدائي، ولم يحصل لها تطويرات وترتيبات جديدة، لذا لم يجلب الانتباه إليه ولا الإشارة.

منذ انطلاق الإطار الإداري الأول في باريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، عين محاسب للمؤتمر، وعهد إليه بجمع رسوم المشاركات، وذلك في المنشور الأول بتاريخ السابع من يناير ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، حيث ورد فيه أنه يمكن للشخصيات المعنية والمهتمة أن يرسلوا لمحاسب المؤتمر مبلغا قدره اثنا عشر فرنكا، كرسم مشاركة[١]، كما ورد مثل ذلك من نظام مؤتمر "سان بترسبورغ" أيضا، في بنده الحادي والعشرين[٢].

أما المنشور الثاني، الصادر بتاريخ الرابع من مارس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، فجاء في البند الرابع من النظام الأولي للمؤتمر ما يلي: "تنتخب اللجنة التنظيمية رئيسا مؤقتا ومحاسبا ذا صفة نهائية للمؤتمر..."[٣]. وفي المنشور نفسه ورد في البند الحادي عشر الآتي: "يعين المؤتمر في نهاية جلسته الثانية، لجنة مكلفة بفحص حسابات المحاسب"[٤]. هاتان النقطتان المتعلقتان باختيار المحاسب بصفة نهائية، وتكوين لجنة مكلفة بفحص الحسابات، لازمتا المؤتمرات كافة، ولزمتاها. لذلك جاء في نظام المؤتمر الأول في البند السادس، الذي تحدث عن المحاسب، أنه قد تم "تعيينه فعليا من لجنة التنظيم المركزية، لأن مهامه تتواصل حتى الدورة المقبلة"[٥]. كما ثبت البند الحادي عشر أمر تكوين لجنة تتفحص حسابات المحاسب تلك[٦]، كما جاء الأمر هذا نفسه في النظام الثاني، في البند الثالث[٧] . ويبدو أن الأمر ثبت على هذا النمط، إذ لم يتم الحديث بعد ذلك عن محاسب المؤتمر ولجنة المحاسبة.

---

(1) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. V.

(2) Ibid. - Tome troixieme - pp. 50 - 51.

(3) Ibid. - Tome troixieme - p. VIII.

(4) Ibid. - Tome troixieme - p. IX.

(5) Ibid. - Tome troixieme - p. 12 .

(6) Ibid. - Tome troixieme - p. 12 .

(7) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol.1 - p. lv.

أما عن كيفية عد المصاريف والمداخيل، فلم تعن بها الوثائق إلا قليلا، فقد ورد تفصيل المصاريف والمداخيل في مرات نادرة جدا. وللوقوف على نوعية ذلك الأمر، يمكن على سبيل المثال، إيراد مثال عن المؤتمر التاسع[1]:

الموارد:

الاشتراكات:	سنت	جنيه
٣٧٩ عضوا بمقابل جنيه واحد:	٠ ٠	٣٧٩
٤ عضوات بمقابل جنيه واحد:	٠ ٠	٤
١٠٣ عضوات بمقابل ١٠ سنتات:	١٠ ٠	٥١
المجموع:	١٠ ٠	٤٣٤
التبرعات:	٤ ٠	٥٣٠
مصادر مختلفة:	٤ ٧	١٢
الرحلات:	١٩ ٦	١٠
المجموع:	١٨ ١	٩٨٧
المأدبة:		
اشتراكات:	٠ ٠	٤٥
تبرعات:	٠ ٠	٣٤
المجموع:	٣ ١	١٠٦٧
موازنة قدمت للمحاسب:	٦ ٨	١٩
المجموع:	٩ ٩	١٠٨٦

النفقات:

الإعلانات:	٥ ٢	٤٤

[1] Ibid. - Vol.1 - p. XXV.

الأدوات القرطاسية والطوابع وأمور ثانوية:	١٠	٥	٧١
الطباعة:	٦	١٢	٢١٠
الأعمال الإكليركية...:	٠	٨	٥٢
مصروفات قانونية:	١	١٨	١٩
الشارات:	٠	١٠	٢٧
التزويقات:	٠	٧	٦٠
الرحلات:	٨	٦	٥٤
المجموع:	٩	٩	٦٨٦
أودع لدى السادة "دريموند Drummond":	٠	٠	٤٠٠
ملاحظة: لم يتم إدخال ثمن طباعة منشورات أعمال المؤتمرات .			
المجموع:	٩	٩	١٠٨٦

ذاك مثال عن حسابات المؤتمرات وكيفية معالجتها. أما ما يتبقى لدى المحاسب من مال خاص بالمؤتمر، فيسلم إلى محاسب المؤتمر اللاحق، يوم افتتاحه أعماله. جاء ذلك في المنشور الثاني من لجنة تحضير المؤتمر الأول، في البند الثالث عشر، عند قوله: "ما إن تسدد كل مصاريف الدورة، يعهد بما تبقى لصالح الدورة القابلة، ويوضع بين يدي محاسبه يوم افتتاح الأعمال"[١]، وثبت الأمر نفسه في نظام المؤتمرات العام الأول، في بنده الثاني عشر، الذي ورد فيه: "ما إن يتم تسدد كل المصروفات، تحول بقية الحسابات لصالح الدورة الجديدة، وتوضع بين يدي محاسبها الجديد، يوم افتتاح أعمال تلك الدورة"[٢].

ذاك هو أهم ما ورد من سمات الجانب الإداري للشؤون المالية. ولا يبدو أن هناك تغييرا لهذا الإطار المرسوم، إذ لم يرد ذلك في منشورات أعمال المؤتمرات، ما عدا أمر واحد ورد في نظام "سان بترسبورغ"، حيث نص البند الخامس والعشرون منه على أن عطية هامة قدمتها الحكومة الروسية لصالح

[1]Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. X.
[2] Ibid. - Tome troixieme - p.13.

المؤتمر، وبالتالي: "فإن لجنة التنظيم لن تكون محاسبة أمام لجنة المصروفات إلا بالمبالغ المقبوضة والمدفوعة، من ثمن الاشتراكات، والتي تم تخزينها"[١]، ونص البند السادس والعشرون على أن "ثمن الاشتراكات سيستخدم أساسا لنشر أعمال الدورة"[٢].

أما عن مهمة المحاسبة، فهي ذاتها الموكولة لأول محاسب في تاريخ المؤتمرات، وقد سبق الحديث عنها[٣].

وفيما يتعلق بموارد الحصول على المال، فالمصادر شتى، إذ تعتمد المؤتمرات على التبرعات والهبات من ممولين متعددين، حكومات وهيئات ومنظمات وشركات وشخصيات وغيرها. فمثال التبرعات الحكومية، ما جاء في مؤتمر "سان بترسبورغ"، الذي تسلم هبة مالية كبرى، من الحكومة الروسية، أغنته عن العديد من التبرعات الأخرى[٤]. أما عن الشخصيات والحكومات المحلية، فمثاله يتضح مما أورده المؤتمر التاسع، عند حديثه عن التبرعات، إذ جاء فيه[٥]:

مهراجا فيزيانجرام	:Maharaja of Vijianagram	١٢١ ١٧ ٢
تاكور صاحب جوندال	:the Thakur Sahib of Gondal	١٠٠ ٠٠٠ ٠
سيمور ملك	:Symour King	١٠٠ ٠٠٠ ٠
مهراجا ميسور	:Maharaja of Mysore	٥٠ ٠٠٠ ٠
راوو كوتون	:Rao of Kuton	٣١ ١٤ ٠
مهراجا كوون بيهار	:Maharaja of Kuon Bihar	٣١ ٠٣ ٠
جيكوار بارودا	:Gaikwar of Baroda	٢٥ ٠٠٠ ٠
مهراجا ترافانكور	:Maharaja of Travancore	٢٠ ٠٠٠ ٠

(1) Ibid. - Tome troixieme - p. 51.

(2) Ibid. - Tome troixieme - p. 51.

(٣) مر ذلك ص ٢١٠ – ٢١١ من الرسالة فما بعدها.

(٤) ورد ذلك في نظام المؤتمر ذاك، وذلك في البند ٢٥ من الملحق رقم ١٠ ص ٦٢٧ من الرسالة .

(5) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol.1 - p. XXV.

راجا روتلام :Raja of Ruthlam ٢٠٠٠٠

راجا كابورتالا :Raja of Kapurtala ٢٠٠٠٠

الأستاذ ماكس ميلر :Professor Max Muller ١٠٠٠٠

المجموع: ٥٣٠٤٠٢

الملاحظة اللافتة للانتباه، في مصادر التبرعات المالية تلك، أن المتبرعين كلهم، باستثناء الأخير، وقد تبرع بأقل مقدار، كلهم من قادة حكومات محلية، من القارة الهندية، في حين لم تتبرع الحكومة البريطانية ولا الحكومة الاستعمارية البريطانية في الهند، بأي مساعدة، وتلك سمة الاستعمار، ولاسيما البريطاني، فهو يسعى دائما لاستنفاد الموارد الاقتصادية واستغلالها، وهنا الدليل على أنه لا يكاد يدع فرصة ولو للقليل من المال. فرغم غنى الحكومة البريطانية، تجدها تضن بالقليل من المال على هذا المؤتمر، مع أنه يمكن اعتباره من أهم المؤتمرات، بل ومن المؤثرين في مسارها التاريخي، ولاسيما اتخاذه إجراءات حول إعادة تنظيمها وقد تمكن من اتخاذ إجراءات في هذا الشأن لأول مرة في تاريخ المؤتمرات.

من ناحية أخرى، لم تتضح الكيفية التي قدم بها هؤلاء أموالهم، هل هو عن طريق إغراء الحكومة البريطانية، أو بترهيب منها أو تنفيذ أوامر أو هو أمر تلقائي من الحكام والشخصيات. لكن مهما كان الدافع، فإنه يبين مدى خضوعهم للمستعمر، ومدى تنافسهم على نيل رضاه، إذ إن المبالغ المالية متفاوتة وهامة. ومع أن مثل هذه الظاهرة كثيرا ما يعتمدها المستعمرون في جل البلدان، إلا أن الأمر في الهند له دوافع أخرى، يغلب عليها الطابع السياسي.

فإذا علمنا أن الاستعمار في الهند أزال الملكية التي كانت تحكم باسم الإسلام، والتي كان يخضع لها الهندوس، وإذا علمنا أن جل هذه الحكومات الإقليمية المتبرعة هندوسية، فإننا يمكن أن نستخلص أن هؤلاء كانوا يسارعون لإرضاء المستعمر، حتى يحافظوا على مراكزهم ومناصبهم، وحتى لا يعودوا مرة أخرى للحكم السابق، وربما لكسب نفوذ آخر، كملكية أراض أو توسيع منطقة السيطرة، وهو ما يبين إضافة إلى ذلك، من التحالف الهندوسي الصليبي ضد المسلمين

عموما، والذي توج لاحقا بقيام حكومة هندوسية على جل تراب القارة، وهذه تم تقويتها عسكريا وسياسيا.

هذا من جانب التبرعات لصالح المؤتمر. وهناك نوع آخر من التبرعات، هي التبرعات لصالح المأدبة الفاخرة، التي تقام في كل مؤتمر على شرف المستشرقين. وهذه التبرعات الأخيرة، على خلاف الأولى، جاءت من شخصيات بريطانية عدة، وكانت كما يلي[1]:

ف. ف. أربوثنوت	F. F. Arbuthnot	١٠٠٠
أ. د. مورجان	E. D. Morgan	١٠٠٠
السيدة أربوثنوت	Mrs Arbuthnot	٥٠٠
الأستاذ سايس	Professor Sayce	٢٢٠
سر ف. ر. جولدشميد	Sir F. R. Goldsmid	١١٠
سر أ. ليال	Sir A. Lyall	١١٠
الجنرال بيرس	General Pearse	١١٠
أ. ن. أدلر	A. N. Adler	١٠٠
الجنرال سر أ. كونينجهام	G. Sir A. Cunningham	١٠٠
سر ف. جرينفال	Sir F. Grenfell	١٠٠
أ. ج. براون	E. G. Browne	١٠٠
المجموع:		٣٤٠٠

تلك عينة عن نوعية المتبرعين لصالح مؤتمر المستشرقين العالمي التاسع، وهذه يمكنها أن تعطي صورة عن جل المؤتمرات المنعقدة.

أما عن بقية المنظمات والمؤسسات، فيمكن ذكر مثال عنها ما ورد في مؤتمر إستانبول الثاني والعشرين لسنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، الذي جاء فيه ذكر المساهمات المالية إضافة إلى مساهمة الحكومة، وفيه "ساهمت جامعة إستانبول

---

[1] Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol.1 - p. XXV.

بعشرة آلاف ليرة تركية، لصالح مصاريف المؤتمر، كما ساهمت الحكومة التركية بمبلغ خمسين ألف ليرة. وفي نهاية المؤتمر قدمت سبعة آلاف ليرة لصالح تكاليف إعداد طباعة أعمال المؤتمر. وقدمت اليونسكو مبلغ ألفي دولار، للمساعدة في الرحلات الباهضة الثمن، للعلماء الذين يجدون صعوبة مادية تمنعهم من المجيء إلى تركيا، من بلدانهم البعيدة. ولكنها صرفت لمن مساهمتهم في المؤتمر هامة وأساسية. وهذا ما ساعد سبعة علماء متخصصين في فروع عدة من الدراسات الاستشراقية، ويعيشون في بلدان متفرقة، من أخذ أماكنهم في المؤتمر. وحتى اختتام المؤتمر، فإن الرسوم التي دفعها أعضاء المؤتمر، لمحاسب المؤتمر، بلغت خمسة عشر وثمانمائة وخمسة آلاف ليرة تركية، وهذا المجموع سيخصص لطباعة أعمال المؤتمر"[١].

تلك بعض المصادر التي تعتمدها المؤتمرات للحصول على مساعدات ومساهمات مالية. وهذه المؤسسات حيوية جدا في هذا الجانب وذلك ما يوضحه نداء "جون فليوزا" في المؤتمر التاسع والعشرين بباريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، بمناسبة الذكرى المئوية للمؤتمرات، وهذا النداء جاء في خطابه المطول، وقال فيه: "على مؤسساتنا الكبرى التي عودتنا منذ قرون على ضربها المثال في إسهاماتها في الأعمال المختلفة، أن تواصل نشاطاتها الضرورية"[٢]، وحيث لم يخصص نوعية تلك المساهمات، فيمكن أن يدخل الجانب المالي، الذي كان أهم ما ساهمت به المؤسسات الغربية في تأييد الدراسات الاستشراقية، سواء البعثات العلمية، أو الإرساليات الكشفية، أو مساعدة مؤسسات بحثية، أو غيرها من التبرعات للمصالح الاستشراقية.

تلك عينات عن الإطار المالي، ضمن الإطار الإداري، لمؤتمرات المستشرقين العالمية. وبه اتضح الإطار الإداري العام لمؤتمرات المستشرقين العالمية، منذ نشأتها حتى مؤتمرات الوقت الحالي، ونوعيات التطورات والتحويرات التي طرأت عليها في مسارها الطويل.

---

(1) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 - pp. 37-38.

(٢) جون فليوزا: "مشروع إصلاح مؤتمرات المستشرقين" – ترجمة المحسن بن علي سويسي – دراسات استشراقية وحضارية – ص ٣٩١م.

الفصل الثاني: الأطر العلمية: صفتها وتطورها

المبحث الأول: جلسات المؤتمرات الافتتاحية

المبحث الثاني: الدراسات العلمية في المؤتمرات ومسارها

المبحث الثالث: ندوات المؤتمرات وحلقاتها الدراسية

المبحث الرابع: جلسات المؤتمرات الختامية

الفصل الثاني: الأطر العلمية: صفتها وتطورها

توطئة:

بعد دراسة النظام الإداري لمؤتمرات المستشرقين العالمية، يأتي دور نشاطها البحثي والمعرفي، للوقوف على مساره وأهميته ونوعياته.

من ناحية هيكلية المؤتمرات، تنقسم جلسات المؤتمرات العلمية إجمالا إلى نوعيات أربع، وهي الجلسات الافتتاحية، والدراسات العلمية، والندوات والحلقات الدراسية، والجلسات الختامية.

هذه الجوانب هي التي توضح مجريات الشؤون الدراسية لمؤتمرات المستشرقين العالمية، وبتحليلها وتفحصها والوقوف عند خاصيتها، العلمية والمعرفية، يتضح مسار المؤتمرات العلمي.

أما الجلسات الافتتاحية، فهي ضرورية لأي اجتماع مهما كان، ولاسيما أن كان يضم مئات الشخصيات، وآلافا في بعض الأحيان، فهي إعلان عن انطلاق الأعمال الحقيقية، وفرصة للتعرف على القائمين على المؤتمر، وكذلك على بعض الحاضرين، وتقويم من الباحثين منهم. وستأتي تفصيلات محتوياتها[1].

من الجلسة الافتتاحية، تنطلق البحوث والدراسات العلمية. وهذه مرت بأطوار، فبعد أن كانت جلسات جماعية، متتالية الموضوعات، أصبحت كذلك جماعية، لكن لكل جلسة موضوع، ثم تحولت إلى نظام اللجان العلمية، التي طغت على المؤتمرات حتى الآن، رغم المحاولات المتعددة لتغييرها. ونظام اللجان يتمثل في تقسيم أعمال المؤتمر لعدة لجان، تعقد دراساتها في الوقت نفسه، وعلى المشترك اختيار ما يشاء حضوره من محاضرات.

هذه النوعية من الدراسات، سببت تململا في نفوس المستشرقين عامة، مما أدى على الدوام للبحث عن مخارج. ولاسيما أن أحد أهداف المؤتمرات لا يمكن أن يتحقق، إذ إن تعارف الحاضرين بعضهم على بعض لا تتم بتلك الصفة. وهذا ما دعا القائمين على المؤتمرات إلى محاولة الخروج من هذا المأزق، فجيء

---

[1] سيرد ذلك ص ٢٢١ وما بعدها من الرسالة.

بالجلسات الجماعية، والندوات العلمية والحلقات الدراسية، كمحاولة. لكن كثيرا ما تحولت هذه الندوات لتصبح شبيهة بالجلسات العلمية، ولا تحمل تلك الشعارات إلا في اسمها، إذ إن هذه الجلسات الجماعية، كما تسمى، أصبح نظامـــها كجلســات اللجان، وتعين لها دراساتها في الوقت نفسه الذي تدار فيه جلسات اللجان، وهذا ما وقفت عليه في المؤتمر الخامس والثلاثين الذي انعقد في "بودابست" فـــي العــام ١٩٩٧م (١٤١٨هـ).

أما الجلسات الختامية، فهي موطن عرض خلاصة المؤتمر، مـــن نواحيـــه الإدارية والعلمية، والتوصيات وإعلان مقـــر المؤتمـــر المقبـــل وزمانـــه. إلا أن التطورات في هذه الجلسة، جعلتها تكتفي مؤخرا بخطابات قصيرة شبه وداعيـــة، بعد الإعلان عن المقر القادم للمؤتمر وزمن انعقاده.

تلك سمات مختصرة عن جوانب المؤتمر الدراسية، وسيتم التفصيـــل فيمـــا يلي.

المبحث الأول: جلسات المؤتمرات الافتتاحية

درجت مؤتمرات المستشرقين العالمية على عقد جلسة افتتاحية لكل مؤتمر ينعقد. فالجلسة الافتتاحية، ضرورية وبالغة الأهمية لكل مؤتمر، مهما كانت نوعية دراساته. فهي عبارة عن مدخل لبقية الأعمال البحثية والدراسية والعلمية والفكرية، وغيرها من شؤون المعرفة، وذلك لأهميتها وقيمتها في الإطارين الإداري والعلمي للمؤتمر. وتعرف حقيقة هذه الجلسات، بالتعرف على أهميتها ومسارها.

١ – أهمية الجلسات الافتتاحية:

لجلسات المؤتمرات الافتتاحية، أهمية كبرى، في الإطارين الإداري والعلمي:
ففي الجانب الإداري، يتم في الجلسة الافتتاحية الأمور التالية:

أ – تكوين المكتب الإداري: إذ يتم انتخاب رئيس المؤتمر، واختيار نائب له، وتعيين أعضاء المكتب الإداري، بما فيهم محاسب المؤتمر، كما تتم الموافقة عليهم جميعا. وهؤلاء يكونون عادة من أعضاء اللجنة التنظيمية نفسها، بحيث يتحول غالبا رئيس اللجنة تلك ليصبح رئيس المؤتمر، كذلك السكرتاريون والمحاسب وأعضاء اللجنة، الذين كانوا معينين، يصبحون أعضاء للمكتب، وقد يضاف إليهم شخصيات أخرى، ولا يمتنع أن تكون أجنبية، عن ذلك البلد[1]، قبل أن تصبح لجنة التنظيم عالمية، وبالتالي أضحى أعضاؤها من كافة أنحاء العالم، لكن يبقى رئيسها وسكرتاريوها من البلد المستضيف للمؤتمر.

---

[1] هذه الهيكلية الإدارية، توجد في جل المؤتمرات، وتذكر في وقائع الأعمال، عند الجلسات الافتتاحية، ولا يعين رئيس آخر غيره، إلا إذا منع الأول مانع قاهر، مثل الموت، وهو ما حصل في المؤتمر السادس بـ"ليدن" سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، إذ كان من المفترض أن يكون المستشرق "رينهارت دوزي Reinhart Dozy" رئيس المؤتمر، لكن وفاته حالت دون ذلك، وحل بالتالي المستشرق "كوينن أ. A. Kuenen" محله. Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - pp. 39-40.

ب – اختيار أعضاء اللجان المختلفة: وتعيين رئيس كل لجنة، ونائب رئيسها وسكرتيريها، وهذا الأمر هو الغالب، إلا أنه قد يترك أمر اختيار هؤلاء الأخيرين لرئيس اللجنة[1]، وقد يترك أمر اختيار الرئيس نفسه ومساعديه للجنة العلمية نفسها[2].

أما من الناحية العلمية، فإن أهمية الجلسات الافتتاحية تكمن في اعتبارها مدخلا لما سيلحقها من جلسات علمية بحثية، إذ تطرح فيها بعض وجهات النظر المتعلقة بفروع الدراسات الاستشراقية عادة، سواء من المسؤولين السياسيين الحاضرين أو من الإداريين، أو من كلمات الوفود، وبعض الشخصيات الاستشراقية. وتتعلق هذه المداخلات عادة، بدور دولة أو مؤسسة أو هيئة، وبأثرها في تنمية الدراسات الاستشراقية.

كان ذاك بيان أهمية الجلسات الافتتاحية وضرورتها، ومدى الحاجة الماسة إليها، لتكون منطلقا لبحوث المؤتمرات ودراسات لجانها. وتتضح هذه الأهمية أكثر بدراسة مسارها ومحتوياتها.

٢ – مسارها ومحتوياتها:

لا يوجد شكل موحد لمسار الجلسات الافتتاحية لمؤتمرات المستشرقين العالمية. أما الغالب على أحداث هذه الجلسات، فهو ما يلي:

أ – الكلمات الترحيبية:

تأتي الخطابات الترحيبية من شخص واحد أو أكثر، وقد يكون من رئيس المؤتمر نفسه[3]، أو من نائبه[1]، أو رئيس المؤسسة التي ينعقد فيها المؤتمر أو مديرها[2]. كما أنها قد تأتي من أحد المسؤولين السياسيين في البلد المنظم[3].

---

(1) مثل ما حصل في المؤتمر السادس: Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - p. 64 .

(2) كما حصل في المؤتمر السابع مثلا: Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Germany - Kraus Reprint - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - p. 52 ...etc.

(3) هذا هو الأصل، ويوجد في كل المؤتمرات عادة.

ويتم فيها إبداء مشاعر الفرحة باللقاء، وتشرف المنطقة باستضافة المؤتمر، وتمنيات التوفيق والراحة، سواء في العلوم والمعرفة، أو السياسة.

ب – خطاب رئيس المؤتمر السابق:

يتم خلال هذا الخطاب التذكير بإنجازات المؤتمر السابق، والتمنيات بنجاح المؤتمر المنعقد، ثم يعلن تخليه عن الرئاسة وتسليمها للرئيس الجديد. وهذه الظاهرة ظهرت حديثا في نسق المؤتمرات، وأثبتت وجودها في المؤتمرات المتأخرة[٤]. أما في المؤتمرات السابقة، فندر أن وجدت مثل هذه الخطابات.

ج – خطابات أو كلمات المسؤولين السياسيين أو رعاة المؤتمرات:

قد تكون مساهمة هؤلاء مطولة، على شكل خطابات[٥]، وقد تكون قصيرة، بحيث تكون مجرد كلمات[٦]. وتأخذ هذه المساهمة صبغة سياسية أكثر منها علمية، وقد تحتوي على نقاط علمية دراسية.

د – خطاب رئيس المؤتمر الحالي أو من ينوب عنه:

تتفاوت نوعية خطابات رؤساء المؤتمرات في الجلسة الافتتاحية. فقد سبق أن "ليون دو روسني"، رئيس المؤتمر الأول، وأول رؤساء المؤتمرات عموما، لم يلق خطابا البتة، بل رحب بالحاضرين وأعلن عن افتتاح المؤتمر، وطلب التحول

---

[١] هذا أمر نادر، وقد تم مثل هذا مثلا في: Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - pp. xxvi - xxvii.

[٢] يحدث مثل هذا أحيانا، ويوجد على سبيل المثال في: Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - Vol1 - pp. 39 - 40. and Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - T3 - p. CV - CVI .

[٣] هذا الأمر في جل المؤتمرات، ولا يكاد يخلو مؤتمر من خطاب مسؤول سياسي في الجلسة الافتتاحية.

[٤] ذكرت المصادر حصول مثل هذا الأمر لأول مرة في مؤتمر الهند سنة ١٩٦٢م:
Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - Vol1 - pp. 40 - 42.

[٥] من ذلك على سبيل المثال: - Address of Fuad Koprulu - Minister of Foreign Affairs
Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 - pp. 40.

[٦] على سبيل المثال كلمة "إدوارد أوهل "Edward Uhl، في: Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - T1 -Vol. 1 - pp. 47- 48.

لقاعة أخرى لبدء الأشغال[١]. في مقابل ذلك نلقى خطابات مطولــــة جـــدا تمــلأ صفحات عدة. مثل خطاب "كوينن" في المؤتمر السادس[٢].

هـ — كلمات المندوبين:

ينقسم المندوبون إلى فئات عدة، بحســـب انتماءاتــهم وتوجهاتـــهم. فــهناك المندوبون السياسيون، وقد يمثلون الحكومات أو الأحزاب السياسية، أو الحكومات الإقليمية، أو مدنا معينة أو حتى بلديات. وهناك مندوبون عن مؤسسات علميــة أو اجتماعية أو ثقافية معينة. وهؤلاء يتكلم جلهم باسم من يمثلونه، وعادة ما يتطــرق لأثر الممثل في تنمية الدراسات الاستشراقية، أو رغبته في ذلك[٣]، ســـواء مـــن الجانب المادي أو المعنوي أو البحثي، أو المساهمات المباشرة في تكوين أفـــراد ومراكز وجمعيات ومؤسسات متخصصة.

و — تكوين مكتب المؤتمر الإداري:

يتم تكوين المكتب الإداري فـــي الجلسة الافتتاحية، وقـــد ســـبق التعــرض لمكوناته[٤]. أما ما تجدر الإشارة إليه هنا، فهو أن رئيس المؤتمر كـــان لابـــد أن ينتخب في الجلسة الافتتاحية، قبل أن تقترح المؤتمرات المتأخرة أن يتم في نهايـــة انعقاد أي مؤتمر، تعيين رئيس المؤتمر القادم، حتى يعرف مسبقا. أما إن تعـــذر ذلك، فتوكل تلك المهمة للجنة من البلد الذي سينعقد فيه المؤتمر القـــادم. ومـــهما كانت الطريقة التي يتم بها تنصيب الرئيس، فإنه أصبح اليوم معروفا للمستشرقين وغيرهم قبل انعقاد المؤتمر[٥]. أما الأعضاء الباقون، فقد كانوا هم أعضاء اللجنـــة التنظيمية.

---

[1] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 53 - 54 .

[٢] على سبيل المثال: Discours de Jean Capart - Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 - pp. 19 - 24.

[٣] مثل ما حدث في المؤتمر الحادي والعشرين، حيث عرض مندوب اليونسكو رغبة المنظمة في عقد روابط بمنظمة وموحدة للمستشرقين، وتم على أثرها تكوين اتحاد للمستشرقين لتحقيـــق الـــهدف.
Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 – premiere partie - pp. 33 - 35.

[٤] سبق الحديث عن ذلك ص ٢٠٠ من الرسالة.

[٥] سبق الحديث عن ذلك ص ٢٠١ من الرسالة.

ز – تعيين مكاتب اللجان العلمية المختلفة:

لم تخضع مكاتب اللجان المختلفة لقاعدة معينة. فقد يتم تعيينهم من الجلسة الافتتاحية، ويوافق الحضور عليهم، وقد يتم تنصيبهم في الجلسة الافتتاحية نفسها، وقد يوكل أمرهم إلى أعضاء اللجنة نفسها. لكن الجلسة الافتتاحية، هي التي تتخذ القرار عادة، في كيفية حدوث ذلك. أما تفصيلات التعيين فقد تم ذكرها سابقا(١).

ح – قراءة البرقيات المرسلة:

تتلى البرقيات، التي وصلت للمؤتمر قبل انعقاده، أو أثناء انعقاد جلسته الافتتاحية، على العموم، ولاسيما تلك الواردة من كبار الساسة، أو أقطاب علماء الاستشراق، ومن أولئك الذين تعذر عليهم حضور المؤتمر، والتي لها أثر في دفع عجلة المؤتمر أو التأثير فيه ومساره، أو تشجيع أعماله وتأييد توجهه.

ط – تأبين زملاء سابقين من مستشرقين أو غيرهم:

كثيرا ما يتم تأبين زملاء للمستشرقين، سواء كانوا مستشرقين أو مساهمين في الدراسات الاستشراقية، أو متعاونين أومساعدين في المجال نفسه، غربيين أو غيرهم. وكثيرا ما يتم سردهم فردا فردا(٢).

ي – الإعلان عن افتتاح المؤتمر:

يتم ذلك عادة في نهاية الجلسة الافتتاحية، إذ يحصل ذلك عن طريق أحد الساسة الحضور، أو أحد كبار رعاة المؤتمر(٣) أو من ينوب عنه(٤).

ذاك أهم ما يتم في الجلسة الافتتاحية من إجراءات، من شأنها أن تهيئ الجميع للدخول في حقل الدراسات العلمية، ضمن الجلسات أو اللجان المختلفة، أو الجلسات الجماعية أو الندوات، وما شابهها من أنشطة علمية.

---

(١) سبق التطرق لذلك ص ٢٠٥ من الرسالة.

(٢) ورد ذلك في كثير من المؤتمرات. منها مثلا:

Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo- Kyoto - 1983 - Vol1 - pp. 27 - 28.

(3) Actes du International des Orientalistes - premiere partie - p. 22.

(٤) هذا هو الأصل المعتاد، وهو أن يعلن الرئيس عن افتتاح المؤتمر، إلا إذا تعذر حضوره، فمن ينوب عنه يعلن عن الافتتاح. كما أنه قد يفتتح المؤتمر نائب الرئيس بحضور الرئيس نفسه، مثلا: Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes- Paris - 1948 - premiere partie - p. 22 .

المبحث الثاني: الدراسات العلمية في المؤتمرات ومسارها

تعد الدراسات العلمية الركن الرئيس للمؤتمرات، وهي التي تستغرق جل فترات المؤتمر. فهي عصب المؤتمر وعموده، وأساس انعقاده. وقد اختلفت أشكال انعقادها إلى أنماط متعددة، يمكن التعرف عليها في هذا الموقع، سواء من حيث أهميتها وفوائدها، أو من حيث نظامها ومسارها.

١ – أهميتها وفوائدها العلمية:

تعد الدراسات العلمية، باختلاف أنماطها وأنواعها، أساس المؤتمر. فبدونها لن تكون للمؤتمر أي أهمية، بل لن يكون هناك مؤتمر أصلا. فالجلسات العلمية هي التي تعرض الأبحاث المقدمة للمؤتمر وتناقشها، وتوجهها وتقومها. وفيها تتلاقح الأفكار، وتتمايز الآراء، وتذلل الصعوبات ، وتحل المشكلات، وتطرح المقترحات، وتقدم النتائج وتتخذ القرارات الضرورية، وكل ذلك حسب الإمكانات، وبالتالي، يمكن القول أن الدراسات العلمية، هي المؤتمر ذاته.

أما فوائدها، فهي كل ما يجني المؤتمر من فوائد، انطلاقا من تجمع الباحثين من كل مكان وتعارفهم، حتى القرارات التي تتخذ في الجلسة الختامية.

٢ – تطور مسارها ونظمها:

مرت الدراسات العلمية في المؤتمرات، من خلال مسارها ونظمها، بثلاث مراحل متباينة:

المرحلة الأولى، وتخص المؤتمر الأول.

المرحلة الثانية، ويمثلها المؤتمر الثاني.

المرحلة الثالثة، وتشمل بقية المؤتمرات أجمعها.

قبل أن تستقر المؤتمرات على مسارها العام، في المرحلة الأخيرة، وهـــي التي لا تزال على تلك الصفة، حتى يومنا هذا، مع إضافـــة تطويـــرات كـــإدراج الندوات والجلسات العامة في المؤتمرات الأخيرة، فإن شـــذوذ المؤتمريـــن الأول والثاني يبدو أمرا طبيعيا، لكونهما يمثلان انطلاقة المؤتمر، والبداية تخضع دائمـــا للتجربة والتحسين. هذه المراحل، سيتم طرقها في هذه النقطة، مع التركيز علـــى المرحلة الأخيرة، لكونها هي المعتبرة حتى المؤتمرات الآنية.

أ – المرحلة الأولى:

وهي كما سبق تختص بالمؤتمر الأول، وقد سبق إبراز أنه تخصص فـــي اليابان ودراساتها، لذا فقد خصص للمؤتمر فترتان، الأولى مجموعها سبع جلسات خاصة بالدراسات اليابانية، وتسع للبحوث الاستشـــراقية الأخـــرى، بتوجهاتـــها المختلفة.

اعتمد المؤتمر طريقة الجلسات العلمية، إذ خصص لكل موضـــوع جلســـة معينة. كما أن كل جلسة تشمل دراسات متعددة، تصب في الموضـــوع الرئيـــس المحدد. والوقت المخصص للمحاضر غير محدد، ويمكـــن مقاطعتـــه ومناقشـــته ومحاورته. فقد كانت عبارة عن جلسات حوارية أكثر منها خطابية[1].

وإذا استوفت الجلسة موضوعها، يمكن الدخول مباشرة في موضوع جلســـة أخرى. وإذا انتهى وقت الجلسة، دون إنهاء الموضوعـــات المطروحـــة، يمكـــن مواصلتها في الجلسة القادمة، أو يحدد لها موعد آخر لمواصلة دراستها.

تلك هي أهم سمات مسار الدراسات العلمية في مؤتمر المستشرقين العـــالمي الأول، الذي يمثل المرحلة الأولى في أسلوب تنظيمه.

---

(١) يوجد هذا في جل الدراسات، سواء المتعلقة باليابان أو غيرها. والمتصفح لوقائع أعمال المؤتمـــر يلحظ ذلك بكل يسر.

ب – المرحلة الثانية:

يمثل هذه المرحلة المؤتمر الثاني. وفيها ألغيت التداخلات بين الجلسات، وكذلك الجلسات الحوارية، كما أنه اعتمد نظاما وسطا بين الجلسات واللجان. فقد خصص لكل نوعية من الدراسات الاستشراقية يوما خاصا بها، فكانت على النحو التالي[1]:

ـ ١٤ سبتمبر ١٨٧٤م (٣ شعبان ١٢٩١هـ) : التجمع العام.

ـ ١٥ سبتمبر (٤ شعبان) : لجنة الدراسات السامية.

ـ ١٦ سبتمبر (٥ شعبان) : لجنة الدراسات الطورانية.

ـ ١٧ سبتمبر (٦ شعبان) : لجنة الدراسات الآرية.

ـ ١٧ سبتمبر (٦ شعبان) : لجنة الدراسات الحامية.

ـ ١٨ سبتمبر (٧ شعبان) : لجنة الدراسات الأثرية.

ـ ١٩ سبتمبر (٨ شعبان) : لجنة الدراسات الإثنولوجية.

أما لجنتا يوم السابع عشر وإن لم يتضح الأمر تماما حول لجنتي يوم السابع عشر، فقد انطلقت لجنة الدراسات الآرية قبل الأخرى، ثم قطعت أعمالها عند انطلاق الثانية، وواصلت تحليل دراساتها في اليوم التالي قبل انطلاق أعمال لجنة الدراسات الأثرية، إذ ابتدأت أعمالها في العاشرة صباحا، في حين انطلقت الأثرية في الحادية عشرة صباحا[2]، إذ خول النظام المتبع في المؤتمر لرئيس الجلسة اختيار وقت آخر لمواصلة المداولات إن لم تستوفها في الوقت المخصص لها[3].

إذن، فهذه الخطوة كانت منعرجا آخر في شكل مسار الجلسات العلمية في المؤتمر ودراساته. فقد نظمت شكل العرض، إلا أنها ضيقت من نطاق اتساع الأبحاث. ولعل هذا ما دعا إلى تغيير نمط الدراسات مرة أخرى.

---

(1) Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 - p. 418.

(2) Ibid. - p. 431 .

(3) Ibid. - p. 7 .

ج – المرحلة الثالثة:

هي مرحلة اللجان الدراسية. هذه المرحلة، هي التي داومت عليها المؤتمرات، وانبرت تتخذها طريقة في أعمالها حتى المؤتمرات الحالية. وتتمثل هذه الطريقة في تخصيص كل مجموعة دراسية لتكون لجنة مستقلة في أعمالها، كأن نجد لجنة الدراسات العربية مثلا، ولجنة الدراسات الهندية، ولجنة الدراسات السامية، وغيرها من اللجان، التي سيرد ذكرها فيما بعد. وتعد كل لجنة، عموما، مستقلة بذاتها، لها برنامجها الخاص في مواعيد انعقاد جلساتها وموضوعات أبحاثها وأماكن اجتماعاتها... كما أنها حرة في استخلاص نتائج أعمالها وإصدار توصياتها. إلا أن تلك القرارات تعرض في الجلسة الختامية للبت فيها والتصويت عليها.

وتعقد جلسات هذه اللجان في أوقات خاصة بها، وتتداخل مع بعضها، بحيث إن كل اللجان تعقد جلساتها في الوقت نفسه، وعلى المستشرقين والحاضرين اختيار اللجنة التي تروقه، أو الجلسة التي يرغب في حضورها. وبالتالي في حين قد تكتظ لجنة بالحضور، قد لا يحضر جلسة أخرى إلا نزر قليل من المهتمين[١]، حتى إنه قدمت اعتراضات على هذا الشكل من الدراسات، ونودي بتحوير الطريقة والأسلوب[٢].

إلا أن اتساع المؤتمر، وشموله فروع المعرفة الاستشراقية المختلفة، يقف حائلا دون التخلي عن هذه الطريقة. لذلك، لا تزال متبعة حتى اليوم. بل إن المؤتمر الأخير، وهو المؤتمر الخامس والثلاثين، والذي انعقد في "بودابست" بالمجر، صيف ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، كان فيه ثماني لجان رئيسة، ويندرج تحت

---

[١] في مؤتمر أثينا، سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، لم تضم لجنة الدراسات الهندية وبرمينيا ومدغشقر وماليزيا، سوى ثلاثة مستشرقين، لذا قرر المنظمون دمج هذه اللجنة، وهي السادسة، مع اللجنة الخامسة، الصين واليابان وآسيا الوسطى. : Congres International des Orientalistes XVIeme Session – Athenes - 1912 - 2eme partie - p. 106.

[٢] ورد طلب هذه المراجعة مرات عدة، منها في ختام مؤتمر أثينا السادس عشر سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، وقد ذكر هذا ص من الرسالة، وفي ختام مؤتمر بروكشل سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، وقد ذكر هذا ص من الرسالة.

كل لجنة ما يتراوح بين موضوعين إلى ستة موضوعات[١]، مما يدل على أن المؤتمرات لا تزال تسير وفق الطريقة ذاتها.

٣ – أنواعها وتوجهاتها:

للتعرف على أنواع الدراسات العلمية، وتبينها، وتمحيص توجهاتها، يجدر هنا سرد جميع أسماء اللجان، كما وردت في منشورات أعمال المؤتمرات، في جدول يوضح أسماءها، والمؤتمرات التي انعقد فيها. وهذا الجدول يعني بمسميات اللجان، واللجان الفرعية، كما وردت في منشورات أعمال المؤتمرات، دون الاهتمام مبدئيا بالموضوعات، إذ قد ترد لجان عدة، تعنى بالموضوع نفسه، لكن بصياغات مختلفة، كأن ترد لجنة تعنى باللغة العربية، لكنها تحمل مسميات مختلفة، فإن المسميات في هذه الحالة هي التي يتم مراعاتها، دون الاهتمام بالموضوعات. ثم يأتي بعده جدول يبين الموضوعات والمؤتمرات التي انعقدت فيها دون الاهتمام بمسميات اللجان.

من ناحية أخرى، سيتم اعتماد الترجمة العربية لمسميات اللجان والموضوعات في هذه الجداول، دون ذكر صفاتها اللاتينية، وذلك لكثرتها، ولسهولة الرجوع إليها في مظانها، كما أن الجداول لا يتم التفريق فيها بين اللجان واللجان الفرعية، لأنه تبين أن لا فرق بين لجنة ولجنة فرعية إلا بالمسمى، إذ تعامل اللجنة الفرعية على أنها لجنة مخصوصة، كاملة الأركان كاللجنة الأم، بل أحيانا لا يكون لها علاقة باللجنة الأم إلا على الورق[٢].

كما تم تناول الجلسات العلمية وتنوعها، من خلال الموضوعات المطروحة في المؤتمرات. وفيها سيتم اعتبار الموضوعات المشتركة، وعدها على أنها تحمل موضوعا موحدا، فلجنة الدراسات العربية، ولجنة الدراسات العربية والإسلامية

---

[1] 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 - Programme - no number of page .

[٢] الجداول المعنية بالملحقين رقم ١٤ ص ٦٣١ من الرسالة وما بعدها، ورقم ١٥ ص ٦٦٥ من الرسالة وما بعدها.

مثلا، مشتركتان في موضوع الدراسات العربية، فيما تنفرد الثانية وتزيد عن الأولى بموضوع الدراسات الإسلامية. والموضوعات المتداخلة في لجنة واحدة، بحيث يكون في لجنة واحدة عدة موضوعات، فهذه تحسب لها الموضوعات بحسب تنوعها، فلجنة الأنثروبولوجيا وفلكلور الشرق، نجد فيها موضوعين اثنين: الأنثروبولوجيا من جهة، وفلكلور الشرق من جهة أخرى.

ولا يعتد بالتحديدات الزمنية التي تصحب بعض العناوين، غالبا، كلجنة "الإثنولوجيا: ما قبل التاريخ والآثار"، فإنها تعد ذات موضوعين اثنين، هما الإثنولوجيا، والآثار. كما أن الحدود الجغرافية، لا يتم اعتبارها غالبا كذلك. فهناك مثلا موضوع الشرق الأقصى، وموضوعات اليابان والصين وكوريا وغيرها. ففي هذه الحالة، يعد مسمى الشرق الأقصى موضوعا مستقلا، واليابان موضوعا آخر، وأيضا تعد الصين موضوعا ثالثا، فكوريا كذلك.

من ناحية أخرى، هذه الموضوعات تم استنتاجها من خلال العناوين الرئيسة لكل اللجان العامة، واللجان الفرعية فقط، لصعوبة استنتاجها من خلال المساهمات العلمية التي تتجاوز الموضوعات الرئيسة بكثير، ويصعب تحديدها وتجميعها في مثل هذا الموضع، ثم هي تعد بالآلاف الكثيرة يصعب التدقيق فيها جميعها[١].

وهذا النهج سيتم الالتزام به في كل الجداول التي ستتحدث عن اللجان واللجان الفرعية، أو عن الموضوعات التي وردت في اللجان.

بيانات حول الجداول:

بتصفح الجداول، نجد أن أهم ما شغل المؤتمرات موضوعات عدة، وهذا بيان تحليلي للبعض منها.

– الدراسات السامية: كان للدراسات السامية نصيب الأسد في أعمال المؤتمرات، فقد عرضت ثلاث عشرة لجنة تحمل اسم "الدراسات السامية"، لتقدم دراسات عامة حول اللغات السامية عموما، وما يتعلق بالساميين. كما وجدت سبع لجان تحمل اسم "الدراسات الآشورية"، وهي إحدى مكونات الدراسات السامية.

---

[١] الجداول المتعلقة بالموضوعات في الملحقين رقم ١٦ ص ٦٧٣ من الرسالة وما بعدها، ورقم ١٧ ص ٦٨٨ من الرسالة وما بعدها

فيما عرضت "اللغات السامية" كلجنة لثلاث مرات، ووردت ثلاث أخرى تحمل كل منها إحدى العناوين التالية "اللغات والشعوب السامية"، و"الدراسات الآشورية والآثار السامية"، و "الدراسات البابلية والآشورية"، ولجنتين مختلفتين حول "البحوث المسمارية"، وأخريين تتعلقان "بالدراسات الحثية"، وأخرى حول "الدراسات السامية والآشورية"، وأيضا حول "الساميات العتيقة والآشوريات"، وكذلك "السامية والإسلامية"، و"السامية والشرق الأدنى القديم"، و"العبرية"، و"علم الآشوريات وموضوعات أخرى"، وغيرها من الموضوعات المتعلقة بالساميات.

فقد كانت الساميات موضوعا للدراسات في خمس وعشرين لجنة، والآشوريات في ست وعشرين مرة، والعبرية في سبع، والكتابة المسمارية في خمس، والآرامية في أربع، والفينيقية في ثلاث، وكل من البابلية والحثية مرتان كذلك. ومن هنا نلمس الأهمية الكبرى التي أولتها المؤتمرات للدراسات السامية.

أما إذا أردنا التعرف على نوعية البحوث السامية، فإننا نجد أنها وجهت جلها نحو الدراسات اللغوية، والنقوش الكتابية، وقليل منها توجه للتاريخ والآثار.

كان الغرب دائم البحث عن كل متعلقات حضارته القديمة وماضيه التاريخي، ومن ذلك مسار دينه وأصوله. فالمعلوم أن الأصول الرئيسة للمصادر الدينية إما مفقودة، وإما مدونة بكتابات غير مفهومة لدى الغرب، لكونها قد كتبت بلغة ماتت ولم تعد متداولة. وما إن عرفت آثار تلك اللغات ونقوشها، أو بقايا شعوب تتحدث بتلك اللغات أو إحدى لهجاتها، حتى وجه الاهتمام إليها، سواء من أرباب الديانة النصرانية، لكشف البيان عن أصل ديانتهم أو البحث عنه، ولاسيما الكتب المقدسة، أو من المعارضين للكنيسة أصلا، من الإصلاحيين أو اللائكيين، وهدف هؤلاء الكشف عن أصول حضارتهم وتاريخهم. ومن هنا انخرط المستشرقون باختلاف مشاربهم للبحث في تلك اللغات، وكل يستخدمها لصالح مذهبه وميدانه الذي يعمل من أجله: فالمستشرقون النصارى واليهود يبحثون في أصول ما عندهم من كتب ومدونات، والمستشرقون المعارضون للكنيسة يستهدفون توجهاتهم، أما المستشرقون المهتمون بالآثار والمعارف والعلم فيسعون للوصول لتحقيق سبق علمي ومعرفي، والمساهمة في تقوية الاطلاع على العلوم الحضارية القديمة، والتعرف عليها.

ونلحظ أن المؤتمرات الثلاثة من الخامس عشر إلى السابع عشر، شهدت قمة الانتعاش في البحوث السامية. أما الفترة المزدهرة، فمن الخامس وحتى الخامس والعشرين. أما المساحة الزمنية المطروقة فيها هذه الدراسات، فانطلقت مع انطلاقة المؤتمرات حتى المؤتمر السادس والعشرين، ثم توقفت بعد ذلك، عدا مرات معدودات.

ولتحليل هذا الأمر، يمكن القول إن المؤتمرات انطلقت وقد بدأ الاهتمام بالدراسات السامية، سواء الآثار أو النقوش أو بقايا اللغات المنطوقة. وكغيرها من اللغات البائدة، صعبت البحوث الأولى على الفهم. وبعد أن تمكن الباحثون من حل معضلة اللغات السامية، ولاسيما النقوش المسمارية وغيرها، ازدهرت هذه العلوم وتطورت، وكثرت البحوث والاكتشافات في ميدان الساميات، ولما انتهت ثورة الاكتشافات تلك، بدأت تلك العلوم في الاستقرار والثبات، وبالتالي بلغت كمالها على ما يبدو. واقتصرت فيما بعد على بعض النقوش أو الآثار أو المخطوطات النادرة، بحسب المكتشفات التي قد تحدث بين الفينة والأخرى. كما أن هذه العلوم انحصرت مؤخرا في أيدي قلة من الباحثين، في حين كانت في أوج العناية بها نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، حيث يتسابق الباحثون قصد تحقيق سبق علمي في هذا الميدان.

– الدراسات الفرعونية: تعد موضوعات الدراسات المصرية، متخصصة جلها في الدراسات الفرعونية. فقد انطلقت المؤتمرات بعد حوالي عقدين من زمن الكشف عن أوائل أسرار الكتابة الفرعونية[1]، بعد بحوث مضنية. فقد كانت الفرعونيات القفزة العملاقة في سماء البحوث الأثرية، بوصفها أقدم الحضارات الإنسانية التي تم الكشف عنها حتى ذلك الحين. وعدت من أعظم إنجازات القرن التاسع عشر. ومنذ اكتشاف النقوش الفرعونية وكتاباتها، ما فتئ العلماء يبحثون وينقبون دون فتور. وما إن بدأ فك رموز الكتابة الفرعونية، حتى كثرت الأبحاث والدراسات وتلاحقت، وشارك معهم العديد من المستشرقين المهتمين، وكان لهم

---

(١) سبق الحديث عن الكشف عن أسرار هذه اللغة ص ١٢٠ من الرسالة.

باع في ذلك، واستغلوا المؤتمرات أيما استغلال، لعرض نتاج جهدهم. ومن هنـــا، كانت الدراسات الفرعونية نكهة المؤتمرات، ولا سيما في فتراته الزمنية الأولى.

وإذا كان الدافع القوي لدى الغربيين في أبحاثهم للكشــف عــن الدراســات السامية دينيا بالدرجة الأولى، فإن الأمر يختلف في الدراسات الفرعونية، إذ الدافع الأساس إليها حضاري تاريخي. هذه الدراسات، شهدت كثافة جمة في الأبحـــاث المقدمة فاقت حتى الأبحاث السامية في العديد من المؤتمرات، وألقت بـــالأضواء على أغلب جوانب الحياة الفرعونية.

أما الملاحظة البارزة، فتتمثل في توقف العناية بالدراسات هذه في المؤتمـــر السادس والعشرين، وهو نفس المؤتمر الذي توقفت فيه الدراسات السامية، عـــدا النوادر من المؤتمرات. ولا شك في أن البحوث الفرعونية، وبعد مـــرور قـــرن ونيف من الزمان على فك رموز اللغة الفرعونية، استقرت واكتملت بدرجة عالية.

– اللغويات: من أبرز الاهتمامات الاستشراقية: أمـــور ثلاثـــة: اللغويـــات والتاريخ والديانات. واللغات عادة هي مفتاح جميع المعارف الأخرى، لذا نجد أن المستشرقين يعتنون عناية خاصة بالدراسات اللغوية والبحث في أساليبها وقواعدها وفيلولوجياتها. وترتكز الأبحاث الاستشراقية، سواء حول المجتمعـــات البـــائدة أو المعاصرة، على معرفة اللغة. ومن هنا، نجد أن المؤتمرات وجهت اهتماما خاصا وعناية مميزة باللغات، الحية منها والميتة.

ظهرت الموضوعات المتعلقة باللغويات عموما، انطلاقا من المؤتمر الرابـــع وحتى السابع والعشرين، وعادت في المؤتمرين الحـــادي والثلاثيـــن والخـــامس والثلاثين، وانقطعت قبل السابع والعشرين في أربع مناسبات، الخـــامس والتاســـع والسابع عشر والحادي والعشرين، وتكاد تتمركز في الحقبة ذاتها التي درست فيها الساميات والفرعونيات.

وإذا تتبعنا جدول الموضوعات المتعلقة باللغويات، فإننا نجد الآريـــات، قـــد شغلت تسعة مؤتمرات، والتركيز فيها كان على اللغات الآرية بصفة خاصة، كمـــا أن اللغة، والتركيز على الأبحاث اللغوية، كانت أساسا في الموضوعات التاليـــة: إفريقيا، حيث كان التركيز منصبا على اللغات البربرية وغيرها من لغات إفريقيـــا الأخرى كالهوسا والأثيوبية وما سواها، وهناك أيضا أمريكا، وجنوب شرقي آسيا،

والصلات اللغوية، والفيلولوجيا والمالاوية واليابـــان والصيـــن، والموضوعـــات المتعلقة بالعرب والعربية والتركيات، وغيرها من موضوعـــات أخـــرى، كـــان التركيز فيها على اللغة واضح جدا، إضافة إلى الساميات المختلفة والفرعونيـــات، وبعض اللجان الأخرى ذات الطابع الفيلولوجي. فهذه كلها يتم البحث فيـــها فيمـــا يتعلق باللغات وفيلولوجيتها، وأصولها وحقيقتها ونوعياتها، وبذا، يمكن أن ننعـــت اللغويات بأنها أهم مرتكزات الأبحاث الاستشراقية في المؤتمرات.

وأهم ما يركز عليه المستشرقون في هذا المجال، هو محاولة نقل الحـــروف المحلية، ليحل محلها الحرف اللاتيني، وفيما فشلوا في نشر ما توصلوا له في ذلك من عمل مع العربية والفارسية والمالاوية، وغيرهـــا مـــن اللغـــات الإســـلامية، الآسيوية والإفريقية، وغير الإسلامية، مثل الصينية واليابانية والكوريـــة، فإنـــهم أفلحوا مع لغات أخرى كالتركية والإندونيسية والصومالية، وأفلحوا في إدخال بلبلة لا تزال قائمة في بعض اللغات الأخرى حتى الآن، منها اللغة البربرية.

– الدراسات الدينية: شغل الدين الإسلامي ومتعلقاته حيزا هاما في مؤتمرات المستشرقين العالمية. فقد اعتمد موضوعا في واحد وعشـــرين مؤتمـــرا، ودرس الأدب الإسلامي مرتين، والحركات الدينية الإسلامية مرة واحدة، وكذلك العلـــوم الشرعية والقرآن.

والدراسات الإسلامية تشمل جوانب العلوم الشرعية والفكرية المختلفة، عقيدة وقرآن وحديث وفقه، وكذلك الفلسفة والفكر والمجتمعات، وسواها من فنون العلوم الإسلامية، من تاريخ وجغرافيا وقوى عسكرية وسيرة وفن وآثار وغيرها. وشمل العالم الإسلامي عدة أقطار إسلامية. كما أن هناك لجانا عـــدة تتعلـــق بالأقطـــار الإسلامية، اهتمت في جانب كبير منها بالعالم الديني في تلك المجتمعات، علما بأن الحيز الكبير من الدراسات الاستشراقية في المؤتمرات وجه للعالم الإسلامي.

أما النصرانية، فوجدت لها حيزا كذلك في أعمال المؤتمرات، سواء كديانـــة أو مجتمعات. فنجد أن نصارى الشرق والشرق النصراني، توجهت لهم موضوعـــات ثمانية من مؤتمرات المستشرقين العالمية، واليونان ثماني أيضا. والعهد القديم كان موضوعا في ستة مؤتمرات، وكل من أرمينيا وبيزنطة أربعة مـــرات، وأثيوبيـــا ثلاث مرات، وأمريكا مرتان، ومرة لكل من الكتاب المقدس وآسيا الوسطى.

انطلق الاهتمام الخاص بنصارى الشرق من المؤتمر التاسع عشر، وتواصل حتى الرابع والعشرين على التوالي، ثم عادت في التاسع والعشرين ثم الثاني والثلاثين، فيما توزعت بقية الدراسات النصرانية على مؤتمرات عدة، فأحيانا ترد في المؤتمرات الأولى وأحيانا أخرى في الوسطى، وترد كذلك في الأخيرة.

أما الدراسات اليهودية، فقد اهتمت بها المؤتمرات كذلك، لكن بصفة متأخرة، ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى، وإن كانت الدراسات اليهودية دخلت المؤتمرات قبل ذلك، ضمن لجان مختلفة، ولذا لا نجد موضوعات يهودية عامة إلا في خمسة مؤتمرات، وانطلقت من المؤتمر الثامن عشر بليدن، سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)، وحتى اندلاع الحرب العالمية الثانية، ثم عادت مرة أخرى في المؤتمر الرابع والعشرين بميونخ سنة ١٩٥٧م (١٣٧٧هـ)، ثم غابت حتى المؤتمر الخامس والثلاثين ببودابست سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ). كما درست جوانب يهودية في موضوعات العهد القديم، وكذلك العبرية.

أما الديانات الوثنية، فإننا نجد المستشرقين وجهوا اهتماما كبيرا لديانات الهند، ولاسيما الهندوكية والبوذية. وموضوعات الهند بلغت ثلاثة وعشرين، ونادرا ما خلت تلك الموضوعات من العناصر الدينية للهند. كما أن اليابان، أولى موضوعات المؤتمرات، وجه المؤتمرون اهتماما كبيرا لدياناتها القديمة. بل إن الديانات القديمة عموما كانت مرتكزا من مرتكزات المؤتمرات، سواء منها الإفريقية أو المصرية أو الهندية أو الصينية واليابانية والمالاوية والكورية والآسيوية، وما قبل الديانات التوحيدية في الجزيرة العربية وغيرها من البلدان الشرقية عموما. وجل هذه الديانات تم تحليل أصولها، ودراسة التطورات التي طرأت عليها، وحتى أصحابها ومنشئوها، سيرتهم وحياتهم إن أمكن، وكذلك كتبها إن وجدت.

من كل ما سبق، يمكننا أن ندرك الأهمية التي كان يوليها المستشرقون في مؤتمراتهم لهذا الجانب المعرفي، والذي يتعلق بالعقائد المختلفة، ألا وهو الدين، ولاسيما أن المؤتمرات وردت في عصر أخضع الدين فيه للبحث، بين قابل ومؤيد ورافض ومنكر وتائه وباحث. ومن هنا كان الدين أحد الركائز التي دارت حولها أبحاث مؤتمرات المستشرقين العالمية .

– الآثار والنقوش: اعتمد الاستشراق عموما، في الكم الكبير من أبحاثه التي قام بها، على الآثار والنقوش، وبالتالي فإنهما يكادان يكونان محور المؤتمرات في القرن الماضي، ومعظم القرن الحالي، حتى حوالي الستينات، وكانت تلك هي الفترة المزدهرة، ولا يزال يتتبع أي أثر جديد يظهر على الساحة المعرفية. وحتى يتم تأكيد ذلك، يمكن تتبع الموضوعات من خلال اللجان المطروحة: فنجد الدراسات السامية والمصرية والآشورية، والآرية واللغوية والصين واليابان والآثار والفنون والعبرية والقوقازية وماليزيا وإندونيسيا والعهد القديم والكتابة المسمارية والآرامية والأرمينية والبيزنطية والسنسكريتية والإثنولوجيا والأثيوبية والبوذية والفارسية والفلكلورية والفينيقية والإثنولوجية والأناضولية والأنثروبولوجية والبابلية والحتية والدراويدية والأسترالية...وغيرها، وكل هذه الموضوعات اعتمدت الآثار والنقوش حتى تعالج دراساتها وأبحاثها، بل إن اللغات السامية والفرعونية مثلا، ما كشفت طلاسم لغاتها إلا بتتبع النقوش وتحليلها. والصين واليابان والهند وغيرها اعتمدت الآثار للكشف عن حضاراتها القديمة وأصولها.

من جهة أخرى، نجد أن مصطلح الآثار ظهر في المؤتمرات إحدى عشرة مرة. وباعتماد ما مر بنا من تحليلات حول الساميات والفرعونيات، وإذا عرفنا أن جل الموضوعات اعتمدت إما الآثار أو النقوش أو هما معا، فإنه يتضح لنا أن الآثار والنقوش يعدان ركيزة من ركائز البحوث الاستشراقية، في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

– التاريخ والدراسات التاريخية: كثيرا ما يرى الاستشراق على أنه الدراسات التاريخية. وإذا أردنا تحليل ذلك، من خلال المؤتمرات، فإننا نلمس أن دراسة اللغات وأصولها، سواء منها المنقرضة، أو الحية الموجودة حاليا، وكذلك البحث في الآثار، تعني البحث عن تواريخها وتسلسلها التاريخي.

تعتمد دراسات المناطق عموما على جانبين هامين، هما الفيلولوجيا والتاريخ، سواء منها المناطق الإقليمية، مثل آسيا الوسطى وإفريقيا والشرق الأدنى وجنوب شرقي آسيا وآسيا الشرقية والقوقاز وأمريكا والبلدان العربية، وداخل آسيا وشمالها والشرق الأقصى وشمال إفريقيا والعالم الإسلامي، وغيرها من المناطق أو البلدان

المذكورة في المؤتمرات، مثل الهند ومصر وإيران والصين واليابان وتركيا واليونان وكوريا وفارس ومدغشقر وأفغانستان والأناضول وغيرها من البلدان الشرقية أو الشعوب المدروسة، من مثل العرب ونصارى الشرق واليهود والبربر والتاميل والتتار والعثمانيين، أو حتى جوانب أخرى مثل الفنون والدين والعادات والفلكلور والفلسفة وما إليها من موضوعات أخرى.

يبرز التاريخ الديني في هذه المؤتمرات أيضا، وقد وجدت لجنتان في تاريخ المؤتمرات، تتحدثان عن تاريخ الدين، كما أن الشعوب النصرانية المذكورة، تم التعرض لتاريخها وتاريخ انتشار الديانة فيها، من مثل نصارى الشرق واليونان والأرمن وغيرهم. وتم تناول تاريخ الكتاب المقدس، القديم منه والجديد، والكتاب المقدس القديم، يتعلق كذلك بتاريخ اليهود واليهودية، التي لقيت الاهتمام بها أيضا. كما تتبع تاريخ لغتها العبرية، وتاريخ فلسطين، وعلاقة اليهود بها.

من ناحية أخرى، فإن جل الأبحاث التي تعنى بالتاريخ، شملت أنواعه المختلفة: التاريخ العام والاجتماعي والسياسي والثقافي، بل حتى الفيلولوجي والعرقي. وبهذا، تظهر الأهمية الكبرى التي وجهت للجانب التاريخي في أبحاث مؤتمرات المستشرقين العالمية، بحيث إنه لا غنى لها عن البحوث الاستشراقية. بل إن اللجان التي تتناول الاستشراق بالدرس، قد اهتمت بتاريخ الاستشراق والأطوار التي مر بها، كما أن البحوث التي تلقى حول المدارس الاستشراقية، لا بد من أن تتناول تاريخ مسارها كذلك.

من هنا يتبين لنا أهمية التاريخ والدراسات التاريخية في مؤتمرات المستشرقين العالمية .

-أصول الشعوب العرقية: ما من شعب يتناوله المستشرقون بالدرس في المؤتمرات، إلا وتطرقوا لأصوله العرقية وصفاته الإثنولوجية. فمنذ انطلاق المؤتمرات، وبداية من المؤتمر الأول، تم تناول الشعب الياباني بصفة خاصة، والشعب الصيني فالكوري والهندي والتركي والقوقازي، وغيرها من الشعوب، بالدرس والتحليل، قصد معرفة خصائصه الإثنية وأصوله العرقية. وكذا كان الأمر مع جل الشعوب الأخرى، التي درست، كالآريين والعرب والمالاويين والأرمن وغيرهم. وهي معايير يتم تصنيف الناس وفق أسسها. ومن ثم ظهرت

الخصومات حول أي جنس من الأجناس هو الأرقى، ولا سيما بين الجنسين السامي والآري. ويذهب العديد من المستشرقين إلى القول برقي الجنس الآري، إلا أن الخصومات داخل الجنس الآري نفسه، قامت حول نوعية العرق الأسمى، حتى إنها تسببت أحيانا في قيام حروب بين الشعوب الغربية، وقد قوي هذا الأمر وهذه الأبحاث في القرن التاسع عشر، ومن ثم دخلت هذه الدراسات لدى المستشرقين أنفسهم، وطبقوا تلك الإجراءات على شعوب الشرق، وتعمقت بصفة خاصة، خلال المؤتمرات الأولى.

– المقومات الحضارية: تناولت المؤتمرات المجتمعات ذات الحضارات العريقة، بالتحليل، من مثل الفرعونية والآشورية. وهذه يتم الكشف عنها وتحليل مقومات وأصول نموها وعلو نجمها. كما سعت المؤتمرات إلى الكشف عن جل الحضارات القديمة والمعاصرة، ولاسيما تلك التي لم تتصادم مع الغرب، من مثل اليابان والصين والهند وفارس وبابل. كما درست مقوماته الحضارة الإسلامية كذلك، ومنها العثمانية. وهذه الحضارة، يتم التقليل من قيمتها وقدرها، ولاسيما في مؤتمرات ما قبل التاسع والعشرين. والسبب في ذلك أن هذه الحضارة كانت لها مصادمات وصلت حد الحروب والصراع حول الأراضي، سواء في أوروبا أو في الشرق، ولاسيما مع العثمانيين، ومن هنا، وجهت لها جل عوامل التشويه الحضاري، وهو ما لا نراه مع الحضارات الأخرى، التي بالغوا في الإعلاء من شأنها.

من جهة أخرى، تمت دراسة مقومات الحضارات من لغات وتاريخ وآثار وفنون وثقافة ودين وآداب وفلسفة وفلكلور ومجتمعات. كما تمت دراسة الصراعات الثقافية وصلاتها، والصلات اللغوية بينها أيضا، وطرحت علوم ومعارف عدة، تعد من مقومات الحضارات. كما طرحت مسألة الهوية الثقافية.

أما عن مقومات الحضارة في العصر الحديث، فينظر المستشرقون دوما إلى كيفية نشر الخصائص الغربية بين الشعوب الأخرى، بحجة تمدينها وتحضيرها، وإن لزم الأمر استعمارها واستعبادها. ويظهر ذلك منهم عند دراسة الشعوب الآسيوية والإفريقية، ولاسيما تلك التي لا تزال تعيش حياة بدائية.

تلك هي أهم المرتكزات التي تقوم عليها جل دراسات المستشرقين في المؤتمرات. وهي كما نرى، تهتم بصفة عامة، بالعتيق والقديم، لذا نراها من خلال الجداول، في المؤتمرات الأولى والوسطى بصفة خاصة. ونراها تعود في المؤتمرات المتأخرة أواخر الثمانينيات .

أما أواخر الستينات وأوائل السبعينات، فنجد أن هناك مزجا بين الدراسات العتيقة والدراسات الحضارية المعاصرة. وقامت ساعتها محاولات للاهتمام بالقضايا الحضارية المعاصرة: ففي المؤتمر الثلاثين طرحت قضايا وموضوعات معاصرة، ولاسيما في جانب الندوات، وكان ذلك في مكسيكو سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، كما أنها تظهر واضحة في مؤتمر طوكيو الحادي والثلاثين سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، إذ نجد فيه لجانا وموضوعات وندوات جديدة.

وبعد مؤتمر طوكيو، عادت مؤتمرات "همبورغ" الثاني والثلاثين، سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، وتورنتو الثالث والثلاثين، سنة ١٩٩٠م (١٤١١هـ)، وبودابست الخامس والثلاثين سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، للمزج بين القديم والحديث، في حين لا يمكن الحكم على المؤتمر الرابع والثلاثين، سنة ١٩٩٣م (١٤١٣هـ)، لعدم نشر وقائع أعماله، لكن سيأتي أن رئيسه دعا إلى التمسك بالأصول التي قامت عليها المؤتمرات[1]، وهو ما يوحي بأن الخلط بين القديم والجديد هو الذي تم في المؤتمر ذاك.

تلك هي أهم السمات النوعية والخصائص المميزة للجان والموضوعات المختلفة، في مؤتمرات المستشرقين العالمية .

---

(1) سيرد ذلك ص ٣١٩ - ٣٢٠ من الرسالة.

المبحث الثالث: ندوات المؤتمرات وحلقاتها الدراسية

تنعقد على هامش مؤتمرات المستشرقين العالمية، دراسات جماعية، يفرغ في أثنائها المؤتمرون من اجتماعات اللجان ليحضروها. وقد مرت مثل هذه الظاهرة بمرحلتين اثنتين، تمتد الأولى من نشأة المؤتمرات حتى المؤتمر الخامس والعشرين الذي انعقد في موسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، وتشمل الثانية ما تبقى من المؤتمرات حتى يومنا هذا.

أما الفترة الأولى فتنقسم هي كذلك لشقين، ما قبل المؤتمر الثاني عشر المنعقد في همبورغ سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، وما بعده. أما الشق الأول فلم تكن تعقد في أثنائه جلسات جماعية مخصصة للدراسات والمباحثات، وأما الثاني فانطلقت فيها مثل هذه البحوث والجلسات. وأما المرحلة الثانية فقد اعتمدت الجلسات الجماعية أساسا من الأسس البحثية، لكنها دققت في المسميات، وأضحت تسمى ندوات أو حلقات دراسية أو جلسات وغيرها من المسميات.

وتكمن الأهمية العلمية لمثل هذه النوعية من الدراسات، في أنها تضم معظم الحضور، أو من شاء منهم، للاستماع لمحاضرة أو أكثر، تدور حول موضوع موحد، ذي أهمية وفائدة قيمة بالنسبة للتوجهات الاستشراقية، وللحضور من المستشرقين أو غيرهم، أو المعنيين بالموضوعات المتنوعة والمختلفة، التي تحتويها الجلسات الجماعية.

ويلقي هذا المبحث بسطة عن كل نوع من الفترتين، مبينا الفروق بينهما، كما يقدم الموضوعات العامة التي تم تناولها في تلك الجلسات الجماعية، سواء الأولى منها أو الثانية.

١ – الجلسات الجماعية العامة:

بتفحص وقائع أعمال المؤتمرات، نجد أن بوادر هذه الظاهرة، انطلقت من المؤتمر الثاني عشر، والذي انعقد في روما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ). أما ما قبله، فلم تكن قد تخصصت فيه جلسات جماعية للتباحث الدراسي، بل كانت تلك

الجلسات لمناقشة أمور تتعلق عادة بشؤون المؤتمرات وبالاستشراق عموما في أحيان كثيرة.

أما الصفة العلمية الواقعية، فلم تبدأ إلا مع المؤتمر الثاني عشر، وكانت بروما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ). وكانت تلك الاجتماعات تحمل مسمى "جلسات اللجان العامة الموحدة Seances generales des sections reunies"[1]. وانعقدت أيام السابع والثامن من أكتوبر صباحا، ويوم الثالث عشر من الشهر ذاته، في جلستين صباحية ومسائية، والأخيرة يوم الرابع عشر صباحا. وهذه الجلسات كانت متنوعة الموضوعات، ألقاها متخصصون في ميادين استشراقية مختلفة، بحسب تخصصاتهم.

ونجد لأول مرة كلمة "مداولة Conference"، ترد في المؤتمر الرابع عشر، المنعقد سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ) بالجزائر، وقد عقدت لسماع محاضرة حول الموسيقى العربية للمستشرق "رواني Rouanet"[2].

وفي المؤتمر الخامس عشر بكوبنهاجن سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)، أقيمت مثل هذه الاجتماعات تحت مسمى "جلسات اللجان العامة Seances des sections reunies"[3]، يوم السابع عشر من أغسطس (العشرين من رجب)، وكانت لسماع دراسات متنوعة أيضا. وكذا كان الأمر في المؤتمر السادس عشر بأثينا، سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، إذ انعقدت فيه ثلاثة اجتماعات عامة، أيام الثامن والتاسع والعاشر من إبريل (الحادي والعشرين والثاني والعشرين والثالث والعشرين من ربيع الآخر)، ألقيت خلالها بحوث متعددة أيضا[4].

أما مؤتمر بروكسيل، العشرون، سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، فقد عقدت فيه

---

[1] Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - premiere partie - pp. CCXXII - CCLVIII .

[2] Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - T1 -pp. 89-91.

[3] Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - p. 78.

[4] Congres International des Orientalistes - XVIeme Session - Athenes - 1912 - 2eme partie - pp. 41- 48.

جلستان جماعيتان عامتان، خصصت الأولى لسماع محاضرتين[١]، والثانية لسماع محاضرة مع عرض شريط سينمائي، حول مكتشفات أثرية في أفغانستان[٢].

وفي المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، أقيمت ثلاث جلسات عامة، أولاها يوم الخامس والعشرين من يوليو (التاسع عشر من رمضان)، وتمت لتخليد الذكرى الخمسين لتأسيس المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، والذي أقيم في "سايغون Saigon"، سنة ١٨٩٨م (١٣١٦هـ)[٣]. أما الثانية، فكان محورها نقل النقوش الحديثة، وأثرها في ميدان دراسة الشرق الأدنى[٤]، والثالثة تمت بمناسبة الذكرى الألف للعالم العربي البيروني[٥].

وفي إستانبول، سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، أقيمت جلستان عامتان في مؤتمر المستشرقين الثاني والعشرين، تتعلق الأولى بدراسات إسلامية متنوعة[٦]، وتتمحور الثانية حول موضوعات مختلفة من الدراسات الآسيوية[٧].

وأخيرا، وفي كامبردج سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، وهو المؤتمر الثالث والعشرون، عقدت ثلاثة تجمعات عامة، تمت الأولى منها لسماع محاضرة لـ"برسن Pearson"، حول "دور المكتبة في الدراسات الشرقية The role of Library in Oriental studies"[٨]، والثانية كانت مفتوحة، وتتعلق بـ"التاريخ والاستشراق History and Orientalism"[٩]، واستمع الحاضرون لمحاضرة للمستشرق البولندي "ستيفن سترالتسين Stefan Strelcyn"، وعنوانها "عشر

---

(1) Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 - p.35.
(2) Ibid. p.35.
(3) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 27.
(4) Ibid. p. 27.
(5) Ibid. pp. 28 - 32.
(6) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 - pp. 66 - 99 .
(7) Ibid. pp. 100 - 128 .
(8) Proceeding of the Twenty-Third International Congress of Orientalists - Cambridge - 1954 - Germany - Kraus Reprint - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - p. 34 - 42.
(9) Ibid. pp. 42 - 43.

سنوات من الدراسات الاستشراقية في بولنـــدا الشــعبية Dix ans d'Etudes Orientales en Pologne Populaire"[1].

ذاك ما تم طرحه من اجتماعات عامة، تحت مسمى جلسات جماعيـــة، فـــي مؤتمرات المستشرقين العالمية. وهي تمتاز بشموليتها وعموميتها، وعدم تحديدهــا لموضوع معين، يكون محور الدراسات، عدا ما خصصته البعض منــها لســماع محاضرة واحدة خلال الجلسة.

من جهة أخرى، لا يتضح الغرض من عقد مثل هذه الجلسات في هذه الحقبة الزمنية، لكن يبدو أن الفرقة التي نتجت عن تعدد اللجان وتباينها وتنوعها، كــانت قد أخلت بإحدى الغايات التي أقيمت من أجلها المؤتمـــرات، ألا وهـــي تعــارف الباحثين والعلماء بعضهم ببعض، ولاسيما أصحاب التخصصات المتباينة، فلعلــه رئي أن هذه الجلسات قد تخفف من ذلك التباعد، وتساعد في تحقيق ذاك الغرض. كما من شأن هذه الجلسات أن تفتق الأذهان على معارف وأفكــار أخــرى، بــل وميادين ونقاشات وحوارات أخر، كي تتنامى المعارف الاستشراقية لدى الجميــع، ولا يتقوقع كل باحث في تخصصه البحت.

ويبدو أن هذه النوعية من الدراسات أثبتت جدارتها، لذا، نجدها تأطرت فــي المؤتمرات اللاحقة، ونظمت أكثر، واتخذت أشكالا أخرى أكثر تنظيما، وأصبحت لا تكاد تنفك عنها، وهذا ما سيتضح فيما يلي.

٢ – الندوات والحلقات الدراسية:

انطلاقا من المؤتمر الســـادس والعشـــرين بنيـــو دلـــهي، ســـنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـــ)، اتخذت الجلسات الجماعية أشكالا أكثر تنظيمـــا، وخصصـــت لـــها أوقات وحصص خاصة بها، وأطلقت عليها مسميات دقيقة ومتنوعة من مثل:

– Symposium: وهي ندوة يتحدث فيها مجموعة من المتكلمـــين عـــن موضوع معين، أحاديث قصيرة.

– Conference: وهي مداولة حول موضوع ما.

---

(1) Ibid. p. 43 .

- Colloquium: جلسة يقيمها جماعة لمناقشة موضوع ما باستفاضة.

- Seminar: وهي حلقة دراسية تتباحث موضوعا ما.

- Panel: وهي ندوة حوارية، تتم فيها مناقشة عامة حول موضـــوع مـــا، يديرها شخص أو أكثر.

في مؤتمر نيو دلهي، سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـــ)، عقدت ندوتان اثنتان، تتعلق الأولى بدور الدراسات الشرقية في المعارف الإنســـانية Role of Oriental Studies in the Humanities [١]. أما الثانية فتتعلق بالتحولات فـــي القـــانون الشخصي عند المسلمين Changes in Muslim Personal Law [٢].

وهكذا تواصلت الندوات والجلسات الجماعية. ففي مؤتمر آن آربـــور ســـنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـــ)، نظمت فروع أربعة من الندوات الحواريـــة، ودام عملـــها خلال كامل الأسبوع، أيام المؤتمر، وسميت الندوات أ وب وج ود. وقد عقدت كل واحدة منها أربع جلسات، أيام الرابع عشر والخامس عشر والسابع عشر والثـــامن عشر من شهر أغسطس (العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر مـــن جمادى الأولى)، مساء، ما عدا Panel D، فكانت خلال الأيام الثلاثـــة الأولـــى المذكورة. وتناولت بالتحليل الموضوعات عدة[٣].

وفي المؤتمر الثامن والعشرين بكمبيرا سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـــ)، عقـــدت ثماني حلقات دراسية[٤]. كما عقدت على هامش المؤتمر نفسه أربع ندوات أخـــرى تتعلق بموضوعات متنوعة[٥].

كما نظم الاتحاد العالمي للمكتبيين الشرقيين International Association Of Orientalist Librarians (IAOL)، مجموعة من الحلقـــات الدراســـية[٦]،

---

[1] Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - pp. 65 - 78 .

[2] Ibid. pp. 79 - 101 .

[٣] توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ - أولا - ص ٦٩٣.

[٤] توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ - ثانيا - ص ٦٩٥.

[٥] توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ - ثالثا - ص ٦٩٦.

[6] Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - pp. 297 - 300.

وكذلك اتحاد مؤرخي ما قبل تاريخ الشرق الأدنى Far-Eastern Prehistory (FEPA) Association [1].

وفي المؤتمر التاسع والعشرين بباريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، عقدت جلستان دراسيتان وخمس حلقات دراسية[2].

وعقدت في المؤتمر الثلاثين بمكسيكو سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، عدة ندوات أيضا[3].

وفي مؤتمر طوكيو الحادي والثلاثين، سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، نلحظ وجود نوعين من التجمعات العامة أيضا، وهما:

- الحلقات الدراسية Seminars.
- الجلسات الدراسية Colloquia.

وانقسمت الحلقات الدراسية إلى فئتين أ و ب، عقدت الأولى ست جلسات، فيما جلست الثانية مرتين. أما الجلسة الدراسية، فقد عقدت جلستان اثنتان أ و ب[4].

أما الحلقة الدراسية ب، فقد خصصت للدراسات اليابانية[5].

وبالنسبة للجلسة الدراسية، فتمت تحت عنوان عام:

Exchange of Information on source materials publications, and Academic Organizations.

تبادل المعلومات حول المصادر المادية والمنشورات والمنظمات الأكاديمية[6].

ولوفرة الدراسات فيها، قسمت هذه الجلسة الدراسية إلى فرعين: Colloquium A[1] و Colloquium B[2]، دون أن يعين لكل منها عنوان فرعي، كما فعل مع السابقتين.

---

(1) Ibid. pp. 301 - 303.

(٢) توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ - رابعا - ص ٦٩٦.

(٣) توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ - خامسا - ص ٦٩٧.

(٤) توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ - سادسا - ص ٦٩٨.

(٥) توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ - سابعا - ص ٦٩٩.

(6) Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - Vol. II - p. 1087 .

وفي المؤتمر الثاني والثلاثين، سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ) بهمبورغ، جاءت الندوات الجماعية تحت اسم Panels، وقد تقرر عقد ست عشرة جلسة فيها، إلا أن الجلسة الخامسة منها لم تنعقد، فيما تمت الجلسات الحوارية الأخرى[٣].

وإذ لا يتبين الأمر عن المؤتمرين الثالث والثلاثين بتورنتو سنة ١٩٩٠م (١٤١١هـ)، والرابع والثلاثين بـ"هونج كونج" سنة ١٩٩٣م (١٤١٣هـ)، لعدم التمكن من الحصول على وقائع أعمال الأول، ولعدم نشر ذلك بالنسبة للثاني، فإن عدد الندوات نقص كثيرا في مؤتمر بودابست الخامس والثلاثين، لسنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، وكانت تحت مسمى "Symposia"، وكانت منهما اثنتان خاصتان، واحدة خاصة بالاتحاد العالمي للمكتبيين الشرقيين (IAOL)[٤]، وأخرى خاصة بـ (CIEPO)[٥]، وثلاثة عامتان[٦].

تلك هي مسيرة الجلسات العلمية الجماعية، التي تمت في مؤتمرات المستشرقين العالمية. ونرى أنها تنامت عبر الزمن، وأصبح لها صيت وهيمنة في المؤتمرات الأخيرة، باستثناء الأخير الذي لا يمكننا التعرف على إمكان حدوث تقهقر في عدد من الندوات الجماعية، أو شذوذ عنها، لعدم توفر المعلومات عن المؤتمرين السابقين له.

إن الصيت الذي أخذته الجلسات الجماعية، بعد أن كانت عبارة عن بضعة كلمات تلقى على المسامع، أنها أضحت لها جلسات مخصوصة ولقيت عناية مميزة، وتنامت عبر الزمن لتصل في المؤتمر الثاني والثلاثين بهمبورغ إلى ست عشرة ندوة، وقد يكون ذلك لما حققته من نجاحات ساعتها، إذ جاءت فجأة فغيرت بعضا من نمط المؤتمرات. لكن ما لاحظته في مؤتمر بودابست الذي شهدت

---

(1) Ibid. Vol. II - pp. 1087 - 1106 .

(2) Ibid. Vol. II - pp. 1106 - 1130 .

(٣) توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ – ثامنا – ص ٦٩٩.

(4) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 - Programme - p. 65 .

(5) Ibid. p. 66 .

(٦) توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ – تاسعا – ص ٧٠١.

أعماله، أن الهالة التي قامت حول الجلسات هذه والدعوات التي نادت بها، ليست كما هو متوقع منها، فقد حددت لجلسات الندوات هذه أوقات متوازية مع دراسات اللجان، وخصص برنامج لا يختلف عن مسار اللجان العلمية، ولم تكن مؤهلة بتوقيت يسمح لمن أراد من الجموع حضور دراساتها، بل قد لا يزيد من شهد جلسة إحدى الندوات عن العدد في اللجان الأخرى، إذ قد تكون هناك دراسة في لجنة أهم من تلك التي تعرض في الندوات. لقد عوملت الندوات كمعاملة اللجان.

فإذا كانت الجلسات الجماعية بهذه الطريقة فقد فقدت الأهمية التي وضعت من أجلها، ولاسيما أنها في أول انبعاثها كانت تخصص للجميع، بحيث تعطل أعمال اللجان أثناء انعقادها، أما إذا كان الأمر شاذا في مؤتمر بودابست، فالمهم أن هذا النوع من النشاط في المؤتمرات، لا يزال ثابتا، ولعل الأمر يتضح لاحقا من خلال المؤتمرات القادمة.

المبحث الرابع: جلسات المؤتمرات الختامية

يتم التعرف على هذا النوع من الجلسات بدراسة أهميتها من ناحية ومسارها العام ومحتوياتها من ناحية أخرى. وبهذين الجانبين تتضح السمات المميزة لهذه الجلسة.

١- أهميتها:

بعد انتهاء جلسات المؤتمر الدراسية والعلمية تنعقد الجلسة الختامية، التي لا تقل أهمية عن سابقاتها، ولاسيما أن لها أهميتها الخاصة إذ هي تمثل عصارة المؤتمر. وتكمن أهمية الجلسة الختامية لأي مؤتمر في كونها يتم من خلالها عرض نتائج الجلسات، وما اتخذ من قرارات، إضافة إلى اختيار مكان المؤتمر اللاحق، وبيان ما قد يتخذ من إجراءات من أجل تطوير مسار المؤتمرات، وتنمية الدراسات الاستشراقية. وهذه كلها تعبر عن خلاصة جلسات متلاحقة ومتعددة، خلال أسبوع كامل هو مدة انعقاد مؤتمر واحد.

٢ – مسارها العام ومحتوياتها:

تحتوي الجلسات الختامية على جوانب عدة، فهي على شاكلة الجلسة الافتتاحية، غير أنها توديعية، وقصيرة، لكنها تضم عدة جوانب يمكن الحديث عنها بإيجاز فيما يلي:

أ – إعلان القرارات العامة المتعلقة بالاستشراق: كثيرا ما تدعو المؤتمرات إلى اتخاذ إجراءات معينة، تهتم بتنمية الاستشراق وتطوير مساره ودراساته، كتكوين مؤسسات[1]، أو المحافظة على موروثات تاريخية[1]، أو دعم مراكز

---

[1] من ذلك على سبيل المثال: Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol2 - p. 820، فيه دعوة إلى تكوين هيئة مهمتها نشر الفلكلور الشرقي.

استشراقية[٢]، وغيرها من القرارات المتعلقة بالاستشراق والدراسات الاستشراقية، والتي سيرد الحديث عنها في أماكن عدة في هذا البحث، وهذه الدعوات قد تلقى آذانا صاغية، وقد تبقى حبرا على ورق، حسب نوعية الدعوة وكيفيتها، ولمن يتم توجيهها.

هذه القرارات يتم التصويت عليها، وما وافق عليه الأغلبية، يتم تمريره. أما ما لم يحصل على موافقة الأغلبية، فيتم رفضه وعدم إقراره، كما أن بعض القرارات ترسل لمسؤولين لدراستها والبت فيها[٣].

ب – إعلان التوصيات الخاصة بالمؤتمرات: مرت مؤتمرات المستشرقين العالمية بحالات تطويرية عدة، تتعلق بمسارها وكيفية انعقادها، وقوانينها وأنظمتها، بل حتى في مسمياتها كذلك[٤]. تلك القرارات تعلن في الجلسة الختامية، ويتم البت فيها. كذلك شأن طباعة أعمال المؤتمرات[٥]. وكل هذه القرارات يتم إقرارها بعد التصويت عليها.

ج – تقرير السكرتارية العامة: يشمل مثل هذا التقرير عادة ملخص مجريات أحداث المؤتمر، ومسار جلساته ولجانه المختلفة، إضافة إلي ما اتخذته كل لجنة من قرارات وأعلنته من آمال، ويوضح ما أجيز منها ليعرض في الجلسة الختامية.

د – تقرير اللجنة التنظيمية، أو الاستشارية: كانت التقارير تقدم باسم اللجنة التنظيمية قبل ظهور الاستشارية، ثم انفردت الاستشارية بتقديم مثل هذا التقرير. ولا تقدم هذه التقارير دائما، إذ قد ينوب عنها تقرير السكرتارية العامة، ولا

---

[١] من ذلك على سبيل المثال: Congres International des Orientalistes - XVIeme Session - Athenes - 1912 - 1ere partie - pp. 183 - 184 .، ففيه توصيات تتعلق بجمع المواد التراثية والأثرية البيزنطية، وتخصيص مكان خاص بها.

[٢] يمكن الاطلاع على هذا التوجه مثلا، ص ٥٤٦ من الرسالة.

[٣] مثل التوصية السابقة في المؤتمر السادس عشر، إذ وجه الاقتراح للحكومة اليونانية لتخصيص متحف للآثار البيزنطية الموزعة هنا وهناك، وتجميعها فيه. ومثل هذا كثير في كثير من جنبات المؤتمرات، ولاسيما الأولى منها.

[٤] سبق طرق هذا الموضوع ص ١٧٧ من الرسالة فما بعدها، وكذلك ص ٣٣٧ فما بعدها.

[٥] هذا الموضوع سيتم الحديث عنه ص ٢٠٧ من الرسالة فما بعدها.

يختلف كثيرا عنه، إلا أنه قد يزيد بإلقاء أضواء أخرى على نشاط اللجنة المعنية بتقديم التقرير.

هـ – تقرير المحاسب المالي: يعرض المحاسب تقريره المالي، وذلك بعد أن توافق اللجنة التي يعينها المؤتمر لتفحص حساباته وللتأكد من صحة بياناته، ويبين فيه المصاريف والمداخيل، وما فضل منها، وكيفية تحديد مكان صرفه.

و – إعلان مكان انعقاد المؤتمر اللاحق وزمانه: يعلن عادة عن مكان انعقاد المؤتمر اللاحق وزمانه، بعد أن تقدم طلبات الدول المستضيفة، إذ يتم الاختيار بينهما، وإن لزم الأمر يتم ذلك عن طريق الانتخاب. فإن تعذر الاختيار، يوكل الأمر للجنة تبت في الأمر وتعلن عن اتخاذ القرار لاحقا. كما كان الجموع يقترعون على اختيار البلد المقبل إن تعددت الدعوات. هذه الإجراءات كانت في المؤتمرات الأولى. أما المسار الحالي فيتمثل في أن اللجنة الاستشارية العالمية هي التي تختار البلد في اجتماعاتها التي تعقدها أثناء المؤتمر، ويكتفي الحضور بسماع قرارها النهائي في الجلسة الختامية.

ز – كلمة مندوب البلد المستضيف للمؤتمر اللاحق: بعد أن يتم اختيار البلد المستضيف، يلقى مندوب ذلك البلد عادة، كلمة ترحيبية وشكرية، مبينا الأسباب التي دعت بلده للدعوة لاستضافة المؤتمر، وما يمكن أن يقدمه بلده من خدمات وتسهيلات في هذا المجال.

ح – توزيع الميداليات المرصودة والجوائز التقديرية: تضع بعض المؤسسات ميداليات أو جوائز ترصدها لأفضل العاملين أو أرقى الأعمال الاستشراقية، التي يتم إنجازها في هذا المجال. وفي المؤتمر الأول، تم تكريم العديد من العاملين والمساهمين في الدراسات الاستشراقية، وقدمت لهم ميداليات وجوائز [1].

أما أشهر ميدالية تقدم لأفضل بحث في الدراسات الاستشراقية، فهي ميدالية "ليدزبارسكي"، تقدمها "جمعية المستشرقين الألمان"، التي انبثقت عنها جمعية "مؤسسة ليدزبارسكي"، وانطلقت منذ المؤتمر الثالث والعشرين بكامبردج سنة

---

(1) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - T1 - pp. 56 - 59.

١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)[١]، والبحوث المعنية بهذه الميدالية هي من منجزات الفترة الفاصلة بين مؤتمرين.

كما رصدت ميدالية أخرى متأخرة عن السابقة بزمن، وهي ميدالية "جورجيو ليفي ديلا فيدا Georgi Lyvi Della Vida "، أعلن عنها انطلاقا من المؤتمر الثامن والعشرين بكمبيرا سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ)، وأعلن أن العمل بها بدأ منذ ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، وتقدم كل سنتين لأفضل عمل استشراقي، ويشرف عليها مركز الشرق الأدنى التابع لجامعة كاليفورنيا. وفي مؤتمر كمبيرا، قدمت الجائزة الثالثة منها[٢]. إلا أنه لم يذكر شيء عن الميداليتين في مؤتمر "بودابست" لعام ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، ولم يتبين هل ما تزالان تقدمان أو توقفتا، أو فك ارتباطها بالمؤتمرات.

ط – تأبين الزملاء المتوفين: يحصل هذا في الجلسة الختامية أحيانا، ما لم يتم ذلك في الجلسة الافتتاحية. ومن المعلوم أنه لا يتم العمل بهذا الأمر في كل مؤتمر، إذ هناك مؤتمرات لم يظهر فيها التأبين سواء في الجلسة الافتتاحية أو الختامية.

ي – الكلمات الختامية: يلقيها عادة مجموعة من المستشرقين والمندوبين، وتكون قصيرة، يتم التنويه فيها بالبلد المستضيف وبإدارة المؤتمر ومسار البحوث فيه وحسن تنظيمه، والدعوة للاستفادة من القرارات والعمل على تنفيذها، وضرورة حسن التعامل معها.

ق – الإعلان عن اختتام المؤتمر: يعلن عنه عادة رئيس المؤتمر أو من ينوب عنه، ونادرا ما يقوم به أحد الساسة أو رعاة المؤتمر.

إلا أن الملاحظ أن المؤتمرات الأخيرة تخلت عن جل هذه الجوانب التي كانت تميز جلسات المؤتمرات الختامية. فقد أصبحت تكتفي بذكر مكان المؤتمر القادم الذي اختارته اللجنة الاستشارية، وزمانه المعين له، وبعض الكلمات من الضيوف المستشرقين أو المندوبين أو الأعضاء الشرفيين، وكلمة للرئيس القادم،

---

(1) Proceeding of the Twenty-Third International Congress of Orientalists - Cambridge - 1954 - pp. 43 - 44.

(2) Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists - Canberra - 1971 - pp. 27 - 28.

الذي أصبح يعرف مقدما، وكلمة الرئيس الحالي. ومثل هذا حصل في الجلسة الختامية للمؤتمر الخامس والثلاثين ببودابست سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، حيث ابتدئت الجلسة بالإعلان عن أن أهم ما في الجلسة الختامية هو الإعلان عن اختيار مكان المؤتمر القادم، وفي كلمة قصيرة للشكر والتهنئة، بمناسبة اختتام المؤتمر ذاك، ألقاها رئيس المؤتمر "جيورجي هازائي .Hazai Gy "، أعلن أن المؤتمر السادس والثلاثين، سيكون في "مونتريال Montreal" بكندا، في العام ٢٠٠٠م، ثم أعطى الكلمة للرئيس القادم، وهو المستشرق الكندي " ش. لو بلان Ch. Le Blanc"، الذي ألقى كلمة شكر فيها هذا الاختيار، ورحب مقدما باسم بلده بالذين سيكونون هناك عام ٢٠٠٠م. ثم أعطيت بعض الكلمات القصيرة لبعض الحاضرين، من المجريين وغيرهم، أعلن بعدها عن اختتام المؤتمر. وفي هذا دليل واضح على فقدان الجلسات الختامية العديد من سماتها القديمة

تلك هي سمات الجلسة الختامية للمؤتمرات، وبه وضحت الأطر العلمية لمؤتمرات المستشرقين العالمية، انطلاقا من الجلسة الافتتاحية التي تكمن أهميتها في أنها مدخل المؤتمر، والجوانب العلمية الدراسية التي هي عصب المؤتمرات، بشقيها اللجان والجلسات الجماعية، وكذلك الجلسة الختامية التي تبين عصارة المؤتمر، وحبل تواصله مع المؤتمر القادم.

الفصل الثالث: المساهمات الشرقية في مؤتمرات المستشرقين العالمية

المبحث الأول: المساهمات الإسلامية

المبحث الثاني: المساهمات غير الإسلامية

المبحث الثالث: مؤتمرات المستشرقين العالمية في البلدان الشرقية

الفصل الثالث: المساهمات الشرقية في مؤتمرات المستشرقين العالمية

توطئة:

تتناول مؤتمرات المستشرقين العالمية الشرق بالدراسة والتحليل. لذا، فلا غرابة أن يكون للشرقيين نصيبهم من التمثيل الرسمي في المؤتمرات. وإذا تحدثنا عن الشرق بصفة عامة، فإن المشاركات الشرقية انطلقت منذ المؤتمر الأول. فذاك المؤتمر خصص معظمه للدراسات اليابانية، ولذا ظهرت فيه بعض المساهمات اليابانية، إدارية منها وعلمية. وقد ترأس السفير الياباني بفرنسا جلسة المؤتمر الثالثة، وهي أولى الجلسات العلمية، إذ الجلستان السابقتان افتتاحيتان. كما أن سفير إيران "نزار آغا" رأس الجلسة الخامسة عشرة من جلسات المؤتمر، وهي المتعلقة بالدراسات الإيرانية، ثم تلاحقت المشاركات الشرقية بصورة تدريجية، إداريا ودراسيا.

كانت المساهمات في المؤتمرات الأولى قليلة، سواء من الناحية الإدارية أو العلمية. إلا أن المشاركات تزايدت لاحقا، وشهدت منعرجا في اتجاه تكاثرها انطلاقا من مؤتمر موسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ). فقد أصبح للشرقيين صوتهم، وأثبتوا وجودهم وظهرت مساهماتهم العلمية، وبرزت مقدرتهم في تبوؤ مراكز إدارية على صعيد المؤتمرات، أدت إلى قيادتهم مؤتمرات عقدت على أراضيهم.

وإذا كان المؤتمر الأول لم تلق فيه سوى بعض المشاركات من الباحثين اليابانيين، لا تكاد تتجاوز عدد أصابع اليد، وكانت على سبيل مداخلات، فإن المؤتمر التاسع والعشرين بباريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، تجاوزت المشاركات العلمية الشرقية فيه ما يفوق أربعمائة دراسة، ضمت جل البلدان الشرقية، وتجاوز مؤتمر طوكيو الحادي والثلاثين سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، هذا العدد بكثير، وهكذا نمت المساهمات الشرقية بتدرج، وتكاثرت في المؤتمرات

المتأخرة، سواء من المسلمين والباحثين من الشرق الأوسط، أو من الشرق الآسيوي والإفريقي عموما.

من جهة أخرى عقدت بعض المؤتمرات في الدول الشرقية. وإذا استثنينا مؤتمر الجزائر، الذي انعقد في العام ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، زمن الاحتلال الفرنسي، حيث كانت الجزائر تعد جزءا من فرنسا، وتولى الإشراف العام عليه آنذاك فرنسيون، فإن كلا من مؤتمر إستانبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، ونيو دلهي سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، وطوكيو عام ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، قام على إدارتها العامة شرقيون من البلدان المضيفة. ولا يتضح الأمر بعد لمؤتمر "هونج كونج"، لعدم نشر وقائع أعماله، لكن رئيسه من أصيلي البلد نفسه، وهو "شيو لنج-يونج Chiu Ling-Yeang".

كذلك تطورت مساهمات الشرقيين في المؤتمرات، لدرجة أن عهد إليهم الإشراف على عقد المؤتمرات. وكان من المقرر أن تنظم إيران أحد هذه المؤتمرات، وذلك في العام ١٩٨١م (١٤٠١هـ)، غير أن الثورة السياسية هناك حولت الوجهة لليابان للعام ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ).

وحيث إن الشرق ممتد شاسع، حسب أبحاث المؤتمرات، فسيبحث الموضوع هذا من ثلاث وجهات:

- المساهمات الإسلامية في المؤتمرات، ويطرق بشيء من التفصيل والتركيز، لارتباطها المباشر بثقافتنا وبيئتنا.
- المساهمات غير الإسلامية في المؤتمرات، وفيه دراسة مشاركة نصارى الشرق، والاستشراق الصهيوني الإسرائيلي، بصفة موجزة. ثم مساهمات الشرقيين الآخرين، وهي عبارة عن إطلالة موجزة عن تطور هذه المشاركات عبر تاريخ المؤتمرات .
- دراسة وصفية للمؤتمرات التي عقدت في البلدان الشرقية.

هذه الجوانب الثلاثة، من شأنها أن توضح درجة مشاركة الشرقيين في المؤتمرات وتناميها عبر الزمن، وأهميتها.

المبحث الأول: المساهمات الإسلامية

تنقسم المشاركات الإسلامية في المؤتمرات إلى شقين: المساهمات في إدارة المؤتمرات والتمثيل الرسمي فيها، سياسيا كان أو علميا، من جهة، والاهتمام بالجانب الدراسي والمعرفي من جهة أخرى. وقد كان للمسلمين أدوار متباينة في هذه الجوانب.

كغيرهم من الشرقيين، كانت المساهمات الإسلامية قليلة جدا ونادرة في المؤتمرات الأولى، وحتى ما يقدم من جهود، ولاسيما العلمية منها، لا ينشر منها إلا ما يروق القائمين على المؤتمر، وكثيرا ما تهمل تلك المساهمات. لكن المؤتمرات الأخيرة أعطت بعض الحظوة للمشاركات الإسلامية، كي ترى النور وتظهر بين دفات وقائع أعمال المؤتمرات، ولاسيما بعد نجاح مؤتمر إستانبول الإداري والعلمي، وتدعيم مؤتمر موسكو للأبحاث الشرقية، بما فيها الإسلامية، التي استفادت من الانشقاق الحاصل بين شقي الاستشراق الغربي والشيوعي، وانبرت تثبت وجودها عن طريق بيان قدرتها على العطاء الكفء، سواء بتحمل المسؤوليات الإدارية أو بتقديم المساهمات العلمية في لجان المؤتمرات وندواته.

١-المساهمات الإدارية والتمثيل الرسمي للمسلمين في المؤتمرات

إذا استثنينا مساهمات الشرقيين الإدارية في المؤتمرات التي انعقدت في بلدانهم، والتي سيأتي الحديث عنها لاحقا، نجد أن المشاركات في إدارة المؤتمرات الأخرى ليست عميقة في عمومها، فقد اقتصرت مشاركة المسلمين والبلدان الإسلامية في معظم المؤتمرات الأولى على الممثلين الرسميين والمندوبين السياسيين. إلا أن هؤلاء كثيرا ما يكونون من الغربيين والمستشرقين، ولاسيما الدول المستعمرة.

أ- المشاركة عن طريق المندوبين والممثلين في المؤتمرات:

تأتي مصر على رأس قائمة المشاركات هذه، إذ نادرا ما يخلو مؤتمر من بعض المندوبين أو الممثلين المصريين، ويتفاوت عدد المندوبين المصريين في المؤتمرات، فقد يقتصر الأمر على مندوبين فقط[١]، وقد يناهز الستة[٢]. كما أن الخديوي محمد توفيق[٣] كان من ضمن اللجنة الراعية لبعض مؤتمرات المستشرقين العالمية[٤]، ولاسيما أن هناك لجنة لا تكاد تنفك عن الوجود إلا نادرا، وهي لجنة الدراسات المصرية، واهتمامها منصب على الفرعونيات بوجه خاص.

تأتي تركيا في المرتبة الثانية من حيث المندوبون والممثلون، والتي لها صيتها ودورها الفعال في المؤتمرات، وكثيرا ما توجد لجنة تحمل اسمها أيضا، وفي حالة ما لم تكن هناك لجنة، تكون هناك موضوعات تتعلق بتركيا، حتى إن ممثليها استطاعوا استضافة المؤتمر الثاني والعشرين[٥]، وهو ما لم تقدر عليه مصر، رغم أنها قدمت طلبات استضافة المؤتمر مرات عدة[٦].

---

(١) مثال ذلك: Proceeding of the Twenty-Third International Congress of Orientalists - Cambridge - 1954 - p. 11.

(٢) من ذلك: Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - T1 - Vol 1 - p. 7.

(٣) هو الخديوي محمد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي (١٢٦٩-١٣٠٩هـ/١٨٥٢-١٨٩٢م). ولد وتعلم بالقاهرة. أحسن العربية والتركية والفرنسية والإنجليزية. تقلد مناصب عدة قبل أن يتولى منصب الخديوية بعد عزل أبيه سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م. أحدث إصلاحات عدة في عهده. تكاثرت الأحداث في عهده، أهمها ثورة عرابي باشا سنة ١٢٩٩م. توفي بالقاهرة.

عن الأعلام للزركلي – ج ٦ – ص ٦٥.

(٤) كان ذلك في المؤتمر الثامن بـ"ستوكهولم وكريستيانا. ورد ذلك في الوثيقة التالية:
Huitieme Congres International des Orientalistes qui siegera a Stokholm et a Christiana – du 2 au 13 Septembre 1889 – Nouvelle Edition – p. 1.

(5) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists-Istambul –1951.

(٦) قدمت مصر طلب استضافة المؤتمر مرات عدة، لكن رفض طلبها دائما، ومن بينها الطلب المقدم في المؤتمر السادس عشر بأثينا سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ):
Congres International des Orientalistes – XVIeme Session – Athenes- 1912 - deuxieme partie – pp. 178 – 179 .

ومنها أيضا الطلب المقدم في المؤتمر الثامن والعشرين بكامبيرا سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ):
Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists – Canberra – 1971 – p. 24.

تليهما إيران، التي سعت ليكون لها دور مميز في المؤتمرات، ولها لجنة تحمل اسمها، وإن كانت أقل وجودا من المصرية والتركية، رغم أن لها أهمية كبرى أيضا، وقد تمكنت من الحصول على موافقة المؤتمرين على استضافة المؤتمر الحادي والثلاثين، إلا أن قيام الثورة السياسية حال دون ذلك.

تأتي بعد ذلك دول شمال إفريقيا، فنجد على رأسها الجزائر ثم تونس فالمغرب، إلا أن الممثلين الأوائل لها كانوا من المستشرقين والمستعمرين، بفعل عامل الاستعمار، ونادرا ما مثلها محليون في المؤتمرات الأولى، ولاسيما الجزائر، التي استطاعت استضافة أول مؤتمر يعقد خارج أوروبا. أما تونس والمغرب، فما لبثا أن أصبح تمثيلهما مشتركا بين المحليين والمستشرقين، قبل أن يصبح ذلك من المواطنين الصرف، ولاسيما بعد الاستقلال.

أما الدول العربية الأخرى، كسوريا ولبنان والعراق، فمشاركاتهما متأخرة، وغير مستقرة، ومثلها في البداية مستشرقون من الدول المستعمرة، ثم ظهر من أهلها من شارك في المؤتمرات ممثلا لها. لكن برز من الممثلين نصارى سوريا ولبنان كما سيأتي. ومن ناحية السودان وليبيا وموريتانيا، فتكاد تكون مشاركتها نادرة جدا، إن لم تكن منعدمة.

وإذا انتقلنا للقارة الهندية، نجد أن المسلمين الهنود كانت لهم مشاركات قليلة عند انطلاق المؤتمرات، ولعل ذلك بسبب الاستعمار، ثم ما لبثوا أن أثبتوا جدارتهم، حتى إن رئيس المؤتمر السادس والعشرين في نيو دلهي، كان عالما مسلما، وهو حميون كبير، كما سيأتي لاحقا. أما الباكستان، فتأخرت مشاركاتها، وهو أمر طبيعي أيضا نظرا للظروف السياسية التي مرت بها، وتأخرت كذلك مشاركات الأفغان في المؤتمرات .

وإذا ألقينا نظرة على بلدان جنوب شرقي آسيا، نجد أن مشاركاتها وتمثيلها الرسمي جاء متأخرا كذلك، لكنها تزايدت بشكل ملحوظ في المؤتمرات الأخيرة.

تلك كانت نظرة متفحصة للمشاركات عن طريق المندوبين والممثلين في المؤتمرات.

ب – المساهمات الإدارية في المؤتمرات:

جاءت المساهمات الإدارية متأخرة كذلك، ومحدودة أيضا، حتى مؤتمرات العصر الحالي. وما أصبح للمسلمين بعض الاعتبار في إدارة المؤتمرات إلا بعد مؤتمر إستانبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، أما قبل ذلك فاقتصرت مشاركاتهم الإدارية في إدارة جلسات علمية معدودة، ولهم مشاركات في بعض اللجان التي كونتها المؤتمرات.

انطلقت مساهمة المسلمين في إدارة بعض جلسات المؤتمرات، منذ المؤتمر الأول سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، الذي ترأس فيه سفير إيران بفرنسا، "نزار آغا" للجلسة الخامسة عشرة، المتعلقة بالدراسات الإيرانية، لزم القفز بعد ذلك إلى المؤتمر التاسع عشر، سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)، لنرى طه حسين يترأس الجلسة الأولى من لجنة الدراسات الإسلامية، وذلك يوم الاثنين الثالث والعشرين من سبتمبر (الخامس والعشرين من جمادى الآخرة)[1]. ويأتي بعده المؤتمر الحادي والعشرون سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، الذي ترأس فيه ثلاثة مسلمين ثلاث جلسات من المؤتمر. ففي لجنة الدراسات الإسلامية، والتي تفرعت إلى أربع لجان مختلفة، رأس الشيخ "محمد الفاضل بن عاشور"[2]، من تونس، جلسة يوم السابع والعشرين من يوليو (الحادي والعشرين من رمضان)، في لجنتها الفرعية الأولى والتي تحمل عنوان "القرآن والعلوم الشرعية". وفي هذه اللجنة الفرعية نفسها، ترأس "الشريف عبد الحي الكتاني"، من المغرب جلسة التاسع والعشرين من يوليو[3] (الثالث والعشرين من رمضان). أما اللجنة الفرعية الرابعة، من الدراسات الإسلامية، والتي تحمل عنوان "الفن والآثار"، فقد ترأس منها "مهدي بهرامي" من طهران جلسة يوم التاسع والعشرين من يوليو أيضا[4].

---

(1) Atti del XIX Congresso Internazionale degli Orientalistic - Rome - 1935 - Germany - Kraus Reprent - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - p. 515.

(2) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 279.

(3) Ibid. - p. 291.

(4) Ibid. - p. 329.

ولعل قمة المشاركات في هذا المجال بلغت أوجها في المؤتمر الثالث والعشرين بكامبردج سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، الذي رأس فيه سبعة من المسلمين جلسات مختلفة، فقد شهدت لجنة الدراسات الإسلامية رئاسة كل من:

– عفيفي إ. إ.، من مصر، جلسة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من أغسطس (الخامس والعشرين من ذي الحجة) المسائية[١].

– محمد خلف الله، من مصر، جلسة الأربعاء الخامس والعشرين من أغسطس (السادس والعشرين من ذي الحجة) المسائية[٢].

– حسن حسني عبد الوهاب، من تونس، جلسة الجمعة السابع والعشرين من أغسطس (الثامن والعشرين من ذي الحجة) المسائية[٣].

كما أن كلا من :

– حسن سليم، من مصر، ترأس جلسة الرابع والعشرين من أغسطس الصباحية، من لجنة الدراسات المصرية[٤].

– سيد حسين تقي زاده من إيران، جلسة السابع والعشرين من أغسطس الصباحية من لجنة الدراسات الإيرانية والأرمينية ووسط آسيا[٥].

– زكي وليدي طوقان من تركيا، جلسة السادس والعشرين من أغسطس (السابع والعشرين من ذي الحجة) الصباحية، من لجنة الدراسات الألطية[٦].

– كورات أ. ن.، من تركيا، جلسة السابع والعشرين من أغسطس الصباحية من لجنة الدراسات الألطية أيضا[٧].

وهكذا تواصلت مشاركات المسلمين في هذا المجال، وشهدت المؤتمرات اللاحقة مشاركات قوية للمسلمين، فقد تغيرت الظروف والأفكار عما كانت عليه في المؤتمرات السابقة.

---

(1) Proceeding of the Twenty-Third International Congress of Orientalists - Cambridge - 1954 - p. 311.
(2) Ibid. - p. 315 .
(3) Ibid. p. 354.
(4) Ibid. - p. 60 .
(5) Ibid. - p. 174 .
(6) Ibid. - p. 207 .
(7) Ibid. - p. 209 .

أما عن المشاركات في اللجان المنبثقة عن المؤتمرات، فلم تظهر إلا في المؤتمرات المتأخرة. وتظهر لنا أولى المساهمات الإسلامية، في لجان المؤتمرات التنظيمية، من المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ). فنجد كلا من "مهدي بهرامي" من إيران، و"رشاد نوري جونتاكين"، من تركيا، و"طه حسين" من مصر، أعضاء في اللجنة الاستشارية العالمية، من ضمن أربعة وعشرين عضوا[١]. ومن أعضائها أيضا، في المؤتمر السابع والعشرين، كل من "محمد خلف الله أحمد"، من مصر، و"سيد حسين نصر" من إيران، و"زكي وليدي طوقان"، من تركيا[٢].

أما المؤتمر الثامن والعشرون، فقد كان من أعضاء لجنته الاستشارية العالمية، "أحمد أ. ف. س." و" فرزاد ح." من إيران، و"كورات أ. ن." من تركيا، و "شنيتي س. م." من الجمهورية العربية المتحدة، و"سويكمونو" من إندونيسيا، و"محمد طيب بن عثمان" من ماليزيا[٣]. ومن أعضائها في المؤتمر الثاني والثلاثين بهمبورغ سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، كل من "فيروز باقرزاده" ويبدو أنه من إيران ومقيم بفرنسا، و"تفضلي أ." من إيران[٤].

ويضاف إلى ما تقدم أن المؤتمر الأخير الذي انعقد بـ"بودابست" بالمجر سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، كان كل من الأمير "الحسن بن طلال" من المملكة الأردنية الهاشمية، والأمير "سعود الفيصل"، من المملكة العربية السعودية، من ضمن رعاة المؤتمر ذاك. وإضافة إلى دوره راعيا للمؤتمر، نزل الأمير "الحسين بن طلال"، عضوا وضيفا شرفيا له. أما أعلى درجة يمكن أن يبلغها مسلم في الإطار الإداري التنظيمي للمؤتمرات، فهو ما تقرر من أن يكون الأستاذ "عبد الجليل التميمي " من

---

(1) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 8.

(2) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - pp. 9 - 10.

(3) Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists - Canberra - 1971 - p. 8.

(4) Proceeding of the XXXII International Congress for Asian and North African Studies - Hamburg - 1986 - p. VIII.

تونس، أحد نواب رئيس المؤتمر السادس والثلاثين، الذي سينعقد بـ"مونتريال" بكندا سنة ٢٠٠٠م (١٤٢١هـ).

تلك كانت أسماء المسلمين الذين أسهموا في عضوية لجنة المؤتمر الاستشارية. وهي كما وضحت ضعيفة نوعا ما، ولم تبلغ درجات عليا في إدارة المؤتمرات التي انعقدت. إلا أنه لا يجوز إهمال كون المؤتمرات هذه إنتاجا استشراقيا غربيا، تهتم بأبحاث غربية استشراقية، تتعلق بالشرق، لذا من البدهي أن يسيطر أصحاب المؤتمر على جل شؤونه الإدارية، وإشراك قلة من الشرقيين، بمن فيهم المسلمون، معهم في إدارة بعض جوانب المؤتمر، لعلها للبرهنة على عالمية المؤتمرات. لكن هذا لا يبرر عدم سعي المسلمين لإثبات جدارتهم وبيان قدرتهم في الإدارة، ومحاولة التغلغل في أطر المؤتمرات الإدارية، وعسى أن تكون خطوة تعيين مسلم نائبا لرئيس المؤتمر القادم نقلة نوعية في هذا الاتجاه.

٢ – المساهمات العلمية: تطورها وطبيعتها ومميزاتها:

إذا كانت المساهمات الإسلامية الإدارية في مؤتمرات المستشرقين العالمية محدودة وذات نطاق ضيق، فإن المشاركات العلمية كانت أهم منها، وشهدت المساهمات الإسلامية العلمية نوعا من الوجود على صعيد المؤتمرات. هذا إذا ما قارناها بالمشاركات الإدارية. أما إذا قابلناها بمساهمات الشرقيين غير المسلمين، فإنها أقل بكثير مما قدمته الطوائف الشرقية الأخرى.

أ – تطور المشاركات الإسلامية العلمية:

مرت المشاركات العلمية الإسلامية في مؤتمرات المستشرقين العالمية، بمراحل عدة، من حيث وجودها وكثافتها. فانطلاقا من المؤتمر الأول، وحتى المؤتمر السادس بـ"ليدن" سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، كانت المشاركات الإسلامية شبه منعدمة، ولم ينشر في وقائع الأعمال أية دراسة علمية قدمها مسلمون، وكان لزاما انتظار المؤتمر السابع حتى تظهر للعيان بعض المساهمات الإسلامية. ففي هذا المؤتمر الذي عقد في "فيانا" سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، نجد مساهمتين

إسلاميتين، نشرت إحداهما، ونص على الأخرى ذكرا فقط. فأما المنشورة فهي لـ"حفني أفندي ناصف" من مصر، وتتعلق بكتاب "مميزات لغات العرب"[١]، وأما الأخرى، فهي لـ"رشاد أفندي"[٢]، ويبدو أنه من مصر أيضا، ومساهمته تتعلق بنظام التعليم في مصر من الفتح العربي حتى العصر الحاضر.

ثم يأتي المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، وكانت فيه مساهمتان إسلاميتان أيضا، لكل من "هرمزد رسام" من إيران، وتتحدث حول المحافظة على الآثار الآشورية والبابلية[٣]، وأحمد باي عكاياف من مصر وتكلم على المعتقدات المزدكية في المنطقة الشيعية[٤]. ثم تكثفت المساهمات الإسلامية بعد ذلك وتلاحقت، فنجد أن المؤتمر العاشر الذي انعقد بـ"جنيف" سنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، شهد عددا من المشاركات بلغت سبعا، وفي الثاني عشر بروما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ) ست، وثلاث في "همبورغ" في المؤتمر الثالث عشر سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، واثنتان في الخامس عشر بـ"كوبنهاجن" سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ). أما المؤتمر السادس عشر بـ"أثينا" سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، فشهد عشر مساهمات، وكذلك السابع عشر بـ"أكسفورد" سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ). وألقيت في المؤتمر الثامن عشر اثنا عشرة مشاركة، وكان ذلك في "ليدن" سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ). وشهد الأمر تراجعا في المؤتمر التاسع عشر، إذ لا نجد فيه سوى خمس مشاركات، وهو مؤتمر "روما" لسنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ). وفي مؤتمر "بروكسيل" العشرين، سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، نجد ثماني مشاركات.

ونجد انتعاش ظهرت في المؤتمر الحادي والعشرين بـ"باريس" سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، إذ قفزت مساهمات المسلمين إلى ثنتين وعشرين مشاركة، وارتفعت في مؤتمر "كامبردج" سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، وهو الثالث والعشرون، إلى سبع

---

(1) Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - 26.
(2) Ibid. - p. Vol1 - T1 - p. 28.
(3) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. XXXV and Vol2 - pp. 187 - 189 .
(4) Ibid. - p. Vol1 p. XXXIX and Vol2 - pp. 505 - 514 .

وعشرين مساهمة. وكانت المساهمات بالمؤتمر الرابع والعشرين بـ"ميونيخ" سنة ١٩٥٧م (١٣٧٧هـ)، كثيرة قياسا بغيرها، إذ بلغت إحدى وخمسين مشاركة. وارتفع العدد ذاك في "آن آربور" سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، وهو السابع والعشرون ، فوصل إلى ثلاث وستين مساهمة، وانحدر العدد إلى ثماني وثلاثين في المؤتمر الثامن والعشرين بـ"كمبيرا"، سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ). لكنه ناهز الخمس والسبعين في مؤتمر باريس التاسع والعشرين سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، ونزل مرة أخرى إلى اثنتين وعشرين مشاركة في المؤتمر الحادي والثلاثين بـ"همبورغ" سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ).

تلك إذن العوامل التي أدت إلى تفاوت المساهمات الإسلامية بخاصة، والشرقية بعامة، بحيث أضحت تتكاثر، بعد أن كانت لا تكاد تذكر. هذا إضافة إلى عوامل أخرى مساعدة، فقد تيسر النقل أكثر من ذي قبل، وأضحى التحول إلى أي بلد أوروبي أو غيره من الدول الغربية، أو حتى الشرقية، حيث ما يعقد المؤتمر ميسورا، كما أن الأزمة الخانقة التي مرت بها أوروبا، ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية ، مقابل الانتعاش التي ظهرت في الشرق، جعلت الشرق يشارك الغرب حتى في استضافة المؤتمرات.

ب – طبيعة المساهمات الإسلامية:

إذا تطلعنا إلى طبيعة المساهمات الإسلامية، نجدها تنوعت تنوعا كبيرا. وإذا حاولنا تصنيفها، بحسب درجة الاهتمام، فنجدها إجمالا توزعت على نحو سبع وستين موضوعا. أما تفصيلا، فقد كان هناك واحد وخمسون وستمائة موضوع تم طرقها من المجموعات التي تم فحصها، واعتمادا على منشورات أعمال المؤتمرات، باستثناء المؤتمرات التالية: الثلاثين، لأن ما حصلت عليه هو منشورات الندوات فقط، والمؤتمر الرابع والثلاثون والمؤتمر الخامس والثلاثون، لعدم نشر وقائع الأعمال بعد.

بالتركيز على الموضوعات الإجمالية نجد أن النسبة الأعلى من البحوث تركزت حول البلدان والمدن والمناطق الجغرافية، تليها السير والتراجم والشخصيات، فالأدب ثم الحركات والفرق والملل والنحل، وهكذا.

أما من الناحية التفصيلية، فكانت قمة الموضوعات تلك التي تتعلق بالدراسات التاريخية، وبلغت ستا وخمسين دراسة، فالسياسية وفيها سبع وأربعون، ثم الأدب العربي وله ثماني وثلاثون، فالمصنفات والمصادر وفيها سبع وثلاثون، ثم إيران، أربع وثلاثون، فالهند، ثلاثون، ثم المجتمع ست وعشرون، فالفرق خمس وعشرون، ثم تتواصل الموضوعات تترى، حتى نجد أن ثمانية وسبعين موضوعا تكرر كل واحد منها مرتين، وثمانية وثلاثين وثلاثمائة، مرة واحدة فقط لكل موضوع.

هذه المشاركات، تركزت في اللجان العلمية المتعلقة بالإسلام، والعالم الإسلامي، جغرافيته وتاريخه ولغاته، بصفة خاصة، ونادرا ما تقدم في لجان أخرى، فإن حصل هذا الأمر، فعادة ما تكون البحوث تلك متعلقة بالعلاقة بين تلك المناطق والعالم الإسلامي، أو أن موضوعات تلك اللجنة، متعلقة كذلك بالعالم الإسلامي.

نجد لجان الدراسات الأدبية والإسلامية، والتاريخية وآسيا الوسطى وآسيا الغربية وإيران وتركيا، والعربية والإسلامية، والشرق الأدنى وجنوب شرقي آسيا، والفن الشرقي، والفيلولوجيا العربية، واللغات الإسلامية، وغيرها من اللجان.

وحتى تتضح الصورة بدقة أكبر وأشمل، سيتم عرض جداول تبين المساهمات الإسلامية في مؤتمرات المستشرقين العالمية ، وموضوعاتها التفصيلية والإجمالية: جدول المساهمات العلمية هذه، وتم إعداده حسب الترتيب التصاعدي للمؤتمرات. أما جدول الموضوعات التفصيلية، الذي تم استنتاجه من خلال عناوين المساهمات، حسب الجزئيات البارزة فيها، مثل ما تم سابقا عند دراسة اللجان. أما الموضوعات الإجمالية، فتتمثل في تجميع الموضوعات المتقاربة بعضها ببعض، فقد ذكرت في الموضوعات التفصيلية مثلا مدن متعددة، مثل المدينة المنورة ودمشق وبغداد والمهدية وغيرها، وبلدان، مثل إيران والهند ومصر ويوغسلافيا وألمانيا وسواها، ومناطق مثل الجزيرة العربية والأندلس

وإفريقيا وهكذا، كلها جمعت تحت موضوع "بلدان ومدن ومناطق"، كما أن مختلف العلوم والمعارف، مثل الفلسفة والطب وما إليها، تم عدها ضمن "علوم ومعارف"، فيما جمعت العلوم الشرعية من قرآن وحديث وفقه في "علوم إسلامية" وهكذا العمل في كل عنصر[1].

- دراسة تحليلية مختصرة للجداول:

إذا أردنا تحليل الجداول، فإن أول ما نلاحظه أن الدراسات ألقيت في لجان مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمنطقة الإسلامية وثقافتها وحضارتها وتاريخها ومقوماتها. فعلى سبيل المثال، ألقيت إحدى وستين ومائتي دراسة في اللجان التي تحمل كلمة "إسلام" أو إحدى مشتقاتها، في حين أن اللجان المتعلقة بالموضوعات الإيرانية مثلا بلغت ثمانيا ومائة، وثلاثا وسبعين للدراسات المتعلقة بتركيا، وثلاثا وأربعين للغة العربية وأربعا وثلاثين في لجان الأدب العربي. وهناك اللجان المتعلقة بمناطق آسيا المختلفة، وغيرها من الموضوعات الثقافية.

– الملاحظة الثانية، هي أن الغالب على اللجان التي تتعلق بالمناطق الآسيوية، يكون المشاركون فيها من نفس تلك المناطق: فنجد الغالب على الدراسات الإيرانية، يشارك فيها إيرانيون بصفة بارزة، وكذلك الدراسات التركية، فأغلب المساهمين فيها أتراك، وهكذا وغيرهم من أصحاب المنطقة، والأمر نفسه يقال عن جنوب آسيا وكذلك الشرق الأدنى، وهكذا الأمر مع غيرها. أما الدراسات ذات الموضوعات المشتركة، مثل الدراسات الإسلامية ، والدراسات الفنية وما سواها من الموضوعات الثقافية والحضارية، فالمساهمة فيها مشتركة، تشمل جل المسلمين الحاضرين للمؤتمرات، إذ هي تهمهم بأجمعهم، وإن كان الغالب على المشاركين ينتمون إلى البلدان العربية، فشبه القارة الهندية، ثم جنوب شرق آسيا.

– الموضوعات الأدبية، هي كذلك بحسب نسبة الأدب لموطنه الجغرافي، إذ الغالب على المشاركين في الأدب العربي من العرب، وعلى المشاركين في الأدب

[1] الجداول المعنية في الملحق رقم ١٩ ص ٧٠٢ من الرسالة، ورقم ٢٠ ص ٧٤٧ من الرسالة، ورقم ٢١ ص ٧٦٥ من الرسالة.

التركي أتراك، وكذا الأمر بالنسبة للأدب الإيراني يقوم به إيرانيون، والشأن نفسه يقال عن الأدب الكردي والمالاوي وغيرهما.

– من خلال الموضوعات المطروقة، نلحظ أن معظم الدراسات اهتمت بالجوانب الاجتماعية والأدبية، كالتاريخ والسياسة والأدب واللغات والمصنفات والمصادر والسير والتراجم ، والموضوعات الخاصة بالبلدان والمناطق. فهذه تجاوزت كثيرا نصف المشاركات، وهو ما يدل على محاكاة المسلمين للتيارات العلمية المعاصرة، والتي نما فيها علم الفيلولوجيا والنقد الأدبي، كما أن العصر عصر العلوم الاجتماعية.

– يلحظ أيضا تكاثر الوطنيات وتنوعها، والدراسات القومية كذلك. فنجد الدراسات الخاصة بتركيا وإيران ومصر والهند ومالايو والباكستان والمغرب وتونس واليمن وغيرها، ويقوم بها في العادة مواطنوها المحليون. وتشمل تلك الدراسات ماضي تلك البلدان وحضاراتها القديمة وثقافاتها المعاصرة.

– أما القوميات، فهناك عشرة موضوعات إجمالية، تناولتها بالدرس في صميمها: فهناك دراستان تحدثتا عن القومية الإسلامية، واثنتان عن القومية العربية، وأخريان عن الإيرانية، وموضوع عن كل من القومية التركية والإندونيسية والهندية والألمانية، وهي مسايرة للحياة السياسية العامة.

– من الملاحظات الهامة كذلك، الاهتمام الكبير بالسير والتراجم والشخصيات، التي بلغت إجمالا ثماني وتسعين ومائة، مع أنه لم يتم عد الشخصيات السياسية الكبرى من ضمنهم، ولاسيما الخلفاء المذكورون، ومعظمهم عثمانيون، إذ تم عدهم من ضمن الموضوعات السياسية، لتعلق الحديث عنهم عادة بالجانب السياسي البحت. والعدد المذكور يقارب ثلث الموضوعات المطروقة، لذا، لا يجب إهمال مثل هذا الاهتمام. وتنقسم الشخصيات إلى أنبياء وفقهاء ومحدثين ومفكرين إسلاميين، وأدباء وفلاسفة وقادة فرق، وشخصيات غربية.

– التوجه السياسي لبحوث عدة، تجاوزت إجمالا سبعين دراسة، تناولت السياسة مباشرة، أو جوانب منها. أما التي تخصصت في السياسة بصفة غالبة على موضوعها، فبلغت سبعا وأربعين. هذه الموضوعات عرضت كلها، ما عدا ثلاثة منها، بعد الحرب العالمية الثانية، وهي الحقبة التي طرحت فيها

الموضوعات السياسية على الساحة العالمية بقوة. فقد تفككت الوحدة السياسية للخلافة العثمانية، وثارت الشعوب على الاستعمار.

– الموضوعات الاقتصادية، وإن كانت المساهمات فيها قليلة نوعا ما، فقد تجاوزت العشرين دراسة. وهذه تحدثت عن الاقتصاد في العالم الإسلامي بصفة خاصة، سواء في الماضي أو الحاضر. تناولت خمسة عشر منها الموضوع الاقتصادي بصفة عامة، وتحدثت ثلاثة منها عن الفلاحة، واثنتان عن المنسوجات الإسلامية، وواحدة عن دودة القز وكذلك المنسوجات الهندية. وهذه الموضوعات قليلة جدا، رغم أن الاقتصاد هو موضوع العصر، والذي تقوى منذ نهاية القرن الثامن عشر، إلا أنه لم يطرح بالقوة ذاتها التي طرح بها في أوروبا، إذ الاستعمار نادرا ما يوجه أهل البلد للأخذ بزمام المعارف. من جهة أخرى، قليل هم أهل الاختصاص الاقتصادي، الذين يشاركون في المؤتمرات، إذ الغالب على المساهمين من الأدباء ورجال الفكر والفلسفة، والمفكرين الدينيين، وكذلك الاجتماعيين، وغيرهم من ذوي مثل هذه الاختصاصات.

– أما الدراسات الاجتماعية الدقيقة، التي من شأنها أن تنمي القدرات والصلات الاجتماعية وتقويها، فهي قليلة أيضا، فباستثناء الموضوعات التي تتحدث عن مجتمعات سواء في القديم أو الحديث، وهي وصفية في مجملها، لا نجد الكلام عن الروابط الاجتماعية إلا نادرا، فلم يبلغ الحديث عن العادات والتقاليد عشرة، كذلك الأمر بالنسبة لموضوعات الأخلاق والقيم، فيما كان الحديث عن المرأة، التي يجعلها الغرب موضوعا لبحوث عدة، لم يتجاوز الحديث عنها ست مرات، أما الإدارة فأربع فقط، وكذلك القانون والقضاء، واثنان لكل من الزواج والطلاق والتنظيم العائلي، وواحدة عن حقوق الإنسان، وأخرى عن الرفاهية العائلية، ودراسة تناولت موضوع العنصرية.

– لم تتعد الموضوعات الثقافية والتعليمية ثلاثة وعشرين، تحدثت سبعة عشر منها عن جوانب ثقافية، وستة عن مؤسسات تعليمية، وهي أرقام تدل على ضعف الاهتمام بهذه القضايا.

– أما إذا تحدثنا عن الموضوعات المتعلقة بالإسلام والمسلمين، فهي بلغت أربعة وعشرين، تتحدث بعضها عن الإسلام، معناه وحقيقته وأهميته، وأخرى عن الإسلام وأثره في المجتمع، وكذلك عن المجتمع والاقتصاد، والإسلام والعلوم،

والإسلام والنصرانية، والجغرافيا، واللغة، والعروبة ... وهذه الموضوعات، رغم قلتها، فهي تحاول طرح موضوعات معاصرة للدراسة، ولاسيما في علاقة الإسلام بقضايا عصرية، ولبيان دور الإسلام وأثره فيها، أو علاقته بها أو رأيه فيها.

– وإذا تناولنا العلوم الإسلامية بالدرس، فإننا نجدها متنوعة جدا: فقد تناولت ثلاثة عشر منها الأبحاث القرآنية بالدرس، وثلاثة لكل من السنة والسيرة والعقيدة، وواحد لكل من الإجماع والإعجاز والألوهية والتفسير المجازي والعرف. كما أن هناك موضوعات تناولت الحضارة الإسلامية وكذلك فنونها، والأدب الإسلامي وتاريخه أيضا.

ورغم قلتها، فإن المشاركات الإسلامية يمكن اعتبارها حيوية وضرورية، وتحفز للمزيد من المشاركات والمساهمات حتى لا تبقى الشعوب الإسلامية متأخرة عن أخذ المبادرة.

المبحث الثاني: المساهمات غير الإسلامية

شهدت مشاركات الشرقيين غير المسلمين وفرة أغزر بكثير من المشاركات الإسلامية. وعلى غرار المساهمات الإسلامية، كانت الدراسات الشرقية الأخرى نادرة في المؤتمرات الأولى، فلم تتجاوز عشر مداخلات في المؤتمر الأول، وكانت من نصيب خمسة يابانيين فقط، إذ كانت اليابان موضوعه الرئيس. أما المؤتمر الثاني بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ)، فلم يكن فيه سوى ثلاث مشاركات، هنديتان ومصرية. أما المؤتمر الرابع بـ"فلورنسا"، سنة ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ)، فلا نجد فيها إلا مساهمة شرقية واحدة، وثلاثا في المؤتمر الخامس سنة ١٨٨١م (١٢٩٨هـ)، ببرلين.

وتواصلت المساهمات على هذا النحو، حتى المؤتمر الحادي والعشرين، إثر الحرب العالمية الثانية مباشرة، سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ) بباريس، إذ تجاوزت تلك المساهمات عشر دراسات، وناهزت خمس عشرة في المؤتمر الثالث والعشرين بـ"كامبردج"، سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ). وازداد ارتفاع عدد المساهمات، حتى إنها بلغت حوالي السبعين ومائة في المؤتمر السابع والعشرين بآن آربور سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، ثم هي قاربت الثلاثمائة في المؤتمر التاسع والعشرين سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ) بباريس، وارتفع العدد أكثر من ذلك بكثير في المؤتمرات اللاحقة، قبل أن ينخفض انخفاضا عميقا في المؤتمر الثاني والثلاثين بـ"همبورغ" سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ).

هذه المساهمات، جاءت من كل الجهات الشرقية غير الإسلامية، ويمكن تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات رئيسة، بحسب ارتباطها بعالمنا الإسلامي، وهم نصارى الشرق الأوسط، والاستشراق الصهيوني الإسرائيلي، وهؤلاء هم الذين لهم احتكاك حضاري مع العالم الإسلامي، ومساهمات الشرقيين الآخرين، والتي تضم كل الطوائف الأخرى، اليابانيين والهنود والصينيين والكوريين والأفارقة وغيرهم من المشاركين من الدول الشرقية ومن الطوائف غير الإسلامية. وعلى ضوء دراسة الأطراف الثلاثة هذه، يتم التعرف على أهمية هذه المساهمات، ومدى أثرها في القيمة العلمية للمؤتمرات.

١ – مساهمات نصارى الشرق:

لم تكن مساهمة نصارى الشرق بالكثرة التي توازي دراسات المسلمين في مؤتمرات المستشرقين العالمية، فهي أقل بكثير منها، لكنها لقيت حظوة لدى القائمين على المؤتمرات أعمق مما حصلت عليه الأخرى.

من الناحية التاريخية، نجد أن مشاركات نصارى الشرق، ولا سيما العلمية منها، أسبق من مشاركات المسلمين. كما أن معظم أعمالهم ظهرت في طبعات أعمال المؤتمرات، على حين كان ظهور طباعة دراسات المسلمين متأخرا نوعا ما. ومن هنا، يرد أيضا أحد أسباب تخصيص هذه الجزئية من البحث بنصارى الشرق. فإضافة إلى تلك الحظوة، لمشاركة هؤلاء، نجد أنه قد ظهرت لجان تحمل اسم "نصارى الشرق"، أو "الشرق النصراني"، أو ما شابه ذلك[١].

وتوجد دراسات عدة تتعلق بهذه الفئة، حتى في المؤتمرات المتأخرة. لذا، فإن مثل هذه الإجراءات تشجع نصارى الشرق على المشاركة والمساهمة في دراسات هذه المؤتمرات، وأن يكونوا عناصر فعالة، أو ربما مؤثرة أو على الأقل لإثبات ذاتهم ووجودهم.

أ – المساهمات الإدارية:

تميز نصارى الشرق بالمساهمات العلمية، أكثر من المشاركات الإدارية. فلم يصلوا في السلم الإداري لأرقى مما وصل إليه المسلمون. فهناك بعض المندوبين في بلدانهم، إذ نجد مثلا القديس "روحاني ف."، كان مندوبا لبلاده لبنان في المؤتمر السابع عشر[٢]، و"أنيس فريحة"، في المؤتمر الثامن عشر[٣]،

---

[١] الجدول الخاص باللجان الدراسية بالملحق رقم ١٤ ص ٦٣١ من الرسالة.

[2] Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - p. 13.

[3] Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes-Leiden–1931-p.9.

و"موريس شهاب" في المؤتمرين الحادي والعشرين[١] والرابع والعشرين[٢]. وكان "فؤاد البستاني" مندوبا كذلك في المؤتمر الحادي والعشرين[٣]، بينما كان "نيقولا زيادة" مندوبا في المؤتمر الثاني والعشرين[٤].

وترأس بعضهم بعض الجلسات العلمية، مثل "سامي جبرا" من مصر، الذي ترأس الجلسة الصباحية من يوم الحادي والثلاثين من يوليو من جلسة الدراسات المصرية، في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)[٥]، و"فؤاد البستاني" الذي أدار جلستين علميتين في المؤتمر الثاني والعشرين بإستانبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، في لجنة دراسات نصارى الشرق، الأولى يوم الأحد السادس عشر من سبتمبر صباحا[٦]، والثانية يوم الخميس العشرين من سبتمبر، وانضم للجنة تلك لجنة الدراسات البيزنطية[٧].

أما قمة المساهمات في هذا المجال، فكانت في المؤتمر السابع والعشرين بـ"آن آربور" سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، الذي نجد فيه أربع جلسات ترأسها نصارى شرقيون، وذلك في لجنة دراسات الشرق الأدنى والعالم الإسلامي. ففي جلسة عن الدراسات اللغوية، ترأس "فرحات زيادة" جلسة الاثنين، الرابع عشر من أغسطس الصباحية[٨]، وهي أولى جلسات هذه اللجنة. وفي جلسة "تاريخ الشرق الأدنى، كانت لـ"عزيز عطية"، رئاسة جلسة الرابع عشر من أغسطس

---

(1) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 14.

(2) Acten des Vierundzwanzigsten Internationalen Orientalisten-Kongress-Munchen 1957-Germany - Kraus Reprent - Nendeln/Liechtenstein -1968 - p. 11

(3) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 14.

(4) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 - p. 8.

(5) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 83.

(6) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 - p. 184.

(7) Ibid. - Vol1- p. 185.

(8) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - p. 157.

المسائية[1]، وتولى "جورج حوراني" رئاسة جلستين، الأولى حول مشكلة القيم في الإسلام يوم الاثنين نفسه مساء[2]، والثانية حول الفلسفة الإسلامية ليوم الخامس عشر من أغسطس مساء[3].

تلك هي أهم الإسهامات الإدارية، في مؤتمرات المستشرقين العالمية، التي شغلها نصارى الشرق .

ب – المساهمات العلمية:

انطلقت مساهمات نصارى الشرق في مؤتمرات المستشرقين العالمية مبكرا. فمنذ المؤتمر الثالث بـ"سان بترسبورغ" سنة ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ) ، قدم "كارل سلمان" دراسة حول مخطوط نثري[4]. ثم مساهمة "وليام سبيطة باي" في الخامس ببرلين سنة ١٨٨١م (١٢٩٨هـ)، بعنوان "جغرافية بطليموس عند العرب "Die Geographie des Ptolemius bei den Araben"[5].

وظهر "إيليا قدسي" في المؤتمر السادس بـ"ليدن"، سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، ليقدم دراسة بالعربية بعنوان "نبذة تاريخية في الجرف الدمشقية"[6]. ثم نجد عدم وجود لنصارى الشرق في المؤتمرات من السابع إلى العاشر، بل إن حضورهم انعدم، إلا في المؤتمر السابع، الذي حضره "إيليا قدسي"، لكنه لم يقدم مشاركة على ما يبدو من أعمال المؤتمرات.

(1) Ibid. - p. 173 .
(2) Ibid. - p. 175.
(3) Ibid. p. 221.
(4) Travaux de la Troisiemme Session du Congres International des Orientalistes - Sts Petersbourg - 1876 - V2 - p. 491.
(5) Verhandlungen des Fuften Internationalen Orientalisten-Congress- Berlin - 1881-Germany-Kraus Reprent -Nendeln/Liechtenstein- 1968 -V2 - pp. 19 – 28.
(6) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - deuxieme partie - pp. 1 - 34.

وفي المؤتمر الحادي عشر، بباريس سنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)، كانت هناك مشاركة لـ"لويس شيخو"[١]، ثم نلحظ غيابا آخر، علميا وحضوريا، حتى المؤتمر الخامس عشر الذي انعقد سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) بكوبنهاجن، الذي لم يشهده سوى "لويس شيخو" وقدم فيه مساهمة[٢]، ثم المؤتمر الثامن عشر بـ"ليدن"، سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)، وكانت فيه دراسة لسامي جبرا[٣]. ثم غابت المشاركات بعده، حتى المؤتمر العشرين ببروكسيل، سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، لما قدم كل من عزيز سريال عطية[٤] وسامي جبرا[٥] مساهمة دراسية.

وإثر هذا المؤتمر ، نلحظ وجودا شبه متواصل لنصارى الشرق في كل المؤتمرات، عدا المؤتمر السادس والعشرين، بنيو دلهي سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، الذي لا نجد لهم فيه مشاركات علمية. أما سواه، فنلقى خمس مساهمات في المؤتمر الحادي والعشرين المذكور، وثلاثا في كل من الثاني والعشرين بإستانبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، والثالث والعشرين، سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، بكامبردج، وهكذا تواصلت مساهمات نصارى الشرق في المؤتمرات.

وحتى تتضح صورة هذه المشاركات بدقة أكثر، يجدر الاطلاع على الجدولين المتعلقين بها، الأول عن مساهماتهم، حسب الترتيب الزمني للمؤتمرات، والآخر عن الموضوعات المطروقة، مرتب حسب كثافتها العددية[٦].

ج – تحليل الجدولين:

(1) Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T3 - p.125.

(2) Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - p. 71.

(3) Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes - Leiden -1931- p 79.

(4) Actes du XXeme Congres International des Orientalistes-Bruxelles -1938- p.339.

(5) Ibid. - p. 65.

(٦) الجدولان المعنيان في الملحق رقم ٢٢ ص ٧٦٨ من الرسالة، ورقم ٢٣ ص ٧٧٢ من الرسالة.

إذا تأملنا الجداول، يمكننا الخروج بملحوظات عدة، أهمها ما يلي:

ــ تفاوتت مشاركات نصارى الشرق في المؤتمرات. فأكثر عدد شارك بـه فرد، هو أربع مرات، وكان لخليل سمعان، وشارك كل من جورج قنواتي وسامي جبرا وعزيز سريال عطية، وفؤاد البستاني وموريس شهاب وبيتر عبـود ثـلاث مرات. وساهم كل من إجناس عبدو خليفي وألكساندر بدوي وبول حرب وجـورج حوراني ولويس شيخو ونيقولا زيادة بمشاركتين، أما البقية فكانت مشاركة لكـل واحد منهم. ولا يعني أن حضور هؤلاء مرتبط بهذه المساهمات، بل هناك منـهم من يحضر دون أن يقدم مشاركة، مثل أنيس فريحة في المؤتمر الثـامن عشـر، وألبرت الحوراني في الخامس والعشرين.

ــ يعد المؤتمر التاسع والعشرون بباريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، أكـثر ما شهد كثافة مساهمات نصارى الشرق. فلقد ألقيت فيه تسع دراسات، يليـه فـي الترتيب كل من المؤتمر الحادي والعشرون والرابع والعشرين والثامن والعشـوين بخمس دراسات. ثم الخامس والعشرين بأربع مشاركات، ثـم المؤتمـر الثـاني والعشرون والثالث والعشرون، حيث قدم في كل منها ثلاثة بحوث. ثم المؤتمـر العشرين فالثاني والثلاثون بدراستين لكل منهما، ثم دراسة في كل من المؤتمـوات الأخرى.

وإذا ما عرفنا أن المؤتمر الحادي عشـر والحـادي والعشـرين والتاسـع والعشرين، عقدت في باريس، وأن معظم مساهمات نصارى الشرق العلمية ألقيت فيها وبلغت خمس عشرة دراسة، وهو حوالي ثلث الدراسات، وأن نصارى لبنـان هم الذين برزوا فيها بوجه خاص، أمكننا استنتاج ما تحظى به هذه الفئة من عناية في فرنسا، وهو امتداد للأثر السياسي، حيث يلقى نصارى الشام الرعاية الكـبرى من السلطات الفرنسية. والأمر بدهي، إذ إن فرنسا تعدهم امتدادها الحضاري فـي المنطقة، وهم كذلك يعتمدون على فرنسا في أمور عدة، ولاسيما الدعم السياسي.

ــ يأتي في المرتبة الثانية من حيث الكثافة، مدينة "ميونيخ" الألمانية مقـر المؤتمر الرابع والعشرين سنة ١٩٥٧م (١٣٧٧هـ)، وكمبيرا بأسـتراليا، مقـر المؤتمر الثامن والعشرين سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ)، وهاتان المدينتـان تعـدان موطني هجرة العديد من أهل لبنان، وتتمركز فيها جالية لبنانية كـبرى. وهكـذا غيرها من البلدان، التي لقيت مساهمات نصارى الشرق فيها حظوة هامة. ويدعـم

توجه المؤتمرات هذا، استحداثها لجنة خاصة من ضمن دراساته، تهتم بالنصارى الشرقيين. وفي هذا دليل على الأثر النصراني في المؤتمرات[١].

ــ أما إذا تفحصنا اللجان التي أسهم فيها نصارى الشرق بدراساتهم، فإن المقام الأول كان للجان التي يكون الإسلام أحد موضوعاتها. فهناك عشرون محاضرة عرضت في لجنة تحمل في مسماها الدين الإسلامي. ثم تليها تلك المتعلقة باللغة العربية وآدابها، وبلغت عشر دراسات، في اللجان التي تحمل مسمى إحدى الكلمتين، اللغة أو الأدب، أوهما معا، وسبع لجان عن الدراسات المصرية والفرعونية، وقدمت ست دراسات في اللجان المتعلقة بنصارى الشرق، وتوجد ثلاث دراسات تتحدث عن الساميات، ودراسة في الحاميات، وعن الشرق الأوسط الحديث، وهكذا.

ــ أما الموضوعات المطروقة في دراسات النصارى الشرقيين، فقد بلغت ثلاثين موضوعا، يتصدرها التاريخ، الذي بلغ عدده عشرة، يليه الدراسات الفرعونية، وعددها سبعة، فالموضوعات المتعلقة بالشخصيات الإسلامية وبلغت ستة، ثم المخطوطات وهي خمسة، فالأدب واللهجات العربية، ولكل واحدة أربعة، ثم التصوف الإسلامي والشخصيات النصرانية والفرق الإسلامية واللغة العربية، ولكل منها ثلاث دراسات، ثم الدين الإسلامي والآثار والفلسفة الإسلامية والفن المعماري والاقتصاد، ولكل منها موضوعان، وواحدة لكل موضوع من الموضوعات الأخرى، كما هو موضح في جدول الموضوعات.

بتحليل هذه النقطة، نلحظ أن نصارى الشرق يهتمون بالتاريخ بصفة عامة، وتتعلق بالتاريخ الإسلامي والعربي، وهذه هي الأكثر والأهم، وتتحدث عن التاريخ السياسي والاقتصادي، ولاسيما المناطق التي يوجود فيها نصارى الشرق.

من ناحية أخرى، نرى أن دراسة الشخصيات الإسلامية والمخطوطات والموضوعات الأدبية واللهجات والتصوف والفرق والشخصيات النصرانية وشؤون اللغة وغيرها من الموضوعات، لا تختلف عن دراسات المستشرقين، ولاسيما أن معظم هذه الشخصيات من نصارى الشرق، يعيشون في الغرب، بل بعضهم يأتي مندوبا عن المواطن التي يقطنها، مثل فؤاد البستاني، الذي كان

---

[١] سيأتي تفصيل الحديث عن هذا الأثر لاحقا وذلك ص ٤٦٩ من الرسالة فما بعدها.

مندوبا عن فرنسا في المؤتمر الحادي والعشرين[١]، ونيقولا زيادة، جاء المؤتمر الثاني والعشرين مندوبا عن الولايات المتحدة[٢].

والملاحظ أيضا، أن التركيز في دراسات نصارى الشرق مرتكز على العروبة واللغة العربية، وتمسح أبحاثهم الماضي السحيق حتى العصر الحاضر. كما تعرضوا في دراساتهم لشخصيات نجد أن جلهم معتزلة أو فلاسفة أو أدباء، وهذا مماثل لما عليه الاستشراق العالمي، والبحوث الاستشراقية في المؤتمرات.

في جانب اللغة والأدب، نجد أن ربع ما قدم في موضوعات الأدب واللغة والمخطوطات واللهجات العربية، يتعلق باللهجات. وهذا تيار طغى على أبحاث المستشرقين أيضا، ولاسيما في حقبة ما قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها بفترة، في مؤتمرات المستشرقين عامة. كما نجد دراسات تتعلق بالأصول العرقية العربية وهي كذلك مسايرة للبحوث الغربية ولاسيما الاستشراقية. ومن تناولهم المصادر الإسلامية، نجد مقالة "لويس شيخو"، حول بعض الأساطير الإسلامية، التي تعود لما قبل الإسلام، وذلك في المؤتمر الخامس عشر بكوبنهاجن سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)[٣]، وهي مقالة مسايرة للتيار التشكيكي في أصالة الديانة الإسلامية، كما ألقيت بحوث عن الفرق والتصوف الإسلامي، وهي مسايرة للتيار الاستشراقي أيضا، الذي يصور المجتمع الإسلامي منقسما على نفسه إلى تيارات واتجاهات مختلفة ومتخالفة ومتناقضة في مبادئها وأصولها وتفكيرها.

أما الدراسات المصرية، التي شغلت تسعة موضوعات، فلا يحتاج لكثير من التحليل، إذ إن الموضوع هذا، هو أحد أهم الدراسات التي ركزت عليها المؤتمرات، ولا يكاد يخلو مؤتمر منها، عدا المتأخرة الحديثة. كما أنه أحد الموضوعات الرئيسة للاستشراق العام، منذ حلت مشكلة الحروف الهيروغليفية، قبيل منتصف القرن التاسع عشر. ومع أنه يمكن اعتبار هذه البحوث مسايرة للتيار

---

(1) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie – p. 11.

(2) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 – p. 14.

(3) Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - p. 71.

الاستشراقي العلمي ، إلا أنها جاءت متأخرة جدا، إضافة إلى أنها لا تكاد تذكر أمام أبحاث المستشرقين التي ظهرت في هذا المجال عالميا.

أما بقية الموضوعات الاستشراقية، فإن اهتمام نصارى الشرق بها غير عميق، وانحصرت أبحاثهم في المنطقة والبيئة التي يقطنونها، ويبدو أن اهتمامهم منصب على محيطهم، وتهدف إلى إثبات الذات، وبيان حق المشاركة الحضارية والثقافية في المنطقة، ودورهم فيها تاريخيا، وأثرهم فيها أيضا. أما ما عدا ذلك من الموضوعات فهي بعيدة عن هذا المجال، وتبدو مسايرة للتيارات الفكرية والبحثية التي سادت المنطقة في القرنين الماضي والحالي.

وبما أن المؤتمرات إنما هي بيان لعينة من دراسات نصارى الشرق، وإذا ما عممنا الملحوظات السابقة على الدراسات الأخرى كافة، يمكننا تلمس المبررات التي دعت العديد من المتخصصين في الدراسات الاستشراقية إلى اعتبار هذا التيار استشراقا وأصحابه مستشرقين، مثل الاستشراق الماروني.

٢ – الاستشراق الصهيوني الإسرائيلي:

ظهر هذا النوع من الاستشراق متأخرا في زمن المؤتمرات. وما ظهر اسم "إسرائيل" ممثلة في مشاركين منها، إلا في مؤتمرات ما بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك ابتداء من المؤتمر الحادي والعشرين، الذي انعقد في باريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)[1]، أي بعد فرض قيام الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة. كما ظهر في المؤتمر نفسه اسم "تل أبيب"[2]، لأول مرة، ومثلها في ذاك المؤتمر المستشرق "مينز إرنست Mainz Ernest".

رغم حداثة مشاركة هذه الفئة من المستشرقين، إذ لم تبدأ مساهماتهم إلا من سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، وبذلك لم يتعد حضورهم خمسة عشر مؤتمرا، إلا أنهم

---

(1) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 395.

(2) Ibid. - premiere partie - p. 398 .

كانوا شعلة من النشاط، بحيث حاولوا، أو هم قاموا فعلا، بتغطية أو تعويض ما فاتهم من مؤتمرات، ولاسيما إذا ما قارناهم بغيرهم من مسلمي الشرق الأوسط أو نصرانيه. ونلمس هذا بكل يسر، سواء في المساهمات الإدارية أو الدراسات العلمية. ولعل التوجهات السياسية العالمية التي تساند الكيان الصهيوني، والتأييد الدولي له، إضافة إلى الحروب التي عايشها، والعداوة الإسلامية والعربية لقيامه، ووقوف المنظمات اليهودية العالمية، وراء الكيان وتأييدها له وشدها من أزره، وذلك بسيطرتها على معظم الموارد الاقتصادية والتجارية العالمية، بل السياسية أيضا، كان لكل ذلك أثره في المؤتمرات، وجعل للقادمين من هذا الكيان حظوة أرفع مما أعطيت للآخرين. وسيزداد إدراك هذا من خلال التحليل التالي.

أ- المساهمات الإدارية:

لم تبلغ مشاركات القادمين من الكيان الصهيوني درجات أرفع مما لدى الشرقيين الآخرين، ولاسيما الشرق أوسطيين منهم، فهناك مندوبون عن الكيان الصهيوني الإسرائيلي، وهناك مشاركات في لجان إدارية، وكذلك رئاسة جلسات علمية. إلا أنها أكثر كثافة من الآخرين.

- المشاركة عن طريق المندوبين والممثلين في المؤتمرات: أما عن المندوبين عن الحكومة، فما يكاد يخلو مؤتمر عن مندوبين عنها وعن مؤسساتها العلمية، والثقافية، ولاسيما المختصة في مجالات الاستشراق. وقد يرتفع هذا العدد كثيرا في بعض المؤتمرات، وقد يتجاوز عدد مندوبي البلدان العظمى.

في المؤتمر الحادي والعشرين، بلغ عدد مندوبي الكيان الصهيوني ثلاثة من ضمن ثمانية أشخاص مشاركين. وقد وردت أسماؤهم في أعمال المؤتمر تحت اسم فلسطين[١]. وفي المؤتمر الثاني والعشرين بتركيا، كان العدد عشرة مندوبين[٢] من ضمن خمسة عشر مشاركا، أرسلتهم إسرائيل، مع أنه ينعقد في عاصمة آخر

---

(1) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 14.

(2) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 - pp. 11 - 12.

خلافة إسلامية، في حين نرى هذا العدد يتقلص إلى ستة في المؤتمر الثالث والعشرين بكامبردج سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)[١]، رغم حضور أربعة عشر شخصا. ولم يكن المندوبون في المؤتمر الرابع والعشرين سوى اثنين[٢] من مجموع خمسة عشر مشاركا، وفي حين لا يتضح الأمر في المؤتمر الخامس والعشرين، رغم أن عدد الحضور كان ستة عشر باحثا، فإن المؤتمر السادس والعشرين بنيو دلهي سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، شهد حضور عشرة مندوبين[٣]، من بين أربعة عشر مساهما، وهو عدد يتساوى مع مؤتمر تركيا، والهند بلد يشترك مع إسرائيل في نوعية العداء للجيران المسلمين، بل حتى القاطنين منهم داخلهما.

أما المؤتمر السابع والعشرون الذي انعقد بـ"آن آربور" بالولايات المتحدة الأمريكية، فلم يشهد سوى مندوبين اثنين[٤]، رغم أن المشاركة كانت هامة جدا، سواء من حيث العدد، إذ حضره عشرون شخصا، أو من حيث المساهمات العلمية كما سيأتي[٥]. وهذا العدد اليسير من المندوبين يدعو للتساؤل، إذ إن الولايات المتحدة الأمريكية، تعد الراعي الأول للكيان الصهيوني، ولعل هذا ما يدعو إسرائيل إلى عدم إظهار الذات بعدد هام من المندوبين، كما في المؤتمرات الأخرى. أما معهد الدراسات العبرية، في المؤتمر نفسه، فتقول عنه أعمال المؤتمر إن أسماء هؤلاء غير متوفرة، فهو إما أنه لم يرسل مندوبين عنه أو أن القائمة لم تصل للمنظمين[٦].

لم يذكر أي مندوب عن الكيان في المؤتمر الثامن والعشرين الذي انعقد في كمبيرا سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ)، رغم حضور ستة عشر مشاركا فيها. أما في

---

(1) Proceeding of the Twenty-Third International Congress of Orientalists - Cambridge - 1954 - p. 15.

(2) Acten des Vierundzwanzigsten Internationalen Orientalisten-Kongress-Munchen - 1957 - p. 10.

(3) Acten des Vierundzwanzigsten Internationalen Orientalisten-Kongress-Munchen - 1957 - p. 10.

(4) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - p. 15.

(٥) سيرد ذلك ص ٢٨٥ وما بعدها من الرسالة.

(6) Ibid. - p. 15.

المؤتمر الحادي والثلاثين في طوكيو، فلم يشارك من الكيان سوى ستة باحثين، ولم تذكر أعمال المؤتمرات أسماء المندوبين عموما، لذلك لا يمكن معرفة عددهم بالضبط، كذلك الأمر بالنسبة للمؤتمر الثاني والثلاثين الذي حضره سبعة عشر باحثا.

– المساهمات في لجان المؤتمرات الإدارية: فيما يتعلق باللجان الإدارية، اقتصرت المشاركات على اللجنة الاستشارية العالمية. وأول عضو للكيان الصهيوني فيها، ابتدأ من المؤتمر الثاني والعشرين بإستنبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، وكان "ماير ل.أ. L. A. Mayer"[1]. ثم نجد "أوريال هايد Uriel Heid"، عضوا فيها في المؤتمر السابع والعشرين بـ"آن آربور" سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)[2] ، و"حاييم رابين Chaim Rabin"، في المؤتمر الثامن والعشرين بكمبيرا سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ)[3]، و"زوي ويربلووسكي Zwi Werblowsky"، في المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)[4]، وفيما لا يوجد أحد عضوا في هذه اللجنة في المؤتمر الثاني والثلاثين ، كان "جاكوب لاندو Jacob Landaw"، كبير المستشرقين الصهاينة، كما تبين لي، وأحد مرجعيهم وموجهيهم، أحد المستشارين في المؤتمر الخامس والثلاثين الأخير بـ"بودابست" سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ). أولئك هم من شارك في عضوية اللجنة الاستشارية العالمية[5].

أما المساهمات في إدارة لجان علمية في المؤتمرات، فمنذ المشاركة الأولى، في المؤتمر الحادي والعشرين، نجد مندوب الكيان الصهيوني "ل.أ. ماير"، يرأس جلسة علمية للجنة فرعية من لجنة "الدراسات الإسلامية" بتاريخ الرابع والعشرين

---

(1) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 - p. 15.

(2) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - p.9.

(3) Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists - Canberra - 1971 - p. 8.

(4) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - T1 - p. 6.

(5) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 - Programme - No pages of page.

من يوليو سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ) وتحمل عنوان "فن وآثار"[1]، كما أن المستشرق نفسه أدار يوم الجمعة السابع والعشرين من أغسطس سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، اللجنة الفرعية المتعلقة بـ"اللغة والأدب والفن"، من لجنة "الدراسات الإسلامية"، في المؤتمر الثالث والعشرين[2]. وفي هذا المؤتمر ذاته، رأس "شمويل إيفين Shmuel Yeiven"، جلسة الدراسات المصرية ليوم الأربعاء الخامس والعشرين من أغسطس الصباحية[3].

وشهد المؤتمر السابع والعشرون قمة ثراء هذه المشاركات، فقد ترأس خمسة من المستشرقين الصهاينة خمس جلسات علمية، منهم ثلاثة رأسوا ثلاث جلسات علمية في لجنة دراسات الشرق الأدنى القديم، واثنان منهم في لجنة دراسة الشرق الأدنى والعالم الإسلامي، وكانوا كالتالي:

أولا: في لجنة "دراسات الشرق الأدنى القديم".

ـ "شمويل إيفين"، لجلسة الثلاثاء الخامس عشر من أغسطس مساء، وكانت تتعلق بـ"الآثار"[4].

ـ" دوفو ر. De Vaux R."، يوم الأربعاء السادس عشر من أغسطس صباحا، في الجلسة المتعلقة بـ"الدراسات السابقة عن ظهور التوراة"[5].

ـ"جوشن جوتلشتاين Goshen-Gotlstein"، يوم الخميس السابع عشر من أغسطس في الجلسة الصباحية التي تحمل الموضوع نفسه كالسابقة[6].

ثانيا: في لجنة دراسات الشرق الأدنى والعالم الإسلامي:

ـ "أوريال هايد"، يوم الثلاثاء الخامس عشر من أغسطس مساء، وتعلقت بـ"المجتمع العثماني وإدارته"[1].

---

[1] Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p 323.
[2] Proceeding of the Twenty-Third International Congress of Orientalists - Cambridge - 1954 - p.322.
[3] Ibid. - p. 69 .
[4] Proceeding of the Twenty-Third International Congress of Orientalists - Cambridge - 1954 - p. 322.
[5] Ibid. - p. 85.
[6] Ibid. - p. 104.

ـ "جاكوب لاندو"، يوم الثلاثاء السابع عشر من أغسطس مساء، وتعلقت بموضوع "تاريخ الشرق الأدنى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"(٢).

وفي المؤتمر الثامن والعشرين، رأس "بيلاس د. D. Pellas"، جلستين علميتين من لجنة "دراسة غرب آسيا"، وكانت الأولى بعنوان "الشرق الأوسط القديمة"، وخصصت بـ"الدراسات المصرية"، وذلك يوم الخميس السابع من يناير صباحا(٣)، والثانية يوم الاثنين الحادي عشر صباحا أيضا، وكانت بعنوان الدراسات العبرية، وموضوعها "الدراسات التوراتية"(٤).

أما المؤتمر الحادي والثلاثون، فشهد رئاسة "زوي وربلوبسكي" جلسة الجمعة الثاني من سبتمبر صباحا، في لجنة "التحولات الاجتماعية والدينية"(٥).

وفي المؤتمر الثاني والثلاثين بـ"همبورغ"، أدار ثلاثة إسرائيليين ثلاث جلسات:

ـ "أيالون دافيد Ayalon David"، جلسة الأربعاء الثامن والعشرين من أغسطس صباحا، من لجنة "الدراسات الإسلامية"(٦).

ـ "جاكوب لاندو، الجلسة الصباحية من يوم الخميس السابع والعشرين من أغسطس للجنة "دراسة الشرق الأدنى والشمال الإفريقي"(٧).

ـ "شلوني بن آمي Shillony ben Ami"، رئيسا للجنة "شرقي آسيا"، في لجنتها الفرعية عن "الدراسات اليابانية"، وذلك يوم الخميس مساء(٨).

---

(1) Ibid. - p. 216.

(2) Ibid. - p. 262.

(3) Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists - Canberra - 1971 - p.33.

(4) Ibid. - p. 68.

(5) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - T2 - p. 860.

(6) Proceeding of the XXXII International Congress for Asian and North African Studies - Hamburg - 1986 - p. li.

(7) Ibid. - p. liii.

(8) Ibid. - p. xlviii .

ذلك هو ملخص المساهمات الإدارية التي برز فيها الباحثون الإسـرائيليون، وظهروا بها على ساحة المؤتمرات، وهي في عمومها هامـة، مقارنـة بـالفترة القصيرة التي ساهموا فيها في أعمال المؤتمرات.

ب – المساهمات العلمية:

بلغت مساهمات المستشرقين الصهاينة الإسرائيليين، من خلال أحد عشـر مؤتمرا، أربعا ومائة مشاركة، وذلك اعتمادا على ما ذكر في أعمال المؤتمـرات، وقد يكون العدد أكبر من ذلك، كما أنه لم يتم اعتبار المؤتمرات المنعقدة، وتورنتو وهونج كونغ، لعدم التمكن من الحصول على وقائع أعمال الجلسات أو لأنها لـم تنشر، وإلا لازداد العدد عن ذلك، إذ إن نشاطهم الذي عاينته في "بودابست"، كـان كثيفا، وكانت المساهمات العلمية عديدة. وبالتالي، ستكون هذه الدراسة عينة، حيث بلغت نسبة المشاركة فيها (٩،٤٦) في المؤتمر الواحد، وهي نسبة هامة وملفتـة للانتباه، ولاسيما إذا ما قورنت بنسبة مشاركة نصارى الشرق، الذين شاركوا منـذ انطلاق المؤتمرات، فلم تصل نسبة مشاركتهم مساهمتين في كل مؤتمـر، (١،٤ فقط).

وحتى تتبين أهمية المشاركات الصهيونية الإسرائيلية، يجدر الاطلاع علـى الجدولين الواردين حول ذلك، كي يمكن تحليلهما ثم الحكم على مساهماتهم[1].

ج – تحليل الجدولين:

من خلال الجدولين السابقين، يمكن استخلاص استنتاجات عدة، وتلخيصها كما يلي:

ــ أبرز المشاركين في المؤتمرات مشاركة علمية، المستشرق "أيالون دافيد"، الذي كانت له ست مساهمات، ثم "جوتاين شالومو"، وله خمـس دراسـات، ثـم "أوريال دان" و"أوريال هايد" و"جوشووا بلو" و"شسنار بساه"، ولكل منـهم أربـع

(1) الجدولان المعنيان بالملحق رقم ٢٤ ص ٧٧٤ من الرسالة ورقم ٢٥ ص ٧٨٢ من الرسالة.

دراسات، ثم "إيفين شمويل"، و"جوتهولد وايل" و"جاكوب لاندو"، ولكل منهم ثلاث مشاركات، ثم "بول ليفي" و"بولياك أبراهام"، و"حاييم رابين"، و"حاييم هيرشبارج"، و"آرون داتان"، و"شمعون شامير" و"شموويل موراه"، و"شيرمان ج."، و"شاكيد حاييم"، و"رافائيل جيفون" و"روث أميران" و"فنحاس أرتزي" و"ميناحيم حران" و"ميناحيم قداري". ولكل منهم مساهمتان. أما البقية فنصيب كل واحد منهم مشاركة واحدة.

ــ إذا تفحصنا دراسات أبرز المشاركين، نلحظ أن جل اهتمامات هؤلاء الباحثين، متوجهة لدراسة العالم الإسلامي، الذي يحيط بالكيان الصهيوني الإسرائيلي، ماضيه وحاضره وواقعه، حتى جزئياته، كما أن البقية غير هذه المجموعة، تنوعت دراساتهم وشملت مجالات عدة، بما فيها العالم الإسلامي بصفة عامة، والشرق الأوسط، المركز، عليه بصفة خاصة، إضافة إلى نواح علمية أخرى متعددة[1].

ــ شهد كل من المؤتمرين السابع والعشرين المنعقد في "آن آربور" بالولايات المتحدة، سنة ١٩٦٨م، ومؤتمر باريس التاسع والعشرين بمناسبة الذكرى المئوية لانبعاث المؤتمرات، وذلك سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، قمة مشاركة المستشرقين هؤلاء. فقد قدموا في كل مؤتمر منهما ثماني عشرة دراسة. ولا عجب في هذا، فللأثر السياسي دوره في الأول، بما أن الولايات المتحدة الأمريكية هي السند الأساس لهذا الكيان، فكان للدولة المدللة كل الرعاية، بما فيها الثقافية. أما المؤتمر الآخر، فغلب عليه الجانب الثقافي، إذ إنها مناسبة عالمية كبرى في عالم الاستشراق، وهو أضخم مؤتمر وأثراها على الإطلاق حتى الآن، فكان لا بد من إبراز الدور وإثبات الذات في مثل هذه التظاهرة الفريدة، حتى يعلم أن لهذا الكيان أثره الفعال في نشر الفكر الاستشراقي ودراساته، وأن مدرسته لا تقل أهمية عن غيرها من المدارس الاستشراقية.

– أما عن التوجهات العامة للبحوث الاستشراقية لديهم، وأولويات اهتماماتهم، فقد كانت مركزة على الدين الإسلامي والعالم الإسلامي واللغة العربية، وهذه تعد أهم اهتمامات المستشرقين هؤلاء، فالموضوعات القضائية

---

[1] يمكن التعرف على ذلك بكل يسر من خلال الجدولين، وسيأتي التنصيص على أهمها فيما يلي.

والفقهية والتاريخية، هي أهم عندهم من غيرها، ثم الواقع الاجتماعي، المعاصر، أو القريب من المعاصر، ولاسيما الجانب العسكري، ودرست فيها وضعية اليهود في العالم الإسلامي أيضا، وهذه بلغت في مجملها حوالي خمس وأربعين دراسة.

يليها في الترتيب الدراسات المتعلقة باللغات السامية المختلفة، ولاسيما العبرية وما يتعلق بالتوراة، وهذه بلغت حوالي أربع وثلاثين دراسة. كما تناولت شؤون المناطق المجاورة الأخرى وتاريخها، ولاسيما العثمانية والتركية منها، وعلاقتها بفلسطين، ولهذه حوالي ست عشرة دراسة. ثم الدراسات الفرعونية، وبلغت ستا، ثم الصين وعليها دراستان، فالقوقاز والهند وعن كل منهما دراسة واحدة.

من هنا نلحظ أن ما يقرب من نصف الدراسات تتعلق بالعالم العربي الإسلامي، ولو أضفنا الدراسات المتعلقة بتركيا وبالدولة العثمانية، لتكتمل المنطقة الإسلامية ككل، لأصبح العدد حوالي الستين، وهو أقل بقليل من ثلثي مساهماتهم في المؤتمرات. أما إذا تجاوزنا الدراسات الفرعونية، وكذلك السامية، فإن جل الدراسات تتعلق بمنطقة الشرق الأوسط، وبالإسلام وما قبله وما بعده.

وإذا أمعنا النظر أكثر عمقا وتدقيقا، ودرسنا الموضوعات من جهة أخرى، فيمكن الخروج باستنتاجات عدة منها:

ـ اتساع نطاق الدراسات الاستشراقية الإسرائيلية-الصهيونية. فقد وصلت الموضوعات إلى ثماني وتسعين ، بحثتها أربع ومائة دراسة.

ـ لم تقتصر دراسات هؤلاء المستشرقين على موضوعات محددة بمحيطهم، بل إنها تنوعت تنوعا كبيرا، وشملت العالم التركي كافة، بما فيها القوقاز، وكذلك اليابان والصين والهند، وشملت المعارف المختلفة والمتنوعة بما فيها الفنون وفن العمارة والمسرح والموسيقى، واللغات العامة، فإضافة إلى الساميات واللغة العربية، درست التركية والصينية واللهجات اليهودية في العالم العربي، وأنواع الآداب العربية واليهودية واليونانية والفرعونية وغيرها.

ـ للشخصيات الإسلامية، ولا سيما العثمانية منها، نصيب الأسد من الموضوعات المطروقة، بلغت أحد عشر موضوعا. ثم تأتي الدراسات التاريخية، فالمجتمعات، وهي تتعلق بالعالم الإسلامي واليهود، ولكل منها سبعة موضوعات،

ثم الثورات العسكرية الإسلامية والفرعونيات، ولكل منها خمسة موضوعات، ثم الأدب العربي والأدب العبري اليهودي، والاقتصاد، فسوريا والقانون العثماني والمماليك، ولكل أربعة موضوعات، وهكذا حسب ما هو موضح في الجدول.

ــ اهتم هؤلاء المستشرقون بعدة دول ومدن إسلامية، فهناك تركيا وفلسطين وسوريا والعراق ومصر والأردن والمغرب والجزائر، وكان الشرق الأوسط عامة موضوعا لدراستين. ومن المدن تناولوا بالدرس القدس وبغداد وعكا والقاهرة وجزيرة كريت، وهناك دراسة تناولت المدن الإسلامية عامة. كما أن هناك دراسات درست دولا أخرى، مثل اليابان وروسيا وجنوب شرقي آسيا، والقوقاز والهند والصين. كما كانت أوروبا موضوعا لثلاث دراسات، وآسيا لموضوعين، ولا نجد دراسات أو موضوعات حول إفريقيا السوداء.

ــ ظهرت في المؤتمرات لأول مرة دراسات حول الأدب المبتذل والهرطيقي، أوردها هذا الاستشراق. وذلك في دراستين، تتعلق الأولى بصورة أبي حنيفة في هذا الأدب، والأخرى عن موقف الإسلام منه.

ــ يعد هذا الاستشراق من أعمق من درس العسكرية الإسلامية تاريخيا، ولاسيما في عصر المماليك، ولعل ذلك لما قدموه من دور زمن الحروب الصليبية، وتمكنوا به من دحر الغزاة. كما أنهم أعمق من درس المشكلات القائمة بين دول المنطقة.

من خلال الملحوظات السابقة، يمكن الخروج بما يلي:

ــ لقد استغل المستشرقون الصهاينة الإسرائيليون المؤتمرات أفضل استغلال، وبينوا مدى عمق الأفق الممتد لموضوعات دراساتهم، وبرهنوا على أنهم لا يقلون أهمية في ميادين البحث الاستشراقي، إذ غطت دراساتهم كل المناطق الآسيوية وشمال إفريقيا، وشملت الماضي والحاضر، بما فيه من ثقافة وسياسة وفنون وآثار ودين...وهكذا.

ــ دققوا بصفة لافتة للانتباه، في المناطق القريبة جدا من كيانهم، فتناولوا الدول والخلافات بينها، وتاريخ بعضها، وتاريخ اليهود فيها، وكذلك المدن الرئيسة هناك، مما يدل على مدى الاستعداد للانقضاض عليها، وتحقيق مبدأ "من الفرات إلى النيل".

ـ اهتمامهم الخاص بالجانب العسكري، مساهمة منهم في معرفة أسس القوة الإسلامية العسكرية وأصولها واستراتيجيتها، ومواطن القوة فيها وعمقها، حتى يمكن التخطيط المستقبلي لتفادي نكسات الماضي.

ـ فيما يتعلق بدراسة اليهود وتاريخهم في المدن الإسلامية، فلعله لتحقيق هدفين اثنين:

الأول: تأكيد الزعم أن لليهود قدما راسخة في تلك المدن، وأن لهم شأنا في عمرانها، فلا يجب إغفال دورهم في بناء الحضارة الإسلامية، وبالتالي من حقهم الآن الاستقرار داخل العالم الإسلامي، وأن لهم الحق في استرداد دين الماضي، وذلك بالاعتراف بحقهم في المنطقة، ومن ثم وجب حصولهم على دولة معترف بها، وسط البلدان والعالم الإسلامي.

الثاني: لبيان اهتمام الكيان الصهيوني ببقايا اليهود هناك، وإظهار التكاتف والتكافل العالمي اليهودي، وأن الكيان الصهيوني لن يفرط فيهم ولا في مستحقاتهم التاريخية، وبالتالي الضغط على أهل البلد لحفظ مصالح اليهود وتحقيق أسباب منافعهم.

ـ أما النقطة الرئيسة، وهي اهتمامهم بالعالم الإسلامي ككل، دينا وتاريخا ومجتمعا وثقافة، وعسكرية كذلك، فيبدو أنه بسبب المصادمات التاريخية العديدة بين المسلمين واليهود، ولاسيما في العهد النبوي، واستغلال للماضي التاريخي العدائي والعسكري بين الغرب والعالم الإسلامي، والذي فشل فيه الغرب بصفة عامة، عدا الفترات الأخيرة، التي ظهر فيها الغرب على العالم الإسلامي، فهي مساهمة في إبراز نقاط الضعف حتى يتم السعي للحيلولة دون عودتها. فهناك خمسون دراسة تتعلق بهذا الجانب، وتردد في الدراسات ثماني وثلاثين ومائة مرة. وهذه الظاهرة لم تنفرد بها هذه المدرسة، بل هي ظاهرة استشراقية عامة، فهي مزيد من العناية والاهتمام والإسهام، ولاسيما بعد الحروب العديدة المعاصرة التي قامت بين الكيان والعالم العربي في بداية القرن، لبث المزيد من الحيطة والاستعداد.

ـ أما انفراد هؤلاء المستشرقين ببعض الدراسات، فلها غاياتها، مثل إبراز المبادرة والسبق، وإثبات الذات، والمساهمة في البحث في الجوانب المجهولة، لما لها من غايات وأهداف اجتماعية، كاهتمامهم بالأدب المبتذل مثلا، إضافة إلى

مبادرتهم وسبقهم، هو من باب السعي لنشره أو تكوينه أو بعثه من جديد، ولاسيما إذا وجد من لديه استعداد لذلك.

وبهذا، اكتمل بيان أهم السمات الظاهرة للمساهمات الصهيونية الإسرائيلية، في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

٣ - مساهمات الشرقيين الأخرى:

بما أن مؤتمرات المستشرقين العالمية تعنى بدراسة شؤون آسيا، وشمال إفريقيا بخاصة، فقد لزم الاطلاع على مساهمات الشرقيين الأخرى، في مؤتمرات المستشرقين العالمية، في شكل إطلالة مختصرة، تبين دورهم ومشاركاتهم في المؤتمرات.

إجمالا، انطلقت مشاركة الدول الآسيوية، غير الإسلامية، والخارجة عن إطار الشرق الأوسط، منذ المؤتمر الأول. وفي حقب المؤتمرات الأولى، اقتصرت المشاركات عموما، على السياسيين الدبلوماسيين، أو دارسين أو قاطنين في أوروبا، أو مستعمرين مسؤولين في تلك البلدان، وهؤلاء الآخرون هم البارزون، ولاسيما عن الهند وبلدانها، ومقاطعات الهند-الصينية.

ومشاركات هذه البلدان غير مستقرة في عمومها، عدا اليابان التي لا يكاد يخلو مؤتمر من وجود ممثلين عنها، وهي أغزر مشاركة من غيرها، لا تنافسها في ذلك إلا الهند، ولاسيما بعد استقلالها، وقد تمكنت كلتا الدولتين من استضافة المؤتمر ليعقد في أراضيهما.

كغيرها من البلدان، اقتصرت مسهماتها الإدارية، على المشاركة في اللجان المختلفة، أو رئاسة جلسات من لجان المؤتمرات بستثناء مؤتمري نيو دلهي وطوكيو. وأبرز هؤلاء على الإطلاق، الباحث الهندي "دانديكار"، الذي كان نشطا جدا في المؤتمرات، ولاسيما مؤتمرات نيو دلهي وآن آربور وكمبيرا وطوكيو وهمبورغ كذلك، وشارك في لجان عدة، وكان من ضمن اللجنة التي بحثت تغيير نظام المؤتمرات للمرة الرابعة[١].

---

[١] سيأتي ذكر ذلك ص ٣٨٩ من الرسالة.

أما الدول التي شاركت في المؤتمرات، فهي كما يلي:

– برمانيا، أو بورما، ظهر اسمها منذ المؤتمر الأول أيضا، ثم في التاسع، ولم يظهر بينهما ولا بعدهما.

– تايوان: ظهر مشاركون عنها منذ المؤتمر الأول، إلا أن نشاطها تركز وكثر منذ المؤتمر الرابع والعشرين، وتكثفت مساهمات ممثليها العلمية، حتى إنهم يكادون يتفوقون في عدد البحوث على الإسهامات الصينية، التي تلتقي معها في البحث عن الأصول الصينية المختلفة، ثقافيا وعرقيا ولغويا واقتصاديا وسياسيا، وعن علاقاتها مع الخارج، وهي نفس البحوث التي برز فيها الصينيون أنفسهم، والذين شهدوا جل المؤتمرات.

– جزر موريس، أو موريشيوس، وظهر اسمها منذ المؤتمر الأول وكذلك الثاني، ثم غابت عن الوجود.

– سيام، أو تايلند، عرفت مكانها منذ المؤتمر الأول، ثم السابع ثم الحادي عشر، فالثالث عشر، ثم في السادس والعشرين وما بعده، لممثليها مشاركات علمية، تتعلق جلها بالثقافة التايلاندية، وتاريخها ولغاتها وآدابها ودياناتها.

– هونج كونج، انطلقت مشاركاتها من المؤتمر الأول، ولم تكن مشاركاتها ثابتة، وانطلاقا من المؤتمر الرابع والعشرين، انتظمت وكثرت دراساتها العلمية. وتتعلق بالاقتصاديات في شرقي آسيا بصفة خاصة، إضافة إلى البحث في الأصول التاريخية والثقافية والعرقية للجنس الصيني عامة، ولاسيما هونج كونج، وتمكنت من استضافة الدورة الرابعة والثلاثين سنة ١٩٩٣م (١٤١٣هـ).

– سيلان، أو سريلانكا، انطلقت مشاركاتها منذ المؤتمر الثاني ثم الثالث عشر، فالخامس عشر والسابع عشر والثامن عشر، ثم الرابع والعشرين وما يليه. ولمنسوبيها مشاركات تتعلق بالمنطقة وآدابها ودياناتها وثقافاتها وتاريخها.

– سنغافورة، بدأت مشاركاتها انطلاقا من المؤتمر العشرين، ثم الثالث والعشرين فالرابع والعشرين، ثم تواصلت بعد ذلك مشاركاتها بكثافة أكثر، وبدرجة أهم. واهتمت في مشاركاتها العلمية بالمنطقتين الملاوية والصينية، وهي دراسات شبيهة بالذي ذكر قبلها.

– فيتنام، أول مشاركة باسمها تمت في المؤتمر الحادي والعشرين، فالرابع والعشرين فالسابع والعشرين فالثامن والعشرين ثم توقفت.

– كوريا، ظهرت المشاركات الكورية متأخرة، منذ المؤتمر الرابع والعشرين. لكن مساهماتهم كانت فعالة، فانطلاقا من المؤتمر السابع والعشرين، ازدادت فعالية مساهماتهم العلمية، وهي متعلقة بالمنطقة، على غرار غيرها من المناطق، في البحث عن أصولها العرقية والثقافية، وغيرها من المقومات الحضارية، إضافة إلى التباحث حول علاقاتها بجيرانها، ولاسيما الصين واليابان.

– الفيليبين، ابتدأت مشاركتها متأخرة أيضاً، منذ المؤتمر الرابع والعشرين، ولممثليها مساهمات علمية، تتعلق في معظمها بالفيليبين ومشكلاته وموروثاته، وعلاقاته بغيره وأصوله.

– منغوليا، لم تظهر إلا في المؤتمر السادس والعشرين بمشاركتين، ثم توقفت.

– النيبال ورد اسمها لأول مرة في المؤتمر السادس والعشرين، ثم المؤتمرين الذين يليانه فقط.

– جزر فيجي وغينيا الجديدة وكمبوديا وماكاو، لم يظهر اسمها إلا في المؤتمر الثامن والعشرين.

– الهند، كثرت مشاركاتها، ولا سيما بعد استقلالها، وكثر المشاركون من جهتها، سواء من المسلمين أو من غيرهم، وما يهمنا هنا هم غير المسلمين. فلقد تميزت مشاركاتهم بتمحورها حول متعلقات الهند بصفة خاصة. فقد سلطوا الأضواء على تاريخ الهند وثقافاتها وفلسفاتها ودياناتها وإمبراطورياتها وآثارها وسياساتها وعلومها ومعارفها، وعرقياتها وأصول لغاتها، وعلاقاتها بالثقافات والحضارات العتيقة والحديثة. وكان نشاطهم في هذا المجال كثيفا جدا. وأظهروا من أنفسهم جدارة، لدرجة أنهم تمكنوا من الحصول على موافقة على استضافتهم المؤتمر السادس والعشرين سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، ونجحوا في إدارته.

أما اليابان، فهي أولى المشاركات، وصاحبة أكثر المساهمات في مؤتمرات المستشرقين العالمية. وقد تم تأخير الحديث عنها، لما امتازت به عن غيرها من الدول الشرقية الأخرى، كما أنها لم تكتف بالبحوث الذاتية من الخاصة بها كغيرها من الدول الشرقية، بل تعد منوعة في بحوثها، فشملت كل الميادين الاستشراقية، فبحثت في الدراسات الهندية والصينية والقوقازية، والجهات الآسيوية المختلفة، والفرعونية والسامية والإسلامية والتركية. وانكشفت اهتمامات اليابانيين وبان أفق

دراساتهم وعمقه بصفة خاصة، في المؤتمر الذي استضافوه في طوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، ففيه برهن اليابانيون عن ثرائهم الدراسي الشرقي العام.

وحتى يستبين أمر المشاركات اليابانية هذه، يمكن تحليل بعض مساهماتهم المتعلقة بالعالم الإسلامي[١]. فمنها يمكن أن نلحظ بوضوح مدى النشاط الذي يقوم به الباحثون اليابانيون عن العالم الشرقي، واهتماماتهم بمكوناته المختلفة، الدينية والأدبية والفلسفية والعقدية، وهذا في جانب العالم الإسلامي، وهي عينة صغيرة جداً، مما يدل على أن ما عداها أوسع منها بكثير. ولعل هذا ما دعا البعض إلى إطلاق مصطلح الاستشراق الياباني على مثل هذه النوعية من الدراسات[٢]. ولعل الجدول يؤيد مثل هذا التوجه، بل إنه يبدو عميقا أيضا، إذ يبدو أنه بدأ متأخرا، ومن خلال ثلاثة مؤتمرات فقط طرحت عشرون دراسة، تتعلق بالعالم الإسلامي فحسب، أي بمعدل سبع دراسات في كل منها، فالنسبة تكون أعلى بكثير لو تفحصنا كل الدراسات الاستشراقية.

أما الأفارقة، من غير شمال إفريقيا، فإن مشاركاتهم في المؤتمرات قليلة جداً، بل هي معدودة على الأصابع، ولا نجد سوى بعض الأسماء القليلة. فأول مشاركة إفريقية جاءت في المؤتمر العاشر بجنيف سنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، وجاءت من جنوب إفريقيا، واسم الشخص الفريد "فيلجوين Viljoen"، ثم القديس "هانلن Rev. Bishop, Nanlen" من أوغندا في المؤتمر الحادي عشر، ولعلهما ليسا من أصيلي المنطقة، ثم نجد أربعة أشخاص في المؤتمر السابع والعشرين، اثنان من غانا، وواحد من كينيا وآخر من أثيوبيا، كما نجد شخصين من جنوب إفريقيا وآخر من الكامرون في المؤتمر الثاني والثلاثين. وتوجد لبعض المذكورين مشاركات علمية. ذاك كل ما ظهر من مساهمات الأفارقة في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

---

[١] الجدول المتعلق بدراساتهم في الملحق رقم ٢٦ ص ٧٠٨ من الرسالة.

[٢] من ذلك على سبيل المثال: أحمد فؤاد الأهواني: "ما يقال عن الإسلام: مستشرق من اليابان يكتب عن الله والإنسان في القرآن" – الأزهر – العدد ٣ – جمادى الأولى ١٣٨٤هـ، أكتوبر ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ) – ص ٣٦٠ – ٣٦٥.

تلك إذن صورة وصفية إحصائية عن مشاركات الدول الشرقية خارج نطـاق العالم الإسلامي والشرق الأوسط، و بها كمل الحديث عن مسـاهمات الشـرقيين العلمية في مؤتمرات المستشرقين العالمية، وهي تبين أن لهذا الشق من العالم دور يتنامى في إطار المشاركات العلمية في المؤتمرات، وأن دورهم لم يعد خافيا على المشاركين والمطلعين.

المبحث الثالث: مؤتمرات المستشرقين العالمية في البلدان الشرقية

عقد في الشرق خمسة مؤتمرات عالمية للمستشرقين، أولها كان في الجزائر في العام ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، والثاني في إستانبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، والثالث في نيو دلهي سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، والرابع في طوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، وآخرها في "هونج كونج" في العام ١٩٩٣م (١٤١٣هـ). وفي هذا المبحث، سيتم إعطاء نبذة موجزة عن كل من هذه المؤتمرات.

١ – مؤتمر الجزائر:

انعقد هذا المؤتمر في العام ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، وهو المؤتمر الرابع عشر، وثاني مؤتمرات القرن العشرين.

في تلك الفترة، كانت الجزائر تقبع تحت نير الاحتلال الفرنسي، وكانت تعج بالمستشرقين الفرنسيين، كما كانت تعد امتدادا لفرنسا فيما وراء البحار. لذا، رغم أن المؤتمر عقد في الجزائر، إلا أنه لم يخرج عن صبغته الاستشراقية ولا عن الهيمنة الاستعمارية ولا عن سمات التفوق العرقي والعنصري، وهي السمات التي ميزت مؤتمرات تلك الحقبة.

في نهاية المؤتمر الثالث والعشرين، اتخذ المؤتمرون قرارا يقضي باختيار الجزائر مقرا للمؤتمر الرابع عشر، وهو بذلك يخرج من حدود القارة الأوروبية لأول مرة. وانطلقت أعماله من التاسع عشر من شهر إبريل حتى السادس والعشرين من الشهر ذاته.

حضر المؤتمر أكثر من ستمائة مشارك[1]. وهو عدد يعد محترما قياسا بتلك

---

[1] ذكرت مجلة Revue Africaine أن الحضور كانوا خمسمائة، ولعلها تقصد الوافدين من الخارج، ولفظها يوحي بهذا، وهذه ترجمته "... لقد ضم مؤتمر المستشرقين العالمي خمسمائة عضوا جاؤوا من أنحاء المعمورة كافة..."

Revue Africaine, publie par la Societe Historique Algerienne - 49e Annee - Vol

الفترة، حيث كانت مشكلة النقل عويصة[1]. كما أن بعض المؤتمرات في أوروبا نفسها، تراوح عدد المشتركين فيما حوالي المائتي مشارك[2]. وقد شارك من الجزائر حوالي خمسة وثمانين ومائة، قرابة الخمسين منهم من أصيلي الجزائر، لم يكن لهم دور فعال في المؤتمر، ولعل حضورهم كان لغاية سياسية بحتة، وبيان ديمقراطية الفرنسيين، وتبرير حجتهم تثقيف أهل البلد وتنويرهم. والباقي من المستشرقين والمستعمرين الفرنسيين.

أ – نظام المؤتمر الإداري:

تكون النظام الإداري للمؤتمر في الجلسة الافتتاحية، وكان كما يلي:

– رئيس المؤتمر: "رينيه باسي Rene Basset"، مدير المعهد العالي للآداب بالجزائر.

– نواب الرئيس :

*– ماسبي Maspe: أستاذ بالمعهد العالي للآداب	
*– لوسياني Luciani: مستشار حكومي.	*– بوكندورة: مفتي الجزائر

– السكرتير العام: إدمون دوتي Edmond Doutte .

– السكرتاريون المساعدون:

إيفي Yver: أستاذ بالمعهد العالي للآداب.	شامبيج Chambige: رئيس مكتب سكرتير الحكومة العام.

---

49 - No 258 - 259 . 3eme et 4eme trimestre - 1905 - p. 263.

[1] تمكن المؤتمرون من الحصول على تخفيضات هامة، على وسائل النقل الحديدية والبحرية، ورغم ذلك لم يكن الإغراء دافعا لتدفق المستشرقين على الجزائر.

Revue Africaine, publie par la Societe Historique Algerienne - 14 Annee - Vol 48 - Alger - 1904- - Germany - Kraus Reprent - Nendeln/ Liechtenstein - 1971 - pp. 198 - 200.

[2] يمكن التعرف على ذلك بيسر في Atti del IV Congresso Internationale degli Orientalistic - Florence - 1878 - Volume primo - pp. 338 - 344 .

إذ سجل ٢١٨ فقط أسماءهم، ولم يحظروا كلهم. وكذلك: Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - pp.5 – 21

فقد سجل ٤٥٣ عضوا أسماءهم ، ولم يحظر سوى ٢١٩، pp. 33 - 35.

مارسي Marcais: مديـــر "المدرســـة بالجزائر La Medersa d'Alger".	شارشلي Charchelly: ملحق بإدارة الشؤون البلدية.
جودفـــروا دومونبيـــن Gaudefroy-Demonbines: سكرتير معهد اللغــات الشرقية الحية.	دو كالاســـتي مونتيلانســـكي De Calassanti-Motylinski: مديـــر "المدرسة" بقسنطينة.

– محاسب المؤتمر: دافيد David، مستشار الحكومة، رئيـس السـكرتارية الخاصة للمقيم العام.

إلى جانب ذلك، عين المقيم العام كلا من مفوضي الحكومة[١]:

ـــ المقدم لاكروا Lacroix، مندوب المؤتمر العام.

ـــ الضابط المترجم ميرنت Mirante، مندوب المؤتمر المساعد.

إضافة إلى الإدارة العامة للمؤتمر، توجد لجـــان أخــرى لتــأييد المؤتمـــر وإنجاحه. فقد عقد المؤتمر تحت إشراف حاكم الجزائر العام "جونار Jonnart"[٢]، ووضع تحت الرئاسة الفخرية لملك السويد أوسكار الثاني[٣]، أما راعي المؤتمـــر فهو الأرشيديق ريني Rainer حاكم النمسا[٤].

فيما سبق أن تكونت لجنة شرفية برئاسة إيتيان، النائب بالبرلمـــان ووزيـــر الداخلية[٥]، ولجنة دعم برئاسة "باربي دوماينار Barbier de Meynard"، عضو المؤسسة ومدير معهد اللغات الشرقية الحية، والأستاذ بـــ"كولاج دو فرانـــس"[٦]، هذا إضافة إلى السكرتاريين الممثلين للمؤتمر خارج الجزائر العاصمة وخارج

(1) Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - premiere partie - p.3. and "Les cngres d'Avril 1905 aAlger et la visite du ministre de L'instruction publique" - Revue Africaine - 49eme Annee Vol. 49 - No 258 -259 . 3eme et 4eme trimestre - p. 268.

(2) Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - premiere partie - p. 1.

(3) Ibid. - premiere partie - p. 1 .

(4) Ibid. - premiere partie - p. 1 .

(5) Ibid. - premiere partie - p. 1 .

(6) Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - premiere partie - p. 2.

حدود الدولة[1].

لو تصفحنا هذه القوائم، من الأسماء في سلم الإداريين، يمكن استخلاص عدة ملحوظات، ومن ثم تلخيصها فيما يلي:

– لا نجد من ضمنها سوى اسم عربي واحد، وهو "بو كندورة"، مفتي الجزائر، الذي عين في منصب ثالث نواب رئاسة المؤتمر، مما يبين بوضوح درجة الهيمنة الاستعمارية في المجتمع الجزائري، وأما حضور حوالي خمسين جزائريا ما هو إلا دعاية سياسية لفرنسا الدولة المستعمرة.

– الهيمنة السياسية على المؤتمر، فاللجنة الشرفية تتكون في معظمها من السياسيين، ومن ضمنهم وزراء، إضافة إلى تدخل حاكم الجزائر الفرنسي، وتعيينه مندوبين خاصين له في المؤتمر.

– هيمنة المدرسة الاستشراقية الفرنسية على إدارة المؤتمر،إذ إن كل المعينين من الفرنسيين ومن مستشرقيهم. فما عدا الجزائري الوحيد، ومندوب المؤتمر بواشنطن، فكل البقية فرنسيون، سواء المقيمون منهم في الجزائر أو العاملون في فرنسا.

ب – أعمال المؤتمر ومساره العلمي:

انقسم المؤتمر إلى سبع لجان علمية، وهي:

الهند واللغات الآرية واللغات الهندية[2]	اللغات السامية[3]
اللغات الإسلامية: عربية، تركية، فارسية[4]	مصر؛ اللغات الإفريقية، مدغشقر[5]
الشرق الأقصى[6]	اليونان والشرق[1]

---

[1] Ibid. - premiere partie - p. 4.

[2] Ibid. - premiere partie - p. 6 .

[3] Ibid. - premiere partie - p. 6 .

[4] Ibid. - premiere partie - p. 7 .

[5] Ibid. - premiere partie - p. 9 .

[6] Ibid. - premiere partie - p. 10 .

	الآثار الإفريقية والفن الإسلامي[٢].

نظمت أعمال المؤتمر على شاكلة لجان، وقد ركز اهتمامه على الدراسات اللغوية عموما، والإسلامية منها بصفة خاصة[٣]، وهي اللجنة التي كانت ثرية بالمحاضرات أكثر من غيرها من اللجان[٤]. و لتبين نوعية الأبحاث التي عرضت، يمكن الاطلاع على ما عرض في لجنة الدراسات الإسلامية، كعينة، وذلك لارتباطها الوثيق بمنطقتنا[٥].

ومع ذلك، لم يعمل بالبرنامج المعلن أساسا حرفيا كما خطط له، بل أضيفت له دراسات أخرى، ألقيت أثناء انعقاد المؤتمر[٦]. وهذه الظاهرة تكاد تصحب كل مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين العالمية، بحيث إنه يأتي أصحاب البحوث ولم يكونوا قد أرسلوا دراساتهم، ويطالبون بإدراج مساهماتهم في القائمة. وقد ذكر مثل هذه الظاهرة الشيخ حمد الجاسر في مؤتمر باريس التاسع والعشرين، سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)[٧]، ولمسته بنفسي في مؤتمر بودابست سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، وقد مر أن من مهام اللجنة الاستشارية البت في مثل هذا الأمر[٨].

كما قدم الشيخ عبد العزيز جاويش، وكان ساعتها أستاذا بأكسفورد[٩]، مداخلة نقد فيها آراء المستشرق "فولرس"[١٠]، متخليا عن مساهمته الأصلية، والتي كانت

---

[1] Ibid. - premiere partie - p. 10 .

[2] Ibid. - premiere partie - p. 11 .

[3] Revue Africaine, publie par la Societe Historique Algerienne - 14eme Annee - Vol 48 - Alger - 1904 - p. 199.

[4] Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - troisieme partie and troisieme partie (Suite).

[٥] جدول المساهمات تلك في الملحق رقم ٢٦ ص ١١٢٦ من البحث.

[٦] هذه الدراسات بالملحق رقم ٢٧ ص ١١٣٨ من البحث.

[٧] حمد الجاسر: "على هامش مؤتمر المستشرقين ــ أيام في باريس ــ٢ــ"، العرب اللجنة التنفيذية جزء ٧و٨ – محرم وصفر سنة ١٣٩٤هـ/فبراير ومارس ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، ص ٤٩٤-٤٩٥.

[٨] تم الحديث عن ذلك ص ١٢٥ من البحث.

[9] Ben Chenab, Mohammed: "IIIeme Section: Langue Musulmane" - Revue Africaine - 49eme Annee - Vol 49 - Alger 1905 - p. 320.

[١٠] ورد عنوان هذه الدراسة بالملحق رقم ٢٦ ص ١١٢٦ من البحث.

بعنوان "الإسلام ديانة فطرية، ودور المرأة المسلمة"[١]. ولعل الشيخ هذا هو الذي عناه أنور الجندي، ذاكرا إنه تصدى لتطاول "فولرس"، على القرآن الكريم[٢]، إذ إن مساهمة "فولرس" أحدثت ردة فعل غاضبة لدى المسلمين الحاضرين، حتى أنهم هموا بمغادرة قاعة المحاضرة، وطالب العديد منهم بترجمة المقالة تلك، حتى يمكنهم الرد عليها بالحجج القاطعة[٣].

أما عن مسار المؤتمر العلمي، فقد انطلقت أعماله يوم الأربعاء التاسع عشر من إبريل، في التاسعة والنصف صباحا، بالجلسة الافتتاحية، ودامت ساعتين. أما أعمال اللجان، فابتدأت في اليوم نفسه مساء، ابتداء من الساعة الثالثة بعد الظهر. وعقدت يوم الخميس الموالي حصتان علميتان، صباحية ومسائية، ثم يوم السبت الثاني والعشرين ، والثلاثاء الخامس والعشرين، حصة صباحية، وكذلك يوم الأربعاء السادس والعشرين عقدت جلسة صباحية للجنة الدراسات الهندية فقط، كما عقدت جلسة جماعية، وهي ندوة للمستشرق "رواني"، ألقى فيها محاضرة عن الموسيقى العربية[٤].

أما الجلسة الجماعية الختامية، فكانت يوم الأربعاء السادس والعشرين من إبريل، في تمام التاسعة ونصف. وفيها تداول المؤتمر أمر اختيار مكان انعقاد المؤتمر القادم، واتفق على أن يكون بـ"كوبنهاجن"[٥]. ثم ناقش الجمع شأن طباعة أعمال المؤتمرات، وتقرر العود إلى الطباعة الشاملة للأعمال، بخلاف القرار الذي اتخذ في مؤتمر همبورغ، الذي دعا إلى اختصار الوقائع[٦]، وسيأتي تفصيل الحديث عن هذه النقطة[٧].

---

(1) Ben Chenab, Mohammed: "IIIeme Section: Langue Musulmane" - Revue Africaine - 49eme Annee - Vol 49 - Alger 1905 - p. 320.

(٢) سبق ذكر كلام أنور الجندي في المقدمة ص "ل" في مقدمة البحث .

(3) Ben Chenab, Mohammed: "IIIeme Section: Langue Musulmane" - Revue Africaine - 49eme Annee - Vol 49 - Alger 1905 - p. 320.

(4) Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - premiere partie - p. 89.

(5) Ibid. - premiere partie - p. 70 .

(6) Ibid. - premiere partie - p. 71 .

(٧) سيأتي ذلك ص ٤٩٨ من البحث.

أما النقطة الثالثة، التي درستها الجلسة، فتتعلق بالبيبليوغرافيا الاستشـــراقية، وطالب المؤتمر الحكومات المساهمة في تحريرها، وعينت الجلسة اللجنـــة التـــي ستهتم بالتحرير والنشر[1]. كما درس مقترح طباعة مصنف الإدريسي، الذي أعده "سايبولد"[2]، وقدم رجاء يتمثل في تقديم مساهمات للطباعة التي تتم شيئا فشـيئا[3]. وبحث رجاء قدمته وزارة المستعمرات الفرنسية، وتتعلق بالبحث العلمي لأصـــول "البهلس Peuhls"[4].

أما أيام الحادي والعشرين والثالث والعشرين والرابع والعشرين، فلم يذكـــر عنها شيء في أعمال المؤتمر، ولعلها كانت زيارات ورحلات وضيافات داخـــل الجزائر، على العادة في كل المؤتمرات.

ج – مميزات المؤتمر:

يمتاز مؤتمر الجزائر بأنه أول مؤتمر عقد خارج أوروبـــا، كمـــا إنـــه أول مؤتمر يعقد في بلد شرقي، يمثل أحد موضوعات المستشرقين الدراسية، كما إنـــه المؤتمر الذي تعمق أكثر من غيره من المؤتمرات السابقة والعديد من اللاحقة، في الدراسات العربية والإسلامية والإفريقية.

ورغم إنه عقد في بلد مسلم، إلا أن القائمين عليه مستشرقون مســـتعمرون، وهو ما لم يحصل في بقية المؤتمرات التي عقدت في الشرق، كما سيأتي، ولعـــل ظروف الجزائر الاستعمارية هي التي حتمت ذلك، وربما ما كان المؤتمر لينعقـــد في الجزائر، لو لم تكن مستعمرة، والحجة أن مصر طلبت مرات عدة اســـتضافة المؤتمر، لكن طلباتها لم تلب.

حاول المستشرقون الذين يعيشون في الجزائر وســـائر إفريقيـــا، أن يثبتـــوا أهميتهم وحقيقة تواجدهم، على الساحة الاستشراقية، حتى أنهم عارضوا بعض ما

---

(1) Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - premiere partie - p. 71.

(2) Ibid. - premiere partie - p. 71 .

(3) Ibid. - premiere partie - p. 71 - 72 .

(4) Ibid. - premiere partie - p. 72 .

اتخذه أسلافهم من قرارات، مثل شأن طباعة أعمال المؤتمرات.

من جهة أخرى، نلمس تناقضات بين درجات أهمية المشاركات الإسلامية، ولاسيما الجزائرية منها، ففي حين يقف الشيخ عبد العزيز جاويش ليفند آراء جهابذة المستشرقين، لدرجة التنويه به(١)، نجد شخصا آخر، يتقدم بمجرد قصيدة يمدح فيها المؤتمر ويكيل المديح لحاكم الجزائر، المستعمر "جونار"، لدرجة إنه يقول فيها:

"جونار ذاك الشهم من به ارتفعت جزائر وسما لها المقدار"(٢).

كما أن الصبغة السياسية كانت مسيطرة على مسار المؤتمر، فنجد حاكم الجزائر هو الذي يعين اللجنة التنظيمية التي أعدت لانعقاد المؤتمر(٣)، وهو الذي انعقد المؤتمر تحت رعايته، وابتدع منصبين في الإطار الإداري، وهما منصبان لم يوجدا قبله ولا بعده. كما ترأس الجلسة الافتتاحية. أما الجلسة الختامية، فقد ترأسها وزير التثقيف الشعبي الفرنسي، الذي جاء لزيارة الجزائر، وحضور بعض فعاليات المؤتمر واختتامه.

تلك كانت فكرة عامة عن مؤتمر الجزائر، أول مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين العالمية، يعقد خارج أوروبا.

٢ – مؤتمر إستانبول:

انعقد المؤتمر هذا سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، وهو ثاني مؤتمر يعقد جلساته في دولة شرقية، تشغل حيزا كبيرا في دراسات المستشرقين، وهو المؤتمر

---

(١) من هؤلاء مثلا إسماعيل العربي، الكاتب الجزائري، الذي علق على نتيجة كلام "فولرس" فقال: "فضج الحاضرون لهذا القول ضجيجا، وثار ثائرهم لهذا المنكر من القول والزور، وفي مقدمتهم الشيخ عبد العزيز جاويش، فقام ورد ردا عنيفا على الأستاذ فولرس، ردا أخذ بمجامع قلوب الحاضرين..." . ورد هذا في كتاب إسماعيل العربي: الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي – الجزائر – المؤسسة الوطنية للكتاب – ١٩٨٧م – ص ٧٤ . وقد سبقت الإشارة لرأي أنور الجندي، وستأتي الإشارة لرأي محمد بن شنب.

(2) Ibid. - premiere partie - p. 70 . وصاحبها هو شعيب بن علي ، وكان قاضيا على تلمسان

(3) “Les Congres d’Avril 1905 a Alger ...” - 49eme Annee - Vol 49 - p14 .

الثاني والعشرون، وانعقد في آخر عاصمة للخلافة الإسلامية حتى الآن.

حضر المؤتمر أربعة وعشرون وخمسمائة مؤتمر، من ضمنهم خمسة وتسعون من تركيا[١]. أما من الدول الإسلامية الأخرى، فقد حضر واحد من كل من الجزائر وإندونيسيا، واثنان من السودان، وثلاثة من العراق وأربعة من تونس وعشرة من لبنان وتسعة من الباكستان، وأحد عشر من إيران، وستة عشر من مصر[٢]. أما الممثلون الرسميون من الدول الإسلامية، فهم واحد من كل من مصر ولبنان والسودان، واثنان من الباكستان وثلاثة من تونس[٣].

ومما يلفت الانتباه في هذا المؤتمر، تواجد كثافة عددية إسرائيلية، بلغت خمسة عشر شخصا، منهم خمسة مندوبون عن الحكومة الإسرائيلية[٤]، وهو ثاني أكبر عدد من الحضور الشرقي بعد مصر. أما الدول الشرقية الأخرى، فقد أرسلت الهند ثلاثة عشر باحثا، أما اليابان فمثلها واحد فقط مندوبا عن الحكومة[٥].

أما الدول الغربية، فأكبر عدد ورد من ألمانيا، وبلغ ثلاثة وسبعين مستشرقا، تليها بريطانيا بعدد ستين، ففرنسا خمسة وخمسين ثم إيطاليا اثنين وثلاثين، وبعدها الولايات المتحدة الأمريكية وعدد مشتركيها أربعة وعشرون مستشرقا، فبلجيكا ثلاثة وعشرون، أما بقية الدول فيتراوح عدد المشتركين منها ما بين عشرة إلى شخص واحد فقط[٦].

أ- نظام المؤتمر الإداري:

انعقد المؤتمر تحت رعاية رئيس الجمهورية التركية "جلال بيار"، وتكونت لجنة راعية رئيسها "عدنان مندريس"، رئيس الحكومة، ومن أعضائها وزير الشؤون الخارجية، ووزير التعليم ورؤساء جامعات إستانبول وأنقرة والتقنية،

(1) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 - p. 37.
(2) Ibid. - Vol1 p. 37.
(3) Ibid. - Vol1 p. 37.
(4) Ibid. - Vol1 p. 37.
(5) Ibid. - Vol1 p. 37.
(6) Ibid. - Vol1 p. 37.

وحاكم إستانبول[١]. أما اللجنة الشرفية، فقد ضمت مجموعة من الشخصيات المعرفية المشهورة عالميا، منهم طه حسين من مصر[٢].

أما اللجنة التنظيمية فكانت على النحو التالي[٣]:

- الرئيس: زكي وليدي طوقان.
- نائب الرئيس: ضياء الدين فخري فنديكوجلو، وكورت بيقال.
- السكرتارية العامة، وبها كل من: بولانت داوران، ودوزنت فاخر إز.
- الأعضاء: ألكيم بهادر، ورشيد رحمت أرات، سعد الدين بولوتش، وعقيف إرزن، وكلهم من جامعة إستانبول.

كما تكون مجلس استشاري ضم ثمانية عشر عضوا، اجتمع اثنتي عشرة مرة، فيما بين الثاني والعشرين من ديسمبر ١٩٥٠م، حتى الثالث عشر من أغسطس ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)[٤]. وهذا المجلس هو الذي عين اللجنة الشرفية[٥].

وضم مكتب اللجنة التنظيمية، فتكون من مجموعة من الشخصيات، وزعت مهامها بإحكام[٦]. أما رئاسة المؤتمر فوكلت لـ"زكي وليدي طوقان"، والسكرتارية العامة لـ"فاخر إز"[٧]. وتكونت اللجنة الاستشارية من مجموعة من الباحثين من جل أنحاء العالم[٨].

ب – نظام المؤتمر العلمي:

أما أعمال المؤتمر ونظامه العلمي، فقد نظمت خمس عشرة لجنة، وانقسمت بعض اللجان إلى لجان فرعية، بلغت حد الأربع أحيانا، وعين لكل لجنة، ولجنة

---

(1) Ibid. - Vol1 p1.
(2) Ibid. - Vol1 p1.
(3) Ibid. - Vol1 p. 2.
(4) Ibid. - Vol1 p2.
(5) Ibid. - Vol1 p1.
(6) Ibid. - Vol1 p. 3.
(7) Ibid. - Vol1 p. 4.
(8) Ibid. - Vol1 p. 4.

فرعية، رئيس لها. وجاء التقسيم والتعيين على النحو التالي[1]:

الشرق القديم	أناضوليا القديمة: *ـ الآثار، *ـ الفيلولوجيا،
الدراسات السامية	الدراسات الإسلامية: *ـ اللغة العربية وآدابها، *ـ التاريخ، *ـ الدين، *ـ المشكلات الاجتماعية
الشرق الأقصى: *ـ الصين واليابان، *ـ المالايو وإندونيسيا،	آسيا الوسطى
الدراسات التركية: *ـ التاريخ، *ـ فيلولوجيا، *ـ المشكلات الاجتماعية	الدراسات الهندية
الدراسات الإيرانية	نصارى الشرق
العهد القديم	الدراسات الإفريقية،
الدراسات المصرية	الدراسات البيزنطية الإسلامية
الفن الإسلامي: *ـ الفن الإسلامي، *ـ الفن التركي والفارسي	

الملاحظ في رؤساء اللجان هؤلاء، باستثناء علي أصغر حكمت الإيراني، الذي عين رئيسا للجنة الدراسات الإيرانية، وفؤاد البستاني، وهو نصراني شرقي، وعين رئيسا للجنة دراسة نصارى الشرق، فإن بقية اللجان أعطيت رئاستها كلها لمستشرقين، بينما كان من المؤمل أن يكون رؤساء اللجان شرقيين، أو على الأقل رؤساء اللجان المخصصة للدراسات الإسلامية والتركية، ولاسيما أن المؤتمر يعقد في بلد إسلامي شرقي، حتى ينتفي أمر احتكار الغربيين للهيمنة على قيادة هذه الدراسات، وتوجيهها حسب مرادهم. إلا أننا لا نرى ذلك، بل أعطيت تلك الرئاسات لمتخصصين غربيين.

---

[1] Ibid. - Vol1 pp. 4 -5.

أما أعمال المؤتمر فقد تمت على شكل لجان. وانصب اهتمام المؤتمر الأساس على الدراسات التركية والأناضولية، وما يتعلق بها، ثم الدراسات الإسلامية، لارتباطها الوثيق بالدراسات التركية. وإذا أردنا التعرف على عينة من الدراسات التي قدمت في المؤتمر، في لجنة الدراسات الإسلامية، وما عرض فيها من أعمال، في لجانها الأربع، فيمكن الاطلاع على ما قدم فيها من الدراسات، التي لم تعط لها عناوين، بل تعريفات قصيرة بموضوعاتها[١].

ج – مميزات المؤتمر:

أما عن مميزات المؤتمر، فإن أهمها قيام إطار شرقي مسلم، بالإشراف عليه. فباستثناء اللجنة الاستشارية العالمية، التي اتخذت أصلا صبغة عالمية، ورؤساء اللجان، فإن الإطار الإداري كله تركي. وقد تبين حسن الترتيب والتنظيم، وذلك بالدقة في توزيع المهام بتوكيل كل عضو من أعضاء اللجنة التنظيمية بمسؤولية خاصة به.

وإثر دعوة من مندوب اليونسكو "فاوتيي Fawtier"[٢]، تقضي بمحاولة إيجاد منظمة عالمية توحد المستشرقين، وتعمل تحت إطار منظمة اليونسكو، أو بالتعاون معها، كي يمكن للمستشرقين الاستفادة من حصة من موارد اليونسكو المالية، يوظفونها لأعمالهم نجح المؤتمر في تكوين إطار نواة وأساس لـ"اتحاد المستشرقين العالمي"، وقدمت عريضة حول قواعده العامة[٣].

تباحث المؤتمر كذلك عملية إخراج دائرة معارف تتعلق بالعالم الناطق بالتركية، ولاسيما الفيلولوجيا والتاريخ التركي، واتخذت الخطوات اللازمة لذلك[٤].

---

(١) يمكن الاطلاع عليها في الملحق رقم ٢٧ ص ١١٣٨ من البحث.

(٢) كلمة "فاوتيي" في المؤتمر، موجودة في

Fawtier (Address) - Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 - pp. 60 - 61 .

(3) Ibid. - Vol1 pp129 - 137 and 207 - 208.

(4) Ibid. - Vol1 pp. 137 - 138 and 208.

والأمر الثالث الذي تميز به المؤتمر ونجح فيه أيضا، لجنة ثالثة تكونت لتبحث تكوين هيئة من شأنها توحيد الأعمال العلمية المتعلقة بالدراسات الإسلامية، واستطاع هذه اللجنة إنشاء أساس لـ"اتحاد الشراكة العلمية للدراسات الإسلامية "Union for Scientific Collaboration in Islamic Studies"، وحددت برنامجه العملي[١].

وعموما، تميز مؤتمر إستانبول بنجاحات عدة، على الصعيد الإداري والعلمي، وحتى الزيارات والمعارض التي أقيمت على هامش المؤتمر. وأثبت المؤتمر هذا قدرة الشرقيين بعامة، والمسلمين بخاصة، على قيادة تجمعات عالمية، وإدارتها وتنظيمها، ولعل هذا ما شجع على انعقاد ثلاثة مؤتمرات أخرى في البلدان الشرقية.

أما النتائج الأخرى، التي خرج بها المؤتمر، فهي توصيات من عدة لجان دراسية، تتعلق بموضوعات خاصة بتلك الدراسات. ومن أبرزها، وصية اللجنة الثالثة باستحداث لجنة للدراسات اليهودية، انطلاقا من المؤتمر الموالي، وأن يتغير مسمى لجنة دراسة العهد القديم لتسمى "العهد القديم والدراسات اليهودية "Old Testament and Jewish Studies"[٢]، وأوصت اللجنة الرابعة بمزيد العمل في دائرة المعارف الإسلامية، حتى تكتمل في أسرع وقت ممكن، كما عبرت عن رضاها في مسارها حتى ذاك الوقت[٣]، وأعلنت اللجنة الخامسة عشرة، والتي تدرس الفن الإسلامي، عن أملها في تذليل الصعوبات أمام المستشرق الصهيوني الإسرائيلي "ماير"، الذي بدأ بحثا عن سيرة الفنانين المسلمين ومسار الفن الإسلامي، حتى يكتمل عمله هذا، ليكون مرجعا عن سير الفنانين المسلمين[٤]. كما نادت بمساعدة المستشرق "شارز كوانتز "Charlz Kuentz"، مدير معهد الآثار الشرقية بالقاهرة، في مهمته المتمثلة في إعداد ببيليوغرافيا

---

[1] Ibid. - Vol1 pp138 - 141 and pp. 208 - 209.
[2] Ibid. - Vol1 p. 211.
[3] Ibid. - Vol1 p. 211.
[4] Ibid. - Vol1 pp. 211 - 212.

سنوية عن الفن والعمارة الإسلامية، وتوفير مواد البحث له، حتى تتحقق المهمة[١].

ومن التوصيات أيضا، اختيار معهد الدراسات التركية بإستنبول، ليكون مقرا للجنة العمل في الــ Grundriss [٢] ومعهد الدراسات الإسلامية، بكلية الآداب والفنون، مقرا "لاتحاد الشراكة العلمية للدراسات الإسلامية"[٣].

تلك كانت خلاصة موجزة عن مؤتمر إستانبول، وأعماله ومميزاته ونتائجه.

٣- مؤتمر نيو دلهي:

انعقد هذا المؤتمر سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ). وهو ثاني مؤتمر يعقد خارج حدود أوروبا[٤]. وهو ثالث مؤتمر ينعقد في إحدى البلدان الشرقية، وأول مؤتمر ينعقد في آسيا. حضر جلسات المؤتمر سبعة وخمسون ومائة وألف، منهم سبعة وسبعون وخمسمائة، جاؤوا من خارج الحدود، والباقي ثمانون وخمسمائة، من داخل الهند. واظب على حضور الجلسات من الجموع ثلاثة وثلاثون وألف، ينتمون إلى اثنين وخمسين بلدا[٥]. وبلغ عدد العناوين المقدمة للمساهمات، ما مجموعه اثنان وثمانون وثمانمائة عنوانا[٦]، مما قرئ أو لم يقرأ. أما المندوبون فلم يذكر منهم إلا المندوبون عن المؤسسات، حضر من العالم الإسلامي منهم،

---

(1) Ibid. - Vol1 p. 212.

(2) Ibid. - Vol1 p. 212.

(3) Ibid. - Vol1 pp. 212 - 213.

(٤) نجد في وقائع أعمال المؤتمر أن "حميون كبير"، رئيس المؤتمر يقول إن هذه هي المرة الأولى التي يعقد فيها المؤتمر خارج أوروبا. ولعله نسي مؤتمر الجزائر، أو أنه اعتبر الجزائر امتدادا لفرنسا، أو لأن المؤتمر انعقد في فترة الاستعمار وسهر عليه مستعمرون. Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 لكن "نورمان براون يصحح ذلك في المؤتمر نفسه، ولا أدري أقصد ذلك بسبب كلام حميون أم أنه تكلم سليقة، وقال إنه المؤتمر الثاني أو الثالث الذي يعقد خارج أوروبا، ونص على الجزائر وإستانبول.
Ibid. - Vol1. - p. 51

(5) Ibid. - Vol1 - p34.

(6) Ibid. - Vol1 - p34.

واحد من إندونيسيا، واثنان من كل من أفغانستان والعراق وتونس، وأربعة من ماليزيا، وتسعة من الجمهورية العربية المتحدة، وخمسة عشر من إيران.

وكما لاحظنا في مؤتمر إستانبول سابقا، نجد هنا أيضا وجودا إسرائيليا موسعا، إذ بلغ عدد مندوبيها عشرة[١]. وشهد المؤتمر حضورا مكثفا للمندوبين الروس، ومن الولايات المتحدة، وبريطانيا والألمانيتين وفرنسا[٢]. أما اهتمامات المؤتمر، فهي موجهة بالخصوص للدراسات الهندية، وقد انقسمت لجنة الدراسات الهندية إلى خمس لجان فرعية[٣] كما سيأتي.

أ – نظام المؤتمر الإداري:

لم تذكر اللجان الراعية ولا الشرفية للمؤتمر. إنما تم الاكتفاء بذكر الإطار العام للمؤتمر، فكانت اللجنة التنظيمية على النحو التالي[٤]:

رئيس المؤتمر: حميون كبير.

السكرتير الإداري: جوش أ. ك. Ghosh A. K.

السكرتير الأكاديمي داندیکار ر. ن.

المحاسب: بادهي ر. ب. Padhi R. P.

السكرتير المساعد: كابيلا فاتسيايانا Kapila Vatsyyayana.

وساعدهم في ذلك أعضاء آخرون.

أما اللجنة الاستشارية العالمية فتكونت من مجموعة من الباحثين العالميين[٥].

والملاحظ أن الإطار الإداري للمؤتمر، فكله من الهند، أما اللجنة الاستشارية، بما إنها عالمية، فقد ضمت مندوبين من كافة أنحاء العالم، وهي الملاحظة ذاتها عن مؤتمر إستانبول.

---

(1) Ibid. - Vol1 - p. 23.

(٢) المعلومات هذه في Ibid. - Vol1 - pp. 12 - 31

(3) Ibid. - Vol1 - p. 37.

(4) Ibid. - Vol1 - p. 11.

(5) Ibid. - Vol1 - p. 36.

ب – نظام المؤتمر العلمي

انقسم المؤتمر إلى عشر لجان، تفرعت منـــها اللجنـــة السادســـة المتعلقـــة بالدراسات الهندية، إلى خمس لجان فرعية. وهذه اللجان كانت كما يلي[1]:

الدراسات المصرية	الدراسات السامية
الدراسات الحثية والقوقازية	الدراسات الألطية وتضم تركيا
الدراسات الإيرانية	الدراسات الهندية: * ـ الدراسات الفيديـــة *ـ السنسكريتية القديمة *ـ ديانة وفلسفة *ـ تاريخ وثقافة *ـ اللغات الهندية الحديثة وعلم اللغويات
دراسات جنوب شرقي آسيا	دراسات شرقي آسيا
الدراسات الإسلامية	الدراسات الإفريقية

مما يلاحظ في الإطار الإداري للجان العلمية في المؤتمر ، إنه لم يـوأس أي هندي أي واحدة منها، فيما كان كل السكرتاريين من الهند. كما إنه فيمـــا جعـل رئاسة اللجان ذات المسميات الجغرافية لأصيل من تلك المنطقة، عـــدا الهنديـــة، نجده في المجالات الأخرى جعلها كلها لمستشـــرقين متخصصيـــن، كالدراســـات السامية، والإسلامية، وفروع لجنة الدراسات الهندية.

أما عن مسار الدراسات، فتمت على شكل جلسات اللجـــان. وســـيرا علـــى المنوال المتبع، يمكن الاطلاع على عينة من الدراسات التي قدمت في المؤتمـــر، وذلك في لجنة الدراسات الإسلامية[2].

وإضافة إلى ما تم عرضه في لجنة الدراسات الإسلامية من أبحـــاث وقـــد وجدت دراسات أخرى قدمت للمؤتمر قصد تقديمها في اللجنة ذاتـــها،لكنـــها لـــم تعرض في أثناءالجلسات لأسباب خاصة بالمؤتمر، كتأخرها عن الوقت المحـــدد

---

[1] Ibid. - Vol1 - p. 37 - 38.

[2] Ibid. - Vol1 - p. 118 - 120.

والجدول الخاص بهذه الدراسات في الملحق رقم ٢٩ ص ١١٤٧ من البحث

لوصول المشاركات، أو لازدحام الدراسات في اللجان، أو غيرها من المعوقـــات. وقد بلغ عددها اثنتين وعشرين دراسة[1].

ج – مميزات المؤتمر:

فيما يتعلق بمميزات المؤتمر، فأولاها تتمثل في حضور عدد كثيف جلســاته الدراسية، أكثر من نصف عددهم من الهند نفسها، وهو ما يعبر عن الصيت الـذي لقيه المؤتمر في هذا البلد. كما امتاز بكثافة الدراسات التـــي قدمـــها شـــرقيون، ولاسيما من الهند نفسها. ولا عجب في ذلك، فإن مؤتمر الهند هـــذا، جـــاء بعـــد مؤتمر موسكو مباشرة الذي انعقد سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، وكان نقطة تحـــول في مسار المؤتمرات كما مر معنا[2]. فقد حاول مؤتمر نيو دلهي جـــاهدا إظـــهار قيمة علماء الشرق المعرفية، وسعى بالتالي إلى تجسيد الجهود التي بذلـــت فـــي مؤتمر موسكو عمليا، ومنه انطلقت الشخصية الشرقية تفرض نفسها على الســاحة العلمية في المؤتمرات، حتى أنها تكاد تفوق دراساتها المقدمة عـــدد مـــا يقدمـــه الغربيون. أما ساعتها، فقد نتج عنه أن أحدث تذمرا لدى المستشـــرقين وبـــدؤوا يدعون للبحث عن معايير تقبل على أساسها مساهمات الشرقيين، ولاســيما فيمـــا يخالف التوجه الفكري والمنهجي الغربي، وتجسد ذلك في محاضرة "فليوزا" فـــي باريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، بمناسبة مئوية المؤتمرات خلال المؤتمر التاسع والعشرين[3].

وعلى شاكلة مؤتمر إستانبول، شهد مؤتمر نيو دلهي نجاحا كبيرا في الإدارة والتسيير، مما زاد من تقوية ثقة الشخصية الشرقية بنفسها، وبرهنتها على ذلـــك للآخرين، وبأهليتها لتحمل المسؤولية. ولذا، لم يلبث الأمر طويلا حتى تم اختيـــار إيران مكانا لانعقاد المؤتمر الحادي والثلاثين، فلما تعذر ذلـــك لاحقـــا ، حولـــت الوجهة لليابان، وهو بلد شرقي كذلك.

---

[1] Ibid. - Vol4 - p. 370.

[2] سبق الحديث عنه ص ٢٠٠ من البحث وما بعدها.

[3] مر الحديث عنها وتحليل كلام "فليوزا" ص ٢٠٤ من البحث وما بعدها.

ومن مميزات المؤتمر كذلك، وأهم نتائجه، إنه وكل إليه أمر القيام بمراجعة شاملة لنظام المؤتمرات العام. وقد تكونت لجنة تدارست الأمر، وتمكنت من الخروج ببنود نظامية جديدة، تسير عليها المؤتمرات لاحقا[١]. وتعتبر أهم نتائجه وتوصياته، إضافة إلى اتخاذه قرارات وتوصيات أخرى على عادة المؤتمرات[٢].

٤ – مؤتمر طوكيو-كيوتو:

انعقد هذا المؤتمر في مدينتين يابانيتين اثنتين، وهما العاصمة الحالية لليابان، طوكيو، والعاصمة التاريخية للإمبراطورية اليابانية، كيوتو. لكن المؤتمر اشتهر باسم مؤتمر طوكيو اختصارا، وهذا ما سار عليه هذا البحث.

انعقد هذا المؤتمر في العام ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، وهو المؤتمر الحادي والثلاثون ، وثاني مؤتمر يعقد في آسيا، والرابع الذي يفتتح أعماله في بلد شرقي، وهو البلد الذي كان وراء فكرة الدعوة لانعقاد مؤتمرات المستشرقين العالمية، وخصص له معظم أبحاث المؤتمر الأول سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ).

هذا المؤتمر هو الثاني الذي انعقد تحت المسمى الجديد "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، والأخير الذي يحمل هذه التسمية بعد مؤتمر مكسيكو، الذي انعقد سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، إذ اتخذ القرار في مؤتمر طوكيو بتغيير الاسم مرة أخرى[٣].

حضر المؤتمر أكثر من ١٨٥٠ باحثا، حسب القائمة المنشورة في وقائع أعمال المؤتمرات[٤]. وعلى غرار مؤتمر الهند، الذي ظهرت فيه أعداد كبيرة من الباحثين المحليين، شهد هذا المؤتمر أيضا كثافة عددية من الباحثين اليابانيين. كما أن أعداد القادمين من المنطقة الآسيوية، المجاورة لليابان، ككوريا والصين

---

(١) سبق الكلام عنها ص ٢٢٣ من البحث وما بعدها.

(2) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 - pp. 60 - 61.

(٣) مر الحديث عن ذلك ص ٢١١ من البحث.

(4) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - Vol1 - p. 42.

والمنطقة المالايوية والفيلبين وغيرها، كانت هامة كذلك. وكانت كثافة مساهماتهم ملحوظة، ولاسيما الكوريين، بعد اليابانيين طبعا، وكذلك الصينيون.

أ – نظام المؤتمر الإداري[١]:

انعقد المؤتمر تحت شرف رئاسة الأمير الياباني "ميكاسا تاكاهيتو Mikaso Takahito".

– رئيس المؤتمر هو المستشرق الياباني "ياماموتو تاتسورو Yamamoto Tatsuro" والذي كان رئيس اللجنة التنفيذية أيضا.

– السكرتير العام هو "تاكاساكي جيكيدو Takasaki Jikido".

والملاحظ أن هذا المؤتمر كون عشرة لجان، كل منها متخصصة في جانب تنظيمي معين، بطريقة محكمة، تدل على البراعة الإدارية، يمكن أن تتخذ إطارا نموذجا لحسن التسيير، وبالتالي تعددت المناصب الإدارية[٢].

أما اللجنة الاستشارية العالمية، فتكونت من واحد وثلاثين عضوا عالميا[٣].

من هذا التوزيع، يتجلى إحكام التنظيم ودقته مرة أخرى، قصد إنجاح المؤتمر. ونلمس ذلك السعي منذ الوهلة الأولى التي طلب لليابان فيها عقد الدورة، بعد أن تعذر الأمر في إيران، فقد اشترطت تمديد فترة انتظار المؤتمر لمدة سنتين كاملتين، حتى يمكنها الاستعداد التام لاستقباله[٤]. وكان لا بد من الاستجابة لطلبها. ويبدو أن علماء اليابان المعنيين، أدركوا أهمية الفرصة هذه، ودقة الموقف، ولاسيما أن بلدهم سيضم بذلك نخبة كبيرة من أبرز المتخصصين في الدراسات الشرقية، وإنهم ربما سيوضعون أمام محك اختبار. وبما أن لليابان صيتها على الصعيد التقني والتجاري والاقتصادي، وبسبب استئثار هذا الجانب بالرفع من صيت اليابان، أمام التوجهات المعرفية الأخرى، ولاسيما الفكرية والإدارية، فهي

---

(1) Ibid. - Vol1 - p. 5.

(2) Ibid. Vol1 – pp. 7–12.

(3) Ibid. - Vol1 - p. 6.

(4) Ibid. - Vol1 - p. 29.

فرصة لإبراز قدرات اليابانيين الإدارية والتنظيمية، إضافة إلى مقدرتهم العلميـــة والمعرفية. لذا، فقد تنوعت اللجان والمهام وتعددت، وانتظم أمر إدارتها بكل دقة. وكان أن جنت الدورة ثمار ذلك كله، إذ تم لها النجاح فــي الجــانبين البشــري والعلمي. ويعتبر هذا المؤتمر من أهم المؤتمرات التي عقدت على مدى تاريخــها، ومنذ نقطة انطلاقها.

والملاحظة الأخرى، إنها على خلاف مؤتمرات الشـــرق الأخـــرى، فــإن اليابانيين هم المهيمنون على الشؤون الإدارية كلها، وتولوا جل المهام التنظيمية.

أما اهتمامات المؤتمر الرئيسة، فكانت الشؤون الآسيوية، ولاسـيما الشـرق الأقصى، وبدرجة ثانية، الموضوعات المعاصرة، التقنية والأدبية والاقتصادية.

ب – نظام المؤتمر العلمي:

تمت دراسات المؤتمر على شكل لجان علمية، وانقسم المؤتمر لذلك إلـــى تسع عشرة لجنة، وكانت على النحو التالي:

المدينة فيما قبل العصور الحديثة[١]	دراسات في تاريخ المدن في غرب آسيا وجنوبها وجنوب شرقيها[٢]: *ـ تـاريخ المدن في شرقي آسيا[٣]
الحكومات الملكية والتقاليد الاجتماعيـة الدينية في الشرق الأدنى القديم[٤]	انتشار البوذية والثقافـة الهنديـة فـي آسيا[٥]
الكونفوشسية والطاوية في شرقي آسـيا وجنوب آسيا[٦]	الحركات الدينية الإسلامية[٧]

---

(1) Ibid. - Vol1 - pp. 65 - 95.
(2) Ibid. - Vol1 - pp. 66 - 80 .
(3) Ibid. - Vol1 - pp. 81 - 95 .
(4) Ibid. - Vol1 - pp. 97 - 116 .
(5) Ibid. - Vol1 - pp. 117 - 243 .
(6) Ibid. - Vol1 - pp. 245 - 274 .
(7) Ibid. - Vol1 - pp. 275 - 313 .

تاريخ الشعوب الألطية وثقافتها ولغاتها[١]	العلاقات الثقافية والاقتصادية بين الشرق والغرب[٢]: *ـ الطرق البحرية[٣]، * ـ الطرق البرية[٤]
المعادن الثمينة والنقود في المراكز المهنية في شرقي آسيا وجنوبها وجنوب شرقيها[٥]	العلوم التقليدية والتكنولوجيا[٦]: *ـ تاريخ العلم والتقنية المقارن، *ـ العلم والتقنية في الإسلام، *ـ العلم والتقنية في الصين، *ـ العلم والتقنية في اليابان[٧].
التقاليد الأدبية وتحولاتها[٨]: *ـ الأدب الياباني[٩]، *ـ الأدب الصيني[١٠]، *ـ الأدب الهندي[١١]، *ـ الأدب في غرب القارة الآسيوية وجنوب شرقيها[١٢]، *ـ الأدب المقارن بين اليابان والصين[١٣].	العلاقات القائمة بين النص والمعنى في الفن (ومن ضمنها الفن المعماري والحرف)[١٤]: *ـ آسيا الشرقية (اليابان)[١٥]، *ـ آسيا الشرقية (سيراميك وبرنز)[١٦]، *ـ آسيا الشرقية (كوريا والإيقونات البوذية)[١٧]،

*ـ آسيا الشرقية (الصين، توهوانج

(1) Ibid. - Vol1 - pp. 341 - 362 .
(2) Ibid. - Vol1 - pp. 363 - 434 .
(3) Ibid. - Vol1 - pp. 363 - 393 .
(4) Ibid. - Vol1 - pp. 393 - 434 .
(5) Ibid. - Vol1 - pp. 435 - 446 .
(6) Ibid. - Vol1 - pp. 447 - 485 .
(7) Ibid. - Vol1 - p. 447.
(8) Ibid. - Vol1 - pp. 487 - 572 .
(9) Ibid. - Vol1 - pp. 489 - 580 .
(10) Ibid. - Vol1 - pp. 508 - 531 .
(11) Ibid. - Vol1 - pp. 531 - 551 .
(12) Ibid. - Vol1 - pp. 551 - 564 .
(13) Ibid. - Vol1 - pp. 564 - 572 .
(14) Ibid. - Vol1 - pp. 573 - 643 .
(15) Ibid. - Vol1 - pp. 581 - 593 .
(16) Ibid. - Vol1 - pp. 593 - 603 .
(17) Ibid. - Vol1 - pp. 603 - 609 .

	آسـيا الشـرقية (الصيـن، توهوانـج وترفـان)[1]، *ــ آسـيا الشـرقية (الصين)[2]، *ــ جنوب آسيا وجنـوب شرقيها (الهند، تـايلند، ماليزيـا)[3]، ــ "غرب آسيا والساحل الشرقي من البحر الأبيض المتوسط"[4].
العلاقات التقليدية والعلاقات القائمة بين الثقافـات فـي الموسـيقى والرقـص والمسـرح[5]: *ــ الموسـيقى[6]، *ــ الرقص[7]، *ــ المسرح[8]، *ــ فلكلور التكويـن الفنـي[9]، *ــ Noh and Kyogen[10].	الأدوار التي لعبها المثقفون في القـانون والسياسات[11]
التطـور الاقتصـادي والصراعـات الثقافية[12]: *ــ التطور التقني والتحوير الثقافي[13]، *ــ التعـاون الاقتصـادي والصراع الثقـافي[14]، *ــ الأنشـطة	دور الاقتصاديـات فـي الدراسـات الآسـيوية والإفريقيـة[2]: *ــ النظـام الاقتصادي في المؤسسات التقليديـة ــ مهامها في آسيا وإفريقيا فـي العصـر

(1) Ibid. - Vol1 - pp. 609 - 614 .
(2) Ibid. - Vol1 - pp. 614 - 625 .
(3) Ibid. - Vol1 - pp. 625 - 630 .
(4) Ibid. - Vol1 - pp. 630 - 643 .
(5) Ibid. - Vol2 - pp. 645 - 692 .
(6) Ibid. - Vol2 - pp. 646 - 663 .
(7) Ibid. - Vol2 - pp. 663 - 667 .
(8) Ibid. - Vol2 - pp. 667 - 672 .
(9) Ibid. - Vol2 - pp. 672 - 682 .
(10) Ibid. - Vol2 - pp. 683 - 692 .
(11) Ibid. - Vol2 - pp. 693 - 737 .
(12) Ibid. - Vol2 - pp. 739 - 778
(13) Ibid. - Vol2 - pp. 743 - 766 .
(14) Ibid. - Vol2 - pp. 766 - 770 .

الاقتصادية في الأوضاع العرقية المتعددة[١].	الحاضر[٣]، *ـ التغيير الحديث في المؤسسات التقليدية – التصنيع، التمدن، المقاولات والبناء القومي[٤].
الصلات اللغوية والثقافية بين الشرق وشعوب جنوب شرقي آسيا[٥]:	التاريخ العرقي ومشكلات الهوية في جنوب شرقي آسيا[٦] .
التحولات الاجتماعية والدينية في آسيا[٧]	التمثيل المسرحي في ظل التطور السياسي في آسيا وإفريقيا[٨]

إضافة إلى اللجان العلمية هذه، انعقدت عدة ندوات وحلقات دراسية[٩].

أولى الملاحظات حول هذا المسار العلمي الدراسي، أن جل الموضوعات تهتم بقضايا حضرية وحيوية، ولاسيما الجانبين الاقتصادي والثقافي وأثره في المجتمعات. ومثل هذه القضايا، سعى المستشرقون إلى إحلالها مكان اللجان التقليدية، ولاسيما انطلاقا من المؤتمر التاسع والعشرين، ونجح في ذلك، لكن الأمر لم يدم طويلا، فبعد مؤتمر همبورغ الذي يأتي مباشرة بعد مؤتمر طوكيو، وذلك سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، مزج بين القديم والحديث. ولا يتضح الأمر مع المؤتمرين اللاحقين، إلا أن المؤتمر السادس والثلاثين ببودابست سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، كانت له عودة شبه كاملة للطريقة العتيقة، وهو المؤتمر الأخير إلى حد الآن، وذلك من حيث تسمية اللجان. أما الدراسات، ففيها مزج بين القديم والقضايا الحيوية.

---

(1) Ibid. - Vol2 - pp. 770 - 778.
(2) Ibid. - Vol2 - pp. 779 - 780 .
(3) Ibid. - Vol2 - pp. 780 - 793 .
(4) Ibid. - Vol2 - pp. 793 - 800 .
(5) Ibid. - Vol2 - pp. 801 - 835 .
(6) Ibid. - Vol2 - pp. 837 - 855 .
(7) Ibid. - Vol2 - pp. 857 - 889 .
(8) Ibid. - Vol2 - pp. 891 - 906 .

(٩) تم ذلك في ص ٢٩٧ من البحث وما بعدها.

الملاحظة الأخرى، هي تولي يابانيين، من أصيلي البلد، رئاسة جميع اللجان، وهو ما لم نشاهده في المؤتمرات الشرقية الأخرى، بل ولا حتى في البلدان العالمية الأخرى، إذ نادرا ما يستأثر أهل بلد واحد برئاسة اللجان العلمية، انطلاقا من المؤتمر الأول، وعادة ما يكون المستشرق المشهور بأنه أبرز المتخصصين في الميدان المذكور هو رئيس اللجنة. لكن هنا نجد أن كل الرؤساء من اليابانيين، وقد سبق الحديث إنه تبين أن اليابانيين كونوا متخصصين في جل الميادين الاستشراقية، ولعل هذا دليل آخر على مسار المدرسة اليابانية الاستشراقية.

ولتقديم عينة عما قدم عن الشرق من دراسات، وكما تم مع المؤتمرات الشرقية السابقة، يمكن الاطلاع على ما تم عرضه في اللجنة الخامسة، عن الفرق الإسلامية، إذ هي اللجنة الوحيدة التي تخصصت في الدراسات الإسلامية[1] .

كما أقامت اللجنة ندوة حوارية حول "الحقبة المعاصرة للتطرف الإسلامي "The Current Phase of Islamic Radicalism"[2] وألقيت فيها الدراسات التالية:

كاجايا هيروشي Kagaya Hiroshi	Islamic Fundamentalism – The case of the Iranian Islamic revolution -[3]	الأصولية الإسلامية – مثال الثورة الإسلامية الإيرانية– .
نكي كدي Keddi, Nikki	Islamic Revivalism – A comparison Stressing Iran and Egypt [4].	النهضة الإسلامية – مقارنة تتركز على إيران ومصر.
نعيم قرشي	Islamic Resurgence in contemporary Pakistan[5].	الانبعاث الإسلامي في باكستان المعاصرة.

(١) هذه المساهمات في الملحق رقم ٣٠ ص ١١٥٧ من البحث.

(2) Ibid. - Vol1 - pp. 306 - 311.

(3) Ibid. - Vol1 - pp. 306 - 308 .

(4) Ibid. - Vol1 - pp. 308 - 309.

(5) Ibid. - Vol1 - pp. 309 - 311.

والملاحظ حول هذه الدراسات، أن التي ألقيت في اللجان، تتعلق في عمومها بقضايا تاريخية قديمة، واتجاهات عصرية، ولاسيما ما يتعلق منها بالفرق والحركات المتواجدة حديثا، أو التي تعيد تنظيم نفسها، أو التي تنبعث من جديد، فيما ركزت الندوة على قضايا حيوية عصرية، تهم الشرق والغرب، وتتماشى مع التيار الاستشراقي الذي دعت المؤتمرات المتأخرة لانتهاجه، لمواكبة التوجهات على الساحة الاستشراقية الحديثة.

تلك هي نوعية الدراسات الإسلامية التي عرضت في المؤتمر هذا، في لجنة الحركات الدينية الإسلامية.

ج – مميزات المؤتمر:

أما عن مميزات المؤتمر، فإنه، وكما مر معنا، يعتبر من أهم المؤتمرات التي انعقدت منذ نشأتها. فلقد كان ثريا بالأعداد البشرية التي شهدته، وبعدد اللجان التي انقسم إليها، والمحاضرات والندوات التي عرضت فيه، وكذلك دقة تنظيمه وإحكامه. كما تميز بكثرة المشاركات اليابانية، والبلدان المجاورة لليابان، ككوريا والصين ودول جنوب شرقي آسيا. فقد كانت فرصة لهم لإظهار الدرجة العالية لثقافتهم المعرفية.

من الخصائص التي انفرد بها هذا المؤتمر أيضا، تركيزه على الناحيتين الاقتصادية والثقافية وتأثيرها في المجتمعات. وهذا يعود لطبيعة البلد الذي تغلب عليه الناحية الاقتصادية، إذ هي قوة البلد ومعجزته في القرن العشرين بصفة خاصة، نافس بها أكابر الدول الاقتصادية، وسبب لها العديد من المشكلات. وبالقوة التي رمت اليابان نفسها فيها في الاقتصاد، هيأت لنفسها منهجية ثقافية لا تقل قدرة عن قوتها الاقتصادية، إلا إنها لم تظهر مثلها لغلبة الجانب المادي للعصر على الناحية الثقافية. ومن هنا جعلت جل اللجان تبحث في الناحيتين هاتين، لما لهما من أهمية في اليابان، دون إهمال أهمية الجوانب الأخرى من دراسات المؤتمر .

ومن نتائج المؤتمر الهامة، إعادة النظر في نظامه العام، وقيامه بتحويرات عليه، واعتماد تلك التغييرات، إضافة إلى تباحثه مسمى المؤتمر، وتقرر تغيير

اسمه مرة ثانية، من "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا" إلى "المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا"[١]، ولا يزال المؤتمر يسير وفق تلك التحويرات، ولا يزال يحمل الاسم نفسه، وهو مرة أخرى دليل على مقـــدرة الشرقيين على الإدارة والتنظيم والتسيير، وحتى إحداث تطوير وتحويـــر علـــى التنظيم العام. ولعل هذا ما شجع على الموافقة على انعقاد المؤتمر مرة أخرى في الشرق.

٥ – مؤتمر هونج-كونج:

حتى كتابة هذا البحث، لم تصدر وقائع أعمال المؤتمر. وقد سألت رئيســه الذي حضر مؤتمر بودابست صيف ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، عن ذلك فأجاب بـــأن التكاليف المادية أخرت طباعته، وإنه لم يصدر بعد، ولا يعرف متى سيكون ذلك. ولذا لم يكن من الممكن الحصول إلا على معلومات يسيرة جدا عنه.

انعقد المؤتمر هذا[٢] في أغسطس من العام ١٩٩٣م (١٤١٣هـ)، وهو يحمل الاسم الحديث الذي اختير في مؤتمر اليابان، وهو الثالث الذي يعقد فـــي آســيا، والخامس الذي يعقد في بلد شرقي. وفي تلك السنة، بلغت المؤتمـــرات عشــرين ومائة سنة على نشأتها. وانعقد في جامعة "هونج كونج"، التي كانت تحتفل آنـــذاك بمرور ثمانين سنة على تشييدها. وناهز عدد الحضور مائتين وألف باحث، قدموا من سبعة وستين بلدا، وعرضت فيه أكثر من أربعمائة دراسة[٣].

وجهت اهتمامات المؤتمر، إلى الدراسات الكلاسيكية بصفة خاصة، إضافـــة إلى دراسة الشرق وشمال إفريقيا، ماضيها وحاضرها، والحضارتين الإســـلامية والنصرانية. كما اعتنى بالدراسات الصينية والتايوانية والكورية والفليبينية[٤].

---

[١] مر تحليل هذه النقطة ص ٢١١ من البحث.

[2] Julia L. Y. Chan: International Association of Orientalists Librarians, Ninth General Meetings at The 34 ICANAS, 24-25 August 1993 - Hong Kong (Proceeding) - "Welcome Address - Prof. Chiu Ling-Yong, Presedent of the 34 ICANAS" - pp. xvii - xviii .

[3] Ibid. - p. xvii .

[4] Ibid. - p. xvii .

انعقد هذا المؤتمر تحت رعاية حاكم "هونج كونج"، "اللورد ولسن أوف تليرون Lord Wilson of Tillyron"، ونائبه "كريستوفر باتن Christopher Patten"[1]. أما رئاسة المؤتمر فكانت لـ"سيو لنج-يونج Chieu Ling-Yong"[2].

اعتبر المؤتمر هذا فرصة أخرى للآسيويين كي يثبتوا تواجدهم ويظهروا قدراتهم، وسط متغيرات عالمية كبرى، لا غنىً لهم عن مواكبتها، وشق طريقهم وسطها[3].

هذا ما أمكن الحصول عليه من معلومات حول مؤتمر "هونج كونج". لكن يمكن استنتاج بعض الأمور منها. فالعدد البشري الذي حضر المؤتمر هام جدا، إذا ما قورن بمؤتمر الجزائر مثلا، مما يعني أن المؤتمر كان نشيطا وشهد تظاهرة ثقافية هامة، بدليل عدد المساهمات المرتفع.

ويبدو أن المؤتمر عاد للطريقة القديمة في العمل، وهو ما يؤكده رئيسه، إذ يرى أن انطلاقة المؤتمرات كان في زمن يبحث فيه المستشرقون عن معرفة عدد أكبر من اللغات الميتة، ويرى أن هذا التقليد يجب أن يتواصل عمله ويأخذ حيزا كبيرا ضمن الدراسات الشرقية[4].

تلك هي السمات العامة لمؤتمرات المستشرقين العالمية التي انعقدت في البلدان الشرقية، بعد أن تم تناول دور الشرقيين في مؤتمرات المستشرقين العالمية، وأثرهم في دراساتها، ورغم إنها متنوعة التوجهات الوطنية والفكرية والسياسية والثقافية، فإنها مع ذلك تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة والتطوير والتأطير والتكثيف، ولاسيما أن المؤتمرات الأخيرة تحوي مساهمات شرقية أكثر وأغنى مما كانت عليه الحال أوائل العهد بها.

---

(1) Ibid. - p. xviii .

(2) Ibid. - p. xvii.

(3) ورد هذا على لسان وكيل جامعة هونج كونج في: Ibid. - Welcome Address – Professor Wang Gungwu , vice Chancellor - Unversity of Hong Kong - p. xxii .

(4) Ibid. - Welcome Address - Prof. Chiu Ling-Yong - p. xvii .

الباب الثالث: الأطوار التي مرت بها مؤتمرات المستشرقين العالمية

الفصل الأول: مؤتمرات المستشرقين العالمية من نشأتها وحتى الحرب العالمية الأولى

الفصل الثاني: مؤتمرات المستشرقين العالمية في فترة ما بين الحربين العالميتين

الفصل الثالث: مؤتمرات المستشرقين العالمية من بعد الحرب العالمية الثانية حتى مؤتمر ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)

الفصل الرابع: مؤتمرات المستشرقين العالمية بعد ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)

الباب الثالث: الأطوار التي مرت بها مؤتمرات المستشرقين العالمية

مدخل:

انطلقت المؤتمرات منذ العام ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ). وعقد منها حتى ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، خمسة وثلاثون مؤتمرا. إلا أن هذه المؤتمرات لم تمض على وتيرة واحدة، بل مرت بفترات عدة، تميزت كل منها بخصائص معينة. فالمعلوم أن الاستشراق يعد من العلوم الاجتماعية والإنسانية، وبالتالي فهو متأثر بالواقع والأحداث الإنسانية والبشرية، وكذلك كانت المؤتمرات. فهذه الأخيرة أثرت فيها الأحداث العالمية والاجتماعية بصفة خاصة. وبالتالي مرت بمراحل عديدة، يمكن إجمالها في أربع مراحل:

١- المرحلة الأولى: وتبدأ من انطلاق المؤتمرات سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، حتى الحرب العالمية الأولىعقد في هذا الطور ستة عشر مؤتمرا، تأثرت المؤتمرات فيها بالصراعات الداخلية الأوروبية والحملات القومية الغربية، والتي ظهرت في ثنايا أحداث المؤتمرات. ولم تشهد المؤتمرات استقرارا عاما في توجهاتها ولاسيما أنظمتها ولجانها الإدارية منها والعلمية. أما الدراسات العلمية، فبقيت مرتبطة بتيار البحوث الاستشراقية التي كانت سائدة حتى ذلك الوقت، وهو ما يسميه المستشرقون بالاستشراق القديم الذي يهتم بالفيلولوجيا والدراسات التاريخية والعمل الموسوعي.

امتازت هذه الفترة إذن، بالحركية الدائبة التي جعلت المؤتمرات تشهد تحولات متلاحقة، فيكاد يظهر الجديد من المقترحات والتحويرات في كل مؤتمر. وحتى المؤتمر السادس عشر نفسه، وهو آخر مؤتمرات هذه الحقبة، كان قد طرح موضوع تحوير نظام المؤتمرات. إلا أن الأحداث الخارجية كانت أقوى تأثيرا من التحركات الداخلية في المؤتمرات، وأوقفت الحرب العالمية الأولى مسارها.

٢- المرحلة الثانية، وهي فترة ما بين الحربين، من سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، وحتى سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ). انطلق أول مؤتمر في هذه

المرحلة بأكسفورد، سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، وعقد فيها أربعة مؤتمرات فقط. كان هم المستشرقين في هذه الحقبة إعادة انطلاق نشاط المؤتمرات، الذي تأخر كثيرا، إذ كان آخر مؤتمر انعقد في الحقبة الماضية سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ). وبالتالي فإن الفترة الفاصلة، كانت ست عشرة سنة. وفيما شهد المسار العام للمؤتمرات استقرارا بحيث خفت المنافسات الداخلية في المؤتمرات ، إلا أن الأحداث الخارجية كان لها آثار عميقة في المؤتمرات، فقد سيطرت البحوث اليهودية والصهيونية على كافة مؤتمرات هذه الحقبة، وهذه السنوات شهدت أحداثا متلاحقة في فلسطين، وتقاطر الصهاينة يؤمون القدس، ولاسيما بعد وعد بلفور، فيما قام الشعب الفلسطيني بحركات رد فعل. كما أن الحقبة شهدت تململ الدول المحتلة للتخلص من نير الاستعمار، وظهر الاستعمار الياباني بصفة قوية. أما القضية الكبرى فهي ظهور المد الشيوعي الذي حاولت الدول الغربية جاهدة محاصرته في مهده. كل هذه الأحداث ظهرت آثارها في المؤتمرات ودراساتها.

هدأت إذن حركة المؤتمرات في هذه الحقبة، وشهدت انتظاما في أنظمتها واتجاهاتها. كما كانت العزيمة القوية من المستشرقين قصد إعادة المؤتمرات لانتظامها متكاثفة، لدرجة أن ألمانيا المهزومة في الحرب العالمية الأولى، شاركت بأكبر عدد من المندوبين والممثلين، وكانت مساهمتها بنفس القدر والحماس الذي جاء به بقية المستشرقين، الذين قدموا من كافة أنحاء العالم.

إلا أن الأحداث الخارجية الكبرى ما لبثت أن أثرت في مسار المؤتمرات. فما إن شهدت المؤتمرات استقرارا عاما في انطلاقها، حتى جاءت الحرب العالمية الثانية لتوقف مسارها، وقطعت الجهود المتكاثفة التي بذلها المستشرقون بالسير بالمؤتمرات بعيدا عن الخصومات السياسية في أوروبا.

٣- المرحلة الثالثة: ابتدأت هذه المرحلة بالمؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، حتى المؤتمر التاسع والعشرين سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، وعقد في هذه الحقبة تسعة مؤتمرات. فقد تمكنت المؤتمرات من العودة للانعقاد بعد عشر سنوات فقط من توقفها سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ). وكان للظروف المحيطة أثرها في هذه العودة السريعة، ففيما واجهت أوروبا تحديات صعبة بعد الحرب العالمية الأولى، لاعتمادها على ذاتها ومستعمراتها من أجل إعادة بناء نفسها، نجدها بعد الحرب العالمية الثانية اعتمدت كليا على الولايات

المتحدة الأمريكية، التي ساعدتها على إعادة البناء، مما طـــور اقتصـــاد أوروبـــا بسرعة فائقة. وبما أن المؤتمرات متأثرة دوما بما يحيط بها فإن سرعة عودتـــــها كانت مرتبطة بسرعة عودة الهدوء إلى أوروبا، ولا سيما الاستقرار الاقتصادي.

تميزت هذه الحقبة بانتشار الوعي العام، ولاسيما في الدول المحتلـــة، التـــي بدأت تستقل الواحدة تلو الأخرى، وعرفت الخبايا الاستشراقية، ولاسيما المستشرق الجاسوس والعميل والخبير السياسي والعسكري، وبانت للعـــالم صـــورة العلاقـــة القائمة بين الاستشراق والاستعمار والسياسة. وكان للأثر السياسي العام دوره فـــي هذا التوجه، وظهر ذلك واضحا خلال المؤتمر الخامس والعشرين بموسكو ســـنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، حيث وقع خصام قوي بين طرفي الاستشــراق الشـــيوعي والإمبريالي، كان الانتصار فيه للشق الشيوعي، الذي استغل نفوذه على المؤتمـــر كي يضم في صفه الطوائف الشرقية، وأدخل بقية المستشرقين في شبه عزلة، ثـــم كان أثر مؤتمر نيو دلهي اللاحق لمؤتمر موسكو، وكـــان انعقـــاده ســـنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، وواصل الشرقيون إثبات قوتهم، وطرحوا عدة موضوعات وأصدروا عدة قرارات حيوية، أهمها ضرورة تغيير نظام المؤتمرات. هذه الأمور أثرت فـــي سمعة الاستشراق، حتى لدى المستشرقين أنفسهم، الذين سعوا في هذه الفترة للدفاع عن أنفسهم وعلومهم وأبحاثهم، والتبرؤ من الاستشراق الذي صنفوه قديمـــا، بـــل رفضوا حتى كلمة مستشرق، وقد لمست ذلك بنفسي في مقابلات لي مع مستشرقين ألمان، سبق ذكرهم[١]. وإنما يسمون أنفسهم متخصصين في علم كذا ولا يقبلـــون كلمة "مستشرق"، فيقول أحدهم مثلا: أنا متخصص فـــي الدراســـات الإســـلامية، والآخر يرى نفسه متخصصا في الدراسات العربية... وهكـــذا. وكذلـــك كـــانت المؤتمرات. فقد انزلقت في التيارات السياسية، ولاسيما الاستعمارية، وبدأ التململ من مسماها ونظامها، فسعت أولا لتحوير نظامها العام، سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، بآن آربور، وما إن عاد المؤتمر لأوروبا، خلال المؤتمر التاسع والعشرين، حتـــى تقرر تغيير مسمى المؤتمر نفسه في المؤتمر التاسع والعشـــرين ببـــاريس ســـنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، وانطلاقا مـــن المؤتمر الثلاثين دخلت المؤتمرات الطـــور الرابـــع، حاملة اسما جديدا.

---

[١] ورد ذلك ص ١١ من الرسالة.

٤- المرحلة الرابعة: انطلقت هذه المرحلة من المؤتمر الثلاثين الذي انعقد في مكسيكو سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، ولازالت متواصلة حتى الوقت الحاضر. والدافع لإبراز هذه المرحلة ليس توقف الحرب وأنماط خاصة من المؤثرات العامة، بل يكاد يكون نمطا وحيدا ثقافيا بصفة خاصة، وهو السمعة السيئة التي واجهت المستشرقين ومؤتمراتهم. ومن هنا، سعى المستشرقون لمحاولة تحسين صورتهم وتلميع مؤتمراتهم باتخاذ إجراءات تحسينية، لتغيير النظرة المصوبة نحوهم. ومن هذا المنطلق، تغير مسمى "مؤتمرات المستشرقين العالمية"، في هذه الفترة مرتين، فالاسم الجديد الأول كان "المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa"، وعقد تحته مؤتمران فقط، الثلاثون سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ) بمكسيكو، والحادي والثلاثون بطوكيو-كيوتو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ). وفي هذا المؤتمر تقرر تحوير مسمى المؤتمر مرة أخرى، ليصبح "المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا International Congress for Asian and North African Studies"، وعقد تحت المسمى هذا أربعة مؤتمرات إلى حد الآن.

ومن الملحوظات التي تؤخذ من هذه الفترة، أن أربعة مؤتمرات من ستة، عقدت خارج أوروبا، كما أن المؤتمر السادس والثلاثين الذي تقرر انعقاده في العام ٢٠٠٠م (١٤٢١هـ)، سيكون في "مونتريال" بكندا. وهي نقلة كبرى في مسار المؤتمرات، إذا علمنا أن في الفترتين الأولى والثانية، لم تخرج المؤتمرات من أوروبا رغم الطلبات المقدمة، هذا إذا ما استثنينا المؤتمر الرابع عشر الذي عقد بالجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)[1]. أما المرحلة الثالثة، فقد غادرت المؤتمرات أوروبا أربع مرات، لكل من تركيا والهند والولايات المتحدة وأستراليا. وإذا عددنا الأخيرين امتدادا للغرب، فإن المؤتمرات لا تكون خرجت من الغرب سوى مرتين فقط.

شهدت البحوث العلمية في هذه الحقبة نوعا من التجديد، إذ سعت المؤتمرات

---

(١) كانت النظرية الفرنسية آنذاك تعد الجزائر جزءا لا يتجزأ من فرنسا.

إلى طرح موضوعات معاصرة، تعبر عن مشكلات في آسيا وشمال إفريقيا، بل وإفريقيا ككل أحيانا، كالقضايا المتعلقة بالبترول واللاجئين وغيرها، مع أنها كانت تتفاوت من حيث الموضوعات من بلد إلى آخر. ففيما ركز المؤتمر الذي انعقد في مكسيكو سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، على موضوعات جلها معاصرة وحيوية، اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية، نلحظ أن المؤتمر الثاني والثلاثين المنعقد بهمبورغ سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، عاد إلى بحث موضوعات اجتماعية وسياسية ذات تأثير عام في أوروبا، كقضايا الحركات الإسلامية وغيرها. من جهة أخرى، ظهر تطوير جديد، أصبح التركيز عليه هاما جدا، ألا وهو اعتماد الندوات العلمية كأساس مهم في الأبحاث العلمية في المؤتمرات. فقد أثبتت وجودها بقوة، وأصبح الاهتمام بها لا يقل عن الاهتمام بالجلسات العلمية.

تلك هي الأسس العامة للمراحل التي مرت بها المؤتمرات، وهي التي سيتم تحليلها في هذا الباب، وفيه تسليط الأضواء على سمات المؤتمرات في كل حقبة، والمؤثرات الخارجية العامة عليها، ومساراتها الإدارية والعلمية، والتطويرات التي أحدثت عليها.

الفصل الأول: مؤتمرات المستشرقين العالمية من نشأتها وحتى الحرب العالمية الأولى

المبحث الأول: مسار المؤتمرات الإداري وتطوره

المبحث الثاني: مسار المؤتمرات العلمي وتطوره

الفصل الأول: مؤتمرات المستشرقين العالمية من نشأتها وحتى الحرب العالمية الأولى

توطئة:

تعد هذه الفترة، حقبة التأسيس والسعي نحو الاستقرار. وحاول القائمون على المؤتمرات تجاوز العقبات التي اعترضت سبيلها، فكان النجاح أحياناً، والفشل في أحيان أخرى. ومع ذلك، تركت مؤثرات عدة، بصماتها في مسار المؤتمرات وتطورها، ولاسيما الجانب السياسي، وليس أدل على ذلك من إجبار المؤتمرات على التوقف فترتين زمنيتين. هذه الحقبة شهدت تحولات عدة، وتأثيرات واسعة على مسار المؤتمرات وتطورها. وقبل الدخول في تحليل ذلك، يجدر إلقاء بسطة مختصرة هاهنا، عن الحالة العالمية، التي انعقدت فيها هذه المؤتمرات.

تميزت هذه الفترة بتحولات سريعة، في ميادين مختلفة، أثرت في المسار العالمي ونشاطاته. ففي الجانب المعرفي، تميزت الحقبة هذه بكثرة المخترعات، ولاسيما النقل والمواصلات والاتصالات، وأهمها القطار والطائرة والتلكس ثم الهاتف. وكان لاكتشاف الكهرباء منافعه التي لا تحصى، وأثره البالغ في ازدياد أنشطة البحث والمعرفة.

وعرف العصر بعصر الفولاذ، واستفيد منه في جل الميادين، ولاسيما الأسلحة البرية والبحرية والجوية. كما نمت الصناعات واحتدمت في الوقت نفسه المنافسة الاقتصادية، بين الدول الأوروبية الكبرى، ويرجع ذلك إلى الصعوبات والعراقيل التي اعترضت سياساتها التوسعية. وظهرت بالتالي أزمات اقتصادية عدة، ولاسيما الركود الفلاحي، والحاجة إلى الحصول على الخامات والمواد الأولية، الفلاحية والصناعية. ونتج عن هذا التنافس المحموم انتشار النزعات القومية والوطنية، وهوس سباق التسلح، ونمّت ذلك وقوّته وسائل الدعاية والإعلام، وانعدمت الثقة حتى بين القادة السياسيين، أنفسهم، وقوي الاعتقاد بأن البلد الذي يفرض احترامه على الآخرين، هو البلد المدجج بالسلاح مع نبض الروح العسكرية في شعبه. وكثرت التحالفات وتنوعت، واحتدمت الصراعات

الاقتصادية والتجارية، وتوجهت معظم ميزانيات الدول نحو التسلح العسكري. انتشرت كذلك ظاهرة النقابات والدعوة إلى حقوق العمال، وامتدت ظاهرة الإضرابات، لتعم جل بلدان أوروبا وأمريكا الشمالية، وبالتالي، صاحب الصراع الخارجي لجل البلدان صراع داخلي وانشقاق اجتماعي وسياسي مريع في أغلب الأحيان.

إلى جانب النقابات، شهدت الاشتراكية نجاحا مشهودا، وحققت مكاسب جوهرية، حتى أضحى الشغل الشاغل لأمريكا وأوروبا الغزو الماركسي، ولاسيما بعد النجاحات التي حققها في روسيا أقطاب الفكر الماركسي، رغم التصادم الدموي الذي نشأت عليه الدولة الاشتراكية بروسيا، ونجحت الشيوعية، وبسطت سيطرتها، رغم فشلها في إزالة الانتماءات العرقية.

أمام ذاك التنافس والتصادم والتناحر المتنوع في كافة أنحاء أوروبا، كانت الحرب مخيمة على الأجواء والعقول، وتوشك أن تشتعل في أية لحظة. وقامت دعوات من أجل السلام ونزع السلاح والتحكيم الدولي. وقامت محكمة دائمة للتحكيم الدولي. لكنها كانت غير ذات فاعلية. أما الحد من التسلح، فقد باء بفشل ذريع. وحتى قبيل الحرب، كانت أوروبا تعد مصنع العالم ومصرفه وموجهته، لما لها من تفوق مادي ومالي وفكري، إلا أنها لم تستطع السيطرة على الاضطرابات ذات الطابع الثوري في الداخل، ولا على حل المشكلات القائمة بين الدول، والتي بلغت حدا فاض منه الكيل، أدى إلى تفجر شرارة الحرب سنة ١٩١٤م (١٣٣٢هـ)، معلنة بداية انهيار السيادة الأوروبية على العالم، ذاك الانهيار الذي سيكتمل ويمحى أثره بعد ذلك بأربعين سنة[١].

تلك هي أهم سمات الوضع الغربي العام الذي زامن انعقاد مؤتمرات هذه الحقبة الزمنية. فلم تكن الأوضاع العامة مستقرة، فلا عجب إذا انعكس طابعها على مسار المؤتمرات، الذي سيتم دراسته من جانبه الإداري ثم العملي، وتطورهما العام.

---

[١] للمزيد من التعرف على تفصيلات الموضوع، يمكن الرجوع مثلا إلى: روبير شنيرب:تاريخ الحضارات العام – ج٦ – القرن التاسع عشر.

المبحث الأول: مسار المؤتمرات الإداري وتطوره

سبق الحديث عن الانطلاقة الأساسية الأولى للمؤتمرات، والأحداث التي مرت حتى انعقاد المؤتمر الأول، كما سبق الحديث بالتفصيل عن هذا المؤتمر من الناحيتين الإدارية والعلمية، وبالتالي التعرض لجوانب عدة من التأطيرات الإدارية على مدى مسار المؤتمرات. إلا أنه لم يتم التطرق للحيثيات التي أدت إلى إحداث تلك التغييرات والتحولات والقرارات. وفي هذا الجانب سيتم التطرق إلى ذكر تطورات الأحداث وتسلسلها، والكيفية التي أدت إلى حصول تلك القرارات والتطويرات.

١- التطويرات الإدارية:

حافظ مسمى المؤتمر في الحقبة هذه على ذاته، ولم تطرح قضية تحوير الاسم، ولم تشهد الفترة تململا منه ولا تبرما، إذ كان ساعتها مدعاة فخر وتميز. أما التغير فحصل في أنظمة المؤتمرات العامة وفي اللجان الإدارية التي نشأت في هذه الفترة من أجل تيسير إدارة المؤتمرات .

أ- تطور نظم مؤتمرات المستشرقين العالمية:

شهدت هذه الفترة أكبر عدد من المؤتمرات المنعقدة حتى الوقت الحالي، والتي بلغت ستة عشر مؤتمرا. وسبق ذكر التطويرات التي طرأت على الأنظمة العامة[1]، وما تم عليها من تحويرات متلاحقة. إلا أنه لم يرد الكلام على الأسباب التي أدت إلى قيام مثل تلك التحويرات الجذرية أحيانا، والجزئية أحيانا أخرى. كما تمت الإشارة إلى وجود تنظيمات خاصة ببعض المؤتمرات، لكن لم يتم الحديث المفصل عنها، وهذا ما سيتم التطرق إليه هنا لتحليله وبيان الأسباب التي أدت ببعض المؤتمرات في هذه الحقبة إلى اتخاذ تنظيمات خاصة بها.

---

(1) مر ذلك ص ١٨٨ من الرسالة.

أ-أ- ظاهرة الأنظمة الخاصة للمؤتمرات:

بعد تحليل نظام المؤتمر الأول، تبين وجود ثغرات عدة فيه. تلك الثغرات ألقت بظلالها على الطرق ونوعيات فهمها، مما جعل العديد من المؤتمرات؛ بل جلها في هذه الحقبة، تسعى لسد ذلك الفراغ وتلك الثغرات، وتباينت بالتالي نوعية تلك الإضافات، لدرجة أن بعضها تخطت حتى الخطوط العريضة التي رسمها النظام الأساس العام. فمنها من دقق حتى جزئيات الأنشطة الإدارية والعلمية، وجعل لها قيودا دقيقة جدا، ومنها من أطلق لكل مسؤول إداري، سواء في إدارة المؤتمرات أو اللجان، حرية التصرف وفق ما يراه صالحا في مجاله الخاص. وبين هذين النوعين، تباينت أنماط أنظمة المؤتمرات القانونية.

ويمكن ضرب مثالين على ذلك، فالمثال الأول نجده في مؤتمر "سان بترسبورغ" بروسيا، وهو المؤتمر الثالث، الذي انعقد سنة ١٨٧٦م (١٢٩١هـ)[١]، وهو مثال على النوعية الأولى، التي دققت وفصلت. ومن خلال هذا النظام، نرى أن المسؤولين شددوا كثيرا في جل تفاصيل الأنظمة الإدارية والعلمية. فمن الناحية العلمية اهتم النظام بما يلي:

أ- لجان المؤتمر وموضوعاته: وظهر ذلك من خلال البنود الثاني والثالث والرابع.

ب - نظم اللجان العلمية والدراسية: وتتضمنها البنود التالية: العاشر والحادي عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر.

أما النظم الإدارية فاحتوى النظام منها اتجاهات عدة:

أ- إدارة المؤتمر وأعضاؤها ومكتبها: وهي البنود السادس والسابع والثامن.

ب- الجلسات العامة: البندان العاشر والحادي عشر.

ج- إدارة اللجان العلمية ومسارها، وهي مشتركة مع النظم الدراسية في البنود الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر.

---

(١) نظام المؤتمر هذا مذكور في الملحق رقم ١٠ ص ٦٢٤ من الرسالة.

د- ما يتعلق بأعضاء المؤتمر: في البنود الحادي والعشرين والثاني والعشرين والثالث والعشرين والرابع والعشرين والسابع والعشرين والثامن والعشرين.

هـ- الإطار المالي: من البنود الثامن والتاسع والحادي والعشرين والخامس والعشرين والسادس والعشرين.

و- المعرض المقام على هامش المؤتمر، ويتعلق به البند العشرون.

ز- نظام المؤتمر عينه، وقد تحدث عنه البند السابع والعشرون.

ح - قضية نشر أعمال المؤتمر، وكذلك الهدايا المقدمة بالمناسبة، وورد ذكرهما في البند السادس والعشرين.

ذاك مجمل ما اهتم به نظام مؤتمر "سان بترسبورغ"؛ إذ حاول القائمون عليه التدقيق في جل شؤون المؤتمر وما يتعلق به من أطر إدارية، مركزية وفرعية، وأطر علمية، ومتعلقات المؤتمر ذاته.

أما النوعية الثانية، المتعلقة بالإجمال العام في التنظيمات، فمثاله المؤتمر السادس الذي انعقد في "ليدن" سنة ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ)[1]. وهو على عكس المؤتمر الماضي تماما، فقد جاء مجملا في تحديد شؤونه كما يستبين ذلك من بنوده. فهذا النظام العام الداخلي، فيه توسع ومرونة في إطاره العام. فاللغات المقبولة في هذا المؤتمر ست، في حين أن النظام العام يفرض اثنتين فقط. كما أن برنامج المؤتمر اليومي ترك للجان حرية التصرف في مسار جلساتهم، فهو مشابه للبرنامج العام الذي لم يتطرق لتحديد تلك المسارات، في حين قيدها برنامج "سان بترسبورغ"، أما بقية البنود، فتركزت حول القوانين الأخرى، عن كيفية قبول المساهمات ومسارها، حتى يتم نشرها، بالإضافة إلى شأن تنظيم اللجان الإدارية، وأمر طبع الكتب والمطبوعات الأخرى.

إذن، من خلال بنود هذين النظامين، يتضح لنا التباين الواضح بين القرارات المتخذة. فالأول ضيق في التصرفات والمسار، والآخر وسع في التحركات والأعمال، والأول دقق وشدد، والثاني أجمل وأطلق. وبين هذا التساهل وذاك التشدد، ظهرت الأنظمة الخاصة للمؤتمرات الأخرى، قبل ظهور النظام العام

[1] نظام المؤتمر هذا مذكور في الملحق رقم ١١ ص ٦٢٨ من الرسالة.

الثاني، بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)[١].

أ- ب - دوافع البحث في أنظمة عامة جديدة:

إضافة إلى المشكلات التي ذكرت سابقا[٢]، والتي ذكرت أعلاه، ظهرت قضية أخرى، عجلت في البحث عن نظام بديل يحل محل النظام الأول. ففي مؤتمر "ستوكهولم"، سنة ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ)، تباحث الحاضرون حول مكان انعقاد المؤتمر اللاحق. ونظرا لتعدد الدعوات، لم يبت في الموضوع وترك الأمر. ذكر ذلك "ماكس ميللر"، في المؤتمر التاسع الذي انعقد في لندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، إذ قال: "في نهاية مؤتمرنا العظيم، كانت هناك العديد من الدعوات الرسمية من حكومات وجامعات، تسأل انعقاد مؤتمرنا القادم في واحدة من العواصم الأوروبية الكبرى أو أكثر. ولم تقبل أي واحدة منها، وتفرقنا عن مؤتمرنا السكونديناڤي بعد أن اقترح العديد من الأماكن بصفة سرية"[٣]. أما السبب في ذلك فيوضحه ماكس ميللر مصرحا: "بما أنه لا توجد لجنة دائمة فإن قرارا قد تم تمريره للمؤتمر اعتمادا على الحالة الآنية، وبالإجماع عدا صوت أو صوتين لبعض الأعضاء المعارضين. ويقضي بأن المطلوب من رؤسائنا المتنورين تكوين مثل هذه اللجنة، لأجل الغاية الوحيدة، المتمثلة في الحصول على تلك الدعوات التي أرسلت إليهم، سواء قبلت الدعوة أو رفضت"[٤]. وانطلاقا من البحث في هذا الموضوع، يبدو أنه تم التطرق إلى التباحث في شأن تنقيح النظام العام أو تغييره. فمباشرة بعد الكلام السابق، دخل "ماكس ميللر" في مناقشة أمر تنقيح النظام العام أو تغييره.

لكن هذا الأمر لم يتم بسهولة، فقد لقي معارضة من المستشرقين الفرنسيين الذين يعدون أول من جاء بذلك النظام العام. لذا، فإن "ماكس ميللر"، قبل الانتقال

---

[١] ذكرت بنود هذا النظام في الملحق رقم ٥ ص ٦٠٦ من الرسالة.

[٢] مرت معنا تلك المشكلات ص ١٩١ - ١٩٢ من الرسالة.

[3] Max Muller - Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 4.

[4] Ibid. – Vol1 – p. 4.

للحديث عن ذلك التحوير، شن هجوما حادا في خطبته تلك، بوصفه رئيس المؤتمر، على "دو روسني" وجماعته. وقد جاء في كلامه ما يلي: "إن أحد العلماء الفرنسيين، "دو روسني" والعديد من زملائه الذين يصرحون بأنهم الممثلون المؤسسون لمؤتمراتنا، يتحدثون باسم المدرسة الاستشراقية الفرنسية، والعديد من هؤلاء العلماء الفرنسيين يميلون لقبول "دو روسني" ناطقا باسمهم، يحتجون فجأة ضد توصية المؤتمر، كأنما هي فيروس فوقي. إنهم يناشدون الإبقاء على هيكل النظام العام، الذي وضعه منذ سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، "دو روسني" نفسه، وأولئك الذين نعتوا أنفسهم بأنهم مؤسسو مؤتمرات المستشرقين هذه. تلك التنظيمات المسلم بها حاليا، لم يتم أبدا مناقشتها علانية كما لم يتم أبدا تصحيحها في ما مضى، في أي مؤتمر لاحق. ثم كيف يمكن لنظام غير منقح أن تكون له أي صفة قانونية، أو خصائص رابطة؟ لكن، مع افتراض أن تلك النظم التي لا يعرفها معظم أعضاء مؤتمراتنا، والتي لم تقدّم احتجاجات ضدها من قبل، رغم أننا نراها تخترق سنة بعد أخرى، حتى من قبل كاتبيها الحقيقيين أنفسهم، يمكنها أن تدعي أي شرعية قانونية، أن ما يصلح لها هو أن تناقش بقوة، بحيث إن من حق أي عضو مشترك، والذي بمقدوره هو أيضا، أن يضع نظاما، له الحق كذلك في أن يمنع أو يطلب إعادة قراءتها علنا من قبل الأغلبية المقترعة"[١].

أول ما يؤخذ من هذا الهجوم من المستشرق الإنجليزي على المستشرقين الفرنسيين ومدرستهم، وتهوينه من بادرتهم في نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية هذه، ووصفه للنظام العام بأنه فردي ومفروض، انعكاس التنافس العام بين فرنسا وإنجلترا في تلك الحقبة من العصر، ولاسيما حول المصالح السياسية والاستعمارية والثقافية والاقتصادية، وفق ما رأيناه سابقا عن البيئة العامة التي نشأت فيها المؤتمرات وترعرعت[٢]. فلقد ألقى هذا التنافس الكبير بين الدولتين الاستعماريتين والمصنعتين، والقويتين عسكريا وماديا ونفوذا، بظلاله على مسار المؤتمرات وتطورها، حتى في شأن قوانين أنظمتها العامة. ويزداد هذا التنافس وضوحا إذا

---

[1] Max Muller - Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 5.

[٢] سبق ذلك في ص ٤٩ من الرسالة فما بعدها.

تأملنا أمرين اثنين حاقا بهذا النظام الجديد، الذي اتفق عليه في لندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ):

يتمثل الأمر الأول في أن هذا النظام لم يتم احترامه هو ذاته. فمؤتمر "جنيف" الذي انعقد مباشرة بعد مؤتمر لندن، ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، هيأ لنفسه نظامه الخاص به، وقوانينه التي سيعتمدها. وهذا يعكس مدى التوتر العام القائم في أوروبا، وانعكاس تلك الخلافات والصراعات على المؤتمرات.

أما الأمر الثاني، فيتعلق بالمؤتمر التالي لمؤتمر "جنيف"، والذي انعقد في باريس في سنة ١٨٩٨م (١٣١٥هـ). ففي هذا المؤتمر، جيء بنظام عام آخر للمؤتمرات، نسخ تماما النظام السابق، وكأنما هو رد فعل واعتبار عما حصل للمستشرقين الفرنسيين من غمط لحقهم وهيبتهم وشخصيتهم في مؤتمر لندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، وكأنما ليدمغوا المؤتمرات ببصماتهم، إذ هم يعدون أنفسهم مبدعي هذه المؤتمرات وأنهم حارسوها والمدافعون عنها.

فإضافة إلى السلبيات التي تم ذكرها سابقا[1]، هذا التجاهل للقانون الجديد والنظام الخاص بالمؤتمرات، وبالتالي فهو لم يف بالمأمول منه، وترك المجال مفتوحا لعدم الاقتناع به. فما إن انعقد المؤتمر اللاحق له، حتى طرح أمر مراجعة النظام العام مرة أخرى، في إشارة قصيرة وردت في منشورات أعمال مؤتمر "جنيف" دون تفصيل، إذ جاء: "بعد بضع الكلمات من "جيل أوبار Jules Oppert"، معبرا عن رضاه لرؤية مسألة مراجعة النظام العام مذكورة في القرارات"[2].

ومع ذلك اتخذ المؤتمر لنفسه نظاما خاصا به[3]. والمتمعن في بنوده يلحظ بسرعة أن هذا النظام ركز على الترتيبات الداخلية، العلمية والإدارية. وهو دليل على الحاجة للوصول إلى نظام دائم وشامل وجامع، وهو الأمر الذي ظل معلقا حتى المؤتمر التالي، والذي ظهر فيه النظام العام الثالث للمؤتمرات، والذي عمر

[1] تم ذلك ص ١٩١ من الرسالة

[2] Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - premiere partie - p. 129.

[3] ذكرت بنود هذا النظام في الملحق رقم ١٢ ص ٦٢٩ من الرسالة.

طويلا كما مر بنا رغم المحاولات التي عملت من أجل تحويره. وتلك المحاولات سيتم التعرف لها في هذا الباب كل واحدة حسب الحقبة التي وردت فيها، حتى مؤتمر "آن آربور" سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، الذي ظهر فيه النظام الرابع.

أ ـ ج ـ تطور مسار النظام العام بعد قانون باريس الثاني:

أجمع المستشرقون على نظام باريس الثاني، وهو النظام الثالث في تاريخ المؤتمرات، وقد سبق تحليله وبيان إيجابياته وسلبياته[١]. والتزمت المؤتمرات اللاحقة لمؤتمر باريس الحادي عشر، بالنظام الأخير هذا، حتى تم تغييره في مؤتمر آن آربور، ولم يشذ إلا المؤتمر الثاني عشر، المنعقد في روما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، الذي أوجد لنفسه نظاما داخليا خاصا، حصره في الجلسات، وأسماه "نظام الجلسات"، حيث وضح تفاعلات الجلسات الإدارية والعلمية، ولعله تأول البند الخامس من النظام العام، الذي ينص على جعل السلطة المطلقة للجلسات بيد رئيسها، سواء منها التنظيمية أو العلمية. أما إذا استعصت عليه قضية، فيعود بها إلى لجنة التنظيم[٢]. لذا، جاء هذا النظام الخاص يبين نظام الجلسات وعلاقاتها بإدارة المؤتمر[٣]. ومن خلال بنوده يتضح انصبابه الكلي على الأمور الداخلية للجان العلمية والأبحاث الدراسية وجلسات المؤتمر المختلفة، فهو شبيه ببرنامج عمل أكثر منه نظاما. إلا أن اللجنة التنظيمية أسمته نظاما، لذا، كان من المناسب إيراده هنا.

أما بعد هذا المؤتمر، فقد ظل الأمر مستقرا وسائرا وفق النظام السابق، نظام باريس لسنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)، ولم تطرح قضية تحويره حتى المؤتمر السادس عشر، الذي انعقد في أثينا سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ).

---

[١] تم ذكر بنود هذا المؤتمر في الملحق رقم ٦ ص ٦٠٩ من الرسالة. أما التحليل والتعليق، فتمت في ص ١٩٢ - ١٩٣ من الرسالة.

[٢] هذا البند مذكور في الملحق رقم ٦ ص ٦٠٩ من الرسالة.

[٣] ذكرت بنود هذا النظام في الملحق رقم ١٣ ص ٦٣٠ من الرسالة.

٢ – مسعى مؤتمر أثينا:

يبدو أن التطورات العصرية، والأحداث على الساحة السياسية، ألقت بظلالها على المؤتمرات مرة أخرى. ففي مؤتمر أثينا، طرحت قضية مراجعة بنود النظام مرة أخرى. ولم يذكر سبب ظاهر لهذه المراجعة، لكن يبدو أن أثينا، التي شهدت وانتعاشة سياسية، ولاسيما بعدّ بضع الانتصارات العسكرية على تركيا المجاورة، وأثينا تتفاخر دائما بأنها أم الحضارة الأوروبية، سعت على أن يكون لها أثر في توجيه المؤتمرات، بل إن معظم المسؤولين عن إطار المؤتمر الإداري، كانوا سياسيين، حتى إن رأس المؤتمر كان وزير التثقيف الشعبي "أبوستول أليكساندريس Apostole Alexandris"[١]. ومما يدل أيضا على هذا الشعور الكبريائي، عنايتها الخاصة بلجنة "اليونان والشرق"، التي كانت لجنة عادية في بعض المؤتمرات السابقة، فقد قسمتها في هذا المؤتمر إلى لجان ثلاث وهي[٢]:

*–اليونان والمشرق في العصور القديمة.

*–اليونان والمشرق في العصور الوسطى.

*–اليونان والمشرق في العصور الحديثة.

ويبدو أنه نظرا لهذه الأسباب، ولإبراز الشخصية الاستشراقية اليونانية على الساحة العالمية، سعى هذا المؤتمر إلى طرح مراجعة بنود النظام العام للنقاش والتحليل مرة أخرى.

وقد ساعدهم في هذا المسار، الظروف التي حاقت بالمؤتمر، إذ ظهرت فيه خلافات عدة، من بينها خلاف حول اختيار مقر انعقاد المؤتمر اللاحق. لذلك، فقد استغلت هذه الشرارة، من أجل المرور إلى النقطة التي ستترك بصماتها في تاريخ الاستشراق والمؤتمرات، فتكتب للاستشراق والمستشرقين اليونانيين، ولاسيما أن بنود النظام العام ساعتها، لم تقدم حلولا لمثل المأزق ذاك.

ففي جلسة رؤساء اللجان ونوابهم، ظهر القرار التالي "بما أن المناقشات لا

---

(1) Congres International des Orientalistes - XVIeme Session - Athenes - 1912 - 1ere partie - p. 5, and p. 24.

(2) Ibid. 1ere partie - p. 7.

يمكنها أن تصل إلى قرار نهائي حول موضوع مكان انعقاد المؤتمر اللاحق الذي سيقدم لمجلس المندوبين، فإنه تقرر الأخذ بمقترح "بول هوت Paul Haut"، الذي يرى تكوين لجنة عالمية، يخول لها عقد الاتفاقيات الضرورية، من أجل الوصول إلى قرار نهائي، كما أن هذه اللجنة سيوكل لها مهمة مراجعة بنود نظام المؤتمر العام..."[1]. هذا القرار وافق عليه المندوبون في جلستهم[2]، وبالتالي أصبح أحد قرارات المؤتمر في الجلسة الختامية، الذي جاء فيه: "أعلن سكرتير المؤتمر العلم للمؤتمرين، القرار الذي اتخذ في جلسة الرؤساء وجلسة المندوبين، بتعيين لجنة عالمية، من شأنها أن تراجع بنود نظام المؤتمر العام؛ وحل مشكلة موضع انعقاد المؤتمر القادم..."[3].

ويبدو أنه تم الاعتماد على البند الثامن من نظام المؤتمر العام، لتعيين هذه اللجنة التي ضمت كلا من المستشرقين "هوت" و"كوهن" ولامبروز "Lambros"، و"رايس دافيد" و"سنوك هورخرونييه"، وترك المجال لدخول آخرين. وهذه اللجنة اجتمعت وقررت عدم تعيين رئيس لها، والاكتفاء باختيار سكرتير عام، هو "رايس دافيد"، كما قرروا أن لا يدخل اللجنة العالمية تلك، سوى مندوب واحد فقط من كل بلد من البلدان الأخرى[4]. إلا أن الحرب العالمية الأولى حالت دون مواصلة هذا المسار، وانصب الاهتمام على عملية استمرار المؤتمرات، وإعادة فاعليتها، ولم يظهر وجود محاولات لمثل هذا التنقيح إلا في المؤتمر العشرين، كما سيأتي[5].

ذاك هو المسار التطوري لنظام المؤتمرات العام، والتحويرات التي طرأت عليه طيلتها. ومنها يتبين أن الرأي لم يكن مستقرا حول هذه النقطة، كما ظهر أيضا أن المستشرقين لم يكونوا على قلب رجل واحد. بل كانت الخلافات والعصبيات تجول في نفوسهم، وهو انعكاس للحياة العامة، والظروف السياسية، التي كانت تعيشها أوروبا، والتي مست حتى الشخصيات العلمية فيها.

---

(1) Ibid. 2eme partie - p. 178.

(2) Ibid. 2eme partie - p. 179.

(3) Ibid. 2eme partie - pp. 184 - 185.

(4) Ibid. 2eme partie - p. 185 .

(5) سيرد الحديث عنها ص ٣٦٦ من الرسالة وما بعدها.

المبحث الثاني: مسار المؤتمرات العلمي وتطوره

لم تخضع الدراسات العلمية لمسار واحد، بل مرت عليها تطورات عدة. فلم تكن ثابتة لا من حيث طريقة سيرها، ولا من حيث ثبات الموضوعات فيها، ولا في النتائج التي توصلت إليها.

فمن حيث مسارها، مر بنا التطورات التي حصلت في طريقة عرض الدراسات. ففيما كانت مخصصة بحسب الجلسات الجماعية، في المؤتمر الأول، بحيث يخصص كل موضوع لجلسة مخصوصة، وإذا لم يسعف الوقت إنهاء المداخلات، ترجأ للحصة اللاحقة بقية المساهمات ما لم تكن كثيرة، أو يعهد لها بوقت آخر، وأما إذا ما انتهى موضوع وفي الوقت فسحة، يتم الدخول في الموضوع اللاحق مباشرة[١]، فإن المؤتمر الثاني جعل لكل يوم موضوعا مخصوصا به[٢]، وانطلقت فيما بعد اللجان العلمية المخصصة، وكل لجنة لها جلساتها الخاصة بها[٣].

وحتى يتضح الأمر حول دراسات الفترة العلمية في هذا المجال، يجدر إيراد بعض الملاحظات حول جدولين خاصين بهذه الحقبة، يتعلق الأول بأسماء اللجان المختلفة التي ظهرت في هذه الحقبة، ومرات تكرارها، والمؤتمرات التي انعقدت فيها[٤]، وآخر يتعلق بإيراد الموضوعات بدلا عن أسماء اللجان[٥]، وهذه الموضوعات تم استخلاصها من عناوين اللجان وأسماء اللجان الفرعية. وهذه الموضوعات، هي التي يتم الاعتماد عليها في تحليل الدراسة أكثر من التركيز على اللجان، إذ هي تبين الحقائق وتوضحها أكثر من الأخرى، وذلك لأنها تعبر عن المعروض من البحوث بصفة أدق.

---

(١) سبق تفصيل الموضوع ص ٢٢٧ من الرسالة.

(٢) سبق تفصيل الموضوع ص ٢٢٨ من الرسالة.

(٣) سبق تفصيل الموضوع ص ٢٢٩ من الرسالة.

(٤) يوجد هذا الجدول بالملحق رقم ٣٢ ص ٨١٦ من الرسالة.

(٥) يوجد هذا الجدول بالملحق رقم ٣٣ ص ٨٢٢ من الرسالة.

١ – الملاحظات المستنتجة من الجدولين:

إذا تأملنا الجدولين المتعلقين باللجان العلمية وبالموضوعات التي طرقت في المؤتمرات، نلحظ أن هناك تفاوتا، سواء بين اللجان العلمية أو بين الموضوعات. ففي حين أن بعضها لم يرد سوى مرة واحدة، نجد أخرى لا تكاد تخلو منها المؤتمرات.

أكثر الموضوعات وجودا هي الدراسات السامية، التي أثبتت وجودها طوال خمسة عشر مؤتمرا، ولم تغب إلا في المؤتمر الثالث، وتليها الدراسات الإفريقية والدراسات المصرية، وكل منها ترددت ثلاث عشرة مرة في المؤتمرات، لكن فيما شملت الدراسات الإفريقية موضوعات متعددة، مع أن الاهتمام انصب على الدراسات البربرية، تعلقت الموضوعات المصرية بالفرعونيات بصفة خاصة، ونادرا ما تنوولت أبحاث حول موضوعات مصرية أخرى. والموضوعان المذكوران لم يغيبا عن المؤتمرات إلا في الثاني والثالث والخامس. ثم تأتي الدراسات اللغوية، التي وردت إحدى عشر مرة، وهي موضوعات تشمل تحليل اللغات القديمة والحديثة، من كل أنحاء العالم، سواء في آسيا أو إفريقيا أو أمريكا، وحتى أوروبا الشرقية واللغات الآرية أيضا.

ثم الموضوعات الهندية، التي وردت في تسعة مؤتمرات، وهي انطلقت من المؤتمر الثالث بـ"سان بترسبورغ" سنة ١٨٧٦م (١٢٩١هـ). تليها الموضوعات المتعلقة بالدراسات الآرية، وكذلك آسيا الوسطى، وهذه ترددت كل منهما ثماني مرات، وظهرت الآريات انطلاقا من المؤتمر الثاني، فيما انطلقت الأخرى من المؤتمر الثالث. وعرضت الدراسات الآشورية والموضوعات الأثرية، وكذلك الشرقيات واليونان، وتكررت كل واحدة منها في سبعة مؤتمرات، وفيما بادرت الموضوعات الآشورية بالوجود منذ المؤتمر الأول، وظلت تغيب أحيانا وتظهر أخرى، تكثفت الموضوعات الأثرية في المؤتمرات الأولى، لتغيب انطلاقا من المؤتمر الخامس، كي تعود مرة أخرى في المؤتمر الحادي عشر فالرابع عشر فالسادس عشر. وانطلقت الدراسات المتعلقة بالشرق ابتداء من المؤتمر العاشر،

وتواصلت حتى نهاية الحقبة، وابتدأ ظهور الدراسات اليونانية، من المؤتمر التاسع، حتى النهاية أيضا، لكنها غابت في المؤتمر الثالث عشر.

يوجد أربعة موضوعات ترددت كل منها ست مرات: فالدراسات الإسلامية انطلقت من المؤتمر الثامن، في حين ظهرت إيران في المؤتمر الرابع ثم عادت بعد ذلك ابتداء من المؤتمر الثاني عشر. أما موضوعات الشرق الأدنى، فبعد المؤتمر الثالث تمركزت في المؤتمرات الوسطى، من السادس حتى الحادي عشر، بينما ابتدأت الدراسات المتعلقة بماليزيا من المؤتمر السادس. وترددت ثلاثة موضوعات خمس مرات، وهي الصين والهند الصينية واليابان، وتمركزت بصفة عامة في المؤتمرات الوسطى لهذه الحقبة، عدا اليابان التي ظهرت في المؤتمرات الختامية أيضا. وورد ذكر الدراسات البولينيزية والدراسات العربية أربع مرات، وتمحورت في المؤتمرات الوسطى.

وثمة أحد عشر موضوعا، تردد كل منها ثلاث مرات. ومن الملحوظات الهامة على هذه المجموعة، أن إثيوبيا لم تنطلق الأبحاث عنها إلا في المؤتمر الحادي عشر فالخامس عشر فالسادس عشر، بينما جاءت تركيا انطلاقا من المؤتمر الثالث، ثم تعود الموضوعات المتعلقة بها في التاسع ثم في الرابع عشر. كما أن العبرية لم تنطلق إلا ابتداء من المؤتمر الحادي عشر فالخامس عشر والسادس عشر، تماما كالموضوعات الفينيقية. وانطلاقا من المؤتمر الثاني عشر فالرابع عشر فالسادس عشر ظهرت الدراسات الخاصة بمدغشقر.

ومما يلاحظ على المجموعة التي ترددت مرتين فقط، والتي بلغت ثلاثة عشر موضوعا، ظهور الأدب الإسلامي في المؤتمرين السادس والسابع، ووردت أمريكا في الثاني عشر والسادس عشر، بينما العلاقة بين الشرق والغرب وردت في الحادي عشر والثاني عشر. أما العالم الإسلامي، بهذا المسمى، فلم يرد إلا في المؤتمرين الثاني عشر والسادس عشر.

ومما يمكن الإشارة إليها منها، ظهور الدراسات الأسترالية في المؤتمر التاسع، وآسيا الغربية في الثالث عشر، والجزيرة العربية في المؤتمر الثالث، وكذلك سيبيريا. وجاء موضوعا الطورانية والعرقية في المؤتمر الثاني، وشمل المؤتمر الخامس موضوعات فلسطين، بينما شهد المؤتمر الثاني عشر الموضوعات الكورية، ودرس المؤتمر الثالث منطقة ما وراء القوقاز.

تلك هي جملة من الملاحظات المأخوذة من الجداول السالفة، حول دراسات المؤتمر. وهذه من شأنها أن تثير تساؤلات حول طريقة اختيار هذه الموضوعات وتعيين تلك اللجان. وهو ما سيتم التعرض له بالبحث والدرس فيما يلي.

٢ – تحليل ومناقشة:

أولى الملحوظات التي تحتاج لتحليل ومناقشة، هي غلبة الدراسات السامية والمصرية والإفريقية على غيرها من الموضوعات الأخرى. ولفهم ذلك يمكن تناول الموضوع من شقين: الدراسات السامية والدراسات المصرية من جهة، والدراسات الإفريقية من جهة أخرى.

فالمعلوم أن الدراسات السامية شغلت المستشرقين والفيلولوجيين والمؤرخين، وكذلك اللاهوتيون، منذ مدة طويلة، سابقة عن المؤتمرات. ولكن فك رموز الكتابة المسمارية، ما برزت بعمق إلا خلال القرن التاسع عشر، ونشطت في النصف الأخير منه. لذلك، كانت تلك البحوث مثمرة في هذه الحقبة، بوصفها ثمرة إنتاجية حديثة وجديدة. فقد كانت الدراسات السامية بالتالي، إضافة إلى الدراسات المصرية فتحا من فتوح العصر العلمية.

الدراسات المصرية أيضا، وهي الفرعونية بالتحديد، شغلت الباحثين من مدة طويلة، ولم يمكن حل طلاسمها إلا حوالي منتصف القرن التاسع عشر، عن طريق الباحث الفرنسي "شامبليون" كما ذكر سابقا[١]. ولذلك، كان العصر ثريا وموسعا في الدراسات الفرعونية. إذا، فلا عجب إن يهيمن هذان المجالان على غيرهما من المجالات، طوال هذه الفترة الزمنية الطويلة، ولاسيما أن الغرب يبحث في أصوله وأعراقه وتاريخه. فالدراسات السامية تبين شؤون الغرب العقدية والدينية واللاهوتية، والتاريخية، إذ توضح التطورات التي حدثت على تلك الموروثات، وسيرة الأنبياء والقديسين والرجال المرموقين في تاريخه الغابر.

أما الدراسات المصرية، فمن شأنها أن تخدم أمورا عدة، منها إشباع نهم الغرب بالتعرف على الشعوب البائدة، وعلاقاتها بالغرب، إضافة إلى بحث عوامل

---

[١] سبق الحديث عن الموضوع ص ١٢٠ من الرسالة.

قوة تلك الشعوب وأسباب ضعفها، وفيه ما لا يخفى من الدروس في أصول دوام قوة أمة ما وأسباب تقهقرها، مما يستفيد منه الباحثون، وأصحاب القرارات.

وإذا انتقلنا إلى إفريقيا، نجد أن الدراسات البربرية سيطرت على بحوثها، ولسائل أن يتساءل عن أسباب ذلك، ولعل ذلك يعود لعاملين اثنين:

- استعمار فرنسا للجزائر، وسعيها لبسط نفوذها على أنحائها المختلفة، ولاسيما بعد المقاومات العنيفة التي لاقتها.

- هيمنة المستشرقين الفرنسيين العامة على مؤتمرات هذه الحقبة.

أما استعمار الجزائر، فمنذ وصول الفرنسيين إلى المنطقة سنة ١٨٣٨م (١٢٥٤هـ)، لم يستتب لهم الاستقرار، بسبب الانتفاضات التي كانت تقوم بين الفينة والأخرى. فكان لا بد من كسر اللحمة الشعبية، عن طريق إيقاظ الفروق الشعبية، ولاسيما البربرية-العربية، وتدعيمها وتعميقها. أما العرب، فهم مدروسون أصلا في محافل عدة، ولا يزالون. أما البربر، فهم يقطنون داخل البلد بعيدا عن السواحل، لذلك لا يمكن الوصول إليهم بيسر، كما هو متيسر مع غيرهم، إضافة إلى أنهم كانوا خاضعين للعرب، فتلقف الاستعمار هذه الفرصة، وسعى لتعميق الفروق والحساسيات، حتى يمكنه إلهاء الشعبين بالخصومات بينها، كي يتمكن من الهيمنة ويحكم سيطرته. ولهذا شجع الدراسات البربرية، وبث وسطهم مستشرقين عديدين يركزون على الميزات البربرية ويبرزونها، ويعلون من شأنها، ويعملون على ربط البربر بالأوروبيين وبالثقافة الغربية، وبالتالي المساهمة في إنجاح تلك النعرات العرقية، وتعميق العداء البربري-العربي.

وبما أن فرنسا هي المستفيدة من تلك النواحي الثقافية والاستعمارية والسياسية كافة، وبسبب هيمنتها في هذه الحقبة، فإنها فرضت بطريق غير مباشر، توسع هذه الدراسات وانتشارها وتعمقها، بل كانت ضمن قمة الموضوعات المدروسة في المؤتمرات، وبالتالي كان انتشار الموضوعات البربرية ودوامها، ناتجا عن تأثير سياسي استعماري فرنسي في المؤتمرات.

ليست هذه هي المؤثرات السياسية في المؤتمرات وحدها، بل هناك أمور أخرى، منها ما رأيناه في التوطئة[1] من أن العصر يعد عصر ضيق أوروبي في

---

[1] سبق الحديث عن الموضوع ص ٣٢٨ من الرسالة وما بعدها.

منطقتهم، وانطلاقة الحمى الاستعمارية الكبرى في كافة أنحاء العالم. والحاجة لمعرفة تلك الشعوب، حتى يمكن السيطرة عليها، أظهر ضرورة تعلم لغاتها. وهذه النزعة انطلقت لغايات دينية تنصيرية، ثم سياسية اقتصادية تجارية، ثم الاستعمارية. وفي خضم تعلم اللغات تلك، ظهر متخصصون عديدون، واختلطت الحاجات السياسية بالغايات العلمية، لكنها تصب كلها لمصلحة الاستعمار. وكانت المحاولات نشطة لإحلال الخط اللاتيني محل الحروف الوطنية، وبالتالي، كان للمؤتمرات نصيبها في تناول تلك الموضوعات بالدرس، فكانت اللغويات إحدى أهم العناصر التي اهتمت بها المؤتمرات، ولاسيما في هذه الحقبة.

من السمات المميزة للعصر كذلك، العنصرية وحمى العرقية والوطنية والقومية. فكان أن جعل العرق الآري أرقى الأجناس، ومن هنا لقي الموضوع هذا نصيبه من البحث في مؤتمرات هذه الحقبة. وأول من أدخله للبحث هم الإنجليز، منذ المؤتمر الثاني، بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ).

كما كانت الهند من أهم الدول التي اشتد التنافس حول استعمارها، حتى روسيا كانت لها مطامع فيها، ومن هنا كانت أول من طرحها موضوعا للبحث منذ المؤتمر الثالث سنة ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ) في سان بترسبورغ. كما كانت تسعى حثيثا لترسيخ استعمارها آسيا الوسطى، وكانت ساعتها اقتطعت مناطق عديدة منها، فروسيا كانت تسعى لفرض نفسها على الساحة الاستعمارية والعالمية والعلمية أيضا، إذ لم يكن ينظر إليها بنفس الدرجة من المساواة مع الأجناس العرقية الأوروبية، وكانت خرجت من حروب مع دول أوروبية، ولا تترك مناسبة سانحة إلا وتثبت فيها شخصيتها، لذا نراها تطرح موضوعات مرتبطة بها ارتباطا وثيقا منذ المؤتمر الثالث ، من ذلك آسيا الوسطى، التي ضمت معظم أراضيها، وستضمها كلها لاحقا، كما طرحت موضوع القوقاز لأول مرة، وموضوع سيبيريا، وهو المؤتمر الوحيد الذي عرض فيه طوال هذه الحقبة. كما طرح مؤتمر "سان بترسبورغ" موضوعي تركيا وإيران، التي كانت خاضت معهما حروبا، ولم تكن معهما على وئام. وفي المقابل، نجد البلدان الأوروبية الأخرى، التي تستضيف المؤتمر، تطرح موضوعات جيران روسيا المستعمرة وغيرها، ومنها آسيا الغربية في المؤتمر الثالث عشر، والبقية نص عليها في موضعها.

التوجهات العامة في أوروبا، جعلت موضوعات الشرق تدرس بعناية،

ولاسيما الآثار، في المؤتمرات الأولى، ثم بقية الدراسات المتعلقة بكافة جوانب الشرق، ولاسيما زمن الهجمة الاستعمارية، بعد الهدنة الحربية القصيرة الموقعة ساعتها بين الدول الأوروبية.

وفي الوقت نفسه كانت القوميات في أوروبا تنمو وتتجمع وتتقاتل، ولاسيما تلك التي كانت خاضعة للحكم العثماني، وأقواها في ذلك الحين اليونان، التي تمكنت من السيطرة على أراض عدة، وتحقيق انتصارات على الحكومة العثمانية. لذلك كانت اليونان من الموضوعات التي اهتمت بها المؤتمرات، وعادة ما كانت تعد من الشرق.

ونظرا للعداء الذي كان موجها للخلافة، وللمقاومات العنيفة التي لاقاها الاستعمار في البلدان الإسلامية، ظهرت الموضوعات المتعلقة بها، فقد طرحت الموضوعات الإسلامية انطلاقا من المؤتمر الثامن. وطرحت موضوعات المناطق الجغرافية الإسلامية منذ المؤتمر الأول، كما أن المؤتمر السادس الذي انعقد في هولندا سنة ١٨٨٣م (١٣٠٣هـ)، اهتم اهتماما خاصا بموضوعات جنوب شرقي آسيا، وبخاصة ماليزيا أو بولينيزيا أو غيرها من المناطق الخاضعة استعماريا لهولندا، يعود بعضها للقرن السادس عشر، أو تلك التي تسعى هولندا في استعمارها، وبالتالي نشطت هذه الدراسات لديها، سواء من أجل إتمام استعمارها، أو توقي خطرها، كما من شأن ذلك أن يظهر للعالمين نشاط المدرسة الهولندية.

نرى أيضا وجود الموضوعات الصينية، وهي كالهند الصينية، كانت موضع اهتمام الغرب المستعمر، وقد احتلت فعلا بعض أراضيها، هذا بالإضافة إلى عراقة التراث الصيني الموغل في القدم، سواء لغاتها وفلسفتها وحكمها وآثارها، وغيرها من المقومات الحضارية الصينية.

وقريبا من الصين توجد اليابان، واليابان فاجأت أوروبا كلها بانطلاقتها من عزلتها خلال القرن التاسع عشر، وما فتئت تنافس أوروبا في جميع الميادين، الاقتصادية منها والتجارية والعلمية، بل السياسية أيضا، لدرجة أنها أضحت من البلدان الاستعمارية الكبرى، احتلت أراضي لجيرانها الكوريين[1] والصينيين

---

[1] يمكن التعرف على التفصيلات لدى موريس كروزيي: تاريخ الحضارات العام، العهد المعاصر – م٧ – الطبعة الثانية– ١٩٨٧م – ص ٦٦٠ وما بعدها.

والروس والفيلبين وجنوب شرقي آسيا وغيرها، وكونت نفسها إمبراطورية استعمارية كبرى[1]، قبل أن تهزم في الحرب العالمية الثانية، ورغم ذلك أصبحت إمبراطورية تجارية-اقتصادية. ومن ديدن أوروبا منذ القدم أنها تفاجأ بكل شعب جديد تكتشفه، أو يظهر فجأة على الساحة العالمية[2]، وذلك بسبب الضيق الجغرافي في الفكر الغربي. ولعل هذا ما حصل لها باكتشافها للشعب الياباني وخصائصه. وسرعان ما ظهر تبرمها وعظمت دهشتها من هذه المزاحمة في الميادين المختلفة. لذا، سارع الغربيون لتناول هذا الشعب بالدرس والتحليل محاولة لاحتوائه، حتى بتغيير كتابته لتأخذ الصفات اللاتينية، بل كادت أن تخصص له المؤتمر الأول بكامله له. وقد ظهر بالتالي متخصصون عديدون في الدراسات اليابانية، وطرحت الموضوعات اليابانية بالتالي في مؤتمرات عدة.

كان للموضوعات العرقية والنعرات الوطنية داخل الخلافة العثمانية نصيبها من البحث في مؤتمرات المستشرقين العالمية. فالخلافة العثمانية التي وجدت نفسها مجبرة على السعي من أجل المحافظة على حدود الخلافة خارجيا، أمام الأخطار التي تتهددها من جوانب عدة، لم تقدر على المحافظة على وحدة الأمة داخليا، إذ كانت الأزمة شديدة وعاتية، ومن هذه الأزمات قيام النعرة العربية أمام القومية الطورانية، وغيرها من القوميات، وبالتالي تناول الغرب هذه القوميات بالدرس والتحليل، والمساعدات أحيانا، ومن هنا، نجد المؤتمرات تناولت موضوعات عديدة من هذا القبيل، من مثل العربية والتركية الآلطية والتتارية والقوقازية والمالاوية وغيرها من الموضوعات العرقية، التي نشأت في العالم الإسلامي.

تظهر إثيوبيا للمرة الأولى في أعمال المؤتمرات في المؤتمر الحادي عشر الذي انعقد في روما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، ثم ظهرت ثانية في الجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، فأثينا سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ). ويرتبط ظهور هذه اللجنة بحدث سياسي استعماري هام، ألا وهو قيام الحملة الاستعمارية الإيطالية على

---

(١) يمكن الاطلاع على المرجع نفسه – العهد المعاصر – م٧ – الطبعة الثانية– ١٩٨٧م – ص ٨٦٩ وما بعدها.

(٢) كما حصل لهم لدى ظهور المغول مثلا، ذكر ذلك رتشارد سوذرن – صورة الإسلام في أوروبا... ص ٨٤ وما بعدها.

الحبشة، وكان ذلك في العام ١٨٩٩م (١٣١٧هـ). لكن هذا الولـــوج لـم يكـن ميسورا، إذ إن هذه الحرب كانت إحدى ثلاث خاضتها أوروبا وفشلت فيها، فأثرت فيها سلبيا، وهذه شهدت انكسار أوروبا أمام الحبشة، سنة ١٨٩٦م (١٣١٤هـــ)، ومن هنا فرضت إثيوبيا نفسها على الساحة العالمية، وبالتالي ظهرت دراساتها في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

أما أن يطرح الموضوع في مؤتمر أثينا، فيبدو أن له أصولا سياسية ودينيـة وتاريخية. فقد تقاربت أثيوبيا واليونان سياسيا، لدرجة أن "كاسا"[١] الـذي فـرض نفسه على إثيوبيا، وتسمى النجاشي "تيودوروس"، بعث رسالة إلـــى القيصـر[٢]، يقترح فيها ميثاقا موحدا ضد الإسلام والمسلمين، وكانت الساحة اليونانية ســاعتها في حروب ومعارك وخلافات مع تركيا، وقامت أثينـــا تحـاول إعــادة مجدهــا القيصري السابق والاستحواذ على مفقوداتها من أراض وحضــارة، ولاسـيما أن نموذج أثيوبيا كان قد سبقها في ذلك، فهذه الدولة الإفريقية سيطرت على الأراضي المتاخمة لها، والتي هي في معظمها أراض إسلامية، وموقعـــها مشــابه لموقـع اليونان نفسها من حيث الاستراتيجية والديانة، والحدود المتاخمة لها. ولعل دراســة اليونان لعوامل التفوق الأثيوبي، تساعدها في لعب الدور ذاته على الأقل في شرق أوروبا، كما أن الماضي التاريخي يبين أنه كان هناك تحالف قوي بيـن البلديـن، قبيل ظهور الديانة الإسلامية.

أما مدغشقر، التي ظهرت الدراسات حولها في المؤتمرات الثاني عشر ســنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ) والرابع عشر، سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، والسادس عشـــر

---

[١] تولى الإمبراطور "كاسا" الحكم سنة ١٨٥٥م (١٢٧١-١٢٧٢هـ)، وتمكن من توسيع حدود مملكته بعد أن أوقف الصراعات الدلخلية المتلاحقة. حاول إقامة علاقة وثيقة مع الغرب الذي تكـالب علـى احتلال المنطقة. لكن سوء تفاهم عميق بينه وبين بريطانيا، جعله يقدم على الانتحــار سـنة ١٨٦٨م (١٢٨٤-١٢٨٥هـ)، ويمكن الاطلاع على المزيد في – The New Encyclopaedia Britannica Vol6 – p. 1010.، والمعلومات التاريخية عند روبير شنيرب: تاريخ حضـــارات العـالم – م٦ – ص ٤٤٧.

[٢] عايش الإمبراطور "كاسا"، ملكين من ملوك اليونان، هما الملك "أوتو الأول Otto I" الذي أطيح بـه سنة ١٨٦٢م (١٢٧٨ – ١٢٧٩هـ)، ونصب مكانـــه الملـك جـورج الأول حتـى العـام ١٩١٣م (١٣٣١هـ)، ويبدو أن الأول هو الذي راسله "كاسا".
Academic American Encyclopedia Vol. 9 – p. 328.

سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، فيبدو أنه كان لمصالح سياسية ودينية، ولأهداف مصلحية بالطبع. فقد كان هناك تنافس غربي على مدغشقر، ولاسيما بين الإنجليز والفرنسيين. وقد عرفت مدغشقر زمنا طويلا كيف تستغل هذا التنافس، وتستفيد من خدمات الأوروبيين دون التسليم بشروطهم، حتى تمكنت بريطانيا من الاستحواذ على البلد عن طريق الخبراء في الأمور المتعددة، ولاسيما العسكرية منها، حتى إذا ما اعتمدت مدغشقر كليا على بريطانيا، سحبت بريطانيا دعمها للجزيرة بمجرد أن هاجمتها فرنسا، فوقعت الجزيرة تحت النفوذ الفرنسي سنة ١٨٨٥م (١٣٠٤هـ)، ثم تم استعمارها تماما بعد ذلك بعشر سنوات.

ويبدو أن عرضه في مؤتمر روما، كان لأطماع إيطالية في الجزيرة، ولاسيما أنها لا تبتعد كثيرا عن شواطئ الصومال التي كانت تحتلها. إذ إن التسابق في الاحتلال بين فرنسا وبريطانيا من جهة، وإيطاليا من جهة أخرى، قائم بقوة وحمية، فقد كانت إيطاليا تطمع في استعمار شمال إفريقيا ككل، لكن احتلال فرنسا للمنطقة أغضب إيطاليا وجعلها تدخل في ليبيا بقوة، ومنها اندفعت لأواسط إفريقيا. ولا اندهاش في طرح الموضوع في الجزائر، فهي إحدى مستعمرات فرنسا الإفريقية، والجزائر هي الساهرة على ممتلكاتها في إفريقيا، ثم إن المؤتمر ركز على الدراسات اللغوية والدراسات الإفريقية، ودقق بالخصوص على الأراضي الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي.

أما عرضها في مؤتمر أثينا، فلا يتضح من خلال المؤتمرات ومن خلال الوثائق التاريخية إن كان له مؤثرات غير علمية في الأمر. فهل اليونان، المستقلة حديثا، ترفض الاستعمار أيا كانت أشكاله، ولاسيما أنها لا تزال مهددة في ذلك الوقت من جل جيرانها، بما فيهم إيطاليا والمجر وغيرها، أم هي تقرب من فرنسا وبريطانيا، لكسب تأييدهما في قضيتها، أو هي مجرد دراسات علمية متنوعة وقليلة في كميتها، إذ ضمت موضوعات مدغشقر في لجنة واحدة مع مجموعة من بلدان شرقي آسيا وجنوب شرقيها تحت عنوان "الهند الصينية، برمانيا، مدغشقر، ماليزيا"، ومن هنا ضمت مع بعضها؟ لا يمكن تقديم إجابة قاطعة لمثل هذه التساؤلات. إلا أن إمكان الإجابة عن سبب ضم مدغشقر علميا لتكون مع هذه الدول المذكورة. ففي الجزيرة جاليات آسيوية كبيرة، وسيطر هؤلاء النازحون على جل مناطق الجزيرة، لذا، فقد قارب العديد من الباحثين بين اللغات والأجناس

تلك، وقاربوها لآسيا أكثر منها لإفريقيا، وفي هذا المجال يقول "روبير شـنيرب": "إن مدغشقر أكثر انتسابا إلى الأراضي المتناثرة في المحيـط الـهندي، وحتـى المحيط الهادي، منها إلى إفريقيا التي تؤلف جزء منها"[١]. فلعل هذا هو سبب ضـم هذه الموضوعات بعضها ببعض.

أما الملاحظة اللافتة للانتباه أيضا، طرح الموضوعات الخاصة بالعبرية، في المؤتمرات نفسها التي درست فيها الحبشة. وإذا ذكرت العبرية، يرد على الذهـن اليهود أيضا. والمعلوم أن الصهيونية نشطت في ذلك الوقت، ولاسيما بعد انتشـار كتاب "هرتزل"، "الدولة اليهودية"، سنة ١٨٩٦م (١٣١٤هـ)، وكـثرة نشـاطاته ولقاءاته واتصالاته ومؤتمراته التي عقدها. وفي تلك الفترة، صرف نظـره عـن فلسطين، بعد الفشل الذريع الذي لاقاه، فاضطر للقبول بوطن لليهود في أوغنـدا. لكن ما لبث الصهاينة أن تراجعوا عن ذلك وأصروا على فلسطين.

ازداد النشاط الصهيوني بعد ذلك، وأنشئ الصندوق الوطني اليهودي سـنة ١٩٠١م (١٣١٩م)، وخصص لتكوين مستعمرة صهيونية في فلسطين، وتم تأسيس معهد فلاحي يهودي في فلسطين، وكان منطلق نواة استعمارية في فلسطين. وشهد العام ١٩٠٣م (١٣١١هـ)، انعقاد المؤتمر الصهيوني العـالمي. وبالتـالي، فقـد فرض الصهاينة أنفسهم على الصعيد العالمي، ولاسيما أن معظم قادتها ومموليـها من رجال الأعمال الذين يتحكمون في اقتصاديات معظم البلـدان الغربيـة مثـل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وغيرهـا مـن الـدول، بدرجـات متفاوتة.

أما لماذا لم يطـرح الموضـوع اليـهودي فـي المؤتمـر الثـالث عشـر بـ"همبورغ"، سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، فيبدو أن السبب هو الـروح المعاديـة لليهود التي كانت تشهدها الساحة الألمانية، التي عمتها مظاهرات وتوجهات معادية للأفعال والتصرفات اليهودية، التي استغلت كل الظروف من أجل تنميـة ثرائـها وسيطرتها على الألمان، الذين كانت متعمقة فيهم عقدة التفوق العنصري الألمـاني على سائر الأعراق، ولاسيما اليهود.

يبقى موضوع الدراسات الأمريكية، التـي وردت مرتين، فـي مؤتمر روما

---

[١] تاريخ حضارات العالم – القرن التاسع عشر – م٦ – ص ٤٥٠ .

الثاني عشر، وفي أثينا في المؤتمر السادس عشر، ويبدو أن الأثر السياسي الكامن وراء التأثير في اختيار مثل هذه اللجنة مختلف في الحالتين، نظرا لاهتمام كل دولة بأمريكا لمصالحها الخاصة: فإيطاليا كانت دولة مصنعة وقوية، وبالتالي صارت استعمارية. وشهد القرن التاسع عشر انعتاق الدول الأمريكية، من تبعيتها للدول الأوروبية، لذا، فإن إيطاليا يهمها أن توجه اهتمامها لتلك المنطقة للحصول على مصالح تجارية واقتصادية، وسياسية أيضا. لذا، فزمن التحرر الأمريكي، ولاسيما الجنوبي، عاصر انعقاد المؤتمر الثاني عشر، سنة ١٨٩٩م (١٣٠٧هـ)، الذي تزامن مع هزيمة أسبانيا النكراء في كوبا، مما قد يؤهل لقيام تحالفات أخرى[1].

أما ما يتعلق بالمؤتمر السادس عشر، والذي أدخل الدراسات الأمريكية، ضمن موضوعاته، فيبدو أن ذلك يتعلق باليونان ذاتها. فاليونان تعد نفسها خارجة من احتلال تركي، وليست بالدولة القوية، ولا المصنعة، وهي مجموعة عرقيات وحدت نفسها رغما عنها للمصلحة المشتركة. وقد حصلت على مساعدات أوروبية عدة، لولاها ما وقفت في وجه الأتراك. لكنها ترى حمى الصراعات والمنازعات والتسابق نحو التسلح وتحرش الدول بعضها ببعض، هذا الوضع، والظروف التي تعيشها اليونان، يبدو أنها جعلتها تبحث عن حليف قوي ومستقر، ولزم أن يكون بعيدا عن أوروبا، وذا ميول أوروبية، وما كان ذلك إلا من الدول الأمريكية، ولاسيما الولايات المتحدة، التي انطلقت شرارة سيطرتها على العالم، وبالتالي أصبحت الدول الضعيفة والفقيرة تسعى للاعتماد عليها، فكان أن طرح الاهتمام بأمريكا على الساحة اليونانية.

في الوقت نفسه، كانت الولايات المتحدة، تنتظر فرصة الحصول على دور رائد على الساحة العالمية. وكانت منشغلة كثيرا بالقضايا الأوروبية، وبالمنازعات القائمة فيها، ولاسيما الدول المستقلة حديثا، واهتمت بقضية العرقيات والقوميات التي كانت تنهش الكيان الأوروبي. ويدلل على ذلك ما سمي لاحقا بـ"بنود ولسون"، ورأى فيها الأخذ بمبدأ احترام مطالب القوميات الوطنية، وبالتالي الاعتراف باستقلال هذه الشعوب، التي لا تزال تعاني من الاحتلال الأجنبي لها،

---

[1] روبير شنيرب: تاريخ الحضارات العام – م٦ – ص ٥٧٣ – ٥٧٤ .

والقضاء على كل مبرر لسياسة الضم القومية[1]. وهذا ما سينتج لاحقا، بعد الحرب العالمية الأولى، صدور قرار يخدم مصلحة اليونان، ويتمثل في العناية بالدول المستقلة حديثا عن تركيا[2]. واليونان التي كانت في حالة حرب مع تركيا وتطالب بأراض تركية، سعت للاهتمام بالجانب الأمريكي كحليف يقيني، فانتشر الاهتمام بالواقع الأمريكي لدى كل الأطراف الفاعلة هناك، بما فيها الاستشراق.

أما العالم الإسلامي، الذي ظهر في المؤتمرين نفسهما، فقد كان فيه من التحولات السياسية ما يجلب الاهتمام. ففي تلك الفترة انطلقت فكرة القوميات والانفصالات، إضافة إلى الاحتلال العسكري لجل الأقطار الإسلامية، والسعي لخلعها عن الخلافة العثمانية، بل انطلقت بوادر التخطيط للإجهاز على منصب الخلافة، وهذه التغييرات السياسية، طرحت موضوع العلاقات بين الشرق والغرب أيضا. لذا، لزم بحث التطورات التي قد تحدث لاحقا على هذا المسار من العلاقات بين العالم الإسلامي الجديد والمجتمع الغربي. هذا إضافة إلى كون العالم الإسلامي هو موضوع الاستشراق الرئيس، ومن ضمنه المناطق المدروسة التالية، آسيا الغربية والجزيرة العربية وفلسطين، ومناطق القوقاز وما وراءه، والقوميات الناشئة في العالم الإسلامي، والنزعات العرقية فيها، بما فيها الطورانية والمالاوية والعربية وغيرها.

تلك هي مجموعة من التحليلات للمؤثرات السياسية التي يمكن أن تكون أثرت في اختيار اللجان والموضوعات الدراسية، إذ لم تكن المؤتمرات حرة تماما ومستقلة عن المؤثرات العديدة، والسياسية أهمها، لكن ليست وحدها، بل هناك المؤثرات الدينية أيضا، وتتضح باختيار الموضوعات المتعلقة بنصارى الشرق أو اليهودية أو الكتب المقدسة، إضافة إلى الأثر الثقافي، كظاهرة الأدب الإسلامي في المؤتمرين السادس والسابع، وهي فترة ترجمت فيها نبذ من الأدب الإسلامي إلى اللغات الأوروبية، واشتهرت من ضمنها شهرة عميقة مجموعة "ألف ليلة وليلة"[3]،

---

[1] يمكن الاطلاع على ملخص هذه البنود في تاريخ الحضارات العام – م٧ – ص ٤٣.

[2] المرجع السابق – م٧ – ص ٤٦ .

[3] قال عنها عمر فروخ: "أما ألف ليلة وليلة، فسلسلة من الحكايات الطوال في موضوعات غريبة، مبنية على الخرافات والمبالغات. والكتاب يرجع إلى أصل فارسي... فسماه العرب "ألف ليلة"، ثم جعل

التي شغف بها الغرب شغفا كبيرا، مما جعل الموضوع جديرا بطرحه للدراسة والمناقشة في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

ومع ذلك لا يمكن إغفال الجانب العلمي والمعرفي وحب الاستكشاف والاطلاع على هذه الدراسات أيضا، ولاسيما الموضوعات المتعلقة بالنقوش والآثار وبحث الحضارات. فرغم التوجهات المعرفية المختلفة، والمدارس الدراسية المتنوعة، التي تناولت تلك الموضوعات سواء كانت تلك الهيئات الباحثة فنية أو أدبية أو دينية أو تاريخية أو غيرها، فإن دراساتهم لا تخلو من الهدف العلمي أيضا.

هذا ما يتعلق بالجانب الدراسي لمؤتمرات هذه الحقبة. هذه المؤتمرات، التي تمثل أساس انطلاقة مسار المؤتمرات وثباتها، هذه المؤتمرات التي نشأت في حقبة زمنية توالت فيها الأحداث المتنوعة، سواء السياسية منها أو الاجتماعية أو المعرفية أو غيرها، وتواصلت تلك الظواهر مع مسارات المؤتمرات، حتى إن هذه الأخيرة لم تستطع أن تبقى بمنأى عن تلك التطورات، فشابها التنافس بين المستشرقين، وبرزت المصالح الوطنية الخاصة، التي اصطبغ بها مسار المؤتمرات، بشقيه الإداري أو العلمي، إذ إن دراسات مؤتمرات المستشرقين العالمية إنسانية في عمومها، وبالتالي، فإن الأحداث الإنسانية كان لها التأثير الكبير في مسارها.

المتأخرون اسمه "ألف ليلة وليلة"... وقد خضعت لزيادات مختلفة في الأعصر المتعاقبة،... ففي "ألف ليلة وليلة"، من أجل ذلك أساليب عديدة، تختلف بين نثر مرسل صحيح العبارة، وبين نثر متكلف سقيم التركيب. وفي الزيادات المتأخرة مدارك جنسية فاحشة، وألفاظ بذيئة وقدر بارز من قصص الجن.."، في كتابه تاريخ الأدب العربي – بيروت – دار العلم للملايين – الطبعة الثالثة – ١٩٨١م – الجزء الثالث – ص ١٥١ .

الفصل الثاني: مؤتمرات المستشرقين العالمية في فترة ما بين الحربين

المبحث الأول: مسار المؤتمرات الإداري وتطوره

المبحث الثاني: مسار المؤتمرات العلمي وتطوره

الفصل الثاني: مؤتمرات المستشرقين العالمية في فترة ما بين الحربين

توطئة:

مع انطلاقة الحرب العالمية الأولى، توقف نشاط المؤتمرات، بعد أن كان مخططا انعقاد المؤتمر السابع عشر منها في العام ١٩١٥م (١٣٣٣هـ)، وهي أول عامل خارجي يتمكن من التأثير تأثيرا مطلقا في المؤتمرات. فالمؤثرات الخارجية الأخرى، رغم قدرتها على ترك بصماتها في المؤتمرات إلا أنها لم تتغلغل لدرجة التأثير في مسارها، ولم تقدر، بل لم تحاول إيقافه. لكن هذا الطارئ الجديد استطاع قطع نشاطها وإيقاف مسارها. ولم تقتصر فترة الانقطاع على الحقبة الحربية فحسب، بل زادت على ذلك أكثر بكثير، فلم تعاود نشاطها إلا في عام ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، وهو ما يعني عشر سنوات بعد توقف الحرب.

لم تسنح الظروف في هذه الحقبة إلا لعقد أربعة مؤتمرات فحسب. فما لبثت أوروبا أن عادت إليها الحرب ثانية، فقد قامت فيها حرب عالمية أخرى توقفت بسببها المؤتمرات مرة أخرى.

تميزت حقبة ما بين الحربين بثبات نظامها العام القديم، واحتفظت باتجاهاتها ومسارها العام. وفيها لملم المستشرقون صفوفهم ثانية، حتى ألمانيا المهزومة في الحرب شاركت بعدد كبير من المستشرقين، بأكبر عدد من المندوبين عنها، مقارنة بسائر المؤتمرات الأخرى. فقد حاول المستشرقون جاهدين تحدي الظروف التي حالت دون عودة انعقاد المؤتمرات، ولاسيما المشكلات السياسية على الساحة الأوروبية، وتجاوز الحواجز الدبلوماسية، ولاسيما الخصومات الداخلية للبلدان، والمشكلات الحدودية، وحاولوا تغليب الجانب المعرفي للمؤتمرات على الظروف الراهنة.

أما ما تميزت به الناحية العلمية في هذه الفترة، فهو طرح الموضوعات اليهودية بقوة، ولاسيما في المنطقة الفلسطينية، إذ إن المؤثرات السياسية لا زالت تحدث أثرها في مسار المؤتمرات، فقد شهدت الحقبة ازدياد قوة حملة اللوبي

اليهودي الصهيوني، من أجل قيام وطن مستقل لليهود في فلسطين.

ومع ذلك، ما إن تهدأ أمور المؤتمرات وينتظم مسارها، حتى تطـــرح مـــن جديد قضية إعادة النظر في أنظمة المؤتمرات، وذلك في آخر مؤتمـــرات هـــذه الحقبة. ولكن ما إن انقضى المؤتمر ذاك، حتى قامت الحرب العالميـــة الثانيـــة، وأعيق للمرة الثانية بحث الموضوع هذا.

تلك التفصيلات والموضوعات، يمكن التعرف عليها من خلال العنصريـــن التاليين: المسار الإداري للمؤتمرات، وكذلك مسارها العلمي. وقبل الدخـــول فـــي طرقهما، يجدر إلقاء نظرة سريعة على الأحوال العامـــة، التـــي أحـــاطت ببيئـــة المؤتمرات في حقبة ما بين الحربين العالميتين، حتى يمكن وضع المؤتمرات فـــي إطارها العام.

كانت أيام الحرب مروعة جدا، أدت إلى حدوث أزمات سياسية واقتصاديـــة واجتماعية عدة. وهذه الأزمات برزت منذ أيام الحرب، ولاسيما خلال العـــامين، ١٩١٧م (١٣٣٥-١٣٣٦هـ)، فقد هرب العديد من الجنود وفـــروا مـــن ســـاحة القتال، و تمردوا أحيانا. أما في داخل البلدان فقـــد قـــامت إضرابـــات عماليـــة واحتجاجات اجتماعية، مع ضيق المعيشة وكثرة القتلى والأســـرى، وتصـــاعدت الأصوات تطالب بالصلح. وقام الاتحاد السوفيتي الذي جاءت به الثورة البلشـــفية العامة سنة ١٩١٧م (١٣٣٥هـ).

ومع ذلك كانت صناعة الأسلحة في ازدهار وتكاثر دائم وتكـــدس مســـتمر، وكل داع وصوت مضاد للحرب، وكل حركة تدعو إلى السلم، يتم قمعها ودحرها.

عم البؤس جل البلدان، وتفاقم الغلاء ومعه الفوضـــى السياســـية، وحـــاولت البلدان جاهدة قمع الثورات الشعبية، ولاسيما الشيوعية منها، التي أرادت أن تحذو حذو الثورة البلشفية، التي حاولت الدولة القيصرية قمعها بكل ما أوتيت من قـــوة، لكنها انكسرت أمامها، الأمر الذي نمى الخوف في النفوس منها، وأثيرت الشـــكوك حولها. ونظرا لشدة الحركات الشعبية، سقطت الأنظمة الملكية المهزومـــة. أمـــا الدول الغالبة، فقد سارعت إلى قمع الإضرابات الشعبية، وفي الوقت نفسه لبـــت لشعوبها بعض المطالب، كنظام الثماني ساعات عمل، والإصلاح الزراعي...

أمام التحديات الكبرى، سعت الدول إلى تكوين عصبة الأمم، ومهمتها حماية

الأقليات واتخاذ الإجراءات الاقتصادية والعسكرية ضد أي دولة تعلن الحرب على الأخرى. إلا أنها سرعان ما همش دورها، ولم تتمكن من إثبات فاعليتها.

وتراكمت ديون الدول الأوروبية مما جعلها في تبعية للولايات المتحدة الأمريكية، التي خرجت المستفيدة الكبرى من الحرب، إلى جانب اليابان. إلا أن الأمر لم يستقر لا في الدول المهزومة ولا المنتصرة، فقد انبعثت القوميات بقوة في الدول الخاسرة، واحتدم التنافس الاقتصادي والتجاري بين الدول المنتصرة، التي كانت تسعى جاهدة لإعادة بناء نفسها. وثقلت الإهانات وتزايدت على الدول المهزومة، ولاسيما عدم احترام الاتفاقيات المعقودة معها، وهذه ساهمت بعمق في انعدام الثقة بين الدول، وانصب الاهتمام مرة أخرى على التسليح وتطويره وتكديسه من جديد.

تفاقمت المشكلات الاقتصادية، وارتفعت أسعار المواد الخام والمحاصيل الزراعية، وارتفع الاستيراد مقابل تدني حركة التصدير، فانهارت العملات مقابل الدولار، وتلاحقت إفلاسات المؤسسات والبنوك، وشان الأمر الأزمة الكبرى ليوم "الأحد الأسود"، الرابع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٢٩م (الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٣٤٨هـ)، التي عمت بلواها أنحاء العالم كافة، وتعاظمت قسوتها على كل من فرنسا وإيطاليا، بينما كانت أزمتها أخف على بريطانيا من غيرها، بسبب نوع من الاستقرار السياسي.

نمت كل من ألمانيا وإيطاليا من جديد شيئا فشيئا، وكونت كل منهما قوة اقتصادية وسياسية وعسكرية. إلا أن اقتصادهما، كان موجها للحرب، وكذلك اليابان، التي كانت في حالة حرب مع الصين. وكان الرأي السائد عموما أن التسليح وحده هو الذي يكمن وراء ازدهار عملية إنتاج المواد الأولية.

واشتد التنافس في هذه الفترة على السيطرة على العالم مرة أخرى، سواء من الناحية السياسية أو التجارية أو الاقتصادية، وعادت من جديد الخصومات بين الدول، واتقدت الروح الوطنية، وعم سوء النية، ورجعت التحالفات المتعددة، واحتدم العداء بين الأطراف، وارتفعت درجته شيئا فشيئا حتى انطلقت حرب عالمية جديدة، بأسلحة فتاكة أكثر ضراوة من الحرب الماضية(١).

---

(١) للمزيد من التفصيل، يمكن مراجعة تاريخ الحضارات العام – م٧ – ص ٨٦٩ – ٨٨٠.

المبحث الأول: مسار المؤتمرات الإداري وتطوره

أدى قيام الحرب العالمية الأولى إلى توقف المؤتمرات عن الانعقاد، كما أن الفترة الزمنية الطويلة، الفاصلة بين توقفه عند آخر مؤتمر عقده قبل الحرب سنة ١٩١٢م (١٣١٧هـ)، وحتى انعقاد المؤتمر اللاحق له سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، غيرت الكثير من الشؤون العالمية، من ضمنها النواحي المادية والمعرفية والسياسية والاجتماعية وغيرها. كما ظهرت حاجات وضرورات جديدة، تتناسب مع الوضع الجديد الراهن، وتحولت الجوانب المعرفية، وشهدت توجهات جديدة، سواء العلمية الطبيعية منها، أو الفكرية والفلسفية والأدبية. كما قضى العديد من المفكرين نحبهم بسبب الحرب أو بعامل السن، ومن هؤلاء العديد من المستشرقين، ومن بقي منهم، وبالتكاتف مع غيرهم، سعوا جاهدين لاستعادة حياة مؤتمراتهم.

حقيقة تلك الجهود، وما كان لها من أثر في انعقاد المؤتمرات وفي مسارها الإداري، يمكن الوقوف عليها وفق العناصر التالية:

- أسباب تأخر عودة المؤتمرات للانعقاد بعد الحرب.
- مساعي إعادة مسار انعقاد المؤتمرات.
- مساعي تطوير أنظمة المؤتمرات في هذه الحقبة.

وبهذه العناصر، تتضح الرؤيا العامة للمسار الإداري للمؤتمرات في هذه الحقبة

١- أسباب تأخر عودة المؤتمرات للانعقاد بعد الحرب:

من المعلوم أن الحرب العالمية الأولى توقفت في عام ١٩١٨م (١٣٣٦هـ)، ومع ذلك لم تنطلق المؤتمرات من جديد إلا في عام ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، وهو ما يعني ركود المؤتمرات عشر سنوات بعد الحرب. ولم تذكر المؤتمرات أسباب هذا التأخير، عدا الحرب ومحاولة استشارة المتخصصين في كافة أنحاء أوروبا وأمريكا. إلا أن الاستقراء التاريخي يبين أن هناك أسبابا عدة، حالت دون انعقاد المؤتمر في وقت أقرب من هذه الفترة. وبالتالي يمكن إرجاع

ذلك التأخر لأسباب سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية. وهـذه يمكـن بيانـها باختصار فيما يلي:

أ- الأسباب السياسية:

ألقت المقدمة التاريخية لهذا الفصل بعض الأضواء عن الوضع السياسي الذي نجم عن الحرب العالمية الأولى، وذكر أن هناك شؤونا داخلية في كل دولة، وظروفا أخرى خارجية. وتمثلت الحالات الداخلية بالاضطرابات الداخلية، هدفـها إسقاط الحكومات أو معاقبتها على سنوات الحرب المفروضة مـن قبلـها، فيمـا اعتمدت جل الحكومات على القوة العسكرية لقمع هذا الغضـب، ولاسـيما ضـد الجماعات الشيوعية. حتى روسيا نفسها، كانت لا تزال تعـاني مـن صراعـات دموية داخلية، وانقسامات سياسية حادة.

وطالت تلك الصدامات حتى الدول الكبرى نفسها، وكانت أشدها في فرنسا، التي استنفرت كل الوسائل القمعية التي قدرت عليها، حتى أخضعـت خصومـها بالقوة الضاربة. تليها بريطانيا وألمانيا. أما إيطاليا، فاجتمع فيها سـوء التنظيـم العام، بتغير الحكومات السريع والمتلاحق، مع القمع الشديد للثورات القائمة. ولـم يستقر لها الوضع إلا مع مجيء موسوليني[1] الذي خفف قليلا من حـدة القمـع، واستخدم أساليب سياسية صارمة من جهة أخرى. وحصل الأمر نفسه في ألمانيـا رغم أنه أخف من إيطاليا بكثير، ومع ذلك لم تهدأ الأوضاع إلا بمجيء "هتلـر"[2]

---

[1] هو بينيتو موسوليني (١٨٨٣ – ١٩٤٥م) (١٣٠٠ – ١٣٦٤هـ)، هو مؤسس الحـزب الفاشـي الوطني، واستغل القلاقل والثورات، وزحم على روما في ٢٨/١٠/١٩٢٢م (٧/٣/١٣٤١هـ)، وقـدر على التحكم في البلد بقوة فيما بين (١٩٢٢-١٩٤٣م) (١٣٤٠ – ١٣٦٢هـ)، وضـم إليهـا منـاطق استعمارية، الأمر الذي سبب له عزلة غربية، فتحالف مع هتلر سنة ١٩٣٩م (١٣٥٧هـ)، ودخل معه الحرب العالمية الثانية، وكان يحلم بإعادة الإمبراطورية الرومانية. وبعد الهزيمـة الحربيـة، حـاول الفرار، فقبض عليه وحوكم وأعدم رميا بالرصاص.

Academic American Encyclopedia – Vol13 – p. 684.

[2] هو أدولف هتلر (١٨٨٩-١٩٤٥م) (١٣٠٦-١٣٦٤هـ)، ولد في النمسا، انخـرط فـي الجيـش وشارك في الحرب العالمية الأولى، وتذمر من هزيمة ألمانيا، وحاول القيام بانقلاب عسـكري علـى الحكومة، ففشل وسجن خمس سنوات، وفيها كتب مؤلفه الشهير "كفـاحي"، واشـتد عـداؤه لليـهود

وحزبه للحكم، واتخاذه قرارات وإجراءات سياسية وعسكرية صارمة للغاية، وكان ذلك في معظم الأمور الكبيرة منها والصغيرة، الأمر الذي جعل الأمن يستتب رغم عدم الرضا العام.

أما الدول الصغرى، فكانت حالتها أسوأ من الكبرى، إذ تفككت الإمبراطورية النمساوية-المجرية، وانقسمت إلى دول متصارعة، وسقطت النظم الملكية فيها تترى، وظهرت النعرات القومية التي تناحرت على السلطة، ولاسيما في كافة أنحاء أوروبا الشرقية. وهكذا كان الحال في كل الدول الأوروبية كافة، فقد ظهر التناحر على السلطة، وتكاثرت الأحزاب والإيديولوجيات السياسية، والنعرات القومية، وكانت أوروبا تعيش غليانا داخليا، لم يستقر نهائيا، وإن خفت انعكاساته قبيل قيام الحرب العالمية الثانية.

أما عن العلاقات بين الدول، فقد كانت متوترة، سواء بين الدول المنتصرة فيما بينها، أو المهزومة مع بعضها، أو بين الدول المنتصرة والمهزومة.

أما الدول المنتصرة، فقد تعاظم التنافس مرة أخرى بين كل من إنجلترا وفرنسا، وكذلك دخلت الولايات المتحدة الحلبة، وإن كان لا يزال بشكل محدود، وعظم الصراع حول اقتسام مستعمرات دول المحور، وغنائم الحرب، وكذلك التعويضات، فيما تم عزل الاتحاد السوفيتي عن القيام بأي دور عالمي جديد، بل كان الحلفاء يساندون الثائرين على الحكم الجديد ويقدمون لهم الدعم المادي والعسكري، ولاسيما دول البلطيق وروسيا البيضاء وأوكرانيا، مما زاد من قمة عداء الروس البلشيفيك للغرب عموما، وكرد فعل على ذلك، تبنت روسيا كل الحركات الشيوعية في البلدان الغربية كافة، وقدمت لها المساعدات والدعم، ومن هنا، استفحل العداء بين الطرفين وتعمق. أما إيطاليا، فقد غضبت من خيانة الحلفاء لها.

أما الدول المهزومة، فقد فرضت عليها حدود جديدة، وتكونت منها دول أخرى. وقامت بين العديد منها صراعات حدودية عدة، ولاسيما بين دول البلقان

والشيوعيين. تزعم الحزب النازي، ووصل بحزبه لسدة الحكم سنة ١٩٣٣م (١٣٥١هـ)، ونكل بأعدائه ولاسيما اليهود والشيوعيين، وأسس حكومة مطلقة. وأدخل بلده الحرب العالمية الثانية، التي نتج عنها انكسار ألمانيا، سنة ١٩٤٥م (١٣٦٤هـ)، فانتحر في ١٩٤٥/٤/٣٠م (١٣٦٤/٥/١٨هـ).
Academic American Encyclopedia – Vol10 – pp. 187 – 188.

واليونان وتركيا وألبانيا، والحدود الرومانية المجرية، كما أن الحدود البلجيكية لم تكن مستقرة مع جاراتها، وهذا الوضع العام أدى إلى قيام معارك وصراعات، ساهم البعض منها في قيام الحرب العالمية الثانية.

أما علاقات الدول المنتصرة مع المنهزمة، فتتمثل في المبالغة في الإذلال، واستخدمت الدول الغالبة كل ما تستطيعه من وسائل وأساليب لقهر الأخريات، ولاسيما من جانب فرنسا تجاه ألمانيا. واستخدمت تلك الدول عصبة الأمم لمزيد الضغط، بفرض حدود جديدة عليها، واقتطاع أراض منها لصالح غيرها، وإجبارها على اتخاذ مسارات سياسية معينة، والمبالغة في استخدام حق الفيتو في إهانتها، وكل ذلك زرع في نفوس الدول المغلوبة النقمة الشديدة على دول الحلفاء، والرغبة الجامحة في الانتقام واسترداد الشرف[١].

هذه الظروف العامة، أجبرت الدول للعودة مرة أخرى لسباق التسلح، إضافة إلى الأزمات الاقتصادية الخانقة، التي شهدتها تلك الحقبة، وجهت الهمم لتطوير السلاح وتعزيز دوره، وبالتالي تكديسه والاستحواذ على الراقي منه.

ومن هنا، يتبين أن لمثل هذه الأزمات السياسية الخانقة، والخلافات الدولية المتعمقة، والشعوب المغلوبة على أمرها والمتفرقة، أثرها في صرف الجهود بعيداً عن المؤتمرات .

ب – الأسباب الاجتماعية:

خرجت أوروبا من الحرب منهكة ومفجعة، ودخل الهلع جل البيوت، لكثرة القتلى والمعاقين، وتدهورت اقتصادياتها، وتوالت الهزات الاجتماعية المتنوعة عليها، بسبب المخلفات السياسية أو الاقتصادية. تلك المؤثرات جعلت المجتمعات تعيش حياة غير مستقرة، فكثرت المظاهرات والاحتجاجات والاضطرابات، ذكتها النعرات العرقية، في معظم الدول الرابحة والخاسرة، بما فيها فرنسا وبريطانيا. وتعمقت النزعات العنصرية، ولاسيما في الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي بدت المجتمعات غير متناسقة ولا منسجمة، فظهرت تصنيفات

---

[١] يمكن الاطلاع على التفاصيل لدى روبير شنيرب – م٦ – ص.

الشعوب والتجمعات السكانية والأجناس العرقية، وطلعت للساحة المنازعات حول ماهية الجنس الأرقى والأدنى، ومن له أحقية التحكم في الشعوب الأخرى.

كما وجدت مجموعات أخرى تحارب الطبقية والفروق الاجتماعية، واختلفت مشاربها الفكرية، فهناك الشيوعيون والاشتراكيون والداعون للعدالة الاجتماعية، والثائرون ضد الفساد ولاسيما في تعيين الوظائف، وتقديم الجديرين واستقطاب المؤهلين، فيما زادت البطالة، التي تعد بالملايين العاطلين عن العمل، المشكلات الاجتماعية استفحالا، وهؤلاء كانوا يطالبون على الدوام بالحصول على أعمال، وبالتالي كانوا يسببون اضطرابات اجتماعية عديدة ومستفحلة.

كل هذه الجوانب جعلت المجتمعات تدخل في دوامة صراعات متنوعة ومتباينة، كل على الناحية التي تمسه مباشرة. وعرفت ألمانيا بانتشار نظرية التفوق العرقي، وتصنيفها لبقية الشعوب حسب صلاحيتها، واشتهرت الولايات المتحدة بالعنصرية ولاسيما ضد السود، وقامت ضدهم اضطهادات، ونما كره اليهود في بولندا والمجر وروسيا وألمانيا، لثرائهم الفاحش وشغلهم المناصب التي لا يستحقونها، وأقلقت البطالة كلا من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا. أما ألمانيا فقد استطاعت بالحزم الشديد والقرارات الإغرائية من ناحية، واستخدام القوة العسكرية من ناحية أخرى، القضاء على البطالة.

ومع ذلك تواصلت الفوضى الاجتماعية، في كافة أنحاء أوروبا طوال الفترة الفاصلة بين الحربين، ولعل الاستقرار لم يستتب بدرجة عالية إلا في ألمانيا، في السنوات الأخيرة قبل الحرب العالمية الثانية. وظلت أوروبا تشكو من التفكك الاجتماعي، ومن انهيار الروابط الشعبية، وانعدام الثقة بين الطوائف حتى في الوطن الواحد[١]. ولا شك أن لعدم الاستقرار الشعبي أثره على المسارات العلمية، ومن ذلك مسار الاستشراق عامة، ومؤتمرات المستشرقين العالمية كذلك، الأمر الذي ساهم في تأخر انعقادها مدة عقد من الزمن.

ج – الأسباب الاقتصادية:

[١] للمزيد من التفصيل، يمكن الاطلاع على ذلك لدى روبير شنيرب – م ٦ – ص .

لعل هذا السبب هو أهم ما أخر انعقاد المؤتمرات، فإضافة إلى الاستقرار السياسي والمني، لا بد من توفير الموارد المالية اللازمة من أجل استيفاء المصاريف اللازمة للنفقة على حاجيات المؤتمرات. وأوروبا خرجت تعاني من ويلات اقتصادية، ونقص في الموارد والمواد الغذائية، بسبب تدمير الأسس الاقتصادية، الصناعية منها والفلاحية، وضعف التصدير والتوريد، واتساع الأزمة الاقتصادية الخانقة، وشمولها أنحاءَ العالم كافة. وتواصل التدهور الاقتصادي حتى سنة ١٩٢٦م (١٣٤٤هـ)، وفيها بدا الاقتصاد العام ينتعش، وفي هذه السنة تقرر انعقاد المؤتمر في العام ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ). إلا أن الأزمة رجعت للساحة من العام ١٩٢٨م ذاته، وبلغت أوجها بالأزمة السوداء لسنة ١٩٢٩م (١٣٤٨هـ)[1].

رغم تلك الظروف، يبدو أن تضحيات كبرى عملت من أجل تنفيذ انعقاد المؤتمر في موعده، ولاسيما أن بريطانيا كانت أقل الدول تضررا بالأزمة الاقتصادية تلك. ولعله من حظ المؤتمر الكبير أن كانت الدورة الأولى منه في هذه الحقبة، ستعقد في بريطانيا، بعكس فرنسا التي كانت من أشد الدول تضررا بالأزمة.

د – الأسباب الثقافية:

شهدت الحيات الثقافية نفسها نكسة عميقة، خلفتها ويلات الحرب وآثارها في النفوس. فرغم النشاط الفكري العارم، الذي ظهر من بداية القرن، ازدادت البلبلة في النفوس وعم الغموض الفكر بسبب النظريات العلمية والفلسفية الجديدة، شكك الكثيرون في العقلانية الجديدة ، غذاها الصراع المتواصل في أوروبا، والذي ينبئ بإمكان عودة القتال ثانية.

جاءت الفيزياء بنظرية النسبية، الأمر الذي أدخل اضطرابا وتشويشا على مسار الفيزياء، مما أوجد نظرية الحتمية إلى جانب نظرية التفسير الاحتمالي[2]. تلك النظريات العلمية، أثرت في الفكر الفلسفي، إذ ضعفت مقولة أن التجربة

---

(1) التفصيل عند روبير شنيرب – م ٦ – ص .

(2) المرجع نفسه – م٧ – ص ١١٢ .

والاختبار هما عنصر الإثبات الموصلة لليقين. وجاءت وجهة النظر التي تـــرى بأن العلم لا يعرف شيئا في مقدوره أن يتوصل إلى معرفة شيء، عن كنه الأشياء وجوهرها، وأما الذي يستطيعه فهو بيان الروابط والنسب بين الأشـياء لا غـير. ومن هنا جاءت الفلسفة الذرائعية[1]، وفلسفة العمل والسلوك، وأن مجرد المشـاهدة تكفي للتعرف على الحقيقة. كما ظهر خلال الحرب تيار فلسفي لاعقلاني، ويـرى أن لا هدف أسمى ولا عمل مطلق، وهذا أفضى لظهور الوجودية[2]، التي أطلــت على العالم العلمي وتغلغلت فيه، ولقيت آذانا صاغية واعية، ونهضت على المبـدأ القائل بأن العالم البشري يخلو تماما من معيار للقيم المطلقة، ولا معيار له ســوى المعيار الذي يعطيه هو نفسه[3].

تلك البلبلة الفكرية كان لها أثرها في العلوم الإنسانية، واضطر كل من علــم النفس وعلم الاجتماع لأن يعيدا النظر في مناهجهما التي كانا يعتمدانها. فظـــهور طريقة التحليل النفسي شككت في الطرق المتبعة في علم النفس. فالطريقة الجديدة اعتمدت الشعور واللاشعور، والكبت والإشباع، وتحليل الغرائز، ولاسيما ما يتعلق بالحياة الجنسية في المريض. كما راح علم الاجتماع في دوامة النظريات، واعتمد على الأبحاث النفسية، ليدرس النواميس التي يخضع لها التطور البشري، وظهرت بالتالي نظريات عديدة، حاولت الربط بين تسلسل الأمور وأثر الشمس والأحـــوال الجوية، وتبحث في الأعراق البشرية العوامل الأصلية فـــي تكويـــن المجتمعـــات الإنسانية. وهذه جميعها أدت إلى وجود نظريات متباينة.

هذه الثورة في العلوم أثرت في الأدب والفن، فأضحى كل فرد يعي أن عليـه أن يستنبط طريقته التعبيرية الخاصة به، وكذلك لغته الخاصة، لينقل الصورة التي تبدو له عن العالم. وبالتالي، تميزت المواهب بالعمومية والأممية، التي تبحث عن

---

[1] الذرائعية، وتسمى أيضا أداتية، وهي ضرب من البراجماتية، قال بها الفيلسوف الأمريكي ديـــوي، ومفاده أن المعرفة أداة للعمل ووسيلة للنجاة. يمكن التعرف على المزيد في المعجم الفلسفي – ص ٥.

[2] الوجودية مذهب فلسفي يقوم على إبراز الوجود وخصائصه، وجعله سابقا على الماهية. فهو ينظـر إلى الإنسان على أنه وجود لا ماهية، ويؤمن بالحرية المطلقة، التي تمكن الفرد من أن يمنـــع نفســه بنفسه، ويملأ وجوده على النحو الذي يلائمه. عن المعجم الفلسفي – ص ٢١١ .

[3] للمزيد من التفصيل يمكن الرجوع لـ"روبـــير شـــنيرب": تـــاريخ الحضـــارات العـــام – م٧ – ص ١١٢ – ١١٤.

إنسانية جديدة، تحاول التعبير عن مشاعره الجديدة في علاقاته الحديثة بالكون. فقد أثرت الحرب كثيرا على الأدب والفن، إذ كانت حدثا جهنميا عندهم، وشرودا للعقل السليم تحت حجة المحافظة على القيم الروحية والوطنية. هذا الأمر أدى إلى التشكيك في كل الموروثات والقيم والتقاليد والأعراف، وانتشر حب الاندفاع نحو الملذات دون تمييز، وتعددت الدعوات نحو التحرر والانعتاق، وعمق ذلك نظرية التحليل النفسي، ورئي أن لا وزن للحياة إلا الجمال الصوري، هروبا من الواقع، لأن الحضارة الغربية آيلة للسقوط لا محالة. كما انطلق البحث عن عوالم مجهولة، وكثرت الكتابات الأدبية المعادية للكنيسة. وجاء المسرح يعبر عن مآسي البشرية، وتوج الفن بظهور السريالية[1]، وتعمق تيارها وسط الفنانين.

وظهر في البلدان المغلوبة أدب وفن التمرد على الدولة، وانتشرت ظاهرة الفوضى والشعور بالتعاسة البشرية، كما انتشرت فيها المذاهب اللاواقعية، كالتي ظهرت في البلدان المنتصرة[2].

إذن، شهد الفكر والعلم والثقافة اضطرابات وأزمات وصدمات، بعد الحرب مباشرة، بل وأثناءها أيضا، لما خلفته من دمار وتقتيل وخسائر. فقد قامت الحرب على حين غرة، رغم مسعى جل المثقفين لتفاديها. وكانت نتائجها أكثر مما كان متوقعا، لذا، أصيب الفكر بتلك المفاجآت، ولزمه زمان حتى يسترد ماضيه. ولعل هذا الذهول الثقافي أصاب المستشرقين أيضا، فتأخرت عودة مؤتمراتهم للانعقاد، شأنها في ذلك شأن بقية العلوم، ولاسيما الإنسانية.

تلك هي أهم الأسباب التي أعاقت سرعة عودة المؤتمرات للانعقاد، إذ إن المؤثرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وكذلك الثقافية، تأثرت كثيرا بويلات الحرب ونتائجها. أما ما كان في صالح المؤتمرات فهو انطلاقها من جديد في بريطانيا، إذ إنها كانت مؤهلة أكثر من غيرها لاستقبال المؤتمرات، إذ إن أغلب المشكلات والمؤثرات المذكورة، كانت أخف في بريطانيا كثيرا، مقارنة مع غيرها

---

(١) السريالية، اتجاه معاصر في الفن والأدب، يذهب إلى ما فوق الواقع، ويركز بصفة خاصة على إبراز الأحوال اللاشعورية. المعجم الفلسفي – ص ٩٧ .

(٢) التفصيل لدى "روبير شنيرب": تاريخ الحضارات العام – م٧–ص– ١١٤–١٢٣.

من الدول. وقد ساعد ذلك مستشرقي بريطانيا على أنجاح مهمة عودة المؤتمرات للانعقاد.

٢ — مساعي إعادة مسار انعقاد المؤتمرات:

في نهاية المؤتمر السادس عشر الذي انعقد في أثينا سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، تقرر أن ينعقد المؤتمر السابع عشر في أكسفورد، التي استعدت لاستقبال الحدث ذاك سنة ١٩١٥م (١٣٣٣هـ)، تحت رئاسة المستشرق "ماكدونالد"، إلا أن الاستعدادات تلك أعاقتها الحرب العالمية الأولى. وبعد الحرب، حاولت "أكسفورد" جهدها لاستئناف انعقاد المؤتمرات، ولم يؤت جهدها أكله، إلا في العام ١٩٢٦م (١٣٤٥هـ)، بعد أن حصلت على تأييد الدول الغربية الأخرى، وجاءتها ضمانات من الهيئات المختصة، على أنجاح الدورة، تولت كلية اللغات الشرقية بجامعة أكسفورد مهمة إتمام الإجراءات على عاتقها، فكونت لجنة عامة تحت رئاسة "مرجليوث"، ومساعدة كل من "توماس Thomas" و"سدون Seddon"، أما المحاسبة المالية فعهد بها لـ"درايفر"، وتواصل عمل هذه اللجنة الإعدادي على مدى سنتين، وبلغ عدد الذين سجلوا أنفسهم خمسين وسبعمائة، من ضمنهم مائتا مندوب حكومي وجامعي ومؤسساتي[١].

أما المؤتمر فقد عقد تحت رئاسة "اللورد تشالمرز Lord Chalmers". وفيما ضمت لجنة المؤتمر العامة العديد من المستشرقين المشهورين مثل "مرجليوث" و"سمبسون Simpson"، و"توماس"، و"كوك Cooke"، وغيرهم[٢]، فقد أبدى الرغبة في المشاركة العديد من البلدان والمستعمرات، وقد تقرر انعقاده في عام ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)[٣].

---

(1) Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 – p. 7.

(2) Ibid. p. 8.

(3) Ibid. p. 7.

هذا وقد شاركت ألمانيا في المؤتمر، وأرسلت أكبر عدد من المندوبين في تاريخها، فقد بلغ إجمالهم اثنين وعشرين مستشرقا[1]. وفي هذا دليل على تضافر الجهود الغربية، من أجل إنقاذ مؤتمرات المستشرقين العالمية، ولم يكن الأمر قاصرا على البلد المستضيف، بل شمل كل البلدان الغربية. وهكذا انطلقت المؤتمرات من جديد.

٣ – مساعي تطوير أنظمة المؤتمرات في هذه الحقبة:

مر بنا أن مؤتمر أثينا كون لجنة مهمتها مراجعة بنود نظام المؤتمر العام، وكذلك مشكلة انعقاد المؤتمر اللاحق، الذي اتفق عليه بعد ذلك، إلا أن الموضوع الأول لم يتم البت فيه، لذا، فإن المؤتمر السابع عشر كون لجنة من كل من "توماس" و"مرجليوث" و"لاندون Langdon"، و"زميرن Zimmern"، و"فوشي Foucher"، و"هورخرونجي"، و"بريستد Breasted"، وعين "سدون" سكرتيرا لها، ووضعت تحت رئاسة "اللورد شالمر"، وسميت "اللجنة الاستشارية". وحددت وظيفتها في دراسة موضوع بنود نظام المؤتمرات، إضافة إلى استقبال استفسارات ومساءلات المؤتمرين طوال أيام المؤتمر واختيار مكان انعقاد المؤتمر القادم[2]. إلا أن الطباعة المختصرة لأعمال المؤتمر لم تبين ما تم في الموضوع الأول، إذ لم يذكر سوى اختيار البلد المعين للمؤتمر الثامن عشر، وهي هولندا[3]، وسكت المصدر عن النظر في النظام العام، كما لم يفتح الموضوع في المؤتمرين اللاحقين، ولزم انتظار المؤتمر العشرين حتى نرى ظهور الموضوع مرة أخرى. ويبدو أن الاهتمام الأول للجنة انصب على عملية استمرار المؤتمرات وإعادة فاعليتها.

في المؤتمر العشرين سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، ورد في التوصيات والقرارات ما يلي: "يعهد المؤتمر للجنة الاستشارية أخذ كل الترتيبات اللازمة،

---

(1) Ibid. p. 13, 15, 17, 20 .

(2) Ibid. p. 16.

(3) Ibid. p. 104.

لتضع بين يدي المؤتمر الحادي والعشرين مشروعا لمراجعة نظام مؤتمرات المستشرقين العالمية"[١]. لكن هذه المحاولة كسابقتها، لم يكتب لها مواصلة عملها، بسبب قيام الحرب العالمية الثانية، وتوقف نشاط المؤتمرات مرة أخرى، كما حدث في الحرب الأولى. ومثلما حدث في أكسفورد، طرح الموضوع من جديد لأخذ رأي المستشرقين في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، لدى أول مؤتمر ينعقد بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أنه فشلت هو الآخر في إحداث تحويرات على النظام، ووجهت الجهود مرة ثانية من أجل إعادة مسيرة المؤتمرات.

(1) Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 – p. 37.

تتم دراسة هذا العنصر تماما كما حصل في الفصل الأول، بعرض جدولين حول اللجان العلمية التي ظهرت في مؤتمرات المستشرقين العالمية التي انعقدت في هذه الحقبة[1]، وكذلك الموضوعات المستخلصة من مسميات اللجان واللجان الفرعية[2]، وبالتالي استنتاج الملاحظات حول الجداول، ثم تحليلها ومناقشتها.

١- الملاحظات المستخلصة:

من الملاحظات التي يمكن أخذها من الجداول المذكورة، نرى أن الموضوعات في هذه الحقبة كانت محصورة فلم تتجاوز ستة وعشرين موضوعا، فيما لم تتجاوز لجان مؤتمرات هذه الحقبة العشرين. وهو أمر بدهي نظرا لقلة عدد مؤتمرات هذه الحقبة.

انبعثت في هذه الحقبة الدراسات اليهودية بقوة: فقد كانت العبرية موضوعا في المؤتمر السابع عشر، وظهر العهد القديم في المؤتمرين السابع عشر والعشرين، فيما كان اليهود موضوعا للمؤتمرات الثلاثة الأخيرة من هذه الحقبة. وهذه أول مرة يظهر اليهود موضوعا للمؤتمرات، كما أن "العهد القديم" تحت هذا المسمى لم ينفرد بهذا المسمى إلا في هذه الحقبة، وذلك في المؤتمر السابع عشر، وأدمج مع الدراسات اليهودية، في لجنة تحمل اسم "العهد القديم واليهودية".

أما الملاحظة الثانية، فتتعلق بالدراسات الإسلامية. فإن الإسلام لم يكن شغل في الفترة السابقة سوى ستة موضوعات، لكنه في هذه الفترة ظهر في كل المؤتمرات، وخصصت لجنة تحمل اسم "الإسلام"، في كل دورة، وبعد أن غاب في الحقبة الماضية، عاد القرآن ليشغل هاهنا المؤتمرين السابع عشر والعشرين،

---

[1] جدول اللجان هذا موجود في الملحق رقم ٣٤ ص ٨٢٦ من الرسالة.

[2] جدول الموضوعات هذا موجود في الملحق رقم ٣٥ ص ٨٢٧ من الرسالة.

لكن لم تخصص له لجنة مستقلة. كما أن بعض المناطق الإسلامية تواصل وجودها في هذه الحقبة، مثل تركيا وإندونيسيا وإيران وآسيا الوسطى وغيرها.

من الموضوعات الجديدة التي انبعثت في هذه الحقبة كذلك، الدراسات المتعلقة بنصارى الشرق، أو الشرق النصراني، وكانت في المؤتمرين التاسع عشر والعشرين، ووردت لجنة خاصة بهم في المؤتمر التاسع عشر بعنوان "النصارى المشرقيون".

طرحت موضوعات تتعلق بالاتحاد السوفيتي وجيرانه، كشمال آسيا في المؤتمر السابع عشر ووسطها الذي شغل كافة مؤتمرات هذه الحقبة، وأرمينيا، إحدى الجمهوريات المتمسكة بالنصرانية، في المؤتمرين السابع عشر والتاسع عشر.

وظهرت موضوعات لأول مرة، منها "سيلان" و"شمال آسيا"، فيما جاءت أرمينيا لتأخذ مكانها من جديد ضمن مؤتمرات المستشرقين العالمية، فبعد المؤتمر الأول لم ترد مرة أخرى إلا في المؤتمرين السابع عشر فالتاسع عشر.

أما بقية الموضوعات، فمنها ما هو امتداد للحقبة السابقة، مثل إفريقيا والساميات والآشوريات واللغويات والهند وغيرها، ومنها ما كان يظهر أحيانا ويغيب أخرى، مثل الشرق وإيران وتركيا وغيرها.

إذن، فاللافت للانتباه في هذه الحقبة هو ظهور الدراسات المتعلقة باليهودية والعهد القديم، وكذلك الدراسات المتعلقة بالنصارى الشرقيين. تلك هي أهم الملحوظات التي تؤخذ من بحوث الحقبة الثانية من عمر المؤتمرات.

٢ – تحليل ومناقشة:

أول ملاحظة تحتاج للتحليل، هي انبعاث الموضوعات المتعلقة بالدراسات اليهودية. ولكي يتم فهم ذلك، يجدر التعرض باختصار للقضية الصهيونية، التي تمكنت من فرض نفسها والوصول إلى إقامة كيان صهيوني، مستخدمة شتى أنواع الضغوط على العالم الغربي كافة.

تربى الفكر الصهيوني ونما على مدى حقب زمنية عديدة، غذتها النكبات التي لاقاها اليهود على مدى تاريخهم[١]. إلا أن المتفق عليه أن هذا الفكر تقوى خلال القرون الثلاثة الماضية، واتخذ طابعا سياسيا، عظم نفوذه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأثمر في النصف الأول من القرن العشرين، وفرض نفسه دولة في فلسطين[٢].

لاقى اليهود شتى أنواع الاضطهاد والقهر في جل دول أوروبا، وذلك لما اتسمت به شخصيتهم من استغلال للشعوب وللظروف المتاحة، ولأخلاقياتهم التي كانت تنفر منهم كل من عرفهم، ولاسيما في باب المعاملات[٣]. من أجل تلك الأحداث وتطوراتها، سعى الصهاينة لتجنيد كل طاقاتهم من أجل قيام كيان خلص بهم. وانطلق رائدو الصهيونية يعملون على واجهتين: التبشير بقرب العودة للأرض الموعودة، حسب معتقدهم، وجمع التأييد العالمي بالبيان والضغوطات، وتجميع صوت الصهاينة حول مفاهيم موحدة من أجل تحقيق هذا الهدف. شجع الصهاينة قيام هجرات يهودية لفلسطين، واستخدموا شتى أنواع الضغوط لإجبار الحكومة العثمانية على قبول تلك الأعداد الكبيرة واستقرارهم في فلسطين، كلما أظهرت اعتراضا على ذلك[٤]. وأشهر دعاة الصهيونية "تيودور هرتزل"[٥]، الذي

---

(١) يمكن التعرف على المزيد من التفصيلات عند صبري جريس: تاريخ الصهيونية – الجزء الأول – ١٨٦٢م–١٩١٧م – بيروت – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث – ١٩٧٧– ص ٩–١٠.
وسيد فرح راشد: دراسات في الصهيونية وجذورها – الرياض – دار المريخ للنشر – ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م – ص ٥٧ – ٥٨ .

(٢)يمكن التعرف على المزيد من التفصيلات عند صبري جريس – ص ١٤ وما بعدها، وكذلك سيد فرج ص ٦٢ وما بعدها.

(٣) هذا الموضوع طرقه صبري جريس ص ٣٠، وما بعدها.

(٤) فصل في الموضوع صبري جريس – ص ١٠٦ – ١١٤ ، وكذلك وليم فهمي: الهجرة اليهودية إلى فلسطين – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٤م – ص ٣٥ وما بعدها.

(٥) تيودور هرتزل (١٨٦٠– ١٩٠٤م) (١٢٧٦–١٣٢٢هـ)، يعد هو المؤسس الحقيقي للصهيونية العالمية. قدر على استغلال الظروف الدولية العامة، وركز على ما سمي بالمذابح ضد اليهود، والاضطهاد الذي يعيشونه. تمخضت أفكاره عن كتابه الشهير "الدولة اليهودية"، وهو عبارة عن مخطط عمل لسياسة صهيونية يهودية. ذكر المعلومات عنه صبري جريس ص ١٤٣ وما بعدها، وكذلك سيد فرح راشد ص ٨٧ – ٩٥ .

يعد مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية، كانت له جهود جبارة في المناورة السياسية، فقدر على استخدام كل ما أتيح له من فرص، واستغلال الظروف العالمية، ليقوي من الضغوط والنفوذ الصهيوني، بعقد المؤتمرات العديدة، ومقابلات الشخصيات العالمية ذات النفوذ، ثم استلم المهمة بعده "حاييم وايزمان"[1]، الذي تمكن من الحصول على وعد بلفور سنة ١٩١٧م (١٣٣٥هـ)[2]، والذي كسب بموجبه موافقة الغرب على إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين.

هذه الحقبة كانت مليئة بالأحداث الساخنة على الساحة الفلسطينية، إذ قامت فيها صدامات عنيفة بين العرب من طرف، والصهاينة والبريطانيين من طرف آخر. فأول مظاهرة حدثت في القدس كانت في غرة نوفمبر سنة ١٩١٨م (١٣٣٦هـ). ثم تلاحقت المصادمات، وكان أهمها ثورة النبي موسى سنة ١٩٢٠م (١٣٣٨هـ)، وثورة مايو سنة ١٩٢١م (١٣٣٩هـ)، وثورة البراق سنة ١٩٢٩م (١٣٤٨هـ)، وثورة عز الدين القسام سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)[3]. وفي جميع الأحوال هذه، كان الصهاينة يستعينون بالاستعمار البريطاني، كي ينقذهم من تلك الثورات، وفيما كان الاستعمار يسعى لكبح العرب ومنع أي نوع من أنواع السلاح والعلم والمعرفة لهم، كان يشرف على تقوية اليهود وتسليحهم وتعليمهم وتثقيفهم.

إذن، شهدت الحقبة انطلاقة يهودية صهيونية، عظم شأنها واشتد نفوذها، وكانت تشغل الساحة السياسية العالمية، وبالتالي الساحة الفكرية، ومن هنا وجه لها

---

(١) حاييم وايزمان (١٨٦٤-١٩٥٢م) (١٢٨٠-١٣٧١هـ)، استغل هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى واتفاق الحلفاء على تقسيم فلسطين، وسعى يستخدم كل الضغوط التي يقدر عليها حتى تمكن من الحصول على وعد بلفور. توجد المعلومات عنه عند سيد فرح راشد ص ١١٤ فما بعدها، وصبري جريس في مواضع عدة، منها ص ٢٨١ فما بعدها.

(٢) تحدث عن وعد بلفور على سبيل المثال سيد فرح راشد ص ١١٣ وما يليها، وصبري جريس ص ٢٨٨ وما بعدها.

(٣) ذكر تفصيلات تلك الثورات والمصادمات إبراهيم فؤاد عباس: البعد الإسلامي في الحركة الوطنية الفلسطينية: من ثورة البراق...حتى الانتفاضة" – جدة – راسم للدعاية والإعلام – الطبعة الأولى – ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م – ص ٢٥ – ٥١.

المستشرقون اهتماما بالغا، ولاسيما أن من بينهم مستشرقين يهودا، فسلطوا الأضواء عليها بعمق في مؤتمراتهم وبحوثهم، وخصصوا للظاهرة اليهودية لجانا خاصة بها.

من الموضوعات الجديدة في هذه الفترة، نصارى الشرق أو الشرق النصراني، فهي موضوعات انطلقت في هذه الفترة. والملاحظ أن هذه الدراسات ظهرت بعد سقوط الخلافة، وانتصارات تركيا على اليونان، وانطلاق حركات التحرر الوطني في المشرق، واشتداد مقاومات الاستعمار. وفي خضم هذه الأحداث، طرحت موضوعات نصارى الشرق على الساحة العالمية، ولاسيما تعاون هؤلاء مع المستعمر، وما يمكن أن يكون عليه مصيرهم بعد الاستقلال تحت حكم الأغلبية المسلمة، ولذا، قامت حملات ثقافية عديدة، تبرز مزايا نصارى الشرق في العالم العربي بصفة خاصة، فأبرز الجانب الثقافي والإبداع الأدبي والفني لهؤلاء، وكذلك الجانب السياسي، إذ إن قادة الحركات القومية أقطاب من نصارى الشرق سواء في منطقة الشام أو العراق أو مصر[1]. كما طرح مصير هذه الفئة السياسي والاجتماعي والقضائي والثقافي، فكان لا بد من حمايتهم وتأمين وضعيتهم وتحقيق هويتهم النصرانية، وإبراز دورهم على جل الأصعدة المعرفية والثقافية والاجتماعية، بل السياسية أيضا، ومن ذلك وجوب عدم تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية عليهم، وضرورة إشراكهم في كل القرارات الوطنية. وهذا ما تم عمليا في لبنان مثلا، حيث أعطوا السيادة العليا على الشعب هناك، رغم أنهم أقلية مقارنة بالمسلمين. أما من الناحية الثقافية، فقد أبرز فكر نصارى الشرق سواء الأدبي منها، ولاسيما أدب المهجر، أو غيره من نتاج الفكر والكتابات والفنون. فقد ظهرت منذ بداية القرن العشرين بصفة عالية جدا، حتى إن العديد منهم عدوا من المبدعين العالميين، وكرموا، رغم أن ما قدموه قد لا يقارن بما أعده غيرهم من مبدعي الشرق وأظهروه.

---

(١) من روادهم ناصف اليازجي وبطرس البستاني، ومن مدعميها أنطون سعادة وميشيل عفلق وغيرهم من منطقة الشرق الأوسط. يمكن الاطلاع على تفصيلات الموضوع، على سبيل المثال، عند صالح بن عبد الله العبود – فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام – الرياض – دار طيبة – الطبعة الأولى – ١٩٨٢م – ص١٤٢ – ٢١١ .

هذا الاهتمام العام بالنصارى في المشرق، عم العالم الغربي، سواء بقيادة فرنسا أو بريطانيا أو الولايات المتحدة أو غيرها، وبلغ صداه الساحة الغربية العامة، بما فيها الاستشراق، وظهر منهم مستشرقون أيضا، ومن هنا طرح موضوعهم في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

أما الملاحظة الأخرى، فتتعلق بالدراسات الإسلامية. والمعلوم أن العالم الإسلامي ساعتها كان يمر بظروف صعبة جدا: فقد كانت البلدان الإسلامية محتلة جلها، وكان المستعمرون قد وعدوا المسلمين بعامة، والعرب بخاصة، بالاستقلال بعد مساعدتهم لهم في الحرب العالمية. ثم ما إن توقفت الحرب حتى نكث المستعمر بوعوده، سواء في ذلك الإنجليز أو الفرنسيون. كما أن الاضطرابات كانت تعم العالم الإسلامي، سواء ضد الحكومات المقامة أو المستعمر المحتل، أو الثورة ضد اضطهاد الأقليات مثل الهند والصين والاتحاد السوفيتي. أما النكسة الكبرى التي حاقت بالعالم الإسلامي، فكانت إلغاء الخلافة، وما انجر من نتائج ذلك على الأمة، كذلك قيام حروب ومعارك عدة على أطرافه، أهمها تركيا مع اليونان، والحبشة مع جيرانها المسلمين، واضطرابات الهند وغيرها. ومن هنا طرحت موضوعات العالم الإسلامي وما يتعلق به من مناطق ولغات وآثار وعادات وما سواها.

كان العالم الإسلامي يشهد إذن أحداثا وتحولات سياسية واجتماعية وثقافية عدة، سببتها الأحداث العالمية الكبرى، وظهر أن هذا العالم الذي كان يوما ما قوة عالمية، هو من الضعف بعد هزيمته في الحرب العالمية، بحيث فقد هيبته القديمة، وزاد الطين بلة تفككه إلى دويلات. ثم إن قيام حركات وتجمعات تدعو إلى الوحدة الإسلامية ويعتمدون في مسيرتهم على الأصول الشرعية، الكتاب والسنة، وظهرت انشقاقات فكرية وسياسية داخل الدويلات تلك، والتي لم تكن على وئام مع الحكومات الناشئة، لذا، فلا عجب أن يطرح موضوع القرآن الكريم على ساحة البحث، نظرا لتلك الدعوات الحديثة، التي نادت بالتمسك به، والعودة لتحقيق أحكامه. لذا، شغل القرآن مكانا في مؤتمري أكسفورد سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، وروما سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)، ويطرح الدين الإسلامي بقوة في هذه الحقبة.

وإذا نظرنا إلى أندونيسيا، التي طرحت في المؤتمرين الأخيرين من هذه الفترة، فإن ذلك يرجع إلى الأحداث السياسية المتلاحقة، التي تمت في هذا البلد،

ولاسيما مقاومة الإندونيسيين للمستعمر الهولندي، ثم دخول اليابان البلد، وإجلائهم للهولنديين[1]، واستعمارهم لها. ورغم أن المستعمر الجديد لم يدم طويلا، إلا أنـــه أتاح للحركة الوطنية أن تتقوى، إذ حرر الزعماء المسجونين، وأعطى الســـلطات لأيدي أبناء البلد، ولما وجدت اليابان نفسها في مأزق عالمي، ســـلحت عنـــاصر وفيرة من الإندونيسيين ودربتهم، وجعلتهم تحت قيادة زعماء إندونيسيين، تمكنـــوا لاحقا من الوقوف في وجه الإنجليز والهولنديين وطردهم مـــن بلدهـــم[2]. هـــذه الأحداث رفعت اسم إندونيسيا في الغرب، وبالتالي ظهرت في مؤتمـــرات هـــذه الحقبة، ولاسيما أن المؤتمر الثـــامن عشـــر انعقـــد فـــي هولنـــدا ســـنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)، وكانت إندونيسيا ساعتها لا تزال تخضع لها.

أما إيران، فقد تلاحقت فيها الأحداث أيضا، من ذلك أن الشاه رضا خـــان، سيطر على السلطة واستولى عليها سنة ١٩٢١م (١٣٣٩هـ)، ثائرا على الحماية الإنجليزية، وسعى إلى أنتهاج سياسة ترمي إلى تحديث البلاد على غرار تركيـــا، وما عرفت المنطقة باسم إيران إلا سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)[3]. ورغم أن ثـــورة تحديث البلد لم تمر دون مشكلات، إلا أنها لقيت حظوتها لدى الغرب، مما رفـــع اسم إيران إلى ساحة الأحداث العالمية، وبالتالي كان لها صـــدى علـــى الوضـــع العالمي، بحيث تأثر بذلك المستشرقون أنفسهم، وبالتالي كـــانت موضوعـــا فـــي المؤتمرين السابع عشر والتاسع عشر.

وكانت الشيوعية أكبر تحد يشهده الغرب خلفته الحرب. وبالتالي خصـــص العالم الغربي كل ما في طاقته لمواجهة هـــذا الخطـــر الجديـــد. لـــذا، نجـــد أن المؤتمرات سايرت هذا التوجه، فطرحت للبحث عدة موضوعات تتعلق بالاتحـــاد السوفيتي، فجاءت موضوعات آسيا الوسطى التي عمت كل مؤتمرات هذه الحقبة، ولاسيما أن الاتحاد السوفيتي لم يكن في بداية هذه الفترة الزمنية، قد هيمن عليـــها كلها، وكان في حروب قائمة معها. كما طرح موضوع أرمينيـــا، وهـــي إحـــدى الجمهوريات المتمسكة بالنصرانية، وذلك في المؤتمرين السابع عشـــر والتاسـع

---

(١) "روبير شنيرب": تاريخ الحضارات العام – م٧ – العهد المعاصر – ص ٦٥١ .

(٢) المرجع نفسه – م٧ – ص ٦٥١ – ٦٥٢ .

(٣) المرجع نفسه – ص ٦٧٠ .

عشر. أما موضوع شمال آسيا، فجاء في المؤتمر السابع عشر فقط. وهي موضوعات تتناول مناطق خاضعة للاتحاد السوفيتي الشيوعي، مما يدل على أثر التغيرات الدولية، في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

وكان الشرق الأقصى منطقة مضطربة جدا، ولاسيما بين اليابان والصين، التي كانت الحروب والمعارك لا تكاد تهدأ بينهما، حتى إن اليابان وصلت إلى حدود بيكين. ويبدو أن هذا سبب غضبا على اليابان، فقد دعت بريطانيا سنة ١٩٢٢م (١٣٤٠هـ) إلى إيقاف العمل بمعاهدة التحالف مع اليابان[١]، ثم إن اليابان نفسها، انسحبت من جمعية عصبة الأمم سنة ١٩٣٢م (١٣٥٠هـ)[٢]، وما لبث الأمر إلا برهة، حتى توسعت الحروب هناك، وسيطرت اليابان، ليس على الشرق الأدنى فقط، بل جنوب شرقي آسيا أيضا، وبنت إمبراطورية يابانية، وما تابع ذاك من أحداث لم تنجل إلا بنهاية الحرب العالمية الثانية. ومن هنا فرضت المنطقة نفسها على الساحة العالمية، بفعل الأحداث الساخنة فيها، ويبدو أن ذلك أثر في جل الهيئات، ومن ذلك المنابر العلمية، ومن ضمنها مؤتمرات المستشرقين العالمية.

وكانت الهند تعيش فترة حرجة من تاريخها، إذ قامت فيها أزمة القوميات المشوبة بالطابع الديني إضافة إلى قيام حملات ضد الاستعمار البريطاني، ولاسيما حركة "غاندي"، الفريدة من نوعها على مدى التاريخ، وتلاحق الأحداث فيها، الأمر الذي أدى إلى انقسام الهند إلى دويلات متنافرة. ومن هنا كان الاهتمام بها قائما في الساحة العالمية. ولا عجب في طرحها بالتالي في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

أما سيلان، فقد كانت مستعمرة بريطانية، ولعل هذا ما جعلها تدرج في المؤتمر الوحيد، الذي عقد في إنجلترا، في هذه الحقبة، وهو المؤتمر السابع عشر سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ).

إذن، وعلى غرار مؤتمرات الحقبة السابقة، كان للأحداث الدولية العامة أثرها في المؤتمرات، وذلك لاختيار الموضوعات المطروقة، إضافة إلى

---

(١) روبير شنيرب: تاريخ الحضارات العام – ج٧ – العهد المعاصر – ص ٨٧١ .

(٢) المرجع السابق – ج٧ – ص ٨٧٤ .

اختيارات الدول المنظمة للمؤتمر، التي لها توجهاتها وحاجياتها تفرضـــها علـــى اختيارات المؤتمرات، مثل هولندا التي طرحت موضوع إندونيسيا، وبريطانيا التي جاءت بموضوع سيلان. وهذا التوجه نراه واضحا أيضا في الحقبة اللاحقة، وهذا ما سيتم معالجته في الفصل القادم.

الفصل الثالث: مؤتمرات المستشرقين العالمية من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى مؤتمر ١٩٧٣م

المبحث الأول: المسار الإداري للمؤتمرات

المبحث الثاني: المسار العلمي للمؤتمرات

الفصل الثالث: مؤتمرات المستشرقين العالمية من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى مؤتمر ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)

مدخل:

إذا كانت الحربان العالميتان هما اللتين سطرتا حدود الحقبتين السابقتين، فإن نهاية الحقبة الثالثة هذه عينتها نقلة كاملة في أنظمة المؤتمرات إذ تم تغيير اسم المؤتمرات، وكذلك نظامه الإداري والعلمي. وجاء هذا التطوير بعد تململ كبير من النظام القديم، وقيام توجه استشراقي جديد، حسب ما يردد المستشرقون، وتوقف الحركات الاستعمارية، ونجاح الحركات الاستقلالية، والتنافس في استقطاب دول العالم، وبروز الحرب الباردة، واتساع نطاقها، مما أدى إلى أنقسام العالم الاستشراقي على نفسه إلى قسمين: استشراق إمبريالي واستشراق اشتراكي، وقد برز هذا الانقسام في المؤتمر الخامس والعشرين بموسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ). كما أن تزايد عدد الشرقيين الذين يساهمون في المؤتمرات، ولاسيما الذين لا يسايرون المستشرقين في توجهاتهم الفكرية والتحليلية والاستنتاجية، وظهور دعوات ترفع شعار نهاية دور المؤتمرات، كل هذه الأسباب وغيرها، جعلت المستشرقين يقررون في المؤتمر التاسع والعشرين بباريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، بمناسبة مئوية المؤتمرات، تحوير اسم المؤتمرات ليصبح "المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، وإجراء تغييرات في نظامه الإداري والعلمي.

هذه الإشارات والأسباب جعلت من المناسب دراسة هذه الفترة كحقبة قائمة بذاتها، وستتم وفق العناصر المذكورة في الأطوار السابقة. لكن قبل تحليل الموضوع، يجدر القيام بإطلالة موجزة على الأحوال العالمية في هذه الحقبة.

لقد تسببت الحرب العالمية الثانية في خراب ودمار أشد من الأولى، لشموليتها واتساع ميادينها وتعبئتها جل ما في مقدورها من طاقات. كما عرفت تدمير الآلة الصناعية وتحطيم القطاع المدني. ونتج عنها سيطرة قطبين على

العالم، هما الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، وتزحزحت الدول الأوروبية عن قيادة العالم. وتكاثرت الدول الفقيرة في أوروبا بعد الحرب، وسقط ما تبقى من إمبراطوريات، وانبعثت القوميات من جديد بقوة، ولاسيما في العالم الشرقي، وعم الخوف من حركة انتفاضة عارمة في العالم الإسلامي، ضد الإمبراطوريات الاستعمارية، ولاسيما فرنسا وبريطانيا.

ونظرا لانقسام العالم إلى معسكرين متنافسين: معسكر غربي وآخر شرقي، سادت الحرب الباردة بين المعسكرين. أما العالم الغربي، أو الحر، فتقوده الولايات المتحدة الأمريكية، التي خرجت من الحرب أعظم دولة في العالم، وبات بمقدورها فرض نفوذها وهيمنتها على كافة الدول الأخرى، مستغلة تفوقها الاقتصادي. وقد اعتمدت عليها أوروبا، التي خرجت في حالة يرثى لها، ولاسيما في المجال الاقتصادي. وتحولت هذه الدول التي كانت من قبل دائنات العالم، إلى مستدينة لمبالغ ضخمة، إذ إن مصالحها تجبرها على بناء كل شيء، اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا. فقد شهدت أوروبا موجات نزوح كبيرة، وهجرات داخلية، وارتفعت الفروق بين الطبقات، وعمت البطالة حتى بين حاملي الشهادات. وكان على الدول اتباع سياسة إعادة البناء الاقتصادي من جهة، وتشجيع أي مشروع حر. وإعادة البناء هذه، شكلت تحديا كبيرا، لم ييسرها سوى القروض والهبات التي قدمتها الولايات المتحدة بشروط صارمة، تخدم مصالحها، وتحتوي بها الدول المستفيدة، وشمل ذلك البناء ألمانيا الغربية واليابان كذلك، وذلك خوفا من وقوعهما تحت طائلة التيارات الشيوعية ورحمتها.

أما الهاجس السياسي الذي بقي يقض مضجع العالم الحر فهو المارد الشيوعي الذي كان يتهددها حتى من داخلها، إذ لا تزال فلول حزبية تسعى جاهدة للانقضاض على الوضع القائم، لذا، استخدمت كل ما أمكن من وسائل لكبح جماحه، داخليا وخارجيا، وفيما أفلحت في الداخل، فشلت في الخارج عموما، واضطرت للاستعانة بأعدائها السابقين من نازيين وفاشيين ويابانيين وغيرهم، للوقوف في وجه الشيوعية، وحماية الحدود الغربية من ولوجها أراضيها.

ومع ذلك، شهد العالم الحر أزمات، منها ظهور دكتاتورية الحزب الحاكم، صاحب الأغلبية في البرلمانات، لاستحالة إسقاطه، أو هشاشة الحكومة، إن كثرت الأحزاب وقامت بينها تحالفات. وبرزت ظاهرة الجماعة الضاغطة، صاحبة

المصالح، التي تؤثر على الرأي العام، وسيطر الاقتصاديون محدودو العدد على المواقع الحساسة. وأدى كل هذا إلى سقوط شعار استقلال السلطات. أما اللافت للانتباه، فهو عدم تعرض الغرب للمشكلات الكبرى التي واجهته بعد الحرب العالمية الأولى، ويبدو أن الاعتماد الكلي على الولايات المتحدة الأمريكية، ساهم بقسط كبير في ذلك.

أما العالم الشيوعي، الذي قاده الاتحاد السوفيتي، رغم الخسائر التي مني بها أثناء الحرب، فإنه لم يحتج إلا لأربع سنوات لإعادة بناء نفسه، بسبب طوق الحصار الذي أقيم حوله، واعتماده على قدراته الخاصة فقط. فقد اعتمد نظام التخطيط المركزي لتنمية الاقتصاد والإصلاح السياسي والاجتماعي، فنما الاقتصاد العام، ونما البحث العلمي، وتطورت الصناعة، ولاسيما الحربية.

وكانت دول أوروبا الشرقية قد شهدت أشد ويلات الحرب، وأعظم حالات الدمار، فقد استفحلت فيها المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، استغلتها الأحزاب الشيوعية، بتشجيع من الاتحاد السوفيتي، وتمكنت من الوصول إلى سدة الحكم، وهذه سارعت بإعادة تنظيم توزيع الأراضي والمشروعات الكبرى والتجارة، وأضحت الدولة تتحكم في معظم الطاقة الاقتصادية. وسعت للنهوض باقتصادها معتمدة على الاتحاد السوفيتي، وفق مشروع شبيه بذاك الذي وضعته الولايات المتحدة الأمريكية لمساعدة حلفائها، لكن مشروع الاتحاد السوفيتي كان أخف شروطا من سابقه. وبهذا تمكنت بعض الدول الشرقية من تجاوز مشاكلها العامة وصارت دولا صناعية كبرى، مثل بولندا مثلا.

كما تمكنت الصين من توظيف قدراتها، وفق نظامها الشيوعي الخاص، اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا، وشهدت بالتالي نموا هاما، وأضحت من الدول الكبرى في العالم.

أما الحرب الباردة بين القطبين، فانطلقت من الثاني عشر من آذار (مارس) سنة ١٩٤٧م (العشرين من شهر ربيع الآخر ١٣٦٦هـ)، لما أعلن الرئيس الأمريكي "ترومن"، عزمه على مساعدة الدول الضعيفة، لكبح الشيوعية والنفوذ السوفيتي. ومن هنا نما الصراع والتسابق نحو السيطرة على العالم: فالمشروعان الاقتصاديان لمساعدة الحلفاء، وظهور "الحلف الأطلسي" من جهة، و"حلف وارسو" من جهة أخرى، كما احتدم سباق التسلح بينهما، وانتشرت مصانع الأسلحة بينهما،

واخترعت أسلحة الدمار في كليهما، وتنافسا في غزو الفضاء، وهكذا. كما ظهرت من جهة أخرى منظمة دول عدم الانحياز، إلا أنها لم يكن لها التأثير المنشود.

ومن سمات الحقبة أيضا، تأسيس منظمة الأمم المتحدة. وهي وإن كانت فعالة أكثر من عصبة الأمم، إلا أن الخلافات التي قامت بين الدول الكبرى، واستخدام حق النقض الذي يلتجأ إليه، وظهورها في الغالب أداة في يد الولايات المتحدة الأمريكية، جعلت أعمالها غير ناجحة.

وتميزت الفترة هذه أيضا بثورة الشعوب المستعمرة، وحركات الاستقلال الوطني، التي انطلقت منذ الحرب العالمية الثانية، وتواصلت فيما بعد بقوة، وضاعت هيبة الاستعمار، واستقلت جل الدول. أما العالم الإسلامي، فكان الاستعمار فيها أشد من المناطق الأخرى، وما خرج منه الاستعمار حتى قسمته دويلات عدة، تركت فيما بينها عداوات ومشكلات عديدة.

إلا أن ذلك الاستقلال، للدول كافة، تحول من الاستعمار المباشر إلى الاستعمار الجديد، بحيث أعطتها حق الحكم الخاص والوطني، مع احتفاظ المستعمر بنفوذه وسيطرته وتحقيق مصالحه، سواء باختيار النخبة الحاكمة، أو تقديم القروض المشروطة أو ترك مشكلات الحدود وغيرها خلفه.

أما أكبر مشكلات الحقبة، فهي بقاء منطقة الشرق الأوسط ساخنة، بسبب الكيان الصهيوني الذي زرعه المستعمر البريطاني في المنطقة، وهيئات له الدول الغربية التأييد والرعاية، وتكفلت له الولايات المتحدة الأمريكية بالرقابة الأمنية والدعم الاقتصادي، والتأييد السياسي، ولاسيما بعد أن وقعت في المنطقة حروب دامية، آلت الكفة فيها للكيان الصهيوني المزعوم[1].

تلك هي أهم السمات العامة للعالم في هذه الحقبة من انعقاد مؤتمرات المستشرقين العالمية، وهي فترة مليئة بالأحداث والوقائع، كما كان لها أثرها في المؤتمرات كما سيأتي[2].

---

(١) للاطلاع على المزيد من التفصيل في ما سبق من هذه الخلاصة التاريخية، يمكن الاطلاع على ما أورده روبير شنيرب – م ٧ – ص .

(٢) سيرد ذلك لاحق ص ٤٦٦ من الرسالة فما بعدها.

المبحث الأول: المسار الإداري للمؤتمرات

تماما كالمرحلة السابقة، كانت مهمة المستشرقين الأولى، هي عودة المؤتمرات للانعقاد مرة أخرى. كما أن الحرب العالمية الثانية، والظروف الدولية الجديدة كان لها أثرها الهام كذلك في مسار المؤتمرات العام. وتلك التطورات الحاصلة، سيتم تحليلها في هذا الموضع وفق العناصر التالية:

- أسباب عودة المؤتمرات السريعة للانعقاد بعد الحرب.
- السعي نحو استئناف انعقاد المؤتمرات.
- التطويرات في أنظمة المؤتمرات.
- التطوير في مسار اللجان العلمية.
- مؤتمر باريس التاسع والعشرون وقرار تغيير مسمى المؤتمرات.

١- أسباب عودة المؤتمرات السريعة للانعقاد بعد الحرب:

أول ما يمكن ملاحظته، أن الفترة الفاصلة بين انعقاد المؤتمر الحادي والعشرين ونهاية الحرب العالمية الثانية، كانت ثلاث سنوات فقط، فيما طالت بعد الحرب العالمية الأولى إلى ثماني سنوات. ويفهم هذا الأمر من دراسة الأحداث العامة، المتزامنة وهذه الحقبة. ففيما كان طول المدة بعد الحرب العالمية الأولى يرجع إلى سوء الأحوال العامة ساعتها، وتفكك المجتمعات سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وحيرة الجانب الثقافي وتشتت الفكر العام، وظهور نظريات فلسفية متباينة، فإن فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية شهدت سرعة العودة إلى الحياة الطبيعية في مدة زمنية قصيرة، كما أن الأوضاع الاقتصادية والروابط الاجتماعية، سرعان ما تمت السيطرة عليها، بفعل مد الولايات المتحدة يد العون إلى حلفائها، لترميم ما دمرته الحرب، كما اعتمدت الكتلة الشيوعية على الاتحاد السوفيتي حليفها، وذلك لجبر انكساراتها، ولو بدرجة أضعف من الكتلة الغربية، لكن المهم أن العالم تمكن من تجاوز مخلفات الحرب في وقت ليس بالطويل.

هذه النهضة السريعة كان لها أثرها في مؤتمرات المستشرقين العالمية. فقد تمكنت الدول من تجاوز المشكلات الرئيسة، ولاسيما الداخلية، بدرجة كبيرة، فلم تكن بالحدة والقوة التي كانت ظاهرة وبارزة سابقا: فقد خفت الضغوط السياسية التي كانت بارزة بين الدول الغربية عامة، ولاسيما بعد انقسام العالم الغربي إلى كتلتين متنافرتين، الأمر الذي أدخل في النفوس ضرورة تظافر الجهود من أجل الوقوف في وجه القطب المنافس، وبالتالي تخفيف التوتر بين عناصر كل كتلة، ولا يكون ذلك إلا بجبر كسرها. لذا سارعت كل من الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، والاتحاد السوفيتي من جهة أخرى، إلى مساعدة حلفائها على الخروج من الانهيار العام الذي وقعت فيه. وعصب ذلك هو الاقتصاد، فقدمت كل دولة ما يمكنها تقديمه. وفي المقابل، كانت الدول التابعة في أمس الحاجة إلى تلك المساعدات فقبلتها بشروطها، وإلا فإن القاعدة الداخلية ستنهار، وستسقط في أيدي أدعياء الكتلة المضادة. ومن هنا انتعش النظام الاقتصادي بنسب كبيرة، وإن لم تحل كل المعضلات، وهذا أدى بدوره إلى المحافظة على العامل الاجتماعي العام، الذي كان أخف وطئا منه بعد الحرب العالمية الأولى، إذ إن محاولات الإنقاذ السابقة كانت بطيئة جدا، بسبب الأزمة الاقتصادية القاسية، التي غابت بدرجة هامة بعد الحرب العالمية الثانية، وما ظهر منها لم يكن تأثيره السلبي بالمستوى السابق، وسرعان ما تم تعديله.

هذه الأسباب الجديدة، والتيسيرات المقدمة، ساهمت في انتعاش النواحي العامة للمكونات الحضارية، بما فيها الجوانب الثقافية، التي بدأت بنفسها تشهد استقرارا وتوجها عقلانيا متزنا، بعد أن شهد تشتتا عاما بين الحربين، وبعدهما بفترة، وسعى لترسيخ قناعات إنسانية أخرى، تهدف عامة للتقارب بين الشعوب، لتفادي ويلات حرب أخرى، قد تكون أكثر دمارا.

ومن هذه الجوانب الثقافية، التوجه الاستشراقي، الذي لم يتأخر عن الركب، وسارع حثيثا يتباحث في إمكان استعادة مؤتمراته الاستشراقية. وهذا ما تم له عمليا بعد توقف الحرب بثلاث سنوات فقط، وما كانت الفترة الزمنية الفاصلة بين المؤتمرين العشرين سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، و١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، سوى عشر سنوات، فيما كانت في المرة السابقة ست عشرة سنة.

٢- السعي نحو استئناف انعقاد المؤتمرات:

أوكلت مهمة انعقاد المؤتمر للمؤسسة الآسيوية بباريس، وهذه سعت جاهدة منذ نهاية الحرب لاستئناف المؤتمرات مهامها، وهيأت ظروف الاتصالات مع كل من لجنة تنظيم مؤتمر بروكسيل السابق؛ واللجنة الاستشارية العالمية، والهيئات العلمية المعنية. ووفقا لأغلبية الآراء، تقرر انعقاد المؤتمر الحادي والعشرين في يوليو سنة ١٩٤٨م (رمضان ١٣٦٧هـ)، وتكون من أجل ذلك مجلس ومكتب تحضيريان سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ)، ووجها أولوية جهودهما لدراسة مخطط إعادة تنظيم المؤتمرات، الذي طرح مطلبه في المؤتمر العشرين ببروكسيل. لذلك أرسلت مذكرة إعلامية باسم المؤتمر الحادي والعشرين للهيئات والشخصيات المختصة وفيها: "من المهم التذكير بأن المؤتمر الأخير الذي انعقد في بروكسيل، تبنى المقترح الأول الذي جاء كما يلي: "يعهد المؤتمر للجنة الاستشارية أخذ كل الترتيبات اللازمة لتضع بين يدي المؤتمر الحادي والعشرين، مشروع مراجعة نظام مؤتمرات المستشرقين العالمية، ويهدف ذلك المقترح إلى تقليص وتحديد برنامج أعمال المؤتمرات، سواء في نطاق إطار المؤتمرات العام، أو في إطار كل لجنة. وهذا التنظيم سيزيل السلبيات الناتجة عن التوسع الكبير في الموضوعات المطروقة، وفي الإفراط في المساهمات. إلا أن إعداد مخطط إعادة التنظيم هذا، أعاقته الحرب واتساع نطاقها.

– ويواصل التقرير قائلا – "ومن أجل معالجة هذا التأخير، وتيسير مهمة اللجنة الاستشارية القادمة، فإننا نقترح تخصيص جزء من البرنامج لدراسة مشكلات ذات أهمية أكثر عمومية من عمل اللجان العلمي المعتاد. فإن بعض المشكلات يمكن أن تتناولها الميادين القريبة للعديد من اللجان، وأخرى ذات صلة بطرق العمل وبالتعاون المستقبلي المتوافق مع التغييرات المتداخلة في العلاقات العالمية وفي الظروف البحثية. وعلى المؤتمرين الذين لديهم مقترحات لتقديمها في إطار المقترحات هذه، أن يقدموها في أقرب وقت ممكن، وكذلك موضوعات مساهماتهم المقررة للجان. وبذلك نتمكن من تحديد جلسات جماعية، ترتبها لجنة المؤتمر الاستشارية، وتخصص لقراءات حول المشكلات المقترحة. وفي ختام

المؤتمر، ستعلن المقترحات التي تدرس مسبقا، وستكون لها أولوية توزيعها في قرارات فعلية"[١].

ويبدو أنه لم تتم الاستجابة لهذه الدعوة. وفي هذا التوجه يواصل التقرير تحليله للأمر فيقول: "إلا أنه لم تقدم مقترحات تجديدية سوى إجابتين أو ثلاث، لذا، بدا واضحا للجنة المؤتمر أن معظم أغلبية مؤتمري المستقبل، لا يرغبون في الوقت الحاضر في إجراء أي تعديل في مؤتمرات المستشرقين العالمية. لذا، فقد انصب اهتمام اللجنة على تنمية المشروعات الأخرى، التي حددتها هي نفسها، والتي تتمثل، حسب مقترحات العديد من أعضائها، في إدراج مناقشة المشكلات ذات الفائدة العامة لكافة التخصصات أو للعديد منها، في البرمجة اليومية للمؤتمر، بعد إرسال تقرير حول وضعية كل تساؤلاته قبل المؤتمر بفترة.

– ويواصل – "لقد تقرر في هذه الأثناء، على أية حال، أن جلسات اللجان الشاملة لغالبية الميادين، ستكون موجودة، كي تسمح للمؤتمرين عرض نتائج أبحاثهم بكل حرية، وكذلك المقترحات التي يودون بسطها. فلقد تبين فعلا أنه إذا أردنا أن نعطي للاجتماعات أكبر فائدة عامة ممكنة، فليس من المناسب أن نحرم المؤتمرين من فرصة عرض أبحاثهم المتخصصة، وحرمان المؤتمر نفسه بالتالي من التعرف على المكتشفات الجديدة، حيث تشمل توجهات أعمال الباحثين كل التخصصات وكل البلدان.

– ويستخلص قائلا – والحاصل، ودون اقتراح إعادة التنظيم، التي لم تتفاعل معها أية إرادة، فقد تقرر إعداد برنامج أعمال المؤتمر الحادي والعشرين بتخصيص جزء من الوقت لجلسات اللجان التقليدية، وآخر للجلسات العامة، ولتفاعلات عامة لكافة اللجان ولتجمعات العديد منها "[٢] .

مما ذكر، يتبين لنا أن الظروف كانت شبيهة بتلك التي وردت بعد الحرب العالمية الأولى، لما كانت الجهود نشطة من أجل انعقاد المؤتمر السابع عشر

---

(1) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 – pp. 1-2.

(2) Ibid. pp. 2 - 3.

بأكسفورد سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)[١]. ففي الحالتين انصب الاهتمام حول إعادة انعقاد المؤتمر مرة أخرى بعد توقفها، حتى بتجاهل ما اتخذ من قرارات في الملتقى السابق، وحتى بالتخلي عن بعض المبادئ التي تبناها المؤتمر.

وهذا أمر بدهي في أساس أي كيان ناشئ، ففي حالة توقف نشاطه لفترة، فهي تجعل من أهداف ذلك استعادة النشاط بعد ذلك، قبل تطبيق التجديد من العمل. فلا يتصور بعد حرب عالمية قضت على الأخضر واليابس في أوروبا، وفقد المستشرقون العديد من أقطابهم وزملائهم، الذين كانوا ماسكين بدفة مسار المؤتمرات، أن يتباحث من أول مؤتمر يعقد بعد توقف طويل، تطوير المؤتمرات كأولوية وأساس في مسار المؤتمر، ولاسيما أن جراح الشعوب لم تلتئم بعد، حتى إن ألمانيا لم ترسل مندوبين عنها للمؤتمر، سواء منهم ممثلو الحكومة أو المؤسسات العلمية، في حين كان عددهم هو الأعلى في مؤتمر أكسفورد سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، كما أن عدد المستشرقين في مؤتمر باريس هذا كان قليلا جدا بخلاف مؤتمر أكسفورد، إذ كان عددهم مرتفعا جدا، قياسا ببعض الدول الأخرى.

وبالتالي، فقد ناسب أن يوجه المؤتمر اهتمامه لعودة لحمة الانعقاد قبل إحداث تطويرات عليه.

٣ – التطويرات في أنظمة المؤتمرات:

مر بنا أن المؤتمر العشرين طرح من جديد قضية إحداث تطويرات على المؤتمرات، سواء في ذلك النظام العام، أو طرق مسارها الإداري أو العلمي[٢]. لذا، فإن المؤتمر الحادي والعشرين حاول استئناف دراسة الموضوع واتخاذ القرارات فيه. إلا أنه فشل في إحداث مثل هذا التطوير، إذ إن الاهتمام انصب على استعادة نشاط المؤتمرات. لكن بعد مرور ست عشرة سنة عن المؤتمر هذا،

---

(١) مر ذلك ص ٣٦٥ من الرسالة.

(٢) سبق التعرض لذلك ص ٣٦٦ من الرسالة.

طرح الموضوع مرة أخــرى، وذلــك فــي مؤتمــر نيودلــهي، ســنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هــ)، ليتخذ القرار الحاسم بتحوير نظام المؤتمرات في المؤتمــر الســابع والعشرين بــ"آن آربور" سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هــ)، بالولايات المتحدة الأمريكية. وبالتالي أمكن تحوير هذا النظام الذي صمد أمدا طويلا، وتجاوز أزمنتين عميقتيــن في تاريخ الإنسانية، وهما الحربان العالميتان. وبالتالي، دخلت المؤتمرات منعرجا تنافسيا، لكن هذه المرة بين المستشرقين الأمريكيين، الذين يمثــل بلدهــم القــوة العظمى في العالم، والمستشرقين الفرنسيين، الذين كانوا لا يزالون يعدون أنفســهم أصحاب الفضل الأكبر في انبعاث المؤتمرات. فما إن يعود المؤتمر للانعقاد فــي باريس، حتى تحدث النقلة الكبرى في تاريخ المؤتمرات، ليس بتغيير نظامها فقط، بل مسماها أيضا. هذه التطويرات، سيتم تحليلها فيما يلي.

أ- مسعى المؤتمر الحادي والعشرين بباريس ١٩٤٨م:

جاء في مقدمة كتاب أعمال المؤتمر ما يلي "اختارت اللجنــة الاستشارية، والتجمع العام الختامي لمؤتمر المستشرقين العالمي العشرين، الــذي انعقــد فــي بروكسيل في سنة ١٩٣٨م، باريس لتكون مقرا للمؤتمر الحادي والعشرين، والذي عين له عام ١٩٤١م (١٣٦٠هــ)، زمنا لانعقاده. إضافة إلى ذلك، أعطيت اللجنة العالمية الاستشارية، بموافقة التجمع العام، أمر اتخاذ كل الترتيبات اللازمة، لتقديم مخطط إعادة ترتيب نظام مؤتمرات المستشرقين العالمية. إلا أن الحرب منعــت، ليس انعقاد المؤتمر فحسب، بل دراسة اللجنة العالمية الدائمة أيضا، التي اســتحال على أعضائها التواصل فيما بينهم، من أجل المشــروع المــأمول. إن المؤسســة الآسيوية بباريس، التي وكل إليها مهمة التحضير لمؤتمر بــاريس، ســعت بكــل قواها، منذ نهاية الحرب، لاستئناف هذه المهمة التي اتفقت عليها مع لجنة مؤتمــر بروكسيل، واللجنة الاستشارية العالمية والهيئات العلمية المهتمة، وفقــا لأغلبيــة الآراء، تقرر انعقاد المؤتمر الحادي والعشرين في يوليو ١٩٤٨م (١٣٦٧هــــ). لذا، فإن أعضاء المكتب والمجلس التحضيري للمؤتمر الذي تشــكل فــي عــام ١٩٤٦م (١٣٦٥هــ)، وظفوا جهودهم الأولى لبحث موضوع إعادة التنظيم الــذي

طلبه المؤتمر العشرون[1]. وحتى تتم الاستفادة من مقترحات الهيئات العلمية والمؤتمرين المتوقعين أو التعرف على مقترحاتهم، أرسل المكتب في منشوره الأول من إعلان المؤتمر الحادي والعشرين، الدعوة المذكورة سابقا[2]. ويخلص إلى أن مقترح إعادة التنظيم لم يتفاعل معه أي طموح. وبالتالي، فقد أقفل ملف تغيير نظام مؤتمرات المستشرقين العالمية ساعتها. إلا أن ذلك كان مؤقتا. فلم يمض إلا حوالي ست عشرة سنة أخرى، حتى بدأ طرح الموضوع مرة أخرى للبحث.

ب – مسعى مؤتمر نيو دلهي ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ):

يبدو أن الموضوع طرح بقوة في هذا المؤتمر، وقد تبنى هذا الأمر آنذاك بعض رجال الاستشراق الأمريكي، ممثلين لمؤسستين استشراقيتين "الجمعية الأمريكية الشرقية من نيوهافن New Haven، وجمعية الدراسات الآسيوية Association for Asian Studies، بآن آربور–متشغن Ann Arbor, Michigan.

فقد عرض على الاجتماع العام لدورة المؤتمر السادس والعشرين بنيو دلهي، في عام ١٩٦٤م، المقترح التالي "اتخذ قرار في اجتماع مشترك بين المؤسسة الأمريكية الشرقية، وجمعية الدراسات الآسيوية، يتمثل في ضرورة مراجعة نظام مؤتمرات المستشرقين العالمية العام، وقد عينت اللجنة المؤقتة لجنة فرعية أخرى أولية، مكونة من الأساتذة

أبو بكر (الجمهورية العربية المتحدة)	نورمن براون Norman Brown (الولايات المتحدة)
باشام Basham A.L. (المملكة المتحدة)	دياكونوف Diakonoff I.M. (الاتحاد السوفيتي)

[1] Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 – p.

[2] سبق ذكر الدعوة تلك ص ٣٨٤ من الرسالة.

إينوكي .Enoki K (اليابان)	أوليفيي لاكومب Olivier Lacombe (فرنسا)
مورجونستيارن Moergenstienne G. (النرويج)	بور داوود .Poure-Davoud I (إيران)
بول ثيام Paul Thieme (ألمانيا الغربية)	دانديكار (الهند)

وتتباحث اللجنة تلك المسألة، وتقدم للجنة المؤقتة، قبل عرضها في التاسع من يناير ١٩٦٤م، إذ إن اللجنة ترغب في إدراج مقترحاتها في موضعها قبل الجلسة الختامية العامة لليوم التالي"(١).

هذه اللجنة اجتمعت وقررت تكوين لجنة أخرى، من شأنها مراجعة نظام المؤتمر ذاك، وحددت لها مهمتها في ذلك، وورد في الجلسة الختامية ما يلي "إن ضرورة مراجعة نظام مؤتمر المستشرقين العالمي العام، عهد إلى لجنة عالمية، تتكون من سبعة أعضاء، هذه أسماؤهم:

إينوكي (اليابان)	دانديكار (الهند)
يحيى الخشاب (الجمهورية العربية المتحدة)	الأكاديمي زوكوف .Zhukov E.M (الاتحاد السوفيتي)
جون فليوزا (فرنسا)	مورجونستيارن (النرويج)
نورمن براون (الولايات المتحدة)، ((رئيسا))	

أما مهمة اللجنة، فتتمثل فيما يلي:

(1) Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 – Vol1 – p. 55 .

١ــ التباحث فيما إذا كان من المرغوب تأليف لجنة تنفيذية دائمة لمؤتمرات المستشرقين العالمية.

٢ ــ تحديد مجال مؤتمرات المستشرقين العالمية.

٣ ــ دراسة المشكلات المتعلقة بنظام انعقاد دورات مؤتمرات المستشرقين العالمية.

وعلى هذه اللجنة أن تبلغ مؤتمر المستشرقين العالمي السابع والعشرين نتائج أعمالها"(١).

هذه المحاولة، آتت أكلها. وفي المؤتمر الذي انعقد في أمريكا لاحقا، اعتمدت تحويرات على النظام الذي عمر سبعين سنة كاملة، ولم تؤثر فيه حتى آثار الحربين العالميتين.

والمعلوم أن الفترة تلك شهدت ازدهار المدرسة الاستشراقية الأمريكية، وتميزت بتوجهها الخاص الذي يميزها عن غيرها من المدارس، وهي اعتماد دراسة المجتمعات واعتماد المناهج الاجتماعية في دراسة الشرق وموروثاته. هذا إضافة إلى الهيمنة السياسية والعلمية عموما، وكذلك الهيمنة الثقافية الأمريكية، سواء في داخل أمريكا نفسها أو في أوروبا بخاصة أو في العالم أجمع. ويبدو أن هذه الهيمنة كان لها أثرها في قبول تلك التحويرات الجديدة للمؤتمرات، ولاسيما أنها أول مرة ينعقد فيها المؤتمر في الولايات المتحدة. ومع ذلك، فقد رأينا أن التحوير لم يكن جذريا، بل لمس جزء من النظام القديم، أما ما سواه، فظل ثابتا كما هو في الأصل(٢).

٤ــ التطوير في مسار اللجان العلمية:

رغم أنه لم يتم التباحث حول تطوير أنظمة المؤتمرات، فإن المؤتمر الحادي والعشرين، أقر تطوير اللجان العلمية، بتفويض شبه عام، ويتمثل في تحديد برنامج عمل المؤتمر وتقليصه، سواء في إطار المؤتمر العام، أو في إطار

---

(1) Ibid. Vol1 – p. 60.

(٢) مر بنا ذلك ص ١٩٥ من الرسالة.

كل لجنة، سعيا لتفادي العديد من سلبيات التوسع في الموضوعات وكثرة الدراسات. وعملاً بذلك تقرر في هذا الأثناء، أنه مهما كانت الظروف، فإن جلسات اللجان كافة، ستكون موجودة، لترك المجال للمؤتمرين لعرض نتائج أبحاثهم ومقترحاتهم التي يودون عرضها... والحاصل، وبدون اقتراحات إعادة التنظيم التي لم يتفاعل معها أحد، فقد تقرر إعداد برنامج عمل المؤتمر الحادي والعشرين بتعيين جزء من الوقت لجلسات اللجان المعتادة، وأخرى للجلسات العامة، ولإبراز الشخصية الخاصة في كل اللجان أو في معظم التجمعات[1].
وبالتالي، فقد عقدت لأول مرة جلسات جماعية عدة:

– جلسة جماعية بمناسبة مرور خمسين سنة على نشأة المعهد الفرنسي للشرق الأدنى بسايغون سنة ١٨٩٨م[2].

– جلسة ثانية، وتتعلق بالنقوش المكتشفة حديثا[3].

– جلسة ثالثة، بمناسبة مرور ألف سنة على وفاة البيروني[4].

– جلسة جماعية جزئية، ضمت ثلاث لجان، هي الدراسات المصرية والدراسات السامية والدراسات الآشورية[5].

– جلسة جماعية جزئية أخرى تضم اللجان الأخرى، وهي الدراسات التركية والهندية والهند الصينية مع الدراسات الإندونيسية، والدراسات الصينية والدراسات الإسلامية، التي تشمل لجانا فرعية أربع، والدراسات الشرقية –الغربية: الشرق النصراني، والإثنية وما قبل التاريخ والآثار[6].

وهذه اللجان تم ذكرها سابقا، إلا أن سردها هنا، إنما هو لبيان النقلة التي ظهرت على مسار المؤتمرات، إذ هي أولى خطوات إعادة تنظيم الجلسات

---

(1) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - pp. 2-3.
(2) Ibid. p. 27.
(3) Ibid. p. 27.
(4) Ibid. pp. 28 – 33.
(5) Ibid. p. 28.
(6) Ibid. p. 28.

العلمية. وهذه تذكرنا بالمؤتمرين الأولين، الذين كانت الجلسات الجماعية فيهما الأساس، ثم استعيض عنها بجلسات اللجان والجلسات الجماعية.

٥-مؤتمر باريس التاسع والعشرون وقرار تغيير اسم المؤتمرات:

سبق الحديث عن هذا الموضوع باستفاضة(١). لكن ذكره هنا لضرورة بيان أنه من سمات هذه الحقبة، وآخر مطاف المؤتمرات فيها، ولاسيما أن قرار تحوير مسمى مؤتمرات المستشرقين العالمية، وإعادة تنظيم مسارها الإداري والعلمي، كان نقطة تحول هامة في تاريخ مؤتمرات المستشرقين العالمية، إلا أن المنشورات التي صدرت حول المؤتمر، لم تتحدث عن الخطوات التي اتبعت ولا المداولات التي تمت حتى اتخاذ القرار، ولم تسعفنا لمعرفة ذلك، ولم تذكر سوى أسماء أعضاء اللجنة التي تولت بحث الموضوع، والتي اتخذت القرار. أما ما عدا ذلك، فلم تنشر سوى محاضرة للمستشرق "فليوزا، تتعلق بالموضوع، والتي تم تحليل مفاهيمها في موضعها، والإشارة إلى بعض المقتطفات منها(٢).

(١) كان ذلك في ص ١٨٢ من الرسالة فما بعدها.

(٢) يمكن الاطلاع على ذلك ص ١٨٢ من الرسالة.

لدراسة مسار المؤتمرات العلمي في هذه المرحلة، التي انعقد فيها تسع مؤتمرات علمية، سيتم حسب الأسلوب السابق المتبع مع المرحلتين السابقتين، بتقديم جداول توضيحية[1]، واستخلاص ملاحظات حولها ثم تحليلها.

١ – ملاحظات حول الجدولين:

انعقدت في هذه المرحلة تسعة مؤتمرات، انطلق المؤتمر الأول فيها بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، وكذلك كان المؤتمر الأخير بباريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ).

أكثر الموضوعات التي درسها المؤتمرون في هذه المرحلة آسيا الوسطى، التي شغلت كل المؤتمرات، ما عدا المؤتمر السابع والعشرين، وآسيا الوسطى شغلت مؤتمرات عدة متفرقة، إلا أنها تعمقت وتكاثرت في المرحلتين الثانية والثالثة. ثم الهند وإيران، وكل منهما تناولته سبع مؤتمرات. فإيران تناولتها موضوعات المؤتمرات بعد الحرب العالمية الثانية بكثافة حتى المؤتمر السادس والعشرين، ثم عادت مرة أخرى في المؤتمر التاسع والعشرين، زمن الفوضى الداخلية الإيرانية. أما الهند، فقد تكثف الاهتمام بها منذ وسط المرحلة الأولى، أي منذ المؤتمر التاسع.

ثم توجد ست موضوعات، ثبت كل واحد منها في ست مؤتمرات. وهي كما هو موجود في الجدول، موضوعات معتادة، عدا واحدة فقط، هي جنوب شرقي آسيا. فهذه المنطقة، تركز الاهتمام بها انطلاقا من المؤتمر الرابع والعشرين، وتواصل حتى نهاية هذه المرحلة. كما نلحظ التركيز على الموضوعات التاريخية، التي برزت لأول مرة في المؤتمر السادس عشر، نراها تعود منذ انطلاقة هذه

---

(١) تم إيراد جدولي اللجان والموضوعات الخاصة بهذه الحقبة، جدول اللجان بالملحق رقم ٣٦ ص ٨٢٨ من الرسالة، وجدول الموضوعات بالملحق رقم ٣٦ ص ٨٢٨ من الرسالة.

المرحلة، وتواصلت حتى المؤتمر السادس والعشرين. ثم ظهر الاهتمام بالدراسات الصينية، انطلاقا من المؤتمر الحادي والعشرين، ثم الرابع والعشرين والخامس والعشرين، ثم المؤتمرات الثلاث الأخيرة من هذه المرحلة. أما الدراسات المصرية فنراها تتوقف بعد المؤتمر السادس والعشرين .

والموضوعات التي ترددت خمس مرات، سبعة، ويلاحظ فيها كثافة الدراسات الإفريقية حتى المؤتمر السادس والعشرين، ثم توقفت بعد ذلك، لتظهر مرة واحدة في المرحلة القادمة. لكن الدراسات الآلطية، التي كانت تتعلق بمنطقة من ضمن الاتحاد السوفيتي، فقد برزت بقوة في هذه المرحلة. فالمرة الوحيدة التي تمت دراستها فيها، كانت في المؤتمر الرابع، ثم انطلقت من جديد مع المؤتمر الثالث والعشرين حتى المؤتمر السابع والعشرين. كما تكثفت الدراسات التركية عن ذي قبل. أما الدراسات الكورية وموضوعاتها، فلم يتم توجيه النظر إليها إلا في هذه الحقبة، باستثناء المؤتمر الثاني عشر، ثم انطلقت لتكون موضوعا رئيسا في خمس مؤتمرات من هذه الحقبة. أما اللغويات فلم تعد موضوعا رئيسا في المؤتمرات بعد المؤتمر السادس والعشرين. كما تواصل الاهتمام بنصارى الشرق، وعرض موضوعاتهم، بعد أن انطلقت في المرحلة السابقة، ولم تتوقف إلا بعد المؤتمر السادس والعشرين، ثم عادت في المؤتمر التاسع والعشرين.

أما الموضوعات التي ترددت أربع مرات، فبلغت أربع موضوعات: فالأدب الإسلامي الذي غاب بعد المؤتمرين السادس والسابع، عاد ليشغل المؤتمرات الأربع الأولى في هذه المرحلة. ولم تعد الدراسات الآشورية في هذه الحقبة، تمثل موضوعا رئيسا بعد المؤتمر الخامس والعشرين. وفيما يخص الشريعة، فإنها لم تظهر إلا في هذه المرحلة، في المؤتمرات الأربع الأولى. كما تكثفت الموضوعات الفنية خلال المؤتمرات نفسها من هذه الحقبة.

وهناك ستة موضوعات تكرر كل منها ثلاث مرات. فآسيا الشرقية، ظهرت بعد غياب عن المؤتمرات، منذ المؤتمر الثامن، وبيزنطة عادت بعد المرة الوحيدة التي ظهرت فيها، خلال المؤتمر الحادي عشر، وفي المؤتمرات الثاني والعشرين، والرابع والعشرين والخامس والعشرين. وآخر عهد لموضوع العلاقات بين الشرق والغرب، كان المؤتمر الثالث عشر، وكانت المرة الثانية في تاريخ المؤتمرات، ثم

أثير من جديد في المؤتمرات الثلاث الأولى من هذه الحقبة. كما ازداد الاهتمام بالدراسات القوقازية.

وهناك سبعة موضوعات تكرر كل واحد منها مرتين. ومما يلاحظ في هذه المجموعة، انطلاق موضوعات جنوب شرقي آسيا لأول مرة، في هذه المرحلة، بعد أن كان يعرض عن طريق البلدان، ولاسيما الهند، وبرزت الفلسفة من جديد بعد المؤتمر الثالث، وكانت إحدى موضوعات المؤتمرين الخامس والعشرين والسادس والعشرين. ونلاحظ في هذه المرحلة ضعف الاهتمام بالدراسات الأثرية واليهودية عموما. فهناك قلة اهتمام بالعهد القديم والعبرية، وحتى موضوع اليهودية، لم يرد إلا مرة واحدة، وذلك في المؤتمر الرابع والعشرين الذي انعقد في ميونيخ بألمانيا سنة ١٩٥٧م (١٣٧٧هـ).

أما ما ورد ليكون موضوعا فريدا في المؤتمرات فكان عددهم سبعا وعشرين، وما يجلب الانتباه إليه يمكن تلخيصه فيما يلي. فأفغانستان كانت موضوعا للمرة الثانية في المؤتمر الخامس والعشرين، أما البربر فلم يكونوا موضوعا رئيسا طوال المؤتمرات إلا في المؤتمر الحادي والعشرين. كما لم تطرح البلدان العربية لتكون موضوعا رئيسا إلا في المؤتمر الخامس والعشرين، وقد عقد في موسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، ومنذ المؤتمر الأول لم تظهر السنسكريتية إلا في المؤتمر السادس والعشرين الذي انعقد في نيو دلهي سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ). وظهر لأول مرة موضوع الشرق الأقصى، ولم يعرض إلا في المؤتمر الثالث والعشرين الذي انعقد في كامبردج سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، كما أن القرآن كموضوع لم يرد إلا مرة واحدة في هذه الحقبة، في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، وكذلك المكتبات، لم ترد إلا في المؤتمر التاسع والعشرين. وآخر مؤتمر يتناول موضوع الهند-الصينية، هو المؤتمر الحادي والعشرين . كما نرى للمرة الثانية والأخيرة عرض موضوع شمال آسيا.

هذا مجمل ما يمكن استخلاصه من ملاحظات على مؤتمرات هذه المرحلة من عمر المؤتمرات، وفيما يلي تحليل ومناقشة لها.

٢- التحليل والمناقشة:

أول ملحوظة تحتاج لتحليل، هي سيطرة موضوعات آسيا الوسطى على جل مؤتمرات هذه الحقبة. والمعلوم أن آسيا الوسطى، ومعظم شعوبها مسلمون، تقع تحت احتلال الاتحاد السوفيتي وسيطرته، وهو الكيان الذي اتخذ الشيوعية أساسا لنظريات حكمه. وبما أن العالم الغربي تبنى معاداة الإيديولوجية الشيوعية بكل ما أوتي من طاقة، مادية ومعنوية، حتى إنه عين موارد خاصة، قصد التغلغل داخل كيان الاتحاد السوفيتي ذاته، وبالتالي محاولة خلخلة نظامه الداخلي، وليس أدل على ذلك من كثرة حوادث الجاسوسية بين القطبين. ومن ذلك التدخل في الشؤون وتحليل المعلومات ودراسة المجتمعات، ولاسيما أن الاتحاد السوفيتي إنما هو عبارة عن خليط من المجتمعات المتنافرة أحيانا، والمتناحرة أحيانا أخرى. ومن شأن تعميق تلك الفروق أن لا يسمح للاتحاد السوفيتي بالخروج من المشكلات الاجتماعية وتنمية قدراته التقنية على المدى القريب، وتفكيك الاتحاد السوفيتي على المدى البعيد، وهو ما تمكنت من تحقيقه في المرحلة الرابعة كما سيأتي[1]. وبما أن المؤتمرات تساير عصرها، فإنها خصصت حيزا هاما من برنامجها لدراسة هذا مناطق العالم السوفيتي. ويبدو أن دراسة الاستشراق وبحوثه وجهت جزءا من جهدها لهذه المنطقة، إذ يظهر أن الأثر السياسي في هذا التوجه لوجود كثافة موضوعات آسيا الوسطى في هذه المرحلة والمرحلة السابقة، أكثر من غيرها في المراحل السابقة، التي لم تكن فيها المنطقة ساعتها مخيفة سياسيا.

ومن ثم، كان الاهتمام بالدول المحيطة بالاتحاد السوفيتي لا يقل عن العناية بدول الاتحاد نفسه. فقد سبق أن ذكرنا أن الولايات المتحدة خصصت مساعدات هامة للدول المحاذية للعالم الشيوعي، من أجل محاصرة المد الشيوعي. لذا، ليس من الغريب أن يهتم ميدان الاستشراق بهذه المناطق أيضا، وبالتالي المؤتمرات أيضا. ومن هذه المناطق ما اهتمت به المؤتمرات سابقا، لكن تكثفت البحوث حولها في هذه المرحلة، ولاسيما الهند وإيران، ومنها جنوب شرقي آسيا أيضا.

---

[1] سيرد ذلك ص ٤٠٨ من البحث

من ناحية أخرى، تميزت هذه المرحلة باستقلال البلدان المستضعفة، وانحسار نفوذ الدول الاستعمارية وإمبراطورياتها. لكنها ما غادرت حتى تركت وراءها المناطق مشحونة مشكلات وصراعات. ففيما يخص الهند مثلا، نجد أن سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ)، شهدت تمرد الأسطول الهندي على الجيوش البريطانية، وشهدت سنة ١٩٤٧م (١٣٦٦هـ)، استقلال الهند، وانقسامها لدولتين، الهند من ناحية، والباكستان من ناحية أخرى، بشقيها، وقيام نزاع مسلح بين الهند وباكستان حول كشمير، وقتل غاندي سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، كما قطعت العلاقات بين الهند والبرتغال سنة ١٩٥٥م (١٣٧٤هـ)، بسبب الصراع حول بعض الأراضي، وعقدت معاهدة سنة ١٩٥٦م (١٣٧٥هـ)، مع فرنسا، استعادت على أثرها أراضيها التي كانت تحتلها فرنسا كلها. وكانت الهند تسعى حثيثا لتكوين منظمة دول عدم الانحياز. وإضافة إلى الصراع الخارجي مع المستعمرين والجيران، وجدت صراعات في الهند نفسها، ولاسيما السياسية منها، حتى إن بعض الأحزاب الشيوعية فازت في انتخابات ولايات داخلية. وشهدت سنة ١٩٦٢م (١٣٨١هـ)، هجوما صينيا على المواقع الهندية على حدود القطاع الشرقي، وعادت الحرب مرة أخرى بين الهند والباكستان حول كشمير سنة ١٩٦٥م (١٣٨٥هـ)[1].

هذه الأحداث شدت انتباه العالم بأحداثه السياسية، ورجال الفكر بالموروثات الثقافية والحضارية والتركيبات الاجتماعية، ومحاولة التنبؤ بما سيؤول إليه حال كل ذلك، تجاه التحولات المتلاحقة على الساحة الهندية. وهذا هو اهتمام المستشرقين، وبالتالي تعمقت الدراسات الهندية في ميدان الاستشراق، والمؤتمرات بالتالي، لذا، فقد كان للأحداث المتلاحقة أثرها في عناية المؤتمرات بالهند.

أما إيران، فقد شهدت هي كذلك، خلال هذه الفترة أحداثا سياسية كبرى، جعلتها موضع انتباه العالم، و من تلك الدول التي ركزت عليها الولايات المتحدة الأمريكية، لتكون سدا منيعا في وجه النفوذ الشيوعي وتوسعه. ومن أهم الأحداث تلك، نجد أن إيران أممت حقول البترول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، وهو ما يعني

---

(١) يمكن التعرف على تفصيلات تلك الأحداث لدى "روبير شنيرب": تاريخ الحضارات العام – م٧ – ص ٨٨٠ – ٨٨٨ .

انحسار دور الشركات الغربية في المنطقة، وبالتالي نفوذهـــا، وقطعـت إيــران علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا، وحدت الحكومة من سلطات الشاه وأعوانه، مما أدى إلى هروب الشاه ولجوئه إلى بغداد سنة ١٩٥٣م (١٣٧٢هـ). ويبدو أن هـذا كان أحد أهداف الولايات المتحدة الأمريكية، التي قدمـت مسـاعدة ماليـة إلـى الحكومة بعد شهر من فرار الشاه. كما شهدت السنة نفسها عودة العلاقـات بيـن إيران وبريطانيا العظمى. وعقدت إيران معاهدة تحالف مع تركيا سـنة ١٩٥٥م، (١٣٧٤هـ)[١]. وهكذا تلاحقت الأحداث في إيران، التي ما كادت تهدأ، وتواصـل أمرها كذلك حتى ابتدأت نهاية هذه الحقبة مسيرة الثورة الإسلامية. ولا شك فـي أن هذه الأحداث تجلب الانتباه والاهتمام. ولاسيما أن للغرب مصالح جمـا فـي إيران، وبالتالي فهي تستهوي عناية المستشرقين، الذين لم يتخلفوا عن الركب، بل أدرجوا إيران من ضمن تحليلاتهم ودراساتهم.

المثال الآخر هو جنوب شرقي آسيا، الذي كثرت أحداثه كذلـك فـي هـذه الفترة. فقد أعلن استقلال الفيلبين بعد أحداث ومعارك وتوتـرات عنيفـة، سـنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ)، وشهدت سـنة ١٩٤٧م (١٣٦٦هـ) نهايـة العمليـات العسكرية في جزيرة "جاوا"، كما اعترفت "جاوا" باستقلال بورما. وعقدت هدنـة هولندية –إندونيسية سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، لكن ما لبثت هولندا أن قامت فـي العام نفسه بعمليات عسكرية في جاكرتا برغم المعاهدة المعقودة، وقبضت خلالـها على أعضاء الحكومة الإندونيسية، الأمر الذي عمق القضية ومشكلاتها، اضطـر الهولنديون إلى الانسحاب بعدها من البلاد بأكمله سنة ١٩٤٩م (١٣٦٧هـ)، ولـم تهدإ المشكلات بين البلدين، ففي سنة ١٩٥٤م (١٣٧٣هـ)، تمت القطيعة النهائيـة بين هولندا وإندونيسيا. وحصلت ماليزيا على استقلالها سنة ١٩٥٧م (١٣٧٧هـ).

كما أن هذه البلدان قائمة قرب الصين وكوريا والاتحاد السوفيتي، لذا قويـت فيها الحركات الشيوعية، مما جعل الدول الغربية توجه اهتمامها إليها، ولاسيما في إندونيسيا، التي عرفت تأثير الشيوعيين في رئيسها "سوكارنو"، ثم حاولوا الإطاحة به سنة ١٩٦٥م (١٣٨٩هـ)، مما أدى إلى قيام ثورة ضدهم، وضـد الرئيـس،

---

(١) مثل هذه المعلومات موزعة فـي مواطـن عـدة مـن تـاريخ الحضـارات العـام – م٧ – ص ٨٨٠ – ٨٨٨ .

نتجت عنه مذبحة عامة لجل من يعرف له ميول شيوعية. وفي العام ١٩٦٥م نفسه انسحبت سنغافورة من الاتحاد الماليزي.

تلك هي أهم الأحداث في المناطق الثلاث التي شدت انتباه السياسيين والمفكرين الغربيين. وبما أن المستشرقين جزء من المفكرين الغربيين، فقد وجهوا جهودهم العلمية الخاصة، لتشمل هذه المنطقة أيضا. وبالتالي خصصوا لها مكانا في مؤتمراتهم.

أما الصين، فقد شغلت الغرب بتبنيها الأيديولوجية الشيوعية في هذه الفترة، رغم أنها كانت تشغلهم سابقا للتطورات السياسية فيها، والتي تلاحقت على نحو مثير، فما إن تمكنت من الخروج من نير الاستعمار حتى تمكنت من أن تصبح إحدى أقوى الدول، ولاسيما عسكريا وصناعيا، والصناعة الحربية بصفة خاصة، إذ إنها أضحت إحدى الدول التي تملك أسلحة الدمار الشامل، ولاسيما النووي منه[1]، وبالتالي أضحت من الدول التي يتركز عليها الانتباه، سياسيا واجتماعيا وثقافيا، ولاسيما أنها رفعت شعار الثورة الثقافية، ولا يستغرب بالتالي اهتمام المستشرقين بها، وبالتالي إدراجها إحدى الموضوعات الهامة في المؤتمرات.

وفيما تواصل الاهتمام بالدراسات المصرية، فإنما ذلك لتلاحق الأحداث السريعة في المنطقة، فاستقلال البلد بعد معارك عدة مع البريطانيين، وإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية، وتبني القومية والاشتراكية، وخوضها معارك حربية عدة، سواء ساعة العدوان الثلاثي على مصر، أو الحروب المتلاحقة التي قادتها على الكيان الصهيوني، كانت كلها أحداث مهمة، في منطقة زرع فيها الغرب عصابة من شأنها أن تخلخل أمن المنطقة، وتساهم في تدعيم سيطرة الغرب عليها. وهذه الأحداث لفتت انتباه المثقفين وكانت إحدى القضايا العالمية الكبرى التي يهتمون بها، وبالتالي كانت موضوع دراسات وبحوث متعددة الجوانب والتوجهات، بما فيها الدراسات الاستشراقية، وبالتالي المؤتمرات المعنية كذلك.

وعلى غرار مصر، تركز الاهتمام على تركيا أيضا، التي قطعت شوطا كبيرا في تبني العلمانية، وتحوير كتابتها بالأحرف اللاتينية، وإعلان الديمقراطية وظهور الخصومات السياسية والانقلابات العسكرية، والمعارك مع اليونان

---

(١) للاطلاع على المزيد في الموضوع لدى المرجع السابق – م٧ – ص ٥٥٨ – ٥٦١ .

ودخولها قبرص لنجدة الأتراك هناك، وما تركه ذلك من مخلفات سياسية كـبرى، كل هذه الأحداث كانت مهمة جدا للعام الغربي، ولا سيما الدول الأوروبية، التي لم تحمد لتركيا تدخلها العسكري السابق في أراضيها، وعملت ما في جـهدها كـي تبسط سيطرتها عليها. والخبراء المتخصصون في ذلك هم المستشرقون، الذيـن سلطوا أنظارهم بقوة على تركيا والدراسات التركية، وبالتالي عرض بعضها فـي مؤتمراتهم.

ولا تزال مناطق الاتحاد السوفيتي تجلب انتباه العالم الغربي، الذي لا يـزال يحاول التغلغل فيه، وبعد آسيا الوسطى التي تم الحديث عنها، هذه منطقـة آلـط، والجبال الآلطية، يتم التركيز عليها وبحث موضوعاتها، سعيا للتعرف عليها أكثر، بعد أن توقفت الدراسات حولها منذ المؤتمر الرابع المنعقد بفلورنسا سـنة ١٨٧٨م (١٢٩٨هـ)، التي كانت المرة الوحيدة التي عرضت فيها، حتى انطلقت في هـذه الحقبة من جديد.

وبعد أن درست موضوعاتها لمرات قليلة، عادت الدراسات الكورية بقوة في هذه الحقبة. وإذا ما نظرنا للساحة السياسية، نجد أن الشيوعيين الكوريين تمكنـوا من السيطرة على الجزء الشمالي من كوريا، الأمر الذي أدى إلى قيادة الولايـات المتحدة لحملة دبلوماسية ضدها، أدى إلى فرض مجلس الأمن عقوبـات ضـد كوريا الشمالية سنة ١٩٥٠م (١٣٦٩هـ)، ثم تدخلت الولايات المتحدة عسكريا في كوريا في العام ذاته، مما أجبر الكوريين الشماليين على القيام بهجوم سريع علـى كوريا الجنوبية بلغوا فيه أقاصي الأراضي جنوبا في العام نفسه، وتمكنـت مـن السيطرة على سيول العاصمة أيضا. ونتج عن هذا تدخل الصين في كوريا أيضا، لمناصرة حلفائها.

وفيما بدأت الولايات المتحدة هجوما معاكسـا فـي كوريـا سـنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، أدانت الأمم المتحدة الصين كمعتدية. وتمكنت كوريا الجنوبية مـن استرداد عاصمتها، وواصلت الجيوش الأمريكية مهاجمة الكورييـن الشـماليين، وبقيت الحرب سجالا بين الطرفين، وقامت في الوقت نفسه فتـن ومعـارك فـي فيتنام، ولقيت القوات الأمريكية في كوريا مقاومة عنيفة، رأت على أثرهـا أنـها بصدد خسران العديد من رجالها وعتادها، مما مهد لوقف إطلاق النار فـي عـام ١٩٥٣م (١٣٧٢هـ). ومع ذلك لم تهدإ الأحداث بين البلدين المكونيـن لكوريـا،

وشهدت كوريا الجنوبية اضطرابات في عام ١٩٦٠م (١٣٧٩هـ)، استقالت على أثرها الحكومة. ومع ذلك ظل العداء مستفحلا بين شطري الجزيرة، ولا يزال قائما حتى اليوم. هذه الأحداث جلبت كذلك الانتباه، بما فيها اهتمامات المستشرقين والمؤتمرات بالتالي.

كما نلحظ أن التوجه الشيوعي أثر في الاهتمامات العامة للمؤتمرات، فخصصت جلسات للحديث عن آسيا الشرقية، بعد غياب طويل، فالثورات الشيوعية، في كل من الصين وكوريا وفيتنام كان لها الأثر الكبير في اهتمامات الغرب، ولذلك اهتم بها المستشرقون أيضا، تماما كأهل جلدتهم في تخصصاتهم المختلفة، والكلام نفسه يقال عن الدراسات القوقازية، المتعلقة بمنطقة شاسعة في الاتحاد السوفيتي.

أما جنوب آسيا فكان منطقة ساخنة بالأحداث فيها، سواء منها المعارك والحروب بين باكستان والهند، كما مر بنا، أو الأحداث المتلاحقة في المنطقة برمتها، ولاسيما الصراع في أفغانستان، الذي أدى إلى دخول الروس فيها بتاريخ الرابع والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٧٩م (الخامس من صفر سنة ١٤٠٠هـ)، من أجل الحفاظ على النظام الشيوعي الذي تمكن من الوصول إلى السلطة، وقيام حملات تقاومه وتجالده، وقد ظهرت أفغانستان موضوعا للدراسة في المؤتمر الخامس والعشرين المنعقد في موسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، ولا غرابة في ذلك، إذ إن روسيا كانت أشد اهتماما بأفغانستان من غيرها.

واستغلت روسيا أيضا العداء العربي المستفحل ضد أمريكا والصهيونية والغرب المؤيد لهما، لتحاول التقرب من العرب وبسط نفوذها على بلدانهم. لذلك خصصت في المؤتمر السابق موضوعا خاصا بالعرب، في لجنة بعنوان تاريخ البلدان العربية.

وفي هذا الخضم من التحولات الدولية، والثورات ضد الاستعمار والأنظمة القائمة، والعداء المستفحل والحرب الباردة بين معسكري الشرق والغرب، كان على الإطار الدولي العام أن يضع ضمن اهتماماته موضوع العلاقات بين الشرق والغرب عامة. وهذا الموضوع ظل الشغل الشاغل للعديد من الإطارات والهيئات والمنظمات، بما فيها الاستشراق، وبالتالي المؤتمرات أيضا.

ومما يدل على تحول الأبحاث الاستشراقية في المؤتمرات في هذه المرحلة، توقف بعض الأبحاث التقليدية. فلم تعد اللغويات مثلا موضوعا رئيسا في المؤتمرات، بعد المؤتمر الخامس والعشرين، كما ضعف الاهتمام بالدراسات الأثرية واليهودية، والعهدين القديم والجديد، وكذلك الدراسات العبرية. وبالمقابل، ظهرت موضوعات جديدة، مثل الأبحاث الخاصة بالشريعة والقرآن وشمال آسيا وغيرها، وبعثت موضوعات طرحت قديما، مثل الأدب الإسلامي، إذ فيما اهتم المؤتمران السادس والسابع بالأدب الإسلامي القديم، فإن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع حديثا اهتمت بالأدب الإسلامي الحديث، ويبدو أن التيارات الأدبية الحديثة التي شهدتها المنطقة، ولاسيما بعد استقلال الدول الإسلامية، شدت الانتباه.

أما عن عودة الدراسات البيزنطية ثانية، بعد أن كانت وردت مرة واحدة في المؤتمر الحادي عشر، فلعل المصادمات التي وقعت بين تركيا واليونان كان لها الأثر في ذلك. وبالنسبة لعودة الفلسفة من جديد، فيبدو أن ذلك يعود للتيارات الفكرية الحديثة التي ظهرت للساحة على أثر الحروب العالمية، والتي أحيت من جديد النزعات الفلسفية والفكرية القديمة والحديثة، من قبيل المثل والمثاليات[1]، وموضوعات الوجودية المعاصرة[2]، والإبستيمولوجيا[3] وغيرها.

أما موضوع البربر، فلم يطرح إلا في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس، ولا يخفى أن ارتباط فرنسا المباشر مع شمال إفريقيا، وظهور أمر الظهير البربري، وسعي البربر للحصول على امتيازات، وربما دولة مستقلة، وذلك للإيقاع بين العرب والبربر، لأن من شأن ذلك أن يطيل مقام الاستعمار في شمال إفريقيا، بحيث إنها في استمالتها البربر، تزداد قوة وثباتا.

---

(١) المثالية Idealism، هو اتجاه قوامه رد كل وجود إلى الفكر بأوسع معاني هذا اللفظ. فوجود الأشياء مرهون بقوى الإدراك ، وتقابل المذهب الواقعي. رواده في الماضي أفلاطون بنظرية المثل، فيما تعتمد النظرية الحديثة على أفكار "كانت"، الذي يرى أن الظواهر مجرد تصورات لا أشياء في ذاتها. وهي المثالية المتعلقة بالمعرفة. عن المعجم الفلسفي – ص ١٧٠ .

(٢) تم التعريف بها ص ٣٦٣ من الرسالة.

(٣) سبق التعريف بها ص ٥٤ من الرسالة.

وازداد اهتمام الغرب بمنطقة الشرق الوسط، ولاسيما العرب، ولذلك وجهوا اهتمامهم لنصارى الشرق من جديد، ولا شك أن الأهداف الكامنة وراء ذلك، إنما هي دينية وسياسية، لارتباط هذه الفئة بالغرب، ودعواها أن الغرب هو أصلها ومعتمدها، ولاسيما فرنسا، فبعد أن توقف البحث في هذا الموضوع على مدى مؤتمرين اثنين، وما إن عادت المؤتمرات لباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، بعثت اللجنة من جديد، أما عن أهداف هذا الاهتمام، فقد سبق الحديث عنها[١].

ذاك هو أهم ما يمكن الخروج به من تحليلات حول موضوعات هذه المرحلة، وفيها بيان ودليل آخر على أن المؤتمرات لم تكن مطلقة أو حرة في التوجهات والاختيارات، بل كانت مسايرة للتيارات العامة وللأحداث القائمة والمصالح الغربية السارية، والبلد الذي ينعقد فيه المؤتمر بخاصة. وقد أكد لي المستشرق الألماني "شتيفن فيلد" ذلك في لقاء لي معه، فقال إن الدول التي تنعقد فيها المؤتمرات، تؤثر على اختيارات المؤتمرات وتوجهاتها، بحجة المساعدة التي تقدمها للمؤتمر، ولاسيما المالية[٢].

لكن اللافت للنظر والانتباه، هو اهتمام المؤتمرات بموضوعات جديدة، مقابل انقراض موضوعات أخرى، وهي تلك المرتبطة بالدراسات التقليدية بصفة عامة، وإحداث موضوعات ذات طابع عصري، مرتبطة بالمصالح الحديثة للمجتمعات الغربية بخاصة، وجاء هذا التحوير استجابة للمناداة التي وجهتها بعض الأطراف من أجل إحداث تطويرات على المؤتمر[٣]، وسنلمس في المرحلة الرابعة مواصلة هذا التوجه العام من التجديد في اختيار الموضوعات.

---

(١) سيتم الحديث عنها لاحقا ص ٨٤ وما بعدها، من الرسالة .

(٢) كان ذلك يوم التاسع من ذي الحجة سنة ١٤١٥هـ، التاسع من مايو سنة ١٩٩٥م.

(٣) سبق الحديث عن هذه التحويرات في أماكن متفرقة من الرسالة، منها ص٢٢١ من الرسالة .

الفصل الرابع: مؤتمرات المستشرقين العالمية بعد ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)

المبحث الأول: المسار الإداري للمؤتمرات

المبحث الثاني: المسار العلمي للمؤتمرات

الفصل الرابع: مؤتمرات المستشرقين العالمية بعد ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)

مدخل:

تمت الإشارة فيما سبق إلى قرار مؤتمر باريس التاسع والعشرين سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، والقاضي بتحويل مسمى المؤتمرات ليصبح "المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، وتوجيه الدراسات لتتناول الموضوعات المعاصرة، والتي تهتم بالحياة اليومية والشؤون الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية كذلك.

إلا أن هذه القرارات لم تدم طويلا، فما لبث الأمر سوى مؤتمرين فقط، حتى تقرر تغييره مرة أخرى. ففي مؤتمر طوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، ثاني مؤتمر حمل المسمى الجديد أعلاه، تم تغيير الاسم مرة أخرى، ليصبح "المؤتمرات العالمية للدراسات المتعلقة بآسيا وشمال إفريقيا"، وهو المسمى الحالي لمؤتمرات المستشرقين العالمية، وعقد تحته أربعة مؤتمرات حتى الآن. أما الدعوة لتوجيه الأنظار نحو المشكلات المعاصرة، فلم تدم كذلك، إذ سرعان ما اندمج الواقع الحالي بالتراث الماضي؛ بل إن الأخيرة أضحت تنافس في الكمية العددية الأولى.

وامتازت الحقبة بالوجود الكثيف للباحثين الشرقيين، وكان ذلك نوع من رد الاعتبار لهم، وأضحت الحقبة تحاول التنصل تماما من الشعار الاستشراقي، بحيث يتحدث العديد من الباحثين عن الاستشراق بشيء من ضعف الاهتمام، على اعتبار أن ذلك أضحى من الماضي الغابر. وهذا ما لوحظ في المؤتمر الخامس والثلاثين، إذ يتحدث عن الاستشراق بشكل عادي دون إظهار التبرم منه، بعكس الحقبة الماضية، التي صرح فيها بالقلق من المصطلح، وقد تبين ذلك بوضوح من خلال محاضرة "جون فليوزا"، التي تم الحديث عنها[1]. كما ظهر تغيير طفيف على نظام المؤتمرات، وذلك في مؤتمر طوكيو الحادي والثلاثين.

---

(١) مر بنا ذلك ص ١٨٢ من الرسالة فما بعدها.

تعرضت المؤتمرات لمشكلة تنظيمية خارجة عن نطاقها، أعاقت مسارها مدة سبع سنوات. فقد تقرر أن تستضيف إيران الدورة الحادية والثلاثين من المؤتمر سنة ١٩٨١م (١٤٠١هـ). إلا أن نجاح الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م (١٣٩٩هـ) وجه نكسة للمؤتمرات في هذا الشأن، فاضطر القائمون للبحث عن دولة أخرى تتبنى الدورة، إلا أن اليابان التي عرض عليها ذلك، اشترطت مهلة سنتين على الأقل، وما كان هناك بد من قبول شرطها.

أما عن الظروف المعايشة لمؤتمرات هذه الحقبة، فإن الفترة عرفت تواري الاستعمار المباشر، وتحوله للاستعمار غير المباشر، ولاسيما في الجانب الثقافي. فقد عرف العالم سرعة انتشار الثقافية الغربية ومثلها وأخلاقياتها، في مواطن عدة من العالم، حتى الشرقي منه.

تنامى الصراع بين القطبين السياسيين الكبار في العالم، في أول هذه الحقبة، وقويت الحرب الباردة بينهما، وتواصل التنافس في سباق التسلح وغزو الفضاء. حتى كان أن تورط الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، التي شهدت صراعا مريرا بين السلط الحاكمة الشيوعية، والمجموعات المناهضة لها والداعية لقيام حكومة ونظام إسلامي، والتي أطلق عليها اسم "المجاهدين"، ودخل الاتحاد السوفيتي بقضه وقضيضه وحديده، لينصر الحكومات التي شهدت انهيارا أمام المجاهدين، وبعد عشر سنوات، خرجت القوات السوفيتية مهزومة ومنهكة من أفغانستان. وكانت قد استنفدت ميزانية مالية كبرى، إضافة إلى المصاريف المحمومة لمجاراة سباق التسلح والتنافس في غزو الفضاء، فكان أن انهار الاتحاد السوفيتي، بعد مشكلات داخلية عدة، وتفرق إلى دويلات، أعظمها روسيا، التي تورطت مرة أخرى في الشيشان، البلد الصغير المطالب بالاستقلال، وما هي إلا حوالي سنتين، حتى خرجت جيوشه مهزومة. وكل هذه المحن جعلت المنطقة تعتمد اعتمادا كبيرا على العالم الغربي، وأضحت عدة دول من الاتحاد السوفيتي السابق، والدول الحليفة له، تسعى لتحويل تبعيتها للحلف الغربي، ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية، التي أضحت القوة العظمى الوحيدة، التي تحاول بسط سيطرتها ونفوذها على العالم.

أدى انهيار الاتحاد السوفيتي إلى تغيير خريطة العالم. فمع انقسامه إلى دويلات، انقسمت دول كانت حليفة له على نفسها، منها ما كان سلميا، مثل تشيكسلوفاكيا، التي انقسمت إلى دولتين تشيكيا وسلوفاكيا، ومنها ما شهد حروبا

ومعارك دامية، من أجل تحقيق ذلك، مثل ما حدث في يوغسلافيا سابقا، التي أضحت دويلات عدة، وقد شهدت مذابح عنيفة، ومعارك مميتة، ولاسيما ضد المسلمين البوسنيين.

إذن فقد انهار العالم الشيوعي، وتبين فشل النظريات الماركسية، ولم يتبق من الدول المتمسكة به سوى القليل منها، لا تكاد تعد على الأصابع. حتى إن أعظمها، وهي الصين، تدخل على أنظمتها إصلاحات رأسمالية، ولاسيما في الجانب الاقتصادي شيئا فشيئا.

وشهدت ألمانيا التي كانت مقسمة، عودة توحيدها ثانية، لتصبح دولة واحدة، بعد تحطيم جدار برلين، الذي كان يقسم المدينة. كما أن أوروبا مجموعة، تسعى لتكون نوعا من الاتحاد فيما بينها، ولاسيما اقتصاديا، حتى لا تفقد دورها على العالم. وقد قررت دول عدة إزالة إجراءات الحدود فيما بينها، فيما يتم تباحث توحيد العملة الأوروبية.

في المقابل، شهدت إفريقيا حدثا بارزا، تمثل في انهيار النظام العنصري هناك، بل إن رئيس جنوب إفريقيا الحالي، هو أحد المواطنين الأصليين، ومن الزنوج. إلا أن الحياة في غيرها من الدول الإفريقية، لا تزال تشهد أحداثا متلاحقة ومتعددة، منها ما هو كوارث طبيعية، ولاسيما الجفاف والمجاعة، وانتشار بعض الأمراض الخطرة، و منها ما هو سياسي، سواء مشكلات داخلية، مثل الصومال وليبيريا والجزائر وغيرها، أو ما بين الدول ببعضها، مثل منطقة القرن الإفريقي، التي نتج عنها استقلال إرتريا عن أثيوبيا، ولا تزال المشكلات قائمة ما بين السودان وجاراتها، التي هي على الدوام ما بين مد وجزر. كما تميزت المنطقة بكثرة الانقلابات العسكرية.

ولا تزال المعارك تعصف بعدة دول آسيوية، ولعل أبرزها اثنان، هما نجاح الثورة في إيران، وقدرة المجاهدين الأفغان على دحر المارد السوفيتي الشيوعي. أما الثورة الإيرانية، فبعد صراع مرير مع الشاه وأعوان حكومته، تمكنت الثورة الخمينية من تحقيق نجاحها والانتصار وتكوين دولة شيعية، متحدية كل الصعوبات التي واجهت طريقها، حتى الحرب الطويلة التي قامت بينها وبين العراق، فقد تمكنت من الوقوف فيها موقفا صلبا، رغم عزلتها، مقابل التأييد الكبير الذي كان يحظى به خصمها.

وتمكن المجاهدون الأفغان، بعد أن انطلقوا من خطوات ومعدات بسيطة، من دحر القوة العالمية العظمى الثانية المتمثلة في الاتحاد السوفيتي، بعد قتال دام عشر سنوات، الأمر الذي ساهم بقسط كبير في انقسام الاتحاد السوفيتي على نفسه دويلات متعددة. إلا أن هذا الانتصار، انقلب إلى كارثة مريرة بين المجاهدين أنفسهم، وقامت بينهم معارك عدة، طال أمدها، وطغت أحداثها على المعجزة التي حققوها، بدحر إحدى قوى العالم الكبرى.

ولعل أسوأ المعارك شدة في المنطقة، الصراعات المسلحة الداخلية، في كل من بورما و سيريلانكا. كما لا تزال قضية كشمير تؤجج الموقف بين الهند وباكستان، تصل إلى درجة المصادمات العسكرية، بين الفينة والأخرى.

أما منطقة الشرق الأوسط، فلا تزال مشكلاته قائمة بسبب وجود الكيان الصهيوني، وما وقع بينه وبين الدول المجاورة من صراعات ومعارك. ودخلت لبنان دوامة صراعات داخلية، دامت خمسة عشر سنة ونيف، اشترك فيها الفلسطينيون، ودخلت إسرائيل معمعتها، واحتلت ما سمي بالشريط الحدودي، وتم تهجير الفلسطينيين من لبنان. أما الطارئ الجديد فهو عملية السلام التي تسعى الولايات المتحدة لإقامتها بين الكيان الصهيوني والفلسطينيين والدول المجاورة له.

وشهدت المنطقة أكبر حشد عسكري عالمي في تاريخها، لما غزا العراق الكويت، الأمر الذي أدى إلى خسائر فادحة، ولاسيما الاقتصادية منها والاجتماعية. وكانت المنطقة قبل ذلك شهدت انتعاش اقتصادية كبرى، ولاسيما في دول الخليج، بسبب المخزون البترولي الهائل.

وفيما أضحى التحدي العسكري للولايات المتحدة غير بارز على الساحة، فإن الصراع الاقتصادي ضدها سبب لها مشكلات كبرى ولا يزال، ولا سيما من جانب الدول الآسيوية الشرقية، وفي الجنوب الشرقي كذلك. ويأتي على رأسها اليابان، التي تكاد تكون القوة العظمى الأولى اقتصاديا، وكذلك الصين وكوريا الجنوبية وتايوان، وبعض دول جنوب شرقي آسيا، كسنغافورة وماليزيا.

أما الناحية العسكرية، فخفت حدة السباق نحو التسلح بين الدول الكبرى نوعا ما، وأضحى التنافس قائما حول كيفية تسويق السلاح في العالم، ولاسيما في المناطق التي تسمى ساخنة، وهي التي تشهد معارك أو خصومات، أو حتى خلافات. وانحصر سباق التسلح نوعا ما بين الدول الفقيرة والنامية، وتشهد منطقة

الشرق الأوسط أهم مواطن تسويق السلاح في العالم. أما السلاح الذي يصدر للبيع، فهو ما يسمى تقليدي، أما أسلحة الدمار الشامل، ولاسيما النووية منها، فتحتكرها دول معدودة، وتسعى لعرقلة مسار غيرها في امتلاكه، وأشرفت منظمة الأمم المتحدة على اتفاقية وضعت ضوابط تمنع بموجبها انتشار هذا النوع من السلاح، كما قامت دعوات عالمية عدة، تنادي بضرورة التخلص منه عالميا، ولاسيما بعد شهود العالم كوارث نووية عدة، لعل أشهرها مشكلة المفاعل النووي الروسي "تشيرنوبل".

وأضحى الإعلام قوة العصر التي لا يستهان بها، وتعددت وسائله، من مقروءة ومسموعة ومرئية، ثم دخلت الإعلامية، وتوجتها شبكات الاتصالات المعرفية "الإنترنيت INTERNET"، وما شابهها، كما أن الاعتماد أضحى كبيرا على الأقمار الصناعية، لتكون ثورة كبرى في الاتصالات[1].

تلك هي أهم ميزات الوضع الحالي، الذي قامت فيه مؤتمرات هذه الحقبة الستة، والتي سينعقد السابع منها عام ألفين بمونتريال بكندا.

---

(1) نظرا لأن الحقبة قريبة جدا ومعاصرة، لا توجد بعد كتب تؤرخ لها، لذا اعتمدت في سرد الملخص على المعلومات الخاصة.

المبحث الأول: المسار الإداري للمؤتمرات

يبدو أن الأمور الإدارية كانت مستقرة في هذه الفترة، ولاسيما بعد مؤتمر طوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، الذي أحدث بعض التحويرات اليسيرة في نظامه ومساره. ولم تبين الوثائق المتوفرة حدوث تغييرات أخرى في الأطر الإدارية، وذلك لسببين:

الأول: أن العناية بطباعة أعمال المؤتمرات لم تعد تفصيلية كالماضي، لما كانت تنقل جل أحداث المؤتمرات حتى الدقيقة منها. فما عدا مؤتمر طوكيو، الذي أشار إلى ما تم من تحويرات في إشارات قصيرة للموضوع، لا يتوفر حديث عن مثل هذه الإجراءات في سواه. كما أنه ما أمكن الحصول من وقائع أعمال مؤتمري "مكسيكو" سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، وتورنتو سنة ١٩٩٠م (١٤١١هـ) إلا على بعض المحاضرات التي ألقيت، وخلت من الشؤون الإدارية ومسارها.

الثاني: عدم نشر وقائع أعمال مؤتمر هونج كونج حتى الآن.

أما مؤتمر همبورغ لعام ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، فلم يصف أو يذكر أعمالا إدارية جديدة. ويبدو أن جلسات اللجنة التنظيمية والاستشارية، أضحت تطغى عليها السرية بدرجة ما، ولعل دخول المؤتمرات تحت إشراف "الاتحاد العالمي للدراسات الشرقية والآسيوية"، أسهم في هذا الجانب. فلم تعد توصيات المؤتمر وقراراته وأماله تذكر في الجلسات الختامية. فلم يذكر شيء من هذا بعد مؤتمر طوكيو. فقد خلت وقائع المؤتمر الثاني والثلاثين، الذي انعقد في همبورغ، من هذه الأمور في الجلسة الختامية. كما أن جلسة مؤتمر بودابست الختامية لسنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، خلت من أي ذكر للتوصيات تلك. كما لم نر في الجلسات تقديم أية مقترحات أو توصيات، كما كان يحدث في الماضي. إلا أن مثل هذا الأمر يحتاج إلى تدقيق بحثي، ولعل ذلك لا يظهر إلا بعد فترة من الزمن.

١ – التطوير في أنظمة المؤتمرات:

التطوير البارز في هذه الفترة، هو التعديل الجزئي الذي تم في مؤتمر طوكيو

الحادي والثلاثين، سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، ولم توضح أسباب إحداث ذلك التغيير. وهذا الموضوع تم طرقه وتحليله في موضعه[١]. أما ما سوى ذلك، فلم تظهر محاولات أخرى تسعى لتحوير النظام القائم أو حتى تتبرم منه. ولا يتضح السبب من وراء ذلك، أهو الرضا التام بالنظام الموجود، والاعتقاد بصلاحيته، أم أنها فترة هدنة مع النظام لفترة، ثم ستطالب فعاليات لاحقة بتحويره، أم أن شعبية المؤتمرات وفعاليتها بدأت تضعف شيئا فشيئا، ولاسيما لدى الغربيين، المسؤولين عمليا عن انعقادها. ففي مؤتمر بودابست الأخير، كان معظم الحضور من الشرقيين والبلدان المنبثقة عن الاتحاد السوفيتي السابق.

٢ – تحوير مسمى المؤتمرات:

انطلقت هذه الحقبة والمؤتمرات تحمل اسم "المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"،لكن هذا الاسم ما لبث سوى مؤتمرين، حتى دعا مؤتمر طوكيو إلى تبديله، ليصبح "المؤتمرات العالمية للدراسات المتعلقة بآسيا وشمال إفريقيا"، دون تفصيل أسباب هذا التحوير، كما كان مع المرة السابقة، وقد تم تفصيل الموضوع في محله[٢]. أما الجديد في الأمر في هذه الحقبة، والمرتبط كذلك بتحوير مسمى المؤتمر، هو العهد بالعديد من مهام اللجان المشرفة على أنعقاد المؤتمرات وسيرها إلى "الاتحاد العالمي للدراسات الشرقية والآسيوية"، ونص على سهره على ربط حلقة التواصل بين المؤتمرين: الأخير المنعقد والذي سيليه. وجاء هذا كذلك في مؤتمر طوكيو كذلك[٣].

٣ – مسار اللجان العلمية:

---

(١) سبق طرق هذا الموضوع ص ١٩٦ من الرسالة.

(٢) سبق طرق هذا الموضوع ص ١٩٧ من الرسالة.

(٣) هو بالملحق رقم ٩ ص ٦٢٠ من الرسالة.

لم يحدث جديد في هذا الإطار، كما لم تصدر قرارات في هذا الشأن أيضا. إلا أن الملاحظ أن التوصيات السابقة بأن تخفف عن الجلسات العلمية كثرة المساهمات، والتركيز أكثر على الجلسات العامة والندوات، يمكن ذكر ملاحظتين عنها، في هذه الحقبة الزمنية:

الأولى: أن المؤتمرات سعت عمليا للالتزام بهذا المسار. فقد ركز كل من مؤتمر مكسيكو سنة ١٩٨٦م (١٣٩٦هـ)، وطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، وهمبورغ سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، على إبراز العديد من الندوات والجلسات الجماعية، حتى إن مؤتمر مكسيكو ما طبع إلا ما عرض في هذه الندوات والجلسات. ولا يمكن الحكم على مؤتمري طورنتو وهونج كونج، لعدم وضوح الأمر في ما طبع لدى الأول، وعدم طبع أعمال الثاني.

الثانية: أن الازدحام لا يزال كبيرا في الدراسات التي تلقى في اللجان العلمية. وربما تزيد كثافة عن سابقيه. ولاسيما بعد إفساح المجال أمام علماء الشرق، ليلقوا محاضراتهم بكل حرية. بل إن المؤتمر الأخير "بودابست" سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، شهد كثافة في البحوث الدراسية، بحيث إنه لم تكن هناك جلسات علمية جماعية. بل إن الندوات، وهي قليلة العدد، كانت تقام في الوقت نفسه الذي تعقد فيه اللجان العلمية جلساتها، فأضحت الندوة شبيهة بالجلسة العلمية. وهو ما ينبئ بعودة المؤتمرات لما كانت عليه في السابق، قبل أن تحدث تحويرات على مسارها العام، الإداري والعلمي.

٤ ــ طباعة أعمال المؤتمرات:

منذ نشأة المؤتمرات، وطريقة طباعة أعمالها تتغير بين الفينة والأخرى. ودار نقاش مرات عدة حول كيفية الطباعة[1]. وشهدت الفترة أنماط من أنواع الطباعة كذلك. فمؤتمر مكسيكو مثلا، طبع أعمال الندوات في ثلاث مجلدات، وقد خلت تلك المطبوعات من أي حديث عن مسار المؤتمرات. أما مؤتمرا طوكيو

(١) سبق طرق هذا الموضوع ص ٢٠٧ – ٢١٠ من الرسالة.

الحادي والثلاثون، وهمبورغ الثاني والثلاثون، فقد سردت دراسات المؤتمر باختصار، كذلك تعرضت لمسار أعمال المؤتمرات باختصار، لكن أمكن من خلاله التعرف على مسار المؤتمرات.

أما المؤتمر الثالث والثلاثين بتورنتو سنة ١٩٩٠م (١٤١١هـ)، فقد تمت فيه طباعة أعماله الدراسية في أربع مجلدات دون الحديث عن مسار المؤتمر العام. هذه المجلدات حملت اسما ثابت للجميع، وهو "Contact between Cultures تلاقح الثقافات". وهذه المجلدات تم توزيعها حسب مناطق جغرافية ثلاث:

١ - المجلد الأول: West Asia and North Africa[1] غرب آسيا وشمال إفريقيا.

٢ - المجلد الثاني: South Asia [2] جنوب آسيا.

٣ - المجلد الثالث: Eastern Asia: Literature and Humanities[3] آسيا الشرقية: الأدب والإنسانيات.

٤ - المجلد الرابع: Eastern Asia: History and Social Sciences[4] آسيا الشرقية: التاريخ والعلوم الاجتماعية.

أما المقالات، فقد تم نشرها بعد تصنيفها تحت العديد من العناصر، الجامعة لمجموعة معينة من المقالات، من مثل التاريخ واللغة والأدب والفن والدين والثقافة والفلسفة والفكر وغيرها[5].

أما التوزيع الجغرافي للمناطق، فقد ورد كما يلي:

---

(1) Contact between Cultures: West Asia and North Africa – Volume 1 – Edited by A. Harrek – 33 ICANAS – USA – The Edwin Mellen Press – 1992 .

(2) Contact between Cultures: South Asia – Volume 2 – Edited by K. I. Koppedrayer – 33 ICANAS – USA – The Edwin Mellen Press – 1992 .

(3) Contact between Cultures: Eastern Asia: Literature and Humanities – Volume3 – Edited by K. I. Koppedrayer – 33 ICANAS – USA – The Edwin Mellen Press – 1992

(4) Contact between Cultures: Eastern Asia: History and Social Sciences – Volume 4 – Edited by K. I. Koppedrayer – 33 ICANAS – USA – The Edwin Mellen Press – 1992

(5) In Volume 1 – p. XII.

Volume 2 – p. XI.
Volume 3 – p. XIV.
Volume 4 – p. XV.

– المجلد الأول: ويحتوي على آسيا الوسطى وإفريقيا الوسطى وأناضوليا الغربية واليونان[١].

– المجلد الثاني: ويحتوي شبه القارة الهندية والباكستان وسيريلانكا[٢].

– المجلد الثالث: ويحتوي آسيا الشرقية ومنطقة آسيا الشرقية وداخل آسيا وجنوب شرقي آسيا[٣]، وهذه هي نفسها الموجودة في المجلد الرابع[٤].

ذاك هو توزيع طباعة أعمال المؤتمرات في هذه الحقبة الزمنية من مسيرة المؤتمرات، أما المؤتمران التاليان، هونج كونج لعام ١٩٩٣م (١٤١٣هـ)، وبودابست سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، فلم يتم نشرها بعد، وسبب ذلك المصاعب المادية التي يعاني منها الذين قاموا على مؤتمر هونج كونج، كما أخبرني بذلك رئيسه، وأما مؤتمر بودابست فلا يزال حديث العهد.

تلك هي إذن سمات الأطر الإدارية في هذه الحقبة من عمر مؤتمرات المستشرقين العالمية، ويمكن القول أن هذه الشؤون الإدارية والتنظيمية للمؤتمرات شهدت نوعا من الاستقرار، ولاسيما في الأطر الأساسية، رغم أن هناك نوعا من الإهمال في تطبيق النظم المتفق عليها سابقا.

---

(1) Volume 1 – p. XII.

(2) Volume 2 – p. XI.

(3) Volume 3 – p. XIV.

(4) Volume 1 – p. XV.

المبحث الثاني: المسار العلمي للمؤتمرات

في هذه الحقبة من عمر المؤتمرات، شهدت الدراسات العلمية تطورات متلاحقة. فهي من جهة عمدت إلى زيادة عدد الندوات والحلقات والجلسات ذات الصبغة الجماعية، وحاولت من جهة أخرى التركيز على الموضوعات المعاصرة، والتي تتعلق بالتنمية والاقتصاد والاجتماع وغيرها. وهذا ملاحظ بوضوح خاص من خلال مطبوعات الندوات في المؤتمر الثلاثين. إلا أن مؤتمري همبورغ وتورنتو، في سنتي ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، و١٩٩٠م (١٤١١هـ)، مزجت بين القديم والحديث. أما في مؤتمر بودابست سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، فقد تمت العودة بمسميات اللجان إلى النمط القديم، وترك المجال للدراسات لتكون حرة، تخضع لاختيارات أصحابها. ويبدو أنها مسايرة لدعوة هونج كونج ١٩٩٣م (١٤١٣هـ)، الذي دعا لأن تواصل المؤتمرات مسارها القديم[1]. ومن هنا، فإن المسار العلمي للمؤتمرات، لم يكن ثابتا مثل المسار الإداري. وحتى يتم تبين ذلك، سيتم طرق الموضوع بدراسة الجانبين، اللجان الدراسية، والندوات العامة.

١- اللجان العلمية في مؤتمرات هذه الحقبة:

عقد في هذه الفترة ستة مؤتمرات. ونظرا لقرب عهدها من وقتنا هذا، ١٩٩٨م (١٤١٨هـ)، فإن هناك بعض المعوقات التي يتعرض لها الباحث للحصول على المراجع المناسبة. فلم يتم إعداد وقائع أعمال المؤتمر الخامس والثلاثين للطبع، كما أن المؤتمر الخامس والثلاثين، والذي تم الاعتماد فيه على الكتيب الخاص ببرنامج المؤتمر، والذي تم توزيعه بداية المؤتمر. أما المؤتمر الثلاثين، فهو لا يكاد يدخل مجال الدراسة، لأنه لم تنشر وقائع أعماله، ولم يتم الحصول إلا على ما طبع من أعمال الندوات فقط. وفيما يخص المؤتمر الثالث والثلاثين، بتورنتو، الذي طبع بطريقة مغايرة للكيفية المتبعة أصلا، فسيتم الاعتماد

---

(١) سبق الحديث عن هذه الدعوة ص ٣١٩ - ٣٢٠ من الرسالة.

على ما تم توضيحه في مقدمة كل طبعة، وقد لا تكون بالغة الدقة، لكـــن ببــذل الوسع فيما توفر، من باب ما لا يدرك كله لا يترك كله.

ومن هنا، ستكون الدراسة مرتكزة بدرجة كبرى علـــى مؤتمـــري طوكيـــو وهمبورغ، الدقيقين الوحيدين في هذا المجال، لسردهما وقائع الأعمال العامـــة، لكن بالاستعانة بالمؤتمرات الأخرى قدر المستطاع. وحتى تتضح الدراسة، ســيتم اتباع الأسلوب المستخدم مع الحقبة السابقة[1].

ومما يمكن استخلاصه من دراسات هذه الحقبة ما يلي:

- وفقا للتوجهات الجديدة، فقد ظهرت لجان جديدة تماما، وحديثة لم تطــوح من قبل[2]. والملاحظ أن هذه اللجان الحديثة ورد معظمها في المؤتمـــر الحـــادي والثلاثين، الذي ظهرت فيه ست عشرة لجنة جديدة، ثم اثنتان في كل من الثـــاني والثلاثين والثالث والثلاثين والخامس والثلاثين.

- الملاحظة الأخرى، تتمثل في غلبة الدراسات المتعلقة بشرقي آسيا علـــى غيرها من الموضوعات. فقد ذكر انعقاد لجنة بعنوان "شرقي آسيا"، فـــي ثـــلاث مؤتمرات، فيما كانت موضوعا دراسيا في أربع مؤتمرات. هذا إضافة إلى وجـــود لجنتين عن كل من "الدراسات الصينية"، و "الدراسات اليابانيـــة"، وواحـــدة عـــن "الدراسات الكورية".

- ازداد الاهتمام بجنوب شرقي آسيا في هذه الحقبة، إذ عرضـــت لجنتيـــن تحمل اسم "جنوب شرقي آسيا"، في المؤتمريـــن الثـــالث والثلاثيـــن والخـــامس والثلاثين، فيما كان موضوعا دراسيا في أربع مؤتمرات، فإضافة إلى المؤتمريـــن السابقين وجدت ف الحادي والثلاثين والثاني والثلاثين.

- ورد في هذه الحقبة ما سمي "داخل آسيا Inner Asia"، كما درس وســـط آسيا أيضا وجنوبها، في لجان عدة، فكان داخل آسيا موضوعا فـــي المؤتمريـــن الثاني والثلاثين والثالث والثلاثين، وفيهما أيضا وردت موضوعات وســـط آســـيا وكذلك في المؤتمر الخامس والثلاثين. وبذا، تكون المؤتمرات قد تناولت بـــالتحليل

---

(1) تم إيراد جدول اللجان الخاصة بهذه الحقبة بالملحق رقم ٣٦ ص من الرسالة.

(2) هذه اللجان الجديدة جمعت في جدول بالملحق رقم ٤٠ ص ٨٤٣ من الرسالة.

آسيا كلها، ولاسيما إذا أضفنا إليها الشرق الأدنى والشرق الأوسط، والبلدان الآسيوية المذكورة مثل الباكستان وسيريلانكا وغيرها.

- من الملاحظ أيضا أن المؤتمرات لم تلتزم بحدودها الجغرافية التي سطرتها لنفسها، بل تجاوزتها لغيرها. فقد عينت لجنة باسم "إفريقيا الوسطى"، في المؤتمر الثالث والثلاثين. وفي المؤتمر الحادي والثلاثين، وردت لجنة تحمل اسم "دور الاقتصاديات في الدراسات الآسيوية والإفريقية"، وتوحي بأنها تشمل كامل إفريقيا، في حين أن المؤتمرات تحدد الجهة الجغرافية لها بآسيا وشمال إفريقيا فقط.

- نلحظ عودة للحديث عن نصارى الشرق، وذلك في المؤتمر الثاني والثلاثين بهمبورغ سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، كما نلاحظ عودة العديد من الموضوعات القديمة، منها على سبيل المثال الآثار واليونان والعبرية والعثمانيون والعرب واليابان والصين وغيرها.

- أما الدراسات الإسلامية، فإننا نجدها قد طرحت بشكل عام في المؤتمرات الحادي والثلاثين والثاني والثلاثين والخامس والثلاثين، فيما وردت لجنة تحمل اسم "الحركات الدينية الإسلامية"، في المؤتمر الحادي والثلاثين.

هذه هي أهم الملحوظات التي يمكن استخلاصها من خلال اللجان العلمية والموضوعات الدراسية التي تم عرضها في هذه الحقبة الزمنية من حيات مؤتمرات المستشرقين العالمية.

٢ — الندوات العامة والملاحظات المستخلصة منها:

لقد جاءت توصيات ما قبل هذه الحقبة بتكثيف الندوات والجلسات ذات الصبغة العامة. وهذا ما تم العمل به في هذه الفترة من عمر المؤتمرات. أما الدراسات المعروضة في هذه الندوات، فقد تم ذكرها سابقا(١). أما أهم ما يلاحظ حولها فهو ما يلي:

---

(١) مر ذكر تلك الدراسات بالملحق رقم ٣٠ ص ٨٠٤ من الرسالة.

انطلقت هذه الدراسات بكثافة في هذه المؤتمرات إلا المؤتمر الأخير الخامس والثلاثين، الذي تقلصت فيه بصفة لافتة للانتباه. ففي المؤتمر الثلاثين بمكسيكو كان عدد الندوات إحدى عشرة، وفي مؤتمر طوكيو الحادي والثلاثين، كانت عشرة، ثم ستة عشر في همبورغ سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، وهو الثاني والثلاثين. وفي حين لا يتضح الأمر في المؤتمرين الثالث والثلاثين والرابع والثلاثين، فإنّ المؤتمر الخامس والثلاثين، شهد تقلصا كبيرا في العدد، فهي ليست سوى خمس ندوات فقط: منها اثنتان خاصتان، تتعلق الأولى بجلسات "الاتحاد العالمي للمكتبيين الشرقيين IAOL"، والأخرى تتعلق بالدراسات العثمانية "CIEPO".

وإذا أردنا تصنيف الدراسات هذه، ما يلي:

– ست جلسات تتعلق بدراسات صينية، أربع منها في المؤتمر الثاني والثلاثين وواحدة في كل من الحادي والثلاثين والخامس والثلاثين.

– أربع تتعلق بالآثار والنقوش، ثلاث في المؤتمر الحادي والثلاثين وواحدة في الثاني والثلاثين.

– ثلاث تتعلق بالعلاقات بين آسيا وأمريكا اللاتينية، وكلها عرضت في المؤتمر الثلاثين.

– ثلاث تتحدث عن مسائل ريفية، اثنان منها في المؤتمر الثلاثين، وأخرى في الثاني والثلاثين.

– ثلاث جلسات تتحدث عن المسائل الدينية، واحدة في المؤتمر الثلاثين واثنتان في المؤتمر الثاني والثلاثين.

– ثلاث أخرى تتعلق بالفكر والحضارة، وكلها جاءت في أعمال المؤتمر الثلاثين.

– اثنتان عن اليابان، في المؤتمر الحادي والثلاثين.

– اثنتان عن أثر الحاسوب في الشرق ودراساته. وانعقدت كل ندوة في المؤتمرين الحادي والثلاثين والخامس والثلاثين.

– اثنتان عن التبادل الثقافي بين الشرق والغرب، في المؤتمرين الحادي والثلاثين والثاني والثلاثين.

- جلسة عن النفط والاستشراف العالمي، وهي بالتالي عن التخطيط الاقتصادي، وذلك في المؤتمر الثلاثين.

- حلقة ندوات عن التجارة وطرق البحث فيها والتخطيط المركزي لها في المؤتمر الحادي والثلاثين.

- ندوة استشراقية، في المؤتمر الخامس والثلاثين وتتعلق بتاريخ الدراسات الشرقية.

- جلسة عن مخطوطات الشرق الأوسط، وذلك في المؤتمر الثاني والثلاثين.

دارت ندوة عن النصرانية في آسيا في المؤتمر الثاني والثلاثين.

- ندوة أخرى في المؤتمر الثلاثين، وتتحدث عن دور القوات المسلحة، كعامل من عوامل التغيير الاجتماعي.

- تحدثت جلسة أخرى عن الانتحار في آسيا، وذلك في المؤتمر الثاني والثلاثين.

- وعن الدراسات البوذية، تم تناول "مبدأ الفردية في التقليد البوذي في آسيا"، وذلك في المؤتمر الثاني والثلاثين.

- الإبستيمولوجيا الهندية "هيتو"، حقيقة وبديهة، كانت إحدى ندوات المؤتمر الثاني والثلاثين.

هذا وقد ألغيت ندوة عن الشخصيات البارزة في جنوب شرقي آسيا، كانت ستلقى في المؤتمر الثاني والثلاثين.

ومما يمكن ملاحظته عن هذه الندوات ما يلي:

أولا: أن معظم هذه الندوات تناولت قضايا حيوية معاصرة، وشملت جوانب مختلفة من الحياة اليومية المعاشة في الشرق.

ثانيا: إذا تم تصنيف هذه الندوات وفق الموضوعات الكبرى، فإن معظمها ذات صبغة اجتماعية (تسع جلسات)، ثم المسائل الدينية (ست)، ومسائل الثقافة وتبادلها بين الشعوب (ست)، ودراسة النقوش والآثار، والتقنية الحديثة في ذلك (أربع)، والدراسات الصينية (أربع)، والحضارة والفكر (أربع)، ثم الدراسات الاقتصادية (ثلاث)، والعلاقات السياسية (ثلاث).

٣ – تحليل مسار الجلسات والندوات ومناقشتها:

بالنظر إلى الصورة الإجمالية للجلسات العلمية والندوات الجماعية، نجد تجديدا نوعيا في الدراسات والأبحاث. فقد كان للنقلة الكبرى في تحوير سياسة المؤتمرات، والدعوات نحو إصلاحها وتصحيح مسارها، نتائجها العلمية والتنظيمية عموما، إضافة إلى التوسع البشري، بحيث لم تعد الأنشطة حكرا على الغربيين، بل كان لغيرهم من الشعوب دور هام في المؤتمرات. أما نوعيات التجديد فيمكن حصرها في ثلاثة جوانب أساسية، وهي الثقافة والاقتصاد والتحولات الاجتماعية، مع زيادة في الدراسات التاريخية والدينية والسياسية.

أ – التأثير الثقافي في اختيارات اللجان:

دخل المفهوم الثقافي في معمعة الصراعات العالمية، والمنافسات الدولية، ولاسيما بين الثقافة الغربية من جهة والثقافة الشرقية من جهة أخرى، كما ظهر الصراع كذلك بين الموروثات الثقافية التقليدية، وما ظهر من ثقافات معاصرة، وأضحت الثقافة شعار يرفعه العديد من التيارات العالمية، حتى إن الثورة الشيوعية في الصين أسمتها بالثورة الثقافية، ووجدت بالتالي تحليلات دراسية وتنظيرات معرفية، تتعلق بالثقافة والصراع الثقافي، كما ظهرت نظريات صراع الحضارات.

كما ظهرت مصطلحات من مثل الثقافة والتنمية، والثقافة والتطور الحضاري، والثقافة والرقي الاجتماعي...وغيرها من المصطلحات، وكلها ترى أن الثقافة هي أساس تلك المقومات. وانبرت الدعوة لما تم تسميته "العولمة الثقافية".

والمستشرقون، بوصفهم يسايرون الواقع الذي يعيشونه، كما تبين ذلك في العديد من المرات، طرحوا بالتالي الموضوعات الثقافية المتنوعة؛ في هذه الحقبة من المؤتمرات، وكان لها نصيب الأسد من الاهتمامات، ودخلوا بذلك في مضمار الصراع الثقافي والحضاري، ربما مساهمة منهم في تحويل نظر المستشرقين إلى الاهتمام بهذا الجانب، وربما صرف أنظارهم عن موروثاتهم الثقافية والحضارية،

والغوص في مقومات الغرب والعب منها، حسب قاعدة البقاء للأصلح وهو القوي لدى العديدين، وبالتالي إعادة تشكيل المجتمع الشرقي، وفق المعطيات الغربية، بعد أن أمكن التعرف الدقيق على الشرق.

وفي هذا المجال وردت لجان عدة وموضوعات متنوعة، تتعلق بالثقافة. من ذلك: "دور النخبة الفكرية في المجتمعات الآسيوية الحديث[1]، "التحولات الدينية والهيمنة الثقافية"[2]، وهما ندوتان أقيمتا في المؤتمر الثلاثين، وعقدت ندوة في المؤتمر الثاني والثلاثين بعنوان "تفاعل الأدبين الشرقي والغربي"[3]، أما اللجان العلمية الجديدة في هذه الحقبة، والتي تناولت الموضوع بالدرس، "الأدوار التي لعبها المثقفون في القانون والسياسة"[4]، و"الصلاة اللغوية والثقافية بين شعوب الشرق وشعوب جنوب شرقي آسيا"[5]، و"العلاقات التقليدية والعلاقات القائمة بين الثقافات في الموسيقى والرقص والمسرح"[6]، و"العلاقات الثقافية والاقتصادية بين الشرق والغرب: الطرق البرية والطرق البحرية"[7]، في المؤتمر الحادي والثلاثين، وغيرها من الموضوعات المتعلقة بهذا الجانب، وهذه الأمثلة تدلل بوضوح المدى المتسع الذي يستخدم فيه مصطلح الثقافة، إذ ربطت بين الثقافة من جهة والمفكرين والدين واللغة والفنون والاقتصاد، وهكذا.

---

(1). S. N. Ray and Graciela de La Lama: The role of the Intelligentsia in Contemporary Asian Societies - XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) - El Collegio de Mexico - Primira editcion - 1981.

(2) David N. Lorenzen - Religious Change and Cultural Domination - XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) -- El Collegio de Mexico - Primira editcion - 1981.

(3) Proceeding of the XXXII International Congress for Asian and North African Studies - Hamburg - 1986 – pp. 639 – 641.

(4) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 - Vol. II - p. 693.

(5) Ibid. - Vol. II - p. 801 .

(6) Ibid. – Vol. II - p. 645.

(7) Ibid. – Vol. I - p. 363 .

ب – التأثير الاقتصادي في اختيارات اللجان:

درست مؤتمرات ما قبل هذه الحقبة بعض الجوانب الاقتصادية. لكن مؤتمرات هذه المرحلة عينت له لجانا وندوات مخصوصة، ولاسيما بعد أن احتدم ما سمي بالحرب الاقتصادية بين الدول، وكلها تبحث عن أسواق لترويج بضائعها، وبخاصة أن جل بلدان الشرق تعد أسواقا استهلاكية. وزاد التنافس بظهور قوة الشرق الأقصى الاقتصادية، ولاسيما اليابان، التي أضحت قوى اقتصادية ذات فلسفة خاصة نافست به أوروبا وشمال أمريكا، حتى في الأسواق الغربية ذاتها. ثم هي حققت فائضا اقتصاديا كبيرا، ثم إن دول آسيوية عدة تسعى لتحذو حذوها، وهذا الأمر شد انتباه الغرب، الذي قام يدعو لعقد معاهدات تدعو لتنظيم التجارة العالمية، وتعددت تلك المعاهدات وتنوعت.

هذه القضية الهامة، التي طرحت على الساحة العالمية جمعاء، شدت انتباه رجال الفكر عموما، ومن ضمنهم المستشرقون، الذين أوردوها كذلك لتبحث في التجمع الاستشراقي العالمي، المتمثل في مؤتمراتهم العالمية. ولعل أهم مؤتمر طرحت فيه مثل هذه الموضوعات، هو مؤتمر طوكيو، سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، وفيه بيان لأثر البيئة المعاشة في المؤتمرات. فالشغل الشاغل لليابانيين هو الاقتصاد والتنمية الاقتصادية، التي دخلت نفوس اليابانيين كافة، وبالتالي، فإن المستشرقين اليابانيين وجهوا المؤتمر هذه الوجهة، ولاسيما أن دراساتهم الاستشراقية ذاتها، تصب غالبا في هذا المجال الاقتصادي.

هذا وقد ورد في هذه الحقبة العديد من اللجان والندوات. يذكر منها ندوة عن "النفط والاستشراف العالمي"[1]، في المؤتمر الثلاثين، وانعقدت في المؤتمر الحادي والثلاثين حلقة دراسية متخصصة تحمل عنوان "الدراسات التجارية، طرق البحث والتخطيط المستقبلي"[2]. ومن اللجان الجديدة التي تعلقت بموضوع الاقتصاديات في هذه الحقبة، يمكن ذكر "دور الاقتصاديات في الدراسات الآسيوية

---

(1) Victor L. Urquidi and Ruth R. Toller: Oil and International Outlook - XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) - El Collegio de Mexico - Primira editcion - 1981 .

(2) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - Vol II - 907.

والإفريقية"[1]، "العلوم التقليدية والتكنولوجيا"[2]، "المعادن الثمينة والنقود في المراكز المهنية في شرقي آسيا وجنوبها وجنوب شرقيها"[3]، إضافة إلى اللجنة المذكورة أعلاه، وعلاقتها بالثقافة.

ج – التأثير الاجتماعي في اختيارات اللجان:

عم الكون ظواهر جديدة بعد الحرب العالمية الثانية، وبرزت صراعات كونية من نوع جديد، مثل الثقافة والاقتصاد. وامتاز العصر بكثرة المنتجات الكمالية، وعمت ظاهرة الإقبال عليها، وانتشر الإعلام وتقاربت المسافات بين الشعوب بفعل وسائل الاتصالات المتطورة، وتقاربت الشعوب بالتالي. كما قامت ثورات على التقاليد والعادات، وظهرت الغزوات الفكرية والثقافية، وانتشرت وسائل التثقيف والمعرفة، وظهرت بالتالي شعارات عدة تنادي بالحريات العامة، كحرية العامل وحرية المرأة وحرية الصحافة والإعلام، وحقوق الإنسان وحقوق الأقليات وظاهرة التنظيم العائلي، وغيرها من الشؤون الاجتماعية الخاصة بالمجتمعات. هذه المقومات الاجتماعية، أضحت لها أهمية عالمية كبرى، بحيث أضحت تتخذ أسلوب ضغط على الدول، ولاسيما الشرقية منها.

هذه القيم الاجتماعية العالمية، تناولها العديد من المفكرين والمثقفين بالدرس والتحليل، وكثر الحديث حولها، بوصفها إحدى التوجهات الثقافية العالمية، ومسايرة لهذا التيار، تناولها المستشرقون كذلك ودرسوها، وبالتالي ظهرت في مؤتمراتهم. ولاسيما في الحقبة الأخيرة هذه. ففي المؤتمر الثلاثين، عقدت ندوات حول الموضوع، وهي "القوات المسلحة كعامل تغيير اجتماعي"[4]، "الهجرات

---

[1] Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 - Vol. II - p. 779.

[2] Ibid. - Vol. I - p. 447.

[3] Ibid. – Vol. I – p. 435.

[4] Claud Heller: The Military as an Agent of Social Change - XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) - El Collegio de Mexico - Primira editcion – 1981.

الآسيوية في أمريكا اللاتينية"[١]، "التحضر، التطور المبكر، النزعات والتوقعات الحالية"[٢]، الفلاحون والوحدة الوطنية"[٣]، "الشعوب البدوية والحضرية"[٤]. وعقدت ندوة حوارية تتعلق بـ"التقاليد الاجتماعية-الثقافية في اليابان"[٥] في المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو. وأقيمت ندوة في المؤتمر الثاني والثلاثين تحمل عنوان "الأسلوب السياسي للبدو الرعاة: مسألة القبيلة"[٦]، وأخرى حول "الانتحار في آسيا"[٧]. كما وردت لجان تتناول الموضوع ذاته، ومما ورد جديدا في اللجان العلمية، "التحولات الاجتماعية والدينية في آسيا"[٨]، و"الحكومات الملكية والتقاليد الاجتماعية الدينية في الشرق الأدنى القديم"[٩]، و"المدينة فيما قبل العصور الحديثة"[١٠]، وذلك في المؤتمر الحادي والثلاثين.

د – تحليلات أخرى للمسار العلمي:

(1) Luz M. Martinez Montiel: Asiatic Migration in Latin America - XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) - El Collegio de Mexico - Primira editcion - 1981.

(2) Luis Unikel: Urbanization, Early development, Current Trends and Prospects - XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) - El Collegio de Mexico - Primira editcion - 1981.

(3) Celma Aguero: Peasantry and National Integration - XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) - - El Collegio de Mexico - Primira editcion - 1981.

(4) Jorge Silva Castello: Nomads and Sedentary Peoples - XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) -- El Collegio de Mexico - Primira editcion - 1981.

(5) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - Vol II – p. 1041.

(6) Proceeding of the XXXII International Congress for Asian and North African Studies - Hambourg - 1986 - pp. 617 - 619.

(7) Ibid. - pp. 633 - 638.

(8) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 – Vol. II – p. 857 .

(9) Ibid. - Vol. I - p. 97.

(10) Ibid. – Vol. I - p. 65.

مر بنا غلبة دراسات شرقي آسيا وجنوب شرقيها عموما على المؤتمرات، سواء من ناحية اللجان أو الندوات. وهذا يرجع بصفة خاصة إلى الأثر الاقتصادي، لوجود اليابان هناك والصين وتايوان وهونج كونج وكوريا التي ظهرت قوى اقتصادية. كما أن جنوب شرقي آسيا، كانت تحاول شق طريقها في هذا الاتجاه، ومن باب الصراع الاقتصادي، وضعت تلك المناطق تحت المراقبة والاهتمام، ومن هنا كانت العناية بها شاملة، من ضمن هؤلاء المراقبين، المستشرقون، الذين درسوها في مؤتمراتهم.

وتواصلت العناية في هذه الحقبة بدراسة مناطق الاتحاد السوفياتي السابق، ولاسيما بسبب المشكلات التي أضحت تعانيها الحكومة، بعد تورطها في أفغانستان، والنكسات التي لاقتها هناك، وأثر ذلك لاحقا في سياسة الدولة وإطارها الجغرافي، التي ما لبثت أن انقسمت على نفسها. ثم إن روسيا تورطت مرة أخرى في الشيشان، وخرجت كذلك بعد فشلها، وقد طرحت دراسات حول الشيشان[1] في المؤتمر الخامس والثلاثين الأخير. وبما أن انهيار الاتحاد السوفياتي كان سريعا جدا، فالمنطقة شدت انتباه العالم السياسي والاجتماعي والثقافي، لتباحث تلك الظاهرة، ولاسيما لانهيار النظرية الشيوعية، وبيان فشلها في قيادة المجتمعات، ولاسيما أنه لم تعد هناك قوة عظمى ثانية بعد، تنافس الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي ما انعكاس ذلك على الساحة العالمية.

أما آسيا، التي غلبت على دراسات المؤتمرات، فهي لا تزال تعاني من مشكلات سياسية شائكة، وصراعات كبرى، داخلية وخارجية، فأفغانستان بعد انتصارها على الروس، قامت صراعات عنيفة بين فرق المجاهدين فيها، ولا تزال كشمير تشعل فتيل المشكلات بين الباكستان والهند، اللتين تسعيان لامتلاك أسلحة الدمار الشامل. كما أن نجاح الثورة الإيرانية، وقيام حرب عسكرية طويلة بين إيران والعراق، وانتشار مقولة خطر الثورة الإيرانية على المنطقة. وتدخل العراق بعدها في الكويت، أثره في مزيد شد الاهتمام بالمنطقة. هذا إضافة إلى المشكلات المتنامية في الشرق الأوسط، بسبب الكيان الصهيوني، وما حصل في

---

(1) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 - Programme – p 61 .

لبنان، من صراعات داخلية، وتدخلات خارجية، ومساعي توحيد البلد مرة أخرى. هذا إضافة إلى المشكلات الأخرى، في كمبوديا وسيريلانكا، وغيرها.

كل هذا جعل من آسيا محط انتباه ودراسات وتحليلات، من متخصصين عديدة، ومن هؤلاء المستشرقون، الذين عرضوها في مؤتمراتهم، المتخصصة أصلا في آسيا، والتي ترى لها أولوية الاهتمام أكثر من غيرها من الفعاليات العالمية، الثقافية والعلمية.

وازداد الاهتمام بنصارى الشرق، ولاسيما الشرق الأوسط، ويبدو أن للحرب الأهلية التي تواصلت على مدى خمسة عشر سنة ونيف، أثرها في ذلك. فقد كان نصارى لبنان أطرافا مباشرة في ذلك الصراع المسلح، بل كانوا أنفسهم فرقا متعددة، تحدث بينهم معارك، وبينهم وبين غيرهم من الطوائف المسلمة، بل إن بعضهم كان يتحالف مع الكيان الصهيوني، ولاشك أن هذه الطوائف النصرانية تحظى بقدر كبير من الاهتمام الأوروبي، ولاسيما فرنسا، ومن هنا ظهروا على الساحة العالمية، ووجهت دراسات وتحليلات عنهم ومستقبلهم السياسي، ومستقبل وجودهم في المنطقة. ومن هنا، كان اهتمام المؤتمرات بتخصيص لجان دراسية تتناولهم بالدرس والتحليل، من وجهة النظر الاستشراقية ودراسات المستشرقين، كل حسب تخصصه.

ولوحظ نوع من التجديد في الدراسات الإسلامية. فقد أضحى الاهتمام منصبا على الحركات والجمعيات الدينية الإسلامية، وقضايا التطرف، والتركيز على المشكلات والقضايا الإسلامية الحديثة، ولاسيما بعد نجاح الثورة الإيرانية، وقيام حركات وأحزاب دينية إسلامية، تحاول بشتى الوسائل فرض نفسها على الساحة العامة، لدرجة أنها تصادمت مع حكوماتها في أغلب الأحيان، وقد تدخل البلد في دوامة صراعات قد تصل لسفك الدماء أحيانا، ولاسيما بعد الشعبية العارمة التي لقيتها تلك التوجهات، ولعل الجزائر كانت الرمز العالمي الواضح في هذا المجال، بل حتى الغرب نفسه شهد قيام مثل هذه التيارات، والتي قد تصل لحد التحدي، كحزب أمة الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية، وما يقوم به رئيسه من مبادرات تزعج الحكومة هناك، أو كما حصل في بريطانيا من قيام حزب سياسي إسلامي، ومسعى المسلمين الحثيث في أوروبا لتكوين هيئة توحدهم وتنادي بحقوقهم، وتخفف من حدة الخلاف فيما بينهم. ومثل هذه التحديات، توضع تحت

الملاحظة والتحليل، وبالتالي تعرض موضوعاتها في جـــل المحـــافل الدوليـــة، ولاسيما العلمية منها، المتخصصـــة فـــي المنطقـــة. ومـــن ذلـــك المستشـــرقون ومؤتمراتهم، حتى إنه وردت لجنة تحمل اسمها، في المؤتمر الحادي والثلاثيـــن، وكانت بعنوان "الحركات الدينية الإسلامية"(١).

كما لوحظ عودة العديد من مسميات اللجان القديمة، وبالتالي تم مزج ماضي بحوث المؤتمرات، بالدراسات المعاصرة. ومن هنا عادت البحوث المتعلقة بالآثار والنقوش، ولعل ذلك لمكتشفات أثرية متعددة في العديد من نواحي العالم.

ورغم تنصيص القرارات على حصر الدراسات في آسيا وشمال إفريقيا، إلا أن المؤتمرات تجاوزت أحيانا تلك الحدود، ممـــا يدلـــل علـــى صعوبـــة الـــتزام المؤتمرات بمسار واحد، بل إن الشمولية العامة هي التي تـــهيمن علـــى مســـار الاستشراق. وبالتالي يبدو أن هذه السمة تغلب على المؤتمرات كذلك، ويصعـــب تجاوز مساراتها الأولى. كما أن المؤتمرات تتبع دائما الأحداث الشرقية المهيمنـــة على الساحة العالمية، ومن ذلك "إفريقيا الوسطى"، التي تكاثرت الأحداث السياسية والاجتماعية فيها، لدرجة أنها تصدرت قائمة الأحداث العالمية في بعض الأحيان، وبالتالي فرضت نفسها، لدرجة أن تهتم بها المؤتمرات وتخصص لها حيزا مـــن بحوثها ودراساتها.

من الملاحظات الهامة أيضا، عودة التركيز وتسليط المزيد من الأضواء على إيران. والمعلوم أن إيران كان لها أثر في إعاقة مسار المؤتمرات الطبيعي، إذ إن نجاح الثـــورة الإســـلامية هنـــاك، أوقـــف مســـار المؤتمـــرات ســـنة ١٩٨١م (١٤٠١هـ)(٢). فقفزت إيران بالتالي على مسرح الأحداث، باعتبار الثورة الشعبية العارمة، التي استطاعت الإطاحة بنظام كان يعد من أصلب الأنظمـــة وأمنعـــها، ولاسيما أنها رفعت "الإسلام" شعارا للثورة، ومبدأها "لا شرقية ولا غربية". ولـــم تلبث الدولة الجديدة حتى لترتيب إدارتها، حتى قامت بينها وبين العراق، الدولـــة المجاورة، حرب طويلة، قدرت على الصمود أمامها رغم عزلتها، فيم كان العراق

---

(1) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 – Vol. I – p. 275 .

(٢) سبق الحديث عن الموضوع هذا ص ١٩٦ من الرسالة.

يتلقى مساعدات جما من أطراف عدة. هذا كله جعل إيران محط أنظـــار العـــالم، ولاسيما المثقفون منهم، للاطلاع على ما ستكون عليه نتائج هذه الثورة الجديـــدة، والتي تحدت جل المصاعب التي واجهتها. وبالتالي كان اهتمام المستشرقين بـــها، وعرضوها حتى في مؤتمراتهم.

تبقى قضية هيمنة الدراسات الآسيوية على حساب الشق الثاني من مســـمى المؤتمرات، شمال إفريقيا، فهو لم يكن سوى موضوعا في كل مـــن المؤتمريـــن الثاني والثلاثين، والخامس والثلاثين. والملاحظ أن المؤتمر الثاني والثلاثين عقـــد في العام ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، في فترة شهدت فيها منطقـــة المغـــرب العربـــي مصادمات قوية بين الأنظمة السياسية، والأحزاب السياسية الدينية، في المغـــرب والجزائر وتونس، وكذلك موريتانيا، فيما تم قمعها بعنف في ليبيا. أمـــا المؤتمـــر الأخير، والذي انعقد في العام ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، جاء في وقت تمكنـــت منـــه الدول من كبح جماح الحركات السياسية الدينية، ما عدا الجزائر، التـــي أتـــاحت للأحزاب السياسية الدينية هناك لدخول الانتخابات العامة، وتمكنت للوصول لسـدة الحكم بأغلبية لم تكن متوقعة، لكن الأحداث تلاحقت، وحيل بينها وبيـــن التمتـــع بنجاحها، وانجرت البلد بالتالي إلى معارك داخلية دامية، جعلت المغرب العربـــي يتصدر الأحداث العالمية، ولا يزال. وبالتالي كـــانت هـــذه الرقعـــة الجغرافيـــة موضوعا للدراسات الاستشراقية، ولعل هذه الأحداث وأمثالها هي التي أتت بلجنـــة دراسة الحركات الدينية، التي ظهرت في المؤتمر الحادي والثلاثين[1].

تلك هي أهم الملحوظات التي تؤخذ عـــن المســـار العلمـــي للمؤتمـــرات، والتحليلات الخاصة بها. فهي قد شهدت تحولات نوعية في اللجـــان الدراســـية، وعرفت نموا في الندوات والجلسات ذات الصبغة الجماعية، وركزت في أبحاثـــها على قضايا حيوية، جددت بها نشاط المؤتمرات، لتبقى على مسايرتها للأحـــداث والتطورات العالمية.

---

[1] Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 – Vol. I – p. 275 .

وبها، تم الحديث عن الحقب الدراسية، التي مرت بها المؤتمرات، وتبين لنـــا مدى التحديات التي طرأت في مسارها، وكيفية تجاوزهـــا، ومحـــاولات تطويـــر المؤتمرات لذاتها، لتتواصل حيويتها، بتزايد أبحاثها ودراساتها.

الباب الرابع: خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية وأثرها

الفصل الأول: خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية

الفصل الثاني: المؤثرات في مؤتمرات المستشرقين العالمية

الفصل الثالث: آثار مؤتمرات المستشرقين العالمية

الباب الرابع: خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية

مدخل:

تعد مؤتمرات المستشرقين العالمية شكلا ثقافيا استشراقيا قائما بذاته، استطاع أن يطيل من عمره ويتواصل نشاطه، ويقوم من عثراته التي اعترضته في مساره، ولاسيما الحربين العالميتين، والدعوات التي قامت تدعو لإيقاف نشاطها، وهذه لم تظهر في وقائع أعمال المؤتمرات، لكن لمستها بنفسي أثناء رحلة علمية في كل من ألمانيا وفرنسا، فبعض من لقيتهم، يرون أن زمن هذه المؤتمرات انقضى، ويجب التخلي عنها، ومنهم من قاطعها من زمن طويل، مثل المستشرق "فولف ديتريش فيشر"، كما أُخبِرت أن المستشرقين الطلبة، والأساتذة الصغار هم الذين يرغبون في تواصل هذه المؤتمرات.

هذا الكيان الذي استطاع الإبقاء على ذاته، من البدهي جدا أن تكون له خصائص معينة، سواء أكانت إيجابية، أم سلبية، نوعت في مساره الإداري أو ساهمت في تنمية أبحاثه. هذه الخصائص هي التي ستكون موضوع البحث في هذا الجزء الأخير من الرسالة.

هذه الدراسة سيتم تناولها من جوانب ثلاثة:

أولا: خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية: في هذا الجانب، سيتم التعرض لخصائص عامة، وتتمثل في العوامل التي شدت من عضد المؤتمرات ونمت دراساتها، وطورت مسارها. وهذه الخصائص استنتاجية وليست مذكورة ومنصوص عليها.

ثانيا: المؤثرات في مؤتمرات المستشرقين العالمية. هناك جوانب عدة تؤثر في مسار المؤتمرات، دينية وسياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية.

ثالثا: آثار مؤتمرات المستشرقين العالمية، فقد كانت المؤتمرات تقدم توصيات وتوجيهات متعددة، سواء جماعية، خلال الجلسات الختامية للمؤتمرات،

أو في ثنايا الأبحاث والدراسات المعروضة. هذه التوصيات تتخذ صبغات عدة، إما أن تكون دينية الطابع، أو سياسية أو ثقافية، استشراقية بصفة خاصة. هذا الآثار رغم أهميتها، إلا أنها أقل كثافة من المؤثرات، وذلك لسمة المؤتمرات التي يغلب فيها الجانب البياني على الجانب التنظيري غالبا. عدا الجانب الاستشراقي، إذ نجد في مرات عديدة الحكم على ما فات من إنجازات، من أجل التنظير المستقبلي لتلك الدراسات.

تلك هي الموضوعات العامة التي سيتم طرقها وتحليلها في ما يلي.

الفصل الأول: خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية

المبحث الأول: الخصائص التنظيمية

المبحث الثاني: الخصائص العلمية

الفصل الأول: خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية

توطئة:

بعد هذه الدراسة الشمولية عن مؤتمرات المستشرقين العالمية، يجدر استخلاص خصائص تميزها. فقد صمدت هذه المؤتمرات منذ نشأتها بباريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، حتى آخر مؤتمر انعقد حتى هذه الفترة، صيف ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، وكان ذلك في بودابست بالمجر، وقد تقرر أن يتواصل انعقاد المؤتمرات لتطأ القرن الثالث منذ نشأتها، إذ ستنعقد الدورة السادسة والثلاثون بمونتريال بكندا سنة ٢٠٠٠م (١٤٢١هـ).

من ناحية أخرى، قدرت المؤتمرات على تخطي العقبات التي اعترضتها، وتجاوزت المشكلات التي حاولت التأثير السلبي في مسارها، سواء النواحي السياسية أو الثقافية. وتمكنت من التأقلم مع الأوضاع المحيطة بها، وكلما تغيرت الظروف حورت المؤتمرات من نفسها حتى تساير الأحداث.

وتميزت دراسات المؤتمرات بالشمولية والتوسع، ورغم محاولات تقليص برنامج عملها اليومي، إلا أن الجهود تلك فشلت في تضييق المسار الدراسي؛ ولا تزال المساهمات العلمية تتميز بتنوع ميادينها. كما أن الدراسات والأبحاث العلمية، لم تكن صماء، بل كانت فعالة في أحيان عدة، واستفاد منها العديد من الإطارات العامة، سواء السياسية منها أو المعرفية، وحتى الدينية وغيرها.

وفي سبيل النجاح العام لأبحاثها، نوعت المؤتمرات من طرق طرح دراساتها، بخلق العديد من الأساليب.

مثل هذه المميزات وغيرها، هو ما سيتم تحليله في هذا الجزء الدراسي الأخير من البحث. وستتم دراستها وفق العنصرين التاليين:

- خصائص المؤتمرات التنظيمية.
- خصائص المؤتمرات العلمية.

المبحث الأول: الخصائص التنظيمية

بعد الاطلاع على النظام الإداري للمؤتمرات والتطورات التي حصلت على مساره، يمكن الخروج بخصائص تتعلق بالمؤتمرات عموما، تتلخص في العناصر التالية:

١ــ القدرة على الاستمرار.

٢ ــ التطوير الذاتي لمسار المؤتمرات.

٣ ــ القدرة على تجميع أعداد كبيرة من الباحثين متعددي التخصصات.

هذه العناصر الثلاثة، ميزت مسار المؤتمرات الإداري، وفيما يلي تحليلها، لتتبين تلك الاتجاهات.

١ – القدرة على الاستمرار:

منذ انطلاق المؤتمرات، ومنذ المؤتمر الأول بباريس، ظهرت مشكلات عدة كان من شأنها أن تعيق استمرارها. لكن هذا المؤتمر تمكن من تخطيها ومواصلة مساره الحثيث[١]. وتواصلت الخلافات بين المستشرقين، وبلغت أشدها، وهي تلك التي كانت بين الفرنسيين والبريطانيين خلال المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)[٢]، أما الخلاف الشامل، فكان في المؤتمر الخامس والعشرين بموسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ). في هذا المؤتمر انقسم الحاضرون قسمين، وفق التوجهات السياسية العالمية، ما بين الشيوعيين والشرقيين عامة، من جهة، وبقية أفراد العالم الغربي الذي أطلق عليه لقب "إمبريالي"[٣]. وكان يمكن لمثل هذه الحوادث أن توقف عجلة مسار المؤتمرات، لكن القائمين عليه كانوا أكثر حنكة من هذا، وسارعوا بالتضحية بكل شيء من أجل مواصلة المؤتمرات دورات انعقادها.

---

[١] سبق تفصيل الموضوع هذا ص ١٤٤ من الرسالة.

[٢] سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٣٣٣ من الرسالة وما بعدها.

[٣] سبق تفصيل الموضوع هذا ص ١٨٠ من الرسالة.

كانت بريطانيا هي التي استقبلت المؤتمر الثاني سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ)، وكان لأول مرة ينعقد فيها، وقد كانت تنافس فرنسا تنافسا شديدا إذ ذاك، ولذلك كان النظام الذي اتخذته، ولاسيما نظام الجلسات العلمية، يختلف تماما عن نظام المؤتمر الأول[١]. بعد أزمة المؤتمر التاسع، جاء المؤتمر العاشر، وكان بجنيف، وانعقد فيها المؤتمر لأول مرة أيضا، لذا كانت حريصة على أن ينجح نجاحا كاملا، ولاسيما أنها دولة اتسمت بحياديتها، رغم أنها كونت لنفسها نظاما خاصا بها[٢]. أما المؤتمر السادس والعشرون فقد استقبلته الهند، وهي أول بلد آسيوي ينعقد فيه المؤتمر، إضافة إلى أن علماء الهند كانوا أحد أكبر أطراف الصراع في المؤتمر الخامس والعشرين، إذ كانت هناك مشادات حادة بينهم وبين المستشرقين البريطانيين[٣]، فكان الوضع يفرض على الهنود استغلال الفرصة لينجح مؤتمرهم هذا، ليثبتوا قدرتهم التنظيمية والإدارية، وقد نجحوا في ذلك، بل إن الدورة تلك اتخذت قرارات حاسمة، ولاسيما في الجانب الإداري منها، وكان لها أثر في تحوير مسار المؤتمرات ليتغير تغيرا كليا، من حيث النظام والاسم والشكل.

إضافة إلى المشكلات الداخلية للمؤتمرات، كانت هناك مؤثرات خارجية عدة[٤]، ولاسيما السياسية منها. فقد ابتليت المؤتمرات من هذا الجانب مرات عدة، أهمها ثلاثة:

أ ـ الحرب العالمية الأولى، وقد داهمت مسار المؤتمرات وهي تستعد لعقد دورتها السابعة عشر، التي كانت مقررة للعام ١٩١٥م (١٣٣٣هـ)، لكن الحرب التي انطلقت سنة ١٩١٤م (١٣٣٢هـ)، أخرت مسارها مدة ست عشرة سنة من مؤتمر أثينا السادس عشر، المنعقد سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)[٥]. وفي هذه الحقبة، فقدت المؤتمرات جل مؤسسيها الأوائل، وجل الذين كانوا عينوا مسؤولين عن اللجنة التنظيمية. وقد كان للمستشرقين البريطانيين، وجامعة أكسفورد بصفة

---

[١] سبق تفصيل الموضوع عن هذه النقطة ص ١٩٢ من الرسالة فما بعدها.

[٢] نظامه الخاص بالملحق رقم ١٢ ص ٦٢٩ من الرسالة.

[٣] سبق تفصيل الموضوع هذا ص ١٨٠ فما بعدها من الرسالة.

[٤] تم تناول هذه المؤثرات باستفاضة ص ٤٦٦ من الرسالة وما يليها.

[٥] سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٣٥٤ فما بعدها من الرسالة.

وتوجد بنود هذا النظام بالملحق رقم ١٢ ص ٦٢٩ من الرسالة.

خاصة، الدور الهام في سبيل عودة المؤتمرات للانعقاد. ورغم تلك المجـــهودات، فقد ظلوا أربع سنوات يعملون من أجل هذه العودة[١].

ب – الحرب العالمية الثانية: لم يمض على المؤتمرات أكـــثر مـــن عشـــر سنوات، حتى توقفت مرغمة مرة أخرى. فقد تقرر بعد المؤتمر العشرين المنعقـــد في بروكسل، انعقاد الدورة الحادية والعشرين بباريس، سنة ١٩٤١م (١٣٦٠هـــ)، وكما سبق في النكسة الأولى، كان مقررا اتخاذ قرارات تحويرية جذرية على نظام المؤتمرات عامة. لكن الحرب قامت ثانية، وأعاقت مسارها مدة عشر سنوات مـــن مؤتمر بروكسيل[٢]. لكن تمكن أوروبا من النهوض السريع مـــن تلـــك الكارثـــة بسرعة[٣]، انعكس على عودة المؤتمرات السريعة للانعقاد[٤]، ومـــن ثـــم انـــبرى المستشرقون الفرنسيون يعملون قصد ضمان انعقاد المؤتمرات مرة أخرى[٥].

ج – النكسة الثالثة التي حاقت بمؤتمرات المستشرقين العالمية كـــانت ســـنة ١٩٨١م (١٤٠١هـــ). وهذه إن لم تكن بالخطورة التـــي هـــددت مســـارها مثـــل السابقتين، إلا أنها تسببت في تأخير انعقاد الدورات مدة سبع سنوات. ففـــي هـــذا العام، كان مقررا انعقاد الدورة الحادية والثلاثين بطهران. إلا أن أحداث الثـــورة الإيرانية، أدى إلى حدوث بلبلة في مسار المؤتمرات، ولم تكن هناك هيئـــة قـــارة وثابتة، لتعالج مثل هذه النكسات[٦]. وعمق ذلك الحرب العراقية الإيرانية، وبالتالي اختاروا اليابان عوضا عن إيران، وهذه اشترطت مدة ســـنتين للإعـــداد، فوافـــق الساعون على هذا الشرط، وتأجل انعقاد المؤتمرات للعام ١٩٨٣م (١٤٠٣هـــ)[٧].

هذه أهم العثرات التي أثرت في مسار المؤتمرات، وهددت دوام استمرارها، لكن في كل مرة تسلم من كافة العوائق، وتنجح في مواصلة سيرها. كمـــا كـــانت

---

[١] سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٣٦٥ من الرسالة فما بعدها.

[٢] سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٣٨٤ من الرسالة.

[٣] سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٣٨٢ من الرسالة.

[٤] سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٣٨٢ من الرسالة.

[٥] سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٢٨٤ من الرسالة.

[٦] من أجل ذلك قرر مؤتمر طوكيو وضع المؤتمرات تحت إشراف الاتحاد العالمي للدراسات الشـرقية والآسيوية، وقد سبق التعرض للموضوع هذا ص ١٩٦ و٢٠٤ من الرسالة.

[٧] سبق التعرض الموضوع هذا ص ١٩٦ من الرسالة.

هناك مشكلات يسيرة تعيق مسارها، فكثيرا ما انقضت دورة دون اختيار مكان انعقاد الدورة اللاحقة[١]، حتى إن الموضوع طرح للمناقشة[٢]. لكن لا يلبث الأمر أن يوجد له حل.

إضافة إلى هذا، وجدت دعوات عدة تسعى لتخلي الساحة العلمية كافة عن هذه المؤتمرات، بدعوى أنها تحمل ثقل الماضي الاستشراقي، أو أن زمانها انتهى، أو أنها لا فائدة علمية ترجى من ورائها، لكثرة الحضور فيها التي تسبب زحمة بشرية، أو لزخم المساهمات المتعددة فيها، وأن مثل هذا هدر للطاقات ليس إلا[٣].

ورغم ذلك، واصل المؤتمرات مسارها، وستدخل القرن الثالث، كما هو مقرر لها، في مونتريال بكندا، صيف عام ٢٠٠٠م (١٤٢١هـ)، إلا أن يشاء الله أمرا آخر.

٢ - التطوير الذاتي لمسار المؤتمرات:

عاشت المؤتمرات حقبة زمنية وصلت قرنا وربع قرن من الزمن حتى الوقت الراهن. وقد مرت على العالم أحداث عدة، سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية، ودينية أيضا. ولم تكن المؤتمرات مستقلة بذاتها، بل كان المحيط بها يؤثر فيها تأثيرا مباشرا، ولاسيما السياسي والثقافي. ومن هنا، كان عليها أن تتفاعل مع التغيرات الحاصلة على الساحة العالمية، وتواكب نشاطه، وبالتالي لم تبق بمعزل عن تلك الأحداث.

كما أن ظروف المؤتمرات نفسها، كانت تجبر القائمين على إحداث تحويرات في مسارها الإداري العام بين الفينة والأخرى. فالمعلوم أن المؤتمرات انطلقت من

---

(١) منها على سبيل المثال ما ذكر مثلا من اختيار المقر اللاحق للمؤتمر أثينا، ص ٣٣٧ من الرسالة.

(٢) منها ما ذكر ص ٣٣٣ من الرسالة، في المؤتمر التاسع بلندن، بعد أن فشل المؤتمر الثامن بكريستيانيا في اختيار البلد المستضيف للمؤتمر التاسع.

(٣) مثل هذه الأقوال لا توجد في وقائع أعمال المؤتمرات، لكن ترددت من أفواه المستشرقين الذين قابلتهم أثناء جولتي العلمية بألمانيا: فيشر وفيلد وشولتز وفان آس، وهذا الأخير بدرجة أقل من غيره، ولعل أشدهم هما فيشر وفيلد.

مبادرة فردية ثم إقليمية، قبل أن تدخل مجال العالمية، لذا مرت بحقبة تجارب عدة لتطوير مسارها الإداري والعلمي.

ففيما يتعلق بنظام المؤتمرات العام، مر بنا أنه تعاقبت عليه حقب عدة في تاريخه: فالنظام الأولي تم بمبادرة فرنسية، قبل انعقاد المؤتمرات، بتاريخ الرابع من مارس سنة ١٨٧٣م (الخامس من محرم ١٢٩٠هـ)[١]، وهذا النظام تم تغييره بعد توسيع دائرة أبحاث المؤتمر، وهذا تم عرضه لاحقا على المؤتمرين، وتمت الموافقة عليه، واعتمد نظاما عاما للمؤتمرات اللاحقة[٢].

لكن كانت هناك حيثيات لم تسمح لهذا النظام بمواصلة عمله، إذ ظلت فيه عدة ثغرات[٣]، كما أن للتنافس الذي كان على أشده بين الدول الغربية ولاسيما بين بريطانيا وفرنسا، دورا في هذا التحوير، فقد استغل البريطانيون أول ثغرة نتجت عن قصور في النظام الباريسي، بحيث إنه لم يتوصل المؤتمرون نهاية المؤتمر الثامن بكريستيانيا سنة ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ)، لاختيار البلد الذي سيستضيف المؤتمر الموالي. ثم تم اختيار لندن، التي، وحور مستشرقوها النظام العام تحويرا جذريا لأول مرة[٤]، رغم أن نظام باريس كان أكثر دقة وفاعلية منه. وما تم ذلك إلا بعد مشادات شديدة مع المستشرقين الفرنسيين[٥].

لكن هذا النظام لم يكن فعالا، إضافة إلى أنه جاء بطريقة قسرية، ولاسيما على المستشرقين الفرنسيين، الذين استغلوا أول دورة تنعقد في باريس بعد ذلك، وجاؤوا بالنظام الذي عمر أطول من غيره. والحقيقة أنه كان مدروسا دراسة معمقة، وبالتالي جاء قصيرا في بنوده شاملا في محتوياته، ودقيقا في معانيه[٦]، وتمكن من إنقاذ المؤتمرات من العديد من الأزمات.

بعد المدة الطويلة التي قضاها المؤتمر سائرا وفق النظام السابق، تغيرت ظروف سياسية، فقد انقضت حقبة الاستعمار، وانتشر الوعي في العالم الشرقي،

---

[١] بنود هذا النظام بالملحق رقم ١ ص ٥٩٦ من الرسالة.

[٢] بنود هذا النظام بالملحق رقم ٤ ص ٦٠٠ من الرسالة.

[٣] تم التعرض لها ص ١٩٠ – ١٩١ من الرسالة.

[٤] بنود هذا النظام بالملحق رقم ٥ ص ٦٠٦ من الرسالة.

[٥] سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٣٣٣-٣٣٤ من الرسالة.

[٦] بنود هذا النظام بالملحق رقم ٦ ص ٦٠٩ من الرسالة.

ونبغت في هذا المجال المدرسة الاستشراقية الأمريكية، التي سيطر مستشـــرقوها على المسار الاستشراقي العام. وهؤلاء دخلوا في منافسة على المؤتمرات أيضـــا، ويبدو أنهم أرادوا ترك بصماتهم على المؤتمرات، فسعوا لتغيير نظام المؤتمـــرات العامة[١]، وتم ذلك نهائيا بمؤتمر آن آربور سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)[٢].

وبعد مؤتمرين فقط، دخل المستشرقون اليابانيون دائرة المنافسة، واســتغلوا مشكلة انعقاد المؤتمر بإيران، وحوروا النظام مرة أخرى[٣]، واستقر المؤتمر علـى هذا النظام حتى المؤتمرات الحالية.

إذن، لم تكن أنظمة المؤتمرات جامدة، بـــل كـــانت مرنـــة، تتغـير بتغـير الظروف، وتساير المتغيرات الراهنة، وهذه المرونة، إحدى مميزات المؤتمرات.

وإذا انتقلنا للإطار الإداري للمؤتمرات، فهو شهد تطورات على مســـاره وفي نوعية الإطار البشري كذلك. فقد كان المستشـــرقون محتكريـــن المنـــاصب الإدارية كافة، ولا سيما خلال الحقبتين الأولى والثانية، وجل الثالثة. حتـــى فـي المؤتمر الرابع عشر بالجزائر، كان كل الإطار البشري حكرا على الغربييـــن[٤]، وفي المؤتمرين الثاني والعشرين[٥] والســـادس والعشـــرين[٦]، كـــان الغربيـــون مشتركين في الإطار البشري الإداري، مع ميل الكفة تجاهـــهم، وفـــي المؤتمـــر الحادي والثلاثين، كان الإطار الإداري كله ياباني[٧]. وهذا تم بعد التغيرات الكبيرة التي حولت النظرة الاستشراقية للشرقيين، وأصبح ينظر إليهم نظرة فيها اعتـــدال أكبر من ذي قبل، ولاسيما بعد المؤتمر الخامس والعشرين[٨]، وتأطرت بقـــرارات

---

[١] سبق تفصيل الموضوع هذا ص ١٩٥ من الرسالة.

[٢] بنود نظام المؤتمر هذا بالملحق رقم ٧ ص ٦١٣ من الرسالة.

[٣] بنود هذا النظام بالملحق رقم ٩ ص ٦٢٠ من الرسالة.

[٤] سبق بيان الموضوع هذا ص ٢٩٨ من الرسالة.

[٥] سبق بيان الموضوع هذا ص ٣٠٥ من الرسالة.

[٦] سبق بيان الموضوع هذا ص ٣١٠ من الرسالة.

[٧] سبق بيان الموضوع هذا ص ٣١٣ من الرسالة وما يليها.

[٨] سبق بيان الموضوع هذا ص ١٨٠ وما بعدها من الرسالة.

المؤتمر التاسع والعشرين[1]. ومن ذاك الحين أضحى الشرقيون يشاركون المستشرقين في جل فعاليات المؤتمرات ويساهمون في كل اللجان التي تشرف على مسارها[2].

من ناحية أخرى، كانت المؤتمرات تسعى دائما لتنظيم أمورها قصد تجاوز كل النقائص والتخلي عن العوائق التي تعيق مسارها. فكانت كلما حاقت بها مشكلة كونت لذلك لجنة تبحث هذا الموضوع. وكانت مهام هذه اللجان محددة، بحيث تقدر على تنفيذها، ومعالجة المشكلة تلك. فهناك لجان تكونت لتتواصل مهامها[3]، وهناك لجان مؤقتة لتغير المسار الإداري[4]، ولجان وقتية استثنائية كونت لحاجة معينة، تتم فيها إنجاز مهام آنية مثل تكوين اللجان التي تبحث مكان الدورة اللاحقة كلما تعذر الاتفاق العام، ولجنة ما بين الدورتين، ولجنة المتابعة وأخرى لتباحث كيفية نشر أعمال المؤتمرات، كما كونت لجان لمراجعة بنود نظام المؤتمرات [5]، وغيرها من اللجان التي تفرضها الضرورة الإدارية والتنظيمية الملحة.

ولما تعددت المشكلات التي تتعرض لها المؤتمرات، والتي تحتاج دائما إلى نظر وبحث وتكوين لجان، وبعد تكوين "الاتحاد العالمي للدراسات الشرقية والآسيوية"[6] اتخذ المؤتمر الحادي والثلاثون قرارا يقضي بوضع المؤتمرات تحت إشراف هذا الاتحاد، ومن إذ ذاك والمهمة موكولة إليه، ولا يزال الأمر مستقرا إلى حد الآن، نظرا للفترة القصيرة التي تبناها فيها، ويلزم الانتظار زمنا لمعرفة مدى الاستقرار الإداري للمؤتمرات.

فيما يتعلق باسم المؤتمرات، حافظت المؤتمرات على مسماها الأصلي "مؤتمرات المستشرقين العالمية" مدة قرن ميلادي كامل، من ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، حتى ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، وكانت انطلاقته وترعرعه في فترة هيمنة الاستشراق

[1] سبق بيان الموضوع هذا ص ١٨٢ فما بعدها من الرسالة.

[2] يمكن الاطلاع على ذلك مثلا ص ٢٦٠ من الرسالة.

[3] منها مثلا ما ذكر ص ٢٠١ من الرسالة.

[4] منها مثلا ما ذكر ص ٢٣٩ من الرسالة.

[5] سبق بيان الموضوع هذا ص ٣٢٨ من الرسالة.

[6] سبق الحديث عن هذا الموضوع ص ١٩٦ و٢٠٤ من الرسالة.

على الساحة المعرفية التي تتناول الشرق بالتحليل، يساعدها في ذلك الوضع الراهن إذ ذاك، ولاسيما الاستعمار والحملات الاستعمارية، والمساعي التنصيرية، والتي شغل فيها المستشرق منصب الخبير والسياسي والجاسوس والمخطط. كما غلبت على أبحاثه المناهج المادية والوضعية، ولاسيما النفسية منها والاجتماعية والاقتصادية، لكن ما لبث الاستعمار المباشر أن انهار، والحملات التنصيرية منيت على نحو عام بفشل كبير، ولاسيما في الوسط المسلم، والمناهج البحثية تعرضت للنقد، وتعرض الاستشراق بالتالي لحملات قوية، بدأت متفاوتة ثم أضحت مركزة، وأضحى مكشوفا أمام الشرقيين. فبعد دفاع مستميت عن ميدانهم، خضع المستشرقون للواقع، وسعوا حثيثا للتخلص من كلمة مستشرق واستشراق، ومحاولة تحسين صورتهم. ومما عملوه في سبيل تحقيق ذلك، مسارعتهم لتغيير اسم مؤتمراتهم، فأطلقوا عليها اسم "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، وذلك في المؤتمر التاسع والعشرين بباريس، بمناسبة الذكرى المئوية لمؤتمرات المستشرقين العالمية[1].

هناك دافع آخر لاختيار هذا الاسم بالذات، وفيه تأثر بالمحيط العلمي المعاش كذلك، ألا وهو التركيز على العلوم الإنسانية، فسيأتي أن الأمور الإنسانية والاجتماعية هي التي هيمنت على الساحة المعرفية عموما[2]، ولاسيما المعارف الاجتماعية، وساهمت المدرسة الاستشراقية الأمريكية في تنمية هذا المجال، وبالتالي كان من المناسب اختيار الاسم ليكون متناسقا والمسار الاستشراقي العام الذي كان مهيمنا إذ ذاك.

لكن يبدو أن هذا الاسم لم يرق بعض المستشرقين، ولاسيما اليابانيون منهم، لذا، فقد تم تحويره مرة أخرى في المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو، ليصبح "المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا"[3]. ويبدو أن الاسم لا ينطبق على الاسم، ومن هنا جاء التغيير، ومهما يكن السبب، فهذا الاسم الأخير أكثر تطابق على مسار المؤتمرات من الاسم السابق.

---

[1] سبق الحديث عن الموضوع بتوسع ص ١٨٢ من الرسالة فما بعدها.

[2] سيرد ذلك ص ٤٦٠ من الرسالة.

[3] سبق الحديث عن الموضوع ص ١٨٧ من الرسالة وما بعدها.

هذه التحويرات المتلاحقة لمسميات مؤتمرات المستشرقين العالميـــة، تبيــن بوضوح أن المؤتمرات كانت تعمل دائما على إحداث تغييرات على ذاتها، تحـــت تأثير الواقع المحيط بها، حتى تتمكن من متابعة مسارها ولا تتخلف عن الركـــب العلمي والسياسي والاجتماعي المعاش.

٣- القدرة على تجميع أعداد كبيرة ومتنوعة من الباحثين:

من الخصائص الأخرى التي تميزت بها مؤتمرات المستشــرقين العالميـــة، قدرتها الخاصة على جمع مجموعات كبيرة من الباحثين المتخصصين، وتجميعـهم في مكان واحد، يتعارفون فيه ويتبـــادلون المعلومـــات والخـــبرات، ويناقشـــون الموضوعات، ويستفيدون من الخبرات.

فرغم صعوبة المواصلات، وقساوة الظروف المحيطة حينئذ، تمكن المؤتمـر الأول من تجميع أربعة وستين وألف مشارك[1]، فيم كان العـــدد حوالـــي أربعـة وعشرين وثلاثمائة في المؤتمر الثاني بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ)، وما يقرب من سبعة وستين وأربعمائة في المؤتمر الثالث بســان بترســبورغ ســنة ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ)، وبعد الحرب العالمية الأولى مباشرة، كان عدد الحــاضرين ثمانيــة وأربعين وسبعمائة عضو، وذلك في المؤتمر السابع عشر بأكسفورد ســنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، وفي المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـــ)، شارك حوالي أربعة وثمانين وستمائة باحث فعاليات المؤتمر، الــذي انعقــد بعــد الحرب العالمية الثانية .

أما أقل المشاركات فكانت في المؤتمـــر الرابـــع بفلورنســا ســنة ١٨٧٨م (١٢٩٨هـ)، إذ بلغ العدد ثمانية عشر ومائتين. وبين الحربين ما كاد العدد يقـــل عن خمسمائة شخص، وما نقص بعد الحرب العالمية الثانية عن ستمائة. أما قمـــة

---

[1] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - pp. 42 – 43.

وكذلك الملحق رقم ٤١ ص ٨٤٤ من الرسالة، وفيه صورة لبيان إحصائي عن المؤتمر.

المشاركات فكانت بالمؤتمر التاسع والعشرين، إذ تجاوز العدد ثلاثة آلاف مشارك، ولم يكد العدد يقل في مؤتمرات الحقبة الرابعة عن الألف.

إن قدرة مؤتمرات المستشرقين العالمية على تجميع مثل هذه الأعداد الكبيرة من المشاركين، ميزة من مميزاتها، إذ إن مثل هذا التجميع من شأنه أن يؤدي إلى التعارف في أقل درجاته، إذ كثيرا ما يسمع بعض الدارسين بأسماء باحثين غيرهم دون التعرف إليهم عيانا، فتكون المؤتمرات فرصة لتلافي هذا النقص، وأما ثمرتها فهو ما يتم فيها من تلاقح الأفكار ومناقشتها، والخروج بفوائد علمية.

لو أخذنا على سبيل المثال أقل عدد من الحضور، مائتين ونيف، فهو عدد ليس بالقليل، بل إن الاستفادة في هذه الحالة قد تكون أعمق مما لو كان العدد أكبر من هذا. فإمكان التلاقي وفرص التحاور أوفر من غيرها، وكذلك إمكان تبادل المعلومات والنتائج العلمية، لأنه في مثل هذه الحالة، قد يحتاج المرء لأن يرى نظيره مرات عدة. وقد عاينت هذا بنفسي في مؤتمر بودابست، إذ يلتقي المرء بشخص، ويحاول رؤيته ثانية، لكن قد يعجز عن ذلك. فلا يعد العدد ضئيلا، مقارنة بغيره، وقد اشتكى حمد الجاسر من الزخم البشري لمؤتمر باريس التاسع والعشرين، ولذلك ما كاد يحضر فعاليات المؤتمر إلا نادرا[١]، كما اشتكى من عدم قدرته ملاقاة بعض معارفه إلا بصعوبة، أو تجمعه المصادفة به[٢].

ومهما كان الأمر هذا، فالمؤتمرات تمكنت، من تجميع أعداد كبيرة من المشاركين، منضوين تحت لوائها. والميزة الملحقة بهذه، هو أن جل هؤلاء الحضور، يقصدون المؤتمرات بتلقائية من أنفسهم، رغم أن هناك رسوما مفروضة على المشاركين منذ انطلاق أول مؤتمر، كما أن التنقل من بلدانهم لمقر المؤتمر على حسابهم الخاص، وكذلك السكنى والتنقل، وما تساعدهم به المؤتمرات هو تأمين مقر السكن، ومحاولة الحصول على أسعار مخفضة للنقل[٣].

---

[١] كثيرا ما تعرض حمد الجاسر لهذا في مذكراته عن المؤتمر، من ذلك مثلا: "على هامش مؤتمر المستشرقين:أيام في باريس -١-" -الأديب - ج. ٥ و٦ - ١٣٩٣م - ١٩٧٤م - ص ٤٦٨، ٤٧١...

[٢] مثال ذلك ما ورد في مقالته: "على هامش مؤتمر المستشرقين : أيام في باريس -٣-" - الأديب - ج. ٩ و١٠ - ١٣٩٤م - ١٩٧٤م - ص ٦٥٨ .

[٣] سبق التعرض لذلك ص ١٤١، ١٩٩، ٢٩٦(الحاشية) من الرسالة.

تلك هي أبرز الخصائص التنظيمية، التي تمكنت على أثرها المؤتمرات من مواصلة عملها ودوام نشاطها حتى الوقت الراهن، ولا يزال المستشرقون حريصين على مواصلة مؤتمراتهم لنشاطاتها، وساعدهم في ذلك تلك الخصائص الثلاث، التي جعلت المؤتمرات تسير بحيوية دائمة، ولم تكن صماء في سيرها، بل كانت متفاعلة مع الأوضاع المعاصرة لها، تسعى لتكييف إطارها الإداري، وتنمية قدراتها التنظيمية، ولاسيما أنها ترى أعدادا هامة من الراغبين في تنميتها وتعزيز مسارها وإثراء اهتماماتها. وهذه السمات ساعدتها في النهوض من العوائق التي وقعت فيها أثناء الحربين العالميتين، ويسرت لها الوقوف على العوائق الأخرى التي هددت مسيرتها، وفي وجه الداعين للتخلي عنها لانقضاء زمنها وانتهاء مهامها. وسيتبين المزيد عن هذا التأييد عند الحديث عن خصائص المؤتمرات العلمية.

المبحث الثاني: الخصائص العلمية

مثلما كان للمؤتمرات خصائص إدارية، كانت لها مميزات علمية كذلك، إذ هي أساس مؤتمرات المستشرقين العالمية، والتي من أجلها أنشئت. وهذه الخصائص يمكن تقسيمها إلى العناصر التالية:

١ – شمولية الدراسات العلمية وتنوعها.

٢ – تأقلم المسار العلمي مع الأوضاع المحيطة.

٣ – الحرص على تنمية المسار الاستشراقي.

١ – شمولية الدراسات العلمية وتنوعها:

مع انطلاق المؤتمرات، قرر المنظمون الأوائل تخصيص كل دورة بموضوع معين، واختاروا اليابان ليكون موضوع دراسات الدورة الأولى، لكن الاعتراضات على ذلك، سببت نقلة نوعية في مسار مؤتمرات المستشرقين العالمية، فأضحت هذه تتسم بالشمولية في موضوعاتها. فقد تم تحوير الجدول لتحتفظ اليابان بنصيب الأسد من الدراسات، وتخصص لها خمس جلسات، مقابل جلستين للصين، التي كانوا يعدونها امتدادا للدراسات اليابانية، وجلسة لكل من الدراسات التتارية والهند الصينية، والمحيطية، والمصرية، والآشورية والفنون السامية، والدراسات السامية، والإيرانية، والدرافيدية، والسنسكريتية، والبوذية، والأرمينية والهلينية الجديدة، وجلسة عامة حول الاستشراق[١].

أما إذا تناولنا المؤتمر الأخير حتى هذا التاريخ، وهو الذي انعقد في بودابست، فقد كانت لجانه ولجانه الفرعية كالآتي: آسيا الوسطى والعصور المتأخرة، البوذية، تاريخ آسيا وشمال إفريقيا المعاصر والحديث، جنوب آسيا، جنوب شرق آسيا، الإسلامية، الإيرانية، التاميلية والدرافيدية، التبتية، التركية، السنسكريتية، العثمانية والتركية، القوقازية، الكورية، المانشاوية–التنغوستية،

---

[١] سبق تفصيل الموضوع ص ١٤٥ وما بعدها من الرسالة.

المنغولية، اليهودية والعبرية، شرق آسيا، الشرق وآسيا في العصور القديمة، الـهند والدراسات الهندوستانية، اليابان[1].

من هذا العرض، يتضح أن التنوع كان سمة المؤتمرات منذ انطلاقته. ومـن ثم اتخذت هذا التوجه، وتواصل هذا المسار العام حتى المؤتمرات الأخيرة. تلـك هي عينة من اللجان واللجان الفرعية التي عرضت في مؤتمـرات المستشـرقين العالمية، وهي دليل واضح على أن الاهتمامات كانت متنوعة جدا، ويمكن الاطلاع على كل اللجان واللجان الفرعية المختلفة التي انقسمت إليها المؤتمرات، التي تـم سردها بالجدول المخصص لها[2]. فقد وصل عددها إلـى الآن تسـعا وعشـرين ومائتين[3]، بمعدل يتراوح ما بين ست إلى سبع لجان لكل مؤتمر.

أما من جانب الاختصاصات الدراسـية والتوجـهات المعرفيـة للمقـالات والبحوث المعروضة في المؤتمرات ، فهي كذلك متنوعة جدا. تلك الدراسات أكثر تنوعا واتساعا من دلالات مسميات اللجان، وأكثر عمقا، وبالتالي أكـثر شـمولا. وحتى يتبين الأمر أكثر يمكن ضرب الأمثلة التالية، التي تزيد هذا الأمر وضوحا:

ـ لو تفحصنا المؤتمرات من خلال العناصر التي احتوت عليـها مسـميات اللجان، نجد أن هناك ثلاثة وخمسين ومائة موضوع[4]، ترددت في مجموعها العام سبعا وتسعين وخمسمائة مرة، أي أن معدل تردد هذه الموضوعات حولي أربـع مرات للواحد، بحيث أن كل موضوع يمكن أن يكون طرح في حوالي سبعة عشـر مؤتمر. وهذا أيضا من الناحية الإجمالية. لكن موضوعا يطرح في سـبعة عشـر مؤتمر، فيه دليل على أن هناك بحوثا جديدة في المجال ذاته، وتتناوله من جوانـب أخرى، وبالتالي فهذا دليل على أن أبحاث مؤتمرات المستشـرقين العالميـة ذات طبيعة شمولية.

- إذا تصفحنا المساهمات الإسلامية، التي عرضت في المؤتمرات، وهـي أقل بكثير من مساهمات المستشرقين، نجد أن ما تم إحصـاؤه إحـدى وخمسـون

---

(1) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest – 1997 – Programme.

(2) هذا الجدول وارد في الملحق رقم ١٤ ص ٦٣١ من الرسالة.

(3) هذه اللجان المتعددة، يمكن الاطلاع عليها بالملحق رقم ١٤ ص ٦٣١ من الرسالة.

(4) يمكن الاطلاع على ذلك بالملحق رقم ١٧ ص ٦٨٨ من الرسالة.

وستمائة دراسة[1]، وهذه تناولت عشرين وخمسمائة موضوع تفصيلي[2]، بمعدل مساهمة وربع لكل موضوع، وفي هذا دليل كذلك على التوسع والشمولية، وتنوع الموضوعات المطروقة، في دراسات المسلمين وحدها، فالحال مع مساهمات المستشرقين يكون أكثر شمولا واتساعا من هذه.

- مساهمات المستشرقين الصهاينة، نجد أنهم قدموا أربعا ومائة دراسة، شملت ثمانية وتسعين موضوعا، بمعدل قريب من دراسة لكل موضوع.

- المثال الأخير، في البيانات التي قدمت، وتتعلق بالمساهمات التي قدمت في اللجان المتعلقة بالإسلام والعالم الإسلامي في كل من مؤتمر الجزائر[3] وتركيا[4] ونيو دلهي[5] وطوكيو[6]، يمكن الاطلاع بكل يسر على تنوع الدراسات وشمولها لموضوعات متعددة، مما يبين أن الصبغة العلمية لدراسات المؤتمرات تتسم بالشمولية والتنوع.

من هذه الأمثلة، يمكن تبين أن المؤتمرات تتخذ الصورة الموسوعية في دراساتها وأبحاثها. وإذا كان هذا في موضوع الدراسات الإسلامية، وإذا قسنا الأمر على بقية اللجان، والتي كما سبق بلغت تسعا وعشرين ومائتين، يمكننا أن نستنتج مدى الاتساع الذي بلغته دراسات المؤتمرات، وبالتالي مدى الشمولية التي غطتها تلك الدراسات.

ولا تزال المؤتمرات تسير على الطريقة نفسها، ولعلها في الصورة الإجمالية، هي التي لا تزال تحافظ على صورة المستشرق والاستشراق الموسوعي، رغم أنها تقسم أعمالها إلى لجان متخصصة ومتعددة، لكن مكان المؤتمر يمكن فيه تتبع صور علمية عدة، إذ إن أي موضوع استشراقي يحتاجه المرء يلقى متخصصين لديهم الإجابة عن تساؤلاته. كما أن نشر وقائع الأعمال

---

[1] يمكن الاطلاع على ذلك بالملحق رقم ١٧ ص ٦٨٨ من الرسالة.

[2] يمكن الاطلاع على نلك بالملحق رقم ١٧ ص ٦٨٨ من الرسالة

[3] هذه الدراسات موجودة بالملحق رقم ٢٨ ص ٧٩٨ من الرسالة.

[4] هذه الدراسات موجودة بالملحق رقم ٢٩ ص ٨٠٠ من الرسالة.

[5] هذه الدراسات موجودة بالملحق رقم ٣٠ ص ٨٠٤ من الرسالة.

[6] هذه الدراسات موجودة بالملحق رقم ٣١ ص ٨١٢ من الرسالة.

كلها في مصنف واحد من شأنه أن يثري الثقافة الاستشراقية الشمولية في ميادينها كافة، ومجالاتها عامة.

من هذا الطرح البياني، يتضح أن الدراسات العلمية في مؤتمرات المستشرقين العالمية، كانت تتسم بالشمولية والتنوع، وهي ميزة من مميزاتها، وخصيصة من خصائصها، تميزها عن جل المؤتمرات غيرها.

٢ – تأقلم المسار العلمي مع الأوضاع المحيطة:

شهد مسار دراسات مؤتمرات المستشرقين العالمية العلمية تحويرات جوهرية على مدى مسارها، هذا المسار الذي أثرت فيه أمور، تمكنت دراسات المؤتمرات من التأقلم معها، وتحوير مسارها كلما تغيرت الظروف المحيطة بها، وهذا التأقلم قد يتم بصورة طبيعية دون الانتباه وقد تحصل مشادات عدة قبل أن يتمحور الوجه الجديد للمؤتمرات في دربها العلمي.

هذا التأقلم، تم بصفة خاصة من وجهات ثلاث، حسب المؤثر الذي يدعو لذلك. وهذه الوجهات هي: التأقلم مع التوجهات السياسية، والتيارات الثقافية، والظروف الاجتماعية.

هذه المؤثرات الثلاثة، كان لها دور كبير في سعي جل المستشرقين لتعديل نوعيات أبحاثهم، وسعت المؤتمرات لتحوير المسعى العام لمسار دراساتها، التي تتناسب وأهدافها التي ترمي إليه، هذه الأهداف التي كانت تتغير كذلك وفق الوضع الراهن لكل مؤتمر. ومن هنا كانت الدراسات أيضا تتغير وفق الظروف، تماما كالجانب الإداري للمؤتمرات، الذي رأينا أنه هو نفسه كان يتأقلم مع الظروف المحيطة به.

أ – التأقلم مع التوجهات السياسية:

أما عن التأقلم مع التوجهات السياسية، فمن المعلوم أن مؤتمرات المستشرقين العالمية نشأت في فترة تشهد فيها أوروبا صراعات متعددة، سببها التنافس الدولي. هذا التنافس انعكس كذلك على مسار المؤتمرات العلمي. بل إن نشأة المؤتمرات

تبدو جزء من هذا التنافس، إذ لما رأى المستشرقون أن كل الفعاليات العلمية تعقد مؤتمرات أرادوا هم كذلك تكوين نواة يجتمعون خلالها ويتدارسون موضوعاتهم[1]، كانت تخضع في اختيارها غالبا لمصلحة الدولة المستقبلة للمؤتمرات[2]. ومع ذلك، كانت المؤتمرات تواصل سيرها دون توان، وتدرس موضوعاتها وفق ما سطر لها، فلما فرضت المدرسة الفرنسية الموضوعات اليابانية، حضرها المستشرقون وتناولوها بالدرس، ولما فرضت بريطانيا الموضوعات الهندية، تم تحليلها، ولما وجه مؤتمر الجزائر الدراسات لإفريقيا والدراسات اللغوية، درس المؤتمرون تلك الموضوعات وهكذا..

من ناحية أخرى، عايشت المؤتمرات حقبة طويلة من عمرها الفترة الاستعمارية. وفي هذا المجال، توجهت المؤتمرات تقدم دراساتها وأبحاثها، فيما يخدم مصلحتها ومصلحة الاستعمار والاستشراق، وتدار مناقشات تؤيد هذا المسار، وتحاول توجيهه الوجهات التي من شأنها أن تخدم الاستعمار والاستشراق. وفي هذا المجال، عد الاستعمار في أحيان عدة واجبا وطنيا أوروبيا تجاه الشعوب الأخرى، وربطوا ذلك بعملية التثقيف والتحضر، والتطور الاجتماعي[3]، وهي حاجات نصب المستشرقون أنفسهم مسؤولين عن تحقيقها، وربطوا مصيرهم بها، لدرجة أن أضحى بعضهم يعد الاستعمارواجبا وطنيا[4]. بل إن بعضهم رجع بأصول الاستعمار إلى عهد مترام في القدم[5]. كما انتشرت بين المستشرقين ظاهرة التفاخر بالاستعمار[6]. من ثم، سيطر الفكر الاستعماري على العديد من المستشرقين[7]، ومن ثم ربطوا بين الاستعمار والمؤتمرات، وطالبوا بضرورة

---

(1) هذا ما أخبرني به المستشرق "شتيفن فيلد".

(2) وقد سبق بيانه ص ٢٠٦ - ٢٠٧ من الرسالة.

(3) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٤٩٥ وما بعدها من الرسالة.

(4) Addresse de Kuenen -Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – Premiere partie – p. 44.

(5) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٤٩٨ وما بعدها من الرسالة وما بعدها.

(6) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٤٩٥ من الرسالة فما بعدها.

(7) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٤٩٥ من الرسالة.

التناصح بين الطرفين، لأجل الحاجة والمصلحة المتبادلة[١]. وبذا، تبرز مجـــارة دراسات المؤتمرات للوضع السياسي، وتأقلم دراساتها مع التوجـــهات السياســـية، وقدمت موضوعات عدة تتعلق بالاستعمار. وفي هذا دليــــل آخـــر علـــى قـــدرة المؤتمرات العلمية على مسايرة الواقع السياسي، وتعايشها معه.

بعد انقضاء فترة الاستعمار، ووسط حمى صراعات الاســـتقلال، حصلـــت خلافات وسط المؤتمرات، بين مواصلة تـــأييد الاســـتعمار أو التشـــيع لحَركـــات التحرر. وبرزت قمة الصراع الداخلي ذلك فـــي المؤتمـــر الخـــامس والعشـــرين بموسكو[٢]. فقد نعت هذا المؤتمر بأنه سجل طورا جديدا في تـــاريخ الاستشـــراق عموما[٣]، وبالتالي المؤتمرات. وفي هذا المؤتمر، سيطر الاشتراكيون سيطرة تكاد تكون مطلقة على الفعاليات، واستطاعوا كسب الشرقيين لصفهم، وأعطوهم مكانـــة أكبر مما كانت لهم من قبل، حتى قيــــل إنـــها المكانـــة نفســـها التـــي أعطيـــت للاشتراكيين[٤]، وتم شبه تحالف لمحاصرة الغربيين، وحصلت مشادات عنيفة بيـــن الشقين، "أما خلال انتقاد الاحتلال، فقد اتحد علماء البلدان الاشتراكية مع علمـــــاء البلدان المشرقية، الأمر الذي أدى إلى شـــبه عزلـــة للمستشـــرقين ذوي الأفكـــار الرجعية"[٥].

ذاك المؤتمر كان فعلا الحد الفاصل للدراسات الاستعمارية في المؤتمـــرات، ودخلت بالتالي مرحلة جديدة، غلب عليها التأثير الثقافي. أما الجانب السياسي، فقد تحول كثيرا عما كان عليه من قبل، إذ تغير الميزان السياسي، وانحدرت الهيمنـــة الأوروبية، وانحصرت سياستها في توفير حاجياتها وتحقيق مصالحـــها، وســـيطر الجانب الاقتصادي على المؤثر السياسي، وبالتالي، جاءت دراسات المؤتمرات في هذا الجانب تتعلق بالجانب الاقتصادي، سواء التجارية منها أو الصناعية ولاســـيما

---

[١] سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٤٩٥ من الرسالة.

[٢] سبق تفصيل الموضوع هذا ص ١٨٢ من الرسالة.

[٣] سبق ذكر ذلك ص ١٨٢ من الرسالة.

[٤] سبق التعرض لذلك ص ١٨١ من الرسالة.

[5] "Le XXVeme Congres International des Orientalistes, Moscow, 9 - 16 Aout 1960" - Studia et Acta Orientalia - III - Bucarest - 1960 - p. 333.

البترول[1]، وازداد الاهتمام بهذه الجوانب السياسية-الاقتصادية بعد تحوير اسم مؤتمرات المستشرقين العالمية، وبالحركات السياسية التي تقوم في العالم الشرقي، ولاسيما تلك التي قد تتسبب في تهديد المصالح الغربية، من مثل الحركات الإسلامية، أو الثورة الإيرانية، أو غيرها من الحركات التي تجاهر بمعاداتها للغرب، وركزوا على ما يطلقون عليه التطرف والمتطرفين، وظهرت بعض هذه الدراسات في المؤتمر الأخير ببودابست بالمجر سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)[2].

وهكذا، مرة أخرى، استطاعت دراسات المؤتمرات التأقلم مع كل تيار سياسي جديد فاعل على الساحة العالمية.

ب – التأقلم مع التيارات الثقافية:

وعن التأقلم مع التيارات الثقافية، تعاقبت على مؤتمرات المستشرقين العالمية بحقب ثقافية عدة، سببتها الصراعات الداخلية التنافسية، والتي أدت هي ذاتها لقيام صراع ثقافي أيضا، وظهرت بالتالي النظريات والمناهج الفكرية، التي تكون متعارضة أحيانا، ومتكاملة أحيانا أخرى، ومتقاربة حينا آخر. وأذكى هذا الصراع الثقافي النمو السريع للعلوم والتقنية، وتطورها المتلاحق. فهذه العلوم أدت إلى اكتشافات جديدة، سواء مجرات عظمى أو كائنات متناهية الدقة، وكل هذا نشر في الساحة المعرفية ظاهرة التساؤلات ومحاولات تفسير كل شيء.

هذه الظواهر التي أثرت في الرسالة الثقافية عامة، كان لها انطباعها على مسار المؤتمرات العلمي، وكل ظاهرة ثقافية ترى لها انعكاسا في دراسات المستشرقين وفي إطار المؤتمرات. ومن هنا، سيتم بيان الكيفيات التي سارت على ضوئها المؤتمرات لتتأقلم مع الواقع الثقافي والتي يمكن إجمالها في عناصر ثلاثة:

– تفاعل المؤتمرات مع التيارات الفكرية العنصرية.

---

(1) يمكن التعرف على ذلك بكل يسر من خلال XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976). وفي العديد من المؤتمرات من بعده، سواء في طوكيو أو هامبورغ.

(2) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 – p. 7, 8…

- تفاعل المؤتمرات مع المناهج والتيارات العلمية.
- المؤتمرات وهيمنة التيارات الإنسانية والاجتماعية.

هذه العناصر، التي سيتم بيانها بإيجاز، هي التي حاولت مسايرتها أكثر من غيرها، أما التطور التقني، فكان أثره البارز في استخدامها لتيسير أعمال المؤتمرات، ولا تؤثر في نوعية الأعمال أو طريقتها.

- تفاعل المؤتمرات مع التيارات الفكرية العنصرية: رغم أنها لم يكن لها تلك الدعاية الكبرى، كغيرها من المسارات الفكرية، إلا أنها كان لها تأثير هام في توجيه المسارات العلمية للمؤتمرات. ولبيان حقيقة هذه التأثيرات، يمكن الاستدلال على ذلك من أوجه ثلاث: توجيه الدراسات للمصلحة الغربية، وظاهرة المركزية الغربية، وأثر الاستعلاء العنصري.

طغت المصلحة الغربية على دراسات المؤتمرات في فترات طويلة من الزمن. وانطلقت منذ المؤتمر الأول. ففي هذا المؤتمر، تمت دراسة اليابان مثلا، دراسة خبير مدقق، يميز مواطن الاستفادة عن تلك التي لا فائدة منها. لدرجة أن أحدهم يبين الأماكن الثرية بالمعادن، عن تلك التي تفتقر إليها[1]. وليس هذا فقط، بل إن الدراسات سعت لبيان إمكان الاستفادة من اليابان لتحقيق المصالح الغربية السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية[2]. وما توجهت تلك الدراسات لتحقيق تلك الأهداف إلا للنزعة القومية والعنصرية التي كانت تعيشها أوروبا، والتي استحوذت على قناعاتهم، حتى إن من العلماء من كان يبحث عن طريق الكيمياء، ما يؤكد له سمو العرقيات الآرية على غيرها[3].

وما يزيد الموضوع وضوحا وبيانا، الظاهرة الاستعمارية، والتي لم تجمع حولها دراسات وبحوثا فقط، بل حتى الرجال أنفسهم وفكرهم وحماسهم، وما سبق الإشارة إليه في المؤتمر الخامس والعشرين، من مساعي العديد من المستشرقين الغربيين لتبرير الاستعمار، ووقوف الشرقيين بمساندة الروس والاشتراكيين،

---

(1) سبقت الإشارة إلى المقولة تلك ص ١٣٤ من الرسالة.

(2) سبق تحليل هذه الموضوعات ص ١٨٠ من الرسالة وما بعدها.

(3) روبير شنيرب: تاريخ الحضارات العام ... - م٦ - ص ٥٦٥.

تجاهم لخير دليل على ذلك[١]. وإذا علمنا أن الاستعمار كان قد اتخذ عقيدة، يجب على الغربيين القيام به والسعي لتحقيقه[٢]، علمنا أن هذه الدراسات توجـــهت لمـــا يخدم المصلحة الغربية.

كما أن الدراسات الموجهة حاليا، لتناول المسائل الاجتماعية والاقتصاديـــة، والعلاقات بينهما وبين الثقافة، ودراسة الجماعات الشرقية التـــي تـــهدد مصـــالح الغرب[٣]، تصب كلها في هذا الجانب، ألا وهي خدمة المصلحة الغربية.

تتمثل ظاهرة المركزية الغربية في المعتقد الغربي الذي يـــرى أن أوروبـــا، ومن ورائها الغرب عموما، هي مركز العالم وسيدته، وأن كل ما سواها تبع لـــها، وإن لم يكن معها فهو ضدها، وبالتالي من حقها وحدها قيادة العالم والتحكـــم فـــي مصيره. هذه العقيدة هاجمها المستشـــرق الفرنســـي "جـــون فليـــوزا"، ووصفـــها بالمركزية الضيقة، التي ترى أن الحضارة الغربية القديمة هي الحضارة المثلـــى، ويعجب المستشرق من تقبل الشرقيين للأمر ذاك وخضوعهم له بكل يسر[٤].

إلا أن الشرقيين لم يكونوا كلهم على هذا الدرب، فقد كـــان العديـــد منـــهم يهاجمون هذه المركزية، ولعل أعمق من هاجمها، من خـــلال المؤتمـــرات، هـــو المستشرق الياباني "ياماموتو"، الذي ربط بينها وبين الاستشراق الغربـــي، قـــائلا: "لأن كلمة "مستشرق" تتضمن الدلالة على فكرة المركزية الأوروبيـــة"[٥]. ونـــص على ضرورة مراجعة الكتابات الاستشراقية فقال: "علينا التأكيد علـــى أهميـــة الانتقادات الموجهـــة للدراســـات الشـــرقية، المشـــوبة بالمركزيـــة الأوروبيـــة والاستعمار"[٦].

---

[١] سبق التعرض لذلك ص ١٨٠-١٨٢ من الرسالة.

[٢] تم التعرض هذا ص ٤٩٤ - ٤٩٥ من الرسالة.

[٣] يمكن التعرف على هذا التوجه بكل يسر بالاطلاع على الندوات المعقـــودة، بـــالملحق رقـــم ١٨ ص٦٩٣ فما بعدها من البحث.

[٤] سبق الحديث عن هذا الموضوع ص ٢٠٦ من الرسالة.

[5] Discours de Yamamoto Tatsuro - Presedent - Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 - Tome I - p. 30.

[6] Ibid. p. Tome I - p. 30.

هذه الأقوال من المستشرقين، تبين أن دراسات المؤتمرات شابتها المركزية الأوروبية، وبالتالي سارت هذه الأبحاث في طريق الهيمنة الغربية على أفكار العديد من المفكرين الغربيين.

أما عن أثر الاستعلاء العنصري، فكثيرا ما يتعامل المستشرقون مع غيرهم بتعال وعظمة، بل عبروا عن ذلك بصراحة أثناء المؤتمرات[1]. ويتبين أثر هذا الاستعلاء العنصري من خلال ظواهر عدة، يمكن الاستدلال منها بثلاث، إخضاع المجتمعات الأخرى للدراسة والتحليل، وتنصيب الذات الغربية مسؤولة عن الشعوب سواها، وتحويل حروف كتابة الشعوب الأخرى.

فوضع الشعوب غير الغربية للدراسة والتحليل، مثلهم مثل أي ظاهرة طبيعية أخرى مؤشر واضح على الاستعلاء العنصري هذا[2]. وفي هذا تقسيم لشعوب العالم قسمين، فوقية، وهي الغربية، وسفلية، وهي بقية العالم ككل. وفي هذا الحال، فإن جل دراسات المستشرقين في المؤتمرات، ولاسيما في فترة ما قبل تغيير اسمها، وانقلابها على نظام الدراسات الاستشراقية السابقة، تدخل تحت هذا التيار، وشابها التوجه العنصري، وبخاصة ما يتعلق منها بالنواحي الاجتماعية والعرقية والإنسانية، ففي جل هذه الحالات تجعل الدراسات من السمات الغربية محورا تقاس عليه موروثات الشرق ومميزاته.

وعن تنصيب الذات الغربية مسؤولة عن الشعوب الأخرى، فمثاله الدعوات التي أطلقها العديد من المستشرقين، سواء المؤيدون منهم للاستعمار والمنادون به، أو المبررون له أو الموجهون، فهؤلاء كانت معظم دعواهم أن على الغرب واجبا منوطا بعهدته، يفرض عليه استعمار الآخرين من أجل تثقيفهم وتنمية فكرهم والأخذ بأيديهم لساحة التحضر العالمي[3]. كما أن المعايير التي يستخدمونها في الحكم على الشعوب، تختلف حسب ميول الباحث. من ذلك ما رأيناه من رأيين

---

[1] تم التعرض لهذه المسألة في مواضع عدة من الرسالة، يمكن الاطلاع مثلا على ص ١٨٣ – ١٨٤ من الرسالة.

[2] ستم التعرض لمثل هذا التمثيل ص ٤٩٦ من الرسالة.

[3] سيتم التعرض هذه الأفكار ص ٢٠١ من الرسالة.

مختلفين عن رجال من قبيلة الداياك المالاوية، ففيما وصف المشركون منهم بأفضل السمات الأخلاقية، تلقى المسلمون منهم أشنع الصفات وأقسى النعوت[١].

من المثالين السابقين، وغيرهما موجود كثيرا في دراسات المؤتمرات ، يتبين أن المؤتمرات سايرت التيارات التي تضع من نفسها مالكة زمام التحكيم الدولي، قصد قيادة البشرية وتوجيهها والحكم عليها بما يروق الحاكم.

تحويل حروف كتابة الشعوب الأخرى: لتكتب بالحرف اللاتيني، فهو هدف من أهداف مؤتمرات المستشرقين العالمية، وانتشرت الدعاية التي ترى أن الحرف اللاتيني هو أساس التطور والتحضر، وأنه أدق وسيلة أكيدة للتثقيف ونشر التنوير[٢]، كما عدوه أيضا، "متناسقا وأعلى أشكال اللغات الإنسانية، وهو يساعد على أنتشار الأفكار بدرجة عالية"[٣]. هذه بعض أقوالهم في المجال، وقد ورد غيرها عند تحليل الموضوع هذا بصفة أعمق[٤]. كما عدت هذه المهمة واجبا من واجبات الغربيين أيضا. فقد صرح أحدهم فقال: "إن المسارعة إلى تخصيص اليابان بكتابة أبجدية، كان أحد واجبات علماء الغرب العالمية"[٥].

لكن الواقع بين أن هذه الأقوال ليست صحيحة البتة، إذ إن شعوبا ممن تغير أسلوب كتابتهم للحرف اللاتيني، فقدوا العديد من مقوماتهم الحضارية، وهوياتهم الثقافية، فيما دول أخرى تختلف كتاباتهم جدا عن الحرف اللاتيني، فاقوا الدول الغربية نفسها ثقافة وتقنية وعلما. والحقيقة أن هذه العملية تمت، كما صرح بذلك مستشرقون آخرون، لأن المصلحة الغربية أجبرت المؤتمرات والحاضرين فيها على البحث عن طرق تحويل تلك الحروف لتيسير الدبلوماسية الغربية والمبادلات التجارية والثقافية وفق الحاجيات الغربية أيضا. بل إن الغاية النهائية هي عولمة الحرف اللاتيني في إطار سيطرة كاملة لأصحابه[٦].

---

[١] يمكن التعرف على ذلك ص ٤٧٥ من الرسالة.

[2] A. Lefebre: Le premier Congres International des Orientalistes ... p.7.

[3] Ibid. - p.7.

[٤] تم ذلك في مواضع عدة من الرسالة، من ذلك مثلا ما ورد ص ١٥٧ من الرسالة.

[5] Lucien Adams: Congres International des Orientalistes -... p.7.

[٦] سبق التعرض للموضوع ص ١٠٩ فما بعدها من الرسالة.

فالحرف اللاتيني إذن، ومحاولة إحلاله مكان الحروف الأخرى، صورة من صور التكبر والاستعلاء العنصري الغربي، وانطباع كذلك لصور الدراسات ذات الطابع العنصري الذي سايرته مؤتمرات المستشرقين العالمية.

من هنا، ومن هذه العناصر الثلاثة، يمكن استنتاج أن إحدى سمات المؤتمرات اتباع التيار العنصري الغربي، الذي عايش المؤتمرات حقبة طويلة من عمرها، وهو ما يوضح تأقلمها مع هذا المسار الفكري.

– تفاعل المؤتمرات مع المناهج والتيارات العلمية: ظهرت المؤتمرات في حقبة تنوعت فيها التيارات الفكرية العديدة، وتركزت مناهج بحثية متنوعة[1]. هذا الثراء الثقافي كان له أثره أيضا في المسار العلمي الاستشراقي في مؤتمرات المستشرقين العالمية. ومن هنا نجد تنوعا كبيرا في دراسات المستشرقين المعروضة. فهناك على سبيل المثال الموضوعات الأدبية، والموضوعات الدينية، والموضوعات الاجتماعية، وكذلك السياسية والاقتصادية، كما نجد بحوثا كثيرة انبنت على المنهج التطوري، وأخرى على مناهج التحليل التاريخية، وهذان النوعان يغلبان على جل الدراسات، كما اتبعت دراسات أخرى المناهج الاقتصادية، وتوفرت مناهج التحليل الأدبي، ولعل منهج التحليل التاريخي للدين كان موجودا في جل المؤتمرات، ولاسيما في تحليل النصرانية والعهدين القديم والحديث[2].

والغالب على هذه الدراسات الناحية التجريدية، إذ إن المستشرقين غالبا ما يتناولون هذه المناهج قوالب صماء، تطبق على الظواهر التي يبحثونها، بحيث قد يطوعون الأحداث للنهج الذي يتبعونه، دون النظر للمؤثرات الأخرى التي قد تكون أثرت في الظاهرة المدروسة، والتي لا تدخل في منظار المنهج الذي يتبعه الباحث، من ذلك ما مر بنا من نتائج في المؤتمر الرابع عشر بالجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، لما قدم المستشرق "فولرس" دراسته عن اللغات العربية الأدبية واللهجات في الجزيرة العربية القديمة، ومقصوده السابقة عن الإسلام،

---

[1] سبقت الإشارة لهذا الموضوع ص ٤٨ وما بعدها من الرسالة.

[2] سبق بيان نوعيات من هذا التوجه، من ذلك مثلا ما ورد ص ٥٦ من الرسالة وما بعدها.

"وذهب مبديا اعتقاده أن في بعض سور القرآن الكريم المنزل بلسان عربي مبين، ألفاظا بل جمل عامية"[1]، الأمر الذي أحدث خلافات في المجلس، وحصلت مشادة بين هذا المستشرق والحاضرين من المسلمين، منهم عبد العزيز جاويش، الذي بين أن "العامية تعني اللهجة البعيدة عن الفصحى المملوءة لحنا، لم تكن إلا بعد ما استعمل العجم لغة العرب وحرفوها وأفسدوها، لعجزهم عن النطق ببعض الأصوات كما ينبغي النطق بها، ولجهلهم بقواعد اللغة"[2].

فهذا المستشرق اتبع منهجه الذي أراد أن يوصله لوجود لهجة عامية في القرآن، جرد هذا التوجه عما سواه من المؤثرات، الأمر الذي أدى إلى ردة فعل ربما ما كان يتصورها، إذ لم يرد عليه جاويش فقط، بل غيره أيضا، من ضمنهم محمد أبو شنب، أحد المثقفين الجزائريين إذ ذاك[3]. فهذا مثال عن تجريد المناهج واتباعها كما وردت، إذ إن تلك الفترة شهدت ما يشبه تقديس المناهج والتيارات، كالوجودية والديالكتيكية التاريخية، والمنهج التطوري بصفة خاصة.

كما وجد التلاعب بالمناهج كذلك، بحيث يضع الباحث هدفه، ويستخدم ما يقدر عليه من المناهج ليصل للنتيجة التي يريدها. ومن ذلك دراسة "جوستاف ويل G. WEIL"، بعنوان "هل عرف محمد القراءة و الكتابة؟ Mohamet savait-il lire et ecrire ?"، وقد ألقاها المستشرق في مؤتمر المستشرقين العالمي الرابع، الذي انعقد بـ"فلورنسا"، في العام ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ). فاستخدم ما أمكن من القواميس اللغوية، والمقارنات الفيلولوجية، والأساليب التحليلية، وقارن بين دراسات العديد من المستشرقين والفيلولوجيين، ليثبت ببراعة أن النبي ﷺ كان أميا وليس قارئا ولا كاتبا، حتى إنه يوهم أنه يدافع عن هذه الحقيقة ويفند ما سواها. لكن الحقيقة، أنه طرح دراسته لا ليستغلها لتفنيد ذلك الزعم الذي يدعي كتابته (ﷺ) للقرآن، لكن ليستنتج في خاتمة بحثه ما يلي:" فيما تبقى، يكفيكم سادتي أن تقطعوا القرآن قراءة من الدفة إلى الأخرى بتمعن، حتى تعلموا أن مدون هذا الكتاب إنما هو رجل غير مثقف، فيمكن تفهم سوء التنظيم الذي يسوده،

---

[1] إسماعيل العربي: الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي– ص ٧٤.

[2] المرجع نفسه – ص ٧٤.

[3] المرجع نفسه – ص٧٥ .

والتناقضات والتكرار المزدحم فيه، وذلك بتقبل أن محمدا كان يرتجل أقواله وأنه لم يكن يملي إلا جزءا يسيرا منها، وأن الجزء الكبير كان يحفظ بصفة تتفاوت في دقتها في أذهان الصحابة. كما أننا لم نستطع تفهم كيف سمح محمد (ﷺ)، بأن يبقى ما زعمه أقوالا ربانية تحت رحمة عدد محدود من الأشخاص... وهذا يؤدي إلى التكهن بأنه من الصعب تكوين نسخة منه متكاملة وصحيحة... لكن لو كانت له المعارف الضرورية بهذا الأمر، لاحتفظ لنفسه، للضرورة، بنسخة حررها بنفسه، ولترك للأجيال القادمة، بعد موته، كتابا يكون النقص فيه أقل من ذلك الذي نقل إلينا عن طريق أبي بكر وعثمان (رضي الله عنهما)..."[1].

لا شك لدى المسلمين في أن النبي ﷺ أمي. ولا شك لديهم في أن قرآنهم وحي موحى به، بعكس المستشرقين الذين يضعون هذا الأمر موضع شك، ورفض أحيانا. وهذا المستشرق، انطلق من مرتكز صحيح، ليصل إلى القول بأن القرآن مزيف، حسب معتقده، وأنه ليس من وضع النبي ﷺ . بل خضع لعمل الصحابة من بعده. ولا تفوت الملاحظة أنه حصر نفسه في البحوث الفيلولوجية، وتجاهل الجانب التاريخي، كما أنه لم يعتمد أي كتب إسلامية متخصصة في هذا المجال ولم يتعرض للطريقة التي جمع بها القرآن لا نقدا ولا حتى تحليلا، ويصعب الاعتقاد بأنه لم يطلع عليها، لكن بدعة ضرورة مراجعة التراث وفق مناهج غربية جديدة، والتي صدع بها المستشرقون وتلقفها أناسي كثير، إضافة إلى التفوق العرقي والعنصري والفكري، والنظرة الدونية للكتاب المسلمين قديمهم وحديثهم، هي التي أثرت تأثيرا كليا في توجه هذا المستشرق البحثي. وواضح اعتقاده بعدم نبوة محمد ﷺ، كما أن هناك اتهاما بأن هذا الوحي ألقي لرجل جاهل يتلاعب به. وحاصل الأمر أنه يشكك في مصداقية العقيدة الإسلامية، ومن ثم انطلق متجاهلا ما كتبه المسلمون موثرا معتقده على مدوناتهم، فما دامت العقيدة باطلة في نظره، فما كتب حولها كذلك. لكن كان عليه على الأقل مناقشة تلك الدراسات حول تدوين الوحي مناقشة داخلية في إطار معتقدات المسلمين، ليبين إن استطاع ما يراه غير

(1) WEIL G.: "Mohamet savait-il lire et ecrire?" – Atti del IV Congresso Internationale degli Orientalistic-Florence-1878 - Volume primo- pp. 365 –366.

صحيح، ويبسط أدلته على ذلك. لكنه ما فعل هذا. فهو حرف المنهج العلمي الدراسي، مستخدما ما يتناسب وقناعته الرئيسة، تاركا جانبا ما سوى ذلك.

من الأمثلة المتقدمة، يتبين أن المؤتمرات واكبت تيار انتشار المناهج والتيارات الفكرية، التي سادت في الغرب وانتشرت فيه من قبل نشأتها، وصاحبتها لفترات عدة، وكانت الأبحاث فيها تستخدم في العديد من المرات المناهج التي من شأنها أن توصلها للغاية التي ترغب فيها.

- المؤتمرات وهيمنة التيارات الإنسانية والاجتماعية: ظهرت التيارات الإنسانية والاجتماعية على الساحة المعرفية قبيل انطلاق مؤتمرات المستشرقين العالمية، وما لبثت أن هيمنت على المسارات العلمية، وزاد من قوتها ما حصل في أوروبا من دمار نتيجة الحروب الداخلية ثم الحربين العالميتين، هذه المآسي ساهمت في بروز هذا التيار بأفكاره واتجاهاته ومدارسه ومذاهبه، وبالتالي سيطرت مناهجه على جل الفنون الأدبية والفنية والعلمية. وطرح موضوع الإنسانية للدرس في مؤتمرات المستشرقين العالمية. من هؤلاء "ريمون شواب"، الذي سبق التعرض لأفكاره تلك[1].

كما عدت مؤتمرات المستشرقين العالمية جزءا لا يتجزأ من الدراسات الإنسانية. وعبر عن هذا في مرات كثيرة ومتعددة، وعدت أعماله إنسانية، ودراساته للمجتمعات خدمة إنسانية، بل حتى دعواته لتغيير الحروف الشرقية للحرف اللاتيني عدت من باب العمل الإنساني، ودعواته المؤيدة للاستعمار إنسانية، بما أنهم يدعون أن الاستعمار عمل إنساني.

ولما تم الكشف عن حقيقة العمل الاستشراقي، وأضحى مصطلح "مستشرق" و"استشراق" مكروهين في الشرق ومنبوذين في الغرب، سارعت المؤتمرات لتغيير مسماها، واختارت لفظ الإنسانية ليحل محلها، وأصبحت تدعى "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، ومن ثم حاولت المؤتمرات أن ينصب اهتمامها على هذا التوجه الإنساني.

ارتبطت الدراسات الإنسانية، بالأبحاث الاجتماعية كذلك. فقد تعددت المدارس الاجتماعية، وانتشرت مناهجها ، وتنوعت ميادينها، وانتشرت في

---

[1] ص ٥٥٦ فما بعدها من الرسالة.

الدراسات الاستشراقية عامة. وكان رواد المدرسة الاستشراقية الاجتماعية، المستشرقين الأمريكان، ولاسيما مستشرقي الولايات المتحدة الأمريكية. وهؤلاء استطاعوا بسط نفوذهم على الساحة المعرفية، بعد أن تمكنت بلادهم من بسط نفوذها السياسي والاقتصادي، وتوفرت لهم إمكانات البحث والدراسة والنشر. كما أنها قدرت على استقطاب العديد من الباحثين العالميين، الذين تبنوا أفكارهم.

من ثم، كان لهذه النوعية من الدراسات مكانتها في أعمال مؤتمرات المستشرقين العالمية، وتأثرت بحوث عدة بذلك التوجه الجديد في الموضوعات الاستشراقية[1]. ولا ريب في ذلك، بما أن المؤتمرات تدرس مجتمعات متعددة في عمومها، لكن بعد أن كانت تدرس وفق وجهات نظر شخصية، تم تأطير تلك البحوث وفق المناهج الاجتماعية في البحث. ويتضح هذا التوجه بكل يسر إذا ما نظرنا في مسار الندوات العلمية مثلا، إذ كان للموضوعات الاجتماعية نصيب الأسد فيها[2].

وهكذا عدت مؤتمرات المستشرقين العالمية من باب الدراسات الإنسانية والاجتماعية، وتخضع بحوثها نظريا، لمناهج العلمين وتسير وفقهما في أغلب الأحيان، إضافة إلى الميادين الأخرى، التي يتم ربطها عادة بهذين الجانبين، كالاقتصاد والتقنية التي كثيرا ما يبحث أثرها في المجتمعات، وما تحدثه فيها من تحويرات وتحولات اجتماعية وثقافية[3].

من كل ما سبق، يتبين أن المؤتمرات كانت قادرة دائما على التأقلم وفق المسارات الثقافية التي تعيش فيها. وكل ظاهرة ثقافية ما، تنطبع على مسارات دراسات المؤتمرات. فالمؤتمرات مفتوحة أبوابها لكل المشاركين، ولكافة المشاركات. ولا ريب في أن جل المدارس الثقافية تجد لها مشايعين يعرضون دراساتهم فيها. وبالتالي تظهر تلك البحوث حاملة جل التوجهات الموجودة على الساحة المعرفية، ومن باب تلاقح الأفكار، لا ترد تلك النوعيات. وقد كانت

---

[1] تم التعرض لهذا التيار ص ٥٥٤ من الرسالة فما بعدها.

[2] تم عرض هذه الندوات بالملحق رقم ١٨ ص ٦٩٣ من الرسالة وما بعدها.

[3] مثال ذلك ما تم ذكره بالملحق رقم ١٨ ص ٦٩٣ وما بعدها من الرسالة.

المؤتمرات من قبل تختار الدراسات التي يتم عرضها، لكنها ما لبثت أن أصبحت تجمع كل ما يقدم إليها من دراسات، ولا ترد في الغالب أي منها. ومن هنا، تجد كل التوجهات عادة، آثارها مرسومة في أعمال المؤتمرات.

٣ – الحرص على تنمية المسار الاستشراقي:

هذه الخصيصة، تعد أهم خصائص المؤتمرات. فقد أنشئت المؤتمرات أساسا من أجل المحافظة على المسار الاستشراقي وتنميته، ومن ثم سعت جاهدة لتشجيع أعمال استشراقية جديدة، والتنظير لأخرى تحتاج اهتمامات خاصة، ببيان جوانبها المتعددة، كما أنها كانت تسعى لتقديم توصيات من شأنها جلب الاهتمامات لإنجازات استشراقية تحتاج للدعم المادي والسياسي والعلمي[١].

في مجال تنمية الدراسات الاستشراقية، حرص المستشرقون من خلال المؤتمرات على تنمية الثقافة الاستشراقية في الغرب، والتشجيع على التوجه نحو هذه الميادين، وفتح مجالات أخرى، وتكوين جمعيات ومؤسسات، ودعوة الجامعات لفتح معاهد وأقسام متخصصة في هذا المجال، ودعت للعناية بالفلكلور الشرقي ونوهت بقيام جمعيات متخصصة في ذلك، وكذلك دعت للعناية بالآثار والمعالم الأثرية، ورحبت بهيئات متخصصة فيها، كما دعت لتجميع الأعمال الاستشراقية وطباعتها ونشرها. وشجعت فهارس وقواميس وببليوغرافيات، وشجعت كل ما يخدم المسار الاستشراقي[٢].

كما كانت تتقدم بطلبات لهيئات علمية وسياسية من أجل النهوض بالأعمال الاستشراقية، وتهيب بهيئات أخرى المحافظة على ذخائر شرقية، كالآثار والمخطوطات والأوراق والمسكوكات والظواهر الفلكلورية وغيرها من المقومات الشرقية. وكثيرا ما كانت توجه رسائل شكر في هذا المجال[٣]. كما أنها عادة ما تساير السياسة والسياسيين من أجل خدمة الهدف هذا. بل إنها رغم تأييدها

---

[١] حلل هذا الموضوع ص ٥٤٣ من الرسالة فما بعد.

[٢] تحليل كل هذه الموضوعات ص ٥٥٠ وما بعدها من الرسالة.

[٣] تم تحليل الموضوع ص ٥٦٠ من الرسالة.

للاستعمار، فقد كانت هي ذاتها تتبادل المنافع معه لمصلحة الاستشراق وخدمة البحوث الاستشراقية وتنميتها[١]، إذ كانت الفرصة إذ ذاك مواتية لمعايشة الشرقيين والقيام ببحوث تجريبية مباشرة، عوض الاكتفاء بالبحوث النظرية ودراسة الكتب والمخطوطات التي حصلوا عليها من الغرب، أو الاكتفاء بكتابات من واتتهم الفرصة منهم لزيارة الشرق والكتابة حوله.

من جهة أخرى، تبنت المؤتمرات نفسها أعمالا استشراقية، تم إنجاز البعض منها، مثل دائرة المعارف الإسلامية[٢]، في حين بلغت موضوعات أخرى درجات أقل منها في سلم النجاح، مثل نقل الحروف الشرقية للحرف اللاتيني، فيما بعض المقترحات الاستشراقية لا يكتب لها النجاح وقد ترد.

هذه الخصيصة، وكما سبق، هي الأهم من غيرها. وهي المحور الذي دارت حوله معظم الدراسات الاستشراقية في المؤتمرات. وخلال البحث هذا تم التعوض لهذه المسألة بإطناب في مواطن عدة: فكان لها الموقع الكبير في عملية تأثير المؤتمرات، في الجوانب السياسية والثقافية، كما أنها كانت إحدى أهدافها.

تلك إذن هي أهم خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية، التي كانت تتسم بها، سواء من الناحية الإدارية التنظيمية، أو من ناحية المسار العلمي. هذه الخصائص تميزت بها المؤتمرات عن غيرها، وقدرت بالتالي على أن يستمر نشاطها طيلة هذه الحقبة الطويلة من الزمن. فقد استطاعت المحافظة على مسارها طوال قرن وربع من الزمن، ولازالت تخطط لمواصلة عملها ونشاطها، للمؤهلات التي تمتاز بها، ولقدرتها على تجميع أعداد كبيرة من الباحثين العاملين من حولها. كما أن نشاطها العلمي، وحرصها على تنمية قدراتها المعرفية، وتمكنها من التعايش مع كل الفعاليات والتيارات العلمية، وربطها نشاطها ذاك بتطور المعارف الاستشراقية، كلها تساهم في تجديد نشاطها، وتمديد عمر عملها لحقبة زمنية أخرى، إلا أن يشاء الله أمرا آخر.

---

[١] سبق تحليل الموضوع ص ٥٧٤ من الرسالة.

[٢] سبق التعرض للموضوع بالتحليل ص ٥٧٥ من الرسالة.

بهذا يتم الحديث حول خصائص المؤتمرات بصفة عامة. فقد كانت فعالة جدا، بحيث إنها كانت متأثرة بالعوامل المحيطة بها، ولا عجب في ذلك، إذ إنها مفتوحة لكل التيارات والفعاليات الثقافية، مهما كانت توجهاتها وميولها وقناعاتها، والمهم أن الموضوع الرئيس لها هو الشرق والدراسات الشرقية، وكل ما يتعلق بالدراسات الاستشراقية، كما أنها كانت مؤثرة في الوسط المحيط بها، ولاسيما حرصها على تنمية القدرات الاستشراقية، والمساهمة من جانبها في تطوير البحث الاستشراقي. كما كانت تساهم في النمو بمحيطها والرقي به، وفق نظرة العصر الذي تعيش فيه، ومن ثم أيدت المصالح العليا لبني جنسها، وكسبت دعمهم لها هي أيضا، بحيث هيئوا لها التأييد والمساعدة، كما وافقوها على تبني بعض توصياتها، المتعلقة بالرقي بالميدان الاستشراقي.

هذه المقدرة، هيأت خصائص عدة، كان لها الفضل في الرقي بأعمال المؤتمرات، وأنشطتها، وساعدتها على تأطير فعالياتها، وعلى الإيمان برسالتها، ومواصلتها القيام بدورها. كما أن هذه الميزات، مكنت للمؤتمرات، إذ ساعدتها على تخطي العقبات التي حاولت عرقلة مسيرتها، وأنقذتها من عثراتها التي صادفتها في طريقها، ولازالت المؤتمرات تواصل عملها، وتظهر المؤشرات المحيطة بها أنها ستواصل نشاطها، إلى ما شاء الله.

الفصل الثاني: المؤثرات في مؤتمرات المستشرقين العالمية

المبحث الأول: المؤثرات الدينية

المبحث الثاني: المؤثرات السياسية

المبحث الثالث: المؤثرات الثقافية

المبحث الرابع: المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية

الفصل الثاني: المؤثرات في مؤتمرات المستشرقين العالمية

توطئة:

من خلال تناولنا للمؤتمرات بالدرس والتحليل، تبين وجود مؤثرات عدة في الجانب العلمي للمؤتمرات. فالمعلوم أن الهدف من نشأة المؤتمرات هو البحث العلمي الاستشراقي، والذي كان ينحصر في الفيلولوجيا اللغوية والتحليلات الثقافية، من تاريخية وأدبية ودينية وفنون، ودراسات اجتماعية من بحوث عرقية وإثنولوجية وعادات وتقاليد وغيرها. لكن ما لبث الأمر أن تدخلت المصالح الغربية العليا، من دينية وسياسية وثقافية واقتصادية واجتماعية، لتحول توجه المؤتمرات الأساس، وانطلق ذلك منذ المؤتمر الأول بباريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ) . يجسم مثل هذه المؤثرات، والتي قد تكون متناقضة أحيانا المستشرق الياباني "ياماموتو تاتسورو"، رئيس المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، وذلك في المؤتمر ذاته فقال: "إن العديد منا يملك فرصة حضور المناقشات المتعلقة بنظريات مختلفة تماما، مثل الاستعمار ومقاومة الاستعمار، الرأسمالية والشيوعية، الحرية والجبرية، أو المزيد من الأمور النظرية، والسلوكية والعقلانية، وهكذا. لكن تجربتنا تبين أن هذا النوع من مزيد تبسيط المقابلة والمقارنة للأفكار المتباينة، لا يؤدي إلى نتائج مثمرة"[1].

من جهة أخرى، من المفيد التنصيص على أن المقصود بالمؤثرات هي الخلفيات الثقافية اللاتينية، والأفكار السابقة الغربية، والموروثات الحضارية اللاتينية، والمقومات الاجتماعية والمصالح الضيقة الغربية. وبالتالي، لن يتم الحديث مثلا عن المؤثرات الدينية الشرقية، كالإسلام وغيره، بوصفها ليست من

---

(1) Yamamoto Tatsuro – Address – Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 – T1 – p. 30.

الخلفيات الثقافية الغربية، بل هي إحدى الميادين التي يتم تناولها بالدرس. كذلك المعتقدات الثقافية والاجتماعية والشخصية الشرقية، للسبب ذاته.

من الناحية الدينية، أخذت النصرانية الحظ الأوفر من ترك آثارها في المؤتمرات، واتضحت قوة الأثر ذلك منذ المؤتمر الأول، سواء من ناحية نشر الديانة، أو البحوث المتعلقة بالكتاب المقدس. كما نجد لليهودية أثرها كذلك، من خلال البحث عن الأصل الشرقي اليهودي، أو تحليل طبعهم وحياتهم، كما كان للمستشرقين الصهاينة الإسرائيليين أثرهم ودورهم الفعال، ولاسيما منذ فرض قيام الكيان الصهيوني في فلسطين.

أما الناحية السياسية، فما يعقد مؤتمر إلا تحت رعاية أكابر الحكومة، كما أن الساسة يرسلون ممثلين عنهم، وهناك مهام عدة لا يمكن أن يقوم بها إلا الساسة أو بدعم منهم، كما أن للظروف السياسية أثرها في المؤتمرات. وكان الفكر الاستعماري مسيطرا على المؤتمرات والمستشرقين، ولاسيما في الحقبتين الأولى والثانية.

من الناحية الثقافية، سعت المؤتمرات، لمسايرة التوجه الثقافي العام، ولاسيما مفاهيم الحضارة والثقافة، وتفاعلهما بين الشرق والغرب.

للجانب الاجتماعي أثره في البحوث، وذلك بالتركيز عليها، والبحث عن أصول تغيرها. كما جعلت القيم الغربية المقياس الذي توزن به حياة الشرقيين اليومية، مثل شؤون المرأة والعادات والعلاقات الاجتماعية.

وللجانب الاقتصادي دوره الرئيس من التأثير في مسار المؤتمرات، منذ المؤتمر الأول كذلك، وبالتالي كثيرا ما ركزت دراسات المستشرقين وأبحاثهم حوله، ولاسيما في المؤتمرات الأولى والأخيرة، ودرست الموارد الاقتصادية والتوجهات الاقتصادية وعلاقاتها بالتحولات الاجتماعية.

هذه هي المؤثرات الرئيسة في مؤتمرات المستشرقين العالمية، والتي من شأنها أن تتضح من خلال تحليلها وبيانها فيما يلي من الدرس. والمعلوم أنه لا يمكن تناول كل هذه المؤثرات والتأثيرات المتنوعة لذا، سيكتفى باعتماد عينة منها فقط في كل عنصر من العناصر المتناولة.

المبحث الأول: المؤثرات الدينية

كانت الكنيسة تساير كل تحول وتوازيه في المسار، وتلاحق كل تطور وتستغله، حتى لا تفوتها تلك المبادرة، وهذا التنافس يجسمه "آربري" قائلا: "فبينما كان التاجر يسعى في تحصيل النفع المادي من علاقاته بالشعوب الشرقية، إذ بالمنصر الإنجيلي يسبقه تارة أو يتبعه حثيثا تارة أخرى، وقد امتلأ حماسة شريفة أن يحقق أمر معلمه المسيح بالذهاب إلى كل العالم والتبشير بالإنجيل إلى كل مخلوق... وهكذا يكون هناك دلالة رمزية في أنه بينما كان مؤسس أول كرسي للعربية في كامبردج سنة ١٦٣٢م (١٠٤١هـ) رجلا علمانيا هو "السر توماس آدمز"، كان مؤسس الكرسي المنافس له بأكسفورد سنة ١٦٣٦م (١٠٤٥هـ)، رئيس الأساقفة "لود" نفسه"[1]. وتواصلت هذه المنافسة في المسارات مع الانتشار الاستعماري ونمو الدراسات الاستشراقية.

ولما بدرت فكرة عقد مؤتمرات المستشرقين، كان أرباب النصرانية من الأوائل الذين وقفوا مع الخطوة ساعين لإنجاحها. وكان لهم دورهم الإداري، والعلمي، وهذا الأخير كانوا يعلنون فيه مبادئهم ونتائج أعمالهم ومخططاتهم وقناعاتهم دون وجل. ومن ثم اتخذوا المؤتمرات منبر دعاية وتعريف لهم.

من جهة أخرى، كان للكتاب المقدس دوره الهام في مؤتمرات المستشرقين العالمية، فقد أخذ حيزا كبيرا من دراساتها، سواء من المنصرين والكنسيين، أو من العلمانيين والمعارضين للكنيسة، وكل يوجه طريقة دراساته الوجهة التي يراها مناسبة وقناعاته وتوجهاته، وساعد في ذلك المكتشفات التي تتوالى عن مصادر جديدة تتعلق بالكتاب المقدس أو أجزاء منه أو دراسات عنه.

ومر بنا أن الغربيين ضاقوا ذرعا من اليهود، وهؤلاء أحسوا بذلك، ولاسيما بعد أن تعرضوا للعديد من الحركات المقامة ضدهم، لأسباب عدة ليس هذا مجالها، تتعلق بصفة خاصة بالنفسية اليهودية والتركيبة العنصرية التي يعيشونها وسط الأقوام الآخرين، ومن هنا انبروا يبحثون عن مكان تجمع لهم، سواء من

---

[1] آربري أ. ج.: المستشرقون البريطانيون – ص ١٤ – ١٥ .

قبلهم حتى يتحرروا من الضغوط والكراهية الموجهة نحوهم، أو من قبل الغربيين الذين يودون التخلص منهم، ومن هنا طرحت المسألة اليهودية في العالم الغربي، وكانوا يستغلون أي منبر أو تجمع أو فرصة حتى يتم تناول موضوعهم بالتحليل. وبالتالي كانت مؤتمرات المستشرقين العالمية، ولا تزال إحدى تلك المنابر. فقد استغلت منذ نشأتها لدراسة اليهود عموما، أما الأخيرات فبرز فيها العنصر اليهودي بقوة، ولاسيما الصهاينة الإسرائيليين الذين احتلوا حيزا لا بأس به من المساهمة في المؤتمرات، وتنوعت دراساتهم، وكونوا مدرسة استشراقية صهيونية-إسرائيلية في فلسطين.

هذان المؤثران النصرانية واليهودية، هي التي تبين الأثر الديني في المؤتمرات، وسيتم تحليلها فيما يلي.

١ — الأثر النصراني في مؤتمرات المستشرقين العالمية:

يمكن تحليل الأثر النصراني في مؤتمرات المستشرقين العالمية، من خلال العناصر التالية:

أ — وسائل المنصرين في نشر النصرانية.

ب — تحليل أزمة العقيدة النصرانية.

ج — العلاقة بين السياسة والتنصير.

أ . وسائل المنصرين في نشر النصرانية:

فيما يتعلق بهذا الجانب، نجد للمنصرين عموما، والمستشرقين منهم خاصة، وسائل وأساليب عدة في استغلال المجتمعات قصد نشر ديانتهم. ومن هذه الوسائل والأساليب تعلم اللغات ونشر الكتب وطبعها، والتعليم والتثقيف، ومخالطة الشعوب، وشغل المناصب الشاغرة من النصارى، وإيجاد مراكز تنصيرية.

— تعلم اللغات: من أهم ما عرض له المستشرقون المنصرون في المؤتمرات. فقد كانوا يشيدون بتفاني المنصرين في تعلم لغات المجتمعات التي ولجوها قصد التنصير، بل كانوا سباقين في أحيان عدة لطرق هذا الموضوع

وتحليله، إذا ما قارناهم بالمستشرقين. وقد سبق الحديث عن هذا[1]، لكن يمكن إضافة بعض الشواهد. فعند حديثه عن اللغة الصينية، يتحدث "ليون دو روسني" في المؤتمر الأول بباريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ) قائلا: "...يمكننا القول بأن الدراسات هذه ظلت قابعة في ميدان مقصور على المنصرين، ولاسيما الفرنسيين..."[2]، ويؤيد القول، ما ذكره "فون كريمر"، حول اللغة الصينية ذاتها التي يقر بصعوبتها، ولذا "لم يقدر أي عالم أوروبي على فهمها ما عدا بعض المنصرين"[3].

ومن اهتمامهم باللغات، سبقهم لمحاولة نقل الحروف المحلية لتكتب بالحرف اللاتيني، دلل على هذا المستشرق "ليون فير"[4] عند كلامه عن إحدى كلمات اللغة التبتية التي يدرسها، ويبين هذا السبق بوضوح أدق، المستشرق "لوي دو زيلنسكي"[5]، لما تحدث عن نقل الحروف اليابانية للحرف اللاتيني.

من جهة أخرى، كان للدافع التنصيري دوره البارز في تعلم لغة الشعوب التي يبثون فيها دعوتهم، من هؤلاء المستشرق "هنري بارتود"، لما كان ينصر بإفريقيا[6]. كما يرى المستشرقون أن الفضل يعود للمنصرين في إبراز بعض اللغات، من ذلك لغة التزونجا[1].

---

(1) تم ذلك ص من الرسالة.

(2) Leon de Rosney: Stanislas Julien - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - premier partie - Huitieme Seance - p. 385.

(3) Von Kremer - Die Effrungstizung des Congress - Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol1 - T1 - p. 38.

(4) Leon Feer: Etymologie, histoire, orthographe du mot Tibet - Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 2 - T3 - p. 64 .

(5) Louis de Zelinsky: Transcription Europeenne des textes japonais - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - premiere partie - Neuvieme seances - p. 392 .

(6) Henry Berthoud: " Quelques remarques sur la famille des langues bamtou et sur la langue Tzonga en particulier " - Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes- Geneve –1894 -Quatrieme partie - Quatrieme section - p. 170

ويركز المستشرقون كذلك على اللهجات في أثناء دراساتهم اللغوية، وهـــذا ميدان يهتم به المستشرقون اهتماما كبيرا. من ذلك ما نص عليه "والتر إليوت" عن اللغات البنغالية، وفيه:" نشر العديد من المنصرين نتائج دراستهم للعامية..."[٢].

ــ طبع الكتب ونشرها: يهتم المستشرقون والمنصرون منهم بخاصة، بنشــر الكتب، سواء منها الموجهة للتنصير، أو تلك التي تتعلق بدراســات تنصيريــة أو استشراقية. فقد سبق ذكر جمعيتي إخوة "سان جوريوس"، التــي عرضــت ســتا وثلاثين عنوانا من منشوراتها في معرض المؤتمر السادس بليدن ســـنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هــ)، و"M. R. N. Crist"، قرابة سبعة وعشرين عنوانا[٣]. وقــد كــان العديد من المنصرين يدعو لطبع الكتب ويحث عليه. من ذلك ما ذكره المستشــرق "دسوف" في المؤتمر الثامن، بستوكهولم سنة ١٨٨٩م (١٣٠٧هــ)، فـــي أثنــاء حديثه عن أعمال النصارى في أرمينيا"[٤].

إلا أن هذه الكتابات المنشورة لا تكون دائما سليمة، بل قد يوجد فيها خلل أو أكثر. وهذا ما أخذه المستشرق المنصر "بـــارتود"،علـــى الأب "ج. تورانـــد J. Torrend" من الإرسالية الكاثوليكية بزمباز[٥].

ــ التثقيف والتعليم: أظهرت مؤتمرات المستشرقين العالمية، بعض أســاليب المنصرين في تعليم الشرقيين وتثقيفهم، ووصف مدى حماستهم ومثابرتهم علـــى مثل هذا العمل، ولاسيما في المناطق الجاهلة. من هؤلاء "لانجنـــهوف"، المــهتم

---

(٣) Carlos Conti Rossini: " Rapport sur le progres des etudes Ethiopiennes depuis le dernier congres" - Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T3 - section IV - p. 169 .

(1) Ibid. - Quatrieme partie - Quatrieme section - p. 171.

(2) Walter Elliot - Address - The Turanian section -Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 - p 59 .

(3) Listes des Ouvrages offerts au 6eme Congres - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - pp. 190 - 191.

(4) Ibid. troisieme partie - - pp. 77 - 78 .

(5) Henry Berthoud: " Quelques remarques sur la famille des langues bamtou et sur la langue Tzonga en particulier " - Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes-Geneve -1894 -Quatrieme partie - Quatrieme section - p. 170.

بالداياك [١]. كما أن استغلال الأماكن الجاهلة بكل ثقافة وتعليم، من رغبات المنصرين، إذ يتفانون في سبيل استغلال عامل المعرفة، من أجل تيسير أمر التنصير. ويذكر في هذا المجال مداخلة "جريمال دو جويرودون" في المؤتمر السابع بـ"فيانا" سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ) الذي بين تفاني المنصرين في هذا المجال الذين لا يكتفون بالتعليم المجرد، بل يستغلون جهل المجتمعات فيغيرون حتى طريقة كتابتهم الأصلية، لتكتب بالأحرف اللاتينية [٢]، كما يدرسونهم اللغات الأوروبية الحية [٣].

من جهة أخرى، يسعى المنصرون لتخريج أكبر عدد ممكن من الطلبة على أيديهم، حتى يحلوا محلهم ويقوموا بعملهم نيابة عنهم. من ذلك ما ذكره القديس "لانجنهوف" عن التجربة التي تمت على أسرة مالاوية حديثة بدون أولاد، ثم عينا معلمين في مدرسة "حتى يثقفا مواطنيهم وينصرانهم" [٤]، ومن هذا يتبين أهمية تجهيز منصرين من المجتمع العاملين فيه.

– التضحية والمغامرة ومواجهة المخاطر: لا ينتظر المنصرون أن تأتي المجتمعات والناس إليهم، بل إنهم يبادرون بمواجهة المخاطر ومجابهتها. وأشهر ما مر في المؤتمرات، مغامرة القديس "لانجنهوف" مع قبائل الداياك المالاوية [٥]. ومن هذه القصة يتبين أن المنصرين يهتمون بالمواطنين الذين يريدون كسبهم ويغامرون بمخالطتهم والتقرب إليهم، ويتجشمون المصاعب من أجل مهمتهم.

---

(1) Labbe Langenhoff: L'interieur de Borneo - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - premiere partie - onzieme seance - etudes Oceaniennes - pp. 530 - 531.

(2) Th. Grimal de Guiraudon:" Notes de linguistique africaine - Les Puls -" Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 2 - T2 - p. 93 .

(3) Ibid. - Vol 2 - T2 - p. 93 .

(4) Labbe Langenhoff: "L'interieur de Borneo" - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - première partie - onzieme seance - etudes Oceaniennes - p. 5o7.

(5) Ibid. p. premiere partie - p. 505 …etc.

ـــ شغل المناصب الهامة: في هذا المجال يمكن ذكر مثالين هـــامين، الأول هو قصة الزوجين الإندونيسيين اللذين نصرا ثم ثقفا وأرسلا إلى موطنـــهم لنشـــر التنصير والثقافة الجديدة[١]، إذ دأب المنصرون بمساعدة المستعمرين على توليـــة أتباعهم مناصب شاغرة ومواطن مهمة خاوية، ولاسيما التربية والتعليم والتثقيـف، وذلك لما لها من أهمية غير هينة في أي مجتمع من المجتمعات. أما المثال الآخر، فهو ما ذكره "كارل بيال"، ويتعلــق بالمستشـــرق المتخصـــص فـــي الدراســات الفرعونية، بحيث إنه "خصص لتلك اللغة مصريين نصارى"[٢]. حتى تكون اليـــد العليا في علم المصريات، وهو علم حديث، للنصارى المصريين، وجعله مقصورا عليهم.

ـــ البحث عن مراكز تنصيرية رئيسة: إن إيجاد أي مركز تنصيري يشرف على تنظيم ما يناط بعهدته من شأنه أن ينظم الحركة التنصيرية العالمية.

في هذا المجال يمتدح المستشرق "مهرن" مدينة "فيرونا" الإيطاليـــة، خـــلال انعقاد المؤتمر الرابع قائلا: "إن هذا البلد الجميل الذي قدم لنا اليوم ضيافة كـــبرى كان منذ قرون مركز الدراسات التنصيرية. ومن هذا المنطلق كانت له إشـــعاعاته على البلدان المجاورة رويدا رويدا نحو الشمال..."[٣] فالمستشرق يذكر هنا بأمجاد هذه القلعة التنصيرية القديمة، عسى أن يبث الروح فيها من جديد، فتعود لإشعاعها الماضي.

ب . تحليل أزمة العقيدة النصرانية:

يدعي المستشرقون المنصرون أنهم يسعون كغيرهم من أتباع الكنائس لنشـــر عقيدتهم من فكرة توحيد جميع الطوائف البشرية، تحت الراية الكنسية. يقرر هـــذا

---

[1]Ibid. p. 507.

[2] Karl Piehl: "Quelques mots sur la vie et les ouvres de J. D. Akerblad" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - Quatrieme section - p. 64 .

[3] A. F. Mehren: "Correspondance philosophique d'Ibn Sab'in avec l'emperreur Frederic II" - Atti del IV Congresso Internationale degli Orientalistic - Florence - 1878 - Volume primo - pp. 371 - 372 .

"ماكس ميللر" أثناء حديثه عن النصرانية في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ) فيقول: "هذه الديانة تعد من الشرائع القليلة التي تسعى إلى إعادة توحيد جميع أفراد العالم الإنساني المتناثرين في الشرق والغرب، في إطار أخوة عالمية موحدة"(١). إلا أن هذا الأمر لم يكن ميسورا على النصرانية تطبيقه، الأمر الذي جعلها تسقط في أزمات عديدة أثرت في مفهوم العقيدة عندها، فتسعى إلى تطوير نفسها بين الفينة والأخرى، وترى أنها مستهدفة من قبل قوى خارجة عنها.

يسعى المستشرقون في مؤتمرات المستشرقين العالمية بحث قضية عقيدة التوحيد في الفكر النصراني، ومحاولة تنقيتها من العادات والتقاليد الدخيلة عنها. فهي تعاني من دخول العقائد الوثنية إليها. فكثيرا ما كان المنصرون الجدد يستصحبون معهم عقائدهم الوثنية، ومن ذلك ما ذكره "ليون دو روسني" في المؤتمر الأول سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ) عن اليابانيين الذين اعتنقوا النصرانية، لم يتخلوا عن عقيدة الإيمان بعفاريت سبعة، السابع منهم وزوجه 'يعدنهما بطريقة ما أباهم وأمهم الأولين...فإن اليابانيين الذين اعتنقوا النصرانية، خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، يسمونهما آدمهم وحواهم"(٢).

ومن ذلك أيضا، مقارنة النصرانية بغيرها من العقائد، ولاسيما الوثنية منها. فهذا المستشرق "إيشهوف Eichhoff"، يقارن بين النصرانية والبراهمية في المؤتمر الأول ، فيقول: "لقد تهيأت لي فرص عديدة لإثبات أن البراهمية كانت في أساسها ديانة موحدة، بحيث لم يفقها شرفا وعظمة في ذلك إلا النصرانية"(٣). أما المستشرقة "كليمانس روجر Clemence Roger"، فقد قامت بمقارنة النصرانية باليهودية، وانطلقت من أصول التوحيد اليهودية واستخلصت أن مطاف التوحيد هو النصرانية، وذلك في المؤتمر السابع عشر بأكسفورد سنة ١٩٢٨م

---

(1) Max Muller: Inaugural address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 33 .

(2) Leon de Rosny: Les origines de la monarchie Japonaise - Atti del IV Congresso Internationale degli Orientalistic – Florence – 1878 - Volume saconde - p. 327.

(3) Eichhoff: La cosmogonie vedique - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris- 1873 -deuxieme partie - p. 105.

(١٣٥٧هـ)، فبعد تحليلها لمفهوم التوحيد قالت: "وبالفعل، فإن هذا هو التوحيد العبري خلال الحقبة الأخيرة، انطلاقا من مدرسة الأنبياء وحتى العصر النصراني، بل حتى أيامنا هذه حيث لم تزل تحافظ على نقائها من أي نوع من أنواع الشرك، إلا النصرانية وحدها"[١].

ولا تتجاهل المؤتمرات الدين الإسلامي، وبيان أن النصرانية تسعى بكل جهدها لمنافسته من جهتها أيضا، ولا يبدو أنها لا تخاف أي دين آخر غيره. فهذا "لانجنهوف" الخائف من تحقيق المسلمين نجاحا ملموسا وسط القبائل الوثنية المالاوية، يلمز الداياك المسلمين بأنهم "أصبحوا وسائل عمياء ومتعصبة في أيدي المحمديين، وفقراء الداياك هم أغلبية المتحولين"[٢]. هذا رأيه في الداياك المسلمين، في حين أنه وصف غيرهم من الطوائف الوثنية، رغم القسوة التي يتسمون بها في طباعهم وعاداتهم التي وصفها هو نفسه، باللطف والرقة وأثنى عليهم أيما ثناء[٣]. ويستغل لانجنهوف هذا الخلل في الموازين فيدعو لضرورة قيام التوازن الديني بين الطرفين، فيقول "الداياك الذين سيتحولون إلى النصرانية، سيكونون ثقلا مضادا لحماس السلاطين، ويزيلون مفعول أثرهم وصخبهم الضار"[٤]. ومن هنا يظهر القلق من مزاحمة الإسلام للنصرانية.

من كل هذا يتضح أن النصرانية تعيش أزمة هوية في عقيدتها ومسارها التنصيري، ومعاملاتها المزدوجة مع الظاهرة الواحدة.

ج. العلاقة بين السياسة والتنصير:

عن العلاقة بين السياسة والتنصير، أثبتت بعض الدراسات في مؤتمرات المستشرقين العالمية أن هناك علاقات ربطت بين النصرانية والسلطة السياسية

---

(1) Mme Clemance Roger - Etude Indienne - Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - p. 407.

(2) Ibid. p. 531.

(٣) تم هذا في جل دراسته التي قدمها، من ذلكعلى سبيل المثال . Ibid. p. 505...etc

(4) Ibid. p. 531.

منذ القرون الأولى من نشأة النصرانية، وأن المصالح هي التي كانت تميز هذه العلاقات. فقد تعمل السلطة السياسية على تقوية النصرانية وقد تعمل على تقويض سلطانها، وقد تتدخل في بعض شؤون الكنيسة والمنصرين.

فمن عمل السياسة على تقوية النصرانية، ما ذكره "ليون فير" حول قيام النصرانية على سوقها، إذ يقول: "إن انتصار النصرانية في القرون الأولى، لم يقرر إلا اليوم الذي أصبح فيه قسطنطين أمير الإمبراطورية ورئيسها نصرانيا، وجعل من دينه الجديد، الديانة الرسمية للدولة الرومانية"[١]. ويمضي المستشرق متحدثا عن تاريخ العلاقة بين النصرانية والسلطة السياسية في العصور الوسطى فيقول: "إن قادة الكنيسة لم يستطيعوا طوال العصور الوسطى القيام بمهامهم دون مساعدة السلطة المدنية، أي القوة"[٢].

ومع كل ذلك، تبقى القوة هي العامل المميز في كل تاريخ النصرانية "ونلحظ دائما أنه في تاريخ الكنيسة تكون القوة سندا في بعض الأحيان بدلا عن الإقناع"[٣]. وفي هذا إقرار من مستشرق غربي باستخدام أبناء جنسه القوة في سبيل نشر ديانتهم وثقافتهم. وهو ما يدل على أن ديانتهم ونفوذها تتقوى بقوة السلطان وتضعف ما ضعف.

إلا أن الوئام بين السلطة السياسية والنصرانية كان يضعف أحيانا، بحيث تضطر الحكومة إلى التضييق على النصرانية، يبدو أن النصارى تمكنوا من السيطرة على "يزدجرد" ووجدوا عنده حظوة، يذكر ذلك المستشرق "درمشتيتر"، في المؤتمر الثامن بستوكهولم سنة ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ)، فما كان من الأخبار النصرانية إلا أن "تكلمت عنه بصيغة مختلفة تماما وذلك بتسميته "الصالح والرحيم، يزدجرد، النصراني، مبارك هو بين الملوك""[٤]. إلا أن ما خفي على

---

(1) Leon Feer : La propagation du Bouddhisme hors de l'Inde - Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 - p. 406.

(2) Ibid. p. 406.

(3) Ibid. p. 406.

(4) James Darmesteter: "La reine Shasyan Dokht"- Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - troisieme Partie - p. 195.

النصارى أن "يزدجرد" يرفض أن يكون لعبة في أيدي النصارى، ففي أواخر عهده، اعتقد النصارى أنهم تمكنوا منه، فأحرقوا معبد نار في الأهواز، فأمرهم بإعادة بنائه ثانية، مهددا بإحراق كل الكنائس بفارس، وأمام رفض الكاهن ذلك، أمر بإعدامه، وارتد العديد من النصارى[1]. فالصفاء بين الجانبين لا يدوم، وكما تكون السلطة والقوة في صالح النصرانية فإنها يمكن أن تنقلب ضدها.

تلك نقاط هامة تتعلق بالأثر التنصيري في مؤتمرات المستشرقين العالمية. وتكمن أهميتها في أنه لا يكاد يخلو مؤتمر من نوعية هذه الدراسات. فقد شاركوا في مؤتمرات المستشرقين العالمية منذ انطلاقها، ودخلت مساهماتهم الدراسية فيها من أول مؤتمر أيضا، وما طرح هنا ما هو إلا عينة بسيطة عن الموضوع.

٢ – الأثر اليهودي في مؤتمرات المستشرقين العالمية:

لليهود أثرهم في دراسات مؤتمرات المستشرقين العالمية، سواء أكانوا هم موضوعا لها أو ما قدموه هم أنفسهم من مساهمات. أما ما يخص الأمر الأول، سيتم التركيز في هذه الفترة على الدراسات التي تناولت اليهود واليهودية بالدرس والتحليل، وهذه الدراسات تبحث في عمومها في، تاريخ اليهود ومسارهم الحياتي. أما فيما يتعلق بمساهماتهم المباشرة في المؤتمرات، فقد تم التعرض لعينة هامة منها، عند الحديث عن الاستشراق الصهيوني-الإسرائيلي في المؤتمرات، وتمت دراسة الموضوع ذاك كما ونوعا[2]. وأما ما عداها، تم تسليط أضواء على جوانب عديدة تتعلق بتاريخ اليهود ومسار حياتهم اليومية والعامة. وسيتم التعرض لبعضها باختصار لبيانها وإيضاحها، وفق نقاط محددة، أمكن توزيع المشاركات وفقها.

أ – البحث عن أصل اليهود وتاريخهم.

ب – الجانب الديني من حياتهم وعلاقتهم بالأديان الأخرى.

---

(1) Ibid. p. 194.

(٢) تم ذلك في ص ٢٧٩ فما بعدها من الرسالة.

ج – معاناة الشتات والجهل والخيال.

د – عناية اليهود بحياتهم اليومية وحياتهم الذاتية القومية.

هـ– استغلال الظروف العامة وكيفية تعامل اليهود مع أعدائهم المهزومين.

أ – البحث عن أصل اليهود وتاريخهم:

يمثل أصل اليهود، إحدى المشكلات التي اهتمت بها المؤتمرات. وتكمن المعضلة في انعدام الثقة في المصادر اليهودية نفسها، ويرجع السبب في ذلك لاحتكار المثقفين لمثل تلك الأحداث التاريخية ومثيلاتها، وللجهل الثقافي في عامة الشعب اليهودي، وهذا ما أدى إلى تشويه الحقائق التاريخية، إذ إن الأصل في الأمم أنها اعتمدت الكتابة والتدوين للمحافظة على أحداثها التاريخية. إلا أن اليهود لم يتبعوا هذه المنهجية، بل هم اعتمدوا التلقي الشفوي لتعاليمهم، وهذه الطريقة لها مساوئ عدة، إذ إنها تتعمد "زيادة بعض الإضافات الكلامية، وتضخيم بعض التفاصيل الحقيقية، الأمر الذي يتيح الفرص لتكوين أساطير"[١]. وفي هذا المسار نفسه، يصرح المستشرق "دانون" في المؤتمر الحادي عشر أيضا، أنه برغم العناية الفائقة بدراسة التراث، الذي كتبه اليهود، تبقى المصادر اليهودية يشوبها الغموض[٢]، إضافة إلى ذلك هناك تعمد لتزوير الحقائق التاريخية وتزييفها.

وفي حديثه عن التحليلات اليهودية لأعياد اليهود ومناسباتهم، الموجودة في "مجلة تانيث"، سواء في متنها أو حاشيتها، يقول "موويس شواب": "ويندر جدا أن يجد النقد التاريخي تسلسلا متينا وثابتا بين البيانات الأولية، والحاشية ..."[٣]، ويدعو الكاتب إلى إعادة النظر في تاريخ اليهود بعد السبعينية، ولاسيما الحقبة التاريخية الممتدة من احتلال بابل حتى استحواذ سلطات روما العسكرية النهائي

---

[1] Ibid. - T3 - Section IV - p. 202.

[2] M. Danon: "Les Superstitutions des Juifs ottomans" - Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T3 - Section VII - p. 236.

[3] Moise Schwab: "La Megillah Taanith ou "Aniversaire Historique""-Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes – Paris – 1897 - T3 - Section IV - p. 205.

على يهوذا[١]، إذ هم بسبب المعاناة التي ذاقوها في الشتات، انطلقـــوا يوســعون معارفهم "حتى يحلو للأجيال القادمة تذكر ما أنجزه أجدادهم"[٢]، بل يقرر أنــهم إن حدث شرخ أو انقطاع في التسلسل التاريخي أكملوه وسدوه بطرقهم الخاصة[٣].

من أجل انعدام الثقة بهذه المصادر اليهودية، يسعى المستشـــرقون لإمعــان البحث في الآثار الأخرى، حتى يتمكنوا من معرفة تاريخ اليهود [٤]، مـــن ذلــك نصوص تل العمارنة " لأنها أصيلة لا شك فيها"[٥]. فيما يرى المستشــرق "إدوارد مونتي"، في المؤتمر الثاني عشر بروما سنة ١٨٩٨م (١٣١٦هـ)، البحــث فــي الترجمات العربية من جهة، وفي الدراسات المقارنة للغات السامية[٦]، ومن ذلــك النقوش الأثرية السامية [٧]. ولهذا الأمر ذهـــب المستشــرق "مونتــي"[٨] أيضــا، وأضاف إليها العادات العربية[٩]. كما نحى هذا النحو "ماكس ميللر"[١٠]. إذن يجــب أن لا يقتصر البحث في التاريخ اليهودي، على مصادر اليهود فقط، حسب رؤيــة هؤلاء المستشرقين، بل يجب تتبع الآثار المكتوبة والمنقوشة كي تساعد في ذلــك. وصرح هاليفي بأن اليهود لا يعدون أحدا سواهم ساميين[١١].

ومن هنا يتضح لنا أن اليهــود كانوا يوجهون أحداث تاريخـــهم وأصولـــهم العرقية، وفق ما يخدم مصالحهم، ولاسيما تلك التي لم يتم تدوينـــها، ومــن ثــم ضاعت حقائق تاريخيهم الدقيقة.

---

[1] Ibid. - T3 - Section IV - p. 206 .

[2] Ibid. - T3 - Section IV - p. 202 .

[3] Ibid. - T3 - Section IV - p. 202 .

[4] Ibid. - Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - p. 145.

[5] Ibid. - Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - p. 144.

[6] Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - T3 - p. CLXVII .

[7] Ibid.- Partie I - T3 - p. CLXVII .

[8] Ibid.- Partie I - T3 - p. CLXVII .

[9] Ibid. - Partie I - T3 - p. CLXVII.

[10] Max Muller: Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 27.

[11] J. Halevy: "L'etat de la Palestine avant l'Exode" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - Deuxieme Partie – T2 - I:Section Semitique B - pp. 145 - 146.

ب – الجانب الديني من حياتهم وعلاقتهم بالأديان الأخرى

تطرقت دراسات في مؤتمرات المستشرقين العالمية إلى الحياة الدينية لليهود، ولاسيما عنايتهم بالكتاب المقدس، الذي يميز حياتهم الدينية، ويسعون دائما للمحافظة عليه كلما تعرضوا للشتات أو الاضطهاد أو الطرد. ومن ذلك ما ذكره "هنري هووورث " في المؤتمر التاسع، حول كتاب عزرا وإسدراس الأول Esdras I، إذ تطرق إلى دراسة تاريخية لبعض هذه المحاولات، فذكر أن أفضل المثقفين اجتمعوا، وقسموا مواردهم المالية إلى قسمين رئيسين، أحدهما للمحافظة على سلامة السلالة اليهودية، والأخرى للمحافظة على ديانتهم، وبالذات لإحياء الكتاب المقدس، الذي ما كان مستخدما، حسب المستشرق، إلا في إدارة الكنيس[١]. ومن ثم، فإن اليهود يكثرون من الزيادات والحواشي في مدوناتهم[٢]. ويرى أن هذا السبب هو الذي جعل من جاء بعدهم يحاولون الكشف عن الأخطاء في التنقيحات التي تمت على السبعينية[٣].

إضافة إلى ذلك، اتخذت كل طائفة من الطوائف اليهودية، نسخة من الكتاب المقدس خاصة بها. فالأرثوذكس مثلا اتخذوا نسخة يونانية تمت مراجعتها ومقارنتها بالنسخة العبرية. إلا أن المستشرق يرى أنها نسخة غير ملائمة لميدان علم نقد الكتاب المقدس لصعوبتها. بل يستحيل، حسب رأيه، التأكد من المصادر التي انحدرت منها نصوص المخطوط اليوناني[٤]. كما يتعرض المستشرق إلى نقطة أخرى، ليدلل على أن الترجمات اليونانية، سوى السبعينية، حادثة [٥].

---

(١) ذلك ملخص حول الموضوع من: Sir H. Howorth: The Books of Ezra and Esdras I - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol2 - pp. 70 - 72 .

(2) Sir H. Howorth: The Books of Ezra and Esdras I - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol2 - p. 72 .

(3) Ibid. - Vol2 - p. 72.

(4) Ibid. - Vol2 - p. 72 .

(5) Ibid. - Vol2 - p. 72 .

وعن علاقة اليهودية بغيرها من الديانات، تعرض "دانـــون Danon" إلـى إشارتين لعلاقة اليهود الأتراك بالإسلام وبالنصرانية. فيما يتعلق بالإسلام، يــرى أن اليهود تأثروا به، واتضح ذلك عليهم، فهم تقبلوا الاعتراف بقداسة يوم الجمعة، من خلال تطبيق القواعد الدينية فيه، كما يقدرون الملكية الخارقة لأماكنه المقدسة، ويدخلون كلمات عربية في صيغ رقياتهم(١). أما مع النصارى، فالأمر كان معاكسا تماما، إذ فرضت النصرانية نفسها عليهم قسرا، الأمر الـذي أدى، إلـى جعلـها صيغة إحدى لعناتهم، وأصبح الأحد المقدس ذو خصيصة مشؤومة(٢).

وفي إشارة أخرى، للعلاقة بين اليهود والنصارى، يتحدث "هووورث" فـي المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠ هـ) عن الكيفية التي يتم بها مناقشـة اليهود الذين يعدون أنفسهم الحراس الطبيعيين للنص، فيرى أنه من المعقـول أن تبدأ مناقشتهم بأن نسخة كتابهم المقدس، السبعينية، صحيحة، وجديرة بالثقة، مـن تلك التي دأب النصارى على استخدامها (٣). وفي هذا القول إشارة لقـوة اليـهود وسلطتهم المعنوية على النصارى منذ زمان، إذ قيلت هذه الكلمات فـي ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، الأمر الذي جعل المستشرق ينادي بمهادنة النصارى لليهود، مـن فوق منبر مؤتمرات المستشرقين العالمية.

أما "كووال Cowell"، فقد عقد مقارنة بين عقائد الهنود والديانة اليهوديـة، فذكر أن باحثي السنسكريتية جمعوا نصا يروي حكاية الملك الذي جال في غابـة، حيث وجد أتباع طوائف فلسفية، جالسين ينصتون إلى عقائدهم التي يؤمنون بـها، والكل يدافع عن اتجاهه وتوجهه الفكري بكل حماسة، ويعلق قائلا: "فكل من ينظر في التلمود، سيعرف الظاهرة نفسها، من الحجة والنقاش"(٤). إلا أنـه يوضـح أن هناك بالطبع اختلاف بين الديانتين كبير، فإن كانت المناقشـات الهنديـة فلسـفية

---

(1) M. Danon: "Les Superstitutions des Juifs ottomans" - Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T3 - Section VII - p. 264.
(2) Ibid. p. T3 - Section VII - p. 264.
(3) Sir H. Howorth: The Books of Ezra and Esdras I - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol2 - p. 71.
(4) E. B. Cowell : Inaugural Address - Aryen Section . Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 393 .

منطقية برهانية تدور بين مجهولين، فالأمر في التلمود مختلف، إذ إن كل رأي أو اعتراض موثق(١).

ح – معاناة الشتات والجهل والخيال.

وعن معاناة الشتات والجهل والخيال، فقد ذهب المستشرقون إلى أن بني إسرائيل جاؤوا أصلا من أور، ثم نزحوا إلى كنعان، بعدها هاجروا إلى مصر، ثم قطنوا بفلسطين. وقد تعرضوا للطرد والغزو والإبعاد ثم التشتيت. وكان لهذا الواقع أثره الكبير على الحياة اليومية لبني إسرائيل. ونتيجة لذلك الاضطهاد، عم الجهل الوسط اليهودي العام، حتى لغتهم الخاصة. فقد اضطر علماؤهم لترجمة الكتاب المقدس للمرة الثانية، من العبرية إلى اليونانية، وفي هذه النسخة، راعوا اللهجات اليونانية المختلفة، وذلك "نظرا للعدد الكبير لليهود الأرثوذكس بمصر، وجهلهم بالعبرية، مع معرفتهم اليونانية فقط"(٢).

لقد بلغ الأمر باليهود إذن أنهم نسوا لغتهم الأم، واستخدموا لغات أخرى تتماشى والمكان الذي أقاموا فيه. وفي حديثه عن الموضوع نفسه، يذهب "هووورث" إلى أن اليهود البابليين كانوا يستخدمون الآرامية التي ترجمت إليها بعض فقرات وأجزاء من التوراة (٣). وهذا يدل على أن الآرامية في بابل، واليونانية في مصر، تمثل كل واحدة منها لغتهم الثقافية.

ويبدو أن ضياع اللغة الأم لم يكن محدودا أو محصورا في الطبقة العامة، بل بلغ الأمر معظم رؤساء اليهود. وفي هذا المجال يصرح "هووورث" بإن الترجمة اليونانية هي التي كانت مستخدمة حتى لدى العلماء، وليست النسخة العبرية الأصلية(٤). فحتى رجال الدين، أصبحت النسخة المترجمة هي المعتمدة لديهم،

---

(1) Ibid. - Vol1 - pp. 393 - 394 .

(2) Sir H. Howorth: The Books of Ezra and Esdras I - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol2 - p. 71.

(3) Ibid. - Vol2 - p. 71.

(4) Ibid. Vol2 - p. 71 .

عوضا عن النسخة العبرية الأم، مما يوضح بجلاء تفشي الجهل اليهودي بلغتهم الأصلية.

ومن هنا نلحظ أن اليهود يتأقلمون دوما مع الظروف التي تحيط بهم، ويندمجون في الثقافة التي يعايشونها، فإن كانوا في وسط بابلي، أصبحوا بابليي الثقافة، وإن كانوا في مصر اعتنقوا الثقافة اليونانية.

بسبب الجهل الثقافي داخل الوسط اليهودي، اختلطت لديهم المفاهيم الثقافية، بل الدينية أحيانا. من ذلك ما ذكره "ماكس ميللر" عنهم حين يقول: "كانوا يتكلمون عن "قورش Cyrus"، أحد المؤمنين بأرمزد Ormazd، على أنه مكرس من "يهوه"، بل كاهن له أيضا، لأنه سمح لهم بالعودة من بابل إلى بيت المقدس. أما "داريوس Darius"، وهو كذلك أحد أتباع "زرادشت"، فكانوا ينظرون إليه على أنه أحد سادتهم، لأنه أجاز إعادة بناء الهيكل ببيت المقدس"[1]. فضيق الأفق اليهودي بسبب ما عانوه، جعلهم ينظرون إلى مستعبديهم المشركين على أنهم مؤمنون وسادة لهم.

ومع ذلك، كان اليهود يعيشون أحلاما وآمالا، قد تصل إلى أن تكون غير منطقية، فقد عمهم الجهل وأغرقهم في الخيال، حتى إن المستشرق "ماكس ميللر" قدم دراسة حول مؤلف يهودي من القرون الوسطى، يصف مملكة إسرائيلية خيالية في وسط إفريقيا[2].

هـ- استغلال الظروف العامة وكيفية تعامل اليهود مع أعدائهم المهزومين

ويسعى اليهود دائما لاستغلال الظروف العامة، السائدة على الساحة العالمية، ولاسيما القوى العظمى. فهم يسعون دوما للتقرب منها والانضواء تحت رايتها، قصد تحقيق مصالحهم وحماية أنفسهم، واستغلالها لتحقيق مآربهم، وهذه الخصيصة منطبعة فيهم منذ بداية ظهورهم على مسرح الأحداث العالمية. فقد كان

---

(1) Max Muller: Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 27 .

(2) Meeting of sections - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. XXXVII .

العالم منقسما بين قوتين، الأولى هي المصرية، ويقول عنها هاليفي: "... من وجهة النظر السياسية، لا بابل ولا سوريا كانت تكون مملكة مستقلة... فسوريا وضمنها فلسطين، لم تكن مستقلة أيضا، بل كانت تكون مقاطعة ملحقة بمصر، مع المحافظة على حكم ذاتي، تحت نفوذ ملوك أو رؤساء قبائل، يدينون بالولاء للفرعون"[١]. ويستدل على ذلك ببعض الرسائل التي كان يتبادلها ملوك المنطقة إذ ذاك، ويتحدثون فيها باسم فرعون مصر. وكانت مصر هي الحامية الرئيسة لكل هذه المقاطعات. لذلك، لما هاجم العبرانيون الكنعانيين، استنجد هؤلاء بحاميتهم مصر التي خذلتهم.

أما الذي منع مصر من نصرة الكنعانيين إذ ذاك، هي القوة العالمية الثانية في ذاك الوقت، وهي قوة الحتيين، وقد لمح إليها هاليفي قائلا: "لقد تطرقنا في موضع آخر، للسبب الذي منع مصر من نجدة الكنعانيين، الذين هم تحت حمايتها، فوجدنا أن السبب هو قوة الحتيين، التي تزداد يوما بعد يوم"[٢].

أمام هذا الأمر الواقع، استغل العبرانيون الظروف أيما استغلال، وبرعوا في ذلك، واستطاعوا هزيمة الجبارين، الذين كانوا يخافونهم من قبل. وهؤلاء الكنعانيون كانوا جبارين ظاهريا، لكنهم اعتمدوا في أمنهم على قوى خارجية. وهذا الاتكال أوصلهم إلى الوهن، وما شعروا بذلك إلا لاحقا. لقد انطلقوا لتلبية رغباتهم والتمتع بشهواتهم، متكلين على حاميتهم مصر، "إن حروب الإبادة المزعومة، ضد الكنعانيين... لم تكن مبرأة باختلاف السلالة، لكن انحلال أخلاق المهزومين وفساد عقيدتهم"[٣].

إذن، تمكن اليهود من استغلال الظروف العالمية بصفة عامة، وظروف الكنعانيين بخاصة، حتى ينفذوا داخل المجتمعات الأعداء، وافتكاك أراضيهم.

ومما عايشه اليهود، الظروف السياسية المعاصرة لهم. وكانت السياسة، تسير وفق الأسلوب الذي يرى أن "أنجع طريقة لتمكين الحكم، تكمن في القمع الدائم لكل

---

(1) J. Halevy: "L'etat de la Palestine avant l'Exode" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - Deuxieme Partie - T2 - I: Section Semitique B - p. 145.

(2) Ibid.- Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - pp. 148 - 149 .

(3) Ibid.- Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - p. 146 .

محاولة تخالف النظام القائم...فلم يكن تعذيب المجرم وقتله شافيين، بل إنهم يبحثون عن طرق يطيلون بها آلامه أكثر ما يمكن من الزمن، وبكيفية تجعل كل العالم يشهد ذلك وتتمثل هذه العقوبة الشنيعة في بتر عضو أو أكثر من الجسم... هذا الاعتراف الذي وضعه مؤلف التوراة على لسان أدونيبيساك Adonibesec[١]... سبعون ملكا، أصابع أيديهم وأرجلهم مقطوعة، يلتقطون بقايا طعامي ، إن الرب قد أذاقني مما عملت"[٢].

هذا الاستبداد، أثر في العبريين اليهود، الذين يبدو عليهم استصحاب هذا الصنيع، وأصبح أحد مميزات خلقهم. "فهذا يوشع قد داس رقاب الملوك المهزومين، وهاهم المتهودون قد قطعوا أصابع يدي ورجلي أدونيبيساك"[٣] لكن المستشرق نفسه يعذر اليهود في ذلك، فيقول: "إن هذا لفظيع، ولكنه من عرف ذلك العصر"[٤]، ويقول أيضا "فهؤلاء قد تخلقوا بأخلاق عصرهم"[٥]. تلك صورة عامة عن الحياة العامة واليومية لليهود، كما وردت من خلال أعمال مؤتمرات المستشرقين العالمية .

تواصل الأثر اليهودي في المؤتمرات، وكان ذلك يزداد وينمو شيئا فشيئا، ومن ذلك أن المستشرق "بيزر Peiser"، قدم مساهمة في المؤتمر الرابع عشر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، تتعلق بمصادر آشورية، تحتوي أسماء يهودية[٦]. وفي المجال نفسه قدم "جنزبارك Ginzberg"، في المؤتمر الخامس عشر سنة

---

(١) هو أحد الأمراء المستبدين المعاصرين للعبرانيين، يمارس أقسى العقوبات ضد رؤساء الجهات التابعة له. فهو عند أول محاولة تمرد أو حتى أدنى شك عصيان من قبلهم. بل حتى يخيف الآخرين، كان يفرض عليهم التسول عند باب قصره. لما غلب عليه العبرانيين، أذاقوه من الكأس نفسها التي كان يفعلها بغيره.

Ibid.- Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - p. 151 .

(2) Ibid.- Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - p. 151 .

(3) Ibid.- Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - p. 151 .

(4) Ibid.- Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - p. 151 .

(5) Ibid.- Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - p. 151 .

(6) Compte rendu des seances - Langues semitiques - Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - premiere partie - p. 57.

١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) مساهمة تتعلق بأهمية اكتشاف أجزاء من تلمود أورشليم(١).
ودرس "أمزالاك Amzalak" القواعد اللغوية للعبرانية البرتغالية، واهتمامات اللغويين بها، في المؤتمر السابع عشر بأكسفورد سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)(٢)، فيم تحدث "رووث سميث" عن الشعب المختار في المؤتمر نفسه(٣). كما نجد بحثا عن إقامة الإسرائيليين في مصر، قدمها المستشرق "هارولد روولي Harold Rowley"(٤) في المؤتمر العشرين، ببروكسيل سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ). وفي المؤتمر نفسه، قدمت دراسة حول "فلسطين وهضبة الجولان في الألفية الثانية قبل الميلاد والأصول الإسرائيلية"، عرضها "رولان دو فو Roland de Vaux"(٥).
تلك مجموعة مختارة عما قدم قبل نشأة الكيان الصهيوني، وهذا التوجه تواصل لاحقا عن طريق غير الصهاينة الإسرائيليين، وبعضها من لدن يهود على ما يبدو، منها ما يتعلق بالشعوب اليهودية خارج الكيان، مثاله "صول ليفان Saul Levin"، الذي تحدث عن كيفية إنشاد يهود اليمن ومصر وتونس للتوراة(٦)، كما قدم "حاليم زفراني" دراسة عن لغة يهود المغرب، وهي تؤكد ما سبق ذكره من التأقلم اليهودي في المجتمعات التي يعيشون فيها، فهناك يهود "عربو- فونيين"، ويهود "بربرو – فونيين"، إضافة إلى تركيزهم على اكتساب اللغة الفرنسية كلغة ثقافة، مع نوع من الضعف في معرفة اللغات الخاصة باليهود(٧). هاتان المساهمتان قدمتا في المؤتمر السابع والعشرين بآن آربور سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ).

---

(1) Seances des sections -Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - p. 65.
(2) Proceeding of sectional meeting - Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - p. 82.
(3) Ibid. p. 83 .
(4) Seances des sections - Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 - p. 91 .
(5) Ibid. pp. 250 - 253 .
(6) Saul Levin: The traditional Chronomy of the Hebrew scriptures - Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor – 1967 - p. 106.
(7) H. Zafrani: Les langues juives du Maroc - Ibid. pp. 90 - 91.

وكان هناك اهتمام بشؤون اليهود الخاصة، فثمة أبحاث كثيرة تتعلق باللغة العبرية والدراسات المتعلقة بها، مثاله ما قدمه "رافائيل لوف Raphael Louve"، في المؤتمر الثالث والعشرين بكامبردج سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، وتتعلق بالدراسات العبرية في إنجلترا خلال القرون الوسطى[١]، وقدمت دراسة أخرى عن التطويرات في العبرية الحديثة، قدمها "كلاربارج Klarberg"، في المؤتمر الثامن والعشرين بكنبيرا سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ)[٢]، كما كانت هناك عناية بالفكر اليهودي، ومن ذلك ما جاء في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، إذ قدم "تيشر Teicher" دراسة عن الفلسفة اليهودية في القرون الوسطى، ومكانتها في التاريخ الفكري[٣]، وللصراعات والتيارات الدينية دورها في الدراسات اليهودية، من خلال مشاركة "ونفيلد Weinfeld" عن التيارات الدينية في إسرائيل نهاية الحقبة الملكية، في المؤتمر السابع والعشرين بأن آربور سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)[٤].

وهناك أبحاث تريد إثبات الحق المزعوم لليهود في الأراضي الفلسطينية، ومنها دراسة "موشى جرينبارج Moshe Greenberg"، وتتعلق بقياس أراضي المراعي التابعة لمدن اللاويين، حسب سفر العدد، وعرضت في المؤتمر السابع والعشرين أيضا[٥]. هذه عينة عن الأثر اليهودي في مؤتمرات المستشرقين العالمية، وتبين مدى الاهتمام الذي سلط على اليهود فيها.

---

(1) Raphael Louve: "Hebrew studies in Medieval England" - Proceeding of the Twenty-Third International Congress of Orientalists - Cambridge - 1954 – pp. 358 – 359.

(2) M. F. Klarberg: "Some developments in modern Hebrew" - Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists -Canberra-1971 -pp. 76-77.

(3) M. J. L. Teicher: "The place of Jewish Medieval Philosophy in the history of thought" - Seances des sections - Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p 340.

(4) M. Weinfeld: Theological trends in Israel at the period of Monarchy - Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - p. 85.

(5) Moshe Greenberg: "Measuring the pasture land of the Levitical cities: Numbers 35:4-5" - Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - p. 111.

المبحث الثاني: المؤثرات السياسية

للسياسة آثار واضحة في مؤتمرات المستشرقين العالمية. فالساسة هم الذين يشرفون على هذه المؤتمرات، وهم الذين يرعونها، ويعينون مندوبين عنهم فيها. كما أنهم قد يساهمون بدراسات فيها. فهناك سياسيون مستشرقون، وهناك تعاون بين المؤتمرات والساسة، إذ إن المؤتمرات كثيرا ما تلجأ لأرباب السياسة قصد تحقيق بعض المشروعات العلمية أو الثقافية. وكثيرا ما يكيل المؤتمرون المديح والثناء للساسة وينوهون بهم وببعض أعمالهم في الميدان الاستشراقي، ولاسيما عند تحقيق رجاء ما توجهت به المؤتمرات.

كما كان للاستعمار أثره الهام في مؤتمرات المستشرقين العالمية. فقد حاولت المؤتمرات بيان رؤيتها للاستعمار، بتوضيح وجهة نظرها في مفهومه وأهدافه، وتقويمه، بتوضيح أصوله وأساليبه، ولاسيما العسكرية والثقافية والاجتماعية، وكذلك السياسية، كما أنه ورد فيها بيان لحقيقة العلاقة بينها وبين الاستعمار، والدعوات لتبادل الخبرات والنصائح بينهما، وحثها على مساندة الاستعمار، وكذلك بيان مدى انتشار الفكر الاستعماري بين المستشرقين الذين كانوا يحضرونها وافتخارهم وتحمسهم لقيام الحملات الاستعمارية وتوسعها.

ومما يدل على هيمنة التأثير السياسي على المؤتمرات والمؤتمرين مقولة لـ"ياماموتو تاتسورو"، في المؤتمر الحادي والثلاثين إذ قال: "إني أتفهم أننا وطدنا العزم بالإجماع على التخلص من الموقف السياسي بين الباحثين، حتى عندما نؤيد موضوعا لدراسة المشكلات ذات الطابع السياسي. ذاك هو سبيل الحيلولة دون تفسخ المبادئ الأكاديمية بسبب الإغراء القوي للاعتبارات السياسية"[1].

ومن هنا، سيتم بحث الأثر السياسي في المؤتمرات من جانبين، أثر السياسة في المؤتمرات، وكذلك الأثر الاستعماري فيها.

---

[1] Yamamoto Tatsuro – Address – Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 – T1 – p. 31.

١- أثر السياسة في مؤتمرات المستشرقين العالمية:

للساسة والسياسة أثرها في مؤتمرات المستشرقين العالمية. فالساسة هم الذين يقومون على رعايتها وتبنيها، كما أنه لا يخلو مؤتمر منها من مندوبين سياسيين، ولا سيما أن لهم دور في تنمية مؤتمرات المستشرقين العالمية والدراسات الاستشراقية كذلك.

فعن رعاية الساسة للمؤتمرات، فإن دورات انعقاد مؤتمرات المستشرقين العالمية توضع عادة تحت رعاية كبار الساسة، كما تسند لهم رئاستها الشرفية. فقد وضع المؤتمر الأول الذي انعقد في باريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، تحت رعاية لجنة سميت "لجنة الرعاية Comite de Patronage"[١]، ومن ضمنها الوزيرين اليابانيين "تيرازيما مونينوري Terasima Munenori" وزير الشؤون الخارجية، و"ساميزيما ناوو-نوبي Samesima Nao-Nobi"، الوزير المفوض مطلق الصلاحية[٢]. وفي المؤتمر الثالث بـ"سان بترسبورغ" سنة ١٨٧٦م (١٢٩١هـ)، كان إمبراطور البرازيل "دون بدرو الثاني Don Pedro II"[٣]، من

---

[1] Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - T3 - pp. CIII - CIV .

[2] Ibid. p. CIV .

[٣] دون بدرو الثاني (١٨٢٥ – ١٨٩١م) (١٢٤٠ – ١٣٠٨هـ)، ثاني وآخر إمبراطور برازيلي (١٨٣١ – ١٨٨٩م) (١٢٤٦ – ١٣٠٦هـ)، ليبيرالي الثقافة، وكان لغويا وباحثا علميا. عرفت حقبته ثورات وقلاقل كثيرة. ختمت بانقلاب عسكري، بالتعاون بين الجيش والجمهوريين، وسقطت الإمبراطورية سنة ١٨٨٩م (١٣٠٦هـ)، ونشأت أول جمهورية برازيلية. قضى الإمبراطور بقية حياته بصحبة عائلته في أوروبا.

Academic American Encyclopedia – Vol15 – pp. 131 – 132 .

ضمن الأعضاء الشرفيين فيه[1]، كما كان الإمبراطور نفسه من رعـــاة المؤتمـــر السادس بـــ"ليدن" سنة ١٨٨٣م (١٣٣٠هـــ)[2].

وفي المؤتمر السابع بـــ"فيانا" سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـــ)، كان ملك الســـويد والنرويج، أوسكار الثاني عضوا شرفيا لـــــهذا المؤتمـــر[3] وكذلـــك إمـــبراطور البرازيل، كما وضع تحت رعاية "الأرشـــيديق رينـــي Archiduke Reiner"، وكذلك، "الأرشوديق شارل لوي Charles Louis "[4].

وذكر "ماكس ميللر"، في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـــ)، أن المؤتمر الثامن كان تحت رعاية ملك السويد والنرويج إذ قال: "...ملـــك الســـويد والنرويج، الراعي الملكي لمؤتمرنا السابق"[5]، أما المؤتمر التاسع نفسه، فقد كـــان تحت رعاية "دوق يورك Duck of York"، كما تولى الرئاسة الشرفية للمؤتمـــر أيضا[6]. أما نواب الرئاسة الشرفية والرعاة الآخرين للمؤتمر ذاته، فهم أوســـكار الثاني ملك السويد والنرويج، وملك رومانيا، والأرشوديق "ريني"، والأمير فيليب، أمير "ساكس كوبورج جوتا Prince of Sax-Coburg Gotha"[7].

وهكذا تواصلت رعاية كبار الساسة للمؤتمرات، وترؤسهم لها شرفيا. وفـــي كامبيرا سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـــ)، كان السير "بول هاســـلوك"، الحـــاكم العـــام

---

(1) Travaux de la Troisiemme Session du Congres International des Orientalistes - Sts Petersbourg - 1876 - T2 - p. XI .

(2) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - Conte rendue des seances - p. 5 .

(3) Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 1 - T1 - pp. 48 - 49.

(4) Ibid. Vol 1 - T1 - p. 102.

(5) Frederick Max Muller - Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 1 .

(6) Ibid. Vol1 - p1 , and p. IX .

(7) Ibid. Vol1 - p. 5 .

للكومنويلث الأسترالي، الرئيس الشرفي للمؤتمر الثامن والعشرين[1]، فيما تولى المنصب نفسه الأمير الياباني "تاكاهيتو ميكازا"، وذلك خلال المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)[2]. أما المؤتمر الأخير إلى حد الآن، وهو الخامس والثلاثين سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ) ببودابست، فقد كان هناك ستة من الرعاة له، وهم: "أرباد جونكز Arpad Goncz"، رئيس الجمهورية المجرية، والأمير "الحسن بن طلال"، ولي عهد المملكة الأردنية الهاشمية، والأمير الياباني "تاكاهيتو ميكازا"، و"نارايانان Narayanan K. R."، نائب الرئيس الهندي، و"سوهارتو" رئيس الجمهورية الإندونيسية، والأمير "سعود الفيصل" وزير الشؤون الخارجية في المملكة العربية السعودية[3].

من هنا، يتبين أن الساسة هم رعاة مؤتمرات المستشرقين العالمية. ولا يتضح الأمر كثيرا حول الكيفية التي يكونون فيها رعاة ورؤساء شرفيون لمؤتمرات المستشرقين العالمية، إلا ما جاء في مقولة جراف لاندبيرج Graf Landberg، مندوب السويد والنرويج، في المؤتمر السابع، عن ملك السويد والنرويج، أوسكار الثاني أنه "تقبل بكل سرور رجاءكم الذي أرسلتموه إليه ترجون منه التكرم بأن يكون عضوا شرفيا لهذا المؤتمر. لذا فقد أمرني أن أعبر لكم عن شكره الجزيل لهذه اللفتة الكريمة من جانبكم... لقد قبل بكل ترحاب منحنا أعلى درجات رعايته..."[4]، مما يعني أن هناك دعوة قدمت لملك السويد والنرويج "أوسكار الثاني" كي يكون رئيسا شرفيا، والتي قبل على أثرها أن يكون راع للمؤتمر، فالمبادرة جاءت من القائمين على المؤتمر. أما عن أهمية هذه الرعاية، فلم ترد حولها سوى مقولة "شيفر Shefer": "لقد دفعت الشخصيات الشرفية

---

(1) Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists - Canberra - 1971 - p. 5.

(2) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - p. 5.

(3) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 - Programme - no number of pages .

(4) Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 1 - T1 - pp. 48 - 49.

للمؤتمر درجة النجاح، بما لديهم من مراكز نفوذ وقبول متميز، يحفظون به دراساتنا، هو بالنسبة لنا جائزة وتشجيع أيضا"[١]. فكسب راع سياسي سام يؤدي لضمان مساعدته في تنمية الدراسات الاستشراقية.

من جهة أخرى، تعين الحكومات مندوبين عنها يمثلونها في أعمال مؤتمرات المستشرقين العالمية. ويتمتع هؤلاء المندوبون عادة بالمهام السياسية إضافة إلى المهام العلمية، ويتحدثون إضافة إلى الجانب العلمي باسم ساستهم وحكوماتهم. ولا يكون هؤلاء عادة من الساسة فقط، بل قد يكونون من المستشرقين أو من العلماء البارزين. فمن هؤلاء الأخيرين نجد مثلا المستشرق الأسباني "غلان روبلس Guillen Robles"، وذلك في المؤتمر الخامس ببرلين سنة ١٨٨١م (١٢٩٨هـ). يقول هذا المستشرق، بعد عرضه لمجموعة من أهداف المؤتمرات وبيان دور المستشرقين فيها، تعرض لدوره المزدوج، الذي ربطه ربطا مباشرا مع رغبة الحكومة التي يمثلها، فقال: " فإنني لا أظنني قادرا على القيام بواجبي كما ينبغي، هذا الواجب الذي ألزمتني به الحكومة الأسبانية، التي انتدبتني لهذا التجمع العلمي، إلا إذا عرضت عليكم جدول التحركات الحالية للدراسات العربية في أسبانيا..."[٢]. وهذا المستشرق "جراف لاندبرج"، مندوب حكومة السويد والنرويج، يكيل المديح لملك بلاده في المؤتمر السابع بفيانا سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، بسبب كونه تقبل أن يكون راعيا للمؤتمر[٣]، ويضيف متحدثا عنه قائلا أنه "يحمل أكبر دعم للدراسات الشرقية، المصدر السليم للتاريخ العام، لكل الحضارات"[٤]. وفي ثنائهاعلى الملوك والأمراء الذين رعوا المؤتمر السابع نفسه، تحدث "شيفر" عن خديوي مصر[٥] فقال: "أما سعادة خديوي مصر، فبإرساله بعثة

---

[1] Ibid. Vol 1 - T1 - p. 102.

[2] F. Guillen Robles: “De l'etat actuel des etudes arabes en Espagne” - Verhandlungen des Fuften Internationalen Orientalisten-Congress- Berlin - 1881 - V2 - p. 29.

[3] Discour de Graf Landberg , delegue de la Suide et Norvege - Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 – Vol.1 - T1 - pp. 48.

[4] Ibid. - Vol I - T1 - pp. 48 - 49.

[٥] لم تذكر المراجع اسمه. لكن الخديوي المعني هو "محمد توفيق".

إلى فيانا، وعلى رأسها أكابر الموظفين الإداريين، يعطينا دليلا دامغا على استعداده لتنمية الرغبة الملحة في تطوير الدراسات الأدبية في مصر"[١]. وهذا أمر رأى شيفر أنه يحتاج إلى تنويه.

وفي المؤتمر التاسع بلندن، سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، أثنى "ماكس ميللر" على "أوسكار الثاني"، ومما قاله: "لقد قدم جلالته دليلا جديدا على استمرار اهتمامه بالموضوع الرئيس لمؤتمراتنا، ودفع صوت دارسي الشرق إلى الأمام. لقد انتدب جلالته أفضل أصدقائه، "الكونت لاندبرج"... "[٢].

وفي المؤتمر الثالث عشر بـ"همبورغ" سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، قال "هنري كورديي"، ممثل الحكومة الفرنسية "إن الحكومة الفرنسية، بتعيينها مندوبين عنها في مؤتمر المستشرقين العالمي الثالث عشر... أرادت أن تعطي دليلا مرة أخرى، على الدعم الكبير الذي تقدمه للدراسات الشرقية، ويبرز هذا الدعم في تكوين هذه السلسلة الجديدة من المنشآت الدراسية، مثل "المعهد الفرنسي للشرق الأدنى"، الذي يتوقع له أن يلقى نجاحا باهرا ... وإن سعادة وزير المعارف العامة، تفضل فحملني بعض المنشورات المتعلقة بنتائج أواخر البعثات الفرنسية بآسيا، وكلفني بتوصيلها باسمه لمدينة "همبورغ"[٣].

أما "أويار Huart"، مندوب وزارة الخارجية الفرنسية في مؤتمر المستشرقين العالمي الرابع عشر بالجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، فيقول: "إنه لشرف عظيم لي أن تكلفني وزارة الخارجية بأن أحيي باسمها مؤتمر المستشرقين المنعقد حاليا في مدينة الجزائر الجميلة"[٤].

---

(1) Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 1 - T1 - pp. 48 - 49.

(2) Frederick Max Muller - Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 4.

(3) Henry Cordier (Discours) - Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 - pp. 422 - 423.

(4) M. Huart (Discours prononces a la seance d'ouverture du congres) - compte rendu des seances - Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - premiere partie - pp. 79 - 80.

وهكذا يتضح لنا أن من أساليب رعاية الساسة للمؤتمرات وأثرهم فيها، تعيينهم مندوبين عنهم يتحدثون باسمهم ويوضحون وجهات نظرهم وبيان أفضالهم على المؤتمرات وعلى الدراسات الاستشراقية عموما.

٢ – أثر الاستعمار في مؤتمرات المستشرقين العالمية:

تزامنت نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية مع واحدة من أهم وأنشط الحركات الاستعمارية . وبما أن هذه المؤتمرات اتخذت صبغة عالمية، فكان البحث عن العلاقة بينها وبين النشاطات الاستعمارية ذا أهمية خاصة، لمعرفة موقف المستشرقين ومؤتمراتهم من هذه الظاهرة. ويمكن تحليل هذه الظاهرة من زاوية رؤية مؤتمرات المستشرقين العالمية للاستعمار.

– مفهوم الاستعمار وأهدافه:

تعرضت مؤتمرات المستشرقين العالمية للاستعمار دراسة وتحليلا ونقدا. وقد درسته من جوانب عدة. واتضح أن معظم المستشرقين يرون أن الاستعمار مرادف للعمل الحضاري والتثقيف الشعبي والتطوير العلمي، ولا يكاد أحدهم يخرج عن هذا المعنى أو أحد أجزائه. يقول المستشرق "كوينن"، رئيس المؤتمر السادس المنعقد في العام ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، بليدن: "ما يمكن أن نسميه الجزء المعنوي للواجب المنوط بالدولة الأصلية تجاه مستعمراتها، و يتعلق بالعمل الحضاري والتثقيف الشعبي، هو أمر يبدو موثوقا به. لكني رأيت في هذه الأثناء واجبا آخر يجب أن تكون له الأولوية، وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بهذا الواجب الحضاري، ألا وهو واجب احتلال المستعمرات لصالح العلم... "[1]. ينيط كوينن في هذه المقولة بالاستعمار ثلاث مهام هي: العمل الحضاري، والتثقيف الشعبي، والمصلحة العلمية.

---

[1] Addresse de Kuenen -Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – Premiere partie – p. 44.

أما مساعد رئيس بلدية ليدن، "بول Bool" في المؤتمر السابق الذكر، يرى أن الغرب هم ورثة الحضارة ويجب عليهم نشرها، إذ يقول بعد أن بين أن أصول الحضارة نبعت في الشرق مواصلا حديثه عن الحضارة التي تحتاج دوما لظروف ملائمة لم تجدها في أحضان الشرق المعاصر "إن كان هؤلاء اليوم يعاملون بطريقة أفضل مما كانت عليه من قبل..يتثقفون بطريقة من شأنها أن تضمن خروجهم في النهاية من دائرة الأفكار الضيقة، ومن الاستلاب الذي قبعوا فيه منذ عدة قرون، فما ذاك إلا نظرا للتأثيرات المنفعية التي مارسناها عليهم..."[1]. فحسب هذا البيان يعد التثقيف الحضاري أحد مهام الاستعمار.

كما يوضح الوزير الفرنسي "بيانفوني- مارتن Bienvenu-Martin" هذه الصورة عمليا، في المؤتمر العالمي المنعقد في الجزائر عام ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، حين قال، بعد مدح بلاده لأعمال قامت بها بالجزائر والمستعمرات: "هذا دون الحديث عن الثقافة التي يتم تعريفهم محاسنها...فتبني ما يوجد في حضارتنا، من شأنه أن يجعل حياتهم أكثر يسرا وسعادة"[2]. كما يوضح في مكان آخر أن تجمع المستشرقين ذاك، مهد لممثلي الشعوب الأجنبية المسؤولين استخلاص النتائج العلمية والثقافية لفرنسا في إفريقيا[3]. إذن، فإن الاستعمار عملية تثقيفية للشعوب المغلوبة، حسب ما يعلن من أعلى منابر مؤتمرات المستشرقين العالمية. بل إن المستشرقين خير من كان شاهدا أو حتى مساهما في هذه العملية التثقيفية المزعومة، ففي الموضوع ذاته، يخاطب "جسال Gsell"، مدير المتحف فيها وأستاذ الآداب بالجزائر قائلا: "وأخيرا، فإنكم أنتم الذين تحبون العلم، وتعملون ما يمكنكم عمله في التثقيف الذهني للشعوب، وإنكم ربما، تتابعون بكل

---

(1) Discours de Bool - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - Premiere partie – pp. 224 –225.

(2) Discour du Bienvenu-Martin, Minstre de l'Instruction Publique et des Cultes – Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 – Premiere Partie – p. 77.

(3) Ibid. - premiere partie – p. 75.

لطفه، جهود زملائكم الأفارقة..."[1]، لذا فالمستشرقون مدعون أيضا للتعاون مع الاستعمار في مثل هذه المهام التثقيفية، وسيرد التفصيل في هذا الأمر لاحقا[2].

في سبيل تبريره الهدف العلمي، يماثل "كوينن" بين الطبيعة الصماء والطبيعة البشرية، إذ يقول بعد رؤيته حتمية استعمار الشعوب من أجل العلم: "إنكم تعلمون كيف أن "شلايرماخر Schleirmacher" أدخل المهمة التي يستوجب على الإنسانية عملها، ألا وهي مماثلة الطبيعة بالحقيقة... هناك الاحتلال البلاستيكي للطبيعة، وهو التحرك الذي يجعل الإنسان يصنع الطبيعة،... لكن هناك أيضا عاملا ضروريا، وهاما بنفس الدرجة، ألا وهو الاستعمار الفكري لهذه الطبيعة... فإن "سان مارتن St, Martin" قال: "تجاهل الطبيعة، يعني التذلل لها، ويعني الخضوع لها والاستسلام لمعنوياتها القائمة. أما معرفته لها، يعني الانتصار والترفع عليها". وهذه الكلمات لا تنطبق على الطبيعة فقط، بالمعنى اللفظي للكلمة، بل على الإنسانية أيضا. وهذه الأخيرة، حتى يمكن الترفع عليها لا يمكن رغم ذلك إلا اعتبارها جزءا من الطبيعة"[3]، فالمستشرق إذن، طابق بين الطبيعة والإنسانية. فدراسة السكان واللسان والتقاليد، يعني دراسة المجتمع ككل، وفهمه فهما دقيقا. يمكن التعامل معه حسب الظروف كما يتم التعامل مع الطبيعة[4].

إلا أن مجرد التحضر ليس هو الغاية، بل السيطرة الثقافية أساس من أسس الاستعمار. ومن أدلة ذلك، مقولة " ف. دياتريسي F. Dietrici"، في المؤتمر الرابع المنعقد بفلورنسا سنة ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ)، التي يحلل فيها دخول "نابليون" لمصر، والتي جاء فيها: "عندما قام "بونابرت Bonaperte" بتنظيم كتيبته في سفح الأهرام سنة ١٨٩٨م (١٣١٤هـ)، وجه إليهم كلامه قائلا: "من أعلى قمة هذه الأهرام، التي ظلت تتأملكم طوال أربعين قرنا ... لكن هناك معنى عميقا جدا في كلام نابليون، لأنه يمكن أن يقال إنه منذ تلك الأيام، ومع انتصارات هذا القائد الفذ

---

[1] Ibid. - premiere partie – Discour de Gsell , directeur du Musee et professeur de Lettre - p. 75.

[2] ورد هذا ص ٥٤٧ من الرسالة فما بعدها.

[3] Adresse de Kuenen -Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – Premiere partie – pp. 44 – 45 .

[4] Ibid. – Premiere partie – p. 45.

العظيم، فتحت أبواب الشرق للحضارة الغربية... لقد فهمت الأمة الفرنسية مهمتها. ومع الحملة العسكرية أرسلت فرقة من العلماء، من أجل الكشف عن الكنوز العلمية في الشرق"[1]. فإضافة إلى المهمة العلمية هناك مهمة السيطرة الثقافية، وإحلال الثقافة الغربية مقام الثقافة الشرقية، إذ إن بونابرت تجاهل كل الحضارات التي تعاقبت على مصر خاصة، والشرق عامة، منذ تشييد الأهرامات، التي جعلها جاثمة تنتظر وصول الجيش الفرنسي بفارغ الصبر.

من كل ما تقدم، يتبين لنا أن الاستعمار يرى نفسه أداة لنشر المعرفة والحضارة والثقافة، كما أن الهيمنة السياسية والتوسع الجغرافي والسيطرة الاقتصادية أهداف لا تنفك عن سابقتها. هذا ما بينته مؤتمرات المستشرقين العالمية ووضحته عن مفهوم الاستعمار وأهدافه، وأيدته في الغالب، وباركته.

ب – تقويم المؤتمرات للاستعمار:

من ناحية أخرى، وردت في مؤتمرات المستشرقين العالمية محاولات تقويمية للاستعمار ومنجزاته. فقد تمت محاولة البحث عن الأصول الاستعمارية الغربية، ودرست الأساليب العسكرية الاستعمارية، وجوانبه الثقافية والسياسية والاجتماعية.

تناول مسألة الأصول الاستعمارية الغربية "ماكس ميللر"، في المؤتمر التاسع، المنعقد في لندن، في العام ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، وعاد بالأصول الاستعمارية إلى الإسكندر، "مع الإسكندر، دخلنا في حقبة تاريخية عالمية جديدة، حقبة انطلقت من أول ردة فعل غربية قوية ضد الشرق، التي بدأت في القرن الخامس قبل الميلاد..."[2]. ويصرح بعد ذلك بكلمتي "احتلال" و"استعمار"، لما

---

[1] F. Dietrici: "Sur les etudes philosophiques des Arabes aux 10eme siecle" – Atti del IV Congresso Internationale degli Orientalistic - Florence - 1878 - Volume primo - pp. 385 – 358 .

[2] Max Muller – Inaugural Address – Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 31.

تحدث عن اكتشاف أوراق للإسكندر، قائلا: "لقد قيل إنه من خلال أوراق الإسكندر، وجد لديه مخطط عن كيفية توحيد تلك الأمم التي احتلها، ضمن الإمبراطورية الإغريقية، وذلك عن طريق مزج العائلات والعادات، وعن طريق الاستعمار وكذلك السعي إلى الرقي بالإنسانية..."(١). والملاحظ أن الاستعمار الغربي الحديث، لم يبتعد عن هذا الخط المرسوم.

إلا أن الإسكندر فشل في ذلك المخطط، بل إنه جعل تلك الأمم تكثر من الحكايات الفخرية عن عقائدها القديمة(٢). رغم فشل الإسكندر، لا يرى "ميللر" أن المخطط مخطئ، ويستشهد على ذلك بـإنجلترا، رابطا الأصل الاستعماري الإسكندري، بالحملات الاستعمارية المعاصرة له، فقد قال: "إن إنجلترا اليوم هي أعظم إمبراطورية شرقية، لم يشهد العالم لها مثيلا أبدا... لقد أنجزت بريطانيا، بل إنه أعظم من إنجاز، حلم الإسكندر، ألا وهو تزاوج الغرب والشرق، فقد لمت شمل أهم الأمم العالمية مع بعضها بإحكام دقيق، أشد مما لم يحصل من قبل أبدا."(٣). وهكذا يربط ميللر بين الاستعمار الإسكندري قديما، والاستعمار الإنجليزي حديثا، وأن بريطانيا حققت حلم الإسكندر القديم، وترجمته على أرض الواقع حديثا.

الاستعمار إذن حلم غربي قديم، وقد سعت أوروبا إلى إخراجه للواقع المعاش مرات عديدة. لذا فقد حاول ذلك "بونابرت" ورجع بالاستعمار إلى عشرات القرون، تجاوزت بكثير عهد الإسكندر(٤). فالهدف الاستعماري إذن، أمر ضارب في القدم، يختلج في نفوس الغرب، حتى تم لهم تحقيق ذلك. إلا أنهم فشلوا أيضا في تحقيق حلم الإسكندر والأهرام، كما أراد بونابرت، إذ لم يلبثوا أن خرجوا من المناطق المستعمرة، بقوة السلاح والسياسة.

---

(1) Ibid. - Vol1 - p. 32 .

(2) Ibid. - Vol1 - p. 32 .

(3) Ibid. - Vol1 - p. 32 .

(4) F. Dietrici: “Sur les etudes philosophiques des Arabes aux 10eme siecle” – Atti del IV Congresso Internationale degli Orientalistic - Florence - 1878 - Volume primo - pp. 385 – 358 .

وعن الأساليب العسكرية الاستعمارية، فإن القوة العسكرية هي وحدها التي جعلت أوروبا تهيمن على الشعوب. صرح بذلك "فون كريمر" في المؤتمر السابع بفيينا سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، إذ قال: "مبدئيا، وضع الشرق بفعل التفوق العسكري الأوروبي، وفرض عليه أن يقبع تحت تأثير الحضارة الغربية. لقد وضعت بلدان شاسعة تحت الهيمنة الأوروبية، وأينما كان الأمر كذلك، مارست أقطار أوروبا وأمريكا ضغوطا مادية ومعنوية عظيمة، بل إنها لا تزال تقوى..."[١] فالأسلوب العسكري هو الأداة الرئيسة للسيطرة والهيمنة، وفرض لأمر الواقع. لذلك كان المستشارون الاستعماريون يشيرون وينصحون بكيفية استخدام القوة العسكرية. ومن هؤلاء "دوتروي دو رانس" الذي أشار على الحكومة الفرنسية أن تدخل إحدى المعارك بقوة ضاربة ولا تكتفي بإرسال حملات صغيرة، غير متناسقة مع المساحات الممتدة[٢].

من جهة أخرى تبين أن الشعوب المهزومة، يمكنها أن تخدم القوى الاستعمارية، وتحفظ لها هيبتها العسكرية بل تكفل لها الراحة أيضا، من ذلك حكم الهولنديين لإندونيسيا. يصف ذلك "هوم" قائلا: "إننا نعلم أن الحكومة الهولندية تدير وتحكم الشعب الجاوي، بواسطة المسؤولين المحليين. إنه دليل على الذكاء الفياض. إن تأثير الرؤساء المحليين، ينوب عن القوة الوطنية المستعمرة، والتي بدونها، كان يتحتم اللجوء، ربما، إلى قوة عسكرية كبيرة حتى يمكن التماسك"[٣]. لذا، لو لم يكن هناك مسؤولون وطنيون محليون يملكون زمام الأمور، لكان للحل العسكري الصوت الأعلى لحسم الأمور، لكن هذا الأسلوب الاستعماري، كما سماه "هوم" حال دون تدخل قوى العسكر والجيش.

أما إذا فشلت القوات العسكرية في مهامها، ينتج عن ذلك فشل القوى السياسية الاستعمارية هذا ما أكده "غلان روبلس" مبينا أنه كان يمكن لموطنه أن

(1) Afreiher Von Kremer – Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 – Vol1 – T1 – p. 36.

(2) Charle Maunoir: "Deutreuil de Rhins" – Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve – 1894 - Deuxieme partie – 7eme session - p. 42.

(3) Discour de Humme – Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – premiere partie – p. 158.

يشهد قفزة عملاقة نحو حياة فياضة، إضافة إلى أنها تكفل لهم ثناء أجيال متعـددة، إلا أنه يتأسف قائلا: "إلا أنها قذفت بنا، مع كل الأسف، في مغـامرات فضيعـة، شجاعة بلا شك، لكنها غير مثمرة أيضا، بل دموية في أحيان أخرى"[١]، ولعلـه يقصد النكسات التي تعرضت لها أسبانيا في أمريكا الجنوبية وآسيا[٢]. ففشل اقتحام المناطق، أدى إلى فشل قيام مستعمرات أسبانية.

إذن، يعتمد الاستعمار اعتمادا يكاد يكـون كليـا، علـى الجيـش والقـوى العسكرية، يستخدمها متى ما لزم الأمر لذلك، ويعدها أداة فصـل فـي هيمنتـه الاستعمارية على الشعوب.

يرى الاستعمار أن الثقافة مفهوم من مفاهيمه، وهدف من أهدافه. ويفخر كل من وزير التثقيف الشعبي والديانات، الفرنسي، ومدير التعليم العـالي بـالجزائر، بقوة الهيمنة الثقافية الفرنسية، التي مورست على الجزائر. فقد أخذ الوزير الكلمـة في المؤتمر العالمي الرابع عشر بالجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، وبين أهمية المؤتمر، ثم ذكر أن هذا التجمع لممثلي الشعوب الأجنبية، المسئولين، يمكنهم مـن استخلاص النتائج العلمية والثقافية لفرنسا في إفريقيا، وبـرر الاسـتعمار هنـاك ببعض الجوانب الثقافية[٣]. أما الثاني وهو "بايت Bayet" فقد قال: "إنه ليسـعدني أن أحيي العلماء الذين يمثلون، لا أقول شعوبا أجنبية، بل شعوبا صديقة... وأتمنى أيضا أن يقتنعوا بالتأثير الخصيب والتثقيفي الذي تفخر فرنسا بممارسته على هـذا البلد العظيم"[٤].

إلا أن مثل هذه النتائج لم تكن تلقائية. يبين ذلك "فون كريمر" في المؤتمـر السابع، محللا كيفية نشر ثقافة المستعمر. ومنـها يظـهر بوضـوح الأسـلوب العسكري الذي يتبعه الاستعمار من أجل نشر أفكاره وإرادته، وأنه لولا ذلك، لمـا

---

(1) F. Guillen Robles: "De l'etat actuel des etudes arabes en Espagne" – Verhandlungen des Fuften Internationalen Orientalisten-Congress- Berlin - 1881 – T2 – p. 31.

(٢) روبير شنيرب – تاريخ حضارات العالم – القرن التاسع عشر – م٦ – ص ٤٥٠ .

(٣) سبق ذكر بعض آراء الوزير ص ٤٩٥ من الرسالة.

(4) Discours de "Bayet" Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 – premiere partie – p. 102.

تمكن الغرب من تحقيق مراده[١]. إلا أن الأمر الذي أذهله، هو تقبـــل الشــعوب الخاضعة لمثل هذه الثقافات والأخلاقيات، إذ يقول: "إن أخلاق ولغات الأوروبـــي القادم، تهدد الثقافة المحلية، وتفرض نفسها بسهولة، لا يمكن تبريرها بعد"[٢].

أما خطر تهديد الثقافة الخاصة، فقد لفتت المستشـــرقة الروســـية "ألجـــا دو ليبيدو" الأنظار إليه، ولا سيما المرأة المسلمة. فبعد أن تحدثت في مؤتمر الجزائـــر عن إقبال المرأة الجزائرية على التعلم والتثقف، واصلت تحليلها قائلة: "لكن الثقافة تشبه سلاحا ذا حدين. فهل يمكن أن تصبح مزعجة، ما لم تكن مرتكزة على تربية القلوب وعلى المبادئ الأخلاقية السامية؟"[٣]. لقد كانت تخشـــى التيـــار الجـــارف للحضارة الغربية، التي تراها قد تم تنقيحها مرات عدة، وتحذر المرأة المسلمة من قشورها قائلة: "أرجو من كل أخواتي الشرقيات المحبوبـــات جـــدا، فـــي ســـبيل مصلحتهن الخاصة، أن لا يدعن لأنفسهن سبيل الغواية مطلقا، بالجوانب التافهـــة والوهمية لحضارة تم تكريرها مرات عدة، والتي لا تجلب لهن، على العكس مـــن ذلك، إلا الألم وخيبة الأمل، إذ إنها لا تتناسب ومثاليتهن "[٤]. وتضيـــف قائلـــة: "أرجو أن يكون لها من الفطنة ما يجعلها لا تحتفظ إلا بالأمثلة الطيبة، وأن تجـــهد نفسها بالخصوص لتطورها الفكري الخاص"[٥]. هذه المستشرقة، بعيدة النظر فـــي تحليلها لمسألة تطور المرأة المسلمة، الذي أرادته أن يكون "فـــي الحـــدود التـــي سطرها نبيهم، الذي أسس[٦] شريعة متطابقة تماما مـــع التطـــورات العصريـــة،

---

[1] Afreiher Von Kremer – Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 – Vol1 – T1 – p. 36.

[2] Ibid. – Vol1 – T1 – p. 36.

[3] Discour de Mme Olga de Lebedow – Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 – premiere partie – p. 42.

[4] Ibid. – premiere partie – p. 42.

[5] Ibid. – premiere partie – p. 42.

(٦) تذكر المستشرق لفظ تأسيس، وذلك لأنها لا تؤمن بالإسلام على أنه دين، ويبـــدو أنـــها مـــن القائلين باصطناع النبيﷺ لهذه العقيدة، التي يرونها مثالية، لذلك تعبر بلفظ التأسيس، رغـــم اعتقادها في أن معالجة الإسلام لشؤون المرأة مثالية، لـــذا فـــهي عـــبرت بقولـــها الحدودالتـــي سطرها... أما بالنسبة للمسلمين، فعقيدتهم ثابتة في أن ما جاء به النبيﷺ وحي يوحى، وأنـــه ﷺ لا ينطق عن الهوى.

شريطة أن تحلل وتفهم بصدق وإخلاص"[1]. هذه المستشرقة تحذر المرأة المسلمة، وبالتالي كل القابعين تحت الاحتلال، من الانحدار الحضاري بلا وعي. وتدعـــو للمحافظة على أنسانية البشر، مهما اختلفت الحضارات والثقافات.

فالثقافة إذن، هي سلاح فتاك ذو حدين، ويفهم من هذا، أن عملية التحضـــر التي يدعيها الاستعمار، فقد تكون تدميرا لا تعميرا.

من كل ما مر بنا، يتبيـــن أن الغـــالب علـــى المؤتمـــرات، تبنيـــها للفكـــر الاستعماري، وسعيها الحثيث لمساندته وتبرير مواقفه و تصرفاته، مع تقويمها لــه عند الضرورة. فقد تبين أن مؤتمرات المستشرقين العالمية تؤيد الاستعمار القـــائم، ولا تمانع قيام حملات استعمارية، وتتعاون معه حتى يتمكن من تحقيق أهدافه. بل قد يرون وجوب احتلال البلدان الضعيفة سعيا وراء زعم التثقيـــف و التحضـــير، مبطنين الهدف الأساسي، الذي يريدون تحقيقه، ألا وهو هيمنة كـــل مـــا يتعلـــق بشؤون الغرب، سواء عسكريا أو ثقافيا أو أخلاقيا أو غيرها. فالعلاقة إذن، علاقة تكامل، وتحقيق مصالح مشتركة.

---

(1) Ibid. – premiere partie – p. 42.

المبحث الثالث: المؤثرات الثقافية

تعد المؤتمرات رغم كل المؤثرات الخارجية فيها، منبرا ثقافيا في أساسها، وبالتالي تشغل الثقافة جل شأن المؤتمرات، فلا غرابة أن تكون لها تأثير كبير في مجريات أعمالها، وفي جل المقالات والبحوث والدراسات التي تعرض في مؤتمرات المستشرقين العالمية. هذا التأثير سيتم التعرض له بإيجاز في هذا المبحث، ومع ذلك لا يمكن إعطاؤه كل حقه، لحاجة القيام فيه بدراسة شاملة، وإنما هو هنا من باب التعريف به وبيان بعض الجوانب الثقافية التي تم تناولها في المؤتمرات، سواء كانت ذات علاقة مباشرة بالاستشراق أم لا.

هذا وسيتم تحليل الموضوع وفق العنصرين التاليين:

١- مفهوم الحضارة وأصولها في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

٢ - التبادل الثقافي والحضاري خلال العصور الوسطى الأوروبية.

١-مفهوم الحضارة وأصولها في مؤتمرات المستشرقين العالمية:

درست جوانب من مفهوم الحضارة وأصولها في مؤتمرات المستشرقين العالمية، طرقها مستشرقون عديدة، وكل له فيه رأي وتوجه.

تناول هذا الموضوع "فون كريمر"، في المؤتمر السابع، المنعقد بـ"فينا" سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، فقال: "إن الحضارة المعتبرة في عمومها، ليست مهمة شعب واحد، إنما نتاج التبادل الهادئ للأفكار، تماما مثل البضائع، وهو تبادل، لا يتم في الحقيقة، إلا بعد معارك عنيفة"[1]. يبدأ المستشرق ببيان رأيه في حقيقة تكون الحضارة، وهو رأي مقبول في حد ذاته. إلا أنه يختمه بكلام غير صحيح في عمومه، إذ يجعل تبادل الحضارة مقرونا بضرورة قيام حرب تسبقه. وتلك هي

(1) A. Freiher Von Kremer - Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - T1- Vol 1 - Die Eroffnungssitzung des Congresses – pp. 35 – 36.

الحضارة المعتبرة كما عبر عنها. لكنه لم يبين رأيه في الحضارة التي لا تستلزم قيام صدام.

لا ينفرد المستشرق "كريمر" بهذا التوجه العام الذي يرى أن التبادل الثقافي لا يحصل إلا بالقوة، بل نجد المستشرق "ستيوارت الجليني"، في المؤتمر التاسع بلندن، سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، يقرأ ورقة حول "أصول الحضارة"، وجاء فيها مفهوم غريب للحضارة، فهو يرى أنها نتاج الصراع بين الجنس الراقي (الأبيض)، والجنس السفلي (القاتم)، وأن هناك برهانا على ذلك في بابل ومصر، فقد كانت الثقافة نتاجا للترف المؤمن للجنس الراقي...[1]. وهذا الكلام، غير مسلم به. كما أن المستشرق لم يحدد بالضبط مقصوده من كلمة "أبيض" لكن لو أخذنا المعنى العام لها، ألا وهو أن الجنس الأبيض هم الغربيون فقط، فيظهر بوضوح أن هذا الكلام ترده الحضارات الصينية والهندية والإسلامية. أما إذا أخذنا من استشهاده ببابل ومصر، أنه يقصد بكلمة "أبيض"، كل ما لم يكن قاتما يميل للسواد، فالحبشة مثلا، بلغت أوجا لا بأس به في سلم الحضارة، في حقبة زمنية قديمة. كما نجد الحديث عن حضارة الهنود الحمر.

لكن المتفحص في كلام هذا المستشرق، يمكنه أن يستخلص نسمة العنصرية، وعقدة التفوق العرقي الغربية. ويبدو أن هذا التوجه، ما هو إلا موروث من الأصلين اللذين يراهم الغربيون أساس حضارتهم، الإغريق والرومان. يذكر ذلك "ماكس ميللر"، في المؤتمر ذاته، ويعرب عن خوفه من آثارها ومخلفاتها المستقبلية، إذ يقول: "...ثم إن معظم أوروبا نجحت في سيرها وراء الموروث الثقافي الروماني – الإغريقي."[2].

في المؤتمر ذاته، حدد "ماكس ميللر" النطاق الجغرافي لمنابع الحضارة، وجعل نشأتها متوسطية، إذ قال: "أما معظم التاريخ الشرقي، فيبدو أنه صنع على يد المتوسطيين، وهذا ما جعل "إيوالد Ewald" يتجه نحو إدراج كل الآريين تحت

---

[1] Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Meeting of sections - Vol1 - p. xxxvi .

[2] Max Muller : Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 8 .

اسم المتوسطيين"[1]. يمكن أن نسلم بهذا الكلام جدلا، إذ قوله معظم دليل على النسبية المتفاوتة. لكن معظم الأوروبيين أيضا ليسوا متوسطيين. ثم إن المتوسطيين منهم لم يكن لهم شأن كبير، ما عدى الإغريق والرومان.

يزيد مسألة الحضارة وضوحا، المستشرق الروسي "نوفال" في المؤتمر العالمي الحادي عشر في العام ١٨٩٩م (١٣١٧هـ) ؛ فقد بدأ بتحليل مفهوم الحضارة وكيفية المحافظة عليها: "إن الحضارة، لا يمكن إلا أن تكون متولدة الحياة، وبالتالي، فإنه من شأنها أن تنتشر وتتطور"[2]. أما بعد تحليله هذا، فإنه يتحول للمقارنة بين الأثر الحضاري في كل من الشرق والغرب، مبينا التفوق المطلق للغرب على الشرق، إذ يقول مواصلا كلامه السابق: "هذه الملاحظات تنطبق على الشرق بالخصوص. إنه للشرق بالتحديد، أين تعود على الدوام المهمة الأولى من بقاء الأسس. إن مهمته لا تصل إلى هذه الدرجة من الدقة، والتي من شأنها أن تخرج النتيجة النهائية الصحيحة. ومن هنا، لا يتم وجودها إلا بموازرة الغرب. إن الشرق غارق في التأمل، ولا يهتم كثيرا بالجانب العلمي والتطبيقي... لكن الغرب هو الذي يرفع المؤشر...إن الشرق بطيء ثقيل، لا يقبل من يزعجه. إنه يركب الجمل الوقور المهيب، أما الغرب فإنه يغلي ويطير. إنه الآن على الحصان البخاري، وسيركض غدا على الكهرباء. إن الشرق هو الطريقة، والغرب هو الهيئة. الشرق هو التجريد، والغرب هو الاستثمار. وهذان القرعان من الحضارة يمكنهما، بل عليهما أن يتكاملا ويتعاونا. فالشرق يلقي البذور، ثم يأتي دور الغرب لجعلها تثمر. إذن، على أوروبا، أو بمعنى أدق، على النصرانية أن تقدم للدراسات الشرقية هذا التوجه التطبيقي والنفعي، الذي يوجود في قاعدة كل العلوم القابلة للحياة."[3].

يمكن أن نناقش كلام المستشرق هنا من وجهين، أحدهما فيه مغالطة، والآخر فيه صواب. أما المغالطة، فتكمن في أنه يرى الشرق عجينة طرية عاجزة كسلى، تحتاج الغرب كي يحدث فيها أشكالا وحيوية ويبث فيه الروح، لأن منهج

---

[1] Ibid. - Vol1 - p. 8 .

[2] Discour de Nauphal - Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - Partie I - T3- p. cxxiv-cxxv .

[3] Ibid. - Partie I - T3 - p. cxxv .

الشرق مثالي، فيم المنهج الغربي والكنسي بالذات مادي نفعي. هذا هـــو تحليـــل المستشرق للعلاقة الحضارية بين الشرق والغرب.

هذه الأحكام العامة، يردها التاريخ وأحداثه ردا مطلقا. فالفينيقيون وامتدادهم، القرطاجيون، مثلا، طافوا العالم المعروف إذ ذاك كله تقريبا. لقد وصلوا بتجارتهم إلى بريطانيا شمالا، وجنوب إفريقيا جنوبا. أما حوض البحر المتوسط، فكاد يكون ملك يمينهم. ثم إن حملتهم على أوروبا، كان لها صداها الكبير في وقتها، وهـــي دليل دامغ على الحركة الشرقية الدائبة، فقد اندحر أمامهما القوط الأسبان، وكـــل إمارات بلاد الغال وأطراف الجرمان، ثم هزمت الإمبراطورية الرومانية في عقر دارها، إلا أن تخاذل القادة في إفريقية حال دون أن تغير الحملة تلك وجه العـــالم. كما أن الآثار التاريخية القديمة في مصر وبابل والصين وغيرها، دليـــل واضـــح على حيوية عوامل الحضارة محليا دون الحاجة إلى مساعدة من الغربيين.

هذا من العصور القديمة. أما في العصور القريبة، فقد دخل المسلمون الوسط الأوروبي واستوطنوه، وكونوا تطورا حضاريا، كان الغربيون يفخـــرون بتعلمـــه منهم. كان ذلك في الأندلس مثلا، التي كان الغربيون يتفاخرون بعضـــــهم علـــى بعض بتتلمذهم على أساتذتها العرب. ومن الشرق وصل العثمانيون حدود "فينـــا". هذا الشرق الذي يراه المستشرق بطيئا، فيم الغرب يطير، يرده تطور العلوم التـــي يطول الحديث عنها، ولا تخفى حقائقها على المستشرقين، حتى إن أول من حـــلول الطيران، وجرب ذلك عمليا، العالم الأندلسي المسلم "عباس بن فرناس"[1].

أما اليوم، فنجد بعض الدول الشرقية تفوقت في المجال العلمي العملي علـــى الغرب كله، وسببت له أزمات واكتسحت الأسواق العالمية، بل نافستهم حتى فـــي أسواقهم الداخلية في بلدانهم، وهي اليابان، التي خصص لدراستها أول مؤتمر مـــن مؤتمرات المستشرقين العالمية. أما سياسيا وعسكريا تقف الصين حجرة عثرة في

---

[1] هو أبو القاسم عباس بن فرناس، توفي سنة ٢٧٤هـــ، الموافق لـــ ٨٨٧م. مخترع أندلسي من أهـــل قرطبة، من موالي بني أمية. عاش في عهد الخليفة عبد الرحمن الثاني بن الحكم. كان فيلسوفا وشاعرا أيضا، له علم بالفلك. أول من استنبط صناعة الزجاج من الحجارة بالأندلس، وصنع الميقات لمعرفـــة الأوقات. أراد أن يطير، فكسا نفسه الريش، ومد له جناحين، طار بهما مسافة بعيدة، ثم سقط فتأذى في ظهره، لأنه لم يعمل له ذنبا. وبالتالي يعد أول طيار اخترق الجو.

الزركلي: الأعلام – ج ٣ – ص ٢٦٤.

وجه الغرب وعتاده. وهذه أيضا لا يخلو مؤتمر من إدراجـــها ضمـــن مجـــالات دراسته. كما بدأ يبرز نجم الكوريتين.

ليس المجال موطن سرد لمآثر الشرق العملية في مجال الحضـــارة، لكنـــها أمثلة لإبطال الحجة المزعومة. فالمستشرق استغل ضعف الشرق زمـــن إلقائـــه دراسته ليورد تحليله ذاك. فحقا كان الشرق مستضعفا. وهذا هو الوجه الثاني مـن مناقشة كلام المستشرق. وهو الإيجابي من كلامه. لقـد اهتـم الشـرق ببعـض الجوانب الفكرية، وغفل في فترة من الزمن عن الأخذ بزمام المبادرة، فكـــان أن امتلك الغرب ملكة الاختراع، ولاسيما أسلحة متطورة جدا عن الشـــرق، وابتـدع التقنية البخارية، فالكهربائية، وتم الأمر بسرعة كبيرة، ولما انتبه الشـــرق وجـد نفسه بعيدا عن الواقع المادي، وعجز عن اللحـــاق بـــالركب، فأصابـــه انـــهيار حضاري، ساهم فيه الغرب بالسيطرة والتهديد والتخويف، ثم الاحتـــلال وتفتيـت الشرق إلى دويلات متقاربة الحدود، متباعدة النفوس، متباغضة متنافرة، إذ أذكـى جذوة الفرقة بينها.

رغم ذلك، يوجد من الغربيين مـــن يعـــترف بضـــرورة التعـــرف علـــى الموروثات الثقافية والحضارية الشرقية، قصد معرفة الذات والموقع الحضـــاري. من هؤلاء "غلان روبلس"، المستشرق الأسباني، الذي نادى في المؤتمر الخـامس، ببرلين في العام ١٨٨١م (١٢٩٨هـ) بضرورة دراسة القرون الإســـلامية فـــي الأندلس، لإثبات الذات الأسبانية، وفصل الحاجات الدراسية الضروريـــة، لفـــهم حضارة المسلمين البائدة، في الأندلس، وبين أدق الخصوصيات من ملابس وحلـي وخزف، والمعالم الأثرية البارزة، إضافة إلى الشخصيات التاريخية المرموقة، في مختلف الفنون المعرفية[1]. وما ذلك إلا لأنها أساس النهضة الأسبانية، وأساس من أسس التفوق الغربي الحضاري لاحقا.

إذن، ترى مؤتمرات المستشرقين العالمية أن الحضـــارة والثقافـــة طاقتـــان حيويتان. للمحافظة عليهما لا بد من عمل دؤوب، وحركية نشيطة تعمل من أجـل

---

[1] F. Guillen Robles: De l'etat actuel des etudes arabes en Espagne - Verhandlungen des Fuften Internationalen Orientalisten-Congress- Berlin- 1881 - V2 - p. 30 -31.

بقائهما، كما أنها تذهب إلى حد ضرورة نشرهما بالقوة. أما عن أصولها، فهي شرقية، وما دور الشرقيين فيها إلا المحافظة على سبل نقلهما وإيصالهما للغرب، الذي يعلم كيفية استغلالهما والمحافظة عليهما، لأن الشرق غير مقدر لقيمتهما، ويحتاج الغرب لتدريسه أصول ذلك. وبما أن الشرقي عندها كسل ومتخلف، وجب تحضيره ولو بالقوة. تلك هي نظرة المستشرقين في مؤتمراتهم العالمية.

٢- التبادل الثقافي والحضاري خلال العصور الوسطى الأوروبية:

تناولت مؤتمرات المستشرقين العالمية، موضوع الثقافة والحضارة وأمور تبادلها بين الشرق والغرب زمن العصور الوسطى الأوروبية. ويمكن بحثه في عناصر عدة، توضح جوانب من الموضوع.

أ - الأثر الحضاري الشرقي في الغرب في القرون الأوروبية الوسطى:

تحدث عن هذا الموضوع "لوي براهيي Louis Brehier"، في المؤتمر العالمي الثالث عشر، المنعقد بمدينة همبورغ في العام ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، في مساهمة له بعنوان "أثر الشرقيين في الحضارة الغربية عند بداية العصر الوسيط (من القرن الخامس إلى القرن الثامن)، وبين أن الأثر الشرقي هو أحد العناصر التي كونت الحضارة الغربية، إلا أن هذا العنصر لا يزال يحتاج لتحديد، كما صرح بذلك. أما عن كيفية هذا التأثير، فإنه يرى أنه تم عن طريق المستعمرين اليونانيين والمصريين والآسيويين[1].

هذا وقد علق المستشرق "فرانز كومونت Franz Cumont"، ونص بإصرار على دور الحروب بين الشرق والغرب وأثر الرق في التأثير الحضاري

[1] Ibid. : p. 365 .

الشرقي، إضافة إلى تدفق السوريين [١].

نستنتج من كل ما مر، أن التأثير الحضاري والثقافي للشرق في الغرب، تمتد أصوله إلى أزمان سحيقة جدا. وأنه بفضل هذه المؤثرات، نبذ الغـرب بربريتـه التي كان يتخلق بها، وابتعد عن ظلمة التخلف التي قبع فيها لسنين مديـدة، وبـدأ يتلمس نور الثقافة والحضارة من الشرقيين، الذين، على العكس من ذلك، تعـاقبت عليهم حضارات متعددة، عايشوها ونهلوا من معينها، الأمر الذي سما بـهم فـي فضاء الثقافة والحضارة، وأصبحوا بالتالي أساتذة للغرب في هذا الميدان، قبـل أن يتبنى الغرب حضارة مادية، سار بها حثيثا، وقيد الشرق بقوانينها، وغير الأحكـام الفكرية والتربوية التي أسداها له الشرق من قبل.

ب – استكشاف الشرق ونشأة أناشيد الملاحم.

تناول هذا الموضوع بالتحليل المستشرق "جون ريشـار Jean Richard"، في مؤتمر المستشرقين العالمي الخامس والعشرين، المنعقد فـي موسـكو سـنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، في دراسة له بعنوان "شهرة الشرق فـي الأدب الغربـي خلال العصور الوسطى". وفيها تحدث المستشرق عن كيفية بروز الشرق وانتشار مفهومه وسط الطبقات الشعبية الأوروبية. فقد أعلن أن الشهرة التي حازها الشرق في البلدان الغربية في القرون الوسطى، لم تكن محدودة في الدائرة الضيقة للعلماء والمثقفين، بل انتشر ذلك عند القاعدة الشعبية عامة [٢]. ثم تحدث عن أقدم أنشـودة ملحمية فرنسية، "أنشودة رولان"، التي تسرد قتال "شارلمان" ضد المسلمين، وقـال إنها أضفت بعض الشخصية على أعداء الفرنج، وأن الشاعر بحث عـن أسـماء دقيقة للأشخاص وأماكن البلد، الأمر الذي يؤكد، حسـب رأيـه، وجـود بعـض الاطلاع الغربي على الشرق [٣]. وهذه الأنشودة لقيت حظوة خاصة عنـد الطبقـة

---

[1] Ibid. : p. 366 .

[2] Jean Richard: " la Vogue de l'Orient dans la litterature Occidentale du Moyen Age" -25 eme Congres International des Orientalistes - Moscow – 1960 - T1 - p. 458.

[3] Ibid. - T1 - p. 458.

الشعبية الغربية، التي أقبلت عليها بشغف، معرفة وحفظا ورواية، ومن خلال ذلك بدأ توسع انتشار مفهوم الشرق في الغرب عامة.

تحول بعد ذلك للحديث عن أناشيد الملاحم الصليبية. وذكر أنها نشأت مع أولى الحملات الصليبية، وهدفها الأساس رواية أحداث الحملة الصليبية، مثل أنشودة بيت المقدس، وأنشودة أنطاكية. وقال إن هذه الأغاني عرفت بالضرورة بعض الشيء عن الشرق حيث تدور الملحمة[1]. إلا أنها قد تتخذ صبغة أسطورية، تدخل فيها الخوارق وعمليات السحر. ففي هزيمة الصليبيين في أنطاكية، ظهرت "أنشودة البؤساء"، تتحدث عن أسر المسلمين لبعض الصليبيين، اتخذت صبغة رواية مغامرات، يأخذ الخارق فيها مكانة كبيرة. وتعلن في مقدمتها أن الشرق هو بلد الخوارق والعجائب[2].

كما أن عدة أناشيد كانت أحداثها تدور في فلك الشرق، أما موضوعاتها، فتكاد تكون واحدة، إذ إنه يوجد عادة بطل غربي، فارس مقدام، يفتن أميرة كافرة[3]، وهو ذريعة لاستحضار عجائب الشرق[4]، أما روايات عهد صلاح الدين، فتتبع الأحداث نفسها: إغواء عن طريق الشجاعة، مع التنصيص على استقامة البطل الكردي الذي اتخذوه بصفته الفارس المثالي، لدرجة أن الكتاب تخيلوه ابن أميرة فرنسية، اختطفها القراصنة، وتزوجها ملك سرزاني [5]. وهذا يدل على أن الغرب كان عارفا ببعض الشخصيات الشرقية.

كما أن عجائب الشرق، كما يرى المستشرق، سردت في روايات عدة، مثل أنشودة الإسكندر، وأنشودة "رسالة القديس يوحنا Lettre du Pretre Jean"، التي تصف عجائب الهند. واستخلص أن هذا يؤكد مدى عظمة الشغف الذي يكنه الغربيون للشرق نهاية القرن الثاني عشر[6].

---

(1) Ibid. - T1 - p. 458.

(2) Ibid. - T1 - p. 458.

(3) من عادة كتاب أناشيد الملاحم أنهم يصمون بالكفر كل من لم يكن نصرانيا.

(4) Ibid. - T1 - p. 458.

(5) Ibid. - T1 - p. 458 .

(6) Ibid. - T1 - p. 458 .

أما في القرن الثالث عشر، فإن المستشرق يرى أن الغربيين اهتموا بسرد معلومات أكثر صحة[١]. فقد ساعدهم نصارى الشرق على كسب معلومات جغرافية في آسيا وإفريقيا[٢]. كما أن العلاقات مع المغول أوجدت للغرب فوائد، رغم أنها امتزجت بالأحزان في أولها، كذلك في علاقاتهم مع التتار فيما بعد. كل ذلك، وسع أفق الغربيين في معرفتهم بالشرق وأحداثه[٣]. أما القرن الرابع عشر، فقد تميز بقيام رحلات استكشافية للشرق. وأهم هؤلاء الرحالة، "ماركوبولو" و"باردينون Bardinone"[٤]. ويعلق قائلا إن الشرق يبقى الأرض التي تزدهر فيها العجائب، وأن الرحالة جلبوا لقرائهم معلومات قيمة، وأنه لا يستحيل وجود آثار معلومات صحيحة جاءت عن طريق الحجاج، أومن كتابات أدبية علمية[٥].

سعى المستشرق في هذه المداخلة إلى بيان التدرج في اطلاع الغربيين على الشرق. إلا أنه تجاوز النقاط السلبية التي أوجدها شعراء العصر الوسيط في قصائدهم وبالتالي في القراء والسامعين. إن أناشيد الجستا، إنما وضعت لحشد الرأي العام الغربي ضد المسلمين، الذين أطلقوا عليهم اسم السرزانيين، التي ترادف عندهم الكفرة البرابرة الهمج. كما أهمل غايات الرحلات الاستكشافية التي قام بها "ماركوبولو" وغيره. لقد بين أن صورة الشرق كانت تتعاظم مع مرور الأيام، لكنه لم يبين حقيقة تلك الصورة. لقد كانت تحمل عن الشرق كل أنواع السخف والاحتقار والحقد. أما الصورة الجمالية أو الواقعية، فما نشأت إلا مع نهاية القرن السادس عشر، وما يليه. إذ ذاك هب المستكشفون والباحثون يرغبون في التعرف على أسرار الشرق وكنهه.

ج – التأثير الأدبي بين الشرق والغرب.

تحدث عن هذا الموضوع "ج. دو غوية J. de Goeje"، عند حديثه عن

(1) Ibid. - T1 - p. 459 .
(2) Ibid. - T1- p. 459 .
(3) Ibid. - T1 - p. 459 .
(4) Ibid. - T1 - p. 459 .
(5) Ibid. - T1 - p. 459 .

رواية "الرحلة البحرية La Navigatio". كان ذلك في المؤتمر الثامن بـ"ستوكهولم وكريستيانيا"، في العام ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ). تتحدث هذه الرواية عن رحلة بحرية، جعل بطلها قديسا أيرلنديا من القرن السادس، هو القديس "براندان". أما سبب الرحلة، فهو البحث عن الجزيرة التي يزعم أنها موعودة للقديسين، وقد اصطحب معه أربعة عشر قديسا آخرين، ودامت رحلتهم سبع سنوات. يناقش المستشرق محتوى هذه الرحلة، لبيان أصولها الثقافية.

يلاحظ المستشرق قبل كل أمر، أن الرقم "سبعة" يوجد أصلا في أسطورة سابقة، تمثل قاعدة "الرحلة البحرية"[١]. ثم يقول: "لقد لاحظنا منذ زمن، أن التركيبة هذه، ليست سوى تنقيح رهباني لموضوع معروف مسبقا. إن التشابه مثلا بين "الرحلة البحرية"، المتضمنة لحكاية الحوت العظيم الذي حسبه البحارة جزيرة، والذي بدأ في التحرك، ثم الغوص في البحر عندما أشعلوا النار، وما نجده في رحلة السندباد الأولى، الموجودة في "ألف ليلة وليلة"، مدهشة جدا، لدرجة أننا لا نشك في وجود أصل واحد بين هذا وذاك. لكننا لم نقدر بعد على تقرير ما إذا كانت هذه الرواية تم نقلها من الشرق إلى الغرب، أو أن الشرق هو الذي استقاها من أيرلندا"[٢]. لكن "دو غوية" يرى أن الرأي الأخير غير مقبول، رغم أن هناك من تقبله[٣].

ثم ينتقل المستشرق لتحليل بعض القرائن الأخرى، أكثر دقة من هذه. فيقول: "في الجزيرة الأولى، حيث نزل سان براندان، يرتفع قصر عظيم، لم يجد الرهبان فيه أحدا. إنها تماما جزيرة القصر في الرحلة الثالثة للسندباد. لكن الأسود المتوحش، الذي ظهر على أنه المواطن الأصيل عند السندباد، أصبح عند براندان شيطانا على هيئة أسود صغير"[٤]. ثم يتحدث عن نبعي ماء في جزيرتين من جزر "براندان" نهى مرافقيه عن الشرب منها، ويستنتج قائلا: "إنه مما لا شك فيه أن

---

(1) J. De Goeje: " La legende de Saint Brandin" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - Deuxieme Partie - Section Semitique A - p. 46.

(2) Ibid. p. 46.

(3) Ibid. pp. 46 - 47 - ....

(4) Ibid. p. 52.

هذين النبعين هما صدى لتلك التي ارتوى منها السندباد في بداية رحلته الثانية، ونام بعد أن شرب منها، ولم يستيقظ إلا بعد أن أبحرت السفينة بعيدا"[1]. ينتقل بعد ذلك للحديث عن جزيرة العصافير. فرغم أنه لا يرى أنها قد استعيرت من الرحلة السابعة من رحلات السندباد، إلا أنه يعتقد أن هناك بعض الشبه بينهما[2]. كما أن هناك أمر الشيخ الذي يجيب عن كل تساؤل بالإشارات، يقول: "لقي القديس "براندان" شيخا يجيبه عن كل تساؤلاته بالإشارات...إذا تعمقنا فيه، نجد أنه قد تمت استعارته من الرحلة السندبادية الخامسة [3].

يواصل المستشرق المقارنة بين رحلة "براندان" ورحلات السندباد. يقول: "أما جزيرة العنب، فيمكن أن تكون صدى للعنب الذي وجده السندباد في جزيرة الشيخ... أما الطائر المخلبي العظيم الذي هدد القديس "براندان" وأصحابه، فهو بلا شك الرخ المذكور في الرحلة الخامسة للسندباد...والعمالقة الذين سعوا لتحطيم السفينة بصخور عظيمة، أو بأشلاء معدنية، فتبدو أنها نقلة عن العمالقة المتوحشين في الرحلة الثالثة من رحلات السندباد"[4].

ينتقل المستشرق بعد ذلك محاولا تدعيم رأيه بأمور فنية منطقية، استقاها من خلال مقارنته للروايتين. فيتحدث مثلا عن تسلسل الأحداث فيقول: "إن كنا قبلنا ضمنيا حتى هذه اللحظة أن كاتب "الرحلة البحرية" هو الذي استعار من السندباد وليس العكس، فإنما ذلك راجع إلى كون كل شيء متطابق مع القرائن عند السندباد، أما عند براندان، فإن المغامرات عرفت انقطاعا في تسلسل الأحداث، وتظهر بالتالي الصفات الدالة على الاستعارة"[5].

ثم يقارن بين الاسمين، "سندباد" و"براندان" فيجد هناك تقارب وتشابه، ويستخلص: "ويمكن أن نتقبل دون معاناة كبيرة أن بحارا أو راهبا أيرلنديا جال

---

[1] Ibid. p. 52.
[2] Ibid. p. 53.
[3] Ibid. p. 53.
[4] Ibid. p. 53.
[5] Ibid. p. 53.

المشرق، سمع من يروي رحلات السندباد، وبتفكيره في "سان براندان"، فقد ظـن أن هذا الأخير هو بطل الرواية"[١].

مصدر ثالث أثر في هذه الرواية، هو كتاب الإدريسي، الذي نشر في العـام ١١٥٤م (٥٤٨هـ)[٢]. يذكر المستشرق أنه جاء عند الإدريسي، أن ثمانية شـبان أندلسيين من لشبونة، سعوا لاكتشاف خبايا ما وراء المحيط. وبعد أن أبحروا مـدة أحد عشر يوما تقريبا، متجهين للغرب، وصلوا إلى بحر متلاطم الأمواج، تنبعـث منها رائحة كريهة، ويخفي بين أمواجه صخورا كثيرة، إضافة إلى أن الرؤيا لـم تكن واضحة، الأمر الذي جعلهم يخشون من التيه، فانقلبوا تجاه الجنـوب. وبعـد أحد عشر يوما، وصلوا إلى جزيرة، أطلق عليها "جزيرة الغنم"، إذ وجدوا هنـاك قطعانا عديدة من الأغنام. كما وجدوا مصادر مياه عذبة. اسـتراحوا وارتـووا، وذبحوا بعض الأغنام، إلا أنهم وجدوا مرارة في لحمها منعهم من الأكـل، ولـم يحتفظوا إلا بجلودها. ثم اتجهوا تلقاء الجنوب على مدى اثنـي عشـرة يومـا، ووصلوا إلى بلد معمور سجنهم أهلها ثم رحلوهم إلى منطقة مهجورة بإفريقيا. كما جاء أنه توجد قرب جزيرة الغنم، جزيرة "راكا Raca"، سماها الإدريسي بجزيـرة العصافير[٣].

هاتان الجزيرتان توجدان في بحر أمواجه عاتية عند "براندان" أيضا. إلا أنه توجد بعض الاختلافات بين المصدرين، الإدريسي و"الرحلة البحرية"، وأن هـذه الاختلافات لا يمكن عزوها إلا إلى تحويرات في النقل الشفوي. فالأغنـام عنـد القديس عظيمة، عكس ما عليه عند الإدريسي، لأنه لا يؤخذ شيء من حليبها، كما أن لحمها طيب للأكل. كما أن العصافير هي أرواح شيطانية لا تتجسـم بهيئتـها الحيوانية إلا في الأيام المقدسة[٤].

من ناحية أخرى، يبحث المستشرق عن زمن قيام الإشبيليين برحلتهم تلـك. ويرجح أنها تمت خلال القرن العاشر، كما أن روايات السندباد كتبت حوالي العام

---

(1) Ibid. p. 55.
(2) Ibid. p. 56.
(3) Ibid. p. 57.
(4) Ibid. p. 58.

٩٠٠م (٢٨٧هـ)[١]. وبالتالي فهي سابقة عن "الرحلة البحرية". وهو دليل على أن الكاتب الأيرلندي هو الذي تأثر بوقائع الرواية الإشبيلية وحكايات السندباد.

من المصادر التي ترجع لها أصول الرواية الأيرلندية، يقول "دو غوبية": "ورواية الحوت العظيم الذي اتخذه الرهبان غذاء أياما عديدة، يمكن أن يكون الكاتب قد استعارها من الشرق. إننا نعلم أنه في العام الثامن الهجري، تمكن الجوع الشديد من مجموعة من الصحابة. إلا أن حظهم كان كبيرا، إذ سعدوا بحوت عظيم قذفه البحر على أحد جانبيه، فكان لهم غذاء، وذخرا للمستقبل أيضا"[٢]. فالسيرة والتاريخ الإسلامي مصدر أثر في توجيه أحداث "الرحلة البحرية".

مما مر، يتضح أنه كان هناك تبادل ثقافي أدبي، وتأثير حضاري في جانب التراث والأساطير، بين الشرق والغرب. إلا أن التصدير كان من الشرق إلى الغرب. فالأدب الشرقي كان مؤثرا في الأدب الغربي. يدل على ذلك أيضا، قضية التأثير الإسلامي في مكونات كل من "الكوميديا الإلهية" لـ"دانتي"، و"الكوميديا الإلهية" الصينية، التي تناولها بالتحليل "ج.ج.ل. دايفونداك J.J.L. Duyvendak" في المؤتمر العالمي الثاني والعشرين، الذي عقد في إستانبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، في مساهمة له بعنوان "كوميديا إلهية صينية". ففي إشارة له لهذه المؤثرات المتداخلة، قال: "إن مسألة التأثير الإسلامي في مكونات الكوميديا الإلهية، هي أحد أجزاء المشكلة الكبرى للعلاقات مع العالم الآخر في الشرق والغرب، بما فيها الهند والشرق الأقصى... يدلل على ذلك دراسة نص صيني يرجع تاريخه إلى العام ١٥٩٧م (١٠٠٦هـ). هذا النص لا يقدم خليطا متكونا من المفاهيم البوذية والطاوية[٣] والكونفوشسية، لكنه يحتوي أيضا على بعض المميزات المتوازية مع المشهد الذي يصف "معراج" و"جحيم" دانتي. كما يبدو أن ثمة بعض الشبه المباشر مع "دانتي"، التي لم يوجد لها بعد أي نص وسيط يدلل

---

(1) Ibid. p. 65.

(2) Ibid. p. 63.

(٣) هي فلسفة دينية مبنية على تعاليم "لاوشي"، و تعد بالإضافة إلى الكنفوشسية و البوذية إحدى أديان الصين الثلاث.

على ذلك"[1]. في هذا الكلام، هناك تأثر وتأثير ثلاثي في الوقت نفسه بين المشرق والغرب والشرق الأقصى، حسب هذا المستشرق.

كما أن معرفة بعض التركيبات الحضارية، قد تؤخذ من الطرف الآخر. من ذلك التعرف على التركيبة الحضارية والعمرانية لمدينة ما. وقد حصل في المؤتمر الثاني عشر بروما، سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، أن تحدث المستشرق "كريسبو مونكادا Crispo Moncada" حول وصف لروما من خلال مدون لرحالة عربي من القرن الثاني عشر، ويرى أن الوضع لا يختلف عن ما يوجد لدى الإدريسي، وبعض الكتاب العرب الآخرين، لكنه يقر بأنها مصحوبة ببعض المواقف التاريخية الهامة، لقد قال الكاتب أنه وجد مدينة روما محصنة، وتحدث عن زواج أخت البابا المنصب مع أخ ملك المجر"[2]. فهذا المستشرق، حصل على بعض المعلومات التثقيفية عن تاريخه، من المدونات الإسلامية.

إذن، لقد كان الأدب الغربي متأثرا بالأدب الشرقي. وكان ينحو أسلوبه وطريقته في الكتابة والتفاصيل والوصف أيضا. بل قد تكون الأحداث متطابقة أحيانا. كان ذلك لما كان المجتمع الشرقي يملك أصول القوة والحضارة والمعرفة. فقد كان الشرق هدفا يؤمه الغربيون، للتتلمذ أو للتعرف أو للاطلاع أو العمل. كان الشرق يومها هو المعطي، في حين كان الغرب هو المتقبل والمتأثر.

من هنا، يتبين أن للثقافة والحضارة، عموما، تأثيرا هاما في مؤتمرات المستشرقين العالمية. ولا عجب في ذلك باعتبار المؤتمرات إحدى المؤسسات الثقافية العلمية الغربية، وتركز دراساتها وموضوعاتها العامة حول الثقافة. وما قدم أعلاه ليس سوى عينة مما عرض في المؤتمرات، بما أن موضوع الثقافة واسع جدا، يشمل العلوم والفنون والدراسات المتنوعة.

---

(1) J.J.L. Duyvendak :"A Chinese "Divina Commedia" - Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 - p. 122.

(2) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - T3 - p. clxxxviii.

المبحث الرابع: المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية

وجهت المؤتمرات أنظارها كذلك للجانبين الاجتماعي والاقتصادي. أما الجانب الاجتماعي، فهي تدخل مباشرة في عمل المستشرقين، الذين يهتمون به كثيرا عند دراساتهم التحليلية للمجتمعات الشرقية، هذا إضافة إلى أن علم الاجتماع ومناهجه المتنوعة هي المستخدمة عادة في مثل هذه البحوث.

وإذا كانت الدراسات الاجتماعية لا تنفك عن بحوث المستشرقين، فإن الجانب الاقتصادي لا يدخل عادة إلا في جوانب ضيقة، أو في مرات عابرة، إلا أن تأتي دراسة اقتصادية عامة، أو منهج اقتصادي معين تحلل به ظواهر شرقية، تاريخية أو معاصرة. لكن أن تكون المصالح الاقتصادية من الميادين الاستشراقية المعلنة، فهذا لا يظهر عادة من توجهات المستشرقين. لكن ما وجد في هذه المؤتمرات أساسا، هو تأثير الجانب الاقتصادي المصلحي في بحوث المؤتمرات ، سواء في الماضي القريب أو الحاضر، حيث غلبت المصلحة الاقتصادية على الأبحاث المعروضة في المؤتمرات.

١ – المؤثرات الاجتماعية:

خطط منظرو المؤتمرات للعناية بالجانب الاجتماعي في الدراسات المعروضة ومنذ المؤتمر الأول، الذي ظهرت فيه التوجهات الاجتماعية تلك. فمن خلال المنشور الرابع، وفي عرضه لمخطط دراسة المجتمع الياباني، وردت التساؤلات التالية معبرة عن التوجه الاجتماعي في الدراسات الاستشراقية: "كيف كانت التركيبة السياسية والدينية والاجتماعية في اليابان قبل الثورة الأخيرة؟

– ما الخصائص السياسية والفلسفية والاجتماعية لهذه الثورة؟

– ما نتائج هذه الثورة الاجتماعية من وجهة نظر العلاقات الدبلوماسية والحياة الاجتماعية والثقافية في اليابان...؟

– ظروف النساء اليابانيات وثقافتهن؟"[١]

وفي تناولهم لهذه الموضوعات في المؤتمر الأول، يعجب المستشرقون من الانقلاب الاجتماعي الذي حدث في اليابان. فـ"لوفابر" يسعى لبيان هذه الحيرة فيقول: "أما بالنسبة للحالة الاجتماعية، فلا يمكن استنتاج أي شيء"[٢]. كما انبهروا من السرعة التي يتم بها التحول الاجتماعي، لدرجة عدم توقع ما يمكن أن يحصل نتاجا لذلك: "إن التكهن بما سيحدث بعد هذا الانقلاب الاجتماعي أمر مستحيل من جميع الجوانب. فماذا يقال علميا في شعب يتخلى مسرورا عن كل التقاليد وعن كل مؤسسات آبائه، شعب يبيع بالمزاد العلني معابده وآلهته، شعب يفخر بالإعلان عن الهوس بالسياسة الغربية"[٣]، ونتاجا لذلك، سمى "دو روسني" الشعب الياباني بقوله: "هو شعب خارق بكل تأكيد"[٤]. كما عبر بعض المستشرقين عن انبهارهم ببعض الظواهر الجالبة للانتباه، والمحدثة للحيرة في الوقت نفسه، ومن هؤلاء "دو بوسكي" الذي صرح فقال: "ألم نصدم فعلا لرؤية ...الرغبة في معرفة كل شيء عند هذا الشعب الغريب، هذه المحبة للحوار الحر، وهذه السهولة في تمثيل كل ما يمليه عليه فكره وتبين له ضرورة أن يكون فوق كل ما يملك؟"[٥].

وتواصلت الموضوعات الاجتماعية في المؤتمرات، حتى الأخيرة منها. وتنوعت الموضوعات المدروسة اجتماعيا. ولبيان ذلك، يمكن تناول موضوعين باختصار، لإلقاء بعض الأضواء على تحليلات المؤتمرات الاجتماعية، وهي نظرة على دراسة المجتمعات عامة، وعن الدراسات المتعلقة بالمرأة بخاصة.

---

(1) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme – p. XVIII .

(2) Lefebre A.: Le premier Congres International des Orientalistes – pp. 6-7 .

(3) Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise – p. 10 .

(4) Discours de Lion de Rosney - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 143 .

(5) Ibid. - Tome premier - Les religions et le neo Bouddhisme au Japon - Discour de de Bousquet – p. 150 .

أ – دراسة المجتمعات الشرقية:

فيما يتعلق بالمجتمعات عامة، نجد المستشرقين يهتمون بالشعوب ذاتها، للبحث في أصولها العرقية ، وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها، وعلاقاتها الاجتماعية. ففي البحث عن الأصول العرقية مثلا، التي سعى المؤتمرون لبحثها منذ المؤتمر الأول. وعن الشعب الياباني، إذ كانت اليابان هي محور المؤتمر الرئيس، حيث أشكل عليهم تمييز أصول الشعب الياباني العرقية، فليس ثمة مصادر قديمة توضح ذلك(١)، لكنهم قسموا الشعب الياباني إلى قسمين السكان، الأصليون، وسكان دخلاء غزاة، فالأوائل لا يعدون من اليابانيين، الذين تمثلهم الفئة الثانية(٢). كما أقروا بأن العرق الياباني الأصيل لم يعد موجودا، وأن الموجودين كلهم من الجنس الهجين(٣). وتواصلت البحوث العرقية لبعض المجتمعات الشرقية، ونجد من بينها دراسة للمستشرق "فيليكس فون لوشان Felix von Luschan" عن أنثروبولوجية غرب آسيا (٤).

فالأصول العرقية للشعوب، تعد من الموضوعات التي اهتم بها المستشرقون اهتماما خاصا، ولاسيما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وخلال النصف الأول من القرن العشرين. وهذا كان مسايرة للظاهرة العامة التي كانت توجد على الساحة الغربية، كما تم توضيحه سابقا عند الحديث عن البيئة التي نشأت فيها المؤتمرات(٥).

يهتم المستشرقون في المؤتمرات كذلك، بالصفات الاجتماعية الخاصة بالمجتمعات، وفي هذا المجال تحدث "دو بوسكي" منبهرا عن مميزات تبين ذكاء

---

(1) Ibid. - Tome premier – Les plus anciens monuments Japonais - Discour de Leon de Rosny – p. 62 .

(2) Ibid. p. 62.

(3) Ibid.-Tome premier – Origine et migration du peuple Japonais - Discour de Mme Clemence Roger – pp. 180 – 181; and Ibid. - Discours de Leon de Rosny – p. 173; and Ibid. – La politique chez les Japonais – Discours de Madier de Montjau – p. 135.

(4) Felix von Luschan: "Anthropologie de l'Ouest de l'Asie"- Congres International des Orientalistes- XVIeme Session –Athenes - 1912 – pp. 43 – 44.

(٥) تم ذلك ص ٥٢ من الرسالة وما بعدها.

المجتمع الياباني وفطنته[1]. وفي الاتجاه نفسه يزيد "ماديي" الأمر وضوحا فيقول: "مع حسن الحظ، وكما أعرف، فإن اليابانيين هم أقل وثوقا وأقل سذاجة، بالدرجة التي يبدون أنهم عليها. إنهم معتدون بأنفسهم، لكنهم يعرفون بالضعف، فهم ليسوا أقوياء، لكنهم لينون، ولا يمكن حجزهم، وهم عارفون لمواطن الضعف التي تخفي وراءها عمق تفكيرهم، ولديهم حذر كبير"[2]. كما بين المستشرق "دوتاي" في المؤتمر ذاته الطبقية الموجودة لدى الشعب الياباني، مبينا أن أحطها طبقة الدباغين، وأن كل طبقة لها حدود في التعامل لا يتجاوزونها "حتى لا يخسروا طبقتهم، ويصابوا بالقزي، أو بالأحرى الدناءة التي تمس طبقة الدباغين، فهي طبقة مدنسة ومحتقرة، ويعد مجرد الاتصال بها رجسا"[3].

ومن ذلك أيضا، الطريقة التي تمكن الهولنديون بها من بسط سيطرتهم على أندونيسيا، وما ذلك إلا لخصائص شعبية، يقول "كوينن" في ذلك، خلال المؤتمر السادس بليدن سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ) [4]. تلك الصفات استغلها الهولنديون أحسن استغلال من أجل بسط نفوذهم على المجتمع كافة، وتواصل الاحتلال.

من ناحية أخرى، تهتم المؤتمرات بالعادات والتقاليد الشعبية في دراساتها الاجتماعية. ومن الأمثلة الموضحة لذلك، ما نقله المستشرق "أراكيلين Arakelian"، في المؤتمر الثالث عشر المنعقد في همبورغ سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، عن المجتمع الكردي في فارس، فيبدأ ببعض الخصائص وينتقل لوصف بعض عاداتهم فرأى أن الأكراد، شعب متوحش وبدائي، موهوبون بعزيمة ثابتة وحازمة. ولهم روح انتقامية، ويهيجون بيسر، وشغل الرجال الأساس هو سياق الخيل واستعمال السلاح والرحلات وقطع الطريق والسرقة. ومن السمات كذلك، تمسك الكردي بمبدئه العام، فرغم الجهل والأمية التي كانوا فيها، إلا أنهم

---

(1) Les religions et le neo Bouddhisme au Japon - Discours de de Bousquet – Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 4 – 5.

(2) La politique chez les Japonais - Discours de Madier de Montjau – Ibid. - Tome premier - p. 138.

(3) La Science medicale au Japon – Discour du Duteuil - Ibid. - Tome premier - p. 304.

(4) Discour de Kuenen – Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – Premiere Partie – pp. 155 – 158.

متعصبون جدا، ولا ينسون القيام بأداء صلواتهم، وذلك حتى أثناء ذهابهم إلى السرقة وقطع الطريق(١).

كما يتناول المستشرقون عادة، علاقات الشعوب بغيرها من المجتمعات الأخرى. من ذلك ما ذكره المستشرق السابق عن الأكراد، ففي حديثه عن علاقة المجتمع الكردي بالحكومة الفارسية يقرر أن الحكم الفارسي لا يتدخل في شيء من إدارة الشعب الكردي. فكل قبيلة كردية لها رئيس، وهذا الرئيس هو سيدها المطلق، والحاكم المستبد والقاضي الوحيد. ورؤساء القبائل هؤلاء يدفعون إلى الحكومة الفارسية مبلغا ماليا معينا كل سنة، كخراج وضريبة، وهذه هي كل المصاريف وعنوان الولاء، أما مع الضيوف، فهم مضيافون. وإذا دخل كافر خيمة كردي، أو حتى عدوه اللدود، فإنه سيستضيفه ويحميه من كل إساءة. ويمكن للمسافر أن يسير أياما كاملة بين الأكراد دون أن ينفق شيئا، لأنه يجد في كل خيمة حسن الرفادة له ولخدمه وأحصنته"(٢).

وفي هذا المسار نفسه، تحدثت المستشرقة "جول نيميث Jules Nemeth"، في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، عن طريقة اختيار الأتراك لأسماء أبنائهم، ومما جاء في تلك المحاضرة أن هناك أسماء متعلقة بالعوامل الجغرافية، وأسماء أخرى متطابقة مع الظروف والخصائص الخارجية، المؤثرة منها بصفة خاصة، وأسماء تدل على المناصب أو طريقة العيش، وأسماء أخرى متعلقة بأصول الشعب، وأسماء تعني "السهم"، "القبيلة"، أسماء شعبية متحدرة من أسماء التكوين العسكري، وأسماء تدل على قوى معهودة كأسماء شعبية، مثل أسماء تعني "القوة"، "الزوبعة"، "الجروف الثلجية"، "الغنى"، "المشهور"، "المتعب"، أسماء شعبية منحدرة من أسماء شخصيات وشعوب طولونية، وأسماء تدل على الأرقام، وأخرى لواحق في أسماء الشعوب(٣).

---

(1) Arakelian H.: "Les Kurdes en Perse" – Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 - pp. 148 – 149.
(2) Ibid- pp. 148 – 150.

(3) Jules Nemeth: "Le systeme des noms des peuples Turcs" – Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 – p. 174.

ومن دراسة المجتمعات الإسلامية أيضا، الاهتمام بمعتقد طوائف عدة بالأولياء. ففي المؤتمر الثاني عشر بروما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، وصف المستشرق "وسترماركي Westermacke" عقيدة الأولياء في المغرب، محاولا بيان الآثار الخفية لديانات ما قبل النبي محمد (ﷺ)، فيقول: "أشياء وأشجار وأحجار مقدسة، تتجمع عادة قرب قبور الأولياء. يكون المكان عادة مقدسا في الأصل، وتتدخل المخيلة الشعبية لتعيين قبر ولي"(١).

وحول الموضوع ذاته تحدث في المؤتمر الثالث عشر بهمبورغ سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، المستشرق "مونتي" فقال مبينا جهل القوم، الأمر الذي أدى لعبادة الأولياء كما يرى: "ولا يوجد تعليم كبير حتى بين العلماء... وبصفة عامة، إن المغربي قليلا ما يمارس واجباته الدينية، ونادرا جدا ما يحج إلى مكة. وعبادة الأولياء والانضمام إلى جمعيات دينية، يكونان أسس الدين المغربي... وثلاث أرباع السكان، الذكور والكهول، هم في عداد الجمعيات الدينية. والجمعية الأكثر نفوذا حاليا، هي جمعية "العيساوية". وهذه الجمعيات تقوم بعمل كبير من الناحيتين الدينية والاجتماعية، ولكنها ليس لها أي تأثير سياسي حاليا"(٢). هذه التعبيرات، رغم أن فيها مبالغة لفظية، إلا أن ظاهرة تقديس الأولياء هي واقع اجتماعي، ولاسيما خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وبداية القرن العشرين، وإن كان الغلو في التقديس فاق الدرجات العادية، إلا أنه لا يصل لدرجة العبادة، ولا يقر حتى الجاهل الذي يقدسها بأنه يعبدها، لكن الجهل الديني والثقافي هو الذي ساهم في التلبيس على الناس، وما يدل على ذلك أن هذه الظاهرة خفت بدرجات عليا، رغم أنها لم تنقرض، وذلك نتيجة لانتشار الوعي والمعرفة والثقافة بأنواعها.

ومن الموضوعات الاجتماعية المعاصرة، تناول المستشرق الياباني "ياسومازا كورودا Yasumasa Kuroda"، الشباب الفدائيين الفلسطينيين من منظور السياسة الاجتماعية، مركزا على الطريقة التي يتعلمها الأطفال لتحديد

---

(1) Resume des Bulletins (Westermarcke) - Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 – T3 – section I – p. CLXXXIII.

(2) Montet E.: "Une mission Scientifique au Maroc: l'Islam Marocain"– Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten – Kongress – Humburg - 1902 - p. 301.

هويتهم الوطنية، رغم أنهم لم يشاهدوا ذلك الوطن أمام أعينهم، ويقـول: "عندمـا يسأل اللاجئون الفلسطينيون عن بلدهم، فهؤلاء يجيبون بكل ثبات "أنا من القدس"، أو حيفا أو أي مدينة أخرى، أو قرية، تخضع الآن للهيمنة الإسرائيلية"[١]، ويقارن ذلك بالمثل عن اليهود الذين كانوا يعيشون في أوروبا إبان الحرب العالمية الثانيـة الذين كانوا يقيمون في المعسكرات الأوروبية فهم يـرددون "أنـا يـهودي مـن إسرائيل"[٢]. ويعلق قائلا: "ولا أحد من الأطفـال فـي الملاجـئ الفلسـطينية أو المعسكرات اليهودية بأوروبا، شاهد مرة فلسطين"[٣].

ب – المرأة في دراسات المؤتمرات:

كثرت الموضوعات المتعلقة بالمرأة وشؤونها منذ المؤتمر الأول كذلـك، وتواصلت حتى المؤتمرات الأخيرة. فقد تم عرض موضوع المرأة اليابانية للدرس في المؤتمر الأول، وبعد الحديث عن التطورات التي أحدثتها الثورة على المستوى العام، وقف "ماديي" عند المرأة، فقال: "إننا ننتظر رؤية ما ستقدمه الثورة للمـرأة اليابانية، دراستها وحريتها وأخلاقها وكرامتها. لكن، حاليا، يمكننا القول أن هـذا البلد هو أول البلدان الشرقية، حسب مقياسنا، الذي تعامل المرأة فيه برقة، أكـثر من كل البلدان الشرقية الأخرى...فلننتظر بعض الوقت قبل أن نحكـم. لكنـي لا أحمل جهود المثقفين اليابانيين محمل الجد إلا إذا رأيت انطلاقة تدريـس النسـاء بقوة، وحريتهن المقرونة بكرامتهن"[٤].

ولعل الجانب الأخلاقي للمرأة، بقي موضع خـلاف وتعـارض فـي الآراء حوله. ففي حين يحمل المستشرق البولندي "بومفال Baumfeld"، على أخلاقيـات

---

(1) Yasumasa Kuroda: “Young Palestinian Commandos in Political Socialization Perspective” – Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists - Canberra - 1971 – p. 72.

(2) Ibid. p. 72

(3) Ibid. p. 72.

(4) La politique chez les Japonais - Discours de Madier de Montjau – Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 138.

المرأة اليابانية، ويستثني النصرانية منها[1]. لكن قوله هذا يرده عليه العديد من المستشرقين. ومن هؤلاء "دو بوسكي"، وهو أكثر العارفين بشؤون اليابان، يبين أن هناك شعورا عميقا بالعزة والكرامة يستحق كل احترام، سواء عند الرجال أو النساء[2]. أما "الأميرال روز"، فيساهم بالدفاع عن أخلاق المرأة اليابانية، ويختم قوله: "ليست سيئة مطلقا، إنها حواء قبل الخطيئة"[3].

وغير بعيد عن اليابان، يتحدث المستشرق "جوستاف شلاجل Gustave Schlegel"، عن المرأة الصينية، وذلك في المؤتمر العاشر بجنيف سنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، فيبدأ بالحديث عن البنت منذ الصغر، ويرد على من يسم المجتمع الصيني بعدم رغبته في إنجاب البنات، فيقول: "صحيح أن الأولاد مرغوبون أكثر من البنات. لكن هل الأمر عندنا مختلف؟ ...هلا نسمع البنات أيضا يرسلن عادة تنهدات حارة ويصرخن "آه! كم أتمنى لو كنت ولدا". وفي العموم إن الصينيين يحبون أبناءهم، ورغم أنهم يفضلون ولدا، يقدر على مواصلة تقديم القرابين عن أجدادهم، وتكوين مجد للعائلة، فإنهم لا يكرهون مع ذلك بناتهم"[4].

ويتناول موضوعا آخر، يتعلق بطبقات المجتمع العليا، ويقول: "لم تكن ظروف المرأة محتملة دائما، بل إنها في بعض الأحيان في ظروف أحسن من الرجل. فالأميرات بصفة خاصة، كن نساء صعبة المراس، فقد كن يجعلن حياة أزواجهن غير محتملة عادة...ومن هنا نفهم كيف أن الخادمات اللاتي كن شاهدات

---

(1) La femme chez les Japonais – Discours de Baumfeld –Tome premier -p. 159. And Julien Duchateau – Une creation Scientifique Francaise - p. 13.

(2) La femme chez les Japonais – Discours de de Bousquet – Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier – pp. 159 – 160 .
And Julien Duchateau – Une creation Scientifique Francaise...- p. 13.

(3) La femme chez les Japonais – Discours de de Bousquet – Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier – pp. 160 – 161.
ينسب "دو شاتو" في مرجعه السابق الذكر في الصفحة ١٣، مقولة "إنها حواء قبل الخطيئة"، لـ"دو بوسكي"، ولعله وهم أو خلط.

(4) Gustave Schlegel: "La femme Chinoise" – Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 – 4eme partie – 5eme séance - p. 124.

يوميا على هذه الحالات، يدخلن العادات تلك إلى بيوتهن، وما هي إلا أن يضعن أزواجهن، من أهم واحدة حتى أقلهن درجة، تحت الخف كأزواج الأميرات"[١]. أما عن الطبقات الأخرى، "فإن الوئام بين الزوجين نادرا ما يتعكر، وإنه بصفة عامة يسود الأسرة نوع من الأمن والوفاق القلبي، أكثر مما عندنا. وعندما يوجود في العائلة شعور بالألم، فذلك من قبل الرجل أكثر مما هو لدى المرأة"[٢]. والمستشرق، في مقارنته بين المرأتين الصينية والغربية، ينزع دائما لتفضيل الصينية، سواء منها البرجوازية أو غيرها[٣].

وتناولت المؤتمرات المرأة المسلمة بالدرس، ولعل أهم ما اهتمت به، حركات تحرير المرأة التي ظهرت في المجتمعات الإسلامية. هذه الحركات، اهتم بها مستشرقون عديدون، ولعل أبرزهم المستشرقة الروسية، "ألجا دو ليبيدو Olga de Lebedew"، التي تناولت الموضوع في مؤتمرين، الثالث عشر والرابع عشر. ومع ذلك نجد نوعا من التناقض بين دراستيها، ولعلها في المرة الأولى كانت تتكلم نظريا دون معاينة، فلما وطئت قدمها الجزائر، وعاينت المرأة الجزائرية وما عليه من إقبال لا محدود على الحضارة الغربية المادية، حاولت التلطيف من عباراتها وآرائها الأولى.

أما دراستها الأولى، فكانت في المؤتمر الثالث عشر بهمبورغ سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، وخصصتها لمساعي قاسم أمين بخاصة، ومن ثم أتباعه، من أجل إقرار حقوق جديدة للمرأة المسلمة، تقول: "أريد أن أتحدث عن محاولات "قاسم أمين باي"، الذي أصبح اسما كبيرا ...والذي يعمل للهدف نفسه الذي نسعى إليه نحن أيضا، أعني تحرير المرأة المسلمة"[٤]. وكلامها هذا يوحي بوجود نوع من التعاون بين الداعين الغربيين لتحرير المرأة وقاسم أمين.

ويبدو أن المستشرقة متحاملة نوعا ما على الشريعة الإسلامية، فهي لا تكاد تذكر الإسلام بالاسم في دراستها هذه، إلا إذا ربطته بالتشريع، بل تصرح

---

[1] Ibid. pp. 125 – 126.

[2] Ibid. p. 128.

[٣] ورد ذلك في جل دراسته، ص ١٢٧، ١٢٨، وغيرها.

[4] Ibid. pp. 314 – 315.

بالمحمدية والمحمدي وهي من الصفات الراجعة للقرون الوسطى الأوروبية، والمسار الاستشراقي البدائي، وهو ما لا نراه في المقالة القادمة، التي سيرد ذكرها، كما أنها كثيرا ما تعبر عن المسلمين المتمسكين بالدين والملتزمين به بـ"الأرثونكس"، وعند الترجمة تركتها كما هي، قصد إبرازها. ومن هنا فهي متحمسة لدرجة ربما حملت معها آراء قاسم أمين أكثر مما تعنيه في الأساس. فنراها تقول: "تعهد قاسم أمين باي بتحرير المرأة من العبودية والجهل الذين تقبع فيهما الآن، وتقريب التصور المحمدي للأسرة من تلك المختلفة عنها، والتي كونها الأوروبيون"[١]، وتقول في موضع آخر: "هذا يعني لقاسم أمين باي أن القانون الإسلامي لم يعرف الأسرة البتة، بالمعنى الحقيقي للكلمة، ولم يفهم البتة الدور الهام الذي يجب أن تلعبه في المجتمع وفي الدولة"[٢]، كما قالت: "فحسب رأيه، تعود مكانة المرأة المحزنة للتشريع الإسلامي، الذي لا يكاد يعترف لها بأي حقوق إنسانية، فالمرأة المتزوجة ـ مثلما تعرفون جميعا ـ تابعة لزوجها، والفتاة ليست سوى مخلوق مستعبد لأبيها أو أخيها الأكبر.... لقد جعلها المشرعون المسلمون أمة، وظلت قابعة في ذلك الوضع"[٣].

ومهما يكمن من أمر، فإن "الأحداث أدت بقاسم أمين باي إلى استخلاص أن التشريع الأوروبي النصراني المتعلق بالأسرة، وأن العائلة الأوروبية نفسها، توجد في مستوى مرتفع لا يقارن مع الأسرة والتشريعات الإسلامية، وأن الأسرة الأوروبية المعاصرة هي المثال الذي يجب أن تتضافر له كل الجهود إن أريد الحصول على الاستقلال في المستقبل"[٤]. كما تضيف قائلة "لكنه لا يتوقف هاهنا، فإنه يزعم أن التشريع الإسلامي لم يفهم شيئا حول دور المرأة، وأنه، فيما تبقى، فليس من المدهش أن عاملها بهذه القسوة، بما أنه لم يفهم بدقة بعض الجوانب الحيوية الأخرى للحياة"[٥]. أما أساس الدعوة تلك، فتتمثل في أنه "يجب قبل كل

---

(1) Ibid. p. 315.
(2) Ibid. p. 315.
(3) Ibid. p. 315.
(4) Ibid. pp. 316 – 317.
(5) Ibid. p. 317.

شيء، إعطاء المرأة ثقافة أوروبية، وإزالة الحجاب عنها، والذي هو عبارة عن كفن، وعلامة على العبودية"[١].

وليس المجال مناقشة أفكار قاسم أمين، فقد نوقشت ودرست كثيرا. لكن الظاهر أن المستشرقة بالغت في سردها لفكر قاسم أمين. ومع ذلك، نراها في المؤتمر اللاحق، بعد ثلاث سنوات فقط، تحدث تغيرا كبيرا لدعوتها هذه. فعند قدومها الجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، لحضور المؤتمر الرابع عشر، يبدو أنها لطفت أفكارها في الموضوع، فهي ذاتها تصرح: "أما بالنسبة لي، أنا التي كنت متفانية في سبيل مبدإ تحرير المرأة المسلمة، في الحدود التي سطرها نبيهم، الذي أسس شريعة متطابقة تماما مع التطورات العصرية، شريطة أن تحلل وتفهم بصدق وإخلاص"[٢]. أما ما يبين تغير دعوتها السابقة وحماستها الفياضة، فهي تقول مخاطبة المرأة الجزائرية: "إنه في هذا البلد أين بدأت المرأة المسلمة اللطيفة، والموهوبة جدا، ولوج سبيل الثقافة، سالكة أثر أختها الكبرى في أوروبا، والتي لن تلبث أن تلتحق بها، فنرجو أن يكون لها من الفطنة ما لا تحفظ به إلا الأمثلة الطيبة، وأن تجهد نفسها بالخصوص لتطورها الفكري الخاص، إذ من شأن ذلك أن يجعلها قادرة على تربية أولاد صالحين للوطن، وبنات فاضلات مؤهلات لأن يصبحن مؤهلات مخلصات، وزوجات فطنات...أرجو من أخواتي الشرقيات، المحبوبات جدا، في سبيل مصلحتهن الخاصة، أن لا يدعن لأنفسهن سبيل الغواية مطلقا، بالجوانب التافهة والوهمية لحضارة تم تكريرها عدة مرات، ولا تتناسب ومثاليتهن، والتي لا تجلب لهن، على العكس من ذلك، إلا الألم وخيبة الأمل. وأخيرا، أرجو رجاء حارا، أن يكون لديها من التعقل ما يمكنها من الصمود في الوسط الطيب المتناسب كثيرا مع طموحاتهن المشروعة، في سبيل الوصول إلى ظروف سامية، حتى يواصلن على الدوام وبطريقة أفضل، دورهن كزوجات

---

(1) Ibid. p. 317.

(2) Olga de Lebedow (deleguee de la Societe Russe des Etudes Orientales) (Discours) – Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - Premiere Partie – p. 41.

وأنيسات للرجل، وهو الدور الذي خلقن له، والذي يجب أن يبقى الدور السامي للمرأة، مهما كانت أماكنهن، ومهما اختلفت الحضارات التي ينتسبن إليها"(١).

والملاحظ أن كلامها هذا لم تلقه في دراسة مخصصة، بل في كلمة بوصفها مندوبة المؤسسة الروسية للدراسات الشرقية. ولا يتبين سبب تغييرها رأيها، لكن مهما كانت الأسباب، فهي عدلت تعديلا كبيرا من أفكارها الأولى التي كانت تبنتها في المؤتمر السابق.

أما الحركة القائمة من أجل تحرير المرأة المسلمة في الشرق، فتبين المؤتمرات أنها أخذت صيتا واسعا في أوروبا. ففي المؤتمر الرابع عشر نفسه، وضح المستشرق الفرنسي "ميرنت"، درجة تحمسه الغربية لهذا التوجه (٢).

وليست هذه النظرة السلبية هي المسيطرة دوما على الفكر الغربي عموما، والاستشراقي بخاصة، بل قد يوجد من يدافع عن القيم الشرقية، ولاسيما الإسلامية. فقد تكفل المستشرق "روسيي Roussier" بتبني صيغة عقد الزواج الذي يتم عند زواج رابط بين مسلم ومسلمة، ويرد بقوة مقولة كون العقد عبارة عن بيع وشراء، وأن المهر هو ثمن المرأة، فيقول في المؤتمر ذاته: "إن التأييد الذي تزعم هذه النظرية وجوده في تصورات عرب ما قبل الإسلام، هي هشة تماما. ووجود وحي ألهي، تجعل كل هذه الاستنتاجات التي توصلت إليها هذه الأبحاث باطلة. فالنصوص القرآنية لا تتضمن أي تماثل للزواج بالبيع. والأمر نفسه بالنسبة للأحاديث. وإذا كان العلماء القدامى قارنوا بين النظامين، فلا أحد منهم كتب أن الزواج هو بيع...فإنه من غير المعقول بصفة خاصة، ادعاء أن ضرورة المهر لا يمكن تبريرها إلا إذا عددنا أن الزواج إنما هو بيع..."(٣). وهذا الرد على الدعوى التي ذكرها، تعد من أفضل الردود التي يمكن أن يذكرها شخص غير مسلم، من فوق منبر جامع لأقطاب المستشرقين.

---

(1) Ibid. p. 42.

(2) Mirante: "La presse periodique arabe" – Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 – p. 202 .

(3) Roussier J.: "De la nature juridique du mariage musulman" – Atti del XIX Congresso Internazionale degli Orientalistic - Rome - 1935 – pp. 533 – 534.

ولا يكتفي المستشرقون بذكر المرأة الشرقية، بل قد يتطرقون للمرأة الغربية أيضا. ومن الأمثلة الطريفة في ذلك، موضوع نظافة الجسد، الذي تعرض له "شلاجل" في مقارنة بين النظافة عند المرأة الصينية والغربية فذكر ما يلي عن المرأة الغربية، في دراسته المذكورة أعلاه فقال: "مثلما تعلمون جميعا، كان الرومانيون القدامى يعتنون عناية خاصة بنظافة أجسادهم، وبالتالي كان يوجد في روما، وفي كل مكان يتمركز فيه الرومانيون، حمامات عمومية. ومع انحطاط الإمبراطورية الرومانية، تقلصت تلك الحمامات مع طول الزمن، لتصبح أماكن ضرب المواعيد والدعارة. وأضحت كل امرأة ترتاد هذه الحمامات تخسر سمعة شرفها. وكان أوائل قديسي النصرانية، ينذرون المنصرين الجدد ويمنعونهم من التردد على الحمامات العمومية، لا لأنهم يكرهون نظافة الجسد، فعقيدة التعميد تنقض ذلك، بل لأن الحمامات العمومية هذه كانت سمعتها شنيعة، هي جديرة بها.

مع النصرانية، دخل النهي عن استخدام الحمامات العمومية في بلاد الغال وفي ألمانيا، وبالتالي نسي سبب هذا المنع، لدرجة أن الإكليروس ظن أن عادة الاستحمام والاغتسال هي في حد ذاتها خطيئة ذات طبيعة شهوانية. ونتج عن ذلك أن القذارة ارتفعت يوما بعد آخر، لدرجة أنه في عهد لويس الرابع عشر، كانت نساء البلاط لا يغتسلن البتة بالماء النقي، بل هن يقتصرن على دلك أيديهن ورقبتهن ووجوههن بقطعة من القماش، تغمس في غسول معطر. ويخبرنا المؤرخون أن قذارة السيدة "مونسبان Montespan"، كانت درجتها عالية بحيث إنه تصل في بعض الأحيان أنها تنبعث منها رائحة. ونتيجة هذا المفهوم الخلطئ، يصعب جدا أن نجد الآن في مدننا بأوروبا، عدا العواصم، حماما أو مغسلة شعبية. ولما جاءت بعثة يابانية سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ)، إلى البلدان المنخفضة، أعرب أحد أعضائها عن دهشته ألا يوجد في "لاهاي" سوى حمام شعبي واحد"[1].
من هذه البيانات، يتبين أن الهالة التي تحاط بها المرأة الغربية تحتاج إلى إماطة اللثام، وأن لها إيجابياتها وسلبياتها، بل مقولة كهذه تبين أن المرأة الغربية قد تكون في درجات حضارية متدنية جدا عما عليه الشرقية.

[1] Gustave Schlegel: "La femme Chinoise" – Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes-Geneve – 1894 – 4eme partie – 5eme séance - p. 122.

إذن، كان للمرأة أثر هام في المؤتمرات. وكما سبق التنبيه إليه ما هـــذه إلا عينة. وإلا فموضوع المرأة منتشر جدا في أثناء المؤتمر، حتى المؤتمر الأخـــير ببودبست سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، جعل النصف الأول من السابع مـــن يوليـــو (الثاني من ربيع الأول)، لإقامة ندوة عن المرأة في الخلافة العثمانية، وذلك فـــي لجنة الدراسات العثمانية والتركية[1]، كما خصص يوم الخميس الحادي عشر مـــن يوليو (السادس من ربيع الأول)، من لجنة الدراســـات العربيـــة، للموضوعـــات المتعلقة بالمرأة[2]، هذا سوى المحاضرات المنتشرة في بواطن المؤتمر.

من هنا يتبين لنا مدى الأثر الذي كونته الدراسات الاجتماعية فـــي أعمـــال مؤتمرات المستشرقين العالمية، التي أخذت حيزا هاما في مؤتمرات، ولا سيما في المتأخرة، بعد تغيير الاسم الرئيس، وإقرار إحداث تغيـــيرات فـــي موضوعـــات الجلسات، والثورة على ما أطلق عليه الاستشراق القديم، وتوجيه النظر للدراسات الإنسانية، وبالتالي الاجتماعية.

٢ — المؤثرات الاقتصادية:

يمثل العنصر الاقتصادي حيوية خاصة في العلاقات الإنســـانية، ولاســـيما العلاقات التجارية منها. هذه الروابط التي يراها البعـــض هـــي أســـاس تكويـــن الحضارات. ومن هؤلاء المستشرق "فان تنهوفن Van Tinnhoven"، الذي ذكـــر في المؤتمر السادس بليدن سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، أن "تاريخ الأمم منذ الأزمن المترامية في القدم، حتى أيامنا هذه، علمنا أن العلاقات التجاريـــة التـــي تربـــط الإنسان بالإنسان، كانت تكون روابط بين الأمم القديمة جدا، كـــانت ولا تـــزال، أساس كل حضارة"[3]. كما أن العلاقات الاقتصادية، من شأنها أن تساهم في تنمية

---

(1) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 – p. 18.

(2) Ibid. p. 14.

(3) Van Tinnhoven (Bourgmestre d'Amsterdam) – Discours – Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – Premiere partie – p. 215.

المعارف العامة. ذكر هذا "هينسكارك" وزير داخلية البلـــدان المنخفضـــة، فـــي المؤتمر ذاته فقال: "هناك سبب آخر نمت بسببه ظاهرة تعلـــم اللغـــات الشـــرقية وأخصبت، إنها التجارة الشرقية...إنهم يســـتغلون علاقاتـــهم التجاريـــة لتنميـــة معارفهم"[١].

مما تقدم ، تتبين لنا الأهمية التي كانت تراها المؤتمرات للاقتصاد والبحـوث الاقتصادية. وقد مر بنا في المقدمة التاريخية أن العامل الاقتصـــادي؛ مـــن أهـــم العوامل التي يتم التنافس حولها[٢]، ومن هنا كان الغرب يتعامل مع بقيـــة الـــدول وفق ما يتناسب ومصالحه الاقتصادية. وتبين الاستعدادات للمؤتمر، ومن بعدهـــا أعماله، الأهمية الكبرى التي يعطيها المستشرقون للعامل الاقتصادي، ولاسيما مع البلدان الثرية. ولننظر في هذا المجال كيفية دراسة البلدان الشـــرقية اقتصاديـــا، متمثلة هنا في دراستهم لليابان، باعتبار أن البلد هذا كان هو المحـــور الرئيـــس لدراسة المؤتمر الأول.

إذا تأملنا تحضيرات المؤتمر الأول مثلا، نجد أنه ورد في المنشور الرابع أن من بيـــن المشاركيـــن فـــي المؤتمر: " اقتصاديون، أصحـــاب رؤوس أمـــوال، تقنيون، تجار، فلاحون ..."[٣]، كما أن من بين الموضوعات المقترحة:

"- التعليم الأوروبي لليابان، بالنسبة للجيش والتجارة والصناعة ...

- الصناعة والتجارة الأوروبية وممثليها في اليابان.

- تربية دودة القز في اليابان، والبحث في وسائل الحصول على أفضل بذرة لدودة القز في أماكن الإنتاج وفي الأسواق المفتوحة للأوروبيين"[٤].

من هذا البيان، يتضح أن الاقتصاد عامل قوي في دراســـات المؤتمـــرات، حيث ينظر في الأعمال من قبل بدايتها، ويدرج ميدانا للبحث من قبل انطلاقتـــها. وإذا ما أريد إدراك هذه الأهمية التي تعطى لهذا العامل، يمكن الاستشـــهاد بقـــول

---

(1) Heenkerk Az – Discours – Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – Premiere partie – p. 37.

(٢) سبق التعرض للموضوع ص ٨٥ وما بعدها من الرسالة.

(3) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. XVII .

(4) Ibid. p. XVIII .

المستشرق "بلاز Blaise" في هذا الأمر الذي يتحدث عنه في تحليله لثراء اليابان رابطا بينه وبين الثقافة، مبينا أنهما أمران لا ينفكان عن أي مجتمع ويصرح قائلا: "إن شعبا بلا ثقافة يقبع في الظلمات، وشعب بلا صناعة أو تجارة ينمو خاملا في أصقاع النسيان... لكن اليابان، هذا البلد صاحب المنتوجات الغنية والمتنوعة... يتميز كثيرا اليوم بصناعته وتجارته على كل دول الشرق الأقصى"[1].

من هذا التوجه، انبرى الغرب يبحث عن مصالحه هناك. يوضح ذلك "ماديي"، مشيرا إلى بعض ثروات البلد وتهيئها للمصالح الغربية فيقول: "هذا البلد، الذي حبته الطبيعة، يوفر في أيامنا هذه إنتاجه الثري، الأرضي منه والصناعي، للتجارة مع القارتين، وعقد علاقات متتالية مع كل البلدان التجارية"[2]. هذه الرغبة الغربية، قابلتها رغبة يابانية مماثلة، مما يجعل الساحة مؤهلة لكي يتعامل معها الغربيون، بل ويحققون مصالحهم لأن حركة التطور الاقتصادي اليابانية ابتدأت، "صيارفة وتجار وموظفون جدد من كل الدرجات. لقد انطلق التطور. القروض، حاجيات الإدارة الجديدة، التجارة الخارجية التي أنشأتها المعاهدات، التجارة الداخلية التي أنشأتها بتحويل العشور إلى ضرائب مالية، يوشكون على إتمامها"[3]، وكانت الفرصة مواتية، إذ الأمور لا تزال في منطلقها، "فيما لا تزال البنوك والتجارة والصناعة، كلها، متخلفة"[4]، ومن عادة الغرب انتهاز مثل هذه الفرص والظروف، قصد احتكارها واستغلالها أيما استغلال لصالحهم.

ومن أهم ما توجه إليه المستشرقون تربية دودة القز، ففي هذا الجانب يذكر "دو رافيزي" "إنها التطبيق المنطقي والعملي للراغبين العديدة في إنتاج حرير دودة القز الخام وصناعة الحرير"[5].

---

[1] Ibid. p. Tome premier – Discour du professeur Blaise – pp. 132 – 133 .

[2] Ibid.–"La politique chez les Japonais"– Discours de Madier de Montjau – p. 135.

[3] Ibid. p. 135.

[4] Ibid. p. 136 .

[5] Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congres international des Orientalistes - p. 3 .

إضافة للاهتمام بدودة القز، وجه المؤتمرون اهتمامهم للمعادن. فقد لفت الثراء الكبير في المناجم انتباه المستشرقين. منهم "بول أوري Paul Orey"، الذي قال: "اليابان بلد غني جدا بالمناجم المختلفة الأنواع، فيوجد الذهب والفضة والرصاص والقصدير والنحاس. والمادة التي توجد في الإقليم بأكمله هي النحاس. أما الأماكن الغنية جدا، أكثر من غيرها، هي بيتو، نان بو، أكيتا. أما الأماكن الفقيرة جدا، فهي جيزان، تايا، تاكو"[1]. فهذا المستشرق لم يكتف بتعداد أنواع المعادن وأشهرها، بل عين حتى الأماكن التي تشهد ثراء وتلك التي لا حاجة ترجى من ورائها.

وبما أن النحاس هو المعدن الشهير في اليابان أكثر من غيره، فقد لاقى اهتماما خاصا. وتبدو سهولة الحصول عليه لكثرته، ولوجوده على أنواع وأشكال عدة، فقد ذكر المستشرق نفسه فقال: "كثير من هذه المناجم تستهلك في الهواء الطلق، لأن هذا المعدن يوجد أحيانا في أزهار تبر أرضية في باطن غير عميق، وأحيانا هي خيوط نحاسية نقية في شكل صحائف معدنية خالية من الشوائب المعدنية، وأحيانا أخرى، هي حبيبات صغيرة مشتتة، وأحيانا حبيبات مختلطة بالكوارتز، وأخرى هو قطع عادية"[2]. إذن، فيسرة التنقيب في المناجم وتكاثر المعادن، حافز للغرب للاهتمام باليابان. ومن هنا كان التوجه العام للمؤتمر الاهتمام باليابان عموما.

ومما يدل على المصلحة الغربية البحتة في هذا الموضوع، نجد "ماديي" يقول: "ستقدم التجارة لليابان، أو بالأحرى ستأخذ منه ثرواته، لكن لن يكون ملاحونا المخمورون ولا تجارنا الساعون لتكوين ثروات بسرعة، هم الذين يحملون له التطور، بما في هذه الكلمة من معنى"[3].

أما في المؤتمرات المتأخرة، فتوجد موضوعات ودراسات عدة تتحدث عن المشكلات الاقتصادية، وعادة ما تكون لها جانب مهم من اهتمام المؤتمرين. ومن

---

(1) Ibid. "Le minerai de cuivre au Japon" – discour de Paul Orey – p. 339.

(2) Ibid. p. 340.

(3) Ibid. "La politique chez les Japonais"– discour de Madier de Montjau – pp. 139 – 140.

ثم، فإن المطلع على الندوات مثلا، يجد العديد منها تحدثت عن هذا الجانب[1]. كما أن في دراسات المستشـــرقين الصهاينـــة[2]، واليابـــانيين[3]، طائفـــة مـــن هـــذه الموضوعات المخصوصة، وهي عينة تبين بوضوح هذا التوجه البحثي.

تلك هي المؤثرات العامة في مؤتمرات المستشرقين العالمية، ســـواء منـــها الدينية أو السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية أو الاقتصادية. وهي تـــأثيرات كمـــا تبين، هامة جدا. وليست وحدها هي المؤثرة، بل هناك مؤثرات أخرى، كالجوانب العسكرية مثلا، لكنها ليست بالعمق التي بلغته هذه المذكورة أعلاه، والتي ليســـت سوى عينة بيانية على أن المؤتمرات لم تكن مستقلة بذاتها تماما، بل أثرت فيـــها عوامل عدة، أساسها المصلحة الغربية الضيقة.

---

(١) توجد في الملحق رقم ١٨ ص ٦٩٩ من الرسالة.

(٢) توجد في الملحق رقم ٢٤ ص ٧٧٩ من الرسالة.

(٣) توجد في الملحق رقم ٢٦ ص ٧٩١ من الرسالة.

الفصل الثالث: أثر مؤتمرات المستشرقين العالمية

المبحث الأول: الآثار الدينية

المبحث الثاني: الآثار السياسية

المبحث الثالث: الآثار الثقافية

الفصل الثالث: أثر مؤتمرات المستشرقين العالمية

توطئة:

تمت دراسة المؤثرات في مؤتمرات المستشرقين العالمية، واتضح أن هناك مؤثرات عدة تؤثر في مسار مؤتمرات المستشرقين العالمية. وفي هذا المكان سيتم التعرض للاتجاه المعاكس، وهو تأثير المؤتمرات في محيطها العام. والمطلع على الجانبين يلحظ بيسر أن الاتجاه الأول، وهو دخول المؤثرات في المؤتمرات أكثر بكثير من تأثير المؤتمرات فيها، وذلك لكون المؤتمرات ليست حرة في فعالياتها وقد كانت تستغل للمصلحة الضيقة للبلد المستضيف، ففيما كان المؤتمر السادس بليدن سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ) مثلا، اتجاه سياسي استعماري، كما اتضح لنا في أماكن عدة من البحث[١]، كان المؤتمر الخامس والعشرون بموسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، يحمل صبغة سياسية اشتراكية، مناهضة للإمبريالية والاستعمار[٢]. كما أن التنافس بين المدرستين الاستشراقيتين الفرنسية والإنجليزية اتضح من خلال المؤتمر التاسع المنعقد بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)[٣]. وبالتالي كانت المؤثرات الخارجية أكثر عمقا وبيانا من التأثيرات المتأتية من المؤتمرات.

رغم ذلك، كان للمؤتمرات تأثيرات عميقة وجوهرية في جوانب مختلفة، أهمها الدينية والسياسية و الثقافية، وهذه الجوانب الثلاثة هي التي سيتم التطرق إليها تحليلا وبيانا، كأمثلة بارزة عن أثر المؤتمرات في محيطها. وفي هذا الصدد يجدر تقسيم هذه الجوانب قسمين: يضم الأول الدينية والسياسية، والآخر الثقافية.

أما الشق الأول، فلا ترد التأثيرات فيها مباشرة بحيث تتبناها المؤتمرات، بل يتم استنتاجها من خلال الدراسات والأبحاث التي يتم إلقاؤها، وتتمثل في توجيهات

---

[١] يمكن التعرف على ذلك مثلا ص ٤٩٤ من الرسالة وما يليها.

[٢] تم التطرق لهذا ص ١٨٠ من الرسالة وما يليها.

[٣] سبق الحديث عن هذه النقطة ص ٣٣٣ -٣٣٤ من الرسالة وما يليها.

أو توصيات أو إشارات يبينها صاحب المقال. أما المؤتمرات ككل، فلا تتبنى من ذلك إلا ما يكون له علاقة مباشرة بالدراسات الاستشراقية منها، كأن تتوجه للساسة بتبني بعض الأعمال الاستشراقية، أو تدعو لدراسة معلم ديني لغايات فيلولوجية أو تاريخية أو غيرها من الميادين التي تهتم بها المؤتمرات والمستشرقين كذلك.

أما الشق الآخر، وهو تأثير المؤتمرات في الجانب الثقافي، فالغالب فيها أن المؤتمرات تتبنى التوصيات والقرارات، ولا سيما ما يتعلق منها بالجانب الاستشراقي، إذ كثيرا ما تسعى المؤتمرات للنظر في وسائل تنمية البحوث الاستشراقية، ومحاولة تعديل مسارها وإثراء مؤسساتها. كما أن هناك دعوات قد لا تتبناها المؤتمرات، لكن يراها أصحاب الدراسات.

كما توجهت المؤتمرات لدراسة بعض الظواهر الثقافية المتعلقة بالعالم الشرقي، ومحاولة الحكم عليها وتقويمها. ومن ذلك الصحافة العربية مثلا. تلك الجوانب الثقافية، يتناولها بعض المستشرقين في دراساتهم، ونادرا ما تتبناها المؤتمرات.

هذه الدراسة، يمكن إجمال عناصرها وتحليلها بدراسة آثار المؤتمرات في الجوانب الدينية ثم السياسية ثم الثقافية، عسى أن يتضح الموضوع ويستبين.

المبحث الأول: الآثار الدينية

المتأمل في دراسات المؤتمرات يجد في مواطـــن عـــدة تدخـــل البـــاحثين والدارسين، وبالتالي المؤتمرات، في شؤون دينية، ويبرز ذلـــك فـــي المتعلقـــات النصرانية، ونادرا ما نلقى أمورا أخرى تتعلق بالديانات الأخرى. لذا، ليس مـــن العجب أن يدور البحث في هذا الموضع على النصرانية والتنصير.

في مواضع عدة من هذا البحث، تـــم التعـــرض لبحـــوث متعـــددة تتعلـــق بالنصرانية والتنصير، وأنه كـــان للمستشـــرقين المنصريـــن أدوار فعالـــة فـــي المؤتمرات. وكما قدروا على إثبات وجودهم في المؤتمرات، تمكنوا كذلـــك مـــن توجيه دعوات وعرض آمال متعددة ومتنوعة.

تشعر النصرانية دائما بأنها مستهدفة، وما إن يبرز منافس أمامها حتى ترسل استغاثات سريعة، من أجل الوقوف تجاهه. من ذلك شعورها بمزاحمة الإسلام لـــها في كل مكان، وبأقل الجهود، ولا تدع موضعا مناسبا إلا وتنبه لذلك. برزت مثـــل هذه الاستغاثات وهذا الخوف منذ المؤتمر الأول نفسه. فهذا "لانجنـــهوف" مثـــلا، الذي كان ينصر بين قبائل "الداياك"، يطلقها مدوية: "التعجيل والإسراع، فإن كـــل عام يمر، تحقق بعثات السلطان المحمدي نجاحات مهمة لديانة القرآن، وســـيخضع الداياك للجهود المتواصلة لأتباع النبي على مدى طويل"(1).

وفي المجال نفسه، يهوّل المستشرقين المنصريـــن أيّ جـــهد قليـــل يبذلـــه المسلمون للقيام بتثقيف أنفسهم وأبنائهم ونشر دينهم. من تلك المجهودات اليســـيرة، الزوايا، التي لم تفلت من مهاجمة النصارى لها. وفي هذا المجال، يدعو "جريمال" في المؤتمر السابع بفيانا سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، إلى إعـــادة ترتيـــب أمـــور التنصير وإيجاد أساليب أخرى، من شأنها أن تؤدي إلى تخطيط ناجح، "فتبني نظام يستخدمه المنصرون سيكون إذن أفضل أسلوب للتوصل إلى تحطيم، أو على الأقل

(1) L'Abbe Langenhoff: "L'interieur de Borneo" – Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier – p. 530.

إضعاف التأثير السياسي والديني للزوايا"[١]، وهذا أمر مستغرب، إذ إن الكنيسة ومن ورائها النصرانية عموما، تدعو إلى النظر في نظامها بمجرد النظر إلى الزوايا وعملها الذي يتسم عموما بالتلقائية والعشوائية، فلو كان أمر الزوايا مرتبا تقوم عليه هيئة منظمة لربما سبب أزمة داخل النصرانية.

من جهة أخرى، تعد الانشقاقات الكنسية والفرق النصرانية من مسببات ضعف العقيدة النصرانية. هذا الأمر جعل "ماكس ميللر" يدعو إلى تطعيم هذه العقيدة بأفكار تطورها، وداعيا إلى إعادة النظر في المسلمات النصرانية "وذلك ببث روح فلسفية آرية رفيعة، وبإضفاء المزيد من التوضيح للفكر اليوناني"[٢]. فالنصرانية إذن تحتاج على الدوام إلى تطوير، الأمر الذي يجعل التدخلات فيها واردة في أي وقت، وربما هذا ما يفسر تكاثر الأناجيل والكتب والشخصيات القيادية التي أطلقت عليها الكنيسة لقب "أبوكريفية".

أما عن الحلول لمثل هذه القضايا، فيورد المستشرق "أورت Oort"، مجموعة القواعد التالية، سعيا منه للمحافظة على سلامة الكتاب المقدس[٣]:

ـ يمكن أن تضع في الملاحظات، الكلمات الصوتية، حسب ما وردت في المازوريتية، أو بحسب الاستنتاجات المختلفة.

ـ إخضاع النص القانوني لكل ما يطبق، بحسب أفضل المخطوطات، وذلك في أفضل إخراجات ناقدة، أي أن يترك ذلك النص سليما في كل مرة لا يوجد أي داع لتحويره.

ـ في كل مرة يتم فيها تعويض النص القانوني بآخر، يجب أن يتم نقله حرفيا، كما يمكن نشره مع النص بصفة تميزه، ما لم يتطابق مع النص المازوريتي.

---

(1) Th. Grimal de Guiraudon:" Notes de linguistique africaine - Les Puls -" Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 2 - T2 - p. 94.

(2) Max Muller: Inaugural address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 33.

(3) Discours de Oort - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - Seances des Sections - p. 84 .

ـــ لا يكفي أن يذكر في الملاحظات الأدلة لصالح النص المعدل الـــذي تـــم قبوله، لأن هناك احتمالَ أن لا يكون كامل الوضوح، ولكن التخمينات التي لم يتـــم التسليم بها، لم تكن واضحة بما فيه الكفاية، وتبقى مجردة من أي احتمال.

ـــ وأخيرا، يجب أن يرفق معه نصوص المقاطع التي يحتمل أنـــــها تشـــير لأمور ظنية.

هذا بعض ما ورد في المؤتمرات ويتعلق بمشكلات نصرانية وكنسية.

المبحث الثاني: الآثار السياسية

لمؤتمرات المستشرقين العالمية، أثرها في الشؤون السياسية. ويمكن إجمال تلك المؤثرات فيما يلي:

١ – أثر استضافة دورات مؤتمرات المستشرقين العالمية.

٢ – دعوة الساسة للمساهمة في تنمية الدراسات الاستشراقية.

٣ – تبادل النصح بين المؤتمرات والاستعمار.

وفيما يلي تحليل هذه العناصر المختلفة، التي من شأنها أن تبين الموضوع وتوضحه وتبين مجموعة من آثار المؤتمرات في الأمور السياسية.

١ – أثر استضافة دورات مؤتمرات المستشرقين العالمية:

كثيرا ما يظهر الساسة تشرفهم بانعقاد المؤتمرات على أراضيهم، أو اتخاذ بلدانهم موضوعا للبحث والدراسة، ولاسيما البلدان الصغيرة. برز من هؤلاء الهولنديون مثلا. فقد أظهروا ترحيبا مبالغا جدا بانعقاد المؤتمر السادس سنة ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ) في "ليدن". صرح بهذا رئيس المؤتمر ذاته فقال: "نحن في غاية الامتنان لكم..."[١]. مبينا فخر الهولنديين لاستضافتهم المؤتمر والمؤتمرين.

ويؤيد ذلك رئيس المؤتمر نفسه مرة أخرى، حين قال: "إن اجتماعا كاجتماعنا، مهما كانت درجة الفائدة فيه، والتثقيف للمشاركين فيه، فمن الممكن ألا يتفطن له أحد، تقريبا، في إحدى العواصم الأوروبية الكبرى. لكنه يملأ صفحة كاملة من تاريخ "ليدن"..."[٢]. إذن ، فانعقاد مؤتمر المستشرقين على أرض ليدن شرف وفخر كبيرين. وهذا أيضا رأي عمدة "ليدن" حين صرح في الجلسة الختامية

---

(1) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - seance de cloture - p. 184.

(2) Ibid. - premiere partie - p. 42 .

للمؤتمر "إن قراركم بتعيين ليدن مكان انعقاد مؤتمر السادس أفرحنا كثيرا وأسعدنا"[١]. إذن، فمدينة "ليدن" تفخر بانعقاد المؤتمر على أراضيها.

في المؤتمر ذاته، وفي الجلسة الختامية، جاء ما يلي: "أكد "بوهلر Buhler" مفوض الحكومة النمساوية، أن وزير الثقافة والمعارف العامة، كلفه أن يبلغ المؤتمر بأن حكومة الإمبراطور ستكون سعيدة جدا، إن تم اختيار النمسا مقرا لانعقاد المؤتمر المقبل"[٢]. فهذه النمسا أيضا، تعبر عن شرفها بانعقاد أحد مؤتمرات المستشرقين العالمية على أرضها، وهذا دليل آخر على أن انعقاد المؤتمر على أرض ما، له بعد سياسي ودعائي هام.

من جهة أخرى، لا يقتصر الفخر بانعقاد المؤتمرات على الأراضي فقط، بل في محتويات المؤتمر كذلك. فهذا سفير اليابان بفرنسا مثلا، يصرح في مؤتمر المستشرقين العالمي الأول قائلا: "...ليس من وجهة نظري الخاصة فقط، أتقدم لكم بالتعبير عن امتناني، بل إني أهديكم ذلك باسم بلدي. إن الأعمال التي تقومون بها سادتي، سيكون لها صدى في اليابان ... إني متأكد من أنها ستساعد بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، في التطوير الوطني، الذي تتبعه حكومتي بكل حزم. إن حضوركم اليوم يعد أول معاينة شعبية في أوروبا، عن دخول اليابان في تجمع هادف ومستقبلي مع الدول الغربية. فإلى الآن قامت بيننا علاقات سياسية واقتصادية. أما اليوم فإننا نقيم ولأول مرة علاقة ثقافية...إن بلدي ستستفيد من هذا العمل أكثر من أوروبا لأننا في حاجة ماسة لنجدتكم أكثر مما تحتاجونها أنتم"[٣]. ومن هنا يتضح مدى فخر السفير الياباني بأن كانت بلده موضوعا رئيسا في مؤتمر المستشرقين العالمي الأول.

كما أن رومانيا، رغم أنه لم يعقد أي مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين العالمية على أراضيها، إلا أنها تسعد بأنها جعلت محورا لبعض دراسات المؤتمرات. صرح بذلك المستشرق "هاسدو Hasdeu"، في المؤتمر السابع المذكور آنفا فقال: "لرومانيا الحق في أن تفخر بأنها كانت محور المباحثات في

---

(1) Ibid. - premiere partie - Seance de cloture - p. 185.

(2) Ibid. - premiere partie - pp. 181 - 182.

(3) Discour de Samesima Nanobu - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session -Paris -1873 - premiere partie - pp. 60-61.

مناسبتين في مؤتمرات المستشرقين العالمية. وهذا صواب. لأن الغرب ينتهي في فينا، لكن الشرق يبدأ من بوخارست، وبين هاتين المدينتين، فينا وبوخارست، منطقة متقلبة..."[1]، ومن هذا الكلام، فإن المؤتمرات لم يكن لها بعد سياسي وطني فحسب، بل إقليمي ودولي أيضا. لقد كان له أثر في التقسيم الدولي والتوزيع الإقليمي. فبوخارست ورومانيا من ضمن بلدان الشرق، فيما فينا من الغرب، وما بينهما فتارة شرقي وأخرى غربي.

من هذه الأمثلة، يتضح لنا مدى تأثير انعقاد مؤتمر ما في إحدى البلدان الغربية، أو اتخاذ المؤتمرات بلدا من البلدان موضوعا لدراساته، وأثرذلك على البلد المعني بالأمر ذاك.

٢-دعوة الساسة للمساهمة في تنمية الدراسات الاستشراقية

كثيرا ما يبحث المؤتمرون موضوعا ما، وبعد تحديده يطرحون القضية على الساسة، ويأملون منهم المساعدة، والمساهمة في إنجاح المشروع، ولاسيما من خلال الدعم المادي.

من ذلك، تدارس المستشرقين قضية تكوين قاموس "صيني-إنجليزي، وإنجليزي-صيني"، وذلك ضمن أعمال مؤتمر المستشرقين العالمي السادس بليدن سنة ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ). صاحب الاقتراح هو المستشرق "شليجل Shlegel". جاء في هذا الموضوع: "قرأ "شليجل" ورقة عمل حول أهمية استخدام اللغة الهولندية، في تحليل اللغة الصينية... وأنهى قراءته باقتراح أن تتولى اللجنة إبلاغ أمنية تتمثل في أن يتصل المؤتمر بحكومة ...ملكة إنجلترا، يرجو منها رجاء حارا، أن تتكرم بتكوين لجنة متخصصة، تتكون أفرادها من متخصصين بارزين في الدراسات الصينية، سواء في أوروبا أو أمريكا، أو حتى من الصين نفسها. وهؤلاء يتقاسمون مهمة تكوين قاموس "صيني-إنجليزي، وإنجليزي-صيني" متكامل، مماثل للقاموس السنسكريتي الضخم. هذا وقد سارع الحاضرون إلى

---

[1] C. P. Hasdeu (discours) - Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 1 - T1- p. 85.

اعتماد المقترح وتمت الموافقة عليه بالإجماع[1]. فهذا حث من المؤتمر للملكة، ورجاء منه أن تتدخل لإنجاز مشروع المستشرقين الضخم ذاك.

من المقترحات في المؤتمر ذاته، مشكلة المراجع المتفرقة في مختلف الأقطار الغربية، وصعوبة الاستفادة منها، صاحب الاقتراح هو المستشرق "دو غوية"، وذلك في جلسة المؤتمر الجماعية الأولى، وختمه بأمل يتمثل في "أن يكلف الاجتماع الختامي، المجلس الإداري، إبلاغ هذا الرجاء إلى السادة محافظي المتحف البريطاني، يرجو منهم باسم المؤتمر أخذه بعين الاعتبار مأخذا جادا، وأن يستخدموا كل ما لديهم من قدرة للتدخل لدى الحكومة البريطانية من أجل تحقيق هذا الرجاء"[2]، ثم اتفقوا على عرض المقترح في الجلسة الختامية[3]، وفيها قرأ رئيس المؤتمر "كوينن"، الأمل التالي: "إن المؤتمر يعبر عن رجائه منح العلماء الذين لا يقدرون على التحول شخصيا إلى المتحف البريطاني، من الآن فصاعدا، الوسائل اللازمة للاطلاع على المخطوطات التي يحتاجونها في بلدانهم، مع التقيد بالضمانات التي يرى الأمناء ضرورتها، وأن يسمح المجتمعون لمجلس المؤتمر بعرض هذا الرجاء على أمناء المتحف البريطاني، ويسألوهم باسم المؤتمر أخذه بعين الاعتبار، ويلحوا عليهم كي يحققوا هذا الرجاء"[4]، واعتمد القرار.

من الأمور الأخرى التي استدعت المؤتمرات الساسة للقيام بها، فتح معاهد تعليمية، فقد قرأ "الكولونيل بلانكيت" في المؤتمر التاسع ورقة عمل حول دراسة الأوروبيين للعربية؛ مؤكدا على ضرورة فتح معهد تعليمي بمصر يعنى أساسا بتدريب المواطنين هناك على فن تدريس العربية للأوروبيين [5].

فهذه دعوة للتعاون بين الإدارة السياسية البريطانية والمؤتمر قصد تحقيق هذا الرجاء المتمثل في استغلال الظرف الراهن للتمكن من معرفة اللغة العربية، من خلال اللهجة المصرية، التي يعدها المستشرقون عربية حديثة.

---

(1) Ibid. - premiere partie - p 180.

(2) Ibid. - premiere partie - p. 61.

(3) Ibid. - premiere partie - pp. 176 - 178.

(4) Ibid. - premiere partie - p. 180 .

(5) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - VolI - p. xxxviii.

من الأمور الأخرى، التي تبين درجة تأثير المؤتمرات في السياسة، الدعوة للمحافظة على الآثار القديمة، من ذلك الآثار البيزنطية. فقد جاء في المؤتمر السادس عشر ما يلي "تحدث "أدامنتيو Adamantio"، الخبير المحكم في آثار القرون الوسطى، عن قضية المحافظة على الآثار البيزنطية في اليونان. وقدم اقتراحا يتمثل في إنشاء متحف بيزنطي لذلك الغرض"[١]. وفي جلسة أخرى تم تباحث الموضوع، وبعد نقاش قصير شارك فيه مجموعة من المستشرقين، تم تبني المقترح، وصيغ الرجاء التالي: "إن لجنة الدراسات البيزنطية، من مؤتمر المستشرقين العالمي السادس عشر، نظرا لمعرفتها بالعناية التي توليها الحكومة الهلينية للمحافظة على آثار العصر اليوناني الوسيط، ونظرا لرغبتها، من جانبها في المحافظة على آثار بيزنطة الفنية الوسيطية، تعبر عن رجائها أن يتم إنشاء متحف للفن البيزنطي بأثينا، حيث يتم جمع تلك الآثار وتصنيفها، لما في ذلك من كسب وفير للدراسات البيزنطية"[٢]. فهذه دعوة صريحة من المؤتمر للحكومة اليونانية للمزيد من العناية بالآثار البيزنطية، مما يؤكد تأثير المؤتمرات في التوجه السياسي المعرفي تجاه الدراسات الشرقية.

كما أن هناك دعوات أخرى للمساهمة في مشاريع علمية، فقد جاءت في المؤتمر الثاني عشر بروما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، دعوة لتكوين ببليوغرافيا هندية، وفيها: "وبما أن هذا العمل يكلف مصاريف كبيرة، ويحتاج مدة زمنية لا تقل عن ستة أشهر، فإن اللجنة ترغب بكل حماسة في العهد بها للحكومات وللجهات العلمية التي لها مصلحة في الدراسات الهندية"[٣]. وفي المجال نفسه، قدم المستشرق "كوهن" اقتراحا يتمثل في تقديم دعم مالي لصالح ببليوغرافيا استشراقية، جاء ذلك في المؤتمر الرابع عشر "لقد طلب "كوهن" من الحكومات المختلفة أن تمنح محرري هذا المنشور مساعدة مالية"[٤].

---

(1) Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - deuxieme partie - p. 151.

(2) Ibid. - deuxieme partie - p. 151 .

(3) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 – p. CCLXII.

(4) Ibid. - Troisieme partie - p. 71.

مما سبق، يتضح مدى أثر مؤتمرات المستشرقين العالمية في دفع الساسة إلى تنمية الدراسات الاستشراقية.

من جهة أخرى، تتولى المؤتمرات توجيه شكرها لكل حكومة قامت بعمل إيجابي لصالح الدراسات الاستشراقية. ففي مؤتمر المستشرقين العالمي التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، من ذلك توجيه "ماكس ميللر" بالشكر والتقدير إلى سكرتارية الحكومة في الهند لسيرها على تنمية الدراسات الهندية(١).

كما وافق مؤتمر المستشرقين العالمي الثالث عشر في همبورغ سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، على قرار توجيه شكر خاص لحكومة الهند الصينية، لتأسيسها المعهد الفرنسي للشرق الأقصى(٢). كما شكرها المؤتمر الخامس عشر بكوبنهاجن سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)، على محافظتها على آثار قديمة هناك، كما وجه لها رغبته في مواصلة حصول المعهد الفرنسي للشرق الأقصى على دعم الحكومة الذي يحتاجه لمواصلة مسيرته العلمية(٣). وقد نوه المؤتمر التاسع بالأمير النمساوي "رينر"(٤)، والمؤتمر العاشر بخديوي مصر(٥)، وذلك لمساهمتهما في المحافظة على كنوز مصر الأثرية.

وفي المؤتمر السادس والعشرين بنيو دلهي، ورد قرار يتعلق بدراسة المجتمع التبتي، ووجه إلى اليونسكو والحكومات عامة، وحكومات الاتحاد الهندي، كي تساهم بصفة خاصة في تمويل تكوين دائرة معارف تبتية(٦).

---

(1) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 2.

(2) A. Foucher: "Notes sur les traveaux de l'Ecole Francaises d'Extreme Orient (1899 - 1902)" - Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 - p. 90.

(3) Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 – p. 53.

(4) Muller, Frederick Max - Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 4.

(5) Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - premiere partie - T2 - p. 30.

(6) Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 – Vol1 – p. 56.

في المؤتمر التاسع والعشرين بباريس، وردت مقترحات عدة تتعلق بالمحافظة على آثار الهند ومخطوطاتها، موجه كذلك للحكومات المختلفة[1].

٣ - تبادل النصح بين المؤتمرات والاستعمار:

يتبين مما سبق، وجود علاقة قوية تربط بين المؤتمرات والاستعمار. ومن نتاج هذه العلاقة، أن المستعمرين، من جهة، والدعاة إلى الاستعمار من المستشرقين من جهة أخرى، يوجهون الدعوات قصد مساندة أو مساعدة المستعمرين. من ذلك دعوة رئيس مبنى المستعمرات الهولندية المؤتمرين إلى الموافقة على ما أنجزه الاستعمار الهولندي، لما قال: "برؤيتكم داخل مبنى المستعمرات الهولندية،... وبتقديم شكرنا لكم بإخلاص، من أعماق قلوبنا، فإننا نشعر بسعادة عظمى، ونحن نراكم محيطين هذه اللحظات، بمثل هذه الشهرة، ومجيئكم من كافة أنحاء العالم لتزوروا متحفنا ومجموعتنا الأثرية العظيمة، التي تعود لكافة الشعوب، وفرصة الاستفادة من توجيهاتكم، وكذلك سعادتنا بموافقتكم على أعمالنا"[2]، إذ في رضاهم ما يوحي بالمساندة والدعم لما يقوم به الاستعمار من أعمال، وهذا يعطي المستعمرين دفعة وشحنة جديدة، تدفعهم إلى الأمام.

في جلسة احتفالية، تحدث مساعد رئيس بلدية ليدن عن أسلوب من أساليب تثقيف المواطنين الشرقيين، ألا وهي التأثيرات المنفعبة التي مارسها عليهم المستعمرون، ويخاطب المستشرقين قائلا: "والتي تمارسها بين الفينة والأخرى، دراساتكم وبحوثكم... أقترح عليكم الشرب على شرف التأثير المستمر، التأثير المتنامي للدراسات الشرقية"[3]. هذا الرجل هو أحد أرباب الاستعمار، يقر بتأثير

---

(1) Le XXIXeme Congres International des Orientalistes - Paris - Juillet 1973 – p. 38.

(2) Pels M.S. – presedent du Batiment des Colonies Neerlandaises – Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – premiere partie - pp. 212 - 214.

(3) Discourt de Bool - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - Premiere partie – p. 225.

دراسات المستشرقين في المستعمرين الشرقيين هذا إضافة إلى مؤثرات الاستعمار المباشرة.

ويؤيد هذا التوجه أيضا، المستشرق المستعمر "جسال"، الذي تحدث عن بعض الأعمال الاستعمارية في إفريقيا، ثم أنهى حديثه قائلا: "وأخيرا فإنكم، أنتم الذين تحبون العلم، وتعلمون ما يمكن عمله في التثقيف الذهني للشعوب، وإنكم ربما تتابعون، بكل لطف جهود زملائكم الأفارقة"[1]. فهذه دعوة أخرى للمستشرقين للإدلاء بدلوهم فيما أطلق عليه اسم التثقيف.

إذن، تعد المساهمة في مثل هذه العملية التثقيفية الاستعمارية، واجبا حضاريا وطنيا مقدسا، لا مفر للمستشرقين من القيام به، ولا قدرة للاستعمار للاستغناء عنه.

[1] Discour de Gsell , directeur du Musee et professeur - Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 – premiere partie – p.75.

المبحث الثالث: الآثار الثقافية

تعد الأمور الثقافية هي الاهتمام المميز الخاص بالمؤتمرات. لذا ليس من العجب أن تأخذ حيزا هاما في اهتماماتها، وسعيها الدائم للعناية بهذا الجانب المعرفي، قصد تحسينه وتطويره، والعناية بجوانبه ونوعياته. ومن هنا ظهرت مقترحات عدة في هذا الشأن، يمكن إجمالها في العناصر التالية:

١ – أثر المؤتمرات في تنمية الدراسات الاستشراقية.

٢– الحكم على أعمال استشراقية أنجزت وتقويمها.

٣– التنظير المستقبلي للأعمال الاستشراقية.

٤ – دائرة المعارف الإسلامية ومؤتمرات المستشرقين العالمية.

٥ ـ الصحافة العربية وأثرها في الاستغراب.

هذه العناصر توضع التفاعلات الثقافية العامة، التي وجهت المؤتمرات اهتماماتها لها، إيجابا وسلبا.

١ – أثر المؤتمرات في تنمية الدراسات الاستشراقية:

إن مؤتمرات المستشرقين العالمية، بوصفها أحد الأساليب الاستشراقية، تبحث أعمالها عصب الدراسات الاستشراقية، سعت في نطاق اجتماعاتها وندواتها إلى دراسة أسس تقويمها وتنميتها، قصد إثرائها وتطويرها، بالبحث عن اقتراحات من شأنها أن تقوي نشاطها أو تعدل مسارها أو توجه دراساتها. وإذ يتناول هذا العنصر دور المؤتمرات فيما تم من عمليات إثراء للموضوعات الاستشراقية، فقد أمكن تحديد نقاط التحليل، بتتبعها من خلال أعمال المؤتمرات، في الموضوعات التالية:

- أثر المؤتمرات في تنمية الثقافة الاستشراقية في الغرب.
- أثر المؤتمرات في تكوين جمعيات ومؤسسات وهيئات استشراقية.
- أثر المؤتمرات في تجميع الأعمال الشرقية والاستشراقية وطباعتها.

- أثر المؤتمرات في تكوين فهارس وقواميس وببليوغرافيات شرقية واستشراقية.

من خلال هذه الجوانب، يمكن استخلاص مدى مساهمة المؤتمرات في تطوير الدراسات الاستشراقية وتنميتها.

أ- أثر المؤتمرات في تنمية الثقافة الاستشراقية في الغرب:

بدأت اهتمامات المؤتمرات بتنمية الثقافة الاستشراقية في الغرب، منذ بداياتها الأولى. وما نشأت المؤتمرات نفسها إلا من أجل تطوير هذا النوع من الميادين العلمية. وقد صرح بذلك "ماكس ميللر" في ختام مؤتمر المستشرقين العالمي التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، فقال: "أظن أنه بمقدوري أن أقول إن مؤتمرنا سيسجل قيام عهد دائم يهدف إلى تطوير الدراسات الشرقية"(١). فقد كانت الساحة الاستشراقية تشكو من ضعف انتشار الثقافة الاستشراقية، لعدم اهتمام المجتمعات الاهتمام الذي يليق بقيمة تلك الدراسات، ولقلة الميادين المتخصصة في هذا المجال على الساحة، ولتخلف الميدان عن مواكبة التطورات في المجتمع أحيانا. وسيتم التعرض لهذا القصور بالتفصيل فيما يلي.

لقد كانت المؤتمرات تشكو من قلة المتخصصين وضعف الاهتمام بهذا الجانب العلمي. لذا، نجد المستشرق "كوينن"، يتساءل في المؤتمر العالمي السادس بـ "ليدن" في العام ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ)، فيقول: "هل يستطيع الجيل الجديد أن يحدد بداية أساس جديد في العام ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ) هذا؟ إنه رجاء لا نعتقد أنه وهمي..."(٢). لقد كان ضعف التوجه العلمي للدراسات الشرقية يشغل مؤتمرات المستشرقين العالمية، منذ انطلاق نشأتها. من هؤلاء "ماكس ميللر" الذي شكا في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، من الأفكار التي تُحمل عن

(1) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - Concluding Meeting.- p. liv.
(2) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - Seance d'ouverture du Congres - p. 49.

دارسي الاستشراق فقال: "في إنجلترا، بصفة خاصة، ما يزال ينظـر للدراسات الشرقية على أنها من اهتمامات المتخصصين فقط، والبعض يجعلها مقصورة في عمومها على المهتمين ممن هم في مثل سننا"[١]. كما عبر عن تخوفه من المستوى المتدني لدارسي الشرقيات فقال: "إني لمنزعج جدا من رؤية دارسي الشرقيات يقدمون بعض الحوافز المادية لعامة رجال المعرفة العاديين، الأمر الذي يؤدي في الواقع، إلى فصل جديد تماما، من تاريخ العالم، لكنه عقيم أيضا أمام الصورة الحيوية من الفكر الإنساني والخوف البشري والآمال الحياتية"[٢]. أما ما يريده ماكس ميللر فهو أن يرى متخصصين مبدعين في الدراسات الشرقية، وهم أولئك الذين يقدرون في النهاية على نشر نصوص لم يتم نشرها من قبل، أو ترجمة نصوص لم تتم ترجمتها من قبل أبدا [٣]، ويؤكد كلامه هذا نفسه في الجلسة الختامية للمؤتمر ذاته[٤]. إذن فالإبداع في الدراسات الشرقية، هي السمة المطلوبة في عالم الشرقيات.

هذه المشكلة، تطرح نفسها أيضا حتى المراحل المتأخرة من دورات المؤتمرات. فلقد برزت الشكوى من ضعف الاهتمام بالدراسات الشرقية، وبضيق أفق المتخصصين فيها، يشخصه المستشرق الفرنسي "موري More" في المؤتمر السابع عشر بـ"أكسفورد"، سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، فقد قال: "العلم اليوم، أكثر من أي وقت مضى، ليس هو شخصيا ولا وطنيا، بل هو نتيجة عمل عالمي. اليوم ينير اللغوي المؤرخ، الذي يطلب مساعدة عالم الآثار والأنثروبولوجي، الذي يرجع للجيولوجي والباليونتولوجي، الذي يرتكزون على علوم عديدة أخرى..."[٥]، وبعد تحليله لمعطيات العصر العلمية يقول: "على كل مستشرق اليوم، معرفة كيفية

---

(1) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. p. 34.

(2) Max Muller: Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 9.

(3) Ibid. p. 6.

(4) Ibid. p. liii.

(5) Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - p. 95.

النظر في الميادين القريبة، سواء الفيلولوجي أو الفني أو المؤرخ..."[١]. فــهي إذن دعوة لمواكبة علوم العصر، وتوسيع أفق المستشرقين الثقافي والعلمي.

يؤكد هذا الرأي المستشرق "ريمون شــواب Schwab Raymond"، فإنــه يشكو من ثبات المناهج على نهجها القديم، الأمر الذي أدى إلى ضيق أفق المعرفة لدى المتعلمين ورجال التعليم أنفسهم[٢]. ويرى ضرورة الخروج من أزمة عـــدم الاهتمام بدور الاستشراق، وجعله معلوما لدى أغلبية المثقفين.

أما عن ضعف الاهتمام بالدراسات الشرقية، فنجد وزير الثقافــة البلجيكــي "دييراكس Dierckx "، في المؤتمر العشرين المنعقــد ببروكســل ســنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هــ)، يتمنى أن يجلب انعقاد المؤتمر ذاك، وجوها شـــابة لحمــل رايــة الاستشراق[٣]. ويفهم من كلامه قلة وجود المواهب الشــابة. وإن وجــدت، فــهي تنقصها الدقة. والمؤتمر يمكنه المساهمة في زيادة عددها وتنمية قدراتها العلمية.

يعترف المستشرقون في مؤتمراتهم بفضائل من سبقوهم في الكشـــف عــن ميادين استشراقية عدة. ويسعون هم أيضا لكي يفتحوا آفاقا أمام البحاثة الحاضرين أو الذين هم بصدد التكوين، حتى يتأهلوا لمواصلة الدراسات الاستشـــراقية بدقــة وبعمق. يقول ماكس ميللر في هذا المجال، في المؤتمر التاسع بلندن ســنة ١٨٩٢م (١٣١٠هــ)، "لقد حاولت مرارا أن أبين لكم ما الذي عمله دارسو الشرقيات لنــا، إذ ساعدونا كي نوجه نظرة صحيحة للتطور التاريخي للجنس البشري الموجود في شبه القارة الآسيوية، التي نسميها أيضا أوروبـــا... ويرجــع الفضــل لدارســي الشرقيات في إزالة الغشاوة عن التاريخ القديم..."[٤]. ومواصلة لهذا النمـــاء فــي الدراسات الاستشراقية، جاءت في المؤتمر ذاته عدة دعــوات للاهتمــام ببعــض الجوانب من العلوم الشرقية فقد دعا "أ. هــ. سايس A. H. Sayce" إلى العنايــة

---

(1) Ibid. p. 97.

(2) Ibid. p. 337.

(3) Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 - Chronique - p. 17.

(4) Max Muller: Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 33.

الخاصة والمكثفة بالدراسات الآشورية، وتخصيص لجنة بها في أعمال المؤتمرات(١).

كما عرضت دعوة ملحة ثانية، تتعلق بمجتمع بتمامه يحتاج إلى الدراسة الكاملة من جميع الجوانب. جاء مثل هذا الأمر عن لجنة الدراسات الأسترالية في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ). وهذا هو رجاؤها: "ترغب لجنة الدراسات الأسترالية في التعبير عن شعورها بالضرورة الملحة لمباشرة البحث في الصفات الفيزيائية واللغوية والفنون والتقاليد والديانة في غينيا الجديدة"(٢). فالظروف مهيئة إذن للقيام بهذه المهام الخاصة بهذا الشعب، ولا ينقص إلا الإقدام.

دعوة تثقيفية أخرى، تتمثل في الحاجة الماسة لتعلم اللغة العربية، صدح بها الكولونيل "ج. ت. بلانكت T. Plunket.G " في المؤتمر التاسع نفسه(٣). فقد قرأ ورقة عمل تتعلق بـ "دراسة الأوروبيين للعربية"، مؤكدا على ضرورة فتح معهد تعليمي بمصر، يعنى أساسا بتدريب المواطنين هناك على فن تدريس العربية للأوروبيين، وطالبت اللجنة باتخاذ الخطوات اللازمة لإقناع الحكومة بأهمية تشجيع دراسة العربية الحديثة. واعتمادا على ورقة الكولونيل "بلانكت" وجه المؤتمر دعوة إلى الحكومة الإنجليزية مبينا ضرورة التعجيل بتدريس اللغة العربية"(٤).

أما "أ. فوكر"، فإنه لفت الانتباه إلى الدراسات الماليزية، ولا سيما لغتها، قد أهملها الغرب عموما، رغم المصالح العديدة التي له فيها. كان ذلك في المؤتمر الثالث عشر، في العام ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، الذي انعقد في همبورغ. فعدا هو لندا (ليدن وغيرها)، وفرنسا (باريس) ليس ثمة شيء في إنجلترا ولا في ألمانيا ولا

(1) A. H. Sayce: Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 171.

(2) Transaction of the Ninth International Congress of Orientalists - London 1892 - Vol. I - Concluding Meeting - p. li.

(3) Transaction of the Ninth International Congress of Orientalists - London 1892 - Vol. I - Meetings of Sections - p. xxxviii.

(4) Ibid. - Concluding Meeting - p. li.

حتى في أمريكا، رغم أن لهذه مصالح في البلدان الماليزية، ونتمنـــى أن يتحقــق مستقبلا رجاؤه في العناية بلغة المنطقة وموروثاتها"[1].

وتشكو المؤتمرات من ضعف الاهتمام بالدراسات الصينية في الغرب. لــذا، فقد دعا مؤتمر المستشرقين العالمي الثامن عشر، المنعقد في ليدن ســـنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـــ)، إلى ضرورة تكثيف الدراسات والأبحاث الصينية[2].

مما سبق، يتبين لنا أن المؤتمرات كانت تنـــادي بضـــرورة نشـــر الثقافـــة الاستشراقية في الوسط الغربي، لما في ذلك مـــن فوائـــد تعـــود علـــى البحـــوث الاستشراقية ومسار الميدان الاستشراقي.

وفي هذا التيار، تسعى المؤتمرات لمواكبة العلوم الحديثة والتيارات الفكريـــة المستحدثة. وكان هذا الأمر يشغلها منذ انطلاقها. ويحـــترز المؤتمـــرون مـــن أن يفوتهم ركب أي انطلاقة فكرية. يعبر عن ذلك تعبيرا واضحا "البـــارون كريمـــر Baron Kremer" في المؤتمر السابع، المنعقد في فيانا Wien في العـــام ١٨٨٦م (١٣٠٤هـــ). فهذا المستشرق يدعو إلى ضرورة الاهتمام بما يوجد فـــي محيـــط المستشرقين من تيارات فكرية، وأن يتم تقويمها وتوجيهها في المسار السليم، حتى لا تؤثر سلبياتها على المسار العلمي العام، وأن يبادر المستشرقون كـــي يكونـــوا روادا في هذا النشاط، ولا يكونوا تبعا[3].

من المسارات العلمية التي عاصرتها المؤتمرات مثلا، العلوم الإنسانية، التي تعد آخر العلوم استقلالا عن الفلسفة. وكان ذلك في العصور المتأخرة. ولقد اهتمت المؤتمرات بهذا النشاط العلمي، ووردت مساهمات تدعو إلى تـــأطير الدراســـات الاستشراقية، حتى تنسجم وهذا المسار العلمي، وأن تعتمد هذه العلوم وتستخدم في الدراسات الاستشراقية.

---

(1) A. A. Foker: La signification du Malais - Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 - p. 155.

(2) Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes – Leiden – 1931 - p. 29.

(3) Baron Kremer: Die Eroffnungssitzung des Congresses - Bericht des VII Internationalen Orientalisten Congress-Wien - 1886- V1-T1- pp.116 – 117.

في كلمته أمام مؤتمر بروكسل العشرين، في العام ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، تعرض "جون كابار" لموضوع العلوم الإنسانية، وربط فيها أعمال المستشرقين بمهمة الإنسانيين. ويرى أن المهمة واحدة في أصولها، بل إن دور الاستشراق أعظم من مهمة الإنسانيين، إذ يتواصل دور المستشرق ويتجاوز الموضع الذي توقف عنده الإنساني. فإن كان هدف الإنساني الكشف عن مناهج وأساليب للتفكير، وقوانين أخلاقية ومراكز بحثية، يستغل المستشرق تلك المادة المتوفرة كلها، من أجل استخدامها وترجمة آثارها عمليا[١]، بحيث يتم مسح كل ما وجد أو يوجد من أفكار وتيارات فكرية لا تتماشى والتوجهات الأوروبية، وإعادة تشكيلها وفق ما يأملونه، ويواصل قائلا: "فسنرى بأية سهولة يمكن أن نرجعها لمكانها في أنظمتنا الكبرى"[٢]، فلا خوف، حسب رأيه، من الإقدام ولا من الفشل، فنجاح المهمة، المبنية على قوانين ومناهج العلوم الإنسانية، مضمونة وميسورة. كما قارن بين المهمة الحالية والطريقة السابقة، فبين أن الدور الحالي ذو أثر جامع لكافة المجتمعات، بما أن الهدف واحد، وهو إحلال الثقافة الغربية مكان أي ثقافة أخرى، يختلف عن الدور السابق الذي يدرس كل مجتمع على حدة[٣]. ويمكن أن يتم ذلك حسب رأيه كما يلي: "فإنه من الضروري توصل أبحاث علماء لا حصر لهم إلى بيان وإعلان وحدة الطبيعة البشرية"[٤]. فإقناع غير الأوروبيين بأن الطبيعة البشرية واحدة، من شأنه أن ييسر عملية مسخ الثقافات المحلية وإحلال التوجهات الغربية مكانها، بما أن الفكر الأوروبي هو الأرقى.

ظهر الربط القوي بين العلوم الإنسانية والاستشراق، في بيان المستشرق لماهية الاستشراق، التي يرى أنها "يمكن بيانها في الجواب التالي: تمحيص القوانين الإنسانية الثابتة في الحضارة من خلال حقول التجارب المترامية أطرافها"[٥]. فهذا حصر من المستشرق لمهمة الاستشراق، في تغيير الروابط

---

[1] Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 - Chronique - p. 25.
[2] Ibid. p. 25.
[3] Ibid. p. 26.
[4] Ibid. p. 26.
[5] Ibid. p. 26.

الإنسانية القارة والمميزة للحضارات. ومما يستخلص من هذا التعريف، أن الاستشراق وليد بيئته، يتشكل وتتنوع مجالاته حسب ما يتولد من حوادث علمية. كما أن المجتمعات عدا الأوروبية منها، هي ميادين إجراء تجارب ميدانية ومخبرية. وهذا أمر نشأ مع بروز الاستشراق. مما يدل على عدم تخلي الاستشراق قطعيا عن الطرق القديمة في التعامل مع المجتمعات الشرقية. وأن الاستعلاء العنصري مركب ثابت في الباحثين الغربيين.

يتحدث عن الإنسانية أيضا "ريمون شواب" في المؤتمر الحادي والعشرين المنعقد في باريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)[١] أيضا، ويقابل بينها وبين الاستشراق، فيراها بخلاف الفيلولوجيا، لا تختص إلا بمفهوم الإنسانية فقط. وأنها لا تعرف إلا في محيط حوض البحر الأبيض المتوسط، وميدانها شاسع غير محدود. تماما كالاستشراق، الذي يملك نوعين من الميادين، ميدانا شاسعا يسمى كلاسيكيا، وآخر بمعناه الضيق، ويمتد من يهودا ــ هكذا ــ حتى الصين فقط. فهو يدعو إلى ضرورة العناية بالاستشراق مثل الاهتمام بالدراسات الإنسانية. ويبين في موضع آخر أن للاستشراق أثره في الدراسات الإنسانية، فيرى أن المكونات العلمية للاستشراق، منذ مائة وخمسين سنة، غيرت تماما مفهوم الإنسانية، وأن الإنسانية الكلاسيكية القديمة، التي ظلت محصورة في الحضارات المتوسطية، أضحت إنسانية كاملة، تشمل كل الشعوب[٢]. لكنه يتحسر أن المناهج الدراسية، سواء في المعاهد أو الجامعات، التي تتناول موضوع الإنسانية بقيت تلك القديمة. وأن هذا الأمر، أدى إلى ضعف معرفة جمهور الناس بمهمة الاستشراق[٣].

يتعرض "شواب" لمستقبل الدراسات الاستشراقية، رابطا إياها بالدراسات الإنسانية فيقول: "إن الأعمال ستتركز بالضرورة على قواعد فيلولوجية صلبة، لكن سيكون من المهم شدها حول محور الإنسانية، وإظهار التطابق، ليس بين المدارس المختلفة أو الأقسام المتنوعة فقط، بل بين جميع أنواع المعارف والأفكار المتبادلة،

---

[1] Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1949 - Compte rendue des seances - p. 189.
[2] Ibid. p. 337.
[3] Ibid. p. 337.

والتعارض في حب الاطلاع وفي المناهج وفي المشكلات..."[1].وبالتالي فإن كلا من الاستشراق والعلوم الإنسانية، يؤثر أحدهما في الآخر.

هكذا إذن، يتبين لنا مدى اهتمام المؤتمرات بتطوير الدراسات الاستشراقية، والعناية بتدعيمها، والدعوة لتعميقها وإدخالها في المناهج الدراسية، وضرورة مسايرتها واستغلال ما يولد حواليها من أفكار وتيارات ومناهج علمية.

ب – أثر المؤتمرات في تكوين جمعيات ومؤسسات وهيئات استشراقية:

من جهة أخرى، تسعى المؤتمرات إلى تجميع الصف الاستشراقي إلى أقصى حد ممكن. ومن الأساليب التي تساعد في الوصول إلى هذه الغاية، تكوين تجمعات وهيئات استشراقية. فقد دعت إلى تأسيس معاهد وجامعات دراسية متخصصة، وهيئات ومؤسسات ولجان ومجالس ولجان عالمية.

لقد نوه المؤتمر السادس، الذي انعقد في ليدن في العام ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ). بنشأة الجامعة الأنجلو– شرقية Anglo Oriental University في البنجاب التي أسست هناك بعد صراع مرير دام مدة سبعة عشر عاما، قام بـه مجموعة من المثقفين الهنود والأوروبيين، وعلى رأسها المؤسسة الملكية الآسيوية[2].

في المؤتمر التاسع أيضا، تحدث "ماكس ميللر" عن نشأة" معهد الدراسات الشرقية الحديثة School of Modern Oriental Studies" فقال: "لقد قمنا مؤخرا بقطع شوط في الطريق الصحيح. فتحت الإشراف الشخصي لأمير ويلز، أنشئ مؤخرا معهد الدراسات الشرقية الحديثة، في المؤسسة الملكية. إنما هذا كان تنفيذا لمخطط جاهدت من أجله طوال أربعين سنة مضت"[3]. لكنه بين الحاجة للمساعدة المالية، "يجب أن نحصل من تجارنا الأغنياء على هذا الدعم المالي الذي نريده"[4]. وبين أنه إضافة للفوائد العلمية، فإن للمعاهد والجامعات مردودات

---

[1] Ibid. p. 188 - 189.

[2] Address of Dr. Leitner - Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883. Premiere Partie- Seance d'ouverture du congres.

[3] Ibid. vol. I - p. 36.

[4] Ibid. vol. I - p. 36.

إيجابية، بتكوينها خبراء في الاقتصاد والإدارة والسياسة، ولا سيما عـــن طريـــق الثقافة اللغوية وإتقانها، فذلك مما ييسر إنجاب شخصيات شابة قادرة علــــى عقــد الصفقات وحسن القيادة السياسية في المستعمرات(١).

وفي المؤتمر الثالث عشر، تمت الدعوة إلــــى تأســيس معــهد للدراســات المصرية Institut Egyptologique ببودابســـت، وأن يتـم جمــع الأشــياء المصرية المبعثرة في المتاحف المختلفة في المجر، وتوضع فيه(٢).

لقد أدرك المؤتمر الفوائد الجمة التي تعود عليه من تأسيس معاهد وجامعات. فمن شأنها أن تأطر العلوم الشرقية وتعمقها وتوجهها، إضافة إلى مســاهمتها فــي نشر الثقافة الاستشراقية في الأوساط الغربية، وفهم الشعوب المدروسة فهما دقيقـا، يساهم في بسط السيطرة الاستعمارية والثقافية عليها، وتحويل وجهتها الثقافية وفق ما يراه الغرب يتماشى ومصالحه. لذا، فقد كانت تنادي وتؤيد وتنوه بتأسيسها.

في المؤتمر التاسع أيضا، دعم المؤتمر اقتراحا بتكوين هيئة لنشر الفلكلــور الشرقي Comite pour la Publication du Folklore Oriental. صـــاحب الاقتراح هو "أنجلو دو جوبارناتيس". وبعد أن قدم المبادئ العامة لهذه الهيئـــة(٣)، تعرض لبيان جسامة المهمة، ووضع أن عملا من هذا القبيل، والخاص بالهند، لــو وزع على ثلاثين عالما، يجهز كل واحد منهم مجلدا في العام، لن ينتهي العمـل إلا خلال عشر سنوات. لكن بعد الانتهاء منه، يكـــون نموذجـا لكـل المجموعـات الفلكلورية الأخرى، وتمكن في النهاية من تكوين تـــاريخ فلســفي تــام للتقــاليد الشعبية(٤).

---

(1) Ibid. vol. I - p. 36.

(2) Congres International des Orientalistes - XVIeme Session - Athenes - 1912 - 2eme partie - p. 183.

(3) Angelo de Gubernatis: " Le folk-Lore asiatique" - Ibid - 2eme partie - pp. 820-821.

(4) Ibid. p. 821.

هذا المقترح، صادقت عليه "لجنة الميثولوجيا[١] والأنثروبولوجيا[٢]" في المؤتمر، وتبنت مبادئه[٣]. وتبنى المؤتمر المشروع في جلسته العامة، وطالب بتنظيمه بحيث تأسس كل جمعية استشراقية في كل دولة، هيئة تهتم بتجميع مواد الفلكلور الشرقي[٤].

كما طالب كل من "لوفافر Lefevre" و"الأمير Lemire" بأن تتكون لجنة من متخصصين في الهند الصينية، بهدف البحث عن مواقع العواصم والمدن القديمة، والمعالم الأثرية، المدنية أو الدينية، والقصور والمعابد والأبراج والمقابر [٥].

وأعلن المؤتمر الثالث عشر الذي عقد في همبورغ سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ) عن قيام "الجمعية العالمية لاستكشاف تاريخ آسيا الوسطى والشرق الأقصى وآثارهما ولغوياتهما وإثنوجرافيتهما Association Internationale pour l'Exploration historique, archeologique, linguistique et ethnologique de l'Asie Centrale et de l'Extreme Orient" ، وحدد لها برنامج عملها بالتفصيل[٦].

---

(١) الميثولوجيا: علم الأساطير، وتطلق كذلك على كل مجموعة من الأساطير صدرت عن أمة متجانسة، أو إقليم عرف بثقافة متجانسة.
عن الموسوعة العربية الميسرة – ص ١٧٩٧.

(٢) الأنثروبولوجيا: علم دراسة الجماعات البشرية القطرية، أو التي لا تزال أقرب إلى الفطرة، حيث كونها جزء من الطبيعة، أو من حيث كونها كائنات ذات عقل وثقافة.
عن المعجم الفلسفي – ص ٢٤.

(3) Ibid. vol. II - p. 820.

(4) Ibid. vol. I – p. xlviii - xlix.

(5) Lefevre-Pontalis et Lamire: "La preservation des monuments historiques anciens en Indo Chine" - Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T.1 - p. 274.

(6) Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 - pp. 387 - 389.

وأعلن قيام لجنة دائمة للدراسات الإنسانية الشرقية. صاحب الفكرة هذه، هو المستشرق ريمون شواب. وكان ذلك في المؤتمر الحادي والعشرين. كان سبب الدعوة هذه، ضعف الاهتمام بالدراسات الشرقية، وتطور العلوم الإنسانية. " لقد تساءل ريمون شواب إن كان الوقت لم يحن بعد لإتمام عملية انتشار الاستشراق في الثقافة العامة. وأن المؤتمر لو قبل هذه الفكرة، سيمكنه استخدام سلطة لتدعيم مقترح من شأنه أن يحقق ذلك. هذا المقترح، يقضي بإنشاء لجنة دائمة للإنسانية الشرقية Comite Permanant d'Humanisme Oriental ، مكلفة بمهمتين اثنتين:

– أخذ المبادرات اللازمة من أجل وضع التاريخ والثقافة الشرقية ضمن المناهج والكتب في جميع المراحل الدراسية.

– تكوين وإعداد تاريخ عام للاستشراق، بالاجتهاد في تكوين فرق عمل من ضمن علماء الأقسام المتخصصة في كل البلدان، وهؤلاء، يمكنهم بالأحرى، إعداد إسهاماتهم عن طريق تدريس تاريخ الإنسانية الشرقية "[1].

وهكذا، يتضح لنا، أن المؤتمرات اقترحت ونوهت ودعمت قيام تنظيمات استشراقية، من شأنها أن تثري الدراسات الاستشراقية. وهو ما يبين الأثر الواضح للمؤتمرات في المسار الاستشراقي.

ومن الأدلة الواضحة على أثر المؤتمرات في تكوين مثل هذه المراكز العلمية، ما ذكرته في المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، المستشرقة المكسيكية "جراسيالا دو لا لاما Graciela de la Lama"، سفيرة المكسيك لدى الهند، ورئيسة المؤتمر الثلاثين الذي انعقد بمكسيكو سنة ١٩٧٦م (١٣٩٠هـ)، عن إنجازات استشراقية في أمريكا اللاتينية، تمت مباشرة بعد استضافة المكسيك للدورة الثلاثين فقالت: "إن أهمية دور المؤتمر، على أنه حافز لتطوير التفاهم بين آسيا وشمال إفريقيا من جهة، وبقية المناطق العالمية من جهة أخرى، أمر بدهي تماما. وفي الماضي القريب أعطى دفعة كبرى لدراسات أقطار أمريكا اللاتينية، وفي الفترة الفاصلة بين هذا المؤتمر وسابقه،

[1] Raymond Schwab: " Pour l'enseignement d'un humanisme oriental" - Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes – Paris - 1948 - premiere partie -p. 338.

الذي انعقد في مكسيكو، حدثت تحولات عدة في منطقتنا. فقد تأسست كراسي عـدة للدراسات الآسيوية والإفريقية في جامعات عـدة بفـنزويلا وكولومبيـا والبـيرو والبرازيل والأرجنتين ومكسيكو، وغيرها من البلدان[١].

ج – أثر المؤتمرات في تجميع الأعمال الشرقية والاستشراقية وطباعتها:

تنبهت المؤتمرات إلـى ضرورة العنايـة بتجميـع الدراسـات المرتبطـة بالاستشراق ونشـرها، سواء الشرقية منها أو الغربية. ونادت مرات عدة بـالأمر هذا. ففي المؤتمر التاسع، تحدث "السر م. أ. جرانت ديف M. E. Grant duff" عن فلسطين، ودعا لتكوين عدة مؤسسات تهدف لنشر الكتابات القديمـة المتعلقـة بفلسطين وما يتصل بها[٢]. أما " هنري بارتود Henri Berthoud"، فقد تحـدث عن اللغات الإفريقية في المؤتمر العاشر، الذي انعقد فـي جنيـف سـنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، وكان مما قال: " ويبدو أن الوقت قد حان لكي يوجد مصنف دوري، يكون محورا لتجميع كل ما يتعلق باللغات الإفريقية، وتقبل كل الأعمال والمذكرات والمساهمات، التي، بدونها، لا تتقدم دراسة هذه اللغات إلا بصعوبة بالغة "[٣].

أما المؤتمر الخامس عشر بكوبنهاجن، في العام ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) "فقـد تلقى بكل تقدير، الإعلان الذي أصدرته جامعة كلكتا، تعلن فيه تشجيعها للمـهتمين بالبحوث الهندية، وذلك بنشر مجموعات أمهات سنسكريتية في الرياضيات والفلـك معا، مع ترجمة إنجليزية لها"[٤]. وحول الهند أيضا، في المؤتمر عينه، "تم اعتمـاد الرجاء التالي: إن اللجنة الهندية تعبر عن أملها في أن يتم نشر الكتابات حول الفن

---

(1) Graciela de la Lama – Mexican Ambassador to India, president of the XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) – T1 – p. 26.

(2) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 – p. 378.

(3) Henri Berthoud: "Quelques remarques sur la famille des langues bantou - et sur la langue tzonga en particulier" - Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - 4eme partie - 4eme section - p. 170.

(4) Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - p.52.

المعماري والنحتي ونقلها"[١]. كما أن لجنة الدراسات الصينية واليابانية في المؤتمر نفسه، وافقت بالإجماع على مقترح تترجى فيه من جمعية الأكاديميين العالمية، أن تقر إعتمادات من أجل نشر ترجمات للكتابات المتعلقة بتاريخ الشرق الأقصى[٢].

و في أثينا، خلال انعقاد المؤتمر العالمي السادس عشر، سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، عهد للجنة البحث في مسألة نقل اللغات الهندو ــ صينية، كي تنشر نشرا تفصيليا اللغات الكبرى باسم المؤتمر[٣]. وعبرت لجنة الدراسات البيزنطية، في المؤتمر ذاته، "عن رغبتها في أن يتم التحضير لعمل منظم من شأنه أن يجمع مواد الفلكلور الهليني المحفوظ عند الكتاب البيزنطيين، أو في الآثار"[٤]. كما توجه لسكرتارية المؤتمر العامة، مجموعة مقترحات، منها رجاء يتمثل في مواصلة لجنة برئاسة زكي باشا، طبع النصوص التي يرغب في دراستها[٥]، ودعت لجنة الدراسات المصرية البلدان المختلفة إلى أن تحذو حذو فرنسا، في تجميع الأعمال المختلفة في مجال الدراسات المصرية، التي نسيت نصوصها أو ضاعت، لأنها تفرقت في المنشورات، وأنه من الصعب، أو من المستحيل الحصول عليها ثانية[٦]، كما وجهت رجاء يرغب في أن يتم جمع الأشياء المصرية المبعثرة في المتاحف المختلفة في المجر، وحفظها في معهد الدراسات المصرية الذي اقترحت إقامته ببودابست[٧].

يتضح من كل الشواهد التي مرت، دور المؤتمرات في الدعوة الملحة، والتشجيع الصريح، لتجميع الدراسات والمواد الشرقية والاستشراقية، ودعوته إلى نشر الدراسات والبحوث المتعلقة بها. ولبيان عناية المؤتمرات بالبحوث والنشر، أنها حددت في المؤتمر الثالث عشر بهمبورغ سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، خمس

---

(1) Ibid. p. 56.

(2) Ibid. p. 62.

(3) Congres International des Orientalistes - XVIeme Session - Athenes - 1912 - 2eme partie - p. 111.

(4) Ibid. - 2eme partie – p. 161.

(5) Ibid. - 2eme partie - p. 183.

(6) Ibid. - 2eme partie - p. 183.

(7) Ibid. - 2eme partie - p. 183.

سنوات لمن يكشف عن معلم أثري كأقصى حد للتمتع بأحقية نشر دراسة علمية عنه. أما بعد ذلك، فيصبح أمر دراسة المعلم ونشر ما يتعلق به، مشاعا للجميع، دون تمييز(١)، مما يدل دلالة واضحة على العناية الفائقة بأمر التجميع والنشر.

د – أثر المؤتمرات في تكوين فهارس وقواميس وببليوغرافيات شرقية واستشراقية:

من هذه الاهتمامات كذلك، عالجت المؤتمرات قضية تكوين فهارس وقواميس وببليوغرافيات، منذ بدايات المؤتمرات الأولى. فقد سعت المؤتمرات إلى توجيه العناية لمثل هذه المصنفات من فوائد على الدراسات الاستشراقية، ولما لها من أثر في تيسير أعمال المستشرقين ودراساتهم وأبحاثهم.

بدأت دراسة هذا الموضوع بلندن، في المؤتمر الثاني سنة ١٨٧٤م (١٢٩٣هـ). فعند حديثه عن تكوين لغة عالمية، تكتب بها جميع اللغات الشرقية، تعرض المستشرق "صمويل بيرتش Samuel Birch" إلى الحاجة إلى قواميس في هذا الشأن فقال: "إنها خطوة أولى سواء للغات العالمية، أو اللغات الضعيفة، وربما الخطوة الوحيدة المستخدمة دائما"(٢). إذا، فهذه النوعية من القواميس، من شأنها أن تساهم في تشييد لغة عالمية، كما أن أهميتها لدى المستشرقين، تكمن في كونها إحدى الوسائل لتبادل الأفكار.

أما في المؤتمر التاسع، فقد تحدث "شلاجل"(٣) عن عدم وفاء القواميس الصينية – الإنجليزية والإنجليزية – الصينية بالواجب، وعن الحاجة الضرورية لإتمامها حتى تكون في مستوى الحاجيات العلمية والعملية.

---

(1) Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 - p. 389.

(2) Samuel Birch: Inaugural Address -Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 – p. 7.

(3) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - Seance des sections - p. 147.

ثم إن المؤتمرات لا توجه أنظارها للغات المعاصرة فقط، بل هي تهتم حتى باللغات البائدة، فتدعو لإعداد قواميس لها. ففي المؤتمر نفسه، وجه المستشـرق "أ. هـ. سايس A. H. Sayce" الأنظار لهذا الأمر، عند حديثه عن الآشوريات فقال: "إنها تحتاج لفك رموزها، كما تحتاج لفيلولوجي... لكن القواميس، صاحبة المعنى الصحيح لا نملك منها ولو قاموسا واحدا..."(١). فلا تكمن أهمية القواميس عند المستشرقين في اللغات الحية فحسب، بل المنقرضة أيضا. لذا صدح هذا المستشرق برجائه هذا. ولولا ضرورتها في الدراسات الشرقية لما كان نادى بضرورة تكوينها.

حول اللغة الكورية، تحدث المستشـرق " موريس كوران Maurice Courant " عن كيفية تكوين قاموس لغوي خاص بتلك اللغة، في المؤتمر الحادي عشر، الذي انعقد في باريس سنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)، فقال: "يجب الآن، لعمل القاموس، تجميع أكبر عدد ممكن من الكلمات وتقديم أمثلة غزيرة جدا، وتقسيم المعاني المختلفة... تلك هي المهمة التي تفرض نفسها أولا، والتي إن أنجزت ستؤدي إلى طرق المسائل اللغوية في ظروف حسنة"(٢). فهذا بيان للطريقة التي يجب أن يتم على أساسها طرق أي قاموس لغوي، وإن كان مخصصا هنا باللغة الكورية، إلا أنه مقياس ينطبق عليه غيره من القواميس في اللغات الأخرى.

و تناول المستشرق " كيرت هسارت Kurt Hassert " موضوع الألبان المسلمين، الذين يراهم متخلفين عن الألبان النصارى مرجعا سبب ذلك إلى خضوعهم التاريخي للترك، وشدد على ضرورة الاهتمام بدراستهم، ولا سيما لغتهم، التي ألح على ضرورة إعداد قاموس لها، لعدم وجودها حتى ذلك الحين. وقد تحدث عن ذلك في روما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، عند انعقاد المؤتمر الثاني عشر(٣). أما مؤتمر كوبنهاجن في العام ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)، فقد تعرض لمشروع "القاموس اليدوي البيبليوغرافي الهندي-الآري Manuel of Indo-

(1) A. H. Sayce: Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 171.

(2) Maurice Courant: Notes sur les etudes coreenes et japonnaises - Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T1 - p.78.

(3) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - T3 - Resume des bulletins - p. cxxxii .

"القاموس اليدوي الببليوغرافي الهندي-الآري Manuel of Indo-Aryan Bibliography"[١].

أما المؤتمر السادس عشر المنعقد بأثينا سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، فقد اهتم بشأن قاموس يتعلق باللغة الإغريقية الحديثة، تمت الموافقة عليه " نظرا لإدراك الأهمية الفائقة التي يقدمها المعجم الإغريقي الحديث، لا لدراسة اللغة الحية فقط، بل لمعرفة اللسان الإغريقي عموما "[٢]، ورجت من الحكومة اليونانية المساعدة المالية من أجل تحقيق هذا الأمل[٣].

إذن، لقد اعتنت المؤتمرات بالحاجة الماسة لإنشاء قواميس للغات شرقية، لما لها من دور في تيسير الدراسات الاستشراقية، وتنمية الثقافة اللازمة لذلك.

واهتمت مؤتمرات المستشرقين بأمر الببليوغرافيات. ووجهت ناحيتها عناية خاصة، لما فيها من ربح للوقت والجهد، ولما تيسره من معرفة للمعلومات والدراسات التي يرغب في الحصول عليها لإتمام الأعمال والبحوث. يبين هذه الأهمية المستشرق "جودفروا – دومونبين Gaudefroy-Demonbines"، في مساهمته التي ألقاها بعنوان "مخطط إعداد ببليوغرافيا شرقية Projet de Bibliographie Orientale" في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ). فقد قال: "من بينكم شباب لا يعرفون كم كنا نتحسر نحن كبار السن عن الوقت، كلما أسعفتنا في بحوثنا "ببليوغرافيا شرقية"... لذا، فقد تهيأ لبعضنا أنها ستكون مهمة قيمة لمؤتمر ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، لو أنشأ ببليوغرافيا شرقية، وذلك بأن يضمن لها إمكان الظهور السريع، مع أمل تكوين منظمة عالمية مخصصة لذلك "[٤].

---

(1) Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - Seances des sections - pp. 51 - 52.

(2) Congres International des Orientalistes - XVIeme Session - Athenes - 1912 - 2eme partie -p. 184.

(3) Ibid. p. 184.

(4) Gaudefroy - Demombynes: "Projet de Bibliographie Orientale" -Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 273.

هذا الاهتمام بالببليوغرافيا، شغل المؤتمرات منذ بداياتها. وتمـــت المنـــاداة بتكوين منظمة مشرفة على الأعمال الببليوغرافية منـــذ مؤتمـــر رومـــا ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، عن طريق المستشرق "م. ج. بورجس M. J. Burgess" [١]. وهـــذا دليل على الأهمية البالغة التي توليها المؤتمرات للعمل الببليوغرافي، حتى ينـــادى فيها بمركزة الشؤون الببليوغرافية.

أما عن كنه هذه الجمعية وتكونها وأهدافها، فقد قدمها "دومونبين" في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ) [٢]. ويوصي المؤتمر بإجراء تجربة حول الموضوع فيقول: "إن لجنة المؤتمر العالمية، يمكنها إعداد تجربة قبـل التفرق، وذلك بأن تطلب من المجالس الوطنية، التـــي ســـيتم تأسيســـها، إعـــداد ببليوغرافيا لأهم الكتب والمقالات التي ظهرت من ١٩٣٨م (١٣٥٧هـــــ)، إلـــى ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، وهذه التجربة الأولى، التي يمكن للجنة العالمية البدء فيـــها انطلاقا من العام القادم، ستبين بكل وضوح العوائق، وتيسر التدقيق العملـــي فـــي تطبيق ما يلزم إزالته بالضرورة..." [٣].

وقرر المؤتمر إذ ذاك أن تجهد اللجنة العالمية نفسها في دراســـة المخطـــط والبحث عن وسائل تنفيذه، بمساعدة الشرائح العلمية المهتمة. وكـــإجراء مؤقـــت، يمكن لكل دولة إعداد ببليوغرافيا مخصصة لها [٤].

هذا وقد سبق أن قدمت المستشرقة "جين جوبـــو-ثومينـــي Mme Jeane Gobeaux – Thominet" في المؤتمـــر العشـــرين ببروكســـيل ســـنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، دراسة بعنوان: "ملاحظات حول الكتابات الببليوغرافيـــة المتعلقـــة بالعرب والفرس والترك، المنشورة خلال القرنيـــن الأخـــيرين"، وناقشـــت أمـــر

---

(1) M. J. Burgess: "Proposal for a classified catalogue of the litterature of oriental research" - Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - T3 - p. 3.

(2) Gaudefroy - Demombynes: "Projet de Bibliographie Orientale" - Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - Seances des sections - p. 274.

(3) Ibid. p. 274.

(4) Ibid. p. 38.

الببليوغرافيا الشرقية، وتناولت بالنقد الأعمـــال الببليوغرافيـة المنشـورة علـى الساحة[١].

أما عن الدعوة لأعمال ببليوغرافية مخصوصة، فقد تحدث "موريس كـوران" عن ما يخص الدراسات اليابانية والكورية، في المؤتمر الحادي عشر بباريس سنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)[٢]. واقترح "ناشود Nachod "، في المؤتمر الخامس عشـر في العام ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)، رجاء يتمثل فـي أن تنشـر الصحافـة العلميـة الأوروبية، تقريرا مفصلا حول النشريات الدوريـة للمعـهد التـاريخي اليابـاني Institut Historique de Japon، وأن يقدم المؤتمر الدعم لها[٣].

نظرا لأهمية الببليوغرافيات هذه، فقد كانت المؤتمرات تتألم لأي عائق يحول دون ترجمة تلك الآمال إلى الواقع[٤]. وما هذا إلا للحرص الشديد الـذي توليـه المؤتمرات قصد إنجاح وتطوير هذا النوع من الأعمال التي يساهم فـي تيسـير المعرفة بالعالم الشرقي والاستشـراقي. كمـا أن المؤتمـر ذاتـه دعـا لعمـل ببليوغرافيات، أهمها تلك المتعلقة بأوراق البردي[٥].

وفي المؤتمر السابع والعشرين بآن آربور سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، ورد المقترح التالي: "يسجل المؤتمر بكل أسف الافتقار إلى الثقة الكاملة في ببليوغرافية المجلات المتخصصة في ميادين الدراسات الشرقية المتنوعة. يجب حث الجامعات والمكتبات ومؤسسات البحوث العليا الأخرى إلى عد نشر مثـل تلـك الدوريـات الببليوغرافية من أهم الضرورات المطلوبة، في الدراسـات الهنديـة، ودراسـات جنوب آسيا (عدا البوذية)، ودراسات جنوب شرقي آسيا، والدراسـات الصينيـة

---

(1) Mme Jeane Cobeaux - Thominet: " Notes sur les ouvrages bibliographiques publies pendant ces deux derniers siecles et relatif aux Arabes - Persans et Turques". Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - pp. 332 - 333.

(2) Maurice Courant: " Notes sur les etudes coreenes et japonnaises"- Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T.1 - p. 68 - 69.

(3) Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - seances des sections - p. 59.

(4) Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes - Leiden - 1931 - Programme general - p. 30.

(5) Ibid. - Seances des sections - p. 247.

ودراسات شرقي آسيا الحديث، ودراسات الشرق الأوسط غير الإسلامي... وهـذا المؤتمر يود التأكيد على أهمية مثل تلك القوائم، والتي من خلالها يرغبون في أي وسيلة، تعويض البيبليوغرافيات المعلنة سابقا، على أن تكون ذات أهمية كـبرى، ولاسيما بالنسبة للمكتبيين"(١).

و بذلك، يستبين مدى اهتمام المؤتمرات بأمور البيبليوغرافيا، ومقدار أهميتها في الدراسات الاستشراقية. وهو دور آخر تلعبه المؤتمرات في السعي لتطوير بحوث المستشرقين.

تيسر الفهارس أمور البحث العلمي، وتساهم في الرجوع للمطلوب بيسر، كما أنها وسيلة لربح الوقت وكسب الجهد. لذا، تعرض المستشرقون لبحث أمور توفيرها في مؤتمراتهم. فقد تطرق المؤتمر الثامن عشر لجانب من هذا الموضوع، يتعلق بالدراسات الصينية(٢).

أما المستشرقة "جين جوبو-ثوميني"، فقد تطرقت في نهاية مساهمة لها في المؤتمر العشرين، إلى أثر الفهارس في تحسين الصنعة البيبليوغرافية قائلة: "... إننا نظن أنه من المناسب، أن يجهد البيبليوغرافيون أنفسهم لعرض فهرست لكل الكتابات الشرقية الموجودة في المستودعات الشعبية، وفي مكتبات المؤسسات العلمية، لأن تلك الفهارس تعد الخطوة الأولى نحو البيبليوغرافيا الشاملة"(٣). فالمستشرقة ربطت ربطا محكما في المسار العلمي ما بين البيبليوغرافيا والفهارس. بل إنها تلح وتصر على رأيها هذا، بتأكيدها الدعوة لقرن العملين لما قالت: "من جهة أخرى، إن سمح لي، أقدم الرجاء التالي، وهو أن يتولى ناشرو "Neue

---

(1) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - p. 38.

(2) Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes - Leiden - 1931 - Programme general - p. 30.

(3) Mme Jeane Cobeaux - Thominet: " Notes sur les ouvrages bibliographiques publies pendant ces deux derniers siecles et relatif aux Arabes - Persans et Turques".Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 333.

"Folge der Orientalishen Bibliographie، وهم مكتبيون، أي ببليوغرافيون محترفون، التفكير في اعتماد فهارس تحليلية لنشريتهم "[1].

ولعل أهم الدعوات المنادية بتكوين فهارس، ما جاء في المؤتمر الثامن والعشرين بكانبيرا سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ)، فقد جاء في القرار الأول من قرارات المؤتمر ما يلي: "حيث إن الحضارة الإسلامية وسط البلدان الناطقة بالعربية وخارجها، تحتفظ بمآثرها، وتلفظ شخصيتها الخاصة، المتمثلة في التراث النفيس إلى أبعد حد، من المخطوطات العربية...تبقى جهود الفهرسة الفردية بعيدة عن التمام ... فقد تقرر في جلسة مؤتمر المستشرقين العالمي الثامن والعشرين العامة، أن يبين مدى إدراك المؤتمر للحاجة الماسة لفهرسة سريعة لكل المخطوطات العربية، التي لم يتم بعد تبويبها وشرحها بطريقة جيدة[2].

تلك صورة عن مساعي المؤتمرات للنهوض بالدراسات الاستشراقية، لما لها من مساهمة فعالة، ومن آثار في تنمية الدراسات الاستشراقية. مما يدل على دور المؤتمرات في توجيه العملية الاستشراقية وتسييرها.

٢- الحكم على أعمال استشراقية أنجزت وتقويمها:

تحليل الأعمال الماضية ونقدها، يؤدي إلى تقويمها وتعديل مسارها. لذا، كثيرا ما كان المستشرقون في مؤتمراتهم، يحاكمون المسار الاستشراقي الذي انقضى. ولقد لخص كريمر هذا بقوله في المؤتمر السابع بفيانا، سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ) فقال: "فلنلق نظرة على الماضي، حتى يمكننا تكوين فكرة عن

---

[1] Ibid. p. 333.

[2] Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists - Canberra - 1971 – p. 24.

المستقبل"(1). لقد كان منهجا تعتمده المؤتمرات بحيث كانت تنتقد الأعمال الاستشراقية السابقة عن انعقاد جلسة من جلساتها، وتبرمج لمستقبلها.

تحدث المستشرق "جريمال دو جويرودان" عن اللغويات الإفريقية، في المؤتمر السابع نفسه، فقال عن المحاولات الأولى لدراستها: " من المؤكد أني لن أعامل باحتقار أعمال المنصرين اللغوية، كما عوملت ببعض التمييز غالبا. لقد سبق أن قلت إن عددا كبيرا من بينهم، قد قدموا خدمات جليلة، قصد معرفة لغات إفريقيا... "(2).

يثني المستشرق "ماكس ميللر" على بحث في الدراسات الهندية، ثم على جهود المدرسة الاستشراقية الفرنسية في هذا المجال، وذلك في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، ويقول: "وهذا يدلل مرة أخرى على أنه إن كانت هناك حجج يراد التعلل بها، فلننظر تلك التي اتخذتها الحكومة الفرنسية، وكيف أن تزايد الدارسين الحقيقيين يرجع الفضل فيه إلى توجه المستشرقين الفرنسيين الصادق، وكذلك إلى تقنيتهم التي لا تعرف الكلل"(3). فالمستشرق حكم على جهود مدرسة استشراقية كاملة، بالثناء عليها، من خلال بحث علمي واحد، لكنه يراها دراسة واعدة بظهور نخبة دارسة عاملة، لا يدخل الملل بين أضلعها.

كما تطرق "ماكس ميللر" في الموضوع ذاته إلى جهود الفيلولوجيين والمؤرخين، لكشفهم عن الرباط القارن بين الشرق والغرب، في العصور القديمة. ومن ثم أثنى المستشرق على تلك الأبحاث، مبينا أنها تسير في النهج الذي عقدت من أجله مؤتمرات المستشرقين العالمية، وهي بيان الوحدة الإنسانية، وما دام ينحو هذا النحو، فهو التوجه السليم(4).

---

(1) Von Kremer: "Die Eroffnungssitzung des Congresses"-Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol1 - T1 - p. 37.

(2) Th. Grimal de Guiraudon: "Notes de linguistique africaine - les Pals"- Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - V2 - T2 - pp. 60 - 61.

(3) Max Muller: Inaugural Address- Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 4.

(4) Ibid. p. 9.

وفي مجال اللغويات أيضا، يقول " ماكس ميللر " في المؤتمر ذاتــه: " كـم كانت تلك الحقائق العلمية قيمة، تلك التي جاءت بها المواد اللغوية جملة، وتمـت تقويتها عن طريق التقنية وإبداعات أشخاص مثـل "بـوب" و"كوهـن"، و"بنفـي Benfey"، وأخيرا وليس آخرا الدكتور "شريدر Schrader" الذي رسم صـورة الحضارة الآريــة القديمة، بدقة متناهية "[1]. فهذا تقدير لأعمال لغوية، ولا سيما تلك التي قام بها الأساتذة المعينون. ويبدو أن دأب المستشرق هذا، الثناء على كـل العاملين والدارسين السابقين، ولو كان عملهم ضعيفا. فهو يقول: "سـأضل أحتـج ضد كل محاولة للتقليل من شأن المؤسسين الحقيقيين لعلم اللغات ما دمت حيا. فإن أخطاءهم العديدة، التي تظهر بين الفينة والأخـرى، لـهي أعظـم نبوغـا مـن التصحيحات التي قام بها تابعوهم"[2]. وهذا نوع من الوفاء للأقدمين والاعـتراف بالجميل للعلماء السابقين. وليس من أبدع كمن حسن ونوع.

يثني ماكس ميللر أيضا على الدراسات اللغوية، لدرجة أنه يجعلـها مفتـاح العلوم الاستشراقية التي تمت. فهو يواصل قائلا: "ويمكن القول أن هذا الاكتشـاف العظيم لكل أعمال المسرح العالمي، والوجود الحقيقي لكل ما كان مجـهولا لـدى أسلافنا، يرجع الفضل فيه لدراسات علم اللغات، أكثر مما يعود لدارسي الشرقيات. ... فإني أشك على أية حال أن يكون أي واحد هنا ينكر أن ذلك يعـود بالدرجـة الأولى لدارسي الشرقيات، أمثال السير و. جونس Sir W. Jones، كولـبروك Colebrooke، شلاجل، بوب، بيرنوف Burnouf، لاسن Lassen وكوهـن"[3]. فالمستشرق هنا، يربط ما بين الدراسات اللغوية ودارسيها. فمع أنها مفتاح العلـوم حسب قوله، فالفضل الأول في ظهور متفرغين مهتمين بها يعود لدارسين غـير متخصصين، قاموا بالجهود الأولى في هذا المجال.

و ناقش "بارتود"، في المؤتمر العاشر بجنيف سـنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـــ)، موضوع دورية توقفت عن الصدور فقال: "هذا هو رجائي الثاني، لقد مضت سبع سنوات على ظهور دورية صدرت في برلين، هي دورية نلمس الحاجـة الماسـة

---

(1) Ibid. p. 16.

(2) Ibid. p. 17.

(3) Ibid. p. 17 - 18.

إليها. إنها دورية حول اللغات الإفريقية، أصدرها "بوتنر Buttner". ولسبب أو لآخر، لم تشهد هذه الدورية إلا حياة قصيرة، ثم اختفت خلال أربع سنوات، ويبدو أن الوقت قد حان لكي يوجد مصنف دوري يكون محور تجميع كل ما يتعلق باللغات الإفريقية، وتتقبل كل الأعمال والمذكرات والمساهمات التي بدونها لا تتقدم دراسة هذه اللغات إلا بصعوبة بالغة"[١]. فهذا المستشرق يدعو إلى بث الحياة من جديد في هذه الدورية الخاصة باللغات الإفريقية، للحاجة الماسة لنشاطها.

أما موريس كوران، فإنه خطأ العديد من كتابات الرحالة الغربيين عن كوريا، وذلك في المؤتمر الحادي عشر بباريس سنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)، فقال "إن ما يورده العديد من الرحالة ويتعلق بآداب الكوريين، عادة ما يكون غير صحيح"[٢]. فالملاحظ أن المستشرق قدم حكما عاما يرفض فيه معظم كتابات الرحالة حول كوريا[٣]. بل حتى الدراسات التي كتبت حول الموضوع يشكك فيها قائلا: "بل الأعمال المنشورة هي ذات قيمة متفاوتة جدا، وكثيرا ما وضع الكتاب الثقة الحسنة كأساس مسلم به عن دقة الكتاب والمثقفين الكوريين، ونسوا أهمية النقد للبلدان الشرقية وضرورته"[٤]. فالمستشرق يحاكم البحوث الخاصة بكوريا، فيعلن أنها قليلة، ورغم قلتها فهي غير دقيقة، يضعف فيها العامل النقدي والشكي في كل ما يدور من موضوعات حول البلد.

إذن، لقد كانت المؤتمرات تقوم الأعمال البحثية التي تتم حول الموضوعات الشرقية، وتحاول تقويمها وتقييمها، إما حثا لها على المزيد من دقة البحث، أو تعديل مسارات أخرى، أو تطوير غيرها، لأن النقد الذاتي من الأسس التي تؤدي إلى الرقي بالعمل حتى يسير مسارا يليق والنهج العلمي المطلوب اتباعه.

---

(1) Henri Berthoud: "Quelques remarques sur la famille des langues bantou - et sur la langue tzonga en Particulier" - Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - 4eme partie - 4eme section - p. 170.

(2) Maurice Courant: " Notes sur les etudes coreenes et japonnaises" - Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T.1 - p. 74.

(3) Ibid. - T1- pp. 75 - 76.

(4) Ibid. - T1- pp. 75 - 76.

٣- التنظير المستقبلي للأعمال الاستشراقية:

تعد معظم أعمال المؤتمرات تنظيرا للمستقبل البحثي الاستشراقي. فجل ما مر بنا في دعوة المؤتمرات لتنمية الثقافة الاستشراقية في الغرب، وتكوين جمعيات ومؤسسات وهيئات استشراقية وتجميع وطباعة الأعمال الشرقية والاستشراقية، وتكوين فهارس وقواميس وببليوغرافيات شرقية واستشراقية، وتكوين دوائر معارف، كل ذلك من التنظير المستقبلي للمسار الاستشراقي. وسمة التنظير المستقبلي، تنطبق على مسار المؤتمرات عموما. منها ما قد تحقق فعلا، ومنها ما لم يظهر لحيز الوجود، ومنها ما نفذ جزء منها. و هذه نماذج مما جاء في المؤتمرات من أمور التنظير المستقبلي، يزيد المسألة إيضاحا وبيانا.

من المشكلات التي عانى منها المستشرقون أنهم كانوا يجدون صعوبات كثيرة في الحصول على المراجع التي يرغبون في الاستناد إليها، وقد نوقشت القضية في المؤتمر السادس بـ"ليدن" سنة ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ)، في جلستيه الافتتاحية والختامية، وتناولت بصفة خاصة، المراجع الموجودة في المتحف البريطاني، وتمت المصادقة على المقترح في الجلسة الختامية، بصيغة قريبة من السابقة [1].

أما "كارلو لمبارج Carlo Lamdberg" فقد دعا في المؤتمر نفسه، إلى الإسراع في التخطيط لبحث بقايا الحياة الاجتماعية الشرقية العتيقة، قبل مداهمة الحضارة الغربية لها، مدعيا أن المؤرخين الشرقيين أهملوا هذا الجانب. فقد صرح قائلا: "كل ما علينا هو أن نسارع، لأنه منذ بضع خماسيات من السنوات، لم تعد الحياة الشرقية ثابتة"[2]. أمام هذا العائق، إن لم يمكن تنفيذه، يطرح المستشرق حلا آخر: "نظرا لهذه الصفة من الأشياء، ليس لنا إلا التوجه للشرقيين أنفسهم، نرجوهم أن يوفروا لنا المراجع التي نحتاجها. لكن حتى تكون هذه المصادر مناسبة لأن يأخذها العلماء الأوروبيون في الاعتبار، فإنه من الضروري جدا أن يتولى

---

(1) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - Seance d'ouverture du Congres - p. 61 and p. p. 180.

(2) Ibid. p. 4.

زملاؤنا في الشرق القيام بأبحاثهم باستخدام أكثر عدد ممكن من الانتقادات أكثر مما يجرونها في العادة "[١]. إذن، هذا المستشرق يدعو للتباحث في تاريخ الشرق الإثنوجرافي. وهذا الأمر يصعب البحث عنه في المراجع، لذا، يلح على المسارعة لدراسة ما تبقى في المجتمعات الشرقية من موروثات التاريخ الماضي. وهذا يتطلب أن يقبع الباحث في الوسط الشرقي. أو أن يلجأ لفئة معينة من الشرقيين المتتلمذين على الغربيين، كي يمدوهم بالمدونات الضرورية لهذا الأمر.

و في المؤتمر السابع بفيانا سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، ذكر "فون كريمر" بعض ما يراه واجبا على المؤتمرات لاحقا فقال: "هذه إذن خطة العمل الراقية، لأعمالكم الدقيقة في المستقبل، أن نخرج من مكتباتنا وأكاديمياتنا خباياها، ومن جامعاتنا روح البحث والدراسات النزيهة والنقد السليم ومحبة الحقيقة والتطوير، حتى يتم بثها وسط الشعوب الشرقية وبذلك نقضيهم دينهم المتخلد بذمتنا"[٢]. نرى المستشرق هنا يوجه التخطيط المستقبلي لمسار تثقيفي علمي تأثيري، وهذا يراه من مهمات المؤتمرات وكذلك الاستشراق عموما.

أما "أنجيلو دو جوبارناتيس"، فإنه ينبه المستشرقين إلى ضرورة العناية بالفلكلور الشرقي قائلا: "علينا نحن الغربيين أن نبدع اكتشافا آخر للفلكلور"[٣]. كان ذلك في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ). وفيه أيضا، حث "بلانكيت" على ضرورة تعلم اللغة العربية، وأن لا تكون مقصورة على أصحاب المصالح، معللا رأيه قائلا: "إن العربية ليست هي لغة الجزيرة العربية والعراق وسوريا ومصر وكل شمال إفريقيا حتى المحيط الأطلسي، بل إنها تمثل نصف التعامل مع زنجبار في الموانئ البحرية والأنهار والطرق التجارية من القارة

(1) Ibid. p. 4 - 5.

(2) Von Kremer: Die Eroffnungssitzung des Congresses - Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol1 - T1 - p. 47.

(3) Angelo de Gobernatis: "Le Folk - Lore Asiatiques"- Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol. II - p. 820.

الإفريقية ككل"[1]. وذهب المؤتمر لتبني مثل هذا الرأي لما "دعـــى الحكومـــة (أي البريطانية) إلى ضرورة التعجيل بتدريس العربية الحديثة"[2].

وفي المؤتمر عينه، وجه "ماكس ميللر" دارسي الشرق لمحبة الشرق حتـــى يمكنهم قطف ثمار بحثية هامة. لقد تحدث في المؤتمر التاسع فقال: "حتى يمكـــن احتلال وإدارة البلدان الشرقية، يجب علينا شيء واحد، هو فهمـــهم فـــهما دقيقـــا. وحتى نفهم البلدان الشرقية، يجب علينا في بعض المعاني أن نكـــون شـــرقانيين، دارسين للشرق، محبين للشرق. بهذا التقبل سيتم تنفيـــذ العديـــد مـــن المـــآثر"[3]. فالمستشرق يضع سبل النجاح في محبة الدارسين للشرق، ويوجههم لذلك، ويربـــط أسس نجاحهم بالأمر ذاك.

أما "لوفافر والأمير"، فإنهما وجها المؤتمر الحـــادي عشـــر ببـــاريس ســـنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـــ)، للعناية بالهند الصينية وسيام وبرمانيا[4] وجاوة، بـــأن تتـــم دراسة مقارنة للمعالم الأثرية البراهمية والبوذية فيها، ثم أشارا إلى ضرورة إنـــهاء المهمة سريعا "حتى لا تتمكن التقلبات والدمار الذي يقوم به السكان من إتلاف تلك الآثار الهامة للشعوب والحضارات"[5].

تلك كانت نماذج تبين طروحات مستقبلية لأعمال استشراقية، سعى المؤتمـــر لصياغتها وعرضها حتى تكون وحدة عمل مستقبلية، يعنـــى بـــها المستشـــرقون ويبنون على أساسها دراساتهم.

---

(1) Lieut-Colonel G. T. Plunkett - R. E.: "On the study of Modern Arabic by Europeans". Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol. II - p. 164.

(2) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - Concluding Meeting - p. li.

(3) Max Muller - Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol. I - p. 36.

(٤) هي بورما حاليا.

(5) M. Lefevre - Pontalis et Lamire:" La preservation des monuments historiques anciens en Indo Chine" - Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T.1 - p. 274.

٤-دائرة المعارف الإسلامية ومؤتمرات المستشرقين العالمية:

انطلقت فكرة تكوين دائرة معارف إسلامية من مؤتمرات المستشرقين العالمية، وحازت بالتالي على حيز هام من اهتماماتها. ففي المؤتمر التاسع، وباقتراح من رئيس لجنة الدراسات السامية العامة، المستشرق "روبارتسون سميث Robertson Smith"، وبتأييد من الأساتذة المستشرقين هـ. ميللر H. Muller، وجولدتسيهر و"السر هـ. هـ. هوورث" تقرر عقد اجتماع خاص في المؤتمر، لتكوين لجنة مؤقتة تهدف إلى تجميع عدد من الباحثين ضمن هيئة من شأنها أن تتولى تأليف دائرة معارف إسلامية. وفي هذا الاجتماع، تم تعيين قائمة بأسماء اثني عشر باحثا من مختلف الأقطار الأوروبية، لتكون اللجنة المؤقتة المذكورة[1]. يرأس هذه الجمعية روبارتسون سميث نفسه[2]. وفي المؤتمر العاشر، بما أن المستشرق سميث، رئيس اللجنة قد قضى نحبه قبل انعقاد المؤتمر، "ذكر "جولدتسيهر" بالمقترح الذي تمت الموافقة عليه في مؤتمر لندن، حول نشر دائرة معارف إسلامية، تتناول تاريخ البلدان الإسلامية وجغرافيتها وديانتها وعلومها وفنونها. وبما أن القيمة العظمى لهذه النشرة لا تخفى على أحد، فقد اقترح جولدتسيهر تنصيب "دو غويه De Goeje"، على رأس اللجنة التي تم تعيينها في لندن، خلفا للفقيد "روبارتسون سميث". وبما أن "دو غويه" أعلن أن هناك ظروفا تمنعه من قبول هذا التعيين، رجت اللجنة الثالثة من "جولدتسيهر" أن يأخذ هذه المهمة على عاتقه، وأن ينظمها. أما المؤتمر فقد صادق على مقترح اللجنة الثالثة، ووجه رجاءه بأن يصل هذا المشروع إلى نهايته المأمولة[3].

وفي المؤتمر الثاني عشر[4]، قرأ "جولدتسيهر" تقريره حول خطة "دائرة المعارف الإسلامية"، وقدم عينة من هذه الدائرة طبعت بدار

---

(1) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 -Meeting of Section -p. xxxviii .
(2) Ibid. - Vol I - p. li.

(3) Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - premiere partie - Premiere Partie - Seances de Cloture - pp.130 - 131.
(4) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - T3 - Resume des Bulletins -- p. clxxix.

"ستوبيلار Stoppellar" (دار"بريل" القديمة Ancienne Maison BRILL) في ليدن. وأعلن أخيرا أن اللجنة العالمية قد اقترحت "كارل فولرس Carl Vollers"، من "إيانا Iana"، ليعوض الفقيد "صوسان Socin" في مجلس إدارة هذه المؤسسة. ووافقت اللجنة على الاقتراح هذا بالإجماع.

أما تقرير جولدتسيهر حول خطة دائرة المعارف الإسلامية، كما أدرج في المذكرة التاسعة للمؤتمرفهو كما يلي: "إنكم تذكرون ولا شك أني تشرفت بأن قدمت بمناسبة المؤتمر السابق في القسم الإسلامي (حصة ٧سبتمبر ١٨٩٧م (١١ ربيع الآخر ١٣١٥هـ)) تقريرا حول الأعمال التحضيرية لدائرة المعارف الإسلامية، وباقتراح من "دو غوية" أسس مجلس لبحث خطة هذا المشروع.

وفي جلسة تالية من جلسات اللجنة، قدم المجلس اقتراحا ــ اعتمد بالإجماع ــ يطالب بعرض القرار في الجلسة العامة للمؤتمر وهذا هو نصه:

"قرر مؤتمر المستشرقين الحادي عشر، المجتمع في باريس، تكوين لجنة دائمة مهمتها القيام بالمساعي الضرورية لكي يتأكد نجاح خطة تحرير دائرة المعارف الإسلامية ولاسيما الإحراز على مشاركة الحكومات والشركات العلمية وكذلك على مساعداتهم المالية.

وقد وافقوا على هذا القرار في الجلسة العامة وتأسست اللجنة الدائمة على النحو التالي ــ وسميت أعضاء هذه اللجنة وهم الآتي ذكرهم:

بربيي دي ماينار، Barbier de Meynard	عضو الجمعية (باريس)
براون،	أستاذ بالجامعة (كامبردج).
جولدتسيهر،	أستاذ بجامعة (بودابست).
دو غوية،	أستاذ بجامعة ليدن.
جويدي، Guidi	أستاذ بجامعة روما.
المرشد البلاطي كاراباتشك Carabachec أستاذ بجامعة فينا.	
الكونت س دى لندبارج	(توتزن).
البارون ف. دي. روزن Baron F. D. Rosen، أستاذ بجامعة سان بترسبورج.	
صوسن، Socin	أستاذ بجامعة ليبزيج.

إن قراءة هذه القائمة تذكرنا بالخسارة الشديدة التي تكبدتها الدراسات الشرقية، وبخاصة هذه اللجنة منذ اجتماعنا الأخير. فقد مات صوسن الذي كان شديد الاهتمام بإنتاجنا الأدبي والذي كان يقدم لنا مساعدة قيمة، لقد وافاه الأجل في ٢٤ يونيو ١٨٩٩م (١٦ صفر ١٣١٧هـ).

لقد خسرنا فيه السند المتين. وقد ساعدنا كثيرا تبحره وتجربته وحماسته للعمل في إنجاح نتاجنا الأدبي. ويجب على لجنتنا أن تعين مع كل أسف، وحسب اختيار المؤتمر أحد زملائنا كي يملأ الفراغ الذي سببه موت زميلنا الفقيد. ولقد شرفني أعضاء القسم بأن شجعوني على تولي إدارة المؤسسة المقرر تكوينها. ولكن وأنا أتابع عدة الدائرة اقتنعت أكثر فأكثر أنه علاوة على واجباتي المهنية والتي تشغلني كثيرا فإن بعدي عن مركز الإدارة والطباعة وكذلك صعوبة تكوين علاقات متواصلة مع المساعدين، كل ذلك يمنعني من أن أقوم بمهمة كهذه على أحسن وجه، وقد أجبرتني هذه الاعتبارات، مع الأسف الشديد، أن أناشد الرئيس وأعضاء اللجنة أن يعفوني من هذه المهمة رغم أنها تشرفني كثيرا.

و باتفاق مع أعضاء اللجنة الآخرين، طلبنا من "هوتسما"، الأستاذ بجامعة أوترشت والذي تعرفون كفاءته العالمية أن يقبل بتعويضي ويتكفل بإدارة الدائرة.

ينبغي قبل كل شيء أن يكون لدينا مدير يستطيع أن يقدم ضمانات حقيقية لمؤسستنا، لأنه بدون هذه الضمانات لا يكون للجنة حق القيام بالمساعي الضرورية لدى الحكومات والشركات العلمية من أجل الحصول على مساعداتهم المالية الضرورية.

وقد كان اختيار "هوتسما" مرغوبا، ولاسيما أن "بريل" هو الذي سيشرع في نشر دائرة المعارف بـ"ليدن" بحيث يكون المحررون على صلة مباشرة بالناشر والمطبعة. وارتحنا كثيرا لما أبدى "هوتسما" استعداده لقبول هذا التكليف شريطة أن تحتاط اللجنة كي يكون لديها اعتماد كاف لمكافأة عمل المساعدين والمترجمين الخ...ولدفع كل المصاريف الضرورية، ما عدا مصاريف الطبع لأن دار "بريل" تكفت بذلك. وبصدد هذا الإعلان طبعت اللجنة منشورا تنوي أن توصله إلى الحكومات والى الشركات العلمية وأخيرا إلى كل الذين يهتمون بتقدم دراساتنا، باذلة كل جهودها كي تحظى بقبول إيجابي. ونسمح لأنفسنا بأن نأمل منكم،

سادتـــي، الانضمام إلى هذه المجهودات باستخدام تأثيركم إزاء أصدقائكم، وبصفة عامة إزاء كل الذين يستطيعون المساعدة في تحقيق هذا الإنتاج.

هل يجب التأكيد مرة أخرى على أهمية دائرة المعارف الإسلامية ؟

أظن أن ذلك غير ضروري بعد كل الذي قيل في الدورات السابقة لمؤتمرنا، وأسمح لنفسي فقط بأن ألح على نقطة: "إننا نتذمر غالبا، وطبعا لنا الحق في ذلـك، من أن تحظى أفكار خاطئة عن الشرق الإسلامي، خاصة عندما تنشر فـي كتـب تتمتع بصيت عال، بثقة الجمهور العريض، بينما من الممكن الحصول على أحسن المعلومات من خلال مؤلفات عديدة سابقة ولكنها ليست سهلة المنال.

أليس هذا خطأنا ؟ إننا نكتب في أغلب الأحيان في دوريات أو في بحـــوث المجمعات العلمية والتي ليس لها قراء خارج دائرة ضيقة مـــن الاختصـــاصيين. وتستمر الأخطاء إذن، رغم كل جهودنا، وتعاني دراساتنا من جمهور لا مبال.

إن نتائج علمنا في حاجة، مثل كل العلوم الأخرى، لأن تصل إلى الجميـــع. وهذا الهدف لا يمكن تحقيقه إلا بنشر جدول حقيقي يشمل كل ما يمكن أن نعرفـــه عن الشرق الإسلامي. ويكفي تعيين المصادر التي نستطيع أن نستعلم منها بوفرة، عن مادة خاصة، لجعل دائرة كهذه نافعة، سواء للذين ألموا بمعرفة اللغات الشرقية أو الذين يجهلونها.

وأسمح لنفسي إذن باسم "هوتسما"، والذي، مع كل أســـف، لا يســـتطيع أن يحضر شخصيا اجتماعنا، بأن ألفت انتباهكم إلى النموذج الموجـــود بيـــن أيـــدي أعضاء اللجنة، والذي أعده "هوتسما" بمساعدة زملاء كثيرين. لقد جمع "هوتســـما" مجموعة مقالات تتعلق بمواد مختلفة من شأنها أن تجعلكم تقومون العقـــل الـــذي يوجهنا ومخطط العمل الذي نريد أن نؤديه، والى درجة معينة، طريقتنا في التنفيذ. وإذا كانت مسألة اختيار اللغة وتفاصيل تطبيقية أخرى لم تقرر بعـــد، وإذا كـــانت الخرائط والرسوم منعدمة، فهذا يمكن تفسيره بكل يسر. كل هذه المسائل هي رهن الوسائل التي ستكون تحت تصرف اللجنة وسنجد لها حلولا طبيعية، بمجـــرد أن تسوى حالتنا المادية.

و مع ذلك أكرر هنا أمنية "هوتسما" في مقدمته، وهي ما يلي:

إن كل الذين لديهم ملاحظات يريدون تقديمها أو أمنيات يريـــدون التعبـــير عنها، فليتفضلوا ويخبروه بذلك، وسوف يتم مراعاتها عند التحرير النهائي. و إننـا

نأمل أن تكون بعض المستلات الأولى من الدائرة بين أيديكم في الـــدورة القادمـــة للمؤتمر. وستتواصل الأعمال التحضيرية بنشاط، حالما يحصـــل المحـــرر علـــى الوسائل الضرورية، وستنتهي بنجاح في أقرب وقت ممكن. آنذاك سنبدأ في النشر حالا والذي سيدوم بالضرورة بضع سنوات.

إننا لا نستطيع في الوقت الراهن تقدير طول المؤلف كاملا، وبطريقة دقيقة، ولكننا نظن أن ثلاثة مجلدات بحجم "الموسوعة الكبيرة" أو "قـــاموس الأحـــاديث" الألماني، كافية لتسع المادة. وعند الاقتضاء، من الممكن أن نضيف تذييـــلا، لأن تأليفا من هذا النوع لا يكون شاملا أبدا. ولكن هذه المسألة سيتم النظر فيها لاحقا.

و الآن، وأنا أسلم هذا النموذج الأول من إنتاجنا المشترك، أرى أنـــه يبقـــى واجب، علي القيام به. يمكنكم سادتي أن تشاهدوا من خلال التقرير الذي تشـــرفت بتقديمه إليكم، من خلال هذا الكراس النموذج الذي قدم إليكم، بأي حماســـة وبـــأي تفان عكف "هوتسما" على المهمة التي أراد أن يكلف بها لفائدة دراساتنا. أدعوكـــم إذن إلى أن تقدموا له شكرنا الجزيل وأن تظهروا له تعاطفكم وذلك بمساعدته فـــي هذا المشروع الصعب والذي ستكون له فائدة فائقة وأكيدة »[١].

و في المؤتمر الخامس عشر، عـــرض "بلتنبـــورج Peltenburg" دائـــرة المعارف الإسلامية، الطبعة الألمانيـــة-الفرنســـية-الإنجليزيـــة المجلديـــن الأول والثاني[٢].

ثم في المؤتمر الثاني والعشرين، جاء الحديث عن الطبعة الجديدة من دائـــرة المعارف الإسلامية. فقد " قدم "ج. هـــ. كريمـــر J. H. Kremers "، صـــورة للطبعة الجديدة من دائرة المعارف الإسلامية. لقد وجهت دعوات لكل الأكـــاديميين الممثلين للاتحاد الأكاديمي العالمي Union Academique International، كي يرسلوا مندوبين لعقد ندوة تحضيرية، وقد تمت في ليـــدن، فـــي إبريـــل ١٩٤٩م (جمادى الثانية ١٣٦٨هـــ)، وفيها نصب أعضاء الندوة أنفسهم أعضـــاء الهيئـــة

---

(1) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - T3 - Resume des Bulletins – pp. clxxix – clxxxi .
(2) Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - Seances des sections - p. 68.

الاستشارية (أو اللجنة الإدارية)، للطبعة الجديدة. كما تكونت لجنة تحرير من: هـ. أ. ر. جب H. A. R. Gibb (أكسفورد)، وج.هـ. كريمر وأ. ليفي بروفنسال E. Levy - Provinsal ، ولجنة مالية، أعضاؤها هم أعضاء لجنة التحرير، إضافة إلى ممثلين عن " الأكاديمية الملكية الهولندية Royal Netherlands Academy". كما تم عقد اتفاق مع شركة "أ. ج. بريل" كي تطبع دائرة المعارف هذه في طبعتين إنجليزية وفرنسية، مع اعتبار أن سعر الطباعة ومستحقات المحررين سيتم تسديدها عن طريق المساعدات المالية.

وفي مايو ١٩٥٠م (رجب وشعبان ١٣٦٩هـ)، اتفقت لجنة التحرير مع أصحاب "أ. ج. بريل"، على مقدم يخول ابتداء الأعمال الأولى، ويضيف قائلا: "وكان لنا حظ سعيد، أن حصلنا على خدمات الدكتور "س. م. شتيرن S. M. Stern"، ليشغل منصب السكرتير العام. ولقد بدأ الدكتور "شتيرن"، عمله في ليدن منذ نهاية نوفمبر. وتحت رعاية لجنة التحرير، وبحضور عدد كبير من المختصين، تم تجهيز تفاصيل بطاقة فهرست الطبعة الجديدة. وفي اجتماع ثان للجنة الإدارية، انعقد في شهر مايو من هذا العام، تمت مراجعة العمل بالتفصيل، وتمت الموافقة على مخططات لإعداد وتجهيز المجلد الأول. وفي الاجتماع نفسه، تم توسيع مجلس الإدارة بتعيين أعضاء زملاء من الدول الإسلامية. لقد كان من المؤمل أن يتم الحصول على الدعم الكافي قانونيا بمساهمة الأكاديميين، ويخول بداية طبع النشرة الجديدة خلال العام ١٩٥٣م"[1]، وختم "كريمر" تقريره بالتعبير عن شكر لجنة التدوين كل علماء الأقطار الذين قدموا دعما فعالا وسخيا في أعمال التحضير، وتمنى أن تكون الطبعة الجديدة شاهدا على حقيقة الروح التعاونية العلمية[2].

هكذا تبين لنا دور المؤتمرات في تكوين دائرة المعارف الإسلامية، فقد انطلقت الفكرة منها، وابتدأ العمل التنظيمي والتطبيقي منها أيضا، وكانت ساهرة على تيسير الظروف اللازمة لذلك، وسايرت الدائرة حتى اكتمالها، ثم حتى بداية

---

(1) J. Kramers: "New edition of the Encyclopaedia of Islam". Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 - p. 59.
(2) Ibid - Vol1 - p. 59.

عمل النسخة الجديدة منها. ومن هنا يتضح أثر المؤتمرات فيها، وبالتالي في الحركة الاستشراقية.

٥. الصحافة العربية وأثرها في الاستغراب:

تحدث عن هذا الموضوع المستشرق "ميرانت"، في المؤتمر الرابع عشر، المنعقد في الجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، في مساهمة له بعنوان "الصحافة الدورية العربية".

بدأ المستشرق ببيان المصدر المعين للصحافة العربية وبين أن الصحافة الغربية تمثل مصدرا أساسا للصحافة العربية (١). فأول درجات استغراب الصحافة العربية إذاء، هو اعتمادها الصحافة الغربية مصدرا ونهجا. ويبدو أن هذا هو ما كان يهدف إليه الغربيون عامة والمستشرقون خاصة، فمن شأن هذا الأمر أن يؤدي إلى تيسير بث القيم الغربية في المجتمع الإسلامي، إذ يواصل المستشرق قائلا: "يجب أن نهنئ أنفسنا بهذا التقليد الذي سيؤدي إلى اتصالات طيبة بين الشرق والغرب، وهذا ما نستشفه منها، دون عناء. إن نتائج الحداثة الأوروبية التي يتم بثها بالتالي بعمق، من شأنها أن تواصل عملية التحول البطيء في العالم الإسلامي، بتأثيرها في الوقت نفسه على اللغة العربية وعلى الأفكار"(٢).

إن اللغة العربية تستهدفها المخططات الغربية استهدافا خاصا، ويتم ذلك عن طريق وسائل عدة، من بينها الصحافة. وعن دور هذه الأخيرة في المهمة عينها، يقول المستشرق: "لا شيء ثابت البتة في العالم الإسلامي، ولا يمكن للغة العربية أن تستثني نفسها من هذه القاعدة العامة. ومهما كانت قوتها وكمالها، فإنه يستحيل عليها أن تبقى ثابتة للأبد. إن العلاقات مع أوروبا، والكشوفات والغزوات المعاصرة، والتطور المتواصل للتقنية والعلم، ستفرض على العالم الإسلامي إدخال عدد كبير من المصطلحات في اللغة العربية، تتماشى والأفكار الحديثة. لكننا يمكن

---

(1) Mirante: "La presse periodique Arabe" - Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - deuxieme partie -pp. 199 - 200.
(2) Ibid. p. 200.

أن نقول إن هذه المهمة قد أنجزتها الصحافة، فهي التي خلقت، بدرجة ما، لغة عصرية وليدة، كاملة ومنسجمة مع العصر، ومختلفة جدا عن لغة الكتاب الأقدمين، ويمكن لنا أن نتأكد من ذلك. لقد أراد بعضهم أن يبقي على هذه المصطلحات الجديدة، باستعارتها من اللغات الأجنبية، ونقلها للغة العربية فقط. وإننا نشجع هذا الأسلوب بقوة"[١]. فهذه دعوة من المستشرق لتحديد الوجهة الصحفية، لتغيير النمط الاصطلاحي للعبارات المتولدة حديثا، حتى تدخل أكثر عدد ممكن من الألفاظ الغربية الغريبة في اللغة العربية. وهذا أحد الأدلة على دور الصحافة الاستغرابي.

كما يرى المستشرق أن أحد أهداف الصحافة، هو إدخال المسلمين ضمن إطار الحضارة المادية الغربية. وهذا قوله: "إن انتشار الأفكار والعلوم الأوروبية عن طريق الجرائد العربية، ينمي شيئا فشيئا ميدان الفكر لدى المسلمين، ويقربهم دون شعور من حضارتنا بتنوير تفكيرهم. إن هذا هو ما فهمته معظم الدوريات العربية، للقيام بدورها التثقيفي للشعوب، وعليها أن تعد نفسها مساهمة في مهمة التجديد الفكري للمجتمع المسلم"[٢]. يتضح من هذا الكلام الدور التغريبي للصحافة العربية، فهي أداة لإعادة تشكيل الفكر الإسلامي وتوجيهه. وهي تستخدم أساليب فنية، بحيث تقوم بمهمتها دون إثارة الرأي العام.

من جهة أخرى، يدعو المستشرق هذه الصحافة إلى العمل بكل فطنة ونباهة، حتى لا تؤلب الرأي العام ضدها، وأن لا تسعى لنبذ كل موروثاتها التاريخية ولا سيما الدينية، بل عليها التمييز بين ما هو صالح، وما هو منبوذ. يقول المستشرق: "لا يمكننا أن نتجاهل أنه بسبب الوسط الاجتماعي نفسه، أين تمارس نشاطها، وأيضا لعدة أسباب أخرى، منتشرة، فإن الصحف العربية مطالبة بأخذ الحذر الكبير والتخلي عن الإثارة غير المفيدة للشعور الحساس للمتدينين. إن واجبها إذن، يتمثل في الكف عن تبني الأفكار الجديدة بكل براعة، مقابل العقائد الإسلامية التي لا ترفض البتة التقدم، مهما قيل فيها... وعليها التوجه شيئا فشيئا إلى جانب الروحانية، كي تترك للفكر حريته وللعقل استقلاليته"[٣]. فكأن المستشرق يدعو إلى

---

(1) Ibid. p. 200.

(2) Ibid. p. 200.

(3) Ibid. p. 201.

ضرورة رواج الصحافة أولا، ثم بعد أن يتعود الشعب عليها، أو يحبها، يمكنها تمرير ما لديها دون وجل. وأن عليها مساير ة الواقع ومهادنته.

إلا أن لهذه الصحافة حدودا لا يجب تجاوزها، حسب المستشرق ومن ورائه الغرب كله. فليس عليها أن تعبر لميدان انتقاد الغرب وتحليل توجهاته، وليس لها تأييد كل ما يمس من الشؤون الغربية، ولا ما يهدد مصالحها. كما أن الغرب يرى نفسه صاحب نعمة على الصحافة العربية، لذا، يجب على الصحافة العربية عدم نكران هذا الجميل، أو أنها قد تقع تحت طائلة العقوبات. من ذلك، انتقاد المستشرق لتوجه الصحافة نحو تأييد قيام "الجامعة الإسلامية"، وهذا قول المستشرق حول هذا الموضوع: "لا يمكن إلى الآن قياس النفس الصحفي العربي، ومقارنته بالأوروبي. بل إن الصحافة العربية تحتاج إلى انتقادات. تظن الكثيرات منها أنها مجبرة على بث دعوات لتكوين "جامعة إسلامية"، كأنما تريد أن تعطي لنفسها سمات وطنية متصلبة، من شأنها أن تغرر بحب المسلمين الحقيقي. ولن نقوم تجاههم بأي شتيمة، بحيث ننسب إليهم سذاجة انتظار نتيجة عملية ما لهذه التصرفات الأفلاطونية الصرفة. إننا لا نعلم شيئا أكثر حمقا من هذه الجامعة الإسلامية، التي احتج ضدها اثنا عشر قرنا من التاريخ الإسلامي. إن الفكر الديني، مهما كانت قوته، لا ينجح أبدا في إزالة الفوارق الاجتماعية التي تفرق الشعوب عن بعضها البعض، لأنه ليس من الضروري أن تتبادل المحبة، حتى يعبد الله"[1]. إن المستشرق، يندد في هذا الكلام بسعي الصحف نحو الدعوة إلى تكوين الجامعة الإسلامية، ثم يتبعها بتوجيه انتقادات لمثل هذه الدعوة، وللمؤسسة المدعو لتكوينها. فالمعلوم أن الغرب استمات في العمل دون قيام هذه الجامعة، خوفا على مصالحه الخاصة. فكان رافضا رفضا باتا لقيامها. وما دامت الصحافة ناقضت هذا التوجه الغربي، فهي تعد عاقة لأصحاب النعمة في نظر المستشرق، لذا، فإنها تستحق الانتقاد.

مثل هذا التوجه، وضع الصحافة العربية في موقع الشك والاتهام. قال المستشرق: "ليس باطلا أن الصحف العربية المهيئة لمثل هذا العمل، تترك المجال لنفسها أحيانا الذهاب إلى التنويه بدرجة قوة الأوروبيين، بالمقارنة مع مشكلات

---

(1) Ibid. p. 203.

المسلمين، إلا أنها تخفي وراء ذلك سوء نية جلي"[1]. يبدو من هذا الكلام أن المستشرق يحذر من أن تكتسب هذه الصحافة ثقة الغربيين. فهي ليست أهلا لذلك مهما حاولت التقرب والتنويه بشؤون الغرب. وحتى يؤكد رأيه، يضرب أمثلة لذلك، فيقول: "إحدى منشورات القاهرة، في حديثها بصفة عامة عن المسلمين الموجودين في أقطار أوروبية، كان ذلك منذ زمن، فكان مما قالت: "إن الرجال تساء معاملتهم، وتسلب أملاكهم، والأطفال ينصرون بالقوة، والنساء يغتصبن، وقد عدن إلى العبودية...". وقد قدمت أخرى جدولا مخيفا حول المسلمين، وفيه موضوعات حول الهولنديين في الجزر الهولندية والأقطار التركية والبوسنة والهرسك التي احتلتها النمسا، وتلك التي توجد تحت روسيا القازية... إلخ. وهذه أخيرا، صحيفة عربية تتحدث عن الجزائر "أربعة ملايين مواطن، يوجدون في هذا البلد، يرزحون تحت نير خمس وعشرين ألف فرنسي، يعاملونهم بازدراء، كما تعامل بضاعة حقيرة"..."[2]. يورد المستشرق هذه المقتطفات مؤيدا رأيه السابق، محذرا من مثل هذه المنشورات، ثم حاول تفنيد قولها عن الجزائر، مستخدما عبارات استعطافية، لا تخدم الباحث العلمي بشيء فقال: "لماذا هذا التظاهر بمثل هذا الدور الأخاذ ؟ وبما أننا في الجزائر، هل يمكن لنا منطقيا التحدث بمثل هذه العبارات عن الدور الإنساني العظيم الذي تتبعه فرنسا في هذا البلد؟ ألا يجني المسلمون في ظل الراية الفرنسية كل منافع الحضارة ؟ ألا ينعمون بتسامح كامل فيما يخص ديانتهم؟ أليسوا يعاملون بالعدل والرفق؟ أليسوا طرفا في الإدارة صاحبة الرعاية الأبوية، وهو ما لم يعرفوه أبدا في تاريخهم السابق، وهو ما يمكنه أن يعيد لهم روحهم التي يحسدهم عليها كثيرا أصحاب الديانات الأخرى"[3]. بهذا الكلام يناقش المستشرق كلام الصحافة، كأن ما ذكرته الصحافة لا يستحق نقاشا وافيا لحالة الجزائريين الواقعية والحقيقية، وظروفهم تحت نير الاستعمار الفرنسي.

ثم يلجأ المستشرق إلى تهديد الصحافة العربية فيقول: "... إن مقالات تحمل مثل هذه النزوات، تزعج الدول الأوروبية، وتمس كرامة الصحافة العربية... إنه

---

[1] Ibid. p. 204.

[2] Ibid. p. 204.

[3] Ibid. p. 204.

قد تنتج حركة عدوانية ضد الصحف العربية، فقد يمنع انتشارها أحيانا في الأقطار المحتلة"[1]. هذا التهديد تم نتاجا لكشف حقائق لا يريد المستعمر إثارتها. لذا، فهو يرى ضرورة وضع حد لمحاولة الصحافة التنقيب عن ذلك. لكنه لا يريد أن يعترف بهذا الأمر. لذا فهو يورد حججا أخرى، يقول في شأنها: "يخشى أن تنشط همهمات ذات صبغة تدعو إلى الجهاد المقدس، ويكون لها صدى يؤسف له عند أصحاب الأفكار الساذجة من المواطنين. وتؤدي لعمليات دينية جنونية"[2]. إن هذا أشد ما يخشاه الغرب، وهو أن تقوم ضده حرب جهادية دينية، لأن لها مبدأ يصعب عليه شقه. ثم إن مثل هذا الشأن تأصيلي وليس تغريبي. فهو سير في الاتجاه المعاكس لمراد الغرب. وما دام كذلك، يؤدي إلى إعادة غرس الأصول الشرقية، وبالتحديد الإسلامية، فهو مسار عدواني عند الغرب، ويجب إيقاف تياره.

في مثل هذه الحالة، تكون الصحافة قد خرجت عن الخط المرسوم لها. وهذا ما يبينه المستشرق صراحة في قوله الذي بدأه بنزعة إغرائية استعطافية، وختمه بالتهديد والوعيد: "نحن اللذين نحب الصحافة العربية، ولنا تعاطف مع دورها التثقيفي، نأسف لرؤية بعض الصحف تخرج عن دورها المناط بعهدتها، بمنحها، بكل يسر، تأييدها للكتابات المعادية للسلطة التي قد تؤدي إلى نتائج أخرى أشد من الحذر من الصحافة العربية كلها، ألا وهو تأجيج نار الحقد العرقي والديني، وتقوية أصول الريبة المتبادلة بين المسلمين والأوروبيين"[3]. من كلام المستشرق هذا، كأنما الغرب هو الذي وضع الصحافة وكأنما هو الذي يبين لها الطريق التي يجب عليها أن تسلكه، وبالتالي فهو المحكم والمهيمن عليها. وحتى إن لم يكن الأمر كذلك، فهو يبسط لها يد السيطرة بحيث يوجه دفتها حسب مراده.

من ناحية أخرى، نرى المستشرق يركز كلامه على الدين الإسلامي والجهاد، خوفا من قيام حملات مقاومة للاستعمار، تسير على هذا السبيل، ولم نره وجه انتقادات للصحافة إلا من هذا الجانب. ولم يحمل على الصحافة إلا لتطرقها لهذه الموضوعات. إن في هذا دليلا على أن الغرب، لا يهتم بجميع التوجهات

---

[1] Ibid. p. 205.

[2] Ibid. p. 205.

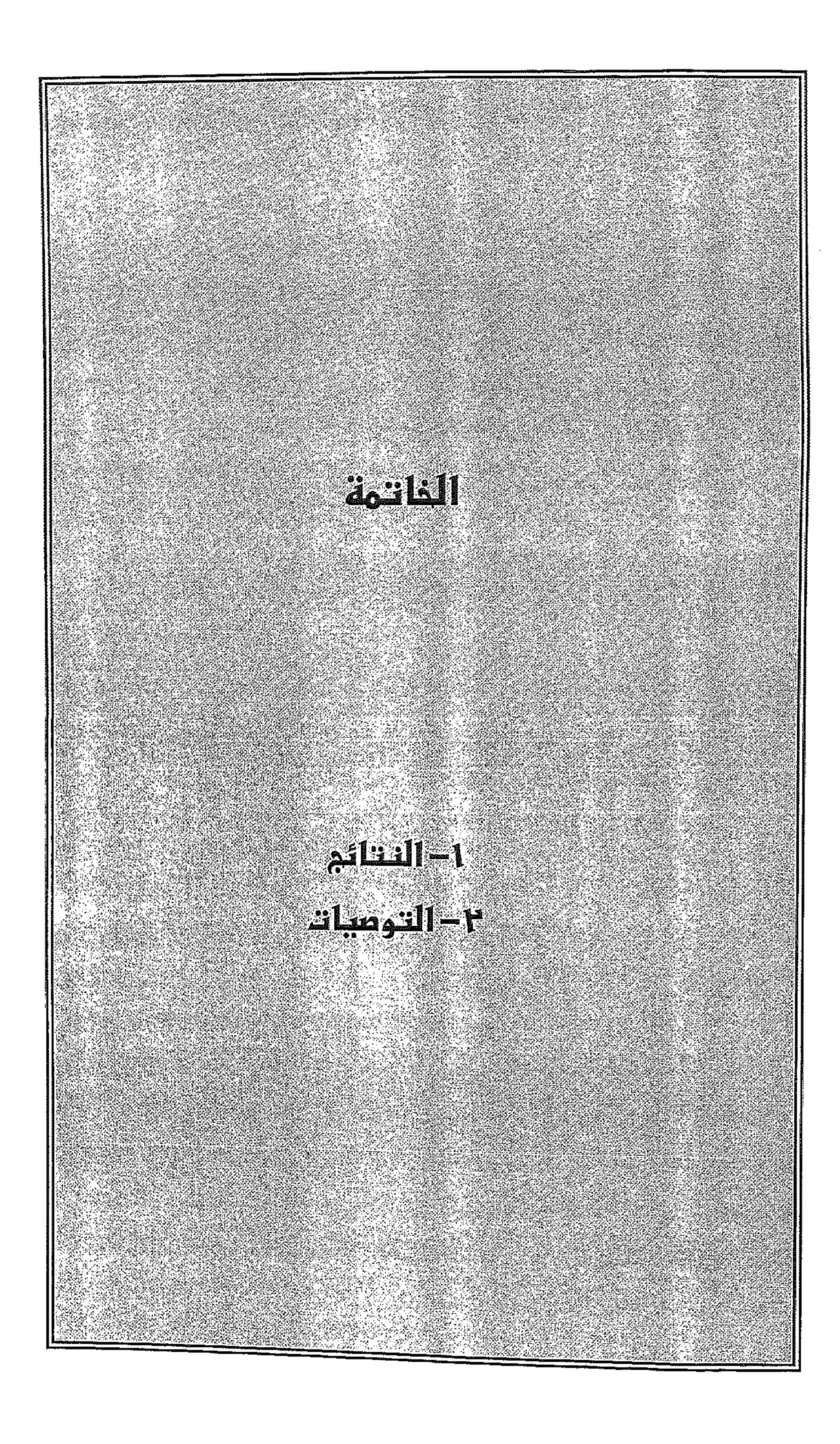
[3] Ibid. p. 205.

الفكرية مهما كان منهجها، إلا التي تتخذ من الإسلام شعارا وأساسا لتحركاتها، لأنها هي التي تمثل الخطر الحقيقي على مصالحه، أما ما عداها فهي ستصب في معين الغرب نفسه، لأنها ستتخذ نهجا سبق تبلوره في الغرب، لذا، فلن تمثل أي خطر على مراد الغرب.

أما الخطوط العريضة التي يرسمها المستشرق للصحافة العربية، فيبينها في خاتمة انتقاداته قائلا: "يجب على الصحافة العربية أن تكف عن هذه التظاهرات السخيفة والخطرة التي لا تعطيهم إلا مظاهر مخزية من الهوى وسوء النية. إنها بهذا الشرط فقط، تستحق تعاطف الشعوب المتحضرة وتشجيعها، التي تملك ما يلزمها من منافع لأدوارها التثقيفية، وسط الشعوب الإسلامية وأن يساعدوا في الوقت نفسه، المصالح العليا للمجتمع المسلم، والإنسانية أجمع، بالعمل من أجل التقريب ومن أجل المصالحة النهائية بين الشرق والغرب"[1]. يستخدم المستشرق أسلوب الأمر والنهي، قصد إجبار الصحافة على التخلي على الأسلوب الذي اتبعته. أما دورها فينحصر في التقريب بين الشرق والغرب. وبما أنه لا يجب المس من الغرب ومميزاته، فإن مهمة الصحافة هي إيصال الشرق إلى داخل الحدود الغربية، وهو ما يعني إذابة الشرق في الحضارة الغربية، وتلك قمة المصالحة بين اللدودين، وتكون الصحافة مرضي عنها عند الغربيين لأنها تكون قد قامت بدورها الذي يريده خير قيام، حتى إن تخلت عن كل موروثاتها وقيمها، بل حسب المستشرق، عليها التخلي عمليا عن شخصيتها ومثلها الحضارية.

تلك إذن أبرز الجوانب التي تمثل أثر المؤتمرات في الشؤون الثقافية، ولاسيما منها تلك المتعلقة بالدراسات الاستشراقية، والثقافة الغربية. فقد كانت المؤتمرات حريصة على تطويرهما وتنميتهما، ونشر متعلقاتها التي يتبناها المستشرقون، للاطمئنان عليها في مواصلة مسارها وتنمية أبحاثها ونشر دراساتها. وبهذا، اكتمل الحديث عن خصائص المؤتمرات العامة.

[1] Ibid. p. 205.



الخاتمة

١- النتائج

٢- التوصيات

الخاتمة

الحمد لله ميسر الأمور، الذي أعان على إتمام هـــذه السـطور، والصــلاة والسلام على النبي المبرور، على مدى الأيام و العصور. هذا العمل المتمثل فـــي تقديم صورة إجمالية عن مؤتمرات المستشرقين العالمية، قضى الباحث معها أياما وأوقات، خرج منها بفوائد حول المؤتمرات، وتبينت له عنها حقائق ومعلومـــات، يمكن إجمالها فيما يلي من الخطوات، متوازية وما عرض في البحث من فصـــول ودراسات، ثم يختم البحث بتقديم بعض التوصيات.

نتائج البحث

أولا: عند الحديث عن نشأة الاستشراق، وبعد دراسة المؤتمـــرات، أمكـــن استخلاص مدى اتساع مفهوم الاستشراق، لدرجة أنه يصعب تقديم تعريف محـــدد له. فالبحوث الاستشراقية شملت العالم كافة، ما عدا أوروبا الغربيـــة، وأمريكـــا الشمالية التي تم تناول لغات سكانها الأصليين بالدرس، واتضح أن الاستشراق هو باختصار "ميدان دراسي إنساني يتناول فيه الرجل الغربي أصيل الثقافة اللاتينيـــة بالدرس كل ما سواه في كافة أنحاء العالم". فأسبانيا مثلا، إن درست تاريخيا، فهي تدرس من وجهة نظر استشراقية، على أنها تابعة للشرق، أما إذا درست آنيا، فهي تدرس على أنها أوروبية، وبالتالي مستشرقة وليست شرقية. بل إن المطلع علـــى البحوث الاستشراقية المعاصرة في أوروبا، يجد دراسات عدة تتنـــاول المســلمين والشرقيين المقيمين في أوروبا بالدرس والتحليل، حتى المثقفين منهم ثقافة أوروبية يخضعون للدرس كذلك، بل حتى المسلمين من الغربيين تتم دراســتهم دراســات متخصصة، والواقع المعاش اليوم دليل على ذلك. ومن ثم، من الصعوبة بمكـــان تقديم تعريف للاستشراق. وجل ما يعرض على أنه تعريفات، إنما مفـــاهيم، قـــد تكون عامة، أو تتعلق بمجال محدد. ومن ثم، فإن القول بأنها مفاهيم؛ أبلـــغ مـــن تسميتها تعريفات.

من ناحية أخرى، لا يزال الاستشراق بمعناه القديم موجودا علـــى الســاحة العلمية الاستشراقية، كما أنه خلال حضوري للمؤتمر الخامس والثلاثين ببودبست صيف ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، لاحظت وجود مثل هـــذا الاتجـاه الـذي يدعــي المستشرقون أنه انقضى وفات، من ذلـــك أن المستشـــرقة آنــا زلكينــا Anna Zelkina "[1] تحدثت عن الشيشان الحالية، سئلت عن طبيعة الإسلام في الشيشان أجابت عن أي إسلام تسألون أهو الإسلام السعودي أو الســـوداني أو الليبـــي.... ومثل هذه المقولة من موروثات الاستشراق الذي يريدون التخلص منه، ولذا، لمــا ناقشت المستشرقة بأن مثل هذا الكلام تجاوزته الأبحاث الاستشـــراقية الحاليـــة، وجدت موافقة على ذلك من جل الحضور، وحاولت المراوغـــة. أمــا خلاصـــة القضية، أن الاستشراق لا يزال موجودا، لكن كل ما تغير هو المنهجية والطريقة، ولا سيما التخصص، الذي احتج عليه العديد من المستشرقين. والاستشراق الــذي أسموه عتيقا لازلنا نجده في العديد من الكتب والمقالات، والمطلع اليومـــي علـــى الصحافة الغربية مثلا، يمكنه التعرف على ذلك بلا جهد كبير.

ثانيا: الأمور الكبرى، التي قد يكون لها فوائد، يمكن أن تنطلق من فـــرد أو مجموعة قليلة من الأفراد. والمهم في هذه الحالة هو الإيمان بحقيقة مـــا يخطــط المرء له، وقيمته العلمية، وفائدته المستقبلية. وهذه مؤتمرات المستشرقين العالميـة كانت كذلك، فمنطلقها فرد واحد، آزره من آمنوا بفكرته، وتخلت عنه جل القـــوى الفاعلة والمؤثرة في عصره، حتى القوى السياسية، وصادفته مشكلات عدة قبـــل انعقاد أول مرة، اضطر على أثرها إلى تغيير زمن المؤتمر مرات ثـــلاث، كمــا اضطر لتغيير جدول العمل مرات عدة، ومع ذلك، واصل مسيرته، ووجه جـــهوده كلها لينجح المؤتمر الأول، وفيه كذلك صادفته عقبات، تمكن من السيطرة عليـــها. وهاهي المؤتمرات لا تزال عاملة، وتستقطب العديد من الباحثين، وتمكنـــت فـــي بعض الأحيان من جمع ما يزيد عن ثلاثة آلاف باحث. بل قد فرضت المؤتمرات ليكون لها بعد سياسي، تتنافس البلدان على استضافته.

[1] Anna Zelkina – "Islam in Contemporary Politics in Chechnya" – 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 – p. 61.

ثالثا: دقة التنظيم، وحسن الإدارة، وسلامة التصرف، عوامل ثلاثة من أسس النجاح. فقد نجح المؤتمر الأول بحسن تعامله مع الأمور الثلاث هذه، وبها تمكنت المؤتمرات من الانطلاقة. ولو كان هناك خلل في إحداها لربما توقف نشاطها منذ انطلاقها. ولعل عامل النجاح الأساس، وأخطرها على الإطلاق هو العامل الثالث، الذي تحلى به رئيس المؤتمر الأول، ولاسيما عندما حصلت مشادات قوية عند انطلاق المؤتمر.

رابعا: النظرة الدونية، التي ينظر بها بعض الشرقيين لأنفسهم، أمام رؤية الغربيين مثالا يصعب إدراكه، وحتى يصلون إلى مستواه لا بد من تقليده أو تسليم زمام قيادتهم إليه، نظرية خطأتها مؤتمرات المستشرقين العالمية. فقد أثبتت المؤتمرات التي عقدت في البلدان الشرقية، أن الشخصية الشرقية لا ينقصها سوى الإرادة، والإيمان بالقدرة الذاتية، فقد كانت المؤتمرات التي عقدت فيها من أنجح المؤتمرات، سواء في الإدارة، أو في التأثير في المسار الاستشراقي، وحتى في المؤتمرات نفسها ومسارها.

خامسا: للمؤتمرات سلبيات كما لها إيجابيات، ولعل من أعمق هذه السلبيات، عدم قدرتها على استقلاليتها الذاتية، وبالتالي خضعت للمؤثرات الخارجية المتنوعة، ومن ثم كانت تتكيف مع كل نمط فكري أو ثقافي أو سياسي.

سادسا: من الأمور الطريفة، والتي تثير التساؤل، هو تأثر المؤتمرات بالمتغيرات من حولها، وتأقلمها مع محيطها، سواء أثر عليها سلبا أو إيجابا، وقد كان هذا التأثر عاملا من عوامل دوامها واستمرار نشاطها. ولا يمكن تفسير ذلك إلا بأنها تدع الفرصة مفتوحة أمام كل التيارات والاتجاهات تعرض ما تراه وفق قناعاتها الشخصية. ويبدو أن هذا التفتح العام هو الذي هيأ سبيل الدوام.

سابعا: من فوائد هذه المؤتمرات، أنها تبين للمرء مسار التطور الفكري الغربي على مدى هذه الحقبة الطويلة من عمرها، ومن ثم مراحل تطور الفكر الاستشراقي. فالمؤتمرات شاهدة على ذلك، وجل الدراسات والمناقشات مدونة ومحفوظة. وما هذا البحث إلا محاولة لإبراز جوانب هامة ومتعددة منها، تحتاج إلى المزيد من التحليل والبحث والدراسة.

ثامنا: فشلت مؤتمرات المستشرقين في المحافظة على أهدافها المرسومة، ومن ثم اخترقتها أهداف أخرى ثانوية، ربما لم تحسب لها حسابها. أما إن كان

ذلك من غاياتها، فتكون استخدمت الدراسات الاستشراقية، لتحقيق مصالح أخـرى أعمق من الفوائد العلمية التي تأسست من أجلها.

تاسعا: بينت المؤتمرات أن التعاون بين المستشرقين والمنصرين، قائم منـذ زمن طويل. فإضافة إلى المجال الكبير الذي احتله المستشرقون المنصرون فـي عرض دراساتهم وتوسيع نشاطهم، تعاون الجانبان لتحقيق برامج ثقافية عدة، منها تحويل الكتابات الشرقية، وجمع المخطوطات ودراستها، ووصف المجتمعات فـي الشرق وتحليل ظواهرها الاجتماعية وخصائصها الثقافيـة ومميزاتـها العقديـة، وغيرها من المعارف التي تصب في المصالح المشتركة. وتعاون معهم السياسيون في مرات عدة. ومن ثم، يتبين أن خدمة المصلحة الغربية العليـا، هـي أسـاس الأنشطة كلها.

عاشرا: معايير المؤتمرات في تعاملها مع الشرق، تختلف حسب المصلحـة الغربية العليا. اتضح ذلك من خلال تفاعلها مع نوعيات الدراسات التـي تتنـاول الشرق بالتحليل والدراسة، فأساليب تحليلاتهم للمجتمعات الشرقية النصرانية، غير تلك المتبعة عند اهتمامهم بالمجتمعات المسلمة مثلا. كما أن تعاملهم مع البـاحثين الشرقيين النصارى، ومع كتاباتهم، غير ما يقابلون به أنشطة المسلمين مثلا. بـل إن الوثنيين محببين عندهم في أحيان عدة، أكثر من المسلمين.

التوصيات

يمكن الاقتصار في هذا المجال على ثلاث، أمكن لمس أهميتها مـن خـلال تحليل الموضوع.

الأولى: تتمثل في استغلال تفتح مؤتمرات المستشرقين العالمية على جميـع الفعاليات الفكرية. فهذا يجعل منها منبرا لإيصال القناعات، والمعلومات، ويعطـي الفرصة لتبادل الأفكار والمناقشات. هذه الميزة، يمكن التعـامل معـها لإثبـات الحقائق، ومنها الأخطاء التي يقع فيها المستشرقون عند دراساتهم للعالم الشـرقي، كما أن المشاركة فيها ميسورة جدا، فلا يجب إهمالها، بل الأولى المشاركة فيـها وتقديم ما أمكن من عروض وأبحاث، وفتح علاقات معرفية مع الآخرين، ومـهما

كانت السلبيات فيها، فهي لا تخلو من فوائد، يستحسن الاستفادة منها، وذلك بالمشاركة الفعالة فيها، ولا يجب إهمالها.

الثانية: دراسات المؤتمرات، ومقالاتها، تحتاج اهتمامات عميقة، وتحليلات دقيقة. وهذه الدراسة بوصفها بيانية، فقد أدت إلى بيان موضوعات وجوانب عدة، تحتاج للدراسة والتحليل، وتنتظر من يقوم بالكشف عن حقيقتها، وتمحيص إيجابياتها عن سلبياتها، وبخاصة أنها تغطي قرنا وربع قرن من الزمن، بوصفها شاهدة على تطور الدراسات الاستشراقية على مدى هذه الفترة كلها، وكذلك النمو الدراسي للمدارس الاستشراقية، ومن ثم فهي محكمة عليها، والأهم من ذلك هو معايشتها المسار الفكري الغربي والاستشراقي والتطورات التي طرأت عليه، وقد مرت الساحة الغربية بتطورات متلاحقة، سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية، وعسكرية وتقنية وصناعية، كما أن التفاعل بينها وبين المؤتمرات يحتاج إلى مزيد من التعمق والتحليل. فيا حبذا لو وجهت الهمم لتناولها بالدراسة والفهم.

الثالثة: من خلال الدراسة، تبدو هناك حاجة لأن تقام مؤتمرات عالمية في الاتجاه المعاكس، بحيث تهتم بالفكر الغربي بصفة عامة، وتتولى مهمة تحليله، وبالدراسات الاستشراقية بصفة خاصة، وتتولى بيانها وتقويمها. وهذه المؤتمرات يديرها شرقيون، وقبل انطلاقتها في دراساتها، يجب التفكير الدقيق في الكيفية التي تكون عليها هيكليتها، وتستفيد من مؤتمرات المستشرقين العالمية، التي بلغت أوج الخبرة في ذلك، لكن يجب عليها تلافي سلبياتها تماما.